الفصل الرابع

الحياة الاقتصادية والملكيات الزراعية

المبحث الأول

الزراعة في الأندلس والمغرب

المبحث الأول

الزراعة في الأندلس والمغرب

لقد وجد المسلمون في الأندلس والمغرب أرضاً خصبة أو قابلة للزراعة ، فعملوا على زراعتها حتى تحولت إلى جنة خضراء ، فأصبحت الزراعة من أهم المجالات التي وضح فيها تأثير المسلمين ، حتى قيل [1] "إن المسلمين كتبوا بداية أعمق وأكبر تطور عرفته الزراعة في هذه البقعة التي كانت آلت إلى التخلف والكساد" ، وكان النشاط الزراعي في مجمله مزدهراً رغم اختلافه من منطقة لأخرى لاختلاف الظروف الجغرافية ، وما ذكره الجغرافيون والرحالة يدل على المستوى الجيد وغزارة الإنتاج ، وعلى أن المسلمين طوّروا التقنيات الزراعية السابقة مضيفين إلى التراث الزراعي المحلي العميق الجذور معارف جديدة للزراعة التطبيقية ، وهذا تناول لمجال الزراعة في الأندلس والمغرب.

أولاً : الأرض الزراعية في الأندلس والمغرب

١) الأرض والدورة الزراعية في الأندلس

أشاد الجغرافيون بأرض الأندلس ووفرة إنتاجها الزراعى، فمحرث الكنباتية بقرطبة " ليس له فى بلاد الأندلس نظير ولا أعظم منه بركة[2] " وبلورقة الفحص الذى لا يعلم فى الأرض مثله وهو المعروف بالفندون[3]" .

وصنف الأندلسيون أنواع التربة وعرفوا ما يصلح لها من مزروعات وأسمدة، وأنواع التربة الأندلسية هي : اللينة والجبلية والسوداء والبيضاء والرملية والصفراء والحمراء والخشنة " الحرشا " والمكذنة المائلة إلى الحمرة والرقيقة[4].

ويبدأ العمل الزراعى بتجهيز الأرض بحرث التربة مرتين إلى أربع، حسب نوعية

---

[1] إكسبيراثيون غارثيا سانشيز : الزراعة في أسبانيا المسلمة (ندوة الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس – بيروت ١٩٩٩م) ص١٣٦٧.

[2] المقرى : نفح الطيب ٨/٢ ، سالم: قرطبة حاضرة الخلافة ١٦/١ .

[3] الإدريسي : صفة المغرب ١٩٤ الحميرى: الروض المعطار ٨٢ .

[4] ابن بصال : الفلاحة ٤٢، ٤٧ ، أبو الخير الإشبيلي : الفلاحة ٤، ابن العوام : الفلاحة ٩٤،٨٩/١

التربة ونوع الزرع أو الغرس، وأحياناً تتعدد مرات الحرث حتى تصبح التربة كأنها غربلت بالغربال[١] ، وحددوا لكل تربة نوعا من المحاريث " ولتكن سكة الفدان كبيرة لتقلب الأرض وتخرج شحمها"[٢]، ويبدأ الحرث غالباً فى الأندلس فى منتصف يناير حتى يونيو[٣]، وبعض المناطق تبدأ فى الحرث أوائل أكتوبر مثل قنبانية قرطبة وفحص البلوط وما يجاورها من قرى[٤].

وأدرك الأندلسيون أهمية الحرث " فإن الأرض إذا حرثت مرات متفرقات ينقطع نباتها – الحشائش الضارة – بكثرة حرثها ، فلا تتكلف تغذية شئ منه، ثم يمر عليها حر الشمس والقيظ فيصل إلى أعماق خطوطها ، فيجتمع لها بهذا العمل ثلاث خلال: الانتفاش، والرخاوة، ثم إحراق الشمس وتلطيفها إياها، وهذا العمل أنجع ما يكون فى إصلاحها "[٥]

وبعد الحرث تسوى الأرض حتى تصبح فى مستوى واحد فيعمها الماء جميعاً، ويستخدم فى عملية التسوية ميزان الماء أو المرجيقل والقبطال والجفنة ، وفى الأرض الواسعة الكبيرة يستخدم الجاروف الذى تجره الثيران والبقر[٦] .

ثم تأتى عملية تخطيط الأرض ، فتخطط خطوط مستقيمة لغراسة الثمار " حتى لا تخرج منها ثمرة عن حد صاحبها لتقابلها الريح من أى ناحية هبت، وتستوفى كل ثمرة من الريح والهواء حقها، ويجعل بين كل ثمرة وثمرة اثنا عشر ذراعاً"[٧]، وتخطط إلى أحواض فى زراعة المحاصيل، وتتباعد البذور مسافات حسب المحصول المزروع[٨].

وبرع الأندلسيون فى معرفة أنواع التسميد والتزبيل، وما يصلح منها لكل نوع من أنواع الأشجار والخضر والأرض، وبذلك استمرت الأرض الأندلسية قوية خصبة، وأهم

---

(١) ابن العوام : الفلاحة ٤٢

(٢) أبو الخير الإشبيلي : الفلاحة ١٥

(٣) ابن بصال : الفلاحة ٥٦

(٤) عريب بن سعيد : تقويم قرطبة ٩٤

(٥) ابن العوام : الفلاحة ٢/٢١

(٦) ابن بصال: الفلاحة ٥٥ ابن العوام : الفلاحة ١٤٧/١

(٧) ابن بصال : الفلاحة ٥٥

(٨) المصدر السابق ١٠٩، ١١٠، ١١٢، ١١٥

أنواع السماد هى: روث الخيل والبغال والحمير والزبل الآدمى والزبل المضاف ، وزبل الضأن والماعز وزبل الحمام ورماد الحمامات والتنانير والزبل المولد[١].

وعرف الأندلسيون طريقة غرس !الأشجار المثمرة بالنوى أو القضبان أو الوتد، وأوضحت كتب التقاويم أوقات غرس بعض الأشجار المثمرة[٢]، وأظهر الفلاح الأندلسى قدرة على تركيب أنواع من المزروعات مثل تحلية الكروم وطرد الدود والهوام عنها وكيفية جعلها نواة [٣]، كما حرص الفلاح الأندلسى على تشمير – تشذيب – الأشجار وبخاصة وهى صغيرة، لأن ذلك يساعد على إطالة عمر الأشجار وإصلاح ثمارها واستيفاء كل جزء منها نصيبه من الغذاء[٤]. وهكذا أظهر الأندلسيون حكمة لأسباب الفلاحة وقدرة على ممارسة ضروب الغروسات وتدبيرهم لتركيب الشجر.[٥]

وكان الفلاح الأندلسى على معرفة بحماية الزروع وسرعة إنضاجها، فغطوا النباتات كي لايحرقها الجليد، ويضعون الزيت أو العسل فى أصولها لسرعة نضجها[٦] ويضعون بذور القمح والشعير فى ماء الزرنيخ حتى يبعدوا عنها الطيور والحشرات، ويشعلون النار للقضاء على الجراد، وعرفوا الأمراض النباتية ، وأسباب التسوس والتدود ، وأشكال الدود والهوام، وتساقط الثمر وضروب العفن والنضوب وأعراض الاحتراق، وظهر فى عصر الطوائف صر أصاب جميع ما بمدينة طليطلة من النارنج والأترج والياسمين واحترق الكل، فبذل الفلاحون جهداً فى معالجة الخضر والأشجار من الآفات اللاحقة بها، وطرد الدود والهوام عنها، وطرد الزنابير من الفواكه ، واستأجر الفلاحون الحراس للزرع، وربوا الكلاب وشيدوا الأسوار من الطين والحجارة، وأقاموا خيال الظل في حقولهم لتخويف الطيور[٧].

---

(١) ابن بصال : الفلاحة ٣٩،٤٢،٤٨، أبو الخير الإشبيلي : الفلاحة ١٠،١١، ابن العوام : الفلاحة١/٩٩

(٢) ابن بصال : الفلاحة ٥٩،٦١،٦٧،٦٨، عريب بن سعد : تقويم قرطبة ٢٢، ٣٢،٤٠،٤٩،١٠٩ .

(٣) ابن بصال : الفلاحة ، ٩١ ، ٩٤ ، ٩٥ ، ٩٦.

(٤) ابن بصال : الفلاحة ٨٩،٩٠.

(٥) المقرى : نفح الطيب ١٥١/٣ ابن غالب : فرحة الأنفس ٢٨١، ٢٨٢.

(٦) ابن بصال : الفلاحة ١٦،١٧، أبو الخير الإشبيلي : الفلاحة ٦٦،٧٠، ابن العوام : الفلاحة٢/٤٢٩ .

(٧) ابن رشد : البيان والتحصيل ٢٠٠/٨،٢٦٦ .

الدورة الزراعية :

وتبدأ السنة الزراعية الأندلسية في فصل الخريف (سبتمبر – أكتوبر – نوفمبر) فتبدأ بحرث الأرض وتجهيزها للزراعة، ويزرع في هذا الفصل اللفت والبصل والثوم والقمح والشعير والكتان والفول ، ويغرسون أشجار التين والزيتون والعنب ، وتجمع ثمار الزيتون والجوز والأرز والزعفران ويجنى القطن[١].

ويزرعون في فصل الربيع قصب السكر والقطن وبعض الخضروات والبقول، ويحصد الشعير المبكر في شهر إبريل، ويبدأ موسم الحصاد في أرياف قرطبة ومالقة وشذونة وتدمير، ويحصد الفول والكتان، وتجمع البذور والثمار[٢].

ويبدأ حصاد القمح في فصل الصيف ، وينضج العنب والتين والتفاح والإجاص البطيخ والكمثرى ويحصد الأرز ، ويزرع بعض الغروسات والمزروعات كالكرنب والفول الخريفى واللفت والجزر والسلق[٣] . وهذا تقويم زراعي مستخرج من كتب الفلاحة وتقويم قرطبة .

الشهر	أهم الأعمال التي تتم فيه وما يتميز به من الناحية الاقتصادية
١- يناير	تركيب الكروم في سهول وجبال قرطبة - يغرس النوى وتغرس الملوخ وتضرب أوتاد الزيتون والرمان – يزرع بإشبيلية القرع والباذنجان والخس والقنبيط – أنسب الشهور لنتاج الإبل وتواضع البقر وري الخيل .
٢- فبراير	غرس الزعفران – يركب الاجاص والتفاح – تغرس ملح الشجر – تنقل الغروسات ويزرع القنب – يزرع بإشبيلية الورد والرياحيين – يخرج الخيل عن الرعي وتطعم القصيل – تفقص الطير – تفرخ النحل – يبدأ النساء في تحضين بيض دود الحرير حتى يفقص.
٣- مارس	غرس قصب السكر والقطن – تقلح الأشجار وتركب تركيباً تسميه العامة الترقيع

[١] عريب بن سعد : تقويم قرطبة ١٤٥ ابن حزم: المحلى ٥/٢٦١،٢٦٢ ابن بصال : الفلاحة ٥٩،٦٠ . ابن العوام ٢/٤٢٨،٤٣٨ .

[٢] عريب بن سعد : تقويم قرطبة ٦١ ابن العوام : الفلاحة ٢/٤٣٨ ، ٤٤١.

[٣] عريب بن سعد : تقوية قرطبة١٠١،١٠٣،١٠٥،١٠٧،١١٠،٨٩ ابن العوام : الفلاحة ٢/٤٤٢،٤٤٤.

أهم الأعمال التي تتم فيه وما يتميز به من الناحية الاقتصادية	الشهر
- يغرس الورد المبكر والسوسن ويغرس القثاء - يزرع الباذنجان - يزرع بإشبيلية الريحان - يبدأ نتاج الخيل في المرائن - يتولد دود الحرير - يخرج حوت الشولي والشابل من البحر إلى الأنهار - تتزاوج الطواويس والبلوج واليمام.	
يقلم سعف النخيل - ويغرس الحناء والدلاع - تضرب أوتاد الأترج - تغرس قضبان الياسمين - زراعة الأرز - ينقل القرع البكير والباذنجان من مصاطب الزبل - يجمع زرار البنفسج - زراعة الحبق - يظهر الورد والبنفسج - تطلق فحول الخيل على الرماك أي الإناث في المرائن .	٤- إبريل
يبدأ نضج العنب والزيتون - يبدأ أهل السواحل في الحصاد كمالقة وقرطبة وشذونة ومرسية - حصاد الشعير والكتان بقنباية قرطبة ومالقة وشذونة وغيرها من المناطق المجاورة - يعمل النحل العسل - يظهر باكور التفاح والكمثرى وعيون البقر والبرقوق والقثاء وحب الملوك - تخرج الكتب في القرمز والحرير والغسول للطراز - تفرخ الطواويس والدجاج البحرية والبلوج واليمام.	٥- مايو
يزرع الكرنب - يظهر باكور العنب والبطيخ - يبدأ حصاد القمح في أكثر المناطق - حصاد القنب - صيد الأفاعي وعمل أقراطها للترياق - علم المعجونات من الأعشاب الطبية - صيد فراخ اليمام - تفرخ البرك البرية في الجزائر والبحيرات - تخرج الكتب في قرون الإيل للقسي - يعمل شراب التوت وعيون البقر.	٦- يونيو
حصاد القمح - درس الزرع - ينضج العنب والفستق والكمثرى والتفاح والموز - يعمل شراب الكمثرى والتفا - يجمع من العقاقير بذور الخرول والشونيز والصعتر - يكثر طير الماء كالشقاق - تظهر فراج الحجل وتصاد.	٧- يوليو
غرس الفول الخريفي - زراعة الخيري السماوي بقرطبة - نضج العنب بغرناطة - يزرع اللفت والجزر والخيار المؤخر في قرطبة وغرناطة وإشبيلية - قطع الأخشاب - يخرج حوت البوري من البحر إلى الأنهار فيكثر صيده ويكثر فيه السردين.	٨- أغسطس
ينضج الخوخ والعناب والرمان والسفرجل - حصاد الأرز - يبدأ الموز وقصب السكر في النضج - ويجمع القطن - يسود بعض الزيتون ويظهر الزيت الجديد - جمع الحناء ويظهر البلوط والقسطل - ويبدأ بالحرث والزرع في جبال قرطبة -	٩- سبتمبر

الشهر	أهم الأعمال التي تتم فيه وما يتميز به من الناحية الاقتصادية
	يجمع من العقاقير حب الرند ويعمل دهنه - تخرج الشذانقات اللبلية (أي المنسوبة إلى لبة) من البحر الكبير (المحيط) فتصاد إلى أول الربيع.
١٠- أكتوبر	يزرع البصل - يزرع القمح فيما بين أكتوبر وديسمبر - يظهر الورد الأبيض بغرناطة - يبدأ أهل قنبانية قرطبة وغيرها في الزريعة العامة - نخرص الزيتون ويبدأ بجمعه - تتواضح الغنم ويوجد اللبن بكثرة - يظهر الزرزور الأبيض والأسود - تقبل الغرانق الشتوية من الجزائر - يعمل شراب السفرجل والتفاح والموز - يجمع بذر الرازيانج والأنسيون.
١١- نوفمبر	فيه تقليب الزريعة - جمع البلوط والقسطل وحب الآس ويعمل شرابه - يزرع الشعير يكثر بقول الشتاء مثل الكرنب واللفت والسلق والجزر والكراث والفجل - يجمع القصب - ينضج الفول الخريفي - يغطي اللموز والأترج والياسمين حتى لا يضره الجليد - يجمع نوار الزعفران - يزرع الكتان.
١٢- ديسمبر	يظهر النرجس في بعض جبال قرطبة وبعض البساتين - ينور اللوز الكبير يطيب أول الأترج - يدخر ماء المطر في أجباب (آبار) يغرس القرع البكير والباذنجان في بساتين الزبل - يزرع الكراث - يزرع الثوم والخشخاش الأبيض.

٢) وصف الأرض المغربية والدورة الزراعية:

والأرض المغربية متوسطة الخصوبة ، وهي متعددة لاختلاف مناطقها ، فمنها : التربة الجيرية، والرملية ، والسوداء ، والأخيرة أجود الأنواع ، وتوجد حول الأنهار مثل سهول دكالة والشالية، وهناك أرض حمراء مثل أرض مدينة البصرة وهى تحتاج إلى مجهود لزراعتها، وتكثر الأرض الرملية في المغرب ويزرع فيها التين والرمان والسفرجل وكثير من الخضر وتوجد في جبال درن وتامسنا والسوس[١] وهناك مناطق اشتهرت بجودة أرضها ، فأرض مدينة البصرة صحية التربة جيدة لكل زرع، قليلة العشب، يوافقها التفاح والتوت واللوز والنباتات العطرية[٢]، وقرى مدينة تامدت كثيرة الريع في إنتاجها[٣]، وقرى

---

(١) عبد الوهاب بن منصور : قبائل المغرب ٧٢/١ مجهول : مفتاح الراحة لأهل الفلاحة ١١١،١٠٧.

(٢) مجهول : مفتاح الراحة ١١.

(٣) البكري : المغرب ١٦٣.

مدينة تازا تنتج أرضها أضعاف ما يوضع فيها من بذور، وترويها الجداول حولها، وتشمل على البساتين الكثيرة الثمار[1].

وعرفت قرى فاس بجودة التربة وكثرة المياه والإنتاج الفلاحي[2]، وأرض قرى سجلماسة سهلية سبخة[3]، وأحواز مدينة (صفرو) تنتج القمح والشعير، وأرضها جيدة[4]. أما الأرض حول مجارى الأنهار فنشأت حولها زراعات كثيرة لجودة أرضها مثل وادي لكوس الذي قامت عليه عمارات كثيرة وقرى وديار عامرة[5]، وحول وادي سبو القرى الزراعية ذات الأرض الخصبة ، وعليه أرحاء كثيرة[6]، ومثله وادي فاس الذي يجرى في بسيط من الأرض، وأقيمت عليه بساتين كثيرة[7]، وعلى وادي ماسة قرى متصلة وعمارات كثيرة، ومنها قرية تارودانت وهى من أخصب قرى المغرب[8]، وعلى وادي ملوية قرى كثيرة وعمائر متصلة تسقى كلها من الوادي[9]، وكان كثير الجنات الغلات[10]، وتروى إقليم الهبط عدة أودية ، فحولته إلى سهل تكثر به زراعة الحبوب[11]، وعلى وادي درعة البساتين والقرى والنخيل[12]

إعداد الأرض للزراعة :

تعد طريقة الزراعة من العوامل المؤثرة على نوعية الإنتاج وكميته ، والنظام الذي يمر به إعداد الأرض لا يختلف كثير من منطقة إلى أخرى في المغرب إلا في أشياء بسيطة،

---

(1) الوزان : وصف أفريقيا ٣٥١.
(2) ابن أبي زرع : الأنيس المطرب ٣١.
(3) البكري : المغرب ١٥١ .
(4) مارمول : أفريقيا ٢ / ٢٧٣.
(5) الإدريسي :صفة المغرب ٢٤٦.
(6) ابن حوقل : صورة الأرض ٨٨ ،٩٠.
(7) ابن أبي زرع : الأنيس المطرب ٣٥،٢٣٤.
(8) مجهول : الاستبصار ٢١١.
(9) المصدر السابق ١٩٣.
(10) ابن حوقل : صورة الأرض ٨٩.
(11) المقدسي : أحسن التقاسيم ٢١٦.
(12) الزياني : الترجمانة الكبرى ٦٧.

فيبدأ أولاً بحراثة الأرض أكثر من مرة حسب نوعية الأرض ونوع الزرع ، ويشترط الحرث في كراء الأرض أو مزارعتها ومغارتها[١]، وأحياناً يستعاض عن الحرث بزراعة بعض النباتات التي تزيد التربة خصوبة مثل الفول والترمس واللوبيا ، وأحياناً يزرع الفلاح المغربي محصولين في وقت واحد مثل البقول مع الغروس[٢]، وتستخدم الثيران في الحرث ومعها البقر[٣]، واستخدمت الحمير في إقليم حاحا في الحرث وحمل البذور[٤] .

وتختلف عدد السكك حسب طبيعة الأرض ونوع الغرث أو الزرع وينص على ذلك في العقود ، وبعد الحرث تعدل الأرض بمستوى جرى الماء عليها ثم تعدل الأرض وبعد التعديل تخطط الأرض للغراسة وتتباعد الغروسات حسب نوع الثمار[٥] .

واهتم الفلاحون المغاربة بالتسميد وعرفوا أنواعه وما يصلح منها لكل نوع من التربة ، ويتعهدون الزرع بالتنظيف من العشب عزقاً أو حرثاً[٦]، وإذا حصد الزرع يوضع في الأندر "الجرن" حيث يدرس ويستعمل أو يخزن حسب الحاجة ، واختلفت أوقات الحصاد من منطقة لأخرى حسب نوع المحصول ، ففي مرج قرقة بقرب فاس تثمر الأشجار مرتين كل عام ، فيأكل الناس التفاح والكمثرى بالمدينة في الصيف والشتاء، ويحصد زرع فحص المصارات بخارج باب الشريعة في عدوة القرويين عن أربعين يوماً[٧] . أما أهل سجلماسة فكانوا يزرعون عاما ويحصدون من تلك الزريعة ثلاثة أعوام ، لأنها بلد حار مما يؤثر في تناثر الحبوب في شقوق الأرض ، فإذا كان العام الثاني حرث الفلاح أرضه بلا بذور ، وكذلك العام الثالث[٨] .

۞ ۞ ۞

---

[١] الونشريسي : المعيار ٥/٢٣٦،١٠٦،١٠٨.

[٢] الونشريسي : المعيار٨/١١.

[٣] الشماخي : السير٣١٣.

[٤] مارمول : أفريقيا ٢/٩.

[٥] ابن بصال: كتاب الفلاحة٥٦،٦٠،٦٢،٧٦،٧١.

[٦] الونشريسي : المعيار ٦/١٣٢،١١٢/٨

[٧] ابن أبى زرع : الأنيس المطرب٤٤.

[٨] البكري : المغرب ١٥١ ، مجهول : الاستبصار ٢٠١ الحميرى : الروض المعطار ٣٠٦.

وعنيت كتب النوازل بقضايا العمليات الفلاحية بين الفلاحين من حرث ودرس ونقل الزرع ، فأحياناً يحدث شركة في الحرث، وتكون مختلفة الأجزاء ، وهي تقاس على المساقاة في منح الأجزاء المختلفة في عقد واحد [1]، أما الشركة في الحرث إن لم يعقد لها ، فلا يجوز حتى يقوما ويعقد لها في القيمة ، وإن لم يعقد لها فيما أخرجا فليرد أحدهما على صاحبه ما زاد[2].

واشترك رجلان في الحرث على أن يتساويا في البقر والآلة والأرض والزريعة، ثم شرعا في العمل ، وعقد الشركة على ذلك، ثم بعد عقد الشركة غاب أحد الشريكين، وتولى الآخر العمل بحكم النيابة عن نفسه وعن شريكة ، فلما حضر الشريكان عند القسمة حاز أحد الشريكين وهو المتولي للعمل لنفسه شيئاً من ذلك الزرع وقال: هذا حرثي لنفسي بزريعتي لم تعطني شيئاً فهو خاص بي ، فقال شريكه: إنما جميع ذلك بيني وبينك كما وقع في العقد ، وكانت الأرض والبقر والآلة مشتركة بيننا، إلا أن هذا الذي أردت أن تختص به دوني لكون الزريعة كانت من عندك إنما كانت منك سلفاً لكونك لم تطلبها مني حين الزرع ، وكان حكم الفقهاء : أن كل ما ذكر المتولي للعمل أنه حرثه لنفسه بزريعته فهو له، لا يدخل معه الشريك الآخر، وعليه لشريكه الذي لم يدخله في الزرع قيمة نصف كراء الأرض الذي حرث فيها، فإن كان الحارث بالبقر ليس أجيراً لهما كان له نصف كراء الأرض ونصف كراء البقر في حرثهما، وإن كان المتولي منهما للحراثة ما تولى القيام على ذلك إلا لمكان ما اختص به فله عليه نصف أجره في الذي تولى من العمل في ذلك إذا دعاه [3]، وهناك من أعطي رجلاً كتاناً ، فيقوم بدبغه ودرسه ، وغير ذلك ، ويأخذ منه الربع [4]، وأجاز الفقهاء ذلك.

وتحدث المشاكل بسبب الأنادر "الأجران" ، فقد أراد رجل أن يبني داراً في أرضه ويفتح بابها إلى سكة نافذة للمسلمين طريقاً مفتوحاً قديماً وأمام الطريق أندر لرجل، فلما بدأ

---

(1) المعيار ٨/١٥٥.

(2) السابق ٨/١٥٦.

(3) السابق ٨/١٤٨.

(4) المعيار ٨/٣٧٠.

البنيان منعه صاحب الأندر وقال : إنك تضر بأندري وقت الذرو ، فتمنعني عند نفعي بالريح وتضرني في ذلك بأمور كثيرة [١]" وتُرِك الحكم في ذلك إلى ولي الأمر ، ولم يجز الفقهاء القسمة في الأندر [٢].

واستعار رجل بقراً ليدرس عليها زرعه ، فدرس به زرعه يوماً فلما أمسى حلها وسرحها ، ولم يدخلها دار سيدها ، فهلك بعضها أو سرقت أو أكلها السبع ، فكان الرد أن ذلك متروك لسنة أهل البلد ، فإذا كانت عادة أهل البلد أنهم إذا فرغوا من الدرس سيبوا الماشية في المراعي فلا ضمان، أما إذا كانت عادتهم رد الماشية فيغرم ما ضيع [٣].

وقلّب رجل أرضاً مبهمة بينه وبين أشراكه جميعاً أو بعضها ، ثم يقسم ، هل يقضي له على الورثة بقيمة عمله ؟ وكيف لو زبلها أيضاً ، ثم قسمت ، هل له قيمة زبلها وعمله، وكيف لو استحقها مستحق هل يقضي له عليه بذلك، وأُجيب على ذلك أن الوارث مع ورثته فلا شيء له في القليب ولا في لازبل. أما المستحق فيقضي عليه بقيمة قليبة وزبله [٤]، واشترى رجل أرضاً فيها شجر فحرثها وزبلها ثم استحقها رجل [٥]. ورجل أكرى أرضه من رجل زمن القليب لعام واحد على أن يقلبها المكتري وقت القليب [٦].

❀ ❀ ❀

الزريعة والبذور

واهتم الفلاحون الأندلسيون والمغاربة بالذريعة والبذور الجيدة ، فأوصى أبو الخير الإشبيلي [٧]، الفلاحين بقوله : "اختر من البذور أصحه وأجوده وأسمنه ، واحذر الرقيق المهزول" ، فاستجلبت البذور من شتى البقاع ، فالتين الدنقال استجلبه يحيى الغزال حين

---

(١) المالقي : الأحكام ٢١٧.
(٢) المصدر السابق ١٢١ ، ١٢٢.
(٣) المصدر السابق ١٤٤.
(٤) المصدر السابق ٢١٦.
(٥) المصدر السابق ١٦٨.
(٦) ابن رشد: الفتاوى ١١٨٦/٢ ، ١١٨٧.
(٧) أبو الخير الإشبيلي :عمدة الطبيب ١١.

توجه إلى القسطنطينية سفيراً [١]، وأما الثمار وأصناف الفواكه فالأندلس والمغرب أسعد بلاد الله بكثرتها [٢]، فجمعت عظم الحجم وكرم الجوهر وحلاوة الطعم وذكاء الرائحة والنقاء [٣].

وبالنسبة لعنصر الزريعة ، فلم يرد كثيراً نصوص تفيد بعدم توافر الزريعة ، بل إن النصوص حول كثرة الإنتاج تفيد توفر الزريعة ، وأن العجز يحدث وقت الكوارث من جفاف وجليد وجراد وسيول ، وقد ضبطت النوازل التعامل مع الزريعة ، ومع ذلك فإن كتب النوازل سجلت بعض مشاكل الزريعة ، فبيعت زريعة بصل وشعير وحناء إلا أنها لا ينبت[٤]، وأظهرت القضايا أن المشتري صادق ، فإن حدث ذلك يرجع بقيمة العيب إن كان البائع غير مدلس ، ويجمع الثمن إن كان مدلساً ، لأن زريعة البصل والسلق والقرع والقثاء شأنها أن تزرع ، ولا ينتفع بها [٥]، وقام وكيل ببيع زريعة حناء على أنها نابتة فلم تنبت ، فقام المشتري على البائع الوكيل ، فأقر الوكيل أنها هي الزريعة التي باع منها ، وأنكر صاحبها[٦].

واشترك شريكان في قلب الأرض وحرثها وفي الزريعة ، ثم افترقا [٧]، فجاء زرع أحدهما أجود من الآخر ، فادعى الآخر الشركة ، وهناك شريكان في زراعة لم ينبت ما فعله أحدهما من الزريعة ، فاختلفا هل يكون الزرع الثاني بينهما [٨].

وهناك رجل اشترى زريعة بصل فقام بعد أيام بزعم أنها لم تنبت ، ولم يعرف ذلك إلا بقول المشتري والبائع ينكر ذلك من قوله ، والحل في هذه المشكلة : إن كانت البينة لم تفارق المبتاع حتى زرعها في أرض ناعمة ، ولم يضيع سقيها في وقت السقي ، رجع بالثمن على البائع ، ولم يكن عليه مثل زريعته إذ لا فائدة فيها ، وإن فارقته البينة ونظر

---

(١) المقري : نفح الطيب ٢٠٠/١ .
(٢) ابن غالب : فرحة الأنفس ٢٨١ ، نفح الطيب ١٥١/٣.
(٣) المقري : نفح الطيب ١٤٨/١.
(٤) المعيار ٥٦/٦ ، ٥٧ ، ٣٢٧/١٠.
(٥) ابن رشد : الفتاوى ٩٨٥/٢ ، المعيار ٥٦/٦.
(٦) المعيار ٣٢٧/١٠.
(٧) المعيار ١٤٠/٨.
(٨) المالقي : الأحكام ص١٩٩ رقم ٢٩٩.

العدول إلى الأرض ورأوها لم يصلح نباتها حلف البائع أنه لم يغّره ، وأنه أعطاه زريعة جيدة في علمه ، وإن لم يكن هذا [1]، فلاعليه منها .

ولا يجوز بيع زريعة حناء غير نابتة ، لأنه ضرر بالمشتري ، إلا أن يكون المشتري ينتفع بها في شيء آخر [2]، ومن باع زريعة شعير فلم تنبت وتبين أنه غرّ ، فله ما بين القيمتين إن لم يعرف الكيل فإن عرف فله المكيلة [3]. ومن باع زريعة بصل على أنها جديدة فلم تنبت ، فإن قامت بينة على أن المشتري بذرها فلم تنبت ، شهد على أنها عين الزريعة ، فلا شيء عليه ، وإذا لم يعاينه الشهود حتى بذرها فلا رد له [4].

ومن أعطى رجلاً أرضا على المناصفة ، فذهب وحرثها بزوجه وحبه ، ولم يتقاض منه فجعل في نصيب الأرض من الزريعة حتى كان إبان الحصاد ، فالزرع بينهما ويتبعه فيمازرع عنه من الزريعة [5]. ومن اشترى زريعة فزرعها فلم تنبت ، فيؤخذ منها ويزرع في أرض ثرية ، فإن نبتت فلا قيام له [6]. تنازع شريكان فجعل كل واحد منهما زريعته عن نفسه فزرعها على حدة فبطلت الواحدة وجادت الأخرى ، فالزرع بينهما لانعقاد الشركة ، فإن علم الزرع كله فهو بينهما، وإن بطل زرع الواحد وجاد زرع الآخر فمصيبة الذي بطل عليهما والذي سَلِم لهما، وإن بطلت زريعة أحدهما في إبان الزراعة لم يلزمه أن يخلفها إن كان بطلانه من المطر أو غيره ؛ لأنهما لو خلطاها وزرعاها وجاد بعضها من إبان الزريعة فقال أحدهما إن زرع لنا الأرض مرة ثانية لم يلزم ذلك شريكه،لأنه زرعها مرة على الشركة الأولى[7] .

وكان الفلاحون متعاونين في السراء والضراء ، فعندما قال أحد الشركاء لصاحبه : إني أخاف أن تعجزك الزريعة ، فيقول لصاحبه : إن عجزت على شيء فإن ما تفضلت به عليَّ لي فيه الربع [8].

---

(1) المعيار ١٦٨/٨.
(2) المعيار ٥٦/٦.
(3) المعيار ٥٧/٦ ، المالقي : الأحكام ص٢٧٣ ، رقم ٥٠٦.
(4) المعيار ٥٧/٦.
(5) المعيار ١٦٩/٨.
(6) المعيار ١٦٩/٨.
(7) المعيار ١٦٨/٨.
(8) المعيار ١٨٩/٨.

ثانياً : مصادر المياه في الأندلس والمغرب :

تعددت مصادر المياه في الأندلس المغرب،واعتمد عليها اقتصادهم الزراعي، وتمثلت مصادر المياه في الأندلس والمغرب في أربعة مصادر هي : الأمطار ، والأنهار ، والعيون، والآبار ، فضلاً عن الجهد البشري في استخراج المياه باستخدام آلات ، واستخداث نظم تستفيد من هذه المصادر وتستعملها بترشيد، وهذا عرض لهذه المصادر .

أ) الأمطار

تأتي مياه الأمطار في المرتبة الأولى ، وهي أفضل المياه للنبات ، وتصلح لري جميع الثمار والخضر لعذوبتها ورطوبتها [١]، وقُسِّم الأندلس إلى إقليمين متباينين "في اختلاف هبوب أرياحها ومواقع أمطارها وجريان أنهارها : أندلس غربي وأندلس شرقي ، فالغربي منهما ما جرت أوديته إلى البحر المحيط الغربي ، وتمطر بالرياح الغربية ... والحوز الشرقي المعروف بالأندلس الأقصى ، وتجري أوديته إلى الشرق ، وأمطاره بالريح الشرقية"[٢]، ففي الشمال الغربي مطر كثيف موزع على مدار العام ، وفي الوسط مناخ قاري شبه جاف ، وفي الجنوب والشرق مناخ معتدل ، وبالجملة فإن معظم أقاليم الأندلس تعيش في ظل المطر ، فتعددت – تبعاً لذلك – أشكال النشاط الاقتصادي [٣].

وتعد الأمطار المصدر الأول والرئيسي للمياه في بلاد المغرب، وعليها اعتمدت الزراعة كما هو في قرى وأرياف مدن برقة وسرت وأجدابية وطرابلس ، فشرب أهلها وسقى بساتينهم وحقولهم من ماء المطر الذي يحتفظون به في برك[٤]، وتختلف أمطار أفريقية من الشمال إلى الجنوب، فهي أغزر في المناطق الشمالية، وتقل كلما توغلنا في

---

(١) ابن بصال : الفلاحة ٣٩ ، ابن العوام : الفلاحة ١/١٣٤ .

(٢) المقري : نفح الطيب ١/١٢٨ – ١٢٩ ، حسين مؤنس : تاريخ الجغرافية والجغرافيين في الأندلس (مكتبة مدبولي ١٩٨٦م) ص٦٠ ، ١٠٤ ، ١٠٥.

(٣) جمال حمدان : بين آسيا وأوربا ص٩٢ ، ٩٣ ، محمود الجمل : أوربا في مجرى التاريخ (بيروت ١٩٦٩م) ٤٨٥.

(٤) ابن حوقل : صورة الأرض ٦٧ ،
Lévi-Provencal : Histoire del' Espagne Musulmane. Leyde, paris. 1953. T. III. P. 262..

الجنوب حيث الرياح الجافة، وأمطار أفريقية في نوفسبر وينـاير وفبراير، ومن أجل هذا انصرف المغاربة إلى إقامة مشاريع الري لمواسم الجفاف وقلـة المـاء، فانتشرت الصهاريج والجباب [1]، وهذا التوزيع للأمطار جعل ضغط القبائل البدوية من الجنوب إلى الشمال ومن الشرق إلى الغرب، كما رأينا في الأحداث السياسية والاجتماعية.

أما المغرب الأوسط فتهب عليه الرياح الغربية العكسية بأمطارها، ويبدأ نزول المطر في فصل الخريف ومطلع الشتاء ثم الربيع، فتشتد في نوفمبر وديسمبر، بينما الصيف جاف ، وهذه الأمطار تمد الأنهار بكمية كبيرة من المياه ، فمدينة باجة دائمة الدخن [2]، والغيم كثيرة الأمطار والأنواء، وبها يضرب المثل في كثرة الأمطار[3].

وأمطار المغرب الأقصى أغزر من المغـرب الأدنـى والأوسط، وهـي غزيـرة علـى الساحل وجهات أطلس الكبـير والمتوسط، وتقـل قليـلاً علـى السـهول الغربيـة ونواحـي فـاس ومكناس وتازة[4]، وتقل أكثر كلما اتجهنا جنوبا، والأمطار غير منتظمة وقد تتوالـى أسـبوعا، وربما تتوقف لمدة عام أو أكثر.

وقامت على أمطار المغرب الزراعة، فاعتمد أهل قرى أسفي والسوس في الزراعـة على الأمطار[5]، وادخـر أهل سبتة ميـاه الأمطـار فـي الصـهاريج لاسـتخدامها فـي الشـرب والزراعة[6]، وأهل سجلماسة يعتمدون في زراعتهم على الأمطار لقلة المياه عندهم، فـإن لـم يمطروا لم يكن لهم زرع[7].

---

(1) عبد الوهاب منصور : قبائل المغرب ٥١ أنور الرفاعي: المغرب العربي جغرافيا ٢٣ العمرى : مسالك الأبصار ٤/٣١ب .

(2) عبد الوهاب منصور : المرجع السابق ٥٢ ، ٥٥.

(3) البكري : المغرب ٥٦.

(4) عبد الوهاب منصور : قبائل المغرب ٦٦.

(5) القلقشندي : صبح الأعشى ٥/١٦٨،١٦٩ ابن الفقيه : البلدان ٨٤.

(6) أبو الفدا : تقويم البلدان ٥٠.

(7) اليعقوبي : البلدان ٣٥٩.

ب) الأنهار

ويبلغ عدد أنهار "أودية" الأندلس تسعة أودية [١]، ثلاثة منها في كل من الشرق والغرب والجنوب ، ففي الشرق يوجد وادي إيرة شمالاً ، وأهم حواضر سرقسطة وطرطوشة وتطيلة ، وفي الوسط يوجد وادي طورنه ، وهو نهر بلنسية ، وفي أعلاه ألبونت، وفي جنوبه وبحذائه يسير نهر شقر ، ويقع عليه شاطبة جنوب المصب ، وقونقه أعلاه ، ويصب في الجنوب الشرقي وادي شقورة ، وهو وادي مرسية "قاعدة تدمير" ، وفي الجنوب مدينة أوريولة [٢].

ومن أودية الغرب وادي دويره ، وتقع عليه مدينة شنت اشتيين وبرغش ، وسمورة وبورتو ، وفي الوسط نهر تاجة ، ويقع أعلاه وادي الحجارة وطليطلة و طلبيرة وقورية ، وشنترين ، و أشبونة ، وجنوباً يوجد نهر وادي آنة ، ويسير بحذاء تاجة جنوباً ، كما يصب على الساحل الجنوبي الغربي ، وتقع أعلاه مدينة أقليش ، وماردة وبطليوس ومرتلة ، وتقع أكشنبة عند المصب [٣].

أما أنهار الجنوب ، فأشهرها الوادي الكبير ، وتقع عليه قرطبة وإشبيلية ووادي لكة "نهر البحيرة" وتوجد مدينة أركش وشريش ، ثم وادي اندريش ، وهو و ادي ألمرية [٤].

وهكذا امتلكت شبه جزيرة الأندلس مجموعة من أحواض الأنهار الغنية ، شكلت كل منها وحدة حضارية ، وساعد ذلك على محاولات الاستغلال السياسي ، وكانت معظم الأنهار تجري من الشرق إلى الغرب ، أو عكس ذلك من الغرب إلى الشرق ، أي أن أكثر الأقاليم ارتفاعاً هي الهضبة الوسطى ، حيث خط تقسيم المياه ، وهي المنطقة الممتدة من الشمال إلى الجنوب ، والمنحازة نحو الشرق أكثر من الوسط ، مما جعل أحواض الأنهار المصبة في المحيط غرباً أكثر طولاً من المصبة في الشرق ، وهذا يعني أن الهضبة تسير مع مسار

---

(١) الحميري : الروض المعطار ٩٦، ١٢٤، ٦٤، ٤٧، ٥٦، ١٠٢، ١٨١، ٣٤.

(٢) المصدر السابق ٤٤، ٩٨، ١١٥، ١٣٠، ١٢٣، ١٦٤، ١٢٢، ١٦٤، ١١٣، ١٧٥، ١٤٦، ١٩١.

(٣) السابق ١٥٣، ١٨، ١٤، ١٠٣، ٣١، ٣٢.

(٤) Glick : Islamic and Chirstian Spain the early middle ages (Princetan, Newjersy, 1979. P62.

روافد الأنهار من الشمال إلى الجنوب بميل ذات اليمين وذات الشمال أو غير ميل ، ولا يوجد نهر يجري من الجنوب إلى الشمال [١].

وكانت لهذه التركيبة الجغرافية آثاراً فادحة في فترات الدولة المركزية ، فكانت هذه الخصوصية الجغرافية تساعد على تكريس الجوانب السلبية ، وظهر ذلك في فترة الفتنة في القرن الثالث الهجري ، وفي عصر الطوائف في القرن الخامس الهجري [٢].

وتتبع الأنهار في الأندلس المدن والأقاليم والقرى التي تقع عليها ، فإقليم جلق "ونهره – يسقي ما وازى قنطرة سرقسطة عشرون ميلاً ، ويخرج نهر جلق من جيان البرطانين ، ثم يخرج إلى ناحية وشقة إلى سرقسطة، ويقع في إليبره ، والجزء الأعلى من نهر جلق يروي من الصخيرة إلى منزل حسان على قنطرة سرقسطة عشرون ميلاً " [٣]، وكذلك أقليم بلطش وشُلُون [٤]،

وتتبع أنهار المغرب من داخل أرض المغرب" أنهار داخلية " ومعظمها يقل عن الخمسين كيلو متر طولا، وبعضها يكاد يجف صيفاً أو يتضاءل[٥]، فأنهار أفريقية قصيرة وماؤها غير دائم الجريان لقلة أمطارها وثلوجها، وأهم أنهارها نهر مجردة " بجردة " وطوله ٣٦٥ كم، ويكاد النهر يجف إذا قلت المياه صيفاً [٦]، وهناك نهر زرود القريب من القيروان، ويمر في طريقه على مزارع تسقى منه وينتفع به فيها[٧]، وإذا حمل هذا النهر دمر بعض ما حوله من قرى ومنازل[٨]، ولمدينة قابس واد يسقى قراها وبساتينها[٩]، ويشق بنزرت نهر

---

(١) المراكشي : المعجب ٣٧٥ ، الروض المعطار ٢٣ ، صبح الأعشى ٢٣٥/٥.

(٢) كحيلة : أندلسيات (مكتبة مدبولي ، ١٩٨٩م) ص١٣٤ وما بعدها ، المولدون في التاريخ الأندلسي (ماجسيتر – آداب القاهرة ١٩٧٨م) ٢١ – ٤٧.

(٣) العذري : نصوص عن الأندلس ٢٤

(٤) المصدر السابق .

(٥) ناجى علوش : الوطن العربي : الجغرافية الطبيعية والبشرية ٦٤،٦٣ .

(٦) التجانى : الرحلة ١٢٠، ١٢١.

(٧) المصدر السابق ١١٨.

(٨) البكري : المغرب ٢٩.

(٩) المصدر السابق ١٧.

يصب في البحر المتوسط[1]، ولمدينة توزر ثلاثة أنهر، وينقسم كل نهر من هذه الأنهار إلى ستة جداول، وتتبعث من تلك الجداول سواقي لا تحصى كثرة، تجرى في قنوات مبنية بالحجر[2] .

أما أنهار وديان المغرب الأوسط فغير ثابتة الجريان، ولذلك أقيمت مشاريع الري من قناطر وسدود وقنوات للاستفادة قدر الإمكان بالمياه[3] وأهم أنهر ووديان المغرب الأوسط نهر شلف ، وهو أغرز أنهارها طوله ٧٠٠كم ويزيد صيفا بفضل ثلوج جبال وانشريس[4]، ونهر تافنى الذي يسقى قرى أرشقول[5]، ولمدينة قسنطينة ثلاثة أنهر تخرج من بعض العيون[6]، وتسقى قرى تلمسان من نهر سطفسيف شمال تلمسان، ويسقى قرى وغابات بسكرة نهر كبير[7]، ويسقى قرى مدينة تنس وادي تناتين[8]، ويسقى القرى بين مدينتي باغاية ولجانة وادي ملاق[9]، وهناك وادي راشد متكون من ثلوج وانشريس ويسقى ما حوله من قرى، ونهيرات قرب قلعة بنى جماد[10] تسقى الحقول حولها .

ج) العيون والآبار :

توفرت العيون والآبار في المناطق البعيدة عن الأنهار في الأندلس ، وأجرى الفلاحون مياه العيون في قنوات إلى أرضهم [11]، وتعتمد مياه العيون على الأمطار ، وبعض العيون يفيض ماؤها صيفاً وبعضها في أكتوبر [12]، وأهم المناطق التي اعتمدت على

---

(1) السابق ٥٨.

(2) المصدر السابق ٥٨.

(3) أنور الرفاعي : المغرب العربي ٥٦.

(4) البكري : المغرب ٦٩.

(5) أبو الفدا : تقويم البلدان ٣٠.

(6) البكري : المغرب ٧٧.

(7) البكري : المغرب ٥٢ ، مجهول : الاستبصار ١٧٣.

(8) البكري : المغرب ٦١.

(9) مجهول : الاستبصار ١٧٣.

(10) البكري : المغرب ١٤٤

(11) ابن غالب : فرحة الأنفس ٢٨١ ، ٢٨٢ .

(12) عريب بن سعد : تقويم قرطبة ١٤٩.

العيون هي : لاردة [١]، وبلشر [٢]، وبربشتر [٣]، وبلطش [٤]، وقلعة أيوب [٥]، وطركونة [٦]، وغرناطة [٧]، ومرسية [٨]، وأرشذونة [٩]، وبسطة [١٠]، وقبرة [١١]، وأبدّة [١٢]، وقرمونة[١٣]، وبجانة [١٤].

وحفر الزراع الأندلسيون الآبار قرب البساتين ليضمنوا مصدراً لسقي زروعهم ، ويحفر البئر في المناطق المرتفعة ليصل الماء إلى جميع المناطق المنخفضة [١٥]، ويعرف الأندلسيون كثرة الماء وقلته وغير ذلك عن طريق النباتات والحشائش التي تنمو في المكان الذي سيحفر فيه البئر ، فإن نبت البردي والعليق والحماض دلّ ذلك على قرب الماء ، وغضارة الأوراق وكثرتها يدل على كثرة الماء [١٦]، وتحفر الآبار في أغسطس وسبتمبر للجفاف في هذه الفترة ، ولزيادة كمية المياه يحفروا بجانب البئر الأول بئراً آخر على مسافة ذراع يصل عمقه بالبئر الأول ، ثم بئراً ثالثة ورابعة بنفس المسافة ، ويربط بين تلك الآبار بقنوات في القاع لتنقل الماء من بئر إلى أخرى [١٧].

---

[١] أبو الفدا : تقويم البلدان ١٨١.
[٢] ياقوت : معجم البلدان ١٨١/١
[٣] البكري : جغرافية الأندلس ٩٢ ، ٩٣.
[٤] العذري : نصوص عن الأندلس ٢٤ ، الحميري : الروض المعطار ٤٧.
[٥] الإدريسي : صفة المغرب ١٨٩.
[٦] الحميري : الروض المعطار ٥٦.
[٧] ابن الخطيب : الإحاطة ١٠٣/١ ، الحميري : الروض المعطار ٥٦.
[٨] القلقشندي : صبح الأعشى ٢٣.
[٩] الحميري : الروض المعطار ١٢ .
[١٠] المصدر السابق ٤٥.
[١١] السابق ١٤٩.
[١٢] السابق ٧٠ ، ٧١.
[١٣] السابق ١٥٩.
[١٤] السابق ٣٨ ، ٣٩.
[١٥] ابن بصال : الفلاحة ١٧٤.
[١٦] ابن بصال : المصدر السابق ١٧٥ ، ١٧٦ ، أبو الخير الإشبيلي : الفلاحة ٥.
[١٧] ابن العوام : الفلاحة ١٤٣/١

واستخدمت مياه العيون والآبار لسد حاجات الإنسان والنباتات من المياه في المغرب، وبخاصة في المناطق التي يقل فيها المطر في مناطق الصحراء، وساعدت هذه العيون على إنشاء الواحات الخضراء مثل واحات الجريد وزويلة وأودغست وسجلماسة ووارجلان[١]، وبسكرة وغدامس، ولهذا قام المغاربة بحفر العيون والآبار[٢]، وللحفاظ عليها تكسى الجدران والمداخل بالأحجار والرخام لعدم انهيارها، ويستخدمون الأدراج لرفع الماء عند انخفاضه مثل عين باجة[٣]، كما استعملو الدواليب والدلاء لرفع الماء[٤]، وتظهر الزيادة في عيون الماء في المغرب في أواخر شهر ديسمبر لزيادة المطر .

وقد انتشرت الآبار والعيون في أماكن كثيرة في المغرب منها برقة وأجدابية وطرابلس وسرت[٥]، ويشرب أهل صفاقس وسوسة وبنزرت والمهدية والقيروان من الآبار[٦] وتسقى مزارع قابس وبساتينها من عين ماء بين القبلة والغرب[٧]، ويشرب أهل جزيرة شريك من الآبار ويسقون منها مزارعهم[٨]، كما انتشرت العيون كذلك في مدينة باجة وخارجها[٩]، وبين مدينتي جيجل وبجاية، وحول مدن قسنطنية[١٠] وملينة[١١] وسبيبة[١٢] وبادس[١٣] عيون كثيرة قامت حولها مراكز زراعية .

وتزرع مدينة المسيلة أراضيها من عين ماء يخرج من نهر تقام عليه الأرحاء[١٤]ويستخدم أهل تلمسان[١٥] ونفطة وقفصة[١٦] العيون والآبار في شربهم وسقى أراضيهم.

---

[١] البكري : المغرب ١٠،٤٨،١٥٨، ابن خلدون : العبر ١٠٢/٦.
[٢] البكري : المغرب ١٥٨.
[٣] أبو الفدا: تقويم البلدان ٩٨.
[٤] البكري : المغرب ٤٨ التجانى: الرحلة ١٨١ ، ١٨٦
[٥] البكري : المغرب ٦ اليعقوبي: صفة المغرب ٤.
[٦] المقدسي : أحسن التقاسيم ٢٢٦ .
[٧] البكري : المغرب ١٧.
[٨] المقدسي: أحسن التقاسيم ٢٢٢.
[٩] البكري : المغرب ٥٦.
[١٠] مجهول: الاستبصار ١٢٨.
[١١] الإدريسي: صفه المغرب ٦٨.
[١٢] البكري: المغرب ٦٤.
[١٣] مجهول : الاستبصار ١٦٧.
[١٤] المصدر السابق ١٦١.
[١٥] مجهول : الاستبصار ١٧١.
[١٦] المصدر السابق ١٨٧،١٨٨.

وفي مدن تاهرت ومتيجة ووهران آبار لشربهم وسقي بساتينهم وزروعهم[١]، ونهر فاس مخرجه من عين ماء غزيرة وسط مرج ببلاد مطغرة، حتى تحولت فاس إلى بستان أخضر ، ومنها المحرث الذي لا يوازى بشيء من الأرض سقيا وبعلا، وكثرة المجاشر والضياع خارجها[٢] ، ويسقي مزارع قرية ايجيسل عيون الماء[٣]، وقرية جنيارة[٤]، وكثرت العيون في الطريق بين سبتة وطنجة[٥]، فقامت حولها المزارع، ولمدينة البصرة عيون ماء عليها بساتينهم[٦] ، ولقرية مرماجنة عيون ماء عليها الحقول والبساتين [٧]، وكثرت العيون والآبار بإقليم هسكورة، وأقيمت عليها الأرحاء الصغيرة[٨]، واعتمدت مدينة سبتة في سقي بساتينها على الآبار بداخل المدينة وخارجها. [٩]

نظم الري :

الري هو العنصر المهم في الزراعة، ولما كانت مياه الأندلس ليست كافية، وأمطارها غير منتظمة السقوط، ويختلف سطح الأرض المزروعة بين سهول ومرتفعات، لذلك تفنن الأندلسيون في وضع نظام جيد للري أدى إلى حضارة مزدهرة، وإنتاج زراعي كاف ومتزايد يكفي حاجة السكان[١٠]، فزادت مساحة الأرض المزروعة، وكانت قبل ذلك قاحلة، وزادت مراكز العمران من: مدن وقرى وحصون.

---

(١) البكري: المغرب ٦٤،٦٦،٧١.
(٢) ابن القاضي : جذوة الاقتباس ٤٤/١.
(٣) الإدريسي : صفه المغرب ٧١.
(٤) البكري :المغرب ١١٤.
(٥) المصدر السابق ١٠٦.
(٦) ابن حوقل صورة الأرض ٨٠.
(٧) المصدر السابق ٨٠.
(٨) الوزان : وصف أفريقيا ١٧٤
(٩) ابن حوقل ٧٨،٧٩
(١٠) ابن العوام: الفلاحة ٥/١ ،

- Lévi-Provemçal: L'Esp. Musul. P. 166. Glick: op. cit. P.74. G.K.AL-Alwani: The network of irrigation Ditches in the Alpujarra of Granada.. Al-Andalus : Centures of upheavals and achievements. King Abdulaziz puplic Library. Riadh. Library. commitee. 1993. pp. 1-22.
- Imamuddin : some asp. of the socio. p. 75. Al-Filahah in Mus. S. p75.

وانقسمت الأرض من حيث طريقة الري إلى نوعين : ١- أرض بعلية : أى تزرع على مياه الأمطار، وهي محدودة بالأندلس . ٢- أرض سقيا : وتزرع الأرض بمياه الأنهار والآبار والعيون، وهو الغالب على أرض الأندلس، وتطلب ذلك الترشيد والاستخدام السليم للمياه، وإقامة وسائل جديدة للري، وحفر القنوات وإقامة السدود لضبط جريان الأنهار، وتشييد الصهاريج والخزانات[١].

أدوات الري :

استخدم الفلاح الأندلسى العديد من الآلات لرفع المياه من النهر أو سحبها من الآبار وأهمها :

١- **الناعورة :** أدخلها العرب للأندلس، وترفع الماء بواسطة عجلات ماء كبيرة تدار بقوة تيار النهر، وترفع الماء من القنوات والأنهار، ووجود الناعورة فى المناطق المعتمدة على رى الأنهار قلل من اعتماد القنوات على تغيرات مستوى مياه النهر، هذا فضلاً عن بساطة صيانتها، فأحدث ذلك زيادة فى الأراضى المزروعة، وزادت مراكز العمران ومعها حجم السكان، وأهم هذه النواعير ناعورة طليطلة، وناعورة مرسية، ونواعير نهر لورقة ونواعير مدريد[٢].

٢- **الساقية :** أقل من الناعورة فى الحجم " ويقولون للآلة التى تربط بها الكيزان لإخراج الماء من البئر ساقية"[٣] ، وهى أكثر استعمالاً فى الريف، وأنها أصلح آلة تسقى الحقول الصغيرة، لسهولة إصلاحها بواسطة نجار القرية أو بواسطة الفلاحين أنفسهم، ولملائمتها لرفع المياه من الآبار والعيون والقنوات بواسطة الحيوانات كالثيران والبغال[٤]

٣- **الخطارة :** تتركب من ذراعين الأول طويل فى نهايته دلو، والثانى قصير فى نهايته وزن أو ثقل، واستخدمها الفلاحون لرفع المياه من الأنهار، ووجدت بكثرة فى إشبيلية[٥]

---

[١] ابن العوام : الفلاحة ٥/١

[٢] الإدريسي: صفة المغرب ١٨٧، ابن القطان: نظم الجمان ٢٢٨، السيد سالم: قرطبة ٢٠٣/١، ٢٠٤
ابن سعيد: المغرب ٩/٢، الحميرى ١٧٢، ١٨٣

[٣] الأهوانى : ألفاظ مغربية ٢٩٠ ابن بصال: الفلاحة ١٧٦

[٤] ابن العوام : الفلاحة ١٤٦/١، ١٤٧

[٥] المقرى : نفح الطيب ٤٥٤/٣

٤- **الدالية** : جذع طويل مركب فى الأرض فى رأسه مغرفة يغرف بها الماء[١]

وسائل الري :

ونظم الفلاحون وسائل الري للتغلب على مشكلة قلة المياه، فاستخدموا وسائل عديدة منها : القنوات والسواقى والجباب والجداول والصهاريج والبرك. أما القنوات والسواقى والجداول فهى مترادفات وتعني القنوات أو السواقى الأولية وأخرى فرعية، وهى مجرى مائى محفور بطريقة صناعية يأخذ المياه من النهر عن طريق فتحة أوسد، وتتفرع منها شبكة من القنوات الفرعية، وتحمل مياه الري للحقول، وقد ساعد كثيراً على أزدهار الزراعة.

ويذكر العذرى [٢] إحدى هذه السواقى " وعلى نهر تدمير النواعير التى تسقى جناتها، وابتداء الساقية المستخرجة منه من قنطرة أشكابة، وتبلغ هذه الساقية فى أملاك أهل مدينة مرسية إلى حد قرية طوس وهى من قرى أوريولة، ثم يبتدئ أهل مدينة أوريولة بإخراج ساقية من هذا الوادى فى جهاتهم حتى تنتهى إلى الموضع المسمى بالقطرلات، وطول هذه الساقية ومسافتها ثمانية وعشرون ميلاً" وتعتمد لورقة فى رى أرضها على الجداول الى تخرج من نهر مرسية، ويسقى الجدول عشرة فراسخ وأكثر[٣]، ويدخل مدينة بجانة جدولان أحدهما بأعلى المدينة من جانب الشرق، ويسقى بساتينها كلها، والثانى يشق الأرباض الجوفية، وتخرج عنها إلى الأرباض القبلية حتى يقع فى نهر هناك[٤]،ووجدت السواقى أيضاً فى إشبيلية[٥] وغرناطة[٦] وبلنسية[٧] ووشقة[٨] وميورقة[٩] وقرطبة[١٠].

---

[١] ابن العوام : الفلاحة ١/٥ الأهوانى: ألفاظ مغربية ٢٩١

[٢] نصوص عن الأندلس ص ١.

[٣] الحميرى : الروض ١٧٢.

[٤] المصدر السابق ٣٨.

[٥] ابن صاحب الصلاة : المن بالإمامة ٢٣٥ .

[٦] ابن الخطيب : المشاهدات ٩١ .

[٧] ابن عذارى : البيان ٤/٤٠.

[٨] العذرى : نصوص عن الأندلس ٥٥ .

[٩] ابن سعيد المغرب ٢/٤٦٦ أبو الفدا: تقويم البلدان ١٩١ .

[١٠] السيد سالم : قرطبة ١/٢٠٤.

وأقيمت السدود على الأنهار للتحكم فىالمياه، مثل سد مدينةطلبيرة[١]، وتحت قنطرة قرطبة " يعترض الوادي رصيف سد مصنوع من الأحجار[٢]، وهذه السدود بناء من الأحجار والطين يمكن توسيعه أو تضييقه حسب الحاجة، وتبعاً لحجم المياه المتدفقة من النهر.

واستخدمت الجباب لحفظ المياه، والجب عبارة عن بئر يخزن فيه مياه الأمطار ويحاط بقبة نصف دائرية، وانتشرت هذه الجباب فى البيوت والشوارع والميادين، ويبدأ الأندلسيون بتخزين مياه الأمطار فى الجباب في شهر ديسمبر وينااير لغزارة الأمطار[٣]. واستعملت الصهاريج لحفظ المياه، وهى عبارة عن أحواض مصنوعة من أحجار معينة مضافاً إليها مواد أخرى، ومنها صهريج الحمة، كانت تروى قريتى الحمة وأبلة على ثلاثة أمطار وقاعة شرقى بجانة[٤]. وصنعوا البرك وهى عبارة عن خزان مياه محفور بعمق ثلاثة أميال قاعة دائرية يجمع فيه الفلاح حصته من المياه ويخزنها فى البركة ليروى أرضه حين يزداد منسوب المياه.

وأنشأ الفلاح الأندلسى الآبار فى المناطق قليلة المياه، وهو يحفر أربعة آبارمختلفة العمق ومتدرجة بحيث تصب مياه الأربعة فى واحدة وهى طريقة بناء مدينة مجريط[٥]، وحوّل هذا النظام المراكز العمرانية إلى مراكز تحفها الخضرة وتكتنفها الزروع والثمار، وتكثر حولها الحدائق والجباب ففى مدينة شقوبية مجارى ضخمة رفعوها على قواعد هائلة من الصخر[٦]، وحوّل المسلمون شرق الأندلس إلى حقول وبساتين، لأنهم حفروا فيها شبكة

---

(١) ابن القطان : نظم الجمان ١٣،١٤ .

(٢) الإدريسي : صفة المغرب ٢١٢.

(٣) الزبيدى: حن العامة ٢٥٧ ، - Lévi- Provemçal La descrip. de L'Esp.de Räzī. P.70

- M.E. Moreno and other s : Hyd. asp. in Isl. cit. Plan. p.6

(٤) الحميرى : الروض المعطار ٣٨، ٣، ١٨٦ .

- Scott : History of the Moorish empire in Europ. Ph 1904. Vol. 111PP. 601-602. Glik : Hydraluic Technology in Al Andalus. The legacy of Muslim Spain Brill. Leiden. 1992. PP. 074-986.

- Imamuddin : Al-Filaha. in Mus. Sp.. P.12.

(٥) ابن حيان : المقتبس (ت مكى) ٣٥١ تعليق ٥٨٦، ٦٣٦.

(٦) الحميرى : الروض ١٠٤ .

من القنوات، وفجروا فيها عيون الماء[1]، واستخدموا الظواهر المائيه في هذه المنطقة حيث إن بعض مسايل الماء المنحدرة من الجبال تفيض تحت الأرض وتجرى أنهار جوفية، فكونوا فيها بحيرة، وأُخْرِج منها القنوات، ورفعوا الماء بالنواعير فتحولت المنطقة إلى حقول خضراء[2].

طرق الري ونظامه :

هناك طريقتان للري هما : الري الفيضى ويستخدم فى المناطق وفيرة المياه مثل مرسية وفحص الفندون، ولورقة وشنترين[3]. والطريقة الثانية الري الصناعى، وهو ثلاثة أشكال: رى الحقول عن طريق شبكة من القنوات والسواقى، وهو مثال للري الدائم، واستخدم فى شرق الأندلس، والشكل الثاني استخدمت فيه الآلات لرفع الماء ، وشاع في شمال وغرب الأندلس ، والشكل الثالث الري بالتنقيط، ويستخدم فى أوقات القحط وشدة الحرارة[4] .

وكان نظام الري يتم على نوبات طبقاً لترتيب القرب من المياه، ويقوم بعض الفلاحين بتسليف أو منح نوباتهم فى الري لآخرين، وتعطى الأولوية فى الري لأصحاب الجنات والزروع، ويمنع تغيير مجرى الساقية أو القناة إلا برضى الفلاحين المنتفعين، وتستحق حقوق الري بمرور الأيام[5].

وتعد محكمة المياه فى شرق الأندلس من أبرع ما نظم المسلمون، ويشرف عليها مسئولون من قبل الدولة، وتنعقد يوم الخميس، ويكون مكان التقاضى أمام المسجد الجامع فى بلنسية، وأول إشارة وردت إلينا عن وكالة السقاية فى عصر الخلافة حيث تولاها مبارك ومظفر الفتيان العامريان سنة٤٠١هـ /١٠١٠م.

---

[1] مؤنس : رحلة الأندلس ٢٧٥ .

[2] المرجع السابق ٢٧٥.

[3] العذرى : نصوص عن الأندلس ٢، الحميرى : صفة الأندلس ١١٣ . مجهول: ذكر بلاد الأندلس ٥٧.

[4] ابن رشد : المقدمات الممهدات ٢ / ٢٩٦ ، الونشريسي: المعيار ٢٧٤/١٠ القاضى عياض: مذاهب الحكام ١٠٢،١٠٣ ، ١٠٥، ٢٤٣ .

[5] عنان : أندلسيات ١٩٥، عبد الرحمن الحجى : أندلسيات ١٩٤/٢ ، ٢٠٠.

نظم الري ووسائله في المغرب

نظم المغاربة استخدام الماء منعا للتبذير فتحدد بعض الأيام للأهالي واستعمالاتهم والباقي للزرع والحيوانات[١] كما حدث في مدينة أغمات وريكة يدخلها الماء أيام الخميس وحتى يوم الأحد ، وفى باقي الأيام تسقى حقولهم وبساتينهم ، وتجرى مياه عين أبى السباع في قنوات داخل مدينة ميلة ، وعندما تصل المياه صيفا تدخل المدينة يومي: السبت والأحد فقط[٢] ،ويقسم أهل غدامس الماء بينهم بأقساط معلومة[٣]، وتحكم أهل فاس في دخول الماء بواسطة شبابيك من خشب الأرْز المحكمة[٤] .

أما عن نظامهم في ري الأرض الزراعية فيكون وفق مبادئ وتقاليد الحياة الريفية، فالزرع الذي غرس أولاً إذا كان في مكان عال يسقى أولاً ثم يسقى بقية الزرع في الأسفل، وتناوب أهل المغرب في الحصول على المياه ولا يجوز لصاحب الأرض الذي يمر الماء على أرضه أن يمنعها عن أرض جيرانه إذا حدث لهم تعطيل ، ولم يصل الماء إلى أراضيهم[٥]، وإذا كانت هناك عين ماء واحدة في القرية يتناوبون في السقي حسب الاتفاق[٦]ويسقى أهل توزر أرضهم من ثلاثة أنهار " وينقسم كل نهر من هذه الأنهار الثلاثة على ستة جداول وتتشعب من تلك الجداول سواقي لا تحصى كثرة تجرى في قنوات مبنية بالحجر على قسمة عدل لا يزيد بعضها على بعض شيئا ، وكل ساقية سعة شبرين في ارتفاع متر ، يلزم كل من يسقى منها أربعة قداس مثقال في العام ، وبحساب ذلك في الأكثر أو الأقل وهو أن يعمد الذي تكون له وله السقي إلى قداس في أسفله ثقبه بمقدار ما يسدها وتر قوس النداف ، فيملؤه بالماء ويعلقه ويسقى حائطه أو بستانه من تلك الجداول حتى ينفذ ماء القدس ثم يملؤه ثانيا ، وهم قد علموا أن يسقى اليوم الكامل هو مائة واثنان وتسعون

---

[١] ديموبين : النظم الإسلامية ٢٤٣.

[٢] البكري : المغرب ٦٤.

[٣] القلقشندي : صبح الأعشى ١٠٨/٥.

[٤] الجزنائى : زهرة الآس ٣١.

[٥] المعيار ٤١/٨.

[٦] البكري : المغرب ١١٦.

قدسا[١] " ، أما أهل قفصة فسقيهم فيها بالساعات وبها " عيون كثيرة بقرب المدينة تسقى بعض جناتهم ، وسقيهم فيها بالساعات وأهل قفصة يتنافسون في هذه ويبتاعون سقيها بأعلى ثمن[٢] " ولهذا يتخاصم أهل قفصة بسبب المياه " يقول أهل قفصة إذا رأيت قوما يتخاصمون وقد علا بينهم الكلام فاعلم أنهم في أمر الماء[٣]"

وعادة ما يشرف على توزيع المياه أمناء وكبراء القرية ومشايخها من ذوى الصلاح والتقوى[٤]، كما وجد نظام تسليف الأرض في منطقة الجريد ، وينقسم وادي توزر إلى ثلاثة فروع ، وكل فرع إلى سبع سواق ، وتقسم الساقية حسب مدة السقي ، ومدة الدور أسبوع[٥].

واستخدمت أدوات كثيرة لري الأرض ، فاستخدم أهل سجلماسة الري بالأحواض[٦]، واستخدم أهل قرطاجنة الدواميس [٧]، واستخدموا الأنابيب والأقباء كما في توزر [٨]، واستخدموا الإبل والبقر والبغال لرفع الماء من السواقي "السواني [٩]" كما استعملت الدواليب لرفع المياه من الآبار [١٠].

۞ ۞ ۞

---

(١) البكري : المغرب ٤٨،٤٩.

(٢) مجهول : الاستبصار١٥٣.

(٣) المصدر السابق ١٥٣.

(٤) التجانى : الرحلة ١٥٧.

(٥) محمد سويسي: مسائل الري والفلاحة في المغرب العربي ، في ندوة إسهامات العرب في علم الفلاحة، الكويت ١٩٨٨ ص٢٧٠.

(٦) البكري : المغرب ٣١.

(٧) المصدر السابق ٤٤.

(٨) المصدر السابق ٤٨ ، ٤٩.

(٩) التادلي : التشوف ١٦٦ ، الونشريسي المعيار ٤٨/٨ ، ١٠، ١٩٦

(١٠) عز الدين أحمد موسى : النشاط الاقتصادي في المغرب ٦٣.

ثالثاً: المحاصيل الزراعية :

توفر لنا كتب الجغرافية والفلاحة مؤشرات تسمح لنا بتقويم درجة تنوع الزراعة الأندلسية والمغربية ، فهي تصف أنواع الغلات وفق مجموعات مثل: الحبوب ، والبقوليات، والخضر ، والفواكه ، والغلات الصناعية ، والنباتات العطرية ، والزينة .

وغلبت زراعة الحبوب الغذائية بالطريقة البعلية ، أى لاتعتمد على الري الدائم، وبعضها بالرى الدائم، وتزرع فى معظم الأندلس والمغرب لأنها الغذاء الرئيسى للسكان وأهم الحبوب هى :

١ - **القمح** : يزرع فى الأندلس بين شهرى أكتوبر ونوفمبر، وتجود زراعته فى التربة المستوية، ويختلف حصاده حسب الأماكن، ويحصد غالباً فى يونيه أو يوليو(١) ، ويحصد فى مرسية وشذونة أول مايو، وهو أنواع منها: الريون ، الأطرجال ، الشمرة ، وأحسنها الريون، لأنه يابس ممتلئ نقى(٢)، وتزداد أهمية القمح فى سنوات القحط، لغلو ثمن القمح، وعبر العامة عن ذلك (إذا غلا القمح مالوا حصال(٣))، وتحفظ الدولة القمح فى حصون وصوامع مثلما فعل الأمير محمد الذى بنى حصن استيرش لحفظ القمح القادم من مدينة سالم(٤)

وتركزت زراعة القمح فى المناطق الآتية :

قرطبة	المقرى: نفح الطيب ٢١٧/٣	
غرناطة	ابن الخطيب: الإحاطة ١٠٣/١ اللمحة البدرية ٢٢	بحر من بحور الحنطة
طليطلة	البكرى : جغرافية الأندلس ٨٨	وصف قمحها بالجودة

(١) ابن بصال : الفلاحة ١٥٤ / ابن العوام: الفلاحة ٢/ ٣٦ ، ٤٣٢ .

(٢) عريب بن سعيد : تقويم قرطبة ٦٤، ٧٥.

- Lévi - provençal : L'Esp. Mus. p. 162, E. Mitre : La Espana medieval. Sociedes. Estais Culturas. Madrid. 1994. P.68 .

(٣) الزجالى : الأمثال ق٢ ٢٤ صـ٩ .

- Lévi - provençal : L'Esp. Mus. p. 162 - 163, Hist - de L' Esp. Mius. T. 111. pp 273, 282, Glick : Isla. and christ. Sp. pp. 81 - 82. Vallvé: op. cit. pp. 295-296.

(٤) ابن حيان : المقتبس (ت مكى) ١٣٢.

لورقة	العذرى : ترصيع الأخبار ٢، ٣	
مرسية	مجهول: جغرافية الأندلس ٢٥ الروض المعطار ١٥١ الإدريسي ١٩٤	
شبرب	ابن غالب : فرحة الأنفس ٢٨٥	من قرى بلنسية
أبدة	الإدريسي ٢٠٣ الروض المعطار ١١، ٧٠	من أعمال كورة جيان
جيان	الإدريسي ٢٠٢ ، الروض المعطار ٧٠	
يبورة	الإدريسي ١٨١ ، ابن الشباط ١١٨	من أعمال بطليوس
شَرِيش	الإدريسي ٢٠٦ ، الروض ١٠٢	من أعمال شذونة
شنترة	نفح الطيب ١/١٥٤	
أشبونة	الزهرى : الجغرافية ٨٥	
فحص بلاطة	الإدريسي ١٨٥ ، الروض المعطار ٤٦	قرب شنترين
قنبانية قرطبة	نفح الطيب ٤ / ٢٠٣	
حصن بيانة	الإدريسي ٢٠٥	من أعمال قرطبة قرب قبرة
قرمونة	الإدريسي ٢٠٦	

وكثرت زراعة القمح في قرى بلاد المغرب لاعتمادهم عليه كغذاء رئيسي، وتمركزت زراعته في قرية طافنجة وقرى مدينة الأربس وآجر[١]، وحنطة وقرى مدينة الأنصار " أجل حنطة بأفريقية[٢] وكثر القمح في قرى مدن بونة وطنجة وبجاية[٣]، ومرسى الدجاج وتاهرت وبرشك ووهران[٤] ، وكثرت مزارع القمح حول مدينة باقديت[٥]. أما قرى باجة فكانت أكثر الأرياف إنتاجاً للقمح رخيص الثمن، حتى إنه كان يردها كل يوم من الدواب والإبل عدد كبير يزيد عن الألف ليقوم بنقل الميرة فلا يؤثر ذلك في سعرها[٦].

---

(١) ابن حوقل : صورة الأرض ٨٦.

(٢) البكري : المغرب ٤٦،٤٧.

(٣) ابن حوقل : صورة الأرض ٧٥،٧٧،٨٦.

(٤) المصدر السابق ٨٠،٨١.

(٥) البكري : المغرب ٥٣.

(٦) ابن حوقل : صورة الأرض ٥٦.

وجادت زراعة القمح في قرى المغرب الأقصى، فكانت مصدر ثروة أهل القرى حول طنجة[١]، والبصرة وكرت[٢]، وأحيطت مدينة أنفى بالقمح[٣] وإقليم تادلا ومنطقة أزكان ومدينة أمجاد وقرية تغت وإقليم تامسنا[٤] ، كما زرع القمح في بوادي مدينة صفرو ونفيس وتاودا[٥]، ورخص سعر القمح في فاس، وكثر على نهرها الأرحاء[٦]، ويكفى قمح قرى مدينة مليلة لإنتاجها المحلى[٧]، وكثرت القرى والمزارع على الطريق بين فاس وتلمسان[٨]، ورخصت الحنطة في السوس الأقصى[٩].

ويعاوض القمح – أحياناً – بدنانير ، مثل رجل غاب عن زوجته ولها عليه عشرة دنانير ، فقال لها يوم سافر : خذي في العشرة دنانير ثلاثة أثمان قمحاً ، وهي في المطمورة[١٠]، وجرى بيع القصيل "القمح الأخضر" بالطعام إلى أجل ، تأخر الطعام أو تعجل إذا شرع في رعيه أو جزه ، ولم يمكنه ذلك لصغر الزرع ، وترك حتى يرتفع ويزيد في نباته[١١].

٢- البقول

زرع الفلاحون الأندلسيون أنواعاً من البقول مثل الفول الذى جاد فى التربة الرطبة[١٢]، والحمص الذى يزرع فى فبراير ومارس، ولاءمته التربة الحرشا[١٣]، وزرع فى

---

(١) المصدر السابق : ٨٠.

(٢) المصدر السابق ٨١،٨٠.

(٣) الوزان : وصف أفريقيا ٢٠٢.

(٤) مارمول : أفريقيا ١١٦/٢ الوزان وصف أفريقيا ٢٠٥، ٢٠٦، ٢٨١.

(٥) الإدريسي : صفة المغرب٧٦

(٦) المصدر السابق نفسه

(٧) ابن حوقل : صورة الأرض ٧٨

(٨) حسن على حسن : الحياة الإدارية والاقتصادية فى المغرب الأقصى ٢٧١

(٩) الحميرى : الروض ٣٣٠

(١٠) المعيار ٨٩/٥.

(١١) المعيار ٢٥١/٥.

(١٢) ابن العوام : الفلاحة ٤٣٢/٢.
-Lévi - provençal : L'Esp. Mus. T. 111.P. 282, Glick :Isl. and christ. Sp. P.81, Vallvc op. cit P. 297

(١٣) ابن بصال : الفلاحة ١٠٩

سرقسطة وخـزن فيهـا لمـدة طويلـة[١]، وزرع كذلـك فـى لقنـت[٢] واشـتهرت جيـان بزراعـة البقول[٣]، وهناك أنواع أخرى من البقول مثل: اللوبيا، والعدس والسمسم. [٤].

٣- الشعير " الشنتية " :

يزرع فى نوفمبر وديسمبر، ويحصد فـى مـايو[٥]، وهنـاك نـوع مـن الشـعير يسـمى الإشبطاتة أو الطرمش، ويستخدم علـف للحيـوان، ويحصـــد أخضــر، ويعـرف بــالقصيل، ويستخدم الشعير غذاء فى الريف الأندلسى خاصة، وفى كل الأندلس وقت المجاعات عامة[٦]

وأهم مناطق الشعير هى :

بيرة "إلمرية"	ابن الخطيب: المشاهدات ٤٠
غرناطة	الحلل الموشية ٦٦
جيان	الإدريسي ٢٠٢
بيانة	الإدريسي ٢٠٥
أبدة	الحميرى : ١١
قرمونة	الإدريسي ٢٠٦
شنترة	نفح الطيب ١/١٥٤
أشبونة	الزهرى : ٨٥

وكان الشعير من المحــاصيل الرئيسـة التـي يعيـش عليهـا أهـل المغـرب فـي طعامهم، وزرع في قرى طرابلس في سويقة ابن مثكود[٧]، وزرع بكـثرة فـي قـرى وبـوادي جبل نفوسة واتخذوه خبزاً ، "وأكثر زروعهم الشعير وإياه يأكلون، وإذا خبز كان أطيب طعما

---

(١) ابن غالب : فرحة الأنفس ٢٨١

(٢) الإدريسي : صفة المغرب ١٨٧

(٣) المصدر السابق ٢٠٢

(٤) ابن بصال : الفلاحة ١١٢

(٥) ابن بصال: الفلاحة ١٥٤ ، ابن العوام : الفلاحة ٢/٤٣٨

(٦) ابن الخطيب: المشاهدات ١٠٢ ، المقرى : نفح الطيب ١/٥٨٤

(٧) الإدريسي : صفة المغرب ١٣٠

من الحنطة ولشعيرهم لذة ليس لخبز من أخباز الأرض"[١]، وعرفت قريتى أجرو طافجنة- التابعة للأربس - بزراعة الشعير[٢]، والفحوص حول طبنة ووهران[٣]، وزرع أيضاً في بوادي وقرى مدن المغرب الأقصى مثل مليلة والبصرة والقرن[٤]، وفى أحواز طنجة[٥]، وزرع في قرى السوس ومدينتي ماسيته وكرت[٦]، وفى قرى ومداشر جبل حاحة[٧]، وحول وادي فاس ووادى سلجماسة[٨]، وزرع على مياه الأمطار في جبال حنكيسة وأنفيفة وغدميسوا وأنماى[٩].

٤- الأرز :

من المحاصيل التى أدخلها المسلمون للأندلس[١٠]، ويزرع فى شهر إبريل، ويحصد فى شهر سبتمبر[١١]، ويحتاج إلى مياه كثيرة[١٢]، وزرع فى بلنسية ويحمل منها لجميع الأندلس[١٣]، ويزرع كذلك فى إشبيلية[١٤].

٥- الذرة :

طعام الفقراء ومعظم الفلاحين، لأنه يباع بثمن رخيص، وزرع فى سهول غرناطة[١٥].

---

(١) ابن حوقل : صورة ٩٤، ٩٥
(٢) المصدر السابق ٨٦
(٣) المصدر السابق ٧٧،٨٤،٨٥
(٤) المصدر السابق ٧٨،٨٠
(٥) المصدر السابق ٨٠
(٦) السابق نفسه ٨٠
(٧) الوزان : وصف أفريقيا ١٢٢
(٨) الوزان : وصف أفريقيا ١٣٢،١٥٤،١٥٥،١٧٨
(٩) الإدريسي : صفة المغرب ١٣٣
(١٠) عريب بن سعيد : تقويم قرطبة ٥٠
(١١) ابن العوام : الفلاحة ٤٢٩/٢ ، ٤٤٠
(١٢) المصدر السابق نفسه
(١٣) العذرى : نصوص عن الأندلس ٧١
(١٤) ابن العوام : الفلاحة ٥٥/٢ ، ٤٣٨
(١٥) ابن الخطيب : الإحاطة ١٣٧/١

وكانت الذرة في المغرب أقل انتشاراً من القمح والشعير، وزرعت في قرى ومدن ودان [1]،وزويلة [2]، وسجلماسة[3]، وفى بوادي إقليم حاحة وإقليم هسكورة[4]، وجبل أغاى وإقليم تامسنا[5]، وكانت طعام الفقراء في قرى أودغست[6].

وهناك حبوب أخرى قليلة الانتشار في المغرب مثل الدخن المزروع في سجلماسة وأودغست[7]، والأرز "عندهم قليل، بعضه يزرع في بعض الأماكن من بر العدوة، وأكثره مجلوب إليهم على أنهم لا نهمة لهم في أكله ولا عناية به" [8].

٦- القطن :

من المحاصيل التى أدخلها المسلمون، ويزرع فى شهر مارس ويجمع فى سبتمبر، ويلائمه التربة الحرشا، ويحتاج إلى حرث وتسميد كثير[9]، وتركزت زراعته فى إشبيلية التى فاقت غيرها من نواحى الأندلس، ويحمل منها إلى سائر الأندلس والمغرب[10]، ويزرع أيضاً فى رندة ووادى آش[11] وميورقة[12].

وعرفت قرى وبوادي المغرب القطن مع دخول المسلمين[13]، وتمركز زراعته في ضواحي مدينه أجدابية[14]، وقرطاجنة[15] وطبنة والمسيلة[16]، وجادت زراعته في قرى

---

[1] الإدريس : صفة المغرب ١٣٣.
[2] اليعقوبي : صفة المغرب ٦.
[3] ابن رسته : الاعلاق النفسية ٣٥٩.
[4] الوزان : وصف أفريقيا ١٠٣ مارمول ٣٤/١.
[5] مارمول : أفريقيا ٦٨/٢، ١٢٧.
[6] البكري : المغرب ١٥٨.
[7] ابن حوقل : صورة الأرض ٩١.
[8] القلقشندي : صبح الأعشى ١٧٥/٥.
[9] ابن بصال: الفلاحة ١١٤، ١١٥ .
[10] العذرى : نصوص عن الأندلس ٩٦.
[11] الروض المعطار ١٩٢ .
[12] الزهرى : الجغرافية ١٢٩.
[13] عثمان الكعاك : الحضارة العربية فى حوض البحر المتوسط ٧٤.
[14] الإدريسي : صفة المغرب ١٣١.
[15] ابن حوقل : صورة الأرض ٧٤ .
[16] المصدر السابق ٨٥،٨٦.

وبوادي مدينة مستغانم[١]، وزرع كذلك في قرى مدينة البصرة وبادية فاس، وصدر من البصرة لمعظم المغرب[٢]، وحسنت زراعته في أحواز مدينة ماسيته[٣]، وكثر في جهات مدينة كرت بالقرب من طنجة، وفى معظم المنطقة التي يرويها نهر شلف[٤] .

٧- الخضر :

زرع الفلاحون الأندلسيون أنواعاً من الخضروات مثل: الكرنب والقنبيط واللفت والجزر والباذنجان والبصل والثوم ، فيزرع الكرنب فى يونيه، ويؤكل فى نوفمبر[٥]، ووجد منه نوعان : كرنب صيفى وهو مفرق الأوراق[٦] وشتوى وهو مفرق الأوراق، ويوجد الكرنب فى التربة السوداء والغليظة وزرع فى قرى وأرياف إشبيلية وبلنسية[٧].

أما القنبيط واللفت والجزر والباذنجان فتزرع فى مارس أو إبريل، وتزرع فى إشبيلية فى يناير[٨]، ويجود فى التربة السوداء، ويوضع فى أحواض مسمدة قبل وضع الزريعة، ويسقى إلى أن ينبت، ثم يسقى مرة كل أسبوع[٩]، ويزرع اللفت أول أغسطس، ويؤكل فى الخريف أو الشتاء(١٠)، وهو نوعان : الأول مستطيل، والثانى مدور، ويزرع فى أرياف إسبيلية وقرطبة وغرناطة[١١]. أما الجزر فيزرع فى إشبيلية وقرطبة وغرناطة.

ويزرع الباذنجان فى شهر يناير فى إشبيلية وقرطبة، وعرفت قرطبة بنوع مدور الشكل كبير الجرم رقيق القشر[١٢]، وهناك نوعان من البصل: الأول يزرع للاستهلاك،

---

[١] البكري : المغرب٥٩.
[٢] البكري : المغرب ٦٩ ، ابن حوقل : صورة الأرض ٨١،٨٠.
[٣] البكري : المغرب ١٥٥.
[٤] ابن حوقل : صورة الرض٩١،٨١،٨٠.
[٥] عريب بن سعد : تقويم قرطبة ٦٧ ، ١٠٩ .
[٦] ابن بصال : الفلاحة ١٥١ ، ١٥٢.
[٧] الزهرى : الجغرافية ٦٣.
[٨] عريب بن سعد : تقويم قرطبة ٥٠ ، ابن بصال: الفلاحة ١٥٢.
[٩] ابن بصال : الفلاحة ١٥٢ .
[١٠] ابن عبد الله القرطبى : شرح أسماء العقاقير ٢٩ .
[١١] عريب بن سعد: تقويم قرطبة ١٠٩ ابن العوام: الفلاحة ٤٣٣/٢ .
[١٢] ابن بصال: الفلاحة ١٣٠، ١٣١ .

والثانى كزريعة، واشتهرت قرطبة بزراعته، وهناك إقليم فى إشبيلية عرف بإقليم البصل[١]، ويزرع الثوم فى نوفمبر أو يناير، ويحصد فى يونيه، وتلائمه التربة البيضاء أو السوداء أو الحرشا، وزرع فى قرى قرطبة وإشبيلية وغيرهما[٢].

٨ – الكتان

تبدأ زراعته بالأندلس فى شهر نوفمبر، ويحصد فى مايو، ويصلح فى التربة الرملية والرطبة[٣]، وتركزت زراعته فى قرى جبل شلير[٤] ، وكذلك فى أحواز شذونة ومالقة[٥] وشبوب[٦] ولاردة[٧] وباجة[٨] وميورقة[٩] .

ونال الكتان اهتمام الفلاحين المغاربة ،لأنه لباس معظم الفلاحين والفقراء ، وزرع في أحواز مدينة سوسة[١٠]، وعرفت قرى مدينة البصرة بالإكثار من زراعته حتى لقبت ببصرة الكتان[١١]، وأكثرت بوادي مدينة قيجة من زراعته ، وصدرت الفائض إلى ما جاورها من المدن والقرى[١٢]، وزرع كذلك في قرى تاهرت على وادي شلف[١٣]، وفى قرى مدن : سبيبة وبونة وطبنة[١٤] .

---

(١) أبو الخير الإشبيلي : الفلاحة ٦٥ .

(٢) عريب بن سعد : تقويم قرطبة ١١٧، ابن العوام : الفلاحة ٤٣٤.

(٣) ابن العوام : الفلاحة ٢/٣٥ ، ٤٣٢ .

(٤) ياقوت : معجم البلدان ١/٢٤٤ .

(٥) ابن العوام : الفلاحة ٢/٢٤٤ .

(٦) ابن غالب : فرحة الأنفس٢٨٥.

(٧) الحميري : الروض المعطار ١٦٨.

(٨) ياقوت : معجم البلدان ١/١٦٤.

(٩) الزهرى : الجغرافية ١٢٩.

(١٠) حسن حسنى عبد الوهاب : ورقات٢/٧٣.

(١١) البكري : المغرب١١٠.

(١٢) المصدر السابق٦٥.

(١٣) اليعقوبي : صفة المغرب١٩.

(١٤) ابن حوقل : صورة الأرض٧٥،٧٦،٨٤،٨٥.

٩ – الزيتون

من المحاصيل المهمة فى الأندلس ، وهو نوعان : برى ينبت فى الجبال ، وبستاني وهو أكثر حبا وأفر زيتا[(١)]، والزيتون لايحتاج لرى كثير ، ويغرس عادة فى شهر يناير ، وينضج فى سبتمبر ويظهر الزيت الجديد[(٢)] ، وتركزت زراعته فى جبل العروس شمال قرطبة الذى كان مغروساً بالزيتون[(٣)]، وفى جبل الشرف بإشبيلية ، لا تكاد تشمس فيه بقعة لالتفاف زيتونه[(٤)]، وزرع أيضا فى:

لبلة ومياردة	ابن سعيد : المغرب ٣٣٩/١ ،ابن الشباط١١٧،البكرى: جغرافية الأندلس ٢٥
مورور	ابن غالب : فرحة الأنفس ٢٤
شذونة	فرحة الأنفس ٢٩٤
بيانة	المصدر السابق ٢٩٥
بسطة وقبرة	الروض المعطار ٤٥ ، ياقوت: معجم البلدان ٣٥/٤
شَرِيش	الإدريسي ٢٠٦
شوذاروباغة	الحميرى: ١١٧ ، ياقوت : معجم البلدان ٥٣٢/١
ألمرية	مشاهدات لسان الدين ٨٣
قمارش ومالقة	مشاهدات لسان الدين ابن الخطيب ٧٩ ابن سعيد: المغرب ٤٢٣/١
استجة ومربيطر	ابن العوام : الفلاحة ٢٢٥/٢، الروض المعطار ١٨١

والزيتون كذلك أهم مزروعات الأرض المغربية ومصدر ثرائها ، والزيتون نوعان: برى وبستاني ، وفيه أصناف من الطويل الثمرة أو المدور[(٥)]، وتركزت زراعته في قصور مسراته حيث امتد (١٢) اثنى عشر ميلا[(٦)]، وفى برقة زرع الزيتون بكثرة ، وقامت عليه صناعة زيت الزيتون[(٧)]، وفى جبل نفوسة[(٨)]، أما قرى صفاقس فهي من أكثر بلاد المغرب

---

(١) ابن العوام : الفلاحة ٢٤٢/١.

– E.G. sānchez : Agricaltııre in Muslim Spain the Legacy of Muslim spain. Leiden 1992. pp. 987-1000.

(٢) عريب بن سعد : تقويم قرطبة ٢٤،٩١.

(٣) ابن غالب : فرحة الأنفس ٢٦، ٢٧.

(٤) المقرى : نفح الطيب ١٥٨/١.

(٥) ابن سعد : بسط الأرض ٨٠.

(٦) ابن العوام : الفلاحة٢٢٥/١.

(٧) ابن حوقل : صورة الأرض٦٧.

(٨) البكري : المغرب٩.

زراعة وإنتاجا للزيتون ، ويصدر الزيت منها إلى مصر وصقلية[١]، ولقرى قابس من الزيتون والزيت ما ليس مثله لمن جاورتهم[٢]، وبجوار القيروان قرى الساحل التي انتشرت بها زراعة الزيتون[٣]، وبجوار تونس قرى كثيرة الزيتون ، وكذلك في الطريق بين تونس والقيروان[٤]، كما أن أحواز مدينة ماجر غابة من أشجار الزيتون[٥]، ومثلها أحواز وقرى مدن جمونس وقلانس وقبيشه[٦]، وبسكرة وفاس[٧]، وبلاد الريف[٨] وجبل زرهون[٩]والذي يضم نحو خمسين قرية وسكانه على درجة من الرخاء ، وإقليم هسكورة وبلاد الصامدة[١٠]

١٠ - **قصب السكر :**

أدخله المسلمون إلى الأندلس، ويزرع في فبراير أو مارس، ويجود على ضفاف الأنهار[١١]، ويحصد في نوفمبر أو يناير، ويصنع منه السكر[١٢]، وتركزت زراعته في المناطق الساحلية، وفي البساتين الواقعة جنوبي إشبيلية المعروفة بجنات المصلى " فهي من السواحل التي يحسن فيها نبات قصب السكر[١٣]، وفي شلوبانية التابعة لغرناطة[١٤]، وفي المنكب جنوبي ألمرية[١٥]، وسمجلة (أو شمجلة) التابعة لرية القريبة من البحر. [١٦]

---

(١) المصدر السابق٦٠.

(٢) ابن حوقل : صورة الأرض٧٠.

(٣) اليعقوبي : صفة المغرب١١.

(٤) البكري : المغرب٣٩،٤١.

(٥) المصدر السابق٢٩.

(٦) المقديسي : أحسن التقاسيم٢٢٧.

(٧) المصدر السابق٢٢٩.

(٨) مارمول : أفريقيا٢/٢٢٩.

(٩) الوزان : وصف أفريقيا ٢٨٠.

(١٠) مارمول : أفريقيا٢/٩٨.

(١١) ابن العوام : الفلاحة ١/٣٩١، ٣٩٢.

(١٢) عريب بن سعد : تقويم قرطبة ٢٤،٩١،٢٩٣.

(١٣) العذرى : نصوص عن الأندلس ٩٦، ابن غالب: فرحة الأنفس ٢٩٣.

(١٤) الحميري : الروض المعطار ١١١.

(١٥) القلقشندى : صبح الأعشى ٥/٢١٨ .

(١٦) ابن الخطيب : مشاهدات لسان الدين ٨٠ ياقوت: معجم البلدان ٣/٣٦١.

أما في المغرب فزرع في بوادي وقرى مدينة جلولا[١]، وكثر في قرى مدينة قابس[٢]، واشتهرت به بلاد السوس في القرى والمدن[٣] فمدينة تارودانت " هى أكبر بلاد الله قصب السكر وفيها معاصر السكر كثيرة ... ومنها يجلب السكر إلى جميع بلاد المغرب والأندلس وإفريقية " ، وكذلك مدينة ايجلى يباع فيها قصب السكر بثمن قليل[٤]، كما جادت زراعته في جهات بلاد دكالة لكثرة الأنهار بها[٥].

١١- الحناء والكمون والكراوية والأنيسون

من المزروعات التي كثرت في المغرب فزرعت في جهات تورز قاعدة بلاد الجريد[٦]وزرعت الكروياء في أحواز تونس[٧]وزرع الكمون والكراوية في قرى مدينة سبيبة وقرية بنى وازلفن[٨]، وعلى نهر شلف زرع الحناء والكمون[٩]، كما اشتهرت قرى مدن سجلماسة ودرعة وأودغست بزراعة الحناء ، وجلب منها إلى معظم بلاد المغرب لطيبها وكثرة أشجارها[١٠] .

١٢- النخيل

من أكثر الأشجار انتشاراً في المغرب ، فأغلب القرى والبوادي والمدن تحيط بها أشجار النخيل ، فوجد في واحات إقليمي برقة وطرابلس[١١] والمناطق الوسطى من جبل نفوسة وعلى الطريق من نفوسة إلى زويلة[١٢]، وجهات مدينة أوجلة عامرة بالنخيل[١٣]،

---

[١] البكري :المغرب٣٢.

[٢] المصدر السابق١٧.

[٣] مجهول: الاستبصار ٢١١،١٢١.

[٤] البكري : المغرب١٦١،١٦٢.

[٥] ابن سعيد : بسط الأرض٤٦.

[٦] القلقشندي : صبح الأعشى٥/١٠٦

[٧] ابن حوقل : صورة الأرض٧٤

[٨] المصدر السابق٨٤

[٩] الإدريسي : صفة المغرب ٨٤

[١٠] البكري : المغرب١٥٨ ،الإدريسي : صفة المغرب٦٠،٦١ مجهول : الاستبصار ٢٠٦

[١١] البكري : المغرب٩،١٠

[١٢] المصدر السابق نفسه ٩،١٠

[١٣] المصدر السابق١٢.

والتمر بأحواز مدينة تاجرفت كثير[١] ويصدر إلى مدينة سرت ، واعتمد أهل ودان في معيشتهم على التمر[٢]، ووجد أيضاً في قرى مدن : سبهى وهل وزلهى[٣]، وأكثر طعام واحة غدامس وزويلة من التمور[٤]، وعرفت بلاد الجريد بهذا الاسم لكثرة النخيل وطيب ثمره الذي عم البلاد وبيع بأرخص الأسعار[٥]. واشتهرت به أحواز مدينة إيجلى قاعدة بلاد السوس[٦]وقرى مدينة ماسة[٧] وحول نهر درعة[٨] وضاهى تمر سجلماسة تمر العراق وحمل منها إلى سائر بلاد المغرب[٩].

١٣- التين

زرع في بوادي مدينة صبرة[١٠]وجبل نفوسة[١١]وأحاطت أشجاره بمدينة قفصة[١٢] " وهو يفوق تين أفريقيا طيبا " وزرع في قرى مدينة قلشانة وصدر إلى القيروان[١٣]، كما اشتهرت تونس بأنواع جيدة منه[١٤]، وجاءت زراعته في بوادي جزائر بنى مزغانى[١٥]،

---

(١) المصدر السابق ١٢ ، المقدسي : أحسن التقاسيم٢٣٠.

(٢) البكري : المغرب١١.

(٣) المصدر السابق١١،١٢.

(٤) المصدر السابق١٠.

(٥) المقدسي : أحسن التقاسيم٢٣٠.

(٦) مجهول : الاستبصار٢١٢.

(٧) الوزان : وصف أفريقيا١٢٥.

(٨) مجهول : الاستبصار٢٠٦

(٩) ابن حوقل : صورة الأرض٩١ ، القلقشندي : صبح الأعشى ١٦٤/٥

(١٠) المقدسي : أحسن التقاسيم٢٢٤

(١١) ابن حوقل : صورة الأرض٩٤.

(١٢) البكري : المغرب٧٥.

(١٣) المصدر السابق :٢٩.

(١٤) البكري : المغرب٩،١٠.

(١٥) ابن حوقل : صورة الأرض٧٦.

وحمل التين بوادي تلمسان إلى سائر نواحي المغرب[١]، وغرست بكثرة في حصن مغلية القاط ويحمل إلى فاس منه[٢]، ومع ذلك فقد اشتهرت فاس بالتين السفرى والبتى[٣] .

١٤- السفرجل

زرع في قرى تونس وبرقة[٤]وطرناسة[٥]، واشتهر سفرجل مدينتي كان وتنس بالسفرجل المعتق المعروف بحلاوته وطيب رائحته[٦]، وفاق سفرجل تيهرت سفرجل جميع البلاد حسنا وطعما ورائحة[٧]، ووجد بكثرة في جهات مدينة الخضراء[٨]، وصدر من مدينة المسيلة السفرجل لسائر المغرب[٩] .

١٥- الجوز واللوز والفستق

من أشهر الحاصلات البستانية ، وزرعت في قرى وبوادي برقة[١٠] ونقاوس وبلاد الجريد[١١] وفي قصور قفصة[١٢]، واشتهرت تونس باللوز[١٣]، وعرفت بوادي تبسر بالجوز[١٤]، وكان مضرب الأمثال ، وعرف به حصن سطيف القريب من القيروان[١٥]، وغرست أشجار الجوز في سفوح جبال تلمسان[١٦].

---

[١] البكري : المغرب٨٠.
[٢] المصدر السابق١٤٧.
[٣] المقدسي : أحسن التقاسيم٢٢٩.
[٤] البكري : المغرب٥،٤١.
[٥] المقدسي : أحسن التقاسيم ٢٢٧.
[٦] ابن حوقل : صورة الأرض٧٧.
[٧] البكري : المغرب٦٧.
[٨] ابن حوقل : صورة الأرض٩٠.
[٩] المصدر السابق٨٧٥.
[١٠] البكري : المغرب٥.
[١١] ابن حوقل : صورة الأرض٩٣.
[١٢] البكري : المغرب٤٧.
[١٣] المصدر السابق٤١.
[١٤] المصدر السابق١٤٠.
[١٥] السابق نفسه٧٦.
[١٦] الإدريسي : صفة المغرب٩٨.

واشترى رجل جوزاً : أصولها وأغصانها ، وإن وجد لهـا قشراً تحت الأرض فهـو لـه، وإن لـم يجـد فـالبيع قـائم [١]، وإذا قـال رجـل : إنـي بعت ثلاثـة أحمـال زبيـب ، وقـال للمشتري: إن لـي فيهـا ثمانيـة أرطـال تيـن ، وأنـا استثنيها عليـك ، ولست أبيعهـا ، فقبـض المشتري الزبيب، ثم وزن التين فوجد فيها أحد عشر رطـلاً مـن تيـن ، فـترد الثلاثـة الزائـدة للبائع [٢].

١٦- التفاح وفواكه أخرى

انتشرت زراعة التفاح في قرى طرابلس وقابس[٣]، وعرفت قفصة بالتفاح وهو زكى الرائحة ولا يوجـد مثلـه فـي البـلاد[٤]، واشـتهرت عـدوة الأندلسـيين بفـاس بـأنواع جيدة مـن التفاح[٥]

وغرست أشجار التـوت فـي قـرى ونواحـى قـابس[٦]، وغرسـت أشـجار الرمـان فـي أحواز تونس ونكور[٧]، كما غرست أشجار الكمثرى والخوخ والمشمش والموز والبرقوق[٨]

١٧- تخزين المحاصيل :

مهر الفلاحون الأندلسيون فى تحزين المحـاصيل والأطعمـة تحسباً للأزمـات، ويبـدأ التخزين بعد إنتهاء الزراع من الحصاد، ونقل المحصول للأنادر " الأجران" وبعد درسه ينقل إلى المخازن " الأهراء أو المطامير[٩]"، ويجب فى هذه البيوت أن يكون بها " كوى مـن قِبَـلْ المشرق والمغرب لتخرقها الرياح، ويخرج منها وهج حرارة البيت، ولا تجعل فيـه كـوة ممـا يلقى القبلة، ولا تجاورها المطابخ ولا مرابط الدواب "[١٠] واشـتهرت بعض المـدن والأقـاليم

---

[١] المالقي : الأحكام ٢٠١ رقم ٣١١ .
[٢] المعيار ٢٨٣/٦.
[٣] المقدس : أحسن التقاسيم٢٢٤.
[٤] مجهول : الاستبصار١٥٣.
[٥] ابن أبي زرع : الأنيس المطرب٩٨.
[٦] البكري : المغرب١٧.
[٧] المصدر السابق٩١،٤١.
[٨] العمرى : مسالك الأبصار " وصف أفريقية " ٥٠٤.
[٩] أبو الخير الأشبيلى : الفلاحة ٩٨
[١٠] المصدر السابق ١٧

والقرى فى التخزين، فحنطة طليطلة تمكث فى أهرائها مدة طويلة فلا يتغير لها طعم ولا رائحة[١]، ويتوارثه الخلف عن السلف[٢]، ويخزن القمح فى سرقسطة فلا يتسوس ولا يعفن، وكذلك التين والخوخ والتفاح والفول والقمح[٣].

ويظل الطعام فى لورقة مطمراً تحت الأرض مدة طويلة لايتغير[٤]، ويخزن فلاحو إشبيلية الزيتون وزيته أعواماً طويلة[٥]، ويخزن فلاحو ألمرية الشعير لمدة طويلة لايتسوس، ويؤكل[٦]، وكذلك تحفظ فاكهة شَرِيش مدة كبيرة .

وللأندلسيين طرق عديدة فى التخزين أوضحتها كتب الفلاحة[٧]، منها مثلاً نثر زبل الضأن فى المطامير، مما يساعد على سلامة الحبوب من الآفات، وتبقى صلبة سليمة لايصيبها التسوس، أو تفرش أرضية المطمورة بتبن القمح أو ينثر رماد عيدان الكروم[٨]، وتحفظ الثمار الجافة فى حفر تحت الأرض يفرش قعرها بالرمل، وتوضع فيها هذه الثمار، ثم تغطى بالرمل حتى تسوى مع وجه الأرض[٩] .

ويخزن الطعام في المغرب تحسبا للفتن التي كثيراً ما ألمت بالفلاحين في فترة الدراسة، وتنوعت وسائل التخزين من منطقة لأخرى ، فاستخدمت المخازن " المطامير" والصوامع التي تنحت في الصخور ، وفى سهول المغرب الأدنى والأقصى يطين على الزرع فيحفظ سنين طويلة[١٠] .

ويشترط في مكان التخزين أن يكون خالياً من البلل والرطوبة ، ويكون بابها وطاقتها التي للضوء جهة الشرق لأنها مهب ريح الصبا وهى أقل الرياح رطوبة ،

---

[١] البكرى : جغرافية الأندلس ٨٨ الزهرى : الجغرافية ٨٣

[٢] مجهول : ذكر بلاد الأندلس ١٩

[٣] الزهرى : الجغرافية ٨١ المقرى : نفح الطيب ١٨٣/١ ، ١٨٤

[٤] العذرى : نصوص عن الأندلس ٢

[٥] القزوينى : أخبار البلاد

[٦] ابن الخطيب : مشاهدات لسان الدين

[٧] ابن بصال ١٧٩ ،١٨٠ ابن العوام ٦٦٠/١، ٦٧٢

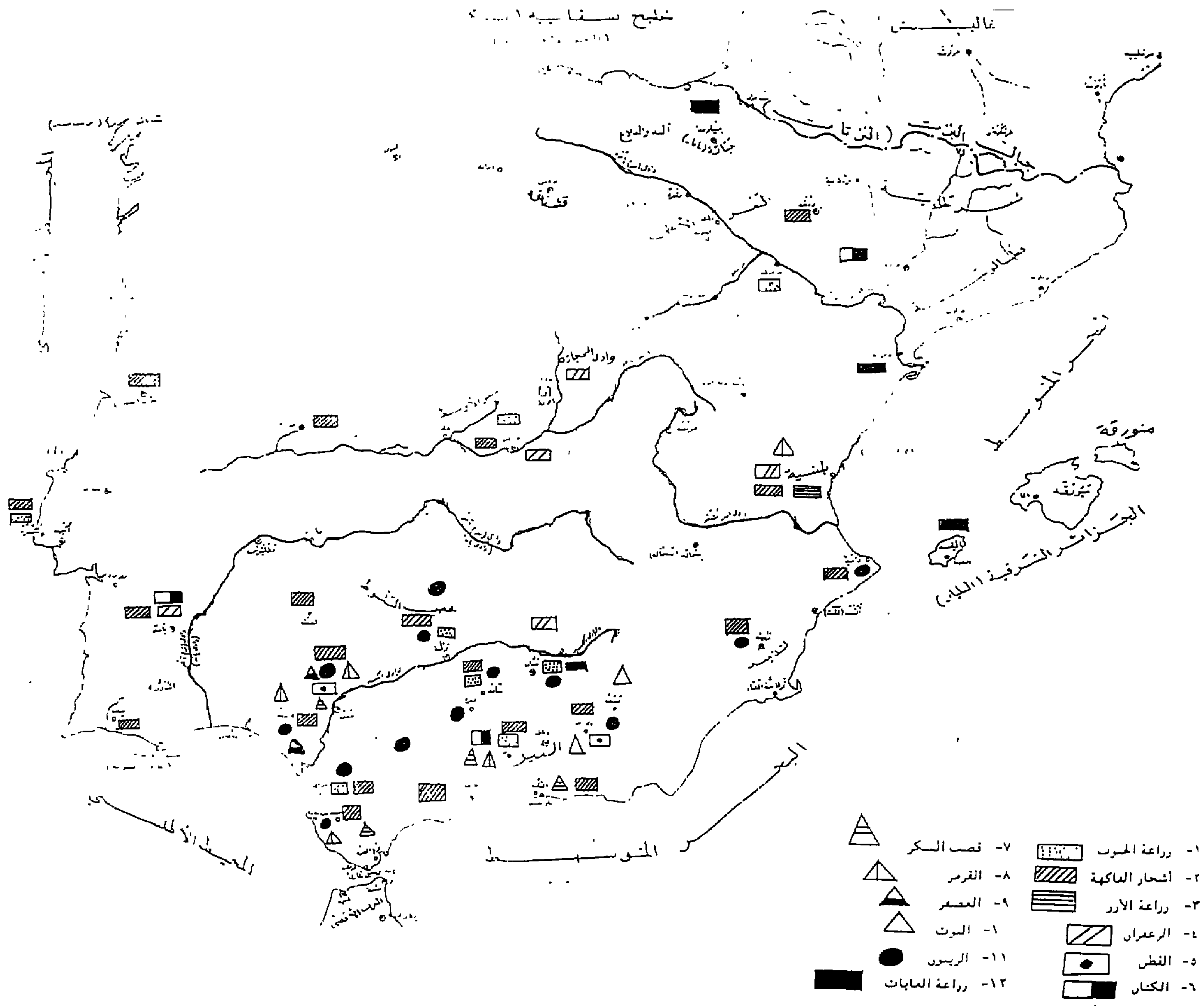
[٨] أبو الخير الإشبيلى : الفلاحة ١٧ ، ١٩

[٩] ابن بصال : الفلاحة ١٨٠

[١٠] ابن أبي زرع : الأنيس المطرب٢١

واستخدمت هذه المطامير لحفظ الغلال خاصة ، فكان الفلاحون يعمدون إلى وسط القرية فيحفرون فيها مخزنا واسع الأرجاء ويضعون فيه بعض محاصيلهم الشتوية ، ففي قرية " مائة بير " التابعة لدكالة يخزن أهلها القمح في الصوامع التي تشبه الآبار ، وتقام في الصخور خارج القرية .

❀ ❀ ❀


١- زراعة الحبوب
٢- أشجار الفاكهة
٣- زراعة الأرز
٤- الزعفران
٥- القطن
٦- الكتان
٧- قصب السكر
٨- القرمز
٩- العصفر
١٠- التوت
١١- الزيتون
١٢- زراعة الغابات
منورقة
بلنسية
البحر المتوسط

رابعاً : العوامل المؤثرة على الزراعة في الأندلس والمغرب

هناك عوامل كانت لها تأثيرها السيئ على ما تنتجه الأرض الزراعية منها :

١- الجفاف والقحط والسيول

كانت المياه الأندلسية متذبذبة لاعتمادها على الأمطار، هذا فضلاً عن علو بعض أراضي الأندلس مثل إشبيلية التي تركب نهرها[١]، وإذا جفت المياه أو انعدم سقوطها يؤدى ذلك إلى القحط والجفاف، فتتدهور الحياة في الأرياف والقرى، ويترتب على ذلك هلاك عدد من الناس وهجرتهم قراهم، ففي سنة (٢٢٣هـ/٨٤٦ م) عَمَّ القحط والجفاف الأندلس، فاحترق الزرع ومات الناس والبهائم، وصاحب ذلك انتشار الجراد فزاد في المجاعة وضيق المعيشة[٢]، وفى الفترة من سنة ٢٥١ هـ / ٨٦٥ إلى سنة ٢٥٥هـ /٨٦٨م استمر القحط والجفاف على الأندلس، وانتشرت المجاعة وغارت مياه الآبار[٣]، وكانت أشد سنوات القحط على الأندلس سنة ٢٦٠هـ/٨٧٣م ، فعمت المجاعة وانعدمت الزراعة، وهلك كثير من الناس[٤]، وفى سنة ٢٨٥هـ/٨٩٨م حدث جفاف كبير، ومجاعة[٥]، وفى سنة٢٩٧هـ/٩٠٩م عمت الأندلس مجاعة كبيرة وهلك كثير من الناس، وهاجر بعضهم للعدوة المغربية، وسميت بسنة جوع جيان[٦].

وتكررت المجاعة والوباء سنة٣٠٢ هـ/٩١٤م وسنة٣٠٣هـ / ٩١٥م نتيجة الجفاف والقحط، فغلت الأسعار، وهلك كثير من الناس وبخاصة الفقراء حتى عجز عن دفنهم، ولم

---

(١) ابن سعيد : المغرب ٢/٢٤٥

(٢) مؤلف مجهول: ذكر بلاد الأندلس وصفاتها " مخ " معهد المخطوطات العربية رقم ١٧٦ جغرافية ورقة ١٣٢، ١٣٥، ١٨٦، ابن عذارى: البيان المغرب ٢/٧٢، النويري: نهاية الإرب ٢٣، ٣٧٠

(٣) ابن حيان (ت مكى) ٢٣١، ٣٢٤، ابن الأثير: الكامل ٧/١٩٠، ابن عذارى: البيان ٢/١٠٠

(٤) ابن القوطية: تاريخ افتتاح الأندلس ١٠٠، ابن حيان: المقتبس (ت مكى) ٣٤٣

(٥) ابن عذارى: البيان المغرب ٢/١٣٩

(٦) ابن حيان : المقتبس (ت ملشور) ١٦٨

تخـرج الغـزوة لبـلاد النصـارى[1]، وأصيـب الأندلـس فـي سـنتي: سنة٣١٤هــ/٩٢٦م ،سنة٣١٧هـ/٩٢٩م بقحط وجفاف شديدين، وخرج الناس للاستسقاء فنزل المطر برحمة الله، وفى سنة٣١٧هـ / ٩٢٩م ظهر المحل واحتبس الغيـث، وغلت الأسعار[2]، ووقعت مجاعـة أيضاًسنة٣٥٠هـ/٩٦١م، وعمت الأندلس سنة٣٧٨هـ/٩٨٨م موجـة قحط اسـتمرت ثـلاث سنوات، وانتشر فيها الجراد فدمر المحاصيل الزراعية وحدثت مجاعـة عظيمـة[3]. والقحـط والجفاف من الجوائح التي تصيب الزرع، ويجب بذلك تخفيض الجباية أو إسقاطها بالكلية[4].

وأحياناً تكثر الأمطار فتحـدث سيولاً عظيمـة تدمر القـرى والـزرع ، مثلمـا حـدث سنة٢٣٥هـ / ٨٤٩م عندما حملت أودية قرطبة وشنيل وتاجة، فخرب سيل شنيل سـت عشـر قرية بإشبيلية، وخرب فيضان وادي تاجة ثمان عشرة قرية، وخرّب قوسين من حنايا قنطـرة استجة ، وخرب الأسداد والأرحاء[5]، وحدثت سيول كبـيرة فـي الأندلـس سنة٣٧٣هـ/٩٨٣م وتزامنت مع وباء شـديد فـأدت إلـى خسـائر كبـيرة[6]، وفـى سنة٢٨٨هـ/٩٠٠م تحطـم سـيل قرطبة وانهدمت رجل من قنطرتها[7]، وفى سنة (٣٣٤هـ/٩٤٥م) وقع السيل العظيم بقرطبـة فهدم آخر القنطرة، وثلم الرصيف وغيره، ونزل بقرطبة وما يليها سـيل جـارف تمـادى أيامـاً وهبت رياح شداد، ومنع الناس من دخول قرطبة أو الخـروج منهـا واتفـق أن أقبـل قـوم مـن أهل شبلار من ناحية قرية شقندة فيهم خصي وامرأة يريدان دورهم بين العشـاءين " فغشـيهم موج طام أهلكهم"[8]، ووقع سيل كبير لبلنسية سنة ٤٨١هـ/١٠٨٨م وخـرب بلنسـية وأريافهـا

---

[1] ابن حيان: المقتبس (ت شالميتا) ١٥٤/١٠٩،١١٠،١١٤ .

[2] البيان المغرب ١٩٤/٢ ، ١٩٩.

[3] مجهول: ذكر بلاد الأندلس ٢٠١،٩٢، ابـن بسـام: الذخيرة ٤٥/١/٤٦، النبـاهي: تـاريخ قضـاء الأندلـس ٧٠،٧٩ .

[4] ابن العطار: كتاب الوثائق ٣٧٨ ، ٣٩٠، ٥٩٧ .

[5] ابن حيان : المقتبس (ت مكى) ٥ ابن عذارى: البيان ٨٩/٢

[6] مؤلف مجهول :ذكر بلاد الأندلس ٢١٢

[7] ابن عذارى : البيان المغرب ١٤٠/٢

[8] ابن حيان : المقتبس (ت الحجى) ٢٠٩ .

وقراها، والسيول من الجوائح التي يخفض فيها الكراء والجباية عن الفلاحين بقدر خسائرها[1].

وكان معظم اعتماد المغرب على الأمطار في سد احتياجاتهم من المياه للإنسان والنبات وعدم سقوط المطر يعنى عدم كفاية الزروع للناس فتنتشر المجاعات ويصاحبها الغلاء مثلما حدث سنة ٢٥٣هـ/٨٦٧م إذ عَمَّ القحط بلاد المغرب حتى سنة ٢٦٥هـ/٨٧٨م، وغلت الأسعار وانتشرت الأمراض ، وعدمت الزروع والأقوات[2] .

واستمر القحط حتى سنة ٢٦٦هـ/٨٧٩م ، وكانت مجاعة شديدة ، وهلك فيها كثير من الناس ، ثم عاد القحط مرة ثانية سنة ٢٦٨هـ/٨٨١م ، وبلغ سعر قفيز القمح ثمانية دنانير، وانعدمت الزروع والأقوات حتى هلك الناس[3] .

وعم المغرب سنة ٢٨٠هـ/٨٩٣م قحط شديد ومجاعة ووباء حتى هلك الناس ودفنوا بغير غسل ولا صلاة[4] ، ووقعت سنة ٣٠٣هـ/٩١٥م مجاعة شديدة في إفريقية شبهت بمجاعة سنة ٢٦٠هـ/٨٧٣م ووصل سعر قفيز القمح إلى ثلاثة دنانير ، ومات الناس وعجز عن دفنهم[5] ، ووقع في المغرب سنة ٤٠٧هـ/١٠١٦م قحط شديد ومسغبة شاملة[6] ، ثم تتابعت المجاعات بسبب القحط بعد ذلك في سنة ٤١١هـ/١٠٢٠م فاشتد القحط في المغرب الأوسط والأقصى ، ومات كثير من الناس ، ثم شملت المجاعة المغرب الأدنى ولم ير الناس مثلها منذ زمن[7] ، واستمر الغلاء والجوع حتى سنة ٤١٤هـ/١٠٢٣م[8] ، ثم تكررت المجاعة بسبب القحط في سنة ٤٢٥هـ/١٠٣٣م وسنة ٤٣٢هـ/١٠٤٠م بسبب عدم هبوط

---

(1) ابن العطار : الوثائق ٣٨١ وما بعدها ، ابن الكردبوس : تاريخ الأندلس ٩٨، ٩٩.

(2) ابن أبى زرع : الأنيس المطرب ٩٦.

(3) ابن الأثير : الكامل ٣٣٤/٧ ، النويري : نهاية الأرب ١٣٠/٢٤.

(4) ابن أبى زرع : الأنيس المطرب ٩٧.

(5) المصدر السابق ٩٨ ، ابن عذارى : البيان المغرب ٩٥/١.

(6) ابن أبى زرع : الأنيس المطرب ١١٦.

(7) النويري : نهاية الأرب ٢٠٨/٢٤.

(8) ابن الأثير : الكامل ٣٢٩/٩.

الأمطار[1]وعادت أخبار المجاعات سنة ٤٨٢هـ/١٠٨٩م وسنة ٤٨٣هـ/١٠٩٠م، وغلت الأسعار ، ولم يسمع بمثل هذه المجاعة وهذا الوباء[2] .

٢- الرياح والأعاصير والثلوج :

كانت تهب رياح قوية في شهري مارس وإبريل، وتقول الأمثال " آرياح مرسى، وجوائح إبريل"[3]، وتؤثر هذه الرياح على المزروعات والغروسات، ففي سنة٣٣٢هـ/٩٤٣م دمرت الرياح كثيراً من المزروعات وأتلفت سقف المنازل في الريف[4]، وأتلفت رياح سنة٣٦٣هـ/٩٧٣م كثيراً من أشجار الزيتون[5]، وكانت في سنتى٣٨٢،٣٨٥هـ/٩٩٢،٩٩٥م رياح عاصفة استمرت ثلاثة شهور، اقتلعت الزروع ودمرت المنازل[6] .

وتفسد الثلوج والبرد الزروع، فتحرق الزرع، مثلما حدث سنة٣٣٢هـ/٩٤٣م سقط الثلج عدة أيام فأحرق الغروسات وأشجار الفواكه، وكان تأثير الثلوج أكثر على المناطق السهلية، واعتاد الفلاحون على تغطية الزرع حتى لا يحرقها الجليد[7] وحدثت في تطيلة وأريافها عاصفة ثلجية سنة٣٠٣هـ/٩١٥م أتلفت كثيراً من الزروع " فلم تبق قرمدة على بيت ولا خضرة في بستان"[8] وتعرضت قرطبة وقراها سنة ٣٣١هـ/٩٤٢م العواصف ثلجية قتلت بعض الحيوانات والطيور، وأهلكت جملة من الناس[9]، وتكرر ذلك أيضاً سنة٤٢١هـ/١٠٣٠م فأصاب الأندلس برد شديد، وصار ذكره على ألسنة الناس لضرره على القرى والفلاحين[10].

---

[1] المصدر السابق ٤٣٨/٩.

[2] ابن عذارى : البيان المغرب ٢٧٥/١.

[3] الزجالى : الأمثال ق٢ المثل رقم ١١٤ صـ٢٩ .

[4] ابن عذارى : البيان المغرب ٢١١/٢ .

[5] ابن حيان : المقتبس :(ت الحجى) ١٥٤ .

[6] مجهول ذكر بلاد الأندلس ٢١٥ .

[7] عريب بن سعد: تقويم قرطبة ١٧٣،١٦٩ ابن حيان: المقتبس (ت الحجى) ١٠١.

[8] ابن حيان: المقتبس ١٢٤/٥ .

[9] مجهول: ذكر بلاد الأندلس ٢١٥.

[10] الحميدى : جذوة المقتبس ٤٩٣/٢ .

وأدت الأعاصير والثلوج والرياح في المغرب إلى المجاعة أيضاً ، لأنها أضرت بالزرع والحيوان والإنسان ، ومثال ذلك ما حدث سنة ٣٠٧هـ/٩١٩م إذ هبت على المغرب وإفريقية " ريح مظلمة صفراء دامت أياما وسدت الأفق حتى كان الرجل لا يرى جليسه وأتبعها الوباء[١]" ووقع في هذه السنة الغلاء والشدة الاقتصادية ، وفي سنة ٣٨٢هـ/٩٩٢م هبت رياح شديدة أفسدت الثمار واقتلعت الزروع وهدمت المنازل ، وتكرر ذلك في المغرب الأوسط في تلمسان والقرى المجاورة لها[٢]، فهدمت المباني وقتلت الحيوانات واقتلعت أشجار البساتين[٣]، وكانت شدة سنة ٣٩٥هـ/١٠٠٤م" عظيمة انكشف فيها المستور وهلك الفقير وذهب مال الغنى ، وغلت الأسعار ، وعدمت الأقوات، وجلا أهل البادية عن أوطانهم ، وخلت أكثر المنازل فلم يبق لها وارث ، وصاحب هذه الشدة وباء وطاعون هلك منه أكثر الناس من غنى ومحتاج... ومات بأفريقية من طبقات الناس وأهل العلم والتجار والنساء والصبيان مالا يحصى عددهم إلا خالقهم ، وخلت المساجد بمدينة القيروان وتعطلت الأفران والحمامات ، وكان الناس يوقدون أبواب بيوتهم وخشب سقوفهم ، وجاء خلق من أهل البادية إلى صقلية ، وكانت الرمانة بدرهمين في ذلك الوقت ، والفروج بثلاثين درهما ، وقيل إن أهل البادية أكل بعضهم بعضاً[٤]، وقُدِّر من هلك في هذه الأزمة بالآلاف[٥]، وهبت سنة ٤٣٢هـ/١٠٤٠م عواصف شديدة محملة بالأتربة وعرفت سنه الغبار، وتزامنت مع القحط ، وأضر ذلك بأهل القرى والبوادي[٦] .

٣- الآفات الضارة :

تأتى حشرة الجراد في مقدمة الآفات الضارة التي تسبب خسائر كبيرة للأرض الزراعية والفلاحين، ويصاحبها ظهور الجراد: القحط والمجاعة فيكون سبباً لها، ففي سنة٢٠٧هـ/٨٢٢م حدثت مجاعة بالأندلس" وكان سببها انتشار الجراد بالأرض ولحسه

---

(١) ابن عذارى : البيان المغرب ١/١٨٢.

(٢) ابن أبى زرع : الأنيس المطرب ١١٦.

(٣) المصدر السابق ١١٦.

(٤) ابن عذارى : البيان المغرب ١/٢٥٦،٢٥٧

(٥) ابن الأثير : الكامل ٩/١٨٥ النويري : نهاية الأرب ٢٤/٩١.

(٦) ابن الأثير : الكامل ٩/٤٩٤.

الغلات وتردده بالجهات، فنالت الناس مجاعة عظيمة" وارتفعت الأسعار، فقام الأمير عبد الرحمن بن الحكم بإطعام الفقراء والمساكين[1]، وتعرض فحص الفندون - قرب لورقة - لآفة الجراد، وأهلك محاصيل المنطقة[2]، وهاجم الأندلس سنة ٣٨١هـ/٩٩١م أعداد كبيرة من الجراد، واستمر ذلك ثلاث سنوات" فأمر الحاجب المنصور الأندلسي الناس بصيده وبيعه في أسواق أعدت لذلك، لأن الجراد مما يؤكل وقت المجاعات[3]، وورد الجراد وأثره بين أمثال عوام الفلاحين مثل " اشيعمل العقرب بين الجراد " و"الجراد برى اللحم[4]" وكافح الفلاحون آفة الجراد، ففي شهر مارس يظهر دبيب الجراد فيؤمر بعقره "[5].

وهناك حيوانات ضارة بمراعي الفلاح الأندلسي مثل الذئب والخنزير ، فالذئب يهاجم حيوانات الفلاح أو المراعى، ويرى الفقهاء أنه لاضمان على الراعي إذا هاجمه ذئب في القفار[6]، وشاركت الخنازير الذئاب في الإضرار بالفلاحين، فتعدو على البساتين والزروع، ويؤجر لها الحراس، فيشترك أهل القرى في استئجار الحراس[7]، وهذه الآفات والأضرار مما يجب معه تخفيف الضرائب والكراء قدر الضرر.

ولم يقف الأندلسيون عاجزين أمام الآفات والحشرات الضارة ، فكانت لهم طرق لوقاية المزروعات من الحشرات والديدان وعروق الأرض، يقول ابن بصال: " إذا قطعت الأرض أحواضاً عندما يراد زراعتها... فإن الحيوان المذكور إذا خرج من الأرض يريد النبات وجد الرماد فيهرب ويرتدع"[8]، ولطرد الديدان والهوام عن أشجار الفاكهة تدخن الأشجار بروث الدواب أو برش قليل من الزيت على الأشجار فلا تقرب الذنابير[9].

---

[1] ابن حيان المقتبس (ت مكى) ٩٣ ابن عذارى: البيان المغرب ٨١/٢ .

[2] العذرى : نصوص عن الأندلس ٢٥.

[3] مجهول: ذكر بلاد الأندلس ٢١٣.

[4] الزجالى: الأمثال ق٤٩/٢، ٥١ رقم ٢١٣،٢٢٥ .

[5] عريب بن سعد : تقويم قرطبة ٤٠.

[6] الونشريسي : المعيار ٣٣٢/٨.

Thami El Azcmouri : Les Nawazil d,Ibn Sahl, Section relative Al'Ihtisab. Hesperis Tamuda, vol. XIV. Fasc. Unique. PP. 7 - 107.

[7] المصدر السابق ٨/ ١٦٤، ٢٠٠، ٢٦٦ .

[8] الفلاحة ١٧٣ .

[9] أبو الخير الإشبيلى : الفلاحة ٢٥ ،٢٦ ، ٥٤.

واستخدم الفلاحون المناقيس " تشبه المناجل " في تنقية الأرض من الحشائش الضارة، وقلع الجذور الضعيفة، وترك الجيدة[١]، ووضعوا رماد الحمامات أو شئ من دم الماعز على أصول أشجار النارنج لعلاجها[٢]، كما غطت أشجار الأترج والموز والياسمين والليمون، وصنعوا لها قبابا "مثل الصوبات " حتى لايضرها الجليد[٣]

ويعد الجراد كذلك من الآفات الكبرى على الزرع في المغرب وأكثر الآفات إضراراً بحياة الفلاحين، فالجراد يأكل كل ما تنبت الأرض، مثلما حدث في المغرب سنه٣٧٧هـ/٩٧٨م حيث عمها الجراد وأهلك كل ما فيها من الزروع والمحاصيل[٤]، وتكرر ذلك سنه٤٠٦هـ/١٠١٥م عندما هجم الجراد على بلاد المغرب وأكل زرعها، وتزامن ذلك مع الأعاصير الشديدة، فأحدث مسغبة عامة أهلكت كثير من الناس[٥].

❀ ❀ ❀

---

[١] ابن بصال : الفلاحة ١٣٩،١٢٨،١٢٢ .

[٢] ابن بصال : الفلاحة ٨٢.

[٣] عريب بن سعد: تقويم قرطبة ١٠

[٤] ابن أبي زرع : الأنيس المطرب ١٠٢

[٥] ابن الأثير : الكامل ٥٦٧/٩

خامساً : الرعى وتربية الحيوانات فى الأندلس والمغرب:

يرتبط الرعى بالزراعة، ويوفر الرعى المواد الغذائية ووسيلة للنقل والقوة المحركـة، وساعد على ذلك توافر المراعى وخصبها، فزادت الثروة الحيوانية، وتركزت مناطق الرعـى قرب مجارى الأنهار والمناطق الكثيرة الأمطار، وأهم المراعى الأندلسـية توجد فـى إشبيلية فى "المراين" وهى مواضـع ندية، ومروجهـا لا تتهشم صيفاً ، وتتمـادى غضارتهـا، وبذلـك يصلح نتاج رمكها وتدر الألبان على طيب مسارحها، ولو اقتصـرت مسـارح الأندلس عليهـا لوسعتهم [١].

وفى قبرة المراعى الخصبة، لأن التربة فى المنطقـة تتميز بالرطوبـة الطبيعيـة ممـا جعل أشجارها تعيش فترة طويلة [٢]، وفـى فحص مشـكيجان الضيـاع والمـزارع والمراعـى الكثيرة [٣]، وفى قلعة رباح يطيب مرعاها، وتحسن الماشـية فـى مسـارحها، ولألبانهـا فضـل بائن على غيرها[٤]، وشذونة جامعة لخير البر وبركة البحر، ينتجـع مـن كـل الأفـاق بحلاهـا ويحمـد مرعاهـا[٥]، ووصفت قبطـل بـالخير والنمـاء [٦]، وفـى طرطوشـة جبـل كثير الخـير والبركة ، وفى أعلاه مروج كثيرة المياه والمراعى[٧]، وبقـرب ببشـتر حصـن فطـرون ، بـه مسارح عريضـة للمواشى[٨] ، وجزيرة ميورقة واسعة الخـير كثـيرة رخيصـة الماشـية لكـثرة

---

(١) العذري : نصوص عن الأندلس ٩٦.

(٢) Le Provencal : La description p65.

(٣) الحميري : الروض المعطار ٥٠٧ ، ٥٠٨.

(٤) ابن غالب : فرحة الأنفس ٨٩.

(٥) المصدر السابق ٢٩٤.

(٦) ابن سعيد : المغرب ١/٢٩٢.

(٧) القزويني : آثار البلاد ٥٤٥.

(٨) ابن حيان : المقتبس (ت شالميتا) ٢٢٣.

المراعى غزيرة النتاج والمواشى[١] ، وتوافرت المراعى حول مدينة شقورة[٢] وجبال قرطبة[٣] ، وجبال الصوف جنوبى استجة[٤]، وكثر بجبل شلب المسارح والمياه[٥].

وكانت المراعى إما بجوار الأرض الزراعية أو مراعى مشاعة للجميع أو مراعى فى منطقة الثغور . فأما المراعى المجاورة للأرض الزراعية فتكون – غالبا – ملكا لصاحبها، ويترك فى سائمته ترعى على هداها ، وفى هذه الحالة تختلط بمناطق الزراعة ، ويشتغل بعض أهل القرى بالرعي بجانب الزراعة، فإذا أفسدت الغنم زرعا بالليل ، فإن كانت تبيت عند أهلها، فعلى أهلها الضمان ، وإن كان الرعاء بها فى القفار فلا ضمان على الرعاة[٦] أما إذا أفسدت الغنم الزرع بالنهار فلا ضمان على صاحبها لأن على أصحاب الزرع حفظ زروعهم بالنهار[٧]. ورعاة مناطق الثغور يكونون فى خطر من هجوم نصارى الشمال فيجتمون بالقطعان فى الجبال التى يعرفونها جيداً[٨].

واهتم الأندلسيون بالبغال والخيول وغيرها من وسائل النقل ، فكان الأمير محمد يركب البغال ويستحسنها[٩] حتى أن عمر بن حفصون عندما أظهر الطاعة أرسل له مائة بغل[١٠]، وكان للطبيب حمدين بن أبان ضياع وممتلكات فى قرطبة ويركب الدواب إليها[١١]، وطلب الأميرمحمد من التجار استيراد جاموس المشرق للأندلس[١٢] ، وامتلك الأمير عبد

---

[١] ابن حوقل : صورة الأرض ١١٥.

[٢] الزهري : الجغرافية ٩٨.

[٣] الحميري : الروض المعطار ١٤٢.

[٤] الزهري :الجغرافية ٩٣.

[٥] القزويني : آثار البلاد ٥٣١.

[٦] المالقى : الأحكام ٢٩٢.

[٧] المصدر السابق ٣٥٤ ، الونشريسي : المعيار ٩/٥٤٨.

[٨] الإدريسي: صفة المغرب ١٨١، ١٨٣ ، ١٨٨ ، الحميري : الروض المعطار: ١٣٢ ابن صاحب الصلاة: المن بالإمامة ٥٢٥.

[٩] المقتبس (ت مكي) ٢٢٠.

[١٠] ابن عبد ربه: العقد الفريد ٥/٢٢١.

[١١] ابن جلجل : طبقات الأطباء ٩٣، ابن أبى أصيبعة: عيون الأنباء ٣/ ٦٥.

[١٢] ابن حيان: المقتبس (ت مكى) ٢٧٦، ٢٧٧.

الرحمن بن الحكم ، مائتى بقرة متناتجة فى جزيرة لـه بالإضافة إلى أصناف أخرى من الماشية(1) ، يزرع للمنصور بن أبى عامر كل سنة كمية كبيرة من الشعير قصيلا لدوابة الخاصة(2) ، وقيل إن الأندلس مغطاة بالماشية والخيول ، فعجز عن ضبط ما بقرطبة من البقر والغنم(3) ، وكان لايسمح بذبح بهيمة تصلح للحرث، ويراقب ذلك أمين ثقة لا يرتشى، يخرج الى موضع الذبح كل يوم ، إلا أن تكون ذات عيب ، وكذلك لاتذبح أنثى تصلح للنسل. (4)

وتربية الحيوانات والرعي جزء من النشاط الفلاحي في المغرب كذلك ؛ لاستخدام الحيوانات في أعمال الزراعة من حرث ودرس ، ونقل المحاصيل إلى البيوت ، وسقى النبات ، وللحصول على اللحوم والألبان والجلود .

وهناك مناطق رعوية كثيرة في المغرب لتنوع السطح والمناخ ، فاشتهرت مدينة برقة بمراعيها الدائمة الخضرة الصالحة للسائمة(5)، وتنتجع مراعى سرت بعد هطول الأمطار(6)، وأراضى جزيرة قونقة خصبة المراعى فأرسل إليها أهل صفاقس دوابهم(7) ولمدينتا سوسة وبونة مراعى طيبة .

وغلب الرعي على أراضى المغرب الأوسط " فكانت كثيرة الخصب طيبة المرعى كثيرة الغنم والماشية ، ومنها تجلب الأغنام إلى الأندلس وبلاد المغرب لرخصها وطيب لحمها(8) " فكثرت المراعى في هضبة الشطوط(9)، ورعت حيوانات جزائر بنى مزغنى في

(1) ابن حيان : المقتبس ٧٢/٣.

(2) ابن عذارى : البيان المغرب ٢٩٨/٢.

(3) المصدر السابق ١٠٦/٣.

(4) ابن عبدون : الحسبة ٣٢، ٤٤.

(5) مجهول الاستبصار ١٤٣.

(6) ابن حوقل : صورة الأرض ٦٨.

(7) البكري : المغرب٥٠.

(8) مجهول : الاستبصار ١٧٩.

(9) محمد أحمد حسونة : الجغرافيا التاريخية الإسلامية٥٣.

المراعى المحيطة بهم[1]، وعرفت تاهرت بمراعيها الغنية فكانت " أحد معادن الدواب والماشية والغنم والبغال[2] " ورعى حولها بنودمر الزناتية . وتوفرت حول مدينتي بنى واريفن ومتيجة المسارح الواسعة الكلأ الكثير[3]وكثرت الماشية في مدينة بلزمة لكثرة المراعى[4]، ومدينة وجدة " مراعيها أنجع المراعى وأصلحها للظلف والحافر " حتى إن الشاة الواحدة يستخرج منها مائتي أوقية شحما[5].

وفى المغرب الأقصى اشتهرت جبال فزاز بوفرة الغنم والبقر المعروفة بطيب اللحم والسمنة[6]، ووجدت المراعى كذلك في جبل سمغة وجبل الدرقة[7]، وإقليم تامسنا ومدينة تازا وإقليم تادلا[8]وإقليم درعة " والسوس ونواحى درعة جميعهم يبيحون البلاد للمراعى لورود الإبل والماشية[9] " .

وعرفت أغمات بكثرة المراعى[10]، ومدينة البصرة " هى أوسع تلك النواحي مرعاً وأكثرها ضرعاً[11] " وقبائل المرابطين قبائل رعوية لا يعرفون حرثا ولا زرعا ولا فواكه ، إنما يمتهنون الرعي وعيشهم على اللحم واللبن[12] ، ويوجد في بلاد المغرب نوعين من الرعي : الرعي المختلط بمناطق زراعية ، والرعي شبه الصحراوي[13] .

---

(1) ابن حوقل : صورة الأرض٨٦.

(2) اليعقوبي : البلدان ٣٥٢.

(3) البكري : المغرب ٦١،٦٥

(4) ابن حوقل : صورة الأرض٩٣.

(5) البكري : المغرب ٨٧،٨٨.

(6) مجهول :الاستبصار١٨٧ .

(7) الحسن الوزان : وصف إفريقيا ١٩٢ البكري : المغرب ١٠٧.

(8) مارمول: أفريقيا ١١٨/٢، الوزان : وصف فريقيا٢١١.

(9) ابن حوقل : صورة الأرض١٠٣

(10) اليعقوبي البلدان٣٦٠ ، حسين مراد : دولة بنى مدرار فى سجلماسة ماجستير - معهد الراسات الإفريقية ١٩٨٧ صـ٣٠٤

(11) البكري : المغرب١١٠.

(12) ابن أبى دينار : المؤنس١٠١.

(13) عز الدين موسى : النشاط الاقتصادى١٩٨.

١- الأبقار

وتكثر تربية الأبقار في المناطق دائمة الخضرة والعشب ، فمارس تربيتها سكان السهول، واستخدمت الثيران - ذكور البقر - في أعمال الفلاحة[١]، وأتت الأبقار إلى القيروان من الأرياف حولها " وأحصى ما ذبح بالقيروان في بعض أيام عاشوراء من البقر خاصة فانتهى تسع مائة وخمسين رأساً[٢] " " وهي أكثر الحيوانات في بادية بونة[٣]، وربيت الأبقار أيضا في جزائر بنى مزغنى وطبنة والمسيلة وتاهرت[٤]، وفى المنطقة الممتدة من تادلا إلى تخوم سلا كثرت الأبقار[٥]، وعلى طول الساحل الجنوبي لسلا[٦]، كما ربيت في بلد مطمامة هسكور الواقعة على نهر ملوية[٧]، وأكثر حيوانات مدينة أودغست هى الأبقار[٨]، وكثرت ألبان وسمن الأبقار في بلاد تامسنا[٩]، وعمل أهل بنى يجفش بجبال فزاز في تربية الأبقار ، ومنها معاشهم[١٠] .

٢- الأغنام

كثرت أماكن تربية الأغنام في قرى استجة وجنوبى قرطبة، وبلغت الأغنام بقرى إشبيلية يوماً نحو خمسين ألف من الغنم وأعداداً ضخمة من البقر[١١]. وفى فحص شنقير بمرسية كثرت الأغنام[١٢]، وفى جبل الشارات كانت الأغنام فى غاية السمن، ويضرب بها المثل بسمنتها فى جميع الأندلس، وتصدر لجميع الأنحاء[١٣]، وتكاثرت الأغنام فى قرطبة فى

---

(١) الدباغ : معالم الإيمان ٤/٤٤،٤٥.
(٢) البكري : المغرب٢٦.
(٣) ابن حوقل : صورة الأرض٧٥.
(٤) المصدر السابق٧٦،٨٥،٨٦.
(٥) التادلى : التشوف١١٤.
(٦) المصدر السابق٤٢٣.
(٧) البكري : المغرب١٤٧ .
(٨) المصدر السابق١٥٨.
(٩) الإدريسى: صفة المغرب ٧٣.
(١٠) مجهول : الاستبصار١٨٧.
(١١) ابن صاحب الصلاة : المن بالإمامة ٥١٩ ، ابن عذارى : البيان المغرب " قسم الموحدين " ٩٨.
(١٢) الزهرى : الجغرافية ١٠٠ .
(١٣) الإدريسي : صفة المغرب ١٨٨.

شهر أكتوبر، وفى إشبيلية فى شهر مارس لاعتدال الجو. أما وسائل تسمين الأغنام فيتم بكثرة شرب الماء وتناول الملح كل خمسة أيام، وعلفها بالتبن والقرع والعدس(١) وزودت الأغنام الأهالي بالألبان والجبن والزبد والسمن، فاشتهرت شَرِيش بطيب الجبن ، وكثرت الألبان فى قصر أبى دانس، ولقلعة رباح فضل ظاهر على غيرها من الألبان[٢]، وصنعت من وبرها الأصواف مثل جنجالة قرب مرسية[٣]، واستخدمت الجلود فى الصناعات الجلدية في لبلة وباحة ومرسية[٤] ، هذا فضلا عن استخدام روث أو بعر الأغنام فى التسميد[٥]

وربيت الأغنام في مدينة سرت " ولحوم الماعز أغذى فيها من الضأن وأنفع وتقوم لحوم الضأن فيها مقام لحم الماعز بغيرها لأنها غير ملائمة لأهلها وللمسافرين المجتازين من أجل مراعيها[٦] " ، ووجدت الأغنام حول مرسى فضالة وصدرت للأندلس[٧]، وربت قبيلة مغراوة الأغنام حول مدينة وجدة[٨] وكثرت كذلك في تازا وفاس وجبال فازاز وقلعة مهدى[٩]، وفى سفوح جبل درن قامت تربية الأغنام وصوفها من أجود الأصواف[١٠]، وعاشت على تربية الأغنام قبيلة جراوة الزناتية في منطقة تادلا[١١] .

٣- الإبل

استعمل المغاربة الجمال في الصحراء القاسية، وفى الربط بين محطات التجارة[١٢]، وربت قبائل جبل الأوراس الجمال، " يظعنون في زمن الشتاء إلى الرمال حيث لا مطر ولا

---

(١) المصدر السابق ٤٧٤/٢.

(٢) ابن غالب : فرحة الأنفس ٢٨٨ ابن الخطيب : مشاهدات لسان الدين ٨٥، ٨٦.

(٣) الإدريسي: صفة المغرب ١٩٥

(٤) تقويم البلدان ١٨٦.

(٥) ابن العوام : الفلاحة ٤٧٠/٢.

(٦) ابن حوقل : صورة الأرض٦٨ .

(٧) الإدريسي : صفة المغرب ٧٣ .

(٨) البكري : المغرب ٨٨/٨٧ .

(٩) الاستبصار :١٨٧،١٨١.

(١٠) البكري : المغرب١٤٧.

(١١) الجزنائى : زهرة الآس٤٣،٤٥ التادلى: التشوف ١١١،١١٤،١١٥،٣٣٨

(١٢) بوفيل: الممالك الإسلامية ٧٤، البستانى : دائرة المعارف ٥٢٦/٦.

ثلج خوفا على نتاج إبلهم[1] " ومما يدل على كثرة جمال زناتة تقديم بلكين بن زيرى للمعز الفاطمي ألفى جمل من إبل زناته لنقل أمواله وذخائر إلى مصر[2]، واشتهر بنو مرين بتربية الإبل ورعيها ، ولهم منها نتاج معروفة "السرعة جرى نجبهم[3] " ، وأكثرت قبيلة أوريغة – إحدى بطون مغراوة – من تربية الإبل، واستخدمتها في نقل البضائع التجارية[4]. ويدل كثرة عدد الجمال المذبوحة في المناسبات على كثرتها في بلاد المغرب، وبخاصة في الصحراء[5]، فعندما هزم عبد الملك المظفر الأندلسى زيرى بن عطية المغراوى استولى منه على عدد كبير من الجمال[6]، وعندما أغار المرابطون على درعة أخذوا خمسين ألف ناقة من مغراوة[7]، وربت بطون زناتة الإبل في قرية أم ربيع وبلاد تامسنا وجبال فازاز[8] .

٤- البغال والخيول

لاعمت البغال الأرض المرتفعة فى الأندلس[9]، فانتشرت فى الأندلس ، وكانت الوسيلة الرئيسية للنقل ، واختصت بالبغال الفره، وبها يتفاخرون ويتكاثرون، ولهم منها نتاج ليس كمثله فى معادن البغال المذكورة وأصقاعها المشهورة[10] وامتازت البغال الأندلسية بحسن السير وسرعة المشي وعظم الخلقة ، واختلاف الألوان ، مع الصبر على الكد والعسف، وكثرت البغال فى قرطبة ووصلْ ثمن البغلة إلى خمسمائة دينار. وأما المائة والمائتان فكثير[11]، مما جعل اقتناء البغال وشرائها في غيراستطاعة الفقراء.

---

(1) البكري : المغرب ١٤٤، ١٤٥.
(2) المقريزي : اتعاظ الحنفا ١ / ١٤٤.
(3) الشماخى : السير ٢٨٨.
(4) الإدريسي : ٢٩٩/٣.
(5) الشماخى : السير ٣٦٠.
(6) ابن حوقل : صورة الأرض ٩٥، ابن أبى ضياف : أخبار ملوك تونس ١٣٨.
(7) مجهول : نبذة تاريخية ٣١ ابن الخطيب : أعمال الأعلام ١٥٩/٣.
(8) ابن أبى زرع : الأنيس المطرب ١٢٨.
(9) المقرى : نفح الطيب ١٨٥/١.
(10) ابن حوقل : صورة الأرض ١٩.
(11) القزوينى : آثار البلاد ٥٥٤.

وكثرت تربية الخيول بالأندلس في المناطق الرعوية المنتشرة مثل حصن مدلين قرب ماردة ومدينة ترجالة(١) ، وإشبيلية(٢) ولبلة(٣) وميرقة(٤) ، ففى شهر يناير يرعى الخيل العشب بقرطبة ، ثم يخرج عن الرعى فى فبراير ، يعلف القصيل (أى ما اخضر من الشعير) ، وفى منتصف إبريل تطلق الفحول على الرماك " الإناث" للتكاثر، ومدة حملها أحد عشر شهراً(٥)، وأخذ الاهتمام بالخيول شكلا عسكرياً أمنيا لاستخدامها فى المعارك ، واهتم بها أمراء بنى أمية ، فاتخذ الأمير الحكم بن هشام ألفى فرس بجوار قصره فى قرطبة ، وخصص لها دارين ، وعلى كل دار عشرة عرفاء، وتحت كل عريف مائة فرس يشرفون على خدمتها، وللأمير عبد الرحمن بن الحكم مائة من الخيل فى جزيرة قريبة من إشبيلية لتوافر المراعى الخصبة(٦)، وأنشئت لها خطة هي خطة الخيل (٧).

وفي المغرب اشتهرت بتربيتها جهات مدينة برقة وصدرت لمصر(٨)، ووجدت بكثرة في سهل جمودة وبادية بونة(٩) ، وعرفت خيل مدينة باغية بجبل الأوراس بالصلابة والسرعة(١٠)، واشتهرت خيل الأوراس بأنها أصلب وأسرع أنواع الخيل في المغرب(١١)، وكان الناس يهتمون بتربيتها وبأعداد كبيرة حتى أن أحد الأفراد في فحص بونة ربى قطيع كبير وصل إلى تسعين فرساً (١٢).

---

(١) الإدريسي : صفة المغرب ١٨٦.

(٢) ابن سعيد: المغرب ٢٩٢/١.

(٣) ابن غالب: فرحة الأنفس ٢٩١، ٢٩٢.

(٤) الزهرى : الجغرافية ١٢٩

(٥) عريب بن سعيد: تقويم قرطبة ٢٤، ٣٠، ٣٧، ٤٥،ابن العوام : الفلاحة ٤٩٢/٢

(٦) العذرى: نصوص عن الأندلس ٩٦

(٧) يحيى أبو المعاطي العباسي : الحواضر الإسلامية في المغرب والأندلس ٣٨٣/٢.

(٨) أبو الفدا : تقويم البلدان ١٣٢.

(٩) ابن حوقل : صورة الأرض ٧٥، ٧٦.

(١٠) البكري : المغرب ١٤٥.

(١١) الرقيق القيرواني : تاريخ إفريقية ٤١.

(١٢) الشماخي : السير ٣٨٣.

وكانت تلمسان منطقة الخيول الأساسية في بلاد المغرب، وربى بنو راشد الزناتية أفضل أنواع الخيول في جبل ونشريس، وعرفت بالخيول الراشدية " التي لها فضل على سائر الخيول[١] " ، وقامت الصناعات المتعلقة بالخيول لذلك في تلمسان حتى قيل إن الفارس يتجهز من تلمسان[٢]. كما عرفت مدينة وجدة والبوادي المحيطة بها بتربية الخيول[٣] ، كما اشتهرت جبال فزاز بنتاج الخيول، وكانت " خيل هذا الجبل من أعتق الخيول لصبرها وخدمتها، وهى مدورة القدود حسنة الخلق والأخلاق[٤] " كما اهتمت قبائل زناتة في قرية أم ربيع وبلاد تامسنا بتربية الخيول ،ووصلت شهرة خيل المغرب إلى بلاد الأندلس ، فكانت من أقيم وأطهر الهدايا المقدمة لحكام الأندلس، واستنتجوا منها أفضل الأنواع ، وقد قدم المغاربة كل عام قدراً معلوماً من خيولهم للأندلس، وبلغت في إحدى المرات نحو ٩٠٠ فرس[٥] كما استخدموا البغال والحمير لحمل غلاتهم وأمتعتهم، فاشتهرت قرى مدينة تاهرت بالبغال وقرى مدينة صبرة بالحمير[٦].

٥- تربية الطيور والنحل

مارس الفلاح الأندلسى تربية الحمام والدواجن ، واستفاد بلحومها وبيضها وروثها، وأقام للحمام الأبراج فى المواضع الباردة، وبالقرب من المزارع، وتكون فتحات الأبراج متجهة ناحية الشرق لتدخلها أشعة الشمس النافعة لها، وتميزت بيوتها بالإتساع والنظافة، وكانت للأندلسيين طريقة فى إكثار البيض بعزل الذكر عن الأنثى ثم يجمع بينهما، وتعلف بالعدس والكرسنة، ويأكل الصغار الخبز المبلول بالماء[٧]، ويبخرون أبراج الحمام بأظلاف الماعز وقرونها مع قرون الإبل لمنع اقتراب البعوض والهوام والحشرات الضارة[٨].

---

[١] ياقوت : معجم البلدان ٤٠٨/٥.

[٢] ابن سعيد : المغرب ٢٤٦/٢.

[٣] العروى : تاريخ المغرب١٤٢ .

[٤] مجهول : الاستبصار ١٨٧.

[٥] ابن أبى زرع : الأنيس المطرب ١٧٧، ابن حيان : المقتبس (ت الحجى) ١٩٠، (ت شالميتا) ٢٦٧ ، البيان المغرب ٢٥٤/١.

[٦] ابن حوقل : صورة الأرض ٨٦ المقدسي: أحسن التقاسيم ٢٢٦.

[٧] ابن العوام : الفلاحة ٧٤/١ ، ٧٧، ٦٩٢/٢ ، ٦٩٥ .

[٨] أبو الخير الإشبيلي: الفلاحة ٧٦ .

وربى الأندلسيون الدجاج فى بيوت الزراع للانتفاع بلحمه وبيعه فى الأسواق، والدجاج الكبير يبيض أكثر من الدجاج الصغير، ويعلف بنخالة القمح والذرة[١]، كما ربوا الأوز، ويعلف القطاني مما يساعد على تسمينه، وبعجين دقيق الترس والتبن المدقوق، ويعلف البط بالشعير والعدس وورق القرع وتبن القمح[٢].

وأثارت تربية الطيور "الحمام – الدجاج" بعض المشاكل ، بل أصبح مَنْ يريد إحداث برج واتخاذ حمام يسأل الفقهاء عن ذلك ، فكان الجواب أن ذلك جائز ومضى العمل به إذا لم يضر بغيره [٣]، وذلك مثل رجل يؤذيه دجاج جاره في مزرعته ، فعلى الجيران أن يمنعوا دجاجهم ويقصروها عنهم [٤].

وأراد رجل أن يبني برج حمام ملاصقاً لبرج رجل آخر بينهما عرض زقاق أو أقل من ذلك كقدر الذراع والذراعين ، فإذا أكمل بنياته وضع الحمام فيه ، وجلب إليه الفراخ كالذي جرت به العادة ، ويريد صاحب البرج القديم منعه ، وكان الرأي أن لهذا الرجل أن يبني برجه ما أحب ولا يراعي في ذلك قدم البرج ولا حدوثه [٥].

أما إذا أضر النحل والحمام بشجر القوم إذا نور بكرومهم ، فيجب منع الضرر عن الجيران [٦]، وقد يُحْدث الناس في كرومهم أبراجاً ويتخذون بها كوى للفرجة ، ويتكشفون منها على مواضع غيرهم من الكروم والجنات ، فالحكم: أنها كحكم الدور ، فيسد كل ما اتخذ عليها من الكوى [٧].

واشتكى أهل البوادي بقرطبة من أن لهم أبرجة حمام قديمة ، وأن قوماً من أهل تلك البوادي أحدثوا عليها نحلاً ، واتخذوها في تلك البوادي ، وأن ذلك النحل تضر حمام الأبرجة في مسارحها عند الماء وغيره ، حتى تحجز الحمام ، وربما أضر ذلك بالماشية عن شربها ، وكان الواجب : أنه ليس من الضرر شيء أبْين من أن يأتي الرجل على أهل قرية فيُهْلك حمامهم ويؤذي صبيانهم فيجب منعه [٨].

---

[١] ابن العوام : الفلاحة ٧١٣/٢ .
[٢] المصدر السابق ٧٠٤/٢، ٧٠٥.
[٣] المعيار ٤٣٧/٨.
[٤] المعيار ٤٨/٩ .
[٥] المعيار ٥٨/٩.
[٦] ابن سهل : الإعلام ٨٢٣.
[٧] المعيار ٤٥٠/٨.
[٨] ابن سهل : الإعلام ٨٢١ ، ٨٢٢ ، المعيار ٤٢/٩ ، ٤٣.

وتركزت أماكن تربية النحل فى قرى وجهات إشبيلية[١] وأشبونة[٢] ومـاردة[٣] وباجة[٤] وقصر أبي دانس[٥]، وبطليوس[٦] وأورية[٧] – من أعمال ألمرية – وقنتورية[٨]– من أعمال غرناطة– وجيان[٩] وغيرهم، ويوجه الفلاحون خلايا النحل ناحية المشرق والقبلة، وبالقرب من مواضع الماء والأزهار والرياحين والعشب، وتصنع الخلايا من خشب الأرز وتكون واسعة[١٠]، وللإكثار من إنتاج العسل يحول قرص العسل من مكان لآخر أو بإدخال نماذج صناعية ذهبية اللون من النحل إلى الخلية[١١]. ويتكاثر النحل فى شهر فبراير، ويتم قطف العسل فى مايو، وفى العادة يقطف العسل ثلاث مرات فى العام : فى يونيو، وسبتمبر، وفبراير، ولا يقطف العسل إلا فى يوم مشمس.

ومن الأمور المثارة في نوازل النحل قسمة الجباح "المنحلة" فيخشى أن يكون في الجبح الواحد أكثر ، فيدخله عسل بعسل متفاضلاً ، فيصير سبيله سبيل الزرع قبل أن يحصد ، أما إذا أخذ كل غلتها بعد القسمة ثم ضاعت كلها أو ضاع بعضها . فكان الجواب : أنها لا تقسم وفيها عسل حتى يستخرج العسل ، ولا يبقى فيها شيء إلا أن يترك للنحل شيء ، لا يقدر على إخراجه، ولا ينتفع به ، فيكون كمن لا عسل فيها فتقسم بقيتها [١٢].

وكان لرجل خمسون جبحاً فقال لرجل آخر اجعل أنت خمسين جبحاً ونشترك فيها ونخلط، فالجواب في هذه الحالة: إن كانت هذه الشركة على أن الأصول بينهما ولم يكن فيها عسل إلا ما لا غنى للنحل عنه لمالكها ممًا لا يعدُّ عسلاً فلا بأس به ، وإن كان إنما يشتركان

---

[١] القزوينى : آثار البلاد ٤٩٧ .

[٢] ابن غالب : فرحة الأنفس ٢٩١.

[٣] البكرى : جغرافية الأندلس ١١٩ ، ١٢٠.

[٤] ابن سعيد : المغرب ٤٠٣/١.

[٥] الإدريسي: صفة المغرب ١٨١.

[٦] البكرى : جغرافية الأندلس ٢٤.

[٧] ابن الخطيب: مشاهدات لسان الدين ٨٦.

[٨] المصدر السابق ٨٥.

[٩] الإدريسي: صفة المغرب ٢٠٢.

[١٠] أبو الخير : الفلاحة ٧٣.

[١١] ابن العوام : الفلاحة ٧٢٨/٢، ٧٢٩ .

[١٢] المعيار ١٩٤/٨.

على قيمة العسل والأصول لأصحابها كما هي فلا يحل ، وما اغتلّ كل واحد منها في حياته فهو له ، وما أخذ من جباح صاحبه ردّه أو مكيلته إن كان أنفقه [1].

ومن الأسئلة المترددة : هل يسوغ أنْ تعطى أجباح النحل لمن يخدمها بجزء منها مثل النصف ؟ ، وهل يسوغ أن يبيع نصفاً ويشترط على المشتري خدمة النصف الباقي ؟ والرأي في ذلك أنه : إن كانت خدمة النحل معروفة عند الناس فلا بأس إذا عيّنا للخدمة أجلاً معلوماً يتفقان عليه [2].

وخلاصة الرأي في : الشركة في النحل أنها تجوز في الأجباح بأن يشتري من صاحبها جزءاً منها بعد معرفة عادتها وقوة نحلها وضعفه ، وكثرة عسلها وقلته ، ويتولى هذا الجزء بجميع ذلك كله من مبتاع أو وكيله بثمن معلوم إلى أجل على أن تكون الخدمة عليهما على حسب أنصبائهما ، ولو تطوع أحدهما بها أو ببعضها بعد عقد الشركة خدمة معلومة إلى أجل معلوم جاز ذلك [3].

وأراد رجل أن يشتري النصف شائعاً من نحل في عشرة أجباح على أن يخدم المشتري النصف الآخر لبائع ذلك منه ويقوم بمؤونته ، وكان الجواب أن شراء أجباح النحل إذا كشف على رأس الجبح من ههنا ومن ههنا فيجوز ، ولا يجوز شراءها من كشف عليها[4]. وأجاز الفقهاء شراء النحل بالطعام غير العسل ، ويتم ذلك نقداً ، ولا يجوز إلى أجل إلا أن يكون فيها عسل ، و أما بيعها ولا عسل فيها فجائز [5].

وتحدث المشاكل بين الأجباح المتجاورة كما وقع المجبحتين من نحل متقاربتين ، تخرج الفراخ في وقتها من هذه وهذه وتختلط ، وكل واحد يدعيها لنفسه ، ولا يعرف قدر ما خرج له ، فتنزل في موضع واحد في مجبحة أحدهما [6]، والرأي أن يقسم ذلك بينهما .

---

(1) المعيار ١٩٤/٨.

(2) المعيار ٢٣٥/٨.

(3) المعيار ١٩٣/٨.

(4) المعيار ٢٧٠/٥ ، ٢٧١.

(5) المعيار ٦٧/٦ ، ٦٨.

(6) المالقي : الأحكام ١٩٦ رقم ٥٧٥.

وحدثت مشكلة لرجل دخل لمجبحة له ولغيره لقطع العسل ، فلما أخذ في القطع وسمع زفير النار ورآه وعلم أنها سقطت من ناره التي دخل بها المحجبة ثم لم يتهيأ له الأخذ في إطفائها حتى أكلت المحجبة وما حولها من الدور فهل الضمان عليه كشرارة الحداد ، أو يعذر بالغلبة عليه لكونها غالبة عليه وأن المجبحة لا تدخن إلا بها ؟ ، وكان الجواب: أن متوسط المجبحة ومدخل النار إليها لقطع ما تعينً له في أجباحه من العسل إن كان دخوله إليها في وقت هدوء الريح وسكونها وتناول النار على الوجه المعتاد فلا ضمان وإن دخل المجبحة في وقت هبوب الريح وتناول النار على غير المعتاد من تناولها فضمان ما احترق في هذا الوجه لازم لماله وذمته وتفريطه وتغريره والظالم أحق بالحمل عليه ، وإن جهلت حالتها من تفريط المعتاد المألوف عند جيرانه في المجبحة ، فلا ضمان عليه لما أصابت النار من المجبحة والدور ؛ لأنه فعل ما العادة أن يفعل النحالون والناس.

❀ ❀ ❀

وعرف الأندلسيون شجر التوت ويلائم مناخها الزراعى، فانتشرت تربية دودة الحرير" القز " الذى يعيش على أوراق التوت، وكانت أهم المراكز لتربية دودة الحرير قرى جيان، وبها قرى كثيرة تربى دود الحرير[١]، وكذلك فى قرى وأحواز بسطة[٢] ووادى آش[٣]، وفنيانة[٤] وقرى جبل شلير، وأحواز كورة غرناطة[٥] وحصن سنش ودلاية – قرب ألمرية– ونارجة (التابعة لمالقة)[٦]، وبطليوس[٧]. وتبدأ النساء فى تحضين دود الحرير فى فبراير، وحتى يفقس ويتولد فى شهر مارس [٨].

---

(١) الإدريسي : صفة المغرب ٢٠٢.

(٢) الحميرى : الروض المعطار ٤٥.

(٣) المصدر السابق ١٩٢.

(٤) الزهرى: الجغرافية ٩٣ ، ٩٦ .

(٥) ابن الخطيب : مشاهدات لسان الدين ٨٢.

(٦) المقرى : نفح الطيب ١/١٦٦ ، ١٦ .

(٧) البكرى : جغرافية الأندلس ٢٤ .

(٨) عريب بن سعد : تقويم قرطبة ٣٣.

وسُئِلَ أحد الفقهاء عن تربية دود الحرير بالأجرة مما يخرج منهـا ، فأجـاب : يظهـر أن تربية دود الحرير لا تجوز أصلاً على أن تكون الإجارة ممـا يخـرج منـه ، لكـن تجـوز التربية على أوجـه ومنهـا وجـه يفعلـه النـاس ، وذلك أن يخـرج صـاحب التـوت جزءاً مـن الزريعة كالنصف مثلاً والعامل النصـف الآخر ، ومستأجر صـاحب التوت العـامل بنصـف ورقه بعد نظره وتقليبه على جميع الورق والقيام على علف الدود وإعداد الآلات التي يحتـاج إليها حتى ينتهي العمل ويقتسمان لوز الحرير على نسبة الزريعة إذا تساوت قيمـة العمل مـع قيمة نصف الورق أو تقاربت ، فهذا الوجه جائز ، وفيه شبه من المزارعة ، نعم يبقى النظـر في مسألة ، وهي إذا فنيت الورق الذي استأجرا العامل لنصفها واحتاجـا ، فـالحكم فيـه أنهمـا إن احتاجا إلى زيادة ورق اشترياها معاً ، ولا يجوز أن ينفرد صاحب التوت بالشراء كما أنـه إذا بقي منها شيء فهي مشتركة ، فإن باعها اقتسما ثمنها على نسبة الشركة بينهما[١].

أمـا بيـع ورق التـوت بـالحرير المعلوم المقدار لوقت العلوفـة ، فـلا يبـاع ورق التـوت بالحرير إلى أجل يمكن أن يكون من الورق فيه حرير، ويجوز بيـع الـورق بـالحرير نقداً أو إلى أجل قريب يمكن أن يكون من الورق فيه حرير[٢]، أما قسمة لوز الحريـر فـلا يكـون إلا بالوزن [٣].

۞ ۞ ۞

وربى الفلاحون المغاربة الطيور للحصول علي اللحوم والبيض مثل الدجـاج والأوز والحمام، وطير يعرف بالكركى " الغرنوق "[٤]، واستخدموا زبلها في تسميد الأرض.

وكان لوفرة البساتين المغربية الأثر الكبير في تربية النحل واستخراج العسل ، ومـن المناطق التي عرفت بذلك مدينة جلولا التي ضرب بها المثل بطيـب عسـلها لكـثرة الياسـمين فيها[٥]، وكذلك في مدينة جزائر بنى مزغنى، وفاض فيها الإنتاج حتى صدر إلى غيرها مـن البلاد[٦] ، وفى هضـاب تل أطلس الشرقى وبخاصة قسنطينة، وفى بـوادي تلمسـان والبصـرة وتادلا وأرض دكالة وبلاد حاحة والسوس وتاهرت وبرشك وشرشال[٧].

---

(١) المعيار ٥/٥٩ ، ٦٠.

(٢) المعيار ٥/٢٣٨.

(٣) المعيار ٨/١٣٠.

(٤) القلقشندي : صبح الأعشى ٥/١١٣،١٧٧

(٥) مجهول : الاستبصار ١١٩

(٦) الإدريسي : صفة المغرب ٨٩

(٧) ابن حوقل : صورة الأرض ٧٧ وما بعدها ، الإدريسي : صفة المغرب ٨٦،٨٧

المبحث الثاني

الصناعات الزراعية

في الأندلس والمغرب

المبحث الثاني

الصناعات الزراعية في الأندلس والمغرب

تحسنت الصناعات الزراعية وما يتصل بها في المغرب مثل : النسيج والفخار والصناعات الجلدية والخشبية وغيرها ، وتزايد إنتاج المغرب منها بشكل ملحوظ واستهلكت هذا الإنتاج معظم فئات المجتمع ، ويساعد على زيادة الإنتاج من الصناعات الغذائية عوامل منها :

أولاً : توافر المواد الخام النباتية

ساهمت الحاصلات الزراعية في توفير المواد الخام النباتية اللازمة للصناعة ، فتوافر القطن في قرى وأحواز اندرش[١]، وألمرية[٢]، وفحص إلبيرة[٣]، وإشبيلية[٤]، ورندة[٥]، وفي قرى المغرب يوجد بأحواز أجدابية[٦] وطبنة[٧] والمسيلة[٨] ومستغانم[٩]والبصرة[١٠] وفاس[١١] وماسيته[١٢]، والكتان في سبيبة[١٣] وبونة[١٤] وطبنة[١٥] وتاهرت[١٦] ومتيجة[١٧] والبصرة[١٨] ، وتوافرت أشجار التوت في أحواز بسطة[١٩]، وألمرية

---

(١) الروض المعطار ٣٢.

(٢) ابن بصال : الفلاحة ١١٤.

(٣) ابن سعيد : المغرب ٩١/٢.

(٤) الروض المعطار ٢١.

(٥) ابن سعيد : المغرب ٣٢٩/١.

(٦)الإدريسي : صفة المغرب١٣٨

(٧) ابن حوقل : صورة الأرض٧٤

(٨) المصدر السابق٨٦

(٩) البكري : المغرب٦٩

(١٠) ابن حوقل : صورة الأرض٨٠

(١١) المصدر السابق٨٨

(١٢) البكري : المغرب١٥٥

(١٣) ابن حوقل : صورة الأرض٧٥

(١٤) المصدر السابق٧٦

(١٥) السابق٨٤،٨٥

(١٦) اليعقوبي : صفة المغرب٢٩

(١٧) البكري : المغرب٦٥

(١٨) المصدر السابق ١١٠.

(١٩) الروض المعطار ٤٤، ٤٥ ، المقري : نفح الطيب ١٦٢/١.

وقابس فيقوم من الشجرة " الواحدة منها من الحرير مالا يقوم من خمس شجرات من غيرها[١]

وجلب الصمغ من أرض صنهاجة جنوبي المغرب الأقصى[٢] ، ومن درعة جلب ثمر التاكوت الذي يدبغ به الجلد[٣]. وكثر الزيتون في جبل نفوسة[٤]وقرى قابس[٥] وصفاقس[٦]، وساحل القيروان[٧]، وتونس[٨] ووهران[٩] وبسكرة[١٠] وفاس[١١] وغيرهم ،كما توافر التين والنخيل وغيرها من المنتجات التي رصدت في الحياة الزراعية في المغرب .

ثانياً : النشاط التجاري والاجتماعي :

وكان لنشاط التجارة أثره الواضح في رواج منتجات الصناعة الزراعية، حيث توفرت الأسواق الداخلية والخارجية لتصريفها، وأعطى الاستقرار فرصة طيبة للإنتاج والاستهلاك المحلى للسلع المصنعة كل حسب متطلباته من الصناعات الكمالية أو الضرورية، وتتغير هذه الصورة وقت الثورات والفتن والحروب[١٢] .

وارتبطت الصناعات والحرف بالمدن أكثر منها بالريف فعندما تنشأ مدينة تنظم فيها الأسواق والدكاكين مثلما حدث في المهدية حيث رتب فيها الصناعات، وجعل لكل طبقة سوقاً خاصا بهم[١٣]، وفى القيروان وجعل كل صناعة في مكانها[١٤] "

---

[١] البكري : المغرب ١٧.

[٢] السابق١٥٧.

[٣] المصدر السابق١٥٢

[٤] المصدر السابق٩

[٥] المصدر السابق٧

[٦] السابق٦٠

[٧] اليعقوبى١١

[٨] البكري :المغرب ٣٩

[٩] السابق٩

[١٠] السابق٧٢

[١١] أحسن التقاسيم٢٢٩

[١٢] ابن خلدون : العبر ٤/٣٨،٤٨ البكري : المغرب ٣٠

[١٣] البكري : المغرب ٣٠ سوادى عبد محمد: الأحوال الاجتماعية والاقتصادية في المغرب ٣٣٦-٣٤٥

[١٤] ابن عذارى: البيان المغرب ١/٦٨

أهم الصناعات الزراعية في الأندلس والمغرب

١- المنسوجات :

أنتج الأندلسيون أنواعاً عديدة من المنسوجات منهـا : الحريريـة والصوفيـة والكتانيـة والقطنية والبسط[١]. أما الحرير فقد تعددت أنواعه ، فمنـه الحلل الموشية وينسج فـي قـرى ألمرية وقرطبة ومالقة ومرسية[٢]، ومنه الديباج المصلوع في ألمرية وقرطبة ومرسية[٣]. أما العتابى فاشتهرت به ألمرية ، واستخدمت النساء المعـاجر الشفافة لتغطيـة الوجـه[٤]، وهنـاك السقلاطون والخمر والأصبهانى والجرجانى[٥].

ويرجع انتشار صناعة الحرير في الأندلس للعناية بتربيـة دودة القـز ووفـرة شـجرة التوت التي تتغذى عليها دودة القز، وكانت مدينة ألمرية أكبر مدينة في صناعـةالحرير، فبلـغ عدد الأنوال بها ٨٥٠٠ نول[٦]، وعرفت بعض القرى بتجهيز الحرير مثل قرية " نارجه " – من أعمال مالقة – وصنع الديباج بقرية " فنيانة " بالقرب من وادى آش[٧].

وكان الصوف أكثر الملابس انتشاراً لبرودة الأندلس وخاصة في فصل الشتاء، ومن المنسوجات الصوفية البسط " السجاد" والأوطية واللبود والممطـر " فلـم يسـاوهم فـي أعمـال لبودهم أهل بلد على وجه الأرض"[٨]، واشتهرت أرياف قونقة وجنجالة وسرقسطة بصناعـة الأوطية والبسط، ويصف ابن حوقل[٩] صناعة الصوف بالأندلس" ومن الصوف قطع كأحسن مـا يكـون" ، ومـن المنسـوجات الصوفيـة صـوف البحـر الـذى يحصـل مـن دابـة بحريـة فـي

---

(١) أحمد العبادى : من مظاهر الحياة الاقتصادية في المدينة الإسلامية ١٤٢ وما بعدها

(٢) الإدريسي : صفة المغرب ١٩٧

(٣) ابن سعيد : المغرب ١٩٣/٢

(٤) السيد سالم : تاريخ ألمرية ١٥٨

(٥) الأهوانى : ألفاظ مغربية من كتاب ابن هشام ٥٦/١

(٦) المقرى : نفح الطيب ١٦٢/١ عبد العزيز مرزوق: الفنون الزخرفية ١٤ ديماند : الفنون الإسلامية ٢٧١

(٧) المقرى : نفح الطيب ١٧٨/١، الحميرى: الروض المعطار ١٤٤،١٤٣

(٨) ابن حوقل : صورة الأرض ١٠٩

(٩) المصدر السابق

شنترين[١]، وصنع من وبر القنلية والسمور معاطف الفراء لتجنب البرد القارس في الشمال، ولذلك صنعت في سرقسطة وطرطوشة[٢].

وشاعت صناعة البسط والسجاد من شَعْر الماعز في الريف الأندلسى مثل أرياف تدمير وبسطة[٣] وقرية تنتالة " تعمل بها البسط التي يغالى في ثمنها بالمشرق[٤]" وانتشرت المنسوجات القطنية والكتانية في المناطق التي عرفت بزراعتها مثل جهات إشبيلية وغرناطة ووادى آش وبلنسية وباجة وإلبيرة وبجانة[٥]، وفى المناطق الريفية صنع من القطن أقمصة عرفت بالدراريع[٦]

وفي المغرب كثر إنتاج الحرير في أفريقية فكانت قابس أهم مراكز صناعة الحرير لزراعة شجر التوت وتربية دودة الحرير، وكان حريرها " أطيب الحرير وأرقه [٧]" ولكنه توقف في القرن الخامس لقول الإدريسى : وكان بها - أي بقابس - فيما سلف خرز يعمل به الحرير الحسن[٨]" ويبدو أن صناعته انتقلت إلى قرية تبعد عنها ثلاثة أميال تسمى قصر سجة وبها " سوق وباعة وحريريون كثيرون[٩]" كما جهز الحرير في القيروان وسوسة وأرسل إلى الفاطميين في مصر[١٠]، ونسب إلى مدينة تلمسان أقمشة من الحرير[١١]. وأشهر أنواع الحرير في أفريقية العتابي والتسترى " وهو موشى بالذهب[١٢] .

---

(١) الاصطخرى : المسالك والممالك ٣٥ ابن خلكان: وفيات الأعيان ١٣٧/٦،١٣٨ - ترجمة رقم ٨١٦ .

(٢) ابن غالب : فرحة الأنفس ٢٨٧-٢٨٨ القزويني : آثار البلاد٢٤٥ .

(٣) الحميرى : الروض المعطار ٩ ، ١١٣ ، ١٨٧/١.

(٤) المقرى : نفح الطيب ١٨٧/١، ثلاث رسائل في الحسبة ٥٠ ، ٨٧.

(٥) مرزوق : الفنون الزخرفية ١٢٢ جمال محرز : السجاد الاسلامى ومشتقاته في أسبانيا ١٨٥ المجلة التاريخية المغربية١١/١٩٦٣.

(٦) السقطى : آداب الحسبة ٦٣ ، ٦٨ .

(٧) البكري : المغرب ١٧.

(٨) صفة المغرب ١٠٦.

(٩) المصدر السابق ١٠٦.

(١٠) أرشيبالد لويس : القوى البحرية والتجارية ٣٢٩.

(١١) القلقشندي : صبح الأعشى ١٤٢/٥.

(١٢) حسن إبراهيم حسن وطه شرف : المعز لدين الله ٣٥،راشد البراوى: حالة مصر الاقتصادية ١٣٣.

أما الأنسجة القطنية فصنعت في تونس، وفيها صنع القماش الأفريقي وهو خليط من القطن والكتان والسفسارى وهى من خيوط الحرير والقطن[1]. وتصنع أيضاً في رقادة الأقمشة القطنية[2]، كما اشتهرت بالمنسوجات القطنية قرى ومدن جنوب وادي أم الربيع في المغرب الأقصى لتوفر زراعة القطن[3]، وعرفت بهذه الصناعة مدن داى وتالى وسلا .

وعرفت بلاد المغرب صناعة المنسوجات الكتانية، وأهم مراكز صناعتها مدينة سوسة لزراعة الكتان في قراها وأحوازها بين سوسة والحمام، وكان لهذه القرى الآبار التي ينقع فيها الكتان ويبيَّض[4] "والثياب السوسية معلومة لا يوجد لها نظير لها بياض رائق وطبيعي لا يوجد في غيرها[5]، ومدينة القيروان ترسل كتانها إلى مصانع سوسة لصنعها[6] ، وصنع في مدينة تونس ثياب كتانية عرفت بالقماش الأفريقي وهو من الكتان أو من الكتان والقطن " وهو أجل كساوى أهل المغرب[7] "، واشتهرت به أيضا مدينةً البصرة في المغرب الأقصى حتى عرفت ببصرة الكتان[8] ،وفى مدينة (آمرغو) عدد من نساجى الكتان[9] ، وكذلك في بلاد السوس يجلب منها " الأكسية والثياب الكتانية الرفيعة التي تسمى السوسى"[10].

أما المنسوجات الصوفية فكانت أكثر انتشاراً في بلاد المغرب لتوفر المراعى التي ربى فيها الحيوانات مصدر الوبر والأصواف، وتمركزت صناعة المنسوجات الصوفية في

---

(1) القلقشندي : صبح الأعشى ١٤٢/٥.

(2) الدباغ : معالم الإيمان ٣٤،٣٣/٤.

(3) الإدريسي : صفة المغرب ٧٥.

(4) حسن حسنى عبد الوهاب : ورقات عن الحضارة ٧٤،٧٣/٢.

(5) مجهول : الاستبصار ١١٩.

(6) البكري : المغرب ٣٦.

(7) العمرى: مسالك الأبصار: نشر في كتاب (وصف إفريقية والمغرب) صـ٧ نشر حسن حسنى عبد الوهاب

(8) البكري : المغرب ١١٠، مجهول : الاستبصار ١٨٩.

(9) الوزان : وصف إفريقية ٣٠٧

(10) ابن إياس : نشق الأزهار في عجائب الأقطار صـ٧٢٦، عبد المرضى عطوة: العلاقات بين المغرب والأندلس (دكتوراة دار العلوم ١٩٨٩م) ٢٤١.

مدن إفريقية مثل : برقة وسرت وأجدابية وطرابلس وودان[1] ،وامتازت طرابلس بالأنسجة الصوفية، وبها الجهاز الكثير من الصوف المرتفع وطيقان الأكسية الفاخرة الزرق والكحل النفوسية والسود والبيض الثمينة[2] ، واشتهرت جزيرة جربة" دون غيرها من البلاد بحسن الأصواف المحمودة والأوصاف التي ليس بإفريقية من أنواعها نظير، وذلك معلوم من أمرها شهير[3] .

وكثرت صناعة الأصواف أيضاً في قابس[4]، وصنع في قفصة أردية وطيالس وعمائم من الصوف غاية في الرقة[5]، وصنع في قسطيلية أنسجة صوفية من الشقة والكسى والحنبل وحمل منها إلى جميع الأقطار[6]،وكذلك في مدينة درجين الأكسية الدرجينى[7]، وفى بلاد المغرب الأقصى صنع الصوف بوجدة، وبلغ ثمن الثوب الجيد خمسين ديناراً أو أكثر[8]، وغزل الصوف في سجلماسة "وكان لنساء سجلماسة" شهرة كبيرة في صناعة غزل الصوف، فهن يعملن منه كل حسن عجيب بديع من الأزر ويبلغ ثمن الإزار خمسة وثلاثين ديناراً أو أكثر يصبغونها بأنواع الأصباغ[9] " واشتهر أيضاً حصن يرارة – في الطريق بين فاس وسجلماسة – بصناعة الصوف " وهو بلد يحسن فيه الغنم وأصوافها كثيرة، ومن أجودها وأحسنها [10]، وكانت الملابس الصوفية أغلب ما يلبسه الرجال والنساء في مدينة لمطة، كما وضع الرجال على رؤسهم عمائم من الصوف [11]، وفي بلاد السوس صنعت الأكسية الرقاق والثياب الجيدة. [12]

---

(1) ابن حوقل : صورة الأرض ٦٦،٦٩.

(2) المصدر السابق ٦٩.

(3) التيجانى : الرحلة ١٢٢.

(4) ابن حوقل : صورة الأرض ٦٩.

(5) مجهول : الاستبصار ١٥٤.

(6) حورية عبده عبد المجيد : علاقات مصر ببلاد المغرب (دكتوراة، آداب القاهرة ، ١٩٧٤م) ١٨٤.

(7) مجهول : الاستبصار ١٧٧.

(8) مجهول : الاستبصار ١٥٩.

(9) البغدادى : مراصد الإطلاع ٦٩٢/٢ ، ياقوت : معجم البلدان ١٩٢/٣.

(10) البكري : المغرب ١٤٧.

(11) الإدريسي : صفة المغرب ٥٨.

(12) المصدر السابق ٩٢.

واستخدم النول اليدوي في هذه الصناعة ، وشاعت عادة تأجيره لمدة معلومة، وبأجر معلوم، واحتاج الكتان لأيدي عاملة كثيرة لكثرة مراحل صناعته، وكانت هذه الصناعة كثيرة في البيوت ويقوم بها النساء الفقيرات أو نساء الزاهدين أو تغزله الجواري[1].

۞ ۞ ۞

وكثرت النوازل عن بيع المنسوجات وعيوبها وغير ذلك من القضايا ، مثلما باع رجل إلى آخر صوفاً بنسيئة ، وقيل في الوثيقة : إن لفلان ابن فلان قِبَل فلان كذا وكذا ثمن صوف باعه منه فاختلط القابض للصوف في عقله ، وثبت الدين لبائع الصوف ، وكان له عنده دين آخر فباع منه هذا الصوف عند حلول أجل الدين الأول ، ففسد بيعه للصوف لأجل سبب التهمة في أن يكون بيعه للصوف ليقضي منه دينه [2].

اشترى رجل لنفسه ربع مائة من صوف ، وقبضه من بائعه ، ثم إنَّ رجلاً اشترى منه نصف الصوف المذكور وشاركه فيه ، ثم قال المشتري للنصف أنا شريك معه في ذلك فسافر بجميعه وبعه ، واشترِ بالثمن قمحاً ويكون بيني وبينك وإن لم تشترِ وفضل ربحٌ فَهُوَ والثمن بيني وبينك ، فلما وصل منصرفاً قال لشريكه : هال عليَّ البحر ورميت في البحر من القمح الذي كان في المركب وقد وجب عليك في المركب عشر مثاقيل وهذا بقية ذهبك ، قال له : وهذا القمح : قال : اشتريته لنفسي في نصيبي ولم اشترِ لنفسك ولا بينة بينهما على شيء من ذلك.

والحكم في ذلك : إذا كان الأمر على ما ذكرته لزمته الشركة في الجميع إذ ليس له المقاسمة والمفاصلة بمغيب شركيه إلا أن يكون إنما اشترى هذا القمح لنفسه بمال آخر من غير مال الشركة ، فالقول قوله في ذلك ، وله الأجرة بقدر عمله في نصيب شركيه [3].

وجلب رجل بزّاً ، فأقامه على أناس بخمسين ديناراً على أن يكون معهم شريكاً في فضل تلك القيمة ، ولم يجز هذا البيع ؛ لأنه إما أن يكون معهم شريكاً في الفضل ، لأنه لم يدر ما باع ولا دَرَوا ما اشتروا [4].

---

(1) الونشريسي : المعيار ٢٢٢٣/٥، ١٢٨/٤ ، ٣٠٧/٨ ، معالم الإيمان ٢٦٦/٢ ، ترتيب المدارك ١٢١/٥، آدم متز : الحضارة الإسلامية في القرن الرابع ٣٥٤/٢.

(2) المالقي : الأحكام ٢٤٨ رقم ٤٣٧.

(3) عياض : مذاهب الحكام : ٢٤٠ ، ٢٤١.

(4) المالقي : الأحكام ٣٠٩ ، رقم ٥٩٧ .

وتعددت مشاكل بيع الثياب ، ومن ذلك دفع رجل لآخر ثياباً ليبيعها بالنقد ، وخرج صاحب الثياب إلى بلد آخر ، فباعها المأمور إلى أجل ، إذ لم يجد مَنْ يشتريها منه بالنقد ، وكتب إلى صاحبها يعلمه بذلك ، ثم مات المأمور ، فادعى وارثه على صاحب الثياب أنه أمره أن يبيعها إلى أجل إن لم يجد مَنْ يشتريها منه بالنقد ، ووكل الوارث مَنْ يقبض أثمان الثياب فقبضها ، وادعى أنها تلفت بيده [1].

ودفع رجل ثوباً لمن يبيعه له بجُعْل ثم يدفعه بعده إلى غيره ليبيعه له بُجعْل فباعه ، ثم قام الأول يطلب جعله ، فقال : نعم يعطى جُعْله مثله في قدر قيامه وإشهاره له [2]، وتنازع خصمان في بيع ثياب ، فقال أحد الفريقين : إن موروثهما باع ثياباً من يهودي وبقي الثمن عنده ، وقال المطلوب اليهودي : إنه دلال ، باع ، وأورد الثمن وأخذ إجارته[3].

ومن أكثر القضايا وروداً في نوازل الثياب هي العيوب والتلفيات التي تحدث بالأثواب ، مثل رجل باع كساءه أو رداءه وقبض الثمن ، فقال له البائع : أبلغ إلى الدار وآخذ لنفسي كساءاً أو رداءاً ، وآتيك بكسائك ، فاختلس الكساء ، وفي هذه الحالة الضمان من المشتري[4]، أما المرتهن الثوب إذا أفسده الفار عنده فأراد صاحب الثوب أن يضمنه ، فإن جاء المرتهن بالبينة أنه قرض الفأر من غير تضييع فلا ضمان عليه ، وإن لم يأت بالبينة فهو ضامن [5].

وإذا استعارت امرأة ثياباً ، وذهبت إلى بيتها ليلاً فوضعت الثياب مع ثيابها على مشجب لها في بيتها ، فجاء سارق فسرق الثياب مع ثيابها ، فهي ضامنة [6].

وكان عند رجل ثوباً أو غفارة ، وكان فيها مكان مرفوءً ظاهراً ، فأخذه وأصلحه بأن مشي عليه وأخفاه ، فإن كان سمائياً مشى عليه بشيء من المداد ونحوه ، وإن كان أحمر مشى عليه زعفراناً أو عكراً وباعه في السوق ، ولا يعرف به ، غير أنه لا يخفى على المشتري موضع الرفو لكنه لو تركه على لونه لنقص من ثمنه ، وكذلك الخياط يأخذ ملحفة

---

(1) ابن رشد : الفتاوى ١٤٥٨/٣، المعيار ٣٣٧/١٠ ، البرزلي : النوازل ٧٩٨/٢.

(2) عياض : مذاهب الحكام ١٦٩ .

(3) المالقي : الأحكام ١٢٣ رقم ١١٩ ، ابن سهل : الأحكام ٥٣٩ ، ٥٤٠.

(4) المعيار ٧٦/٦.

(5) المالقي : الأحكام ١٨٤ ، ٢٦٨.

(6) المالقي : الأحكام ١٨٣رقم ٢٦١.

بالية من قطن فيصبغها ويكمدها ويصنع منها أشياء ويبيعها أو ملحفة بالية من كتان يكمدها ويصنع منها سراويل ويبيعها وهي في ظاهرها جدد ولا يعرفها إلا التاجر فقط [١].

ولم يجز الفقهاء أن يأتي الرجل إلى الحائك فيجد عنده ثوباً قد نسج جله وبقى بعضه، فيشتري منه وينقده ثمن الثوب حتى ينسج الثوب [٢]. وهناك عيوب في الثياب مثل [٣]: بيع الجبة أو الساج ، وقد قُلِب ، وكذلك الثوب يلبس أسمر حينا ، ثم يقصر فهو عيب ، والقلنسوة من ثوب لُبس فلا يردها إلا أن يكون فاسداً معمولاً من الخلقان ، ومَنْ وجد مقعدة السراويل خلاف باقيه ، وكان بينهما التفاوت فله الرد .

٢- الصباغة

ارتبطت الصباغة بالمنسوجات ارتباطا وثيقا ، لأن الصباغة آخر مرحلة في صناعة النسيج ، وتكون دور الصباغة بعيدة عن المساكن ، وقريبة من الأنهار[٤] ، وتعتمد الصباغة على مجموعة من الألوان التي توافرت خاماتها في الأندلس مثل اللون الأحمر المأخوذ من القرمز، وكان يوجد في قرى إشبيلية وشذونة وبلنسية وطليطة ولبلة ، ويرسل من هذه القرى الى باقى الأندلس[٥].

وكان الفلاحون يخرجون لجمع القرمز المتساقط من أشجار البلوط وغيرها في شهرى مايو وأغسطس[٦]. واختص القرمز بالمنسوجات المشتقة من الإنتاج الحيوانى . أما المنسوجات الأخرى فاستعملوا لها الطين الأحمر[٧]، ولصبغ اللون الأصفر استخدم العصفر المتوفر في قرى لبلة[٨]، وشاع استخدامه لدى الفئات المترفة[٩]، واشتق اللون الأصفر من

---

(١) المعيار ٢٠٣/٦.

(٢) المعيار ٢٠٥/٦.

(٣) المعيار ٥٠/٦ ، ٥١.

(٤) الونشريسى : المعيار ١٤٢/٦ .

(٥) البكرى : جغرافية الأندلس ٨٨-١٢٦،١٢٨ .

(٦) عريب بن سعد : تقويم قرطبة ١٣٣،٩١ المقرى : نفح الطيب ٢٠١/١

(٧) ابن سيدة : المخصص ٩٦/٤.

(٨) العذرى : نصوص عن الأندلس ١١١ ابن سعيد : المغرب ٣٣٩/١.

(٩) ابن حيان : المقتبس (ت مكى) ١٥٩.

الزعفران الموجود في قرى طليطلة وباغة وبياسة[1]، ومن مواد الصباغة الموجودة في قرى الأندلس الزنجعر الموجود في قرى فحص البلوط وقرية بسطاطة من أقاليم قرطبة[2]، ومن نباتات الصباغة: الفوة ، ويخرج الفلاحون لجمعه في شهر سبتمبر من كل عام[3]. وعرف الأندلس بهذه الأصباغ ، "الأصباغ فيه فيما يعانون بدائع بحشائش تختص بالأندلس" [4] وراقب المحتسبون أصحاب هذه الصناعة لمنع الغش فيها[5].

واتخذ المغاربة مواد الصباغة مثل النيلة الموجودة في السوس الأقصى[6] ،والقرمز في صناعة القماش والصوف، والعصفر المستورد من إشبيلية بالأندلس[7]، وبلغت دور الصباغة في فاس ١٦٦ داراً، واستخدم أهل سجلماسة الأصباغ بأنواعها[8]، وفي درعة استخدم أنواع خاصة من الأصباغ[9] ،وأجاد صنّاع الصباغة عملهم حتى إنهم يصبغون الملابس البالية فتبدو كالجديدة[10] . واحتاجت هذه الصناعة لأماكن متسعة، وأقيمت دور الصباغة عادة على الأنهار، للقيام بعمليتي التجفيف والتنظيف[11]

٣- طحن الغلال وصناعة الخبز :

يعد طحن الغلال من الصناعات الغذائية الرئيسية ، وعمل في المطاحن والأرحاء العديد من العمال ، ولايتصور مدينة أو قرية تخلو من مطاحن الغلال لأنها ترتبط بغذاء الإنسان ، حتى إنها كانت على أبواب منازل جيان[12]، وتوجد المطاحن والأرحاء – غالباً –

---

[1] البكرى : جغرافية الأندلس ٨٨، ابن غالب: فرحة الأنفس .

[2] ياقوت : معجم البلدان ٤٩٢،٤٥٥/١.

[3] عريب بن سعد : تقويم قرطبة ١٤٣، الزبيدى : طبقات اللغويين٧٧.

[4] ابن حوقل : صورة الأرض ١١٤.

[5] السقطى : آداب الحسبة ٦٣ ، ابن الأخوة : معالم القربة ٢٢٤.

[6] لومبار : الإسلام في عظمته الأولى ٢٧٣.

[7] ابن أبي زرع : روض القرطاس ٢٦.

[8] ياقوت : معجم البلدان ٣ / ١٩٢.

[9] البكري : المغرب ١٨٠،١٧٩ مجهول : الاستبصار ٢٠٧.

[10] الونشريسي : المعيار ١٤٢/٦.

[11] المصدر السابق ١٤٢/٦.

[12] الإدريسي : صفة المغرب ٢٠٢، الحميرى : الروض المعطار ٧١،٧٠.

على حواف الأنهار[١]، ويعمل في هذه المطاحن والأرحاء طحانون محترفون يطحنون الغلال للناس نظير أجر معين[٢].

ولجأ الطحانون – كما أوضحت كتب الحسبة – للغش والخداع بطرق عديدة ، ولكن حِرْص المحتسب على مراقبتها قلل من ذلك، ومن هذا الغش: سقى القمح بالماء والاستئثار بما يعادل وزنه قمحا كما حدث في مالقة[٣]، ومنهم من يخلط سئ الحنطة بجيدها وعتيقها بجديدها ، ويلزم المحتسب الطحانين بغربلة الغلة من التراب وتنظيفها من الغبار ، ويرشوا على الحنطة ماء يسير ليزيدها ذلك ، ويغير مناخل الدقيق كل ثلاثة اشهر أو أقل من ذلك ، ويمنعهم الطحن بعد نقل الحجر مباشرة لأن ذلك يضر بالناس[٤] .

وصناعة الخبز بأنواعها موجودة في المدن والقرى ، ويتعدد نوع الخبز حسب المزروعات المستخدمة فيه مثل: خبز القمح، وخبز الأرز، وخبز اللوبيا، والدخن، والحمص وغيرها[٥]، ويشترى الخبز كل يوم من الفران ، أما في الريف فيصنع كل بيت خبزه في بيته – غالباً – ، والخبز له وزن وشكل محدد ، وخضعت هذه الصناعة الرئيسية لمراقبة المحتسب في كل مرحلة من مراحلها[٦].

وكانت أبرز الظواهر في الخبز أنه يوجد ناقصاً حين يوزن وهو طري ما يصنع به وبالرجل الذي خبزه ، لا سيما إن تكرر ذلك منه؟ ، فكان الحكم : إن كان تكرر هذا الفعل من هذا الخباز أقيم من السوق ، لا يترك في الأسواق من تكررت الخيانة منه والسرقة . ثم إن كان فقيراً ترك خبزه بعد كسره ، والصدقة ببعضه حسن ، وإن كان موسعاً عليه ، يتصدق به عليه ، فالصدقة تجمع وجهين : أحدهما أن الصدقة أشد في العقوبة ، والثاني أن الغالب ممن هذا شأنه أنه يجتمع في ذمته من السرقة ما يوجب أن يؤخذ ويتصدق به للجهل

---

[١] عز الدين أحمد موسى : النشاط الاقتصادى ٢٣٧ .

[٢] السقطى : آداب الحسبة ٢٤،١٦.

[٣] المصدر السابق ٢٢،٢١.

[٤] ثلاث رسائل في الحسبة ٩٠،٨٨.

[٥] عبد الملك بن حبيب : مختصر في الدواء ٥٥،٥٤ ، ابن العوام: الفلاحة١/٢٥١ الى ٢٥٩.

[٦] السقطى : رسالة في الحسبة ٢٣،٢٢ ، أحمد فكرى : قرطبة ٢٥٤، ٢٥٥.

بالمسروق منه ، ومن تكرر منه مثل ذلك في الدقيق ، أقيم من السوق أيضاً ويجرى في أمره بالصدقة نحو ما تقدم في الخباز ولم يُنص على ضرب ولا سجن [١].

ولم يجز الفقهاء المبادلة لإمام مسجد اجتمع له في فرن الأحباس دقيق مختلط من الذرة والقمح والسلت ، مبادلة بالذرة أو القمح حبوباً في كفة والدقيق في الكفة الأخرى [٢]، ولكن العلماء أجازوا بيع الذرة المخلوطة بالغبار قبل أن تغربل إن كان الغبار قليلاً ، وإن كان كثيراً فلا يجوز البيع .

وقد يتقاضى الخباز لإنضاج الخبز المجهز في المنازل أجره عينا ، وهوقطعة من العجين، ويجمع في آخر النهار حصته ويبيعها في السوق ، ومسؤلية الفران أيضا كبيرة في استخدام الأحطاب المحددة المواصفات من قبل المحتسب[٣].

٤- السكر

يرجع الفضل للمسلمين في تعريف العالم نبات قصب السكر [٤]، ونقل إلى الأندلس في القرن الرابع الهجري ، فزرع في مناطق الجنوب الحارة مثل: غرناطة وإشبيلية ومالقة والمنكب وجليانة [٥]، وتوسع المسلمون في زراعته وتصنيع قصب السكر طيلة تاريخهم في الأندلس [٦].

ويحمل قصب السكر إلى المعاصر ، فيعصر بأحجار خاصة ، ولها مصانع خاصة أطلق عليها الأندلسيون : المسابك أو المطابخ ، وزودت بطواحين لإدارة الآلات البسيطة المستعملة [٧].

---

[١] المعيار ٤٨٨/٦.

[٢] المعيار ٢٤١/٥.

[٣] ابن عبد الرؤوف : في آداب الحسبة والمحتسب ٩١.

[٤] راشد البراوي : في الاقتصاد الإسلامي ٦٤ ، وحالة مصر الاقتصادية ١٧٦.

[٥] الحميري : الروض المعطار ٢١ ، ٢٤ ، ياقوت : معجم البلدان ١٣٠/٣.

[٦] الشرقاوي: الحياة الاقتصادية في الأندلس (دكتوراه ، كلية الآداب ، القاهرة ١٩٥٧م) ٨٥ ، العبادي : الإسلام في أرض الأندلس (عالم الفكر ، الكويت ، ع١مج١١، ١٩٧٩م) ١٤٢.

[٧] ابن غالب : فرحة الأنفس ٢٩٦ ، خلاف : قرطبة ١٦٤ .

واستعمل السكر في حياة الأندلسيين كثيراً ، وزاد الاستعمال في حياة الأثرياء لكثرة استعمال الحلويات ، وكذلك في حياة بقية الأندلسيين في الاحتفالات مثل: الزواج والختان أو الأعياد الدينية والمناسبات السياسية والعسكرية ، فتصنع الفطائر والحلوى التي يدخل فيها صناعة السكر [1].

وعرفت بلاد المغرب صناعة السكر لزراعتها قصب السكر ، فانتشرت صناعته في بلاد السوس ، فأكثر ما يعمل في بلاد السوس من السكر المنسوب إليها ما يعم أكثر الأرض... بل يشف على جميع أنواع السكر في الطيب والصفاء[2] "، ولما كان أهل السوس يفضلون العسل عن السكر فقد صدروا معظم إنتاجهم[3] .

وتضاعف إنتاج السكر في المغرب لكثرة معاصره في مدينة إيجلى الموصوفة بأنها " كان يعمل بها السكر كثيراً ، وكان قنطار سكرها يشترى بمثقالين وأقل[4] " وفي مدينة تارودنت كثرت معاصر السكر وعم إنتاجها الأندلس وإفريقية[5] ، وانتشرت المعاصر في سلا والجزائر ومراكش ، وبلغت معاصر مراكش نحو أربعين معصرة[6] ، وسكر مراكش في نهاية البياض ولطيف المذاق[7] ، واشتهرت مدينة ثيبوت- من مدن السوس- بمعاصرها الكثيرة ، وقصدها التجار من البلاد وحولها[8] .

وتتم صناعة السكر عن طريق استخدام السواقي لإدارة العجلات لعصر القصب ، ثم يجفف أو يوضع في أفران أو أواني فخارية[9] .

٥- الزيوت والصابون

استخدم الزيت في مجالات حياة الإنسان المختلفة مثل: الأطعمة، وإضاءة البيوت ، والمساجد، والحمامات ، وسائر المرافق .

---

(١) هنري بيريس : الشعر الأندلسي في عصر الطوائف ٢٧٨.
(٢) الإدريسي : صفة المغرب٦٢.
(٣) مجهول : الاستبصار ٢٢٦ القلقشندي : صبح الأعشى٥/١٧٦.
(٤) البكري : المغرب ٦١، ١٦٢.
(٥) مجهول : الاستبصار ٢٢٦.
(٦) القلقشندي : صبح الأعشى٥/١٧٦.
(٧) ابن سعيد : الجغرافية١١٧.
(٨) مارمول : إفريقيا٢/٩٢.
(٩) بول برثى : قصب السكر في المغرب (مجلة البحث العلمي ، الرباط ع ١ سنة١٩٦٤ م) صـ٣٥، ٣٨

واستخرج الزيت من الزيتون والكتان ، أما السمسم فكان قليلا ، وأهم مناطق إنتاج زيت الزيتون في الريف إقليم الشرف بإشبيلية ، فأنتج أفضل أنواع زيت الزيتون لتحمله التخزين لفترات طويلة دون أن يتغير له طعم أو رائحة أو لون ، ويصدر للبلا د المجاورة[1]، وعصر أيضاً في قرية شوذر من أعمال جيان و " تعرف بغدير الزيت لكثرة زيوتها "[2] ، كما عصر أيضاً في قرى غرناطة[3]وبلنسية[4] ولبلة[5]وشريش[6] وقرمونة[7] وميورقة[8] ودانية[9] وقبرة[10] وهناك ثلاثة أنواع من زيت الزيتون تبعاً لطرق استخلاصها وهى : زيت الماء ، وينتج من طحن بسيط للثمار أو سلقها بالماء الساخن ، وهو أفضل أنواع الزيوت ، ثم زيت المعصرة ، والنوع الثالث هو النوع المطبوخ[11]، ومن الزيوت الأخرى: زيت السمسم وزيت الجوز واللوز والخروع[12].

وامتلك الأندلسيون كثيراً من معاصر الزيوت التي تدار بقوة تيار الماء أو بالدواب ، ويمر عصر الزيت بعدة مراحل أوضحتها المصادر ، ويشرف المحتسب على صناعة الزيوت، فيمنع فيها الغش والتدليس " ويمنع معاصر الزيت أن يعصر فيها زريعة الكتان لئلا تعلق رائحته بالزيت[13] " .

وارتبطت صناعة الصابون بالزيت ، وازدهرت معه ، فالفقيه عمر بن حفص الثقفى اتخذ أعوانا لعمل الصابون على باب داره[14] ، ويبدو أنه لم يكن لهم سوق خاص بهم .

---

(1) العذرى : نصوص عن الأندلس ٩٥،٩٦ الحميرى : الروض المعطار ١٩،٢١،١٠١.

(2) الحميرى ": الروض المعطار ١١٧.

(3) الزهرى : الجغرافية ٩٦ ، ابن غالب : فرحة الأنفس ٢٨٤ .

(4) ابن غالب : المصدر السابق ٢٨٥ .

(5) السابق ٢٩٢.

(6) الإدريسي : صفة المغرب ٢٠٦.

(7) ابن غالب : فرحة الأنفس ٢٩٣ .

(8) الزهرى : الجغرافية ١٢٩ .

(9) ابن غالب : فرحة الأنفس ٢٨٥ .

(10) ابن غالب : فرحة الأنفس ٢٨٢ .

(11) ابن عبد الرؤوف : ثلاث رسائل في الحسبة ١٠٥.

(12) عبد الملك بن حبيب : مختصر في الطب ٦١.

(13) السقطى : آداب الحسبة ٦٨.

(14) القاضى عياض : ترتيب المدارك ١٧١/٥.

وكذلك في المغرب يدخل الزيت في الغذاء وإضاءة البيوت والأسواق، وكانت للنباتات الزيتية نصيب كبير في المغرب، فزرع الزيتون والسمسم والهرجان، وزيت الزيتون أكثرها وفرة وتمركز في قرى مدن برقة وقابس[١]، وفاض إنتاج مدن قفصة وصفاقس وزويلة والمهدية وصدر إلى بقية الأقطار[٢]، وفي صفاقس يوجد بها " منه ما ليس بغيرها مثله[٣] " ، وصدر إلى مصر وغيرها من البلدان[٤]، ووجد بقرية "رصفة " بالقرب من القيروان ثلاثمائة وستون معصرة زيت[٥]، وزيت قرى مدينة المسيلة من أطيب الزيوت[٦]، وكثرت المعاصر أيضاً في جهات بلاد ركراكة وتينملل[٧] وهسكورة ودرن[٨] وفاس[٩] .

واشتهرت بلاد السوس باستخراج زيت الهرجان، ووصف البكرى [١٠]، طريقة استخراج هذا الزيت ويصف الإدريسي [١١] استخداماته بقوله: " دهن كثير صافي اللون ، عجيب المنظر إلا أنه ليس بعذب الطعم فيه أدنى حراقة، وهذا الزيت كثير معروف ببلاد المغرب الأقصى، ولكثرته يسرجون به قناديلهم، ويقلى به الدخانيون الإسفنج في الأسواق، وله إذا مسته النار رائحة كريهة، ولكنه يعذب طعمه في الإسفنج، ونساء المصامدة تدهن شعورهن به على المشط فتتحسن شعورهن بذلك وتطول " .

وذكرت النوازل أن رجلاً اشترى زيتاً ، وقال للبائع : تول كيله ، وكان يصب في الخابية حتى أنصفها ، فلما أقفل بالمكيل سقط شيء على الخابية وانكسرت ، وفي هذه الحالة يضمن هذا الزيت الذي كان في الخابية ، ويضمن الخابية ، ويخسر الزيت الذي كان في المكيل ؛ لأنها جناية يده [١٢].

---

[١] ابن حوقل : صورة الأرض ٦٧.
[٢] البكري : المعز ١٩، ٢٠ الإدريسي : صفة المغرب ١٠٦، ١٠٩.
[٣] ابن حوقل : صورة الأرض ٧٠.
[٤] مجهول الاستبصار ١١٧.
[٥] المقدسي : أحسن التقاسيم ٢٢٧.
[٦] البكري : المغرب ١٤٤.
[٧] ابن سعيد : الجغرافية ١١٦، ١٥٥ ، مجهول : الاستبصار ٨٨، ٢١٠.
[٨] الوزان : وصف إفريقيا ١٧٤.
[٩] ابن أبى زرع : روض القرطاس ٢٦.
[١٠] البكري : المغرب ١٦٢ ، ١٦٣.
[١١] الإدريسي : صفة المغرب ٦٥.
[١٢] المعيار ٥/٢٤ .

وباع رجل إلى آخر خابية * زيت ، ودلس بكسر فيها ، وعلم أن المشتري يجعل فيها زيتاً ، فلما جعل المشتري الزيت غدا يخرج من الكسر [1].

٦- الورق

انتقلت صناعة الورق إلى المسلمين في القرن الثانى الهجرى من الصين[2]، وصناعة الورق من توابع العمران واتساع الدول، حيث تكثر المؤلفات العلمية والدواوين الحكومية، وعرف الأندلسيون صناعة الورق منذ القرن الرابع الهجرى ، ومهروا في هذه الصناعة حتى كانوا أحرف الناس في صناعة الوراقة وازدادت هذه الصناعة في الأندلس مع النشاط العلمى الواسع الذى شمل مراكز العمران الأندلسية مدنا وقرى ، وتعد مدينة شاطبة أشهر مدن الأندلس صناعة لأجود أنواع الورق، ويعم المشارق والمغارب[3]، ومنها غرب أوربا وعرفتها أيضاً مدن أشبيلية ودانية وقرطبة وألمرية ومرسية وغرناطة وسرقسطة[4]، ويصنع الورق من معجون الكتان والقنب الذى ينقع في ماء الجير ثم يمرر في طاحونة "رحى" مع استخدام الغراء أو النشا ومزجها مع المعجون، ويسوى بعد ذلك ويلمس باستخدام القالب " القرميد " حتى يصل إلى لوح الورق المناسب ثم يجفف[5].

وارتبط بصناعة الوراقة صناعة التجليد وحفظ الكتب وعرفت باسم التسفير، وألف فيها الكتب ، ويحدث في هذه الصناعة طرق التسوية والحبك واستخدام الغراء وحماية الكتب

---

* الخابية : الوعاء الذي يحفظ فيه (المعجم الوسيط ٢٢١/١) .

[1] المعيار ١٨٥/٦ .

[2] سعيد عاشور : المدينة الإسلامية ١٨٥ ، طه الحاجرى : الورق والوراقة في الحضارة الإسلامية (مجلة المجمع العلمى العراقى مج ١٢ – ١٩٦٥) صـ ٨٦ وما بعدها .

[3] حسن حسنى عبد الوهاب : ورقات عن الحضارة ٢٠٨،٢٠٧/١ ، أرشيبالد لويس: القوى البحرية والتجارية ٢٦٠، سعد زغلول : علوم العرب القديمة (مجلة عالم الفكر ١٩٧٧م) ١٧٤ .

[4] المراكشى : التكملة ٨٠٩/١ ، ٢١٥ الذيل والتكملة ٣٠/١ ، ٣٢٢ المقرى : نفح الطيب ٥٣٣/٣ الرعينى : البرنامج ٨٢ .

[5] الجرسيفى : رسالة في الحسبة ١٢٤ .

من الأرضة[1] ، وارتبط بهذه الصناعة نسخ المخطوطات، وكان هناك مشاهير الخطاطين الذى يجلسون في أماكن الوراقة لنسخ الكتب[2].

وأصبحت بلاد المغرب منذ القرن الثالث الهجري من المراكز العلمية في بلاد الإسلام، ووجدت سوق للوراقين في القيروان منذ وقت مبكر[3] .

واستخدم المغاربة الرق – جلد معد للكتابة– ويستعمل أكثر من مرة حيث يزال ما عليه ثم يعاد الكتابة، واستعمله المتعلمون، فهذا طالب علم يقول: كانت أمي تغزل الصوف، فأبيع غزلها لأشترى به الرق والكتب[4] " وكاد المغاربة يقتصرون على الرق " وكل مصاحفهم ودفاترهم مكتوبة في رقوق، اللهم إلا ما كان ينبت من البردي من جزيرة صقلية[5]".

وبلغ أهل أفريقية درجة عالية في تجهيز الورق وصقله وصبغه، حتى صار الرق من السلع التي يجهز به إلى مدن المغرب والأندلس، فالأندلسيون أخذوا هذه الصناعة من المغاربة، عندما رحل للأندلس عثمان بن سعيد الصقيل (ت ٣٣٠هـ/٩٤١م) الذي تتلمذ على أبى اليسر الشيبانى رئيس بيت الحكمة القيرواني، واستدعاه الحكم المستنصر الأندلسى وحضر له الورق الرفيع[6]، ومثله إبراهيم بن سالم الوَرَّاق الذي حذق صناعة الورق والوراقة، وخصصه الحكم المستنصر لهذه الصناعة[7]، ومحمد بن حارث الخشنى القيرواني الذي شغل الوراقة في الأندلس للحكم المستنصر، ثم فتح دكانا في قرطبة لبيع الورق الرفيع وأدوات الكتابة والتزويق[8]" ومحمد بن يوسف الوراق، أخذ يوَّرق للأمير الحكم المستنصر، ودوَّن له جغرافية المغرب[9].

---

[1] بكر بن إبراهيم الإشبيلى : التيسير في صناعة التسفير (نشر عبد الله كانون، مجلة العهد المصرى، مدريد ١٩٥٩: ١٩٦٠) ١٠، ٢٢، ٢٤، ١٧ .

[2] راشد البراوى : في الاقتصاد الإسلامى ٧٢، وحالة مصر الإقتصادية ١٦٣، محمد خلاف : قرطبة ١٦٠، ١٦١ ، محمد عبد الحميد عيسى : التربية في الأندلس ، أحمد شلبي – رحمه الله – : التربية والتطبيق في الإسلام ١٢١.

[3] حسن حسنى عبد الوهاب : البردى والرق والكاغد ٣٧ مجلة معهد المخطوطات العربية .

[4] الدباغ : معالم الإيمان ٣/٤٥.

[5] المقدسي : أحسن التقاسيم ٢٣٦.

[6] المقرى: نفح الطيب ٢/١١٥.

[7] ابن الأبار : التكملة ، ١/٢٢١.

[8] ابن الفرضى: تاريخ علماء الأندلس١/٤٠٤،القاضى عياض: ترتيب المدارك ٢/١٦٢ .

[9] الضبى : بغية الملتمس ص٣١٣، ابن عذارى: البيان المغرب ١/١٣٤،٢٤٨.

واستعمل الكاغد مع الورق، وكان يصنع من الكتان المغربي، وبدأ ذلك منذ عصر الأغالبة[1]، ثم زادت صناعة هذه الأدوات بعد ذلك لنشاط الحركة العلمية المغربية .

٧- الصناعات الجلدية

ترتبط هذه الصناعة بالقطاع الرعوى الذى اتسع نطاقه في المجتمع الريفى والبدوى، واستعمل الجلد في الملابس الجلدية العسيرة الصنع[2]، وصنعت كذلك الأحذية للرجال والنساء[3]، وراقب المحتسب هذه الصناعة ، ومنع صناع النعال عن تغليظ حواشى النعال قبل خرزها[4]، ومن الصناعات الجلدية أيضاً : البساط المفروش للطعام ، والفرش الناعمة للنوم[5]، وتفنن أحد الصناع فصنع قبة من الجلد بلغت تكلفتها ٥٠٠ دينار[6]، وصنعت مقابض السيوف من الجلد والرقاع الجلدية المستخدمة في الكتابة في القرون الثلاثة الأولى[7]. واتصل بهذه الصناعة أعمال الرقاقين الذين يهيئون الجلود ويرتقونها، والخرازين والإسكافيين ممن يخرزون النعال والخفاف وغيرها من الصناعات[8].

وتركزت الصناعات الجلدية في بعض المدن والقرى مثل باجة التي كان لمائها خاصية في دبغ الجلود[9]، وعرفت لبلة بالأديم الأحمر[10]، واختصت مالقة بصناعة الجلود[11]،

---

[1] حسن حسنى عبد الوهاب: البردي والرق ٤٤، حسن علي : الحياة الدينية في المغرب.

[2] ابن حيان : المقتبس (ت مكى) ٢١ .

[3] خالد البكر : النشاط الاقتصادى في الأندلس ١٩٣.

[4] ثلاث رسائل في الحسبة ١٠٣ .

[5] المقرى : نفح الطيب ١٢٨/٣ ، ابن دحية : المطرب ١٣٧ .

[6] الزبيدى : طبقات النحويين ٢٦٩ .

[7] الخشنى : قضاة قرطبة ٦٩ القاضى عياض : ترتيب المدارك ١٩٣/٥ .

[8] المقرى : نفح الطيب ٣٣٠/٣ .

[9] ابن غالب : فرحة الأنفس ٢٩٠ .

[10] المصدر السابق ٢٩٢ .

[11] أبو الفداء: تقويم البلدان ١٦٧ .

وكذلك في قرطبة وغرناطة وطليطلة[١]، وأقيمت صناعة الجلود ودبغها في أماكن بعيدة أو خارج المدن حتى لا تؤذى رائحتها السكان[٢].

ويراقب المحتسب العاملين في الصناعات الجلدية فيمنع الجلادين من بيع جلود الميتة نية، وتكون نعال الأقراق من الجلد البقرى المبلول بالغراء، ولا يخلط جلد العنز بجلد الشاه في قرق أو جراب[٣]، والإهمال في هذه الصناعات تجعل الناس تنقم على الصناع وتتهمهم بانحلال أعمالهم سريعاً .

وانتشرت المراعى في المغرب ، وكانت الجلود أظهر منتجاتها ، ودخلت الجلود في صناعة الملابس والنعال والسروج وقرب الماء وبعض أدوات الحروب مثل: مقابض السيوف ، وعدة الإبل ، وتوفرت شجرة التاكوت المستخدم في الدباغة في إقليم درعة[٤] .

وتمركزت صناعة الجلود في برقة التي صدرت إنتاجها[٥] ، وقابس التي أصبحت من مراكز هذه الصناعة[٦] ، وبمدينة أجدابية أماكن لدباغة جلود البقر[٧] ، واشتهرت مدينة قفصة بصناعة النعال الجلدية[٨] ، ونسب إلى مدينة غدامس الجلد الغدامسى ، واستعمل فيها نبات التاكوت[٩] ، ومثلها مدينة زويلة نسب إليها الجلود الزويلية[١٠] ، وصنع في مدينة هسكورة الصناعات الجلدية ومنها سروج الخيل التي لقيت إقبالاً كبيرا[١١] ، أما مدينة لمطة فاشتهرت بالدرق اللمطية الصلبة الخفيفة الحمل " الدرقة اللمطية ليس عليها قياس[١٢] " وصنع بها

---

(١) بروفنسال : الإسلام في المغرب والأندلس ٦٦ .

(٢) العذرى : نصوص عن الأندلس ١٢٢، ابن فرحون : تبصرة الحكام ٢٥٥.

(٣) السقطى : آداب الحسبة ٦٣، ٦٤ ابن عبد الرؤوف : رسالة الحسبة ١٠٣ .

(٤) البكري : المغرب ١٥٢ مجهول : الاستبصار ٢٠٧ .

(٥) ابن حوقل صورة الأرض ٦٧.

(٦) الإدريسي : صفة المغرب ٦٠ .

(٧) المصدر السابق ١٣١ .

(٨) القلقشندي : صبح الأعشى ٥/١٠٧ .

(٩) مجهول : الاستبصار ١٤٥،٢٠٧ ابن البيطار : الجامع لمفردات الأدوية ١/١٢.

(١٠) اليعقوبي : صفة المغرب ٦.

(١١) الوزان : وصف إفريقيا ١١٠،١٧١ .

(١٢) ابن الفقيه : مختصر البلدان ٦١ .

أيضـاً السـروج وعـدة الإبـل[١] ، وفـى فـاس أمـاكن كثـيرة للدباغـة " بهـا الديـار للدبـاغ سـت وثمانون داراً[٢] ، واشتهرت بها أيضاً درعة وسجلماسة وأغمات ومراكش وسلا وتلمسان[٣].

وتقع ببعض المشكلات في الصناعات الجلديـة ومثـال ذلـك إذا اشـترى رجـل جلـوداً فأدخلها الماء ، فظهر عيب منها ، كـان عنـد البـائع دلـس لـه بـه ، أو لـم يدلـس ، فلـه القيـام بالعيب والرد به ، وليس ادخالها الماء فوتا ولا عيب [٤]، ودبغ رجل جلوداً فأدخل متعلم معه جلداً فإذا هو جيفة ، والحكم أنه إذا دبغ الإهاب فقد طهر ، ولا تباع الميتة ولا تشترى[٥].

٨- **الصناعات الخشبية :**

توفرت الأخشاب في الأندلس في طرطوشة، فكان بها غابات الصنوبر بلونها الأحمر ولا يتغير خشبها، وفى مدينة قلصة من أعمال مرسية، فتقطع بها الأخشاب وتحمل في النهـر إلى بلنسية ودانية[٦]، وتوجد الأخشاب أيضاً في يابسة وشنترية الغرب[٧].

ودخلت الأخشاب في العديد من الصناعات مثـل صناعـة السـفن والمراكـب فـي دور الصناعـة الكثـيرة فـي الأندلـس مثـل دار صناعـة: إشـبيلية وألمريــة وطرطوشــة والجزيـرة الخضراء ودانية وشلب والمنكب وبلنسية وجزيرة طريف وقصر أبـى دانـس، ولقنـت ومالقـة وغيرها[٨]، وراقب المحتسب هذه الصناعة بشكل دقيق، فيعـرف مـا يحتـاج بنـاء السـفن مـن أخشاب ومسامير وقار، رغم تعدد أنواع السفن من: أغربة وشوانى وحراقات وطرائد[٩].

---

[١] الإدريسي : صفة المغرب ٥٩.

[٢] ابن أبى زرع : الأنيس المطرب٤٨.

[٣] البكري : المغرب ١٥٢، مجهول: الاستبصار٢٠٧ ابن سعيد : المغرب٢/٢٤٦.

[٤] المالقي : الأحكام ٢٨٦ رقم ٥٣٨ ، المعيار ١٨٧/٦.

[٥] المعيار ٢٥٣/٥.

[٦] الإدريسى : صفة المغرب ١٩٠ الحميرى : الروض المعطار ٣٩١.

[٧] الحميرى : الروض المعطار ١٩٨ .

[٨] هشام أبو رميلة : نظم الحكم في الأندلس ٣٩٨ وما بعدها ، السيد عبد العزيز سالم والعبادي : تاريخ البحرية ١٣٠/١.

[٩] السقطي : آداب الحسبة ٧٢ ، درويش النخيل : السفن الإسلامية ١٠٤ وما بعدها ، السيد سالم والعبادى: تاريخ البحرية الإسلامية ١٣٢/١.

وصنعت بعض آلات الحرب من الخشب مثل القسي والتراس والعرادات والمنجنيق[١]، والفؤوس والسهام والنشاب وسلالم الحصار . وصنعت منها كذلك أدوات البناء مثل: الأبواب والشبابيك والسمادات والشراجيب " المشربيات " ، وصنع منها أثاث البيوت مثل: الأَسِرَّة والصناديق والأرائك والأطباق، وأقيمت هذه الصناعات في ألمرية ومرسية وحصن قيشاطة ، وحصن قاعة وجبل شقورة[٢]، وصنع من الخشب أيضاً آلات الموسيقى والتحف ، وتزدهر هذه الصناعات مع النهضات العمرانية والأمن ، وهذا ماشهده الأندلس معظم هذه الفترة .

واستعمل الفلاح الأندلسى الأخشاب في معظم شوؤنه ، فتصنع أغلب آلاته الزراعية من الخشب مثل: المجرد " يشبه المحراث " ويصنع من خشب البلوط[٣]، والمرجيقل من الأدوات الزراعية المصنوعة من الخشب لتسوية الأرض[٤]، ومن آلات الري الناعورة والسانية والدولاب والخطارة والدالية ، وتعتبر الأخشاب عماد هذه الآلات ، وكذلك الأرحاء والطواحين، وأيضاً أدوات العصى والمزارب لدرس القمح والأرز[٥]، وكذا أدوات الفلاح المنزلية مثل : الملاعق والمهارس والمغارف وغيرها[٦].

وانتشرت الغابات في المغرب – أيضاً – كما في أحواز بلاد الريف وفازاز وتامسنا وفى جبل درن توفر خشب الأرز والبلوط والصنور[٧] ، واستوردوا خشب الساج والأبنوس من السودان والأندلس[٨] .

وتنوعت استخدامات الأخشاب ، وأشهرها الصناعات العسكرية مثل: صناعة السفن والمراكب في دور الصناعة بالمغرب مثل: تونس، وسوسة، والمهدية، وصفاقس، وقابس،

---

(١) ابن الخطيب : الإحاطة ١٤٠/٢.

(٢) الإدريسي : صفة المغرب ١٩٥،٢٠٣.

(٣) ابن العوام : الفلاحة ٤٥٧/٢،٤٥٩ .

(٤) مجهول : منظومة في الفلاحة ٨ .

(٥) المصدر السابق : ١٠،٧١،٧٣،٧٤.

(٦) كتاب الطبيخ في المغرب ص٨٤ ، الحميرى : الروض ١٦٥.

(٧) البكري : المغرب ٩٠،١٤٧،١٥٠،١٥٤،١٥٦.

(٨) ابن أبى دينار : المؤنس٨١ الحميرى : صفة الأندلس١٦٥.

وبونة، وطرابلس الغرب، وجيجل[١] ،وبجانة، ومرسى الدجاج، وتنس، وسبتة وآنفا وأسفي وفضالة وغيرها[٢] .

وكان للنهضة العمرانية أثرها في اتساع المدن وإنشاء مدن جديدة ، فبنيت البيوت والمساجد ، واستخدمت الأخشاب في الأبواب والسقوف والمنابر والتحف الخشبية[٣]وآلات الموسيقى ، وأدوات الفلاحة التي كان عماد صناعتها - كما في الأندلس - الخشب .

٩- الأدوية والعطور

توفرت الأعشاب والنباتات الطبية في الأندلس ، وصنع منها أعداد كبيرة من العقاقير بلغت " نحو الثلاثة آلاف في العدد " حواها كتاب " عمدة الطبيب في معرفة النباتات لكل لبيب[٤] " .

واستخدم الأندلسيون أطعمة ذا أصل نباتى ، فاستخدم خبز القمح النقى كمرهم ، ولباب القمح عالجوا به خشونة الحلق وكلف الوجه ، واستخدمت البقول كذلك للعلاج ، والفواكه وغير ذلك[٥]، واستعملت النباتات العطرية كالورد والآس والسوسن والياسمين والنرجس والنعنع والتوابل والأفاوية كالكزبر والكمون والكراويا والشونيز " الحبة السوداء " والفلفل وغيرها لعلاج أمراض الصدر والبطن والأورام والقروح وأمراض العيون[٦].

واتخذ العطارون أماكن لهم في الأسواق والشوارع ، ويجهز الصيادلة الأدوية وفق تعليمات الأطباء ، وخضع عملهم لمراقبة المحتسب ، فنهى المحتسب خلط العقار الطيب بالأقل منه ، وكذلك خلط العطور والنباتات الهندية بالبلدية ، وأن لايبيعوا شيئا من العطر إلا مغربيا[٧].

---

(١) الإدريسي : صفة المغرب ٩٧،٩٨،١٠٧،١١١،١١٢، السيد سالم والعبادي : تاريخ البحرية ٥٢/٢ ،٥٣.

(٢) البكري : المغرب ٦٥،الإدريسي ٧٠،٧٤،٨٩.

(٣) زكى محمد حسن : كنوز الفاطميين١٩٨،٢٠٠ أحمد فكرى: مسجد الزيتون ٩٨، مسجد القيروان ١٥.

(٤) نسب الكتاب لابن بطلان ، ورجح الأستاذ إبراهيم الكتانى أنه لابن الرومية العشاب، وذلك لإشارات وردت في الكتاب .

(٥) عبد الملك بن حبيب : مختصر في الطب ٥٤،٥٥،٥٦،٥٧ - ٦٨ .

(٦) المصدر السابق ٧٠،٧٣.

(٧) ابن عبدون ٤٧ ، ابن عبد الرؤوف :٨٦،٨٨ ابن يوسف الحكيم : ضوابط دار السكة٣٦،٣٨.

١٠- صناعات زراعية أخرى :

استخدم الأندلسيون منتجات الزراعة في الأغراض الصناعية ومنها :-

أ) تجفيف الفاكهة :

جفف العنب في إشبيلية والمنكب وقرية شاط - تتبع مدينة المنكب - ويابسة[١] ، وجفف التين والإجاص والخوخ وحب الملوك في قرى كورتي: شلب، ومالقة[٢] .

ب) الجبن :

وتصنع من ألبان الابقار والضأن والماعز، ومنها الجبن الرطب والجبن العتيق ، وجبن متوسط بين النوعين السابقين[٣]، واختصت قرى وجهات إشبيلية وشريش ومالقة وقرطبة[٤]، وصنع النصارى - وهم عدد كبير في الريف - الجبن ولم يمانع المسلمون أكلها، لكن يبدو أن جبن نصارى الشمال والروم قد حرمت[٥].

وصنع من الجبن نوع من الفطائر أو القطايف المحشو بالجبن سميت بالمجبنات، واختصت بها مدينة شريش " ومما اختصت به إحسان الصنعة في المجبنات وطيب جبنها يعين على ذلك، ويقول أهل الأندلس "من دخل شريش ولم يأكل بها المجبنات فهو محروم"[٦].

أوردت كتب النوازل أن أناساً شتى لهم كسب يبعدون بها عن البلد لأجل المراعي ، فيأخذون اللبن ويكيلون لبن كل واحد منهم ، ويقتسمون الجبن الخارج من ذلك اللبن على حسب كيلهم إياه ويدّعون الضرورة في خلطه بأنه ربما كان راع واحد ، يكيل كسب جماعة يشق عليه معالجة كل واحد على حدته .

---

[١] الإدريسي : صفة المغرب ١٩٩ ، الزهرى : الجغرافية ١٢٨ ، ١٢٩.

[٢] الإدريسي : صفة المغرب ١٨٠، ٢٠٠ ، الحميرى : الروض المعطار ١٧٨ ، المقرى : نفح الطيب ١٤٥/١ ، ٢٠٥/٤ .

[٣] الطغنرى : ٧٣ ، ٧٥ .

[٤] مجهول : الطبيخ ٢٠٠ المقرى : نفح الطيب ١٧٢/١.

[٥] الطرطوشى : الحوادث والبدع صـ٤ ، ابن عبد الرؤوف : ثلاث رسائل في الحسبة ١٠١

[٦] المقرى : نفح الطيب ١٨٤/١ .

ومنهم من يكون غالب كسبه ضأناً وآخر بالعكس ، ويستمرون على قسمة جبنه مدة مقامهم هنالك ، مع أن كيله يكون في أول.

والحكم في ذلك أن ما ذكره السائل يفعله الناس في البوادي في الضرورة ، إذ لا يقدر كل واحد على لبنه على حدة ، لا على أن يصنع له منه جُبن ولا غيره ، فالمسألة من باب الضرورة [١].

وإذا اشترى جبناً يابساً ، فشقه فوجده فاسداً فله رده ؛ لأنه مما عملته الأدزي [٢]. واشترك بعض الفلاحين في اللبن لاستخلاص جبنه ، ويدّعون في ذلك ضرورة في استبداد كل واحد منهم بلبنه لما يحتاج إليه من المؤونة والمشقة ، فيجتمع جماعة أصحاب غنم فيستأجرون راعياً أو أكثر ويخلطون اللبن كما وصفت ، وكذلك معارف أو قرابة في عجن خبز وطبخ لحم وما أشبه ذلك ، ثم يقتسمون ذلك أو يأكلونه جميعاً ولا مشاحة بينهم[٣].

ويبدو أن هذا الأمر كان شائعاً ، فقد اشترك رجلان في عقد اللبن ، فيجعل هذا من اللبن كيلاً معلوماً ، ويجعل الآخر بقدر ذلك ثم يعقدانه جبنا ، ويقتسمانه عند نهوضه جبناً. وأجاز الفقهاء ذلك شريطة أن يكال اللبن عند الخلط وتقسم الجبن على حسبه [٤].

ج) الحبال والحصر :

وتتخذ الحبال من الحلفاء، وتصنع عادة في البيوت، وعمل بها بعض آباء قواد الجيش، فكان جد القائد أحمد بن اسحاق القرشى " يفتل الحبال في أسطوانة، ويخيط الحلفاء على باب داره" أما الحصر فكانت توضع على الحيطان أو تفرش على الأرض، وأهم مدنها مرسية التي صنع فيها الحصر الفتانة المبهرة[٥]، كما صنعها أهل مجريط[٦] .

❀ ❀ ❀

---

(١) المعيار ٦/٤٦٢.

(٢) المعيار ٦/١٨٨ .

(٣) المعيار ٥/٢١٥.

(٤) المعيار ٥/٢٣٩.

(٥) المقرى : نفح الطيب ٤/٢٠٧ .

(٦) محمود مكى : مدريد العربية ٨٣ .

المبحث الثالث

التجارة في الأندلس والمغرب

المبحث الثالث

التجارة في الأندلس والمغرب

أولاً : الطرق الداخلية

تصرف المحاصيل الزراعية والصناعية إلى أماكن تسويقها عن طريق طرق داخلية أو خارجية أو بواسطة الأنهار ، ولهذا مثلت الطرق الشريان الحيوى لجميع شئون الحياة وبخاصة التجارية .

وتحتاج طرق الأندلس إلى اهتمام ومعرفة لقسوة التضاريس ووعورة المسالك التي احتاجت في القرن الثالث إلي الأدلاء ، فعندما خرجت حملة إلى مناطق النصارى وضل دليل الجيش في العودة فنالهم مشقة شديدة ومات منهم خلق كثير وهلكت دوابهم(١)، ومن صعوبة طرق الأندلس الحصول على الماء من العيون والآبار أو الأنهار ، فقد تعرض جيش الأمير محمد في منطقة شرق الأندلس إلى فقدان الماء ، ومات من العطش عدد من الجنود وهلكت دواب كثيرة(٢)، وكان للثائر سعدون السرنباقى " بفلوات أرضه دليلا ما هراً داهيا " (٣)، وطريق قلعة ببشتر صعب للغاية مما أطال عمر ثورة ابن حفصون ، فكان الطريق إليها يجتاز عدداً من المضائق لا يسلكها أكثر من ثلاثة نفر(٤).

ورغم هذه الأحداث إلا أن طرق المواصلات الداخلية تواصلت واستمرت الطرق القديمة مثل الطريق الذى يشق الأندلس من قادس إلى نربونة ، ومع زيادة العمران وعدد السكان أصلحت الطرق ، وشقت طرق جديدة ، ربطت معظم الأندلس ببعضها ، ونشطت حركة التجارة بين مراكز العمران الحضارية والريفية ، وتأثرت الطرق بحالة البلاد سلما وحربا(٥).

ومنذ القرن الرابع الهجرى تكونت شبكة كبيرة من الطرق البرية في طول الأندلس

---

(١) ابن الأثير : الكامل ٩٩/٥.

(٢) ابن حيان : المقتبس (ت إسماعيل العربي) ١١٧/٣ .

(٣) المصدر السابق ٢٣/٣ .

(٤) السابق نفسه ٩٩/٣ .

(٥) ابن حيان : المقتبس (ت شالميتا) ٣٦٠ ، أرسلان : الحلل السندسية ١٣٤/١.

وعرضها ، وهى طرق محددة المراحل والمحطات حتى يستريح المسافر في الفنادق المخصصة لذلك فيأمن على نفسه لتوفر الماء والزاد " ولا يتزود أحد فيها ماء حيث سلك ... لكثرة أنهارها وعيونها وآبارها ، وربما لقى المسافر فيها في اليوم الواحد أربعة مدائن ، ومن المعاقل والقرى ما لا يحصى[١]" ، وأغلب هذه المحطات تكون في الأرياف (قرى وحصون)، ويعد العذري والإدريسى أكثر الجغرافيين تحدثا عن طرق الأندلس بشكل مفصل، فمن محطات التجارة والمسافرين منزل بقرية عبلة الواقعة على الطريق الممتد بين ألمرية ومالقة وغرناطة[٢]، ومنزل بحصن مراد وحصن القليعة على الطريق بين قرطبة إشبيلية[٣].

وأشار العذرى إلى عدة طرق منها: طريق يخرج من قرطبة إلى تدمير ماراً بمحلات معلومة أهمها: جيان ووادى آش ثم بجانة ولورقة[٤]، وطريق من قرطبة إلى إشبيلية ماراً بقرمونة وعليه القرى وأهمها قرية انْبصَّر وقرية بَسّير[٥]، وطريق قرطبة وادى آش ثم بجانة ثم ألمرية [٦]، وطريق يتجه من قرطبة إلى سرقسطة ويمر بقلعة رباح وشنترية ولورقة ، وبه مراكز ريفية مثل قصر عطية ، ووادى بني عبد الله ، وفحص الحمام[٧] ، وطريق من قرطبة إلى طليطلة ماراً بمرسية[٨]، وهناك طريق ساحلى بين مرسية وبلنسية وبه قرية عَصْف[٩]، وكثرت القرى في طريق إشبيلية لبلة ، فيها قرية موْره، وقرية قُرَّته ، وقرية طَرْوَيره[١٠]، وطريق يصل بين قلسانة والجزيرة الخضراء ، وبه قرية بريد[١١].

---

[١] ابن الكردبوس : وصف الأندلس ٢

[٢] الإدريسي : صفة المغرب ٢٠١ .

[٣] العذرى : نصوص عن الأندلس ١٠٩ ، الإدريسي : صفة المغرب ٢٠٨.

[٤] العذري : نصوص عن الأندلس ٣.

[٥] المصدر السابق ١٠٨،١٠٩.

[٦] السابق نفسه٨٩.

[٧] المصدر السابق ٢١.

[٨] المصدر السابق ٣ .

[٩] المصدر السابق ١٧.

[١٠] المصدر السابق ١١٠.

[١١] السابق ١١٧.

وأفاض الإدريسي في ذكر طرق الأندلس وعدد فيها العمران الريفي بشكل مستفيض فذكر القرى والحصون في هذه الطرق[١]، وقد أحصيت هذه القرى في فصل العمران ، وذكر الاصطخرى أربعة عشر طريقا معظمها ينطلق من قرطبة ، غير أنه لم يركز على الأرياف فيها[٢] .

وهكذا ساعدت هذه الطرق والمحطات في ربط أعماق الريف والبوادى بالحواضر والمدن ، وسهل تبعا لذلك النشاطات الاقتصادية ، وأصبحت الطرق مشحونة بالمرافق التي يفخر بها أهل النواحى[٣]، وانعكس ذلك على ازدهار القرى والحصون من عائدات التجارة، وزين الفلاحون قراهم "حتى أصبحت في نهاية الجمال لتصنع أهلها في أوضاعها وتبييضها لئلا تنبوا العيون عنها"[٤].

وجهزت هذه الطرق بكافة ما يحتاجه المسافر من غذاء ، فيشترى ويبيع ، فليس في معمور الأرض صقع يجد المسافر فيه ثلاث مدن أو أربعا من يومه إلا بالأندلس ، وحيثما سار يجد الحوانيت في الفلوات والشعارى والأودية وروؤس الجبال لبيع الخبز والفواكهة والجبن واللحم والحوت وغير ذلك[٥] " فالمسافر مثلا من تدمير إلى قرطبة يسير ستة أيام في قرى متصلة وعمارات ومروج وأودية وأنهار وعيون ومزارع[٦] " ، ويذكر ابن حوقل أن " المنزل في كل ليلة بقرية آهلة[٧]" ، مما يزيد التأكيد على نمو الحياة الريفية في الأندلس بشكل طيب .

وتوفرت لبلاد المغرب مجموعة كبيرة من الطرق التي شكلت شبكة واسعة ربطت قرى ومدن المغرب من الشمال إلى الجنوب ، ومن الغرب إلى الشرق، وتوفرت على هذه الطرق القرى العامرة والربط والقصور التي تزود المسافر بما يحتاجه من مؤن ووسائل نقل

---

[١] الإدريسي : صفة المغرب ١٨٨/١٩٢/١٩٤/٧١/١٧٩/١٨١/١٨٥/٢٠٠/٢٠٤/٢٠٦/٢٠٧.

[٢] المسالك والممالك ٣٨.

[٣] ابن حوقل : صورة الأرض ١٠٩.

[٤] المقرى : نفح الطيب ٢٢٦/١.

[٥] المصدر السابق ٢٢٦/١.

[٦] اليعقوبى : البلدان٣٥٤.

[٧] ابن حوقل : صورة الأرض ١١١.

وتجارات، يذكر ابن حوقل " أنه يوجد في صحارى بلاد المغرب ونواحيها الموحشة رباطات كثيرة يأوي إليها الناس، وكان عليها أوقاف كثيرة، والصدقات تأتيها من كل مكان(١) "

ففي المغرب الأدنى وجدت مجموعة من الطرق غطت البلاد ويخرج بعضها من القيروان مثل الطريق من القيروان إلى تونس ثلاث مراحل، وإلى قفصة وطوله ثلاثة أيام، وإلى قلعة أبى طويل، وإلى مدينة بونة، وإلى طبرقة، وإلى مرسى الزيتون والى سوسة والى قابس(٢) ، وهناك طرق أخرى مثل الطريق من طرابلس إلى قابس(٣)، والطريق من قابس إلى صفاقس(٤)، والطريق من أشير إلى مرسى الدجاج (٥)، ومن أشير إلى جزائر بنى مزغناى(٦)، وشملت هذه الطرق كما وضح المناطق العمرانية الساحلية والجنوبية ، كما كان هناك طرق تربط بين القيروان ومدن المغرب الأقصى والأوسط والطريق من فاس إلى القيروان أربعون مرحلة عامرة آهلة بالسكان. أما طريق القيروان تاهرت فيضم ٤٣ مرحلة عامرة(٧) .

أما أشهر طرق المغرب الأوسط فهي : ورجلان تاهرت مارا بواحة وادي أريغ ، هى أرض متسعة كثيرة البساتين ويعقد بها سوق كبيرة يوم الجمعة(٨) ، ويمر أيضا بعشرات القرى حتى يصل إلى المسيلة (٩)، وهناك طريق وارجلان جبل نفوسة(١٠) ، وطريق يربط وارجلان بالزاب وتلمسان(١١) ، وطريق بين تلمسان وتنس، وفى هذا الطريق القرى – المراحل – مثل : قرية العلويين، وقرية بابلوت، وقرية سى، وقرية رحل الصفاصف، وقرية

---

(١) صورة الأرض ٣٩.

(٢) البكري / المغرب ٣٤،٣٧،٤٩،٥٠،٥٤،٥٥،٥٧،٦٣،٦٤.

(٣) البكري : المغرب ١٧.

(٤) مجهول : الاستبصار ١١٢.

(٥) البكري : المغرب ٩٤.

(٦) المصدر السابق ٦٥.

(٧) البكرى : المغرب ١٤١،١٤٦.

(٨) الإدريسي : صفة المغرب ٨٥.

(٩) المصدر السابق ٨٧.

(١٠) السابق ٩٢.

(١١) البكري : المغرب ٧٤ ، ٧٧.

عين الصفاصف، وغيرها من الأسواق- مثل سوق إبراهيم- والمدن الصغيرة[١] ، وهناك طريق بين تنس وقلعة بنى حماد ،وبه بعض المدن الصغيرة والقرى مثل قرية بنى وازلفن (ذات جنات والكروم) ومدن الخضراء ومليانة وكزناية وريغة وماورغة وأشير وتامز كيدة[٢]، وطريق بين تلمسان والمسيلة ماراً بقريتي تاردة وندّاى[٣] ، وطريق بين تنس وأشير ماراً بفحص شلف[٤] ، وطريق بين مرسى الدجاج ماراً بفحص شعبة وفحص أفلح ومدينة حمزة وقرية بلياس[٥] ، وطريق بين أشير وجزائر بنى مزغنى ماراً بمدينة المدية وقرى مدينة متيجة ذات الأرحاء والبساتين[٦] ، وطريق بين المسيلة وسطيف[٧] ، وبين هران وتلمسان[٨] ، وبين وهران تاهرت[٩] ، وبين شرشال ؤبجاية[١٠] ، وبين بجاية القلعة[١١] ، ماراً بمجموعة كبيرة من القصور والحصون والأسواق مثل: سوق الأحد، ووادى وهت ، وحصن تاكلات ، وسوق الخميس وحصن بكر ، وحصن وارقو ، والقصر، وحصن الحديد ، وقصر بنى تراكس وحصن المنظور وسوق الخميس ، وسوق الاثنين وحصن تافلكانت وقصر عطية ثم عدة حصون حتى يصل الى القلعة[١٢] .

وطرق بين قسنطينة بجاية ماراً بقرية أبرس ، وفحص فارة ، وقرية بنى خلف وحصن كلديس وسوق يوسف وسوق بنى زندوى وحصن تالة وفج لبزر زور وحصن المنصورية .

---

[١] الإدريسي: صفة المغرب ٨٦،٨٤

[٢] المصدر السابق ٨٧،٨٦

[٣] البكري المغرب ٦٩

[٤] المصدر السابق ٦٥،٦٤

[٥] المصدر السابق٦٦،٦٥

[٦] المصدر السابق ٨٧،٨٦

[٧] المصدر السابق ٨٤،٨٣.

[٨] السابق نفسه ٨٨.

[٩] الإدريسي : صفة المغرب ٩٠.

[١٠] المصدر السابق ٩٣،٩٢.

[١١] المصدر السابق ٩٣،٩٢.

[١٢] السابق نفسه ٩٨،٩٦.

وهكذا تحولت القرى المعمورة إلى شبه مدن متحضرة، مثل : غدامس ، وودان وورجلان، وزويلة التي أصبحت منافذ تجارية وملتقى التجارات، فامتلأت بالسكان، وتحولوا من حياة الترحال الى حياة الاستقرار، مثلما حدث مع قبائل لواته ومزاته وسدراته وهوّارة ولماية الذين استقروا في القرى حول تاهرت، وتركوا حياة الرعى[1] .

ويتضح من طرق المغربين: الأدنى والأوسط أنها تركزت حول مراكز الإنتاج الزراعى والصناعى، وهى طرق داخلية وليست ساحلية، وكثرت حول القيروان وتاهرت وقلعة بنى حماد والمسيلة، وأصاب هذه الطرق التغير نتيجة الصراع شبه الدائم بين بني زيرى وزناتة ورحيل زناتة الى المغرب الأوسط والأقصى، ثم مجئ الأعراب الهلالية، ورحيل بنى رستم الى الجنوب، فلم تعد الطرق آمنة " ولم تسلك إلا نادراً[2] " ، وتخرب العمران واضمحلت الأسواق ولم تجد المزروعات والصنائع من يشتريها مما أثر كل التأثير السلبى على حضارة المغرب، واختلفت بعض القرى والأسواق، وتحولت الحواضر الكبرى الى ممر عابر مثل القيروان وقلعة بنى حماد[3] .

وكانت الطرق في المغرب الأقصى متعددة أيضاً منها طرق جبلية وطرق سهلية، فكان هناك طريق بين فاس وسجلماسة ويمر بمدن وقرى مثل مدينة صفروى وقرية تاسغمرت، وحصن يرارة الى قرية مطماطة الى سوق لميس الى حصن مغيلة القاط[4] وطريق من سجلماسة الى أغمات[5]، وطريق بين أغمات الى فاس ماراً بفحص أفيح ووادى وانسيفن الى فحص يمللوا إلى حصن داى ووادى درنة وسوق فنكور[6]، وطريق من درعة الى سجلماسة[7]، وطريق بين تامدلت وأودغست[8]، وطريق بين أغمات والسوس[9].

---

(1) اليعقوبي : البلدان ٣٤٥، الإدريسي : صفة المغرب ١٣٢ مجهول :الاستبصار ١٧٨،١٧٠.

(2) ابن سعيد : الجغرافية ١٠٩.

(3) عزّ الدين أحمد موسى :النشاط الاقتصادي في المغرب ٣٠٨.

(4) البكري : المغرب ١٤٧،١٤٦.

(5) المصدر السابق ١٥٣،١٥٢.

(6) المصدر السابق ١٥٥،١٥٤.

(7) المصدر السابق ١٥٦،١٥٥.

(8) المصدر السابق ١٥٦، وما بعدها .

(9) المصدر السابق ١٦٠ وما بعدها.

وبالجملة فقد كانت بلاد المغرب الأقصى منطقة تجارة، وتركزت حول المدن الكبرى فاس وسجلماسة وأغمات ودرعة ، وأوجد ذلك كثافة سكانية عبر هذه المراحل العامرة ، فأدى ذلك الى كثرة الإنتاج الزراعى والصناعى في قرى وسهول المغرب الأقصى وبلاد السوس، وربط بين مراكز الإنتاج والاستهلاك واحتلت سلا مركز تجارة المغرب الأقصى، وظهرت مدن جديدة وحولها مراكز عمران ريفية مثل: أزمور وآسفى وقصر عبد الكريم[١]، وأجر سيف وتازا[٢] ، وعمرت طرق جديدة في السهول الغربية، ربطت بين الأسواق حول مراكش ومكناسة ومكول[٣] وأثر كثيراً ظهور قوة المرابطين على التجارة وتنوعت الطرق كذلك بين سجلماسة في الجنوب والمراكز التجارية ونحو الشمال الشرقى من سجلماسة الى وجدة وتلمسان وتاهرت والزاب وقسطيلية ومن بلاد الجريد الى القيروان عن طريق قفصة الى مدن السواحل الأفريقية والى طرابلس على طريق نفراوة ثم برقة، غرباً نحو أغمات وريكة ثم الى مدن الساحل مثل نول وريكة، وشمالاً الى فاس وسبتة ومليلة[٤]، وفى كل هذه الطرق تنتشر القرى والحصون والقصور مشكلة حضارة وعمراناً مزدهراً .

الطرق النهرية في الأندلس والمغرب

كان للأنهار دور كبير بالأندلس في ربط الأرياف بالمدن الرئيسة، وبخاصة لوقوع معظم حواضر الأندلس على الأنهار مثل قرطبة وإشبيلية وماردة وبطليوس وجيان واستجة وسرقسطة وبلنسية وشقر وغرناطة وغيرها .

فاستخدم نهر شقر في نقل أخشاب الصنبور " حصن قلصة – قرب قونكة – ، فتقطع الأخشاب، وتلقى في نهر شقر وقت مده فتصل إلى جزيرة شقر ثم إلى حصن قلبيرة فتفرغ في بلنسية[٥]، وأمر الخليفة الناصر عامله على جيان أن يقطع له الأخشاب ويرسلها له عن طريق نهرها وقت مده[٦] ، وتؤم السفن نهر الوادى الكبير صاعدة نازلة[٧]، ويصلح وادي

---

[١] مجهول: الاستبصار ٢٠٧،١٨٨،١٨٧.

[٢] ابن القطان : نظم الجمان ١٤٦، ابن سعيد : الجغرافية ١١٢.

[٣] الحلل الموشية : ١١١، نفح الطيب ٥/٢٠٥.

[٤] البكري : المغرب ٧٧، ٨٨، ١٤٦، ١٥٢.

[٥] الإدريسي : صفة المغرب ١٩٥.

[٦] ابن حيان :المقتبس ٥/.١٧٦

[٧] ياقوت : معجم البلدان ١/١٩٥.

يانة للملاحة والتبادل التجارى[1]، وانتفع بنهر بلنسية (نهر طورية) ونهر مرسية (النهر الأبيض أو نهر شقر) في التبادل التجارى[2].

وزخرت مجارى الأنهار السابقة بالمراسي والمنازل والفنادق لراحة التجار والمسافرين ، مثل مرسى حصن القليعة على ضفة الوادى الكبير ويجاز إليه بالمراكب[3]، ومرسى طربشانة به منارات يسمح بمرور السفن ليلا[4]، وكان لإشبيلية مرسى ملئ بالنشاط التجارى[5]، ودخلت السفن مرسى بلنسية[6]، وهناك مرسى مدينة سلطيش وشلب وأكشونبة[7]، وهذا بخلاف الموانئ الجنوبية على طول الساحل من مرسى طربشانة إلى ميناء الجزيرة الخضراء في بحر الزقاق عبر قادس بمنارتها الشهيرة .

وأقيمت على هذه الأنهار القناطر والجسور لربط ضفتى النهر وتسهيل انتقال التجارات، فلمدينة أوريولة قنطرة على قوراب[8]، ويدخل إلى جزيرة شلب على المراكب شتاء، ويخاض إليها في الصيف[9]، وكانت الأخطار تتهدد البضائع المنقولة عبر الأنهار ، مما كان يدخلها ساحة القضاء والفتيا[10] .

وراقب المحتسب هذه المراسى، فيذكر ابن عبدون[11] أنه : يجب أن يؤمر المعدون أن يخففوا الأشحان ، فإن ذلك موضوع غرر وهلاك، لاسيما في يوم عاصف من الريح ، ويضيف: " يجب أن يؤمر المعدون في المراسى أن لا يجوز أحداً بفاحشة من خمر وغيرها"

---

(1) الإدريسي : صفة المغرب ١٨١ الحميرى : الروض المعطار ٤٦.

(2) الإدريسي : صفة المغرب ١٩٣،١٩١ ، الحميرى: الروض المعطار ٨١،٤٧ .

(3) ابن حيان : (ت مكى) ١٥٦ ، ابن بسام : الذخيرة ١٦٦/١/٢.

(4) المقري : نفح الطيب ٢١٣/٣.

(5) ابن عبدون : رسالة في الحسبة ٤٧،٢٩ ، ابن سعيد : الجغرافية ١٠٠.

(6) الحميرى : الروض المعطار ٣٨ .

(7) الإدريسي : صفة المغرب ١٨٠ ، سحر سالم: قادس ١٢٠.

(8) السابق ١٩٣.

(9) الحميرى :الروض المعطار ١٠٢.

(10) الونشيريسى : المعيار ٢٥٨/٥.

(11) رسالة في الحسبة ٢٩ وما بعدها .

لم تستخدم أنهر المغرب كثيراً فـي التجـارة الداخليـة ونقـل البضـائع، لعـدم صلاحيـة الأنهار للملاحة في كل أجزائها، بل أجزاء قصيرة تماز بالسعة والعمق، هذا فضلاً عن عـدم جريان المياه فيها طيلة العام لفصلية الأمطار، وأهم أنهر أفريقية نهر كبير قريب من طبرقـة تخرج منه السفن وتدخل[1]، ولمدينة القسطنية ثلاث أنهر " تجرى فيها السفن[2]. ونهر تـافنى المار بمدينة أرشغول " يدخل فيه السفن للطاف مـن البحـر الـى المدينـة وبينهمـا ميـلان" [3]، ودخلت السفن المحملة بالبضائع نهر بشرقى مدينة بجايـة[4]، وفـى المغـرب الأوسـط وجـدت أنهار استخدمت بشكل محـدود فـي التجـارة مثـل نهـر شـلف[5] ووادى تنـس[6]، ونهـر مينـة وتاتس[7] حول تاهرت .

وأما أنهار المغـرب الأقصـى فكـانت أكـثر ملاءمـة للتجـارة لعمقهـا واتسـاعها ودوام جريـان المـاء فيهـا مثـل وادى مجكسـة وطولـة عشـرة أميـال وتدخلـة المراكـب حتـى مدينـة تطوان[8]، ووادى اليم[9] ووادى لاو[10] ونهر أصيلة[11]، وكذلك نهر سبو الذى بنى عليه دار صناعة للقوارب والسفن النهرية[12].

❀ ❀ ❀

---

(1) البكري : المغرب ٥٧.

(2) المصدر السابق ٦٣.

(3) السابق ٧٧.

(4) السابق ٨٢.

(5) البكري : المغرب ٦٩ حليم عبد القادر جغرافية الجزائر ٦٢.

(6) مجهول :الاستبصار ١٧٣.

(7) المصدر السابق ١٧٨ ابن عذارى: البيان المغرب ١/١٦٥،١٦٦.

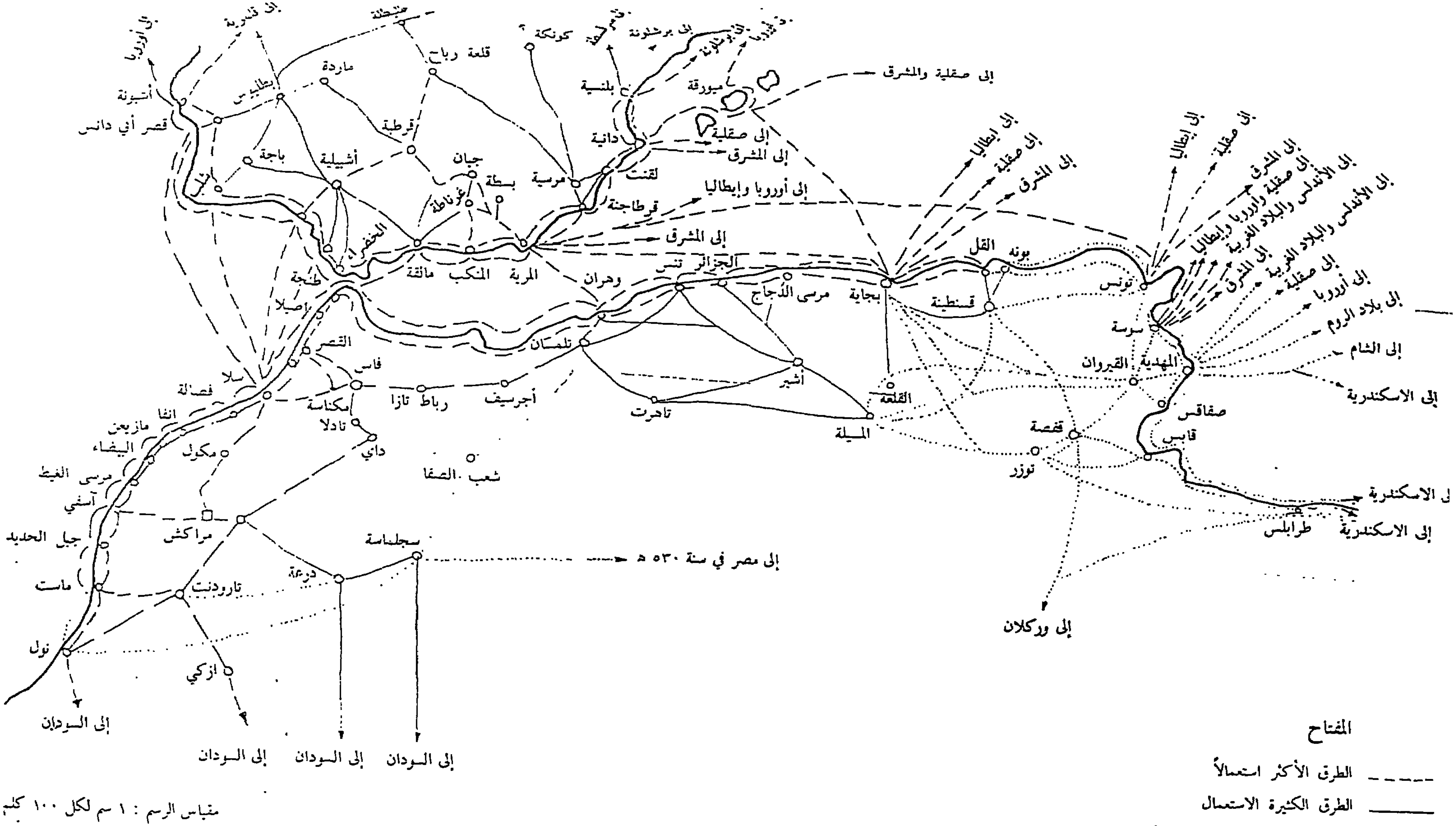
(8) البكري : المغرب ١٠٧.

(9) المصدر السابق ١٠٤،١٠٥.

(10) السابق نفسه ١٠٨.

(11) السابق ١١٣.

(12) الجزنائى : زهرة الآس ٢٧.


إلى صقلية والمشرق
ميورقة
بلنسية
دانية
لقنت
قرطاجنة
مرسية
كونكة
قلعة رباح
طليطلة
ماردة
قرطبة
جيان
غرناطة
بسطة
أشبيلية
باجة
إلى قلمرية
إلى أوروبا
أشبونة
قصر أبي دانس
المرية
المنكب
مالقة
طنجة
أصيلا
سلا
فضالة
انفا
مازيعن
البيضاء
مرسى الغيط
آسفي
جبل الحديد
ماست
نول
إلى السودان
ازكي
تارودنت
مراكش
مكول
درعة
سجلماسة
إلى مصر في سنة ٥٣٠ ﻫ
إلى السودان
داي
تادلا
مكناسة
فاس
رباط تازا
أجرسيف
شعب الصفا
تلمسان
وهران
تنس
الجزائر
مرسى الدجاج
أشير
تاهرت
المسيلة
القلعة
بجاية
إلى أوروبا وإيطاليا
إلى المشرق
إلى صقلية
إلى إيطاليا
قسنطينة
القل
بونه
تونس
سوسة
المهدية
القيروان
صفاقس
قابس
قفصة
توزر
طرابلس
إلى الاسكندرية
إلى وركلان
إلى الشام
إلى بلاد الروم
إلى أوروبا
إلى الأندلس والبلاد الغربية
إلى صقلية وأوروبا وإيطاليا
المفتاح
الطرق الأكثر استعمالاً
الطرق الكثيرة الاستعمال
الطرق القليلة الاستعمال
مقياس الرسم : ١ سم لكل ١٠٠ كلم

التجارة بين القرى والمدن

عرفت كل منطقة في بلاد المغرب بنوع من الحاصلات الزراعية أو المنتجات الصناعية والحيوانية، فقام تبادل وتكامل بواسطة الحركة التجارية بين القرى والقصور والمدن التي اعتمدت تماما على القرى في سد حاجاتها الزراعية والمواد الخام اللازمة للصناعة، فزرعت قرى وبوادي قفصة الفستق والتمور والفواكه وصدر إلى القيروان وسجلماسة[١] واشتهرت قابس بوفرة الفواكه التي تميز بها القيروان إلى جانب الحرير والزيت ودباغة الجلود[٢]، وحملت أنواع الثياب والعمائم واللحوم والفواكه من سوسة إلى مدن المغرب[٣]، واعتبرت قرى باجة مخزن غلال المغرب، فكان بها من الغلات والزروع ماليس بجميع المغرب[٤] " ولهذا كانت " كثيرة الرخاء واسعة الفضاء غزيرة الداخل على السلطان، وفرة الأرباح على تجارها والمزارعين بها[٥] ".

وورد على القيروان القطن من قرطاجنة[٦]، والفواكه والبقول من قرى جلولا[٧]، والعسل والسمن والتين من جهات جزائر بني مزغناى[٨]، والسفرجل المعتق من أحواز المسيلة[٩]، وصدرت صفاقس زيت الزيتون إلى بلاد المغرب[١٠]، وصدرت قرى وبوادي مدينتي مرسى الدجاج وبونة إلى بلاد المغرب الغنم والماشية والصوف والعسل والشعير والفواكه[١١] .

---

[١] أبو الفدا : تقويم البلدان ١٤٣ البكري: المغرب ٤٧ مجهول : الاستبصار ١٥٣.

[٢] البكري : المغرب ١٧ ابن حوقل: صورة الأرض ٧٠ مجهول : الاستبصار ١١٣.

[٣] البكري : المغرب ٣٤ التجاني : الرحلة ٢٦ ، مجهول : الاستبصار ١١٩.

[٤] ابن حوقل : صورة الأرض ٧٤.

[٥] المصدر السابق ٧٤.

[٦] نفسه٧٤.

[٧] البكري : المغرب ٣٢.

[٨] ابن حوقل : صورة الأرض ٧٦.

[٩] السابق نفسه ٧٦.

[١٠] البكري : المغرب ٢٠.

[١١] ابن حوقل : صورة الأرض ٧٦،٧٥.

كما صدر شجر ثمر التاكوت المخصوص بالدباغة من درعة إلى سائر البلاد[1] ، وصدر السكر من قرى السوس إلى جميع البلاد لاشتهارها بزراعة قصب السكر، وأمدت جبال بنى يازغة فاس بخشب الأرز[2] ،واشتهر حصن يرارة بكثرة الأغنام الجيدة الأصواف، وصدرت أصوافها لسجلماسة[3] ،وصدرت قرى أوجلة التمور إلى أجدابية وبرقة[4]، وخرج تجار برقة بالثياب الصوفية والأكسية والفلفل والعسل والزيت إلى سائر المغرب[5]، واعتمدت مدينة قسطيلية في أقواتها على ما تجلبه من القرى المحيطة بها[6]، وكانت مدينة طرابلس حافلة بدروب البضائع والصناعات التي صدرتها لسائر بلاد المغرب[7]، وأنتجت قراها ومزارعها الفواكه والألبان والعسل[8]، ولمدينة برقة "أسواق جادة حارة من بيوع الصوف والفلفل والعسل والشمع والزيت ودروب المتاجر الصادرة والواردة من المغرب[9]" و"بها من التجارة وكثرة الغرباء في كل وقت مالا ينقطع طلابا لما فيها من التجارة وعابرين عليها مغربين ومشرقين[10]"، كما كان بقرى تاهرت مختلف السلع والتجارات والصناعات التي خرجت لسائر مدن المغرب[11] .

الأسواق :

تعكس الأسواق الحياة الاقتصادية ونشاطها الزراعى والصناعى، وقد تنوعت في الأندلس، فهناك أسواق في الريف وأسواق في المدن .

---

(1) البكري : المغرب ١٠٢،٨٣.

(2) الجزنائى : زهرة الآس ٢٦.

(3) البكري : المغرب ١٤٧.

(4) ابن حوقل : صورة الأرض ٦٧،٦٦.

(5) المقدسي : أحسن التقاسيم ٢٣٩.

(6) ابن حوقل : صورة الأرض ٩٤.

(7) المصدر السابق ٦٧.

(8) المقدسي :أحسن التقاسيم ٢٢٤

(9) ابن حوقل : صورة الأرض٦٧

(10) المصدر السابق : ٦٧،٦٦

(11) السابق ٨٦

فأقيمت الأسواق في القرى والحصون، وتعقد بشكل دورى أسبوعياً، فكان سوق قرية أندرش – من قرى ألمرية – يعقد يوم الخميس من كل أسبوع،ويعقد سوق قرية شُوْذر من قرى جيان– يوم الثلاثاء أسبوعياً[1]، وذكر الإدريسي بعض الأسواق في قرى وحصون الأندلس[2] مثل سوق قرية فيسانة، وسوق حصن بكيران، وسوق قرية برجه ، وسوق حصن قيشاطة، وسوق حصن آشر، وسوق حصن القبذاق، ووصفت هذه الأسواق بأنها " عامرة " و"مشهورة " وفى إقليم الشرف بإشبيلية قرى كثيرة " كل قرية عامرة بالأسواق "[3].

ويباع في هذه الأسواق منتجات الفلاحين الزراعية والحيوانية وما يفيض عن حاجاتهم، فيباع فيها بذور وزريعة الأرض، ويباع فيها أنواع الخضر والفاكهة ، والادوات التي يحتاجها البيت الريفى والحقل مثل: الحصير ، والقفف ، والغرابيل ، والفخار، والأحبال، والقدور، والحطب ، وغير ذلك من خيرات الريف[4] .

كما وجد سوق الدواب في الأرياف أو خارج المدن في الأرباض مثل: سوق مرسية وسوق طليطلة ، وسوق دواب إشبيلية ، الذى أشرف عليه أمين " يرجع إلى قوله عند الاختلاف في الاشياء[5] "، ووجد في مالقة أيضاً سوق الدواب ، ويشترط معرفة بائعى الدواب من التجار خوفاً من التدليس والغش وبيع دواب بها عيون مستترة[6]، كما وجدت كذلك في شاطبة وقرطبة خارج الأسوار[7]، ويراقب هذه الأسواق أعوان للمحتسب[8].

أما أسواق المدن فأغلبها مسقوف حتى لا تتعرض لعوامل الطبيعة من حر ومطر وبعضها مكشوف ، وهناك أسواق يومية في المدن يتجمع فيها التجار والباعة وأهل القرى القريبة من أسواق المدن، ولا تخلو مدينة أندلسية من أسواق أسبوعية – بجانب السوق

---

(1) الحميرى : الروض ١١٧ .

(2) صفة المغرب ١٩٠ ، ١٩١ ، ١٩٣ ، ١٩٦ ، ٢٠٠ ، ٢٠٢ ، ٢٠٣.

(3) المقرى : نفح الطيب ١٥٩/١ .

(4) ابن عبدون : ثلاثة رسائل في الحسبة ٣٥،٣٦،٣٨،٤١، ابن عبد الرؤوف : ثلاث رسائل في الحسبة ١٠٢ ، السقطى: آداب الحسبة ٤١،٦٤،٦٧ ، الونشريسي : المعيار ٢٤٩/٥، ٥٦،٦ .

(5) ابن عبدون : رسالة في الحسبة ٥٣ .

(6) السقطى : آداب الحسبة ٦٥ ، ٦٦ .

(7) المقرى : نفح الطيب ١٦٢/٢ ، عبد العزيز سالم : قرطبة ١٨٢/١.

(8) ابن عبدون :١٢.

اليومى – فلمدينة قبرة سوق جامعة يوم الخميس[١] ولمدينة قرمونة سوق جامعة – يوم الخميس أيضاً ، وفى كل ربض من أرباض قرطبة سوق " وفى كل ربض ما يكفيه من الأسواق والفنادق[٢]" ، ولمدينة مالقة أسواق جالبة كبيرة[٣]، ومدينة بسطة ذات أسواق وتجارات عامرة آهلة[٤]، ومدينة بليش – تتبع مالقة – " عامرة آهلة ضخمة الأسواق ، حولها ضياع كثيرة[٥]"، ولمدينة المنكب أسواق عامرة كبيرة[٦].

وكان لكل نوع من أنواع التجارة والصناعة مكان في السوق ، أو سوق خاص به ، فهناك سوق للحديد[٧]، وسوق الخشابين[٨]، وأماكن لبيع الخضروات والفاكهة والطيور والمجبنات والرقيق وغير ذلك مما يباع في الأسواق " فلكل تجارة شوارع وحوانيت معلومة لا يختلط قوم بقوم ، ولا تجارة بتجارة ، ولايباع صنف بغير صنفه ، ولا تختلط المهن مع سائر الصناعات بغيرهم ، فكل أهل تجارة منفردون بتجارتهم ، وكل أهل مهنة معتزلون عن غير طبقتهم[٩]"

وفي المغرب ساعدت الأسواق على رواج التجارة بين القرى والمدن كذلك، وتبادل السلع بين أهل الريف وأهل المدن. وتنوعت الأسواق حسب السلع والصناعات المباعة فيها، فهناك أسواق العطارة وسوق الرهادنة والبزازين وسوق الغزل والسراجين والوراقين والصباغين[١٠]، وهناك أيام معينة تنعقد فيها السوق مثل القيروان بها سوق يوم الخميس ويوم الأحد[١١] وينعقد سوق قرية نصر بن جرو – تتبع سبتة – يوم الجمعة[١٢] ومثلها مدينة

---

[١] الحميرى : الروض ٤٥٣ ،٤٦١.

[٢] الإدريسي : صفة المغرب ٢٠٨، الحميرى : صفة الأندلس١٥٣.

[٣] ابن غالب : فرحة الأنفس ٢٨٣ ، ابن سعيد : الجغرافية١٤٠.

[٤] الإدريسي : صفة المغرب ٢٠٢.

[٥] ابن بطوطة: الرحلة ١٨٧/٢.

[٦] الحميرى : صفة الأندلس ١٨٦.

[٧] القاضى عياض : ترتيب المدارك ٤١٨/٤،٤١٩ .

[٨] ابن عذارى : البيان : المغرب ٥٧/٢.

[٩] اليعقوبى : البلدان ٢٣٠.

[١٠] المقدسي : أحسن التقاسيم ٢٢٥،٢٢٦، حسنى إسماعيل مبارك: التطور الاقتصادي لولاية أفريقية ١٣٥

[١١] المقدسي : المصدر السابق ٢٢٥ .

[١٢] البكري : المغرب ١٠٨ .

أصلية[1]، وسوق مدينة أغمات وريكة يوم الأحد ، وهو سوق واسع[2]، وكثرت الأسواق المنعقدة على نهر درعة يوم الجمعة" لبعد مسافته ،وكثرة الناس عليه وطول عمارته المتصلة[3] " .

ولا تكاد تخلو قرية أومدينة من سوق عامر بأصناف التجارات والصناعات مثل أسواق قفصة ويعرض فيها التين والعنب والتفاح والفستق" وهى أكثر بلاد أفريقيا فستقا ومنها يحمل إلى جميع نواحى أفريقية[4] "، وبقابس أسواق وعمارات وتجارات وصناعات[5]، وكثرت الأسواق في صفاقس[6] ومثلها في تونس[7]، وفى طرابلس الأسواق الجامعة " صالحة الأسواق، وكان لها في ربضها أسواق كثيرة[8] "

ونظمت الأسواق فكانت الدكاكين صفا متصلا ويقابلة مثله ويفصل بينهما ممر معقود السقف[9] وفى المساء تضاء المصابيح، وبعد انتهاء السوق لا يبقى إلا الحرس" فإذا مشى أحد بعد ضربوا عنقه لأنه لا يمشي حينئذ إلا من يسرق أو يخرج لضرب من الفساد " [10]، وزيادة في تأمين الأسواق أقيمت المراصد على أطراف الأسواق وبداخلها الحراس[11].

وأبعدت بعض الأسواق عن المدينة ، فأقيمت خارج الأسوار مثل سوق الدجاج خارج باب تونس ، وسوق الخيول والبغال والحمير[12] ،وسوق الدباغين والفخارين والحدادين[13] .

---

[1] المصدر السابق ١١١.

[2] المصدر السابق ١٥٣.

[3] المصدر السابق ١٥٢.

[4] ياقوت : معجم البلدان ٣٨٢/٣، مجهول: الاستبصار ١٥٤.

[5] ابن حوقل : صورة الأرض ٧٠.

[6] البغدادى : مراصد الإطلاع ٧١٧/٢٤ البكري : المغرب ١٧

[7] ياقوت : معجم البلدان ٦١/٢

[8] ابن حوقل : صورة الأرض ٦٩

[9] حسن حسنى عبد الوهاب ، ورقات ٥٨/١ ، ٥٩.

[10] الدباغ : معالم الإيمان ٨٦/٣ ، ٨٧

[11] المصدر السابق ٨٦/٣ ، ٨٧.

[12] محمد المطلبى : تراجم أغلبية ٢٢٦

[13] حسني إبراهيم مبارك : التطور الاقتصادي لولاية إفريقية ١٣٥.

ورسمت لنا النوازل الحركة التجارية في الأسواق ، مثل رجل أعطى بضاعة أمانة يتجر بها في بلاد المغرب في المواضع المأذون فيها عادةً ، فذهب المبعوث معه بالمال إلى المغرب ، ثم قدم وادَّعى أنه أودعه ببلد من بلاد المغرب ، وأن العدُوَّ أخذ البلدة المذكورة واستولى على ما فيها ، و أنه أخذ ما وجد بالبلدة من المتاع وغيره ، فادَّعى صاحب البضاعة أن الرجل تعدَّى في مسيره إلى تلك البلدة؛ لأنه سافر بالمتاع من بلاد فاس إليها وطريقها مخوف ، وتعلق الضمان بذمته فلا يسقط الضمان عنه بوصول المتاع إلى البلدة المامونة ، وأثبت أن الطريق مخوف [1].

وأرسل رجل من فاس مع رجل عروضاً إلى رجل بسجلماسة فباع الرسول العروض بسجلماسة ، ودفع ثمنها إلى الذي أرسلها إليه ، فقال الذي بعثه: إنما أمرتك أن تدفع إليه العروض ، ولم آمرك بالبيع ، وقال الرسول: بل أمرتني ببيعها وأن أدفع إليه ثمنها[2]، وأمر رجل آخر أن يشتري له سلعة بعينها بكذا وكذا ديناراً بالنقد ، فاشترى له من ذلك الرجل سلعة بدين إلى أجل ، وقال للآخر أن يبيعها بالنقد [3].

واشترى رجل سلعة من السوق على أنها سليمة من مغرم السلطان ، فيسير إلى المتقبل فيبرئ مما وجب على تلك السلعة لجاهه عنده ، أو لغير ذلك ، وقد اشترط البائع عليه عند البيع مغرم السطان ، وكان الجواب : بأن على المشتري أن يرد ذلك على البائع ، إلا أن يدفعها إلى السلطان فلا يلزمه شيئ ، والسلعة السائغة له ، إلا أن يكون إنما اشتراها على أن الدرهمين له إن تركهما السلطان ، و إن أغرمه إياهما غرمها [4]. أما إذا باع رجل سلعة بثمن إلى أجل ، ثم يطلع فيها علىعيب ، وقد حدث عنده عيب ، فيريد ردّها ، ولم يحل أجل الثمن ، وكان الرأي أن يرد قيمة العيب الذي حدث عنده نقداً ، إذا ردَّها بالعيب[5].

---

[1] المعيار ٩/٩٢.

[2] المعيار ٩/١٠١ ، ١٠٢.

[3] المعيار ٩/١٢٠.

[4] المعيار ٦/١٨٣.

[5] المالقي : ٢٧٢ رقم ٥٠٢.

وإذا سقطت السلعة في البحر من النواتية أثناء نقلها إلى البر ، فضمانها من المشتري، لأنه اشترى السلعة من المركب ، لأنه يخرج السلعة من المركب على ملكه [١].

وقد يشتري رجل سلعة إلى أجل ، فيبيعها البائع بأقل من الثمن الأول نقداً ويدفعه للمشتري الأول مثل رجل كان عنده جملة نيل أراد بيعه ، فعلم به رجل فقال : علمت أنّ عندك نيلاً تريد بيعه فقال له : عندي نيل قد سوقته وقد أعطيت فيه بالوزان كذا وكذا ، فقال له الرجل الذي أراد شراءه أنا أشتريه منك إلى عامين اثنين ، فاتفق معه فيه ولم يرَ النيل ولا قلبه ، فلمّا أراد المشتري قبض النيل قال البائع : قد باعه الدلال بخمسين مثقالاً ، وهذا مالك ، فإن البيع لك وقبض المشتري للنيل الذهب وعقد البائع عقده بأن له واحداً وثمانين مثقالاً مرابطية إلى الأجل المذكور من معاملة صحيحة جائزة جرت بينهما مقبوضة وانفصلاً على ذلك ، وفي هذا كلّه لم يصل إلى يد مشتريه قبل ولا رآه وقف عليه ولا باعه، وإنما أعطاه الذهب بائع النيل منه فلمّا حلّ الأجل ودفع المشتري الدين إلى ربه علم أن الذي فعله معه لا يحل ولا يجوز وأنّه حرام [٢].

واشترى رجل عدل الحوت من الخناق أو من غيره ، فيفتح العدل فيرى حوتاً كبيراً جيداً ، فإذا فرغه وجد في القاع منه حوتاً كثيراً صغاراً أله الرد؟، وفي هذه الحالة : ما كان من ذلك قريباً بعضه من بعض لم يرده ، وما كان من ذلك بائناً مثل أن يجد في قاع العدل الحوت الدون المخالف للحوت الذي في أوله خلافا بيننا فإن ذلك عيب يرد به [٣].

واشترى رجل غرارة وفيها زبيب ، فوجد في داخلها حجراً ، وفي هذا الأمر ، يرجع بمقدار ما شغل الحجر من الغرارة ، ولا يرجع بوزن الحجر قريباً ، لأنه لو رجع بوزن الحجر زبيباً لعله أن يكون ذلك مثل نصف الغرارة أو ثلثها [٤]، وباع رجل جرّة وهي مكسورة ، وهو عالم ، فصب فيها المشتري زيتاً فهلك [٥].

❀ ❀ ❀

---

(١) المعيار ٢٧٨/٦.

(٢) عياض : مذاهب الحكام ٢٥٤ ، ٢٥٥.

(٣) المعيار ١٧٦/٦.

(٤) المعيار ٢٨٣/٦ ، ١٨٥ ، المالقي : الأحكام ٢٧٢ رقم ٥٠٣.

(٥) المعيار ٥٧/٦.

الموازين والمكاييل والمقاييس

يتم تقدير قيم الأشياء بمكاييل وموازين ومقاييس ، وتعددت هذه الأشياء في الأندلس، واختلف مقاديرها من منطقة لأخرى[١]، وأهمها هى :

١- المد :

والمد نوعان : المد الشرعي " مد النبى " ، والمد الكبير ويساوى أربعة أضعاف المد النبوى ، ويزن المد رطل ونصف أو رطل وثلث ، والرطل الأندلسي يساوى ١٦ أوقية ، والمد النبوى يعادله رطلا واحداً[٢]، ويذكر أن القفيز القيروانى كان يساوى ١٩٢ مداً كبيراً ، والقفيز القيروانى خمسة أقفزة قرطبية إلا ستة أمداد ، والقفيز القرطبى ٤٢ مداً نبوياً أو ٤٨[٣].

ولوحظ أن الصاع النبوى يعادل أربعة أمداد ، والصاع خمسة أرطال وثلث ، والوسق يساوى ٦٠صاعا ، وكان خمسة أو سق أو ١٢٠٠ مداً نبويا يزنوا ١٦٠٠ رطلا (والمد النبوى رطل وثلث) وهى زكاة المحصول في الأندلس .

٢- المدى

ويشتمل المدى في عصر الخلافة على ١٢ قفيزاً ويزن ثمانية قناطير، "وهذا المدى القرطبى زنته ثمانية قناطير ، والستة أقفزة هى نصف مدى زنته أربعة قناطير"[٤]، فإن كان القفيز الأندلسي يساوى ٤٨ مداً نبويا ويزن ٦٤ رطلا ، فالمدى يزن ٧٦٨ رطلا ، ولما كانت الفنيقة القرطبية تساوى نصف قفيز وتزن ٣٠رطلا فالمدى يزن ٢٤ فنيقة[٥].

٣- الكيل

استخدم في الأندلس لوزن السوائل والأشياء الصلبة، بالإضافة لكيل الحبوب ،

---

[١] الشرقاوى : الحياة الاقتصادية في الأندلس ١٣٨، البيلى : الحياة الاقتصادية في إشبيلية١١٩.

[٢] ابن عمر : أحكام السوق ١٠٤ .

[٣] المقدسي : أحسن التقاسيم ٢٤٠، البكرى : المغرب ٢٧،٢٦ .

[٤] ابن غالب : فرحة الأنفس ٣٠، ياقوت : معجم البلدان ١١١/٣.

[٥] المقدسي : أحسن التقاسيم ٢٤٠.

والكيل القرطبى في عصر الخلافة يساوى ٦ أمداد نبوية ويزن ٦ أرطال ، ويذكر أن جملة ما أنفقه الخليفة الناصر في بناء الزهراء من الدراهم القاسمية بالكيل القرطبى ثمانون مديا وستة أقفزة وزوائد أكيال[١]، وما أنفقه في منارة المسجد وإصلاحتها وبناء الواجهة وأحد عشر رواقا بلغ سبعة أمداد وكيلين ونصف كيل من الدراهم القاسمية[٢] .

٤- القسط

يستخدم في وزن العسل والزيت والخل وسائر السوائل ، فكان مقدار الجزية التي دفعها تدمير ومن معه من الأحرار كل عام هى : دينار وأربعة أمداد شعير وأربعة أمداد قمح وأربعة أقساط خل وقسطا عسل وقسط زيت ، وعلى كل عبد نصف ذلك[٣]، ويجبى من كورة إلبيرة ١٢٠٠ قسط زيت[٤] .

٥- الثُمن

وهو ثمن الربع الذى تكال به السوائل ، ويزن ١٢ حبة شعير ، وترد نصوص عن ثمن الربع ، فيذكر ، " أن لكيل اللبن ينبغى أي يكون الثمن العادى من ثمن ونصف ، ولاايباع بكيل زيت ... وقلة الزيت يجب أن تكون من اثنى عشر ثمنا أي ما يعادل ربعا ونصف[٥]، ويقول السقطى[٦] عن الثمن: ثمن الربع الجارى بمالقة في الكيل يصدق من العسل الطيب الأندلسي في الغالب ثلاثة أرطال ونصف ، ومن الطيب العدوى (المغربى) ثلاثة أرطال وست أوراق إلى ثلاثة أرطال ... وثمن الزيت رطلين وربع رطل ، وثمن الخل يتروح ما بين رطلين ونصف إلى ثلاثة أرطال إلا ربع رطل، وثمن لبن الغنم ثلاثة أرطال وربع ، ومن لبن الماعز ثلاثة أرطال وثلاث أواق " .

---

[١] ابن غالب : فرحة الأنفس ٣٠١.

[٢] ابن عذارى : البيان المغرب٢/٣٤٤.

[٣] العذرى : نصوص عن الأندلس ٥.

[٤] المصدر السابق ٩٣.

[٥] ابن عبدون: رسالة في الحسبة ٤٠،٤١.

[٦] آداب الحسبة ١٣.

٦- **القفيز**

كان المكيال الرسمى لقرطبة في عصر الخلافة ، وتعادل اثنى عشر قفيزاً تعادل مديا من ٧٦٨ رطل أو سبعة قناطير من ٩٦ رطلا[١]، والقفيز الأندلسى كان يعادل ٤٢ مدا نبويا وأحيانا ٤٨ مداً وأن القفيز القيروانى كان يساوى ١٩٢ مداً محليا أو ٢٠٤ مداً شرعيا، أى ما يماثل خمسة أقفزة قرطبية إلا ستة أمداد ، فالرطل القيروانى يشتمل على ١٧ أوقية، والقرطبى يشتمل على ١٦ أوقية ، والقفيز القرطبى يضم ٤٢ مداً أو سعته ٢٨ لتراً[٢].

٧- **القدح**

يكال به الحبوب ، ويعادل ستة أمداد من خمسة أرطال وثلث لكل مد ، والقفيز يعادل ٢٠ قدحا، والوسق ١٠ أقداح، والقدح ٣٢ رطلاً ، والقدح يعادل ٢٤ مداً نبويا ويزن ٣٢ رطلا[٣].

٨- **الفنيقة**

الفنيقة القرطبية تساوى ٢٠ مداً نبويا ، وتزن نصف قفيز من ٦٠ رطلا ، أى أنها تزن ٣٠ رطلا[٤]، والفنيقة تعادل ٢١ مداً أو٢٨ رطلا، وإذا كان القفيز = ٤٢ رطلا ، وخضعت الأكيال والموازين لرقابة المحتسب .

وكانت وحدة الميزان في المغرب : القنطار ، والرطل ، والأوقية ، والدرهم ، واختلفت قيمة الرطل حسب السلعة ، فهناك رطل لفلفل ورطل للحم ، وكان لكل "إقليم وبلد في المعاملة على أرطال تتفاضل في الزيادة والنقصان" [٥]، فرطل تونس يساوي ١٢ أوقية (الرطل ١٤٤درهم) [٦]، ورطل مليلة ٢٢ أوقية (الرطل ٣٣٠ درهم) [٧]، ورطل نكور

---

(١) ابن غالب : فرحة الأنفس ٣٠١ ، معجم البلدان ١٦١/٣.

(٢) ابن غالب : فرحة الأنفس ٣٠١ ، معجم البلدان ١٦١/٣.

(٣) ابن غالب : المصدر السابق ٣٠١ .

(٤) البكري: المغرب ١١٢، ١١٣ ، أحسن التقاسيم ٢٤٠.

(٥) الشيرزي : نهاية الرتبة ١٥.

(٦) المقدسي : أحسن التقاسيم ٢٤٠.

(٧) البكري : المغرب ٨٨ ، ٨٩.

يساوي ٢٢ أوقية [١]، ورطل تنس يساوي ٦٧ أوقية (رطل وزن اللحم)" [٢]، أما رطل سائر الأشياء بها فيساوي ٢٢ أوقية [٣].

وتفاوتت قيمة القناطير كذلك ، فقنار مليلة ونكور يساوي ١٠٠ رطل و٢٢٠٠ أوقية [٤]، وقنطار أصيلة ٢٢٤٠ أوقية [٥]، واختلفت قيمة القنطار حسب نوع السلعة ، فوزن قنطار الزيت في تاهرت يساوي قنطاران وثلث ، أما الفلفل وغيره فقنطار عدل [٦]، واختلفت قيمة ما تحتويه الأوقية من دراهم ، فأوقية تونس تقدر بـ ١٢درهماً [٧]، وأوقية مليلة ١٥ درهماً [٨]، وأوقية ، وأوقية نكور ١٥ درهما [٩].

وهناك نوع من الأوزان تسمى الصنوج ، وهو قطعة مستديرة بقدر الدرهم ، وكانت في عهد الفاطميين من زجاج مطبوع [١٠]، ويكتب عليها مقدار ما تساويه ، وهناك صنوج أخرى لوزن المجوهرات والعطور والأدوية وما إلى ذلك [١١]؛ لأن الأوزان الزجاجية لا يعلق بها شيء هذا فضلاً عن سهولة إدراك أي تآكل فيها [١٢] . أما الأوزان الأخرى فتصنع من الرصاص ، وفي العصر الفاطمي نقش عليها أسماء الخلفاء الفاطميين "فعلى كل رطل اسم أمير المؤمنين ، فإن اجتمعت أرطال بموضع واحد بسط صبها وطبع على كل رطل ولو كانت عشرة" [١٣].

❀ ❀ ❀

---

[١] البكري : المغرب ٩١.

[٢] المصدر السابق ٦٢.

[٣] السابق نفسه ٦٢.

[٤] البكري : المغرب ٨٨ ، ٨٩، ٩١ .

[٥] المصدر السابق ١١٢.

[٦] السابق ٦٩.

[٧] المقدسي : أحسن التقاسيم ٢٤٠.

[٨] البكري : المغرب ٨٨ ، ٨٩.

[٩] السابق ٣٨ .

[١٠] المقدسي : أحسن التقاسيم ٢٤٠ ، حسن حسني عبد الوهاب : ورقات عن الحضارة ٤١٩/١.

[١١] حسن حسني عبد الوهاب : المرجع السابق ٤٢٠/١.

[١٢] راشد البراوي : حالة مصر الاقتصادية ٢٠٥.

[١٣] أحسن التقاسيم ٢٤٠.

المقاييس

استخدم الزراع في قياس الأطوال في الغرب الإسلامى كله وأهمها هى :

١- الذراع العادى

وهو قدم ونصف، وهو ست قبضات كل منها أربعة أصابع يساوى ٤١,٨سم[١]، وهناك أيضاً الذراع الرشاش[٢] ويعادل واحد وثلث من الذراع اليدوى ، لأن الذراع اليدوى "العادى" ، يقابل ثلاثة أرباع ذراع رشاش " الرسمى"

٢- الذراع الكبير

يعادل ٣٢ بوصة أى ٧٤,٣سم ، ويذكر الحميرى[٣] أنه ثلاث أشبار ونصف

٣- الذراع المتوسط

ويعادل ٢٤ بوصة أو ٣٢ أصبع ، أى حوالى ٥٦سم[٤] واستخدم الفلاحون الأندلسيون مقياس يسمى المربع ، وهو ٤٠ ذراعا رشاشيا وهو مقياس للأرض يعدل ٥٠٠م٢ ، واستخدموا العارضة، وهى تساوى ١٠ أذرع رشاشية . أما الباع فكان ٤ أذرع[٥]

❀ ❀ ❀

وأجاز الفقهاء لمن كان بأرض بعيدة من السوق شراء الموزونات منهم جزافاً مثل رجل كان بأرض لا سوق فيها ، وبينه وبين الأرض التي فيها الأسواق مسافة القصر ، وليست لهم موازين ، ولا يعرفون أي شيء ، فيجوز شراء السمن واللحم منهم بغير ميزان، ولا حزر ، ولا تخمين إذا عرفوا في الجزاف المقادير التي تزيد الأثمان بزيادتها أو تنقص بنقصها [٦].

---

(١) الحميرى : الروض ١٨٠ .

(٢) نسبة إلى محمد بن الفرج القياسى ، ويقاس بالذراع الذى يساوى ٣٢ أصبع " ابن الجياب التقريب والتيسير (مخ) ورقة ٦٤ابن غالب : فرحة الأنفس ٣٠٠

(٣) الروض المعطار ١٤٦

(٤) مؤنس: وصف جديد لقرطبة١٧٥

(٥) ابن صاحب الصلاة : المن بالإمامة ٤٦٦

(٦) المعيار ٥/٨٨ ، ٨٩.

وتكرر السؤال عن بيع الجزاف هل لابد أن يكون المتبايعان عارفين بالحزر والتخمين أو لا يلزمهما ذلك؟ فإن قلتم لابد فهل ذلك فيما يباع جزافاً أم لا؟ فإن قلتم في كل ما يباع جزافاً فهل يدخل في ذلك حَزْرُ الصوف والحديد والنحاس ، وكذلك اللحم يباع أكداساً على بساط أو على حَجَر فهل يجتزئ بالنظر إليه بقصد القلة والكثرة دون ما فيه من الوزن أم لا؟ ، فكان الجواب: أن من شرط البيع العلم بالمقدار والعلم بالكيل والوزن والعدد ، وكل ما يوزن أو يكال يصح فيه الجزاف ، وشروطه أن يكون المتبايعان عارفين بالحزر والتخمين وما جرت به العادة يبيعونه من غير وزن وهو مما اشتراه قبله ، فيقول هذا مثل ما اشتريت قبل هذا بكذا [١].

أما المبادلة بالمعيار المجهول ، فالمعيار المجهول إنما يقدح في البيع ، ويكون مانعاً في غير معاوضة المماثلة كمعاوضة المثلي بالنقود أو العروض ، وأما المثلي بمثله ، فليس من ذلك ، إذ لا جهل فيه ، ولا يخشى أحد المتعاوضين فيه من الغبن ، ولذلك نرى أهل الأنْدُر يقتسمون الزرع المشترك بصَحْفة مجهولة المقدار ، ولا يرتاب عاقل في أن الشريك الذي له ثمن يأخذ صحفة من ثمان ، ويأخذ الذي له النصف أربعاً من ثمان. وعلى هذه النسبة . إن كل واحد من الأشراك توصل إلى حقه من غير أن يفوت عنده غير زيادة ، ولا يشك العقلاء أن المماثلة تحصل بالظرْف الواحد الذي لا يختلف ملْؤُهُ ، وإن كان مجهول القدر ، كما يحصل بالمعلوم القدر [٢]، فإذا اشترى الرجل من الرجل ما في وعائه من الطعام كل قفيز بكذا وكذا فتفضل فيه ، فإنه لا يجوز له أن يشتريها جزافاً ، ولكن يكيلها بالمد [٣].

وقد يشتري رجل طعاماً ويذهب به ثم يرجع مدعياً أنه ناقص الكيل مثل رجل اشترى الطعام من رجل ، فأمر مَنْ يكيل له ، وحسب المشتري حتى استكمل ثم قال له البائع قبضت حقك ؟ فقال : نعم ، فتوجه إلى بيته وادّعى أنه ناقص عن تمام حقه عشرة أكيال [٤].

---

[١] المعيار ٥/٩١.

[٢] المعيار ٦/٤٥.

[٣] المعيار ٥/٢٤٨.

[٤] المعيار ٥/٢٥١.

واختلف فيما يكال ويوزن ، فما الموقف من سلف الدقيق وزناً ، وجرت بذلك العادة في المغرب والأندلس ، غير أن بعض العلماء منعه ، ورأى أنه لا يجوز إلا كيلاً ، وكان الجواب أن في المعاملات والبيوع ، والسَلَمْ تُعتبر العوائد ، وما جرى به عرف كل موضع من كيل أو وزن ، فالتمر مثلاً كان المعروف فيها بالشرع الكيل ، وفي المغرب المعروف فيه الوزن ، فلا يجوز التعامل فيها بالكيل ، لأنه مجهول فيقع الغرر [1]، وأجاز العلماء المغاربة استعمال المكيال والوزن المجهولين في القسمة ، لأن المطلوب في القسمة المساواة، وهي حاصلة بالمكيال المجهول [2].

ويكثر الوقوع في القرى والبوادي أن من أراد شراء طعام لا يكتاله من بائعه حتى يهز الصاع في كيله ويحركه بيده ، وأما غيره من جلبه وتريغه لا يعرفونه ، وهذه العادة لا تجوز لما فيها من الجهالة والغرر، وصفة الكيل أن يمسك بيده على رؤوس المكيال ثم يسرحها ما أمسك المكيال فهو وفاؤه [3].

وسُئِل أحد الفقهاء عن حناط باع إلى رجل ثلاثة أرباع دقيق ونقده الثمن وقبض الدقيق وأتى به إلى منزله فوزنه ، فنقصه ثلاثة أرطال ، فقال البائع : دفعت إليه حقه ، وكان الحكم أن القول قول المشتري مع يمينه لأنه ادعى العرف ، والعرف أن الحناطين ينقصوا الناس في الوزن [4].

ورأى أحد الفقهاء أنه (ينبغي أن يكون الكيل في البلد واحداً كيل القفيز ، وكيل القسط ووزن الأرطال ، فيكون واحداً معروفاً قد عرفه الناس ، فكان قفيز قرطبة عشرة آصع والوسق ستة أقفزة والخمسة الأوسق التي أوجب النبي ﷺ فيها الزكاة ثلاثين قفيزاً ، وهو أدنى ما تجب فيه الزكاة حتى تكلف جهال ولاة السوق الزيادة فيه ، لخلطوا على الناس أمرهم [5].

---

(1) المعيار ٢٢١/٥.

(2) المعيار ١٢٢/٨.

(3) المعيار ٩٠/٥.

(4) المالقي : الأحكام ٣٢٥ رقم ٦٥٥، المعيار ٢٢٢/٦ .

(5) ابن سهل : الإلام ٧٤٢.

وهناك من يشتري بوزن يكون فيه لسان الميزان قائماً مثل رجل اشترى الكتان أو غيره ، فيرغب في الوفاء ، فالذي يلزم المتبايعين في الوزن أن يكون لسان الميزان قائماً مستوياً في القيمة ، فما أرجح البائع للمشتري فهو طوع منه ، وإن أكره فلا يجوز لأنه يأخذ منه ما لاحق له فيه (١). واشترى رجل بعض الفاكهة بعدد أو بوزن (٢).

واشترى رجل حمل طعام أو كتان على أن فيه كذا وكذا قفيزاً ، ورطلاً فصدقه المشتري ، وعندما ذهب إلى منزله وجده ناقصاً (٣). ويحدث في القرى والبوادي أن الرجل يأتي فيشتري اللحم ، وعادتهم أنه يبيعون جزافاً ، وهم غير عارفين بحرزه وتخمينه (٤).

۞ ۞ ۞

الأسعار وارتباطها بالملكيات الزراعية :

ترتبط الأسعار غالباً بالوضع الفلاحى المتأثر بالنظام السياسى والظروف الطبيعية، فترتفع الأسعار وتنخفض وفق ظروف العرض والطلب ، وتأتى الأسعار عرضا في كتب التراجم والجغرافية،وترصدها المصادر السياسية في أوقات الشدة والأزمة ، وعُرِّف التسعير لغة بأنه جعل الشيء له سعر معلوم ينتهي إليه (٥)، وشرعاً (٦): هو أن يأمر السلطان أو نوابه أو كل من ولي من أمور المسلمين أمراً أهل السوق ألا يبيعوا أمتعتهم إلا بسعر كذا ، فيمنعوا من الزيادة عليه أو النقصان لمصلحة" ، والأصل في التسعير الحرمة ، ولا يجوز إلا في حالة الضرورة لما روي أنه "غلا السعر على عهد رسول الله ﷺ فقالوا يا رسول الله لو سعرت ؟ فقال : إن الله هو القابض الباسط الرازق المسعر ، وإن لأرجو أن ألقى الله – عز وجل – ولا يطلبني أحد مظلمة ظلمته إياه في دم ولا مال" (٧).

---

(١) المالقي : الأحكام ٢٩١ ، رقم ٥٥٦.

(٢) المصدر السابق ٢٢٩ رقم ٤٩٦.

(٣) المعيار ٥/٢٥٣.

(٤) المعيار ٥/٩٦.

(٥) نيل الأوطار ٥/٢٤٨

(٦) رواه الخمسة إلا النسائي ، وصححه الشرمذي

(٧) الطرق الحكيمة ٣٥٥ تحقيق الدكتور محمد جميل غازي

فالتسعير في الأحوال العادية حتى وإن غلا السعر محرم ، لأن السعر يرتفع بأحد أمرين: قلة المنتج ، وإما بكثرة الناس ، أو هما معاً . والعلاج لا يكون بالتسعير حتى لا تختفي السلع ، وإنما العلاج يكون بزيادة المعروض من السلع وتشجيع الإنتاج . أما إذا تدخلت عوامل خارجية مثل الاحتكار ، فيجوز لولي الأمر التسعير في هذه الحالة ، وقد لخص ابن القيم الموقف بدقة قائلاً : "وأما التسعير فمنه ما هو ظلم محرم ، ومنه ما هو عدل جائز ، فإذا تضمن ظلم الناس وإكراههم بغير حق على البيع بثمن لا يرضونه ، أو منعهم مما أباح الله لهم فهو حرام ، وإذا تضمن العدل بين الناس ، مثل إكراههم على ما يجب عليهم من المفاوضة بثمن المثل ومنعهم مما يحرم عليهم من أخذ الزيادة من المثل فهو جائز بل واجب "

ولهذا سعرت بعض المنتجات الاستهلاكية: زراعية وصناعية مراعاة للمصلحة العامة [1]، وتتم عملية التسعير بين المحتسب وتجار كل سوق "فإن أراد الإمام العدل أن يسعر شيئاً من ذلك ، فيجمع وجوه أهل سوق الشيء ، ويحضر غيرهم استظهاراً على صدقهم ، فيسألهم كيف يشترون ؟ وكيف يبيعون؟ فإن رأى شططاً في البيع نازلهم على ما فيه لهم وللعامة صلاح وسداد ، حتى يرتضوا به ، ويتعاهد ذلك منهم بعد ذلك في كل حين، فمن وجد منهم قد زاد في الثمن أمر أن يبيع كبيع أصحابه ، وإلا أخرجه من السوق وأدبه ، وإن أراد واحد منهم أو اثنان أن تبيعوا بأرخص من ذلك ، لم يمنع من بيعه ، فإن كثر هؤلاء قيل لمن بقى من أهل السوق : إما أن ت بيعوا كبيع هؤلاء ، وإلا فارفعوا" [2]، ولا يحل التسعير إلا عن تراض [3].

وأما المواد الغذائية التي يجلبها الفلاحون بكميات صغيرة فلا تسعر مثل : الجبن ، واللبن ، والعسل ، والزيت ، والخضر ، والفواكه ، كما لم يكن التسعير يجرى على أصحاب الحرف [4]، ويأمر صاحب السوق أهل الريف إذا جاءوا بالطعام أن يبيعوه في الأسواق ولا ينزلوه في الدور والفنادق حتى لا يشتري الكمية تاجر واحد أو عدد من التجار فيتحكموا بعد

---

[1] المجيلدي : التيسير في أحكام التسعير ٤٩.

[2] ابن عبد الرؤوف : في آداب الحسبة والمحتسب ٨٩.

[3] المجيلدي : التيسير ٤٩ ، ٥٠.

[4] المصدر السابق ٥٥.

ذلك في السعر ، ويرتفع الثمن [1]، وهذا يدل على أن بعض الفلاحين يفضلون بيع محاصيلهم جملة واحدة للتجار ، ويعودون سريعاً إلى قراهم وبواديهم [2].

وقاوم صاحب السوق احتكار التجار للسلع ، فيجبر المحتكر على بيع السلعة ، وهذا ما صرح به صاحب السوق يحيى بن عمر "فيمن يحتكر الطعام ، وينتج عنه من ضرر للناس في السوق أن يباع طعامه ولا يأخذ إلا رأس المال ، أما الربح فيتصدق به أدباً له ، وينهى عن ذلك ، فإن عاد إلى فعله ضرب وطيف به في السوق ثم يسجن" [3].

ولايترك لأهل الحوانيت ادخار شيء مجلوب من إدام و ماشابه ذلك مثل: الزيت والعسل والسمن والزبيب والتين مما بالناس حاجة إليه ، و لا يحتكرونه [4]، كما يفعل نفس الشيء في الحبوب كلها التي تعد قوتاً للعباد وعلفاً للحيوان ، فيرى ابن عبد الرؤوف عدم تسعير الحنطة والقمح والشعير لأنها تعتبر الغذاء الرئيسي لعامة الناس ، وحتى لا يخضع لاحتكار التجار وتنافسهم ، الأمر الذي يؤدي إلى الزيادة في سعره فلا يستطيع المستهلك شراءه ، إنما يشتريه من جالبيه ، ولا يترك التجار يشترونه منهم ليبيعوه على أيديهم " [5].

ولم تسعر البضائع على أربابها في الأندلس، بل تُركت حرية الأسعار وفق العرض والطلب ، وكان الملمح العام في الأسعار – في غير عصور الاضرابات – هو الاستقرار والرخص وكثرة الخير والسعة [6]. وتدل على ذلك أوصاف الجغرافيين والرحالة.

أما في عصر الفتن والثورات فقد غلت الأسعار واختلفت من إقليم لآخر [7]، فهناك بعض الأسعار في المجال الزراعي والعقاري ، ففي أواخر عصر الخلافة بيع حقلين من أرض بيضاء مزروعة بعشرة دنانير [8]، في حين بيع حقل في أواخر عصر الطوائف

---

(١) السابق نفسه ٥٣.

(٢) السابق نفسه ٥٣.

(٣) أحكام السوق ١٣٥ هامش (١).

(٤) ابن عبد الرؤوف : ثلاث رسائل في الحسبة ١٠٩.

(٥) المصدر السابق ٨٨ ، ٨٩.

(٦) ابن حوقل : صورة الأرض ١٠٩ ، البيان المغرب ٢٢٣/٣ .

(٧) ابن رشد : الفتاوى ٩٣٦/٢.

(٨) ابن العطار : الوثائق ٢٠.

بعشرة مثاقيل [١]، كما بيع كرم بعامة منافعه وحقوقه بعشرين مثقالاً ذهباً جياداً [٢]، واشترى شخص جنة في سنة سبع وخمسين وأربع مائة بمائتي مثقال وأربعين مثقالاً ذهب قرمونية [٣]، وبقرية مريانة الغافقي من إقليم الشرف بكورة إشبيلية، حددت إحدى الاستغلاليات وما فيها من مرافق ومصالح وجنات وأشجار في ثلاث مائة مثقالاً ذهباً عيارية [٤].

وبيعت دار صغيرة بعشرة دنانير ، وبيعت دار متوسطة الحجم بـ ٦٠ ديناراً ، وبيعت دار أخرى بإشبيلية باثنين وأربعين مثقالاً ذهباً معتمدية [٥]، ودار أخرى بمائتي مثقال وستين مثقالاً ذهباً قرمونية [٦]، وأخرى بمائتي مثقال وثمانين مثقالاً [٧]، وأخرى بمائة مثقال وخمسين مثقالاً عبادية [٨]، وتم كراء دار وحصة ثلث دار أخرى متوسطي الحجم لمدة اثني عشر عاماً من سنة ٤٤٧هـ إلى ٤٥٩هـ بمائة مثقال وأربعة وأربعين مثقالاً ونصف مثقال ، وأكريت دار أخرى لمدة عامين بعشرين مثقالاً عبادية [٩]، وأجر آخر داراً للسكنى بحوانيت وفرن بسبعين دنياراً سنوياً [١٠].

وتراوحت أثمان الدواب والرمك بين ثلاثين ، وخمسة وثلاثين مثقالاً [١١]، وقومت بعض البغال القرطبية كل واحدة منها بخمسمائة دينار [١٢]، وبيعت الأكسية والمناسج الصوفية الغالية بأربعة وعشرين ديناراً ونصف دينار ، وخمسين مثقالاً عبادية [١٣].

---

(١) ابن الحاج: النوازل ١٤.
(٢) المصدر السابق ١٤.
(٣) ابن سهل : الإعلام ١٧٣
(٤) ابن سهل : الإعلام ١٥٠
(٥) ابن الحاج: النوازل ٢٥٠.
(٦) ابن سهل : الإعلام ١٨١.
(٧) ابن الحاج: النوازل ١٠٨.
(٨) ابن سهل : الإعلام ١٠٨.
(٩) ابن الحاج: النوازل ٢٥١.
(١٠) ابن سهل : الإعلام ٢٩٨.
(١١) ابن رشد : الفتاوى ٧٩١/٢ ، ابن سهل : الإعلام ٢٦١.
(١٢) المقري : نفح الطيب ٥٢٠/١ .
(١٣) الخشني: قضاة قرطبة ٩٥ ، ابن الحاج: النوازل ٣.

وتتراوحت أثمان العبيد بين: ثمن جارية بثمانية وعشرين مثقالاً [١]، وبيعت جارية رومية لم تبلغ المحيض بأربعة وثلاثين مثقالاً [٢]، واشتريت أمة سوداء بمائة مثقال وإحدى وستين مثقالاً ذهباً قرمونية [٣].

أما أثمان المواد الغذائية التي بها عيش الناس فكانت متفاوتة فثمن المدى من القمح ستة دنانير ومن الشعير ثلاثة [٤]، وثمن الخبز بين ربع دينار ونصف دينار في ثلاثين قرصاً من خبز قمح حسن العمل والطبخ كل قرص في رطل دقيق [٥]، وباع أحد أهل بوادي إشبيلية بسوق قرمونة زمن المعتضد حزمة حطب بخمسة دراهم [٦]، وكان أجرة صنع كسوتين ونصف من سمائي أو أحمر بمثقالين والأخضر ثلاث كسى بمثقال والكسوة من أربعة وعشرين ذراعاً [٧].

ويغلب على الأسعار بالمغرب كذلك – في غير أوقات الشدة – الرخص وأنها في متناول معظم السكان ، ووصف الجغرافيون والرحالة المدن بالرخص، فالأسعار في برقة فائضة الرخص[٨] ، ومدينة ماسيته ذات غلات كثيرة ورخص وخصب[٩]، والأسعار في مدينتي بونة ومرسى الدجاج رخيصة لوفرة إنتاجها من الحبوب والفواكه والحيوانات، وتصدر للبلاد وحولها[١٠]والفاكهة في قابس في متناول الفقراء[١١]، ورخصت الأسعار في

---

[١] ابن سهل : الإعلام ١٦٥

[٢] ابن رشد: الفتاوى ٣/١٦١٥.

[٣] ابن سهل: الإعلام ١٦٥.

[٤] ابن بسام : الذخيرة ١/١٢٠،

Simonet : oip. cit. P. 386, J. Vallvé Bermego : Notas de Metrología Hispano-Arabe II. Al-Andalus. 1977. Vol. XLII. Fasc. 1 PP. 61 - 121.

[٥] ابن سهل: الإعلام ١٣٧.

[٦] عبد الواحد المراكشي : المعجب ٩٩.

[٧] ابن رشد : الفتاوى ٢/٩٢٠.

[٨] ابن حوقل : صورة الأرض ٦٦.

[٩] المصدر السابق ٨١.

[١٠] السابق نفسه ٧٥،٧٦.

[١١] السابق ٧٠.

بلزمة لسعتها وكثرة الكراع حولها والماشية[1] ، وأسعار السوس رخيصة[2]، واللحوم في مدينة تيوبوته رخيصة جداً[3]، وتباع الفواكة في نقيس بسعر رخيص[4]، والطعام في سلا كثير رخيص[5] ، وبيعت الفواكة في مدينة بنى عطوش بالثمن اليسير [6]، ومدينة تلمسان حسنة رخيصة الأسعار[7]، والغنم في وهران رخيصة بالثمن اليسير[8] ، ويباع حمل التمر في مدينة ايجلى- قاعدة بلاد السوس - بسعر زهيد[9]، ويباع قنطار قصب السكر بمثقالين أو أقل[10]، وفى جبل درن بيع حمل السفرجل والرمان بقيراط لكثرته[11]، وعرفت قرى بلاد السوس بأسعارها الرخيصة، فكان يباع حمل حمار بثلاثة دراهم، ثم أصبح يباع بدرهم واحد، وذلك لكثرة وجود عسل النحل، واعتياد أهل السوس على استخدامه أما السكر فلا يستعملة إلا المرضى وكبار السن في المواسم[12] . وهناك أوصاف أخرى تدل على رخص الأسعار مثل الوصف بالعمارة وكثرة السكان والتحضر ، والأسواق بها نافقة، وهذا جدول به بعض الأسعار للمنتجات الزراعية والحيوانية والصناعية المتصلة بالزراعة

الصنف	السعر	الكمية	الملحوظات والمصدر
القمح في تونس	خمسين درهما	القفيز	صبح الأعشى ١١٥/٥
الحنطة في باجة	درهم	أربعمائة رطل القفيز	ياقوت ٣١٤/١
الشعير في تونس	أقل من خمسين درهم		
الزيت في صفاقس	دينار	من ٦٠:١٠٠ قفيز	صورة الأرض ٧٠

---

(١) المصدر السابق ٩٣.

(٢) الإدريسي : صفة المغرب ٦١.

(٣) السابق ٦٣.

(٤) السابق نفسه ٦٣ .

(٥) السابق ٧٢.

(٦) السابق ٧٨.

(٧) السابق ٨٠.

(٨) السابق ٨٤.

(٩) مجهول : الاستبصار ٢١٢.

(١٠) البكري : المغرب ١٦٢.

(١١) الإدريسي : صفة المغرب ٢٣٠.

(١٢) العمرى : مسالك الأبصار ٨٤/٤ " مخ دير الدومنيكان " .

الصنف	السعر	الكمية	الملحوظات والمصدر
حمل تمر في قسطيلية	درهمان	حمل	أحسن التقاسيم ٢٣٠
زيت الزيتون في صفاقس	مثقال	أربعين ربعا قرطبية	البكرى : المغرب ١٩، ٢٠
السكر في السوس	مثقالان	القنطار	البكرى : المغرب ١٦١، ١٦٢
التين في القيروان	درهم	عشرة أمناء = ١٠ أرطال	أحسن التقاسيم ٢٢٤، ٢٢٥
القمح أو الشعير في أفريقية	درهم	٢٥ مداً	المن بالإمامة ٤٤٢
الدقيق في تونس	درهمان	ربع	المن بالإمامة ٤٤٢
الخبز في مراكش	بقيراط	رغيف وسمن	التشوف ٤١٨
الخبز في فاس	درهم	٣٠خبزة	التشوف ١١٧
لحم الفقان في تونس	درهم	الرطل الأفريقى	صبح الأعشى ٥/١١٥
الدجاجة في تونس	درهمين	واحدة	
اللحم بالقيروان	درهم	خمسة أمناء	أحسن التقاسيم ٣٣٤، ٣٣٥
اللحم في بلاد أفريقية	درهم	٦ ورقيات	المن بالإمامة ٤٤٢
ثور الحرث	عشرون ديناراً	واحد	الجنحانى : المغرب الإسلامى ٧٣
الجمل	عشرة دنانير	واحد	الجنحانى : المغرب الإسلامى ٧٣
العمامة في سوسة	مائة دينار	واحدة	الاستبصار ١١٩
توب يستعمل في مراكش	١٠ دراهم	واحد	التشوف ٣٩٢
كفن للمتوفى في مراكش	٣ دراهم	واحد	التشوف ٣٩٢
توب يستعمل في فاس	١٠ دراهم	واحد	التشوف ٣٢٠
جبة في أغمات	عشرة دنانير	واحدة	التشوف ١٢٨
جلابية تحت الجبة في بلاد الهبط	٣ دراهم	واحدة	التشوف ٣٧٣
توب أمرأة	٧ دنانير	واحد	الجنحانى : المغرب الإسلامى ٧٣

وهناك جملة من الأخبار توضح يسر الحياة فهذا الإمام سحنون يقول : اشترى لى شئ بخروبة ونصف فتعذيت به أمس، وتعشيت به البارحة، وتغذيت منه اليوم قبل أن أخرج إليكم وبقى لى ما أتعشى به[1] " وواضح أنها أكلة بسيطة من خبز وزيت وبسيسة وخصص أبو الحسن الدباغ (ت ٣٥٩هـ /٩٦٩م) دينارين لنفقته الشهرية.

---

[1] المالكي : رياض النفوس ١/٢٦٩.

أما أسعار الملابس فتختلف حسب نوعها وجودتها وروى أن أحد تلاميذ الإمام سحنون دخل يوما على سحنون وعليه ثوب خلق، فلما قرب السماع، وخرج الناس رفع إليه سحنون شقة ورداء، وقال له : اقطع من هذه الشقة والرداء قميصين والبس الرداء، فلما خرج ساومه فيها قوم من أصحابه ، فلم يزالوا حتى اشتروا ذلك منه بأربعين درهما، فقال سحنون: اشتروا منك ما عرفوا وبعت مالم تعرف[1] "، في حين بلغت كسوة أبى عثمان سعيد الحداد عشرين ديناراً لأنه " حسن اللباس جميل الزى "[2].

وتتغير الأسعار في الأزمات الاقتصادية بسبب الأوبئة والمجاعات وبسبب القحط والسيول فينخفض المعروض ويقل الإنتاج أو ينعدم فترتفع الأسعار حتى تستعصى على الفقراء وتعوز الأغنياء مثلما حدث سنة ٣٠٣هـ/٩١٥م فبلغ مد القمح ثلاثة دنانير[3]، وبلغ قفيز القمح بالكيل القرطبى مثقال ذهب سنـ٣١٧هـ/٩٢٩م[4]، وتكررت هذه الأحداث مع كل مجاعة – كما رصدت قبل ذلك – .

وأحياناً تزاد الأسعار بسبب عدم توافر السلع في المنطقة وإنما يجلب من منطقة أخرى، فمدينة قسطيلية سعر الطعام بها غال ، لأنه يجلب إليها ولا يزرع من الشعير والقمح إلا زرع تافه[5] " .

❁ ❁ ❁

---

[1] المطلبي : تراجم أغلبية ٢٨٨.

[2] المصدر السابق ٣٥٨.

[3] ابن عذارى : البيان المغرب ١/١٧٤.

[4] المصدر السابق ١/٢٠٠.

[5] ابن حوقل : صورة الأرض ٩٤

طرق التجارة الخارجية (البرية والبحرية)

مثلت الطرق الخارجية أهمية كبرى للأندلس والمغرب، لأن البحار تحيط بها من ثلاث جهات ، فهذه الطرق هى التي تربطها بالعالم حولها .

١- الطرق البرية في الأندلس والمغرب

الطريق البرى الرئيسي يبدأ من الأندلس إلى بلاد السوس الأقصى بعد عبور المضيق ، فيصل إلى طنجة ومنه إلى أفريقية الى مصر، ثم الرملة، ثم دمشق ثم الكوفة فبغداد والبصرة ثم إلى الأهواز إلى فارس إلى الكرمان الى السند ومنهاإلى الهند والصين(١).

ويصف قدامة بن جعفر أحد الطرق أيضا(٢)التي تصل بين المشرق والمغرب ثم الأندلس، ويبدأ الطريق من بغداد إلى الأنبار ثم إلى هيت إلى الفرضة الى الرصافة إلى الرقة ثم إلى دمشق إلى طبرية فالرملة فغزة فرفح فمليتية فأجدابية ثم إلى سرت فالمنصف إلى وادى الرمل إلى طرابلس الى قصر الدرق فالفوارة فقابس فالقيروان ، ويصف الإدريسي(٣) – في ق٥هـ– طريق رحلة الأندلسيين الى المشرق بعد عبور مضيق جبل طارق الى قصر مصمودة على ساحل البحر ومنه الى سبتة أو فاس ، والمسافة بين فاس وتاهرت ٥٠ مرحلة ، ومن تاهرت للقيروان ٣٦ ، مرحلة ومن القيروان لمصر ٦٠ مرحلة ثم يتجه المسافر إلى الشام أو العراق أو الحجاز(٤) ويتأثر التجار بالتقلبات السياسية في المغرب ، فيقابلون متاعب دفع الضرائب على كل دولة يمرون بها(٥)، أو تسرق البضاعة مثلما حدث مع صالح بن محمد المرادى المعروف بابن الوركانى من أهل وشقة (ت٣٠٢هـ/٩١٤م) الذى سرقت بضاعته قرب القيروان(٦)

---

(١) ابن خرداذبة : المسالك والممالك ١٥٥،١٥٤

(٢) الخراج وصناعة الكتابة ١٢٤،١١٥.

(٣) صفة المغرب ١٦٨.

(٤) الاصطخرى : المسالك والممالك ٣٧.

(٥) منيرة الراشد : الحياة الاقتصادية في أفريقية في عهد الأغالبة (ماجستير الرياض ، كليةالآداب ، جامعة الملك سعود ١٤٠٥/١٩٨٨) صـ١٦٤.

(٦) ابن الفرضى :١/٣٥٠ .

وكان الطريق الساحلى بين مصر والمغرب أكثر الطرق أمناً وراحة لكثرة الحصون وأبراج المراقبة، وبعده عن البدو، ويبدأ هذا الطريق من بلاد المغرب الأقصى ماراً بالمغرب الأوسط وأفريقية حتى يصل الى الإسكندرية ورشيد ثم يصل الى الفسطاط وتتفرع الى اتجاهين:-

الأول يخرج من الفسطاط للحجاز عبر الصحراء الشرقية عن طريق القلزم وإيله، وقل ورود هذا الطريق في القرن الرابع، وأصبحت القصير المكان الذى تصل اليه بضائع اليمن والهند ثم فقدت القصير أهميتها وتحولت التجارة لعيذاب ، ومن عيذاب تخرج التجارة شرقاً إلى جدة أو جنوباً إلى اليمن وعدن ثم إلى الهند والصين [1]. أما الطريق الثاني فيتجه إلى بلاد الشام ماراً ببلبيس والغردقة والعريش ورفح وغزة والرملة وطبرقة ودمشق ، ومنها إلى العراق ثم إلى فارس ماراً بالأهواز إلى كرمان والهند والصين [2].

أما طريق عودة تجار المغرب إلى بلادهم من مصر ، فكان يبدأ من الفسطاط إلى ترنوط إلى الاسكندرية أو إلى ذات الحمام ثم برقة إلى أجدابية ثم سرت ثم طرابلس ومنها للقيروان ماراً بصرة وقابس ، وينطلق من القيران لسائر بلاد المغرب[3]، فيصل الى فاس ماراً بمدن مجانة ومسكيانة والمسيلة وتاهرت وتلمسان وتازا[4]، ثم الى فاس، ويتجه منها شمالاً الى سبتة وطنجة أو جنوباً الى سجلماسة والسوس ودرعة[5].

أما الطرق الجنوبية بين بلاد المغرب وجنوب الصحراء فهى : من سجلماسة الى بلاد غانة[6]، وطريق تمبكتو[7]، وطريق واحات وارجلان تادمكة[8]، وطريق واحات غدامس تادمكة[9]، وطريق أجدابية كوكوا .

---

(1) راشد البراوي: حالة مصر الاقتصادية ٢٨٢ ، ٢٣٢.

(2) ابن خرداذبه : المسالك والممالك ١٥٤ ، ١٥٥.

(3) البكري : المغرب ١٩،٩،٢.

(4) المصدر السابق :١٤١، ١٤٦.

(5) المصدر السابق : ١٠٤، ١٠٩، ١١٥، ١٤٧.

(6) المصدر السابق ٩٢.

(7) بوفيل : الممالك الإسلامية ٧٤.

(8) البكري : المغرب ١٨٢.

(9) السابق نفسه ١٨٢.

الطريق البحرى

يمكن الاستناد إلى رحلة ابن جبير في ذلك، فقد عبر المضيق من جزيرة طريف إلى قصر مصمودة إلى سبتة ثم إلى دانية ثم إلى جزيرة يابسة ثم الى ميورقة ومنورقة فسردانية فصقلية فاقريطش ومنها للإسكندرية[١]، وأحيانا كان التجار يسيرون في طريق أطول ولكنه أكثر أمنا فتخرج السفن من الأندلس إلى ساحل المغرب الأقصى ثم ساحل المغرب الأوسط وتسير بحذاء الساحل الإفريقى ، وهى ترسو عند الموانئ المطلة عليها حتى تصل إلى خليج سرت ، وتأخذ بعد ذلك الطريق البرى للإسكندرية[٢]. أما إذا أراد المسافر الاتجاه ناحية المحيط الهندى فإنه يسير بحراً حتى الفرما ثم يعبرون الصحراء الى القلزم ثم الى مسقط في عمان إلى الهند أو الصين[٣].

وكانت السفن تُكْتَرى بواسطة التجار ، ويتم تحديد مبلغ الإيجار وتعيين السلعة ووزنها أو كيلها واسم صاحب السفينة والمستأجر والطريق البحرى الذى ستسلكه السفينة[٤].

وتتعرض السفن لأخطار كثيرة منها الرسوم الباهظة على التجارة أو إصلاح السفينة[٥] أو يتعرض التاجر لغصب مثلما حدث مع تاجرين من أهل الأندلس في مدينة الهدية " فغصب متولى الموضع رحلهم فطلبوا إليه أن يرد شيئا منه فأبى"[٦] ، وسجن تاجر آخر في الأندلس في سجن المهدية بسبب تاجرته[٧].

أما العواصف فكانت تهدد التجارة بشكل كبير ، وتغرق السفن بمن فيها مثلما حدث مع بداح بن يحى بن بداح الذى مات غرقا في طريق رحلته للمشرق سنة٣٢٣هـ/٩٣٤م[٨]، وخرج محمد بن معاوية سنة ٢٩٥هـ /٩٠٧م في تجارة إلى الهند، ولما أراد الرجوع غرقت

---

[١] رحلة ابن جبير (ت حسين نصار) ١،٦،٦٤، خوان بيرينت : هل هناك أصل عربى أسبانى لفن الخرائط الملاحية ٧٥ (مجلة معهد الدراسات الإسلامية ، مدريد ، ١٩٥٣م ع١).

[٢] عبد العزيز سالم والعبادى : تاريخ البحرية الاسلامية٢/٦٠،٦١ .

[٣] بيرينت : هل هناك أصل عربى أسبانى لفن الخرائط الملاحية٧٥.

[٤] ابن القاسم : المقصد المحمود (مخ) ٥٣ب.

[٥]مؤنس : تاريخ الجغرافية ٤٢٠،٤٢١.

[٦] المالكى : رياض النفوس ٢/٢٢٣.

[٧] السابق ٢/٤٤٥.

[٨] ابن الفرضى : تاريخ علماء الأندلس١/١٧٨.

السفينة، واستطاع النجاة سباحة ، وفقد ٣٠٠٠٠ ثلاثين ألف دينار[١]، وفقد ابن خيرون الأندلسي (ت٣٠٥هـ/٩١٧م) ألفا دينار لغرق السفينة في البحر[٢]

أوردت كتب الجغرافية عدة طرق بحرية ربطت بين بلاد المغرب والمشرق الإسلامى، وأهم هذه الطرق ثلاثة هى : -

الأول :- يبدأ من موانى المغرب الأقصى ماراً بوهران وبجاية وجزائر بنى مزغناى وسوسه وتونس والمهدية ثم الى صفاقس وقابس وطرابلس وسرت وأجدابية ثم إلى إقليم برقة ثم إلى الإسكندرية ماراً بموانى دمياط وتنس، ويسير بحذاء الشاطئ الشمالى ماراً بغزة وعسقلان وقيسارية ويافا وحيفا وعكا وصور وصيدا وطرابلس واللاذقية وإنطاكية ثم الى الموانى البيزنطية[٣]. والطريق الثانى هو طريق المغرب الأقصى صقلية ماراً بسبتة وميورقة وسردانية وصقلية والإسكندرية ومنها تتفرع الطرق[٤] والطريق الثالث يربط المغرب ببلاد الأندلس ، وتقلع السفن وطبرقة وبونة وتونس ووهران ثم الى موانى الأندلس[٥] .

❀ ❀ ❀

---

[١] المصدر السابق ٧٣٥،٧٣٣/٢.

[٢] المصدر السابق ١٣٥/٢.

[٣] البكري : المغرب ٨٨،٨١،الإدريسى : صفة المغرب ١٠٢

[٤] ابن جبير : الرحلة ٢، ٧٤٢

[٥] الاصطخرى : الممالك ٣٩،٣٨ ابن حوقل : صورة الأرض ٧٨،٧٧،٧٤ البكري : المغرب ٥٥

العلاقات التجارية الخارجية

كان للأندلس علاقات تجارية وثيقة مع سائر العالم الإسلامى ، فتردد تجارها على بونة ومرسى الدجاج وتنيس ووهران ، وأصبحت تلمسان مقصداً لتجارة الآفاق ، وقصد مرسى جزائر بنى مزغنا أهل الأندلس[1]، وتستقبل سجلماسة من أهل الأندلس الثياب المطرزات القطنية والكتانية والحريرية[2]، وكان في فاس عدوة للأندلسيين فيها الزراع والصناع ، ويتعاملون مع أهل الأندلس[3] وكانت لهم علاقات أيضا مع تاهرت وتونس وأصيلا ونكور والبصرة وطنجة[4]، وأغلب ما يحمله التجار المزروعات والمصنوعات .

ولم تنقطع رحلات تجار الأندلس إلى مصر ، فوفد الأندلسيون الى مصر محملين بالقمح والشعير في الشدة المستنصرية[5]، ومثل كتان دانية وأردية بجانة وزيتون إشبيلية[6]، واستمرت علاقة تجار الأندلس مع بلاد المشرق - الشام والعراق- فحملوا إليهم الأردية والكتان[7]والزيتون والتين والسجاد[8].

الصادرات الأندلسية والمغربية

شغلت المنتوجات الفلاحية والصناعية حيزاً كبيراً في المبادلات ، فصدر الأندلسيون التين المجفف من إشبيلية ومالقة وشلب ، وصدر إلى بلاد المغرب ومصر والشام والعراق والهند[9]، وصدر اللوز المالقى إلى بلاد الروم وإفريقية ومصر[10]، وعمل الزبيب في إلش

---

(1) البكرى : المغرب ٥٥ عفيفى محمودابراهيم : أحوال بلاد المغرب الحضارية ١٧٩،
مؤنس : أثر ظهور الإسلام على حوض البحر المتوسط ١٢٣ وما بعدها
(2) سوادى عبد الحميد: ٣٣٨.
(3) المرجع السابق ٢٤٥.
(4) ابن بشكوال: الصلة ٢/ ٥٥٣ ، ٦١٢ ، عبد الواحد المراكشي : المعجب ٢١٣،٨
(5) راشد البراوي : حالة مصر الاقتصادية٢٣٢
(6) المقرى : المقري : نفح الطيب ٢١٣/١ أرشيبالد لويس : القوى البحرية٢٥٢
(7) ابن حوقل : صورة الأرض ١٠٩.
(8) الحميرى : الروض المعطار ١٧٨.
(9) الإدريسي : صفة المغرب ١٨٠،٢٠٠، الحميرى : صفة الأندلس١٠٦، المقرى: نفح الطيب ١٤٤/١.
(10) الزهرى: الجغرافية ٩٣.

وقرية شاط – قرب المنكب – ومالقة ، وصدر إلى مناطق عديدة من العالم الإسلامى[١]، وصدر القطن الإشبيلى إلى مدن إفريقية[٢]، وصدر حرير فحص غرناطة لبلدان المشرق، وكذلك نبات الحلفاء الذى اشتهرت به لقنت وقرطا جنة[٣]، كما صدر الزيت الأندلسى إلى الإسكندرية وجزيرة اقريطش وإفريقية وبلاد الروم[٤]، وحمال السكر من مدينة المنكب إلى بلدان عديدة[٥]، وصدرت المنسوجات الأندلسية مثل الديباج والأقمشة الكتانية– إلى اليمن ومكة[٦]، وصدرت بلنسية الحلل الموشية إلى الشام والهند[٧]، وصدرت البسط التنتلية من مرسية إلى بلاد المشرق[٨] والحبشة.

وصدرت مواد الصباغة مثل العصفر واللبلى والقرمز الى جهات عديدة لجودتها[٩]، وحملت النباتات الطبية التي اشتهرت بها الأندلس إلى سائر البلاد ، وأهم هذه النباتات هى : الجنطيانا ، والميعة ، والمصطكى ، وحملت أخشاب طرطوشة ويابسة الى بلاد المغرب وإفريقية ، لشهرة أخشاب الصنبور والبقس الأندلسية[١٠] وصدرت الأغنام والأبقار إلى بلاد المغرب وكذلك الجلود والصوف[١١]

وشملت صادرات المغرب المنتجات الزراعية والصناعات الزراعية اليدوية، وأهم هذه المنتجات القمح وأنواع التمور والثمار المجففة والزبيب والمنسوجات والملح، فصدرت تونس الفستق الى مصر[١٢]، والقمح الى بلاد الشرق[١٣]، وصدرت الى السودان الملابس

---

(١) الإدريسي : صفة المغرب :١٩٩.

(٢) العذرى : نصوص عن الأندلس ٩٦، ابن غالب : فرحةالأنفس ٢٩٣.

(٣) الإدريسي : صفة المغرب ١٩٣، الحميرى: صفة الأندلس ١٧٠.

(٤) الإدريسى : صفة المغرب ١٧٨.

(٥) القلقشندى : صبح الأعشى٥/٢١٨.

(٦) ابن حوقل : صورة الأرض ١١٤.

(٧) الإدريسي : صفة المغرب ١٩٧.

(٨) المقرى : نفح الطيب ٤/٢٠٧.

(٩) العذرى : نصوص عن الأندلس ١٢٧، البكرى : جغرافية الأندلس١٢٧.

(١٠) الزهرى : الجغرافية ١٢٨.

(١١) ابن الفقيه : مختصر البلدان ٨٤ الزهرى: الجغرافية٦٦.

(١٢) البكري : المغرب ٤٧.

(١٣) سعد زغلول عبد الحميد : تاريخ المغرب ٢/٤٩٨.

الصوفية والعمائم والسروج واللبود والودع والفواكه المجففة والتمر[1]، وصدرت المغاربة الى الأندلس الأصباغ والحبوب[2] .

وحلت السفن من المغرب الى صقلية الزيت والشعير من صفاقس[3]، وصدروا الى بيزنطية التمر وزيت الزيتون والتوابل والحرير والمصنوعات[4]

أهم موانئ الأندلس التجارية

تعددت موانئ الأندلس التجارية ، مما شجع على رسو السفن، فانتعشت التجارة، وزاد ذلك أن الأندلس حلقة وصل بين العالم الإسلامى وأوربا ، وأهم هذه الموانئ :-

بجانة : من الموانئ الرئيسة في الأندلس ، وقصدها الناس من كل أوب، واستوطنوها لتوفر الأمن بها[5]، وطرطوشة محطة تجارية لتصدير البضائع وأستقبالها[6]، ولمدينة تصنت ميناء يغادر منه التجار إلى إفريقية[7]، وكذلك تعتبر مدينه الجزيرة الخضراء مركزاً تجارياً هاماً للتبادل التجارى، وبخاصة مع بلاد المغرب[8]، وكانت آلمرية أكبر مركز تجارى منذ عصر الخلافة ، فوصفت بأنها: " باب الشرق ومفتاح الرزق[9] " ، وكانت تقصدها مراكب البحر من الاسكندرية ، وأنه لم يكن بالأندلس كلها أيسر من أهلها مالا ولا أتجر منهم في الصناعات وأصناف التجارات تصريفا وادخاراً [10]" .

---

[1] ابن سعيد : الجغرافية ١٧٨،١٢٤،٨٤.

[2] البكري : المغرب ١٥٧ ابن حوقل : صورة الأرض ٨١.

[3] البكري : المغرب ٢٠ سيرة الأستاذ جؤذر ٨٧.

[4] البكري : المغرب ٢٠،ابن حوقل : صورة الأرض ٧٣ ، أرشيبالد لويس : القوى البحرية والتجارية ٢٥٢

[5] ابن حيان : المقتبس ٨٨/٣

[6] ياقوت : معجم البلدان ٣٠/٤

[7] ابن سعيد : المغرب ٢٧٤/٢

[8] ابن حيان المقتبس ٨٧/٥

[9] أبو الفدا : تقويم البلدان ١٧٧

[10] الإدريسي : صفة المغرب ١٩٧

وتعتبر مالقة من القواعد التجارية التي تقصدها المراكب والتجار بكثرة لوفرة إنتاجها الزراعى ونشاطها الصناعى، ووصلت منتجاتها إلى مصر والشام والعراق والهند والصين[1]، وكان مرسى إشبيلية يزخر بحركة تجارية دائبة ، فحمل الزيت منها إلى الاسكندرية والقطن إلى سحلماسة[2]، ووصفت بأنها " ذات أسواق وبيع وشراء وأهلها مياسير[3]" أما مرسية فلها مرسيان : الأول قرطاجنة الحلفاء، والآخر مرسى لقنت ، وصدر منها الحلفاء إلى مختلف البلاد على ساحل البحر المتوسط[4] .

❀ ❀ ❀

---

(١) معجم البلدان ٤٣/٥ ، الحميرى : الروض ١٧٩

(٢) المقرى : النفخ ٢١٣/٣ الحميرى : الروض ١٩، ١٠١

(٣) الإدريسي :صفة المغرب ١١٧

(٤) الإدريسي : ١٩٣،١٩٤، الحميرى : الروض ١٥١، ١٧٠

المبحث الرابع

النظم المالية

في الأندلس والمغرب

المبحث الرابع

النظم المالية في الأندلس والمغرب

(١) خزانة الدولة وعلاقتها بالملكيات الزراعية

أخذ مقدار دخل الدولة الأموية في الأندلس يتزايد بشكل ملموس في القرن الرابع الهجري ، وارتفاع جباية الأندلس يؤكد اتساع رقعة الأرض المزروعة ، ففي أوائل عصر الإمارة بلغ دخل الدولة ثلاثمائة ألف دينار (٣٠٠ر٠٠٠) [١]، وبلغ مقدار جباية أقاليم قرطبة (١٢٠ر٠٠٠) دينار سنوياً [٢]، وزاد دخل الدولة في عهد الحكم الربضي ، فأصبح مقدارها ٦٠٠ر٠٠٠ دينار [٣]، ثم تواصل الارتفاع في عهد عبد الرحمن الأوسط حتى بلغ مليون دينار [٤]، (١٠٠٠ر٠٠٠) ، وفي عصر الثورات في الأندلس (في الربع الأخير من القرن الثالث الهجري) فقدت الدولة السيطرة على الأقاليم ، ففقدت موارد الدولة الثابتة وغير الثابتة، ولم يعد يتبع بني أمية إلا قرطبة والأرياف القريبة منها [٥].

ثم زاد دخل الدولة بشكل كبير في عهد الخليفة الناصر حتى بلغ (٥ر٤٨٠ر٠٠٠) خمسة ملايين وأربعمائة وثمانون ألف دينار [٦]، وعلق ابن حوقل [٧]، على هذا المبلغ قائلاً: "ولم يكن لهذا المال في وقته في بلد الإسلام شبه" ، بل ويبالغ ابن حوقل [٨] في مقدار الخزانة ، يقول : "وسمعت غير محصل ثقة ممن يستبطن جدبايات البلد وحاصل عبد الرحمن بن محمد ، أن لديه مما اتجه له جمعه من الأموال إلى سنة أربعين وثلاثمائة ما لم ينقص من عشرين ألف ألف دينار إلا اليسيير القليل دون ما في خزائنه من المتاع والحلى"،

---

(١) المقري : نفح الطيب ١٤٦/١.

(٢) البكري : جغرافية الأندلس ١٠٤ ، ١٠٥.

(٣) المقري : نفح الطيب ١٤٦/١.

(٤) ابن سعيد : المغرب ٥٤٦/١.

(٥) ابن الأبار : الحلة السيراء ٢٣٣/١.

(٦) ابن عذارى : البيان المغرب ٢٣١/٢ ، ٢٣٢ ، نفح الطيب ٢١١/١.

(٧) ابن حوقل : صورة الأرض ١٠٧ ، وكان قد زار الأندلس سنة ٣٣٧هـ.

(٨) ابن حوقل : صورة الأرض ١٠٧.

وعندما توفي كان في خزائنه من "الأموال خمسة آلاف ألف ألف ألف" [١].

ووصل حجم ضخامة جباية الحبوب التي استمرت تؤخذ عيناً لدرجة أن المنصور بن أبي عامر "لحقه العجب بذلك حتى قال : أنا أكثر طعاماً من يوسف الخازن" [٢]، وذلك لأنه ترك عند وفاته في خزائن الدولة من الأموال نقداً أربعة وخمسين بيتاً لا نعلم مجموع مبالغها" [٣].

وقد أوردت المصادر بعض مقادير الجباية السنوية ، منها جباية قرطبة أيام الحكم الربضي وكانت :

الحشد وناض الطبل وناض البيزرة ١٢٠,٠٠٠ دينار ، ومن القمح ٤٦٤٧ مدى ، و من الشعير ٤٧,٠٠٠ [٤]، أماكورة لبلة فبلغت ١٥,٦٢٧ دينار في نفس العهد [٥]، بينما كات جباية كورة إشبيلية أيام الحكم الربضي ٣٥,٠٠٩ دينار وخمسة دراهم [٦]، وفصل العذري[٧] جباية كورة إلبيرة أيام الحكم الربضي وابنه عبد الرحمن الأوسط ، فالجباية النقدية ١٠٩,٦٠٣ دينار ، ومن الحرير ٢٠٠٠ رطل ، ومن العصفر ٢٠٠٠ رطل ، ومن غلة الأرحية ١٠٠٠ دينار + ١٢٠٠ قسط زيت ، وجباية كورة الجزيرة الخضراء ثمانية عشر ألفاً وثمان مائة وثلاث وسبعون ديناراً وستة دراهم [٨].

ومحاولة القيام بتحليل رقمي لاقتصاد الأندلس يفترض استخدام الاحصاء ، ولكن قوائم الإحصاء ليست كاملة ، ورغم النتف التي وصلتنا فإنه يمكن إعادة تركيب بعض الكميات ، فالمصادر تقدم لنا بعض أسماء المنتوجات ، ومقدار ما تقدمه بعض المدن والكور والأقاليم ، وهي معلومات تقدم لنا متوسط المجموع الكلي ، مع الوضع في الحسبان وجود ما هو أكثر

---

(١) المقري : نفح الطيب ٣٧٩/١.
(٢) ابن الخطيب : أعمال الأعلام ١١٥.
(٣) ابن عذارى : البيان المغرب ٣٠١/٢.
(٤) البكري : جغرافية المغرب ١٠٤ ، ١٠٥.
(٥) العذري : نصوص عن الأندلس ١١١.
(٦) المصدر السابق ١٠٩.
(٧) السابق نفسه ٩٣.
(٨) المصدر السابق ١٢٠.

من ذلك أو أقل ، وكذلك يمكن أن يكون هذا المجموع ربع ما تغله المدن أو الكور أو الأقاليم، وأن الثلاثة أرباع من حق الزارع أو الصانع ، وهو أيضاً يعطي عدد تقريبي للسكان، وقيمة الانتاج الزراعي ، والحجم النقدي المتناسب مع ميزانية الدولة.

وقد ألفت القرية الوحدة الإدارية الصغيرة التي تمثلت قاعدة النظام الإداري ، وقد حفظ لنا العذري المدفوعات القروية لعدد القرى والضرائب المعينة والضرائب النقدية لمدينة قرطبة ، وهذا هو إحصاء العذري :

الإقليم	القرى	القمح	الشعير	الناض	الطبل	الصدقة والبيزرة
المدور	٩٠	٨٥ مديا ، ٤ أقفزة	١٥١ مديا ، ٨ أقفزة	٣٩٨٠ مثقالا	٤١٤٠ دينارا	٤١٢دينارا و٤ دراهم
القصب	٨٧ منها ٥٦ عشور	١٤٢ مديا	١١١مديا ، ١٠ أقفزة	٤٧٧٢مثقالا	٢٧٠دينارا	٢٠٣دينارا و٤ دراهم
لورة	٦٤ وفيها عشور	١٧٣مديا	٣٠٠مديا	٢٤٧٢مثقالا		
الصدف	٢٨	٩٨مديا و١١ قفيز	١٩٣مديا	٤٧٥مثقالا	٥٥دينارا	
بنومسرة	١٧	١١٧مديا	٢٥٤مديا و٣أقفزة	٧٠٠مثقالا		
منيانة	٢٦	١٢١مديا	٢٢٨مديا و٦ أقفزة	٧٣٠مثقالا		
كرتش	٦٠ منها ٣٠ للعشور	٢٢٠مديا	١١٦مديا و٦ أقفزة	٨٠٠مثقالا	١٧٨٢دينارا	
القشتل	٤٨	١٢١مديا	١١٨مديا و١٠ أقفزة	٣٨٠مثقالا		
الهرهار	٧٣	١٢١مديا ، ٧ أقفزة	٢٢٦مديا و٧أقفزة	٧٧٢مثقالا	٤٨٩دينارا	١٤٨دينارا و ٤ دراهم
الملاحة	٨٤	٦١٤مديا ، ٥ أقفزة	٧٢٠مديا و ٦ أقفزة	٩٩٨مثقالا	١٢١دينارا	
الشعراء	٨٤	٨٣٠ مديا	١٠٥١مديا و١١ قفيزا	٧٣٣٨مثقالا		
السهلة	١٠٢	٧٠٠مديا ٤أقفزة	١٢٢٢مديا			٦٩٥دينارا
أولية	٨٦					
الوادي	١١١					
أي مريم	١١٣					

أي بلغت الحبوب من ٧٦٣ قرية حوالي ٨٠٧٣ مدياً من القمح والشعير : ٣٣٤٣ من القمح ، ومن الشعير ٤٧٣٠ ، و٣١ قفيزاً من القمح ، ٦١ قفيزاً من الشعير ، ووصل مقدار الناض (الإعفاء من الخدمة العسكرية) من أحد عشر إقليماً ٢٣٠٧٥ مثقالاً ، وبلغ جباية قرطبة نقداً ٣٧٨٩٩ ، بينما يذكر البكري [١]، أن جباية قرطبة أيام الحكم الربضي (١٢٠ر٠٠٠) مائة وعشرون ألف دينار ، فهناك حلقة مفقودة في مقدار الجباية ، فهل تملأها المغارم والوظائف والضرائب والجزية ؟ علماً بأن مقدار الجزية كان كبيراً لكثرة عدد النصارى.

أما في المغرب فكان بيت المال في حاضرة الدول، وله فروع في الولايات والمدن الرئيسة في الدولة، وتقع بيوت الأموال الفرعية تحت إشراف صاحب بيت المال في عاصمة الدولة ، ويتصف صاحب بيت المال بأنه "رجل غني ، عدل ، رضي ، يجري إلى إنمائه ، ولا يضع شيئاً من أموره بعمارته إن كان مما يعمر ، أو بإصلاح إن كان مما يصلح، ويتفقد أمر العاملين فيه وفي أبوابه كل عام ، ولو أمكن كل شهر " [٢].

وتوضع الأموال في بيت المال حسب مصدرها ، فلا "يجمع مال الخراج إلى مال الصدقات والعشور؛ لأن الخراج في هذه لجميع المسلمين والصدقات - الزكاة - لمن سمى الله عز وجل في كتابه العزيز" [٣]، كما "لا يجوز أن يصرف الفيء في أهل الصدقات، ولا تصرف الصدقات في أهل الفيء ، ويصرف كل واحد من المالية في أهله "، كما " تفرق زكاة كل ناحية في أهلها ، ولا يجوز أن تنقل زكاة بلد إلى غيره إلا عند عدم وجود أهل السهمان فيه" [٤].

وكان في الدولة الأغلبية بيت مال في القيروان ، وبيوت أخرى في المدن الكبيرة مثل طرابلس والزاب ، وتولي على أموال بيت مال الأغالبة الوزير بن الصائغ وعندما رأى انتصار الفاطميين على الأغالبة أخذ بعض الأموال، وبلغت الأموال ثلاثين حملاً [٥].

---

[١] جغرافية الأندلس ١٠٤ ، ١٠٥.

[٢] ابن عبدون : ثلاث رسائل في الحسبة ١٠.

[٣] أبو يوسف : الخراج ٩٥.

[٤] الماوردي : الأحكام السلطانية ١٢٧.

[٥] ابن عذارى : البيان المغرب ١٤٨/١.

وكان بيت مال الدولة الرستمية (1)، عامراً ، وتُجمع الأموال بواسطة الجباة، الذين لا يظلمون ، ويدفع إلى العمال بقدر ما يستحقون على عملهم ، ثم ينظر في باقي سائر المال فإذا عُرِف مبلغه أمر الإمام بإحصاء ما في الأهراء من الطعام، ثم أمر بجمع ما بقي من مال الصدقة فاشترى منه أكسية صوفاً و جبابا صوفا وفراء وزيتا ثم دفع في كل أهل بيت بقدر ذلك ، ويؤثر بأكثر ذلك أهل الفاقة ، ثم ينظر ما يجتمع من مال الجزية ، وخراج الأرضين وما أشبه ذلك، فيقطع للجيش والقضاة وأصحاب الشرطة والقائمين بالأمور ما يكفيهم سنتهم، ثم إن فضل صرف في مصالح المسلمين (2)، وكان يتولى بيت مال الإباضية رجل من نفوسة (3)، مثل عبد الرحمن بن صواب النفوس ، ويتم ذلك بالتشاور غالباً (4).

وفي الدولة الفاطمية نُظِّم بيت المال بحيث تستوفي كل مدينة ما يكفيها ويخصها ثم يرسل الباقي إلى بيت المال الرئيس في الحاضرة المركزية، مثلما فعل نصير الخازن الذي تولى إحدى المدن وأرسل للأستاذ جوذر ما تبقى عنده من مال ، وما خرج من النفقات ، وَوَصف له استقامة أحوال مدينته (5)، وكان صاحب بيت مال الحاضرة لا يتصرف في بنود الإنفاق إلا بإذن الخليفة الفاطمي ، فعندما "كان مدار النظر في منازل المظفر إلى الأستاذ – جوذر – وكان حالها ينزل في ديوان المنصورية مفرداً دون الأموال التي كان يجرى نظر الأستاذ فيها بالمهدية والمنفقة منه على العبيد الذين تحت يده فاحتاج أن يدخل هذا المال الذي يجري من هذه الضياع في الجملة التي ينفق منها على العبيد لما أن عجز الدخول عن الذي يحتاج إليه في وجوه الخروج ، فكتب في ذلك رقعة" (6)، وإذا أقيم مشروع يرسل تكلفته للخليفة الفاطمي " فعندما أراد الخليفة المعز بناء سور حول مدينة زويلة " أمر أن يؤخذ قياس ذلك ، فنفذ كتاب الأستاذ – جوذر – عن أمير المؤمنين إلى خليفته نصير بالمهدية ، وعاد بالجواب بمبلغ القياس ، وذكر ما يحتاج إليه من المال للنفقة عليه (7).

---

(1) ابن الصغير : أخبار الأئمة ١٥، ١٦.

(2) سعد زغلول عبد الحميد : تاريخ المغرب ٣٠٧/٢ ، ٣٠٩ .

(3) ابن الصغير : أخبار الأئمة ٤١، ٤٤.

(4) المصدر السابق ٥٦ ، ٥٧.

(5) سيرة الأستاذ جؤذر ١١٨ .

(6) المصدر السابق ١١٦.

(7) المصدر السابق ١١٢.

وكان بيت مال الدولة الفاطمية عامراً – معظم مدة الدولة – ، فبلغ دخله في شهر رمضان فقط ١٠٠,٠٠٠ دينار ، وذلك لكثرة الدخل من الأسواق [١]، وأشرف المعز الفاطمي على بيت المال في عهده بجانب صاحب بيت المال حسين بن مهذب الذي يراجع محتوياتها بمساعدة معاونيه من الموظفين وتسجيل كل ذلك في دفاتر قبل ختم صناديق بيت المال بخاتم المعز نفسه ، وتحمل إلى خزائن بيت المال لتكون في عُهدة صاحب بيت المال وتحت طلب الخليفة، وبلغت الأموال نحو ٢٤ مليون دينار [٢].

وكان بيت المال الزيري من خزائن حديدية وخشبية ، وقد زاد دخل بيت المال من خلال الجباية حتى عمل عبد الله الكاتب سنة ٣٧٣هـ /٩٨٣م خزانة حديدية جديدة ملأها بالأموال بالإضافة إلى خزانة خشبية امتلأت أيضاً ، وربما كانت الخزانة الحديدية للأموال الذهبية من الدنانير ، و الخزانة الخشبية للدراهم الفضية والنحاسية ، وكان من مهام بيت المال تزويد الصيارفة بما يلزمهم من قطع نقدية [٣].

وكان بيت المال في سجلماسة من أكثر بيوت الأموال رخاء وكثرة ؛ لكثرة الذهب عندهم. أما بيت مال المرابطين فكان به عند وفاة يوسف بن تاشفين ثلاث عشر ألف وربع من الورق ، وخمسة آلاف وأربعين ربعاً من الذهب المطبوعة ، فورث علي بن يوسف بيت مال عامر ، وأموال وافرة ، والأمور مستقيمة والملك قد توطأ [٤].

وتحدث تجاوزات على أموال وأملاك بيت المال وقت الفتن والتقلبات السياسية ، مثلما حدث من بني عباد ، فباعوا بعض أموال وأملاك بيت المال ، ورأى الفقهاء فسخ البيع فيه مما لا يصلح ، لاسيما وقد مرت عليه السنون ، و أنه سيق سياقات وانعقدت عليه أنكحة كثيرة ، وفات ببيوعات وأنواع من الفواتات [٥].

وباع بعض أمراء المرابطين (الأمير سير اللمتوني وعماله) بعض أملاك بيت المال، وكان حكم الفقهاء في هذا أن أحق ما أحتيط له ونظر بأحسن النظر فيه فواجب على كل مَنْ ولاه الله أمر المسلمين واستحفظه إياه حياطته وحمايته المنع منه إلاّ في حقه ، وقد ثبتت سداد بيع بعض أموال بيت المال الذي فعله الأمير سير [٦]. .

---

[١] ابن عذارى : البيان المغرب ١/١٨١.
[٢] سعد زغلول عبد الحميد : تاريخ المغرب ٣/٢٢٣.
[٣] المقريزي : الخطط ١/٣٥٢ ، البيان المغرب ١/٢٣٨.
[٤] ابن أبي زرع : الأنيس المطرب ١٣٧.
[٥] المعيار ٩/٦١٣.
[٦] المعيار ٩/٦١٣.

(٢) مصادر بيت المال في الأندلس والمغرب

أ) الخراج والعشر

وهما مقدار محدود من المال والغلة يُفرض على الأرض المفتوحة صلحاً أو عنوة، ويكون الخراج نقدي غالباً على مساحة الأرض، وذلك لأن أسعار الحبوب تتراجع في فترات الاستقرار ، فيصبح النقد أوفر لبيت المال ، أما العشر فيكون من المحصول ، ويراعى في الخراج والعشر جودة الأرض وظروف أهلها ، يقول الماوردي [١]: "إن الأرض تختلف من ثلاثة أوجه يؤثر كل واحد فيها في زيادة الخراج ونقصانه : أحدهما يختص بالأرض من جودة يزكو بها زرعها أو بداءه يقل بها ثمنه، ومنه ما يقل ثمنه ، فيكون الخراج بحسبه ، والثالث يختص بالسقي والشرب" . أما العشر فيعلق بالخارج لا بالأرض ، ويتكرر بتكرار المحصول.

ويوصى عمال الخراج بالاهتمام بعمارة الأرض قبل الاهتمام باستجلاب الخراج، لأن الجلب لا يدرك إلا بالعمارة ، ومن طلب الخراج بغير عمارة أخرب البلاد وأهلك العباد، ولأن الناس كلهم عيال على الخراج [٢].

أما مواعيد جباية الخراج فيبدو أنها تتأثر بالنظام الضريبي المتبع في الجباية، فإذا كان الخراج وفقاً لمساحة الأرض أخذت السنة الهجرية الهلالية، وهي ثلثمائة وأربعة وخمسون يوماً وسدس يوم ، فلا يحتاج في وجوب الخراج إلى إدراك الغلات أو مراعاة أوقات الزراعة، وتؤخذ السنة الشمسية في الاعتبار وهي ثلثمائة وخمسة وستون يوماً وربع يوم بالتقريب، إذا كان الخراج يجبى على أساس موسم نضج الحاصلات الزراعية [٣].

وهناك أسس وُضعت لتحديد الخراج ، وهي : ١- مدى خصوبة الأرض وردائتها، ٢- اختلاف أنواع الحبوب والثمار أثمانها ، ٣- المؤنة في السقي ، ٤- قربها أو بعدها من الأسواق لحساب زيادة التكاليف أو قلتها [٤].

---

[١] الأحكام السلطانية ١٤٨

[٢] النويري : نهاية الإرب ٢٥/١٦ ، ٢٦

[٣] القلقشندي : صبح الأعشى ٥٤/١٣

[٤] الماوردي : الأحكام السلطانية ١٤١.

وقد سبق وتحدثنا عن أرض الأندلس ، وأن منها أرض الأخماس وهي نصيب الدولة من الأرض التي فتحت عنوة ، وترك فيها الفلاحون ، في مقابل ثلث الخراج ، أو الثلثين ، وبقيت أموال الأخماس معلومة للدولة حتى عصر الطوائف [١].

أما أرض الصوافي فأقطعت إلى الفاتحين والداخلين للأندلس ، وكان على هذه الأرض العشر والاشتراك في الجهاد ، وظل الأمر كذلك حتى عصر المنصور ، فأضاف إلى العشر مبلغاً من المال مقابل الإعفاء من الغزو [٢].

وكان هناك موعد لجباية الخراج والعشر ، ويقوم عامل الإقليم بجباية العشور ، وعلى كل قرية نسبة تدفع من الأفراد ، وعلى كل فرد حصته من ذلك ، وأحياناً لا يريد أحد الأفراد دفع حصته ويتحملها عنه أفراد القرية ، مثلما حدث من أحد الفقهاء الذي لم يكن على علاقة طيبة مع صاحب مدينة قرطبة ، فلما جاء زمن العشور دسس عامل الإقليم الذي فيه ضيعة الفقيه ابن مطروح إلى جيرانه البادين من أصلها في مطالبته بحظه من منكسر العشور بقريته تلك ، وبسط أيديهم إلى طعامه ، ففعلوا ذلك ، وقدموه إلى صاحب الشرطة ، وتظلموا منه فيما احتبس من منكسره العائد عليه [٣].

وأحياناً ينظم بعض الرعية من ثقل الخراج عليهم مثل أهل الثغور الذين شكوا من ثقل الجباية مع الدنو من العدو [٤]، وقد يسقط مقدار من الجباية عن الرعية ، كما أسقط الحاجب عبد الملك المظفر سدس الجباية عن الرعية في جميع كور الأندلس ، ورفق بالرعية وحط عنها البقايا [٥]، ف يحين جبت حكومة قرطبة العشور ٢٦٠هـ ، رغم أن المجاعة عمت بلاد الأندلس [٦].

وتؤخذ الجباية عيناً أو نقداً ، ففي عصر الطوائف أخذت الجباية نقداً ، وظهر ذلك من رسالة علي بن حمود لأحد عماله : "ولما تأملت أحوال أهل عملك من كورة جيان

---

(١) الغساني : رحلة الوزير ١١٤.

(٢) ابن الخطيب : الإحاطة ١١٠/١ ، مذكرات الأمير عبد الله ١٧ ، رحلة الوزير ١١٣.

(٣) ابن بسام : الذخيرة ١٢٠/١/١.

(٤) ابن غالب : فرحة الأنفس ٣٠٣ ، وابن خاقان : مطمح الأنفس ٤٥.

(٥)

(٦)

وزواتها وحصلت ما يلزمهم أداؤه هذا العام من الطعام والعشور الواجبات تكنفهم من شفقتي وأحاط بهم من عواطفي مما أدى إلى رفع مؤونة طعامهم وإعفائهم مما يلحقهم من العنت ، ويرجع عليهم من الدرك وكلف الحمولة إلى الأهراء ، وما يتبع ذلك من الانتقاص، ويتصل بالكيل من التطفيف ، وتسقط التبعات ويخف الثقل فانظر عندما يرد كتابي في توزيع ما يجب على أهل عملك من الناض عن كذا وكذا من القمح والشعير حسب كل مدى من القمح ستة دنانير ومن الشعير ثلاثة ، واشمل بتوزيعها لاناس كافة غير محاش منهم أحداً" [١]، وهو ميل يدل على كثرة النقود ، وتقسيم العمل بين الأرياف والمدن ، وزاد ذلك الاهتمام باستصلاح الأراضي وتخفف المستنقعات وإقامة مشاريع الري ، فكان الخليفة الناصر كلفا بعمارة الأرض وإقامة معالمها وتكثير مياها ، واستجلابها من أبعد بقاعها وتخليد الآثار الدالة على قوة ملكه [٢].

وقد أورد ابن أبي دينار [٣]، نصاً يختص بجباية الخراج في المغرب يقول فيه : "فحساباتهم بشهور الروم، وذلك أنهم يكبسون يوماً في السنة الرابعة، فكان النوروز لا يتعدى وقته كل سنة ، وفي مدينة تونس أول يوم من شهر مايه ، لأن غالب سنينهم يطيب فيها زرعهم، وتخرج الجباة إلى أطراف البلاد، وكذلك جملة ثمار تظهر في هذا الشهر ، و أهل تونس يقولون تظهر يوم مايه سبع غلال ، ويعدونها ولهم اختلاف في عددها ، وليس لهم في زعمهم إلا ظهور هذه الفواكه في هذا اليوم " .

ويبدو من خلال النصوص أن الخراج والعشر يقدران على المدن و ما يتبعها من قرى وحصون، فكان على كل مدينة مقدار محدد تقدمه نقداً أو عيناً أو هما معاً ، فكان على مدينة طرابلس عشور وصدقات [٤]، وعلى بلاد الزاب الخراج والعشور والصدقات [٥]، وكذلك على مدينة باجة [٦]، الخراج والصدقات ، وعلى قلعة بلزمة وقبائل كتامة العشور والصدقات[٧].

---

(١)

(٢)

(٣) المؤنس : ٢٩٥ ، ٢٩٦

(٤) ابن خلدون : العبر ٢٠١/٤

(٥) النويري : نهاية الإرب ١١٦/٢٢

(٦) ابن عذارى : البيان المغرب ١١٩/١

(٧) القاضي النعمان : رسالة افتتاح الدعوة ٨٩ ، ابن عذارى : البيان المغرب ١٢٣/١

وكان العشر أحياناً يؤخذ نقداً في أواخر العصر الأغلبي ، فلما تغلب أبو عبد الله الشيعي على بلزمة وطبنة ، وكان بهما جباه على ضروب المغارم، فأتوه بما في أيديهم من الجباية، فقال لأحدهم "من أين جمعت هذا المال فقال له : من العشر ، فقال أبو عبد الله : إنما العشر حبوب وهذا عين، ثم قال لقوم من ثقات طبنة "اذهبوا بهذا المال ، فليرد على كل رجل ما أخذ منه، وأعلموا الناس أنهم أمناء على ما يخرج الله من أرضهم، وسنة العشور معروفة في أخذه وتفرقته على ما ينصه كتاب الله عز و جل ... وقال لمن أتاه بمال الخراج" هذا مال لا خير فيه، ولا قبالة ولا خراج على المسلمين في أموالهم ، ثم أمر ثقات أهل طبنة برده إلى أهله" (١)، وأحدثت هذه السياسة أثراً طيباً "فلما نظر أهل طبنة إلى فعله سروا به ، ورجوا أن يستعمل فيهم الكتاب والسنة، وانتشر فعله في جميع نواحي أفريقية ، فتاقت أنفسهم إليه ، وكاتبوه ، ودخلوا في طاعته " (٢).

وأهم إصلاح أحدثه الفاطميون في الخراج قام به القاضي عمران بن أحمد بن عبد الله بن أبي محرز بعد أن ولاه عبيد الله المهدي خراج إفريقية سنة ٣٠٣هـ "فتولى بتوظيف التقسيط على ضياع إفريقية بعد أن وزع جميعها، ونظر إلى أوفر مال ارتفع من العشور في سنة وأقله، ثم جمع المالية ، ووظف الشطر على كل ضيعة" (٣)، وهو ما سمي التقسيط (٤)، ثم قام بأخذ ضريبة الضياع ٣٠٥هـ/٩١٧م" ، وفيها أخذ أهل الضياع بأعمال إفريقية بمغرم سمي التطبيع، وزعموا أنه من بقايا التقسيط" (٥).

وكان لهذه الجباية أثرها على السكان ، وبخاصة أن الدول لم تكن تراعى ظروف دافعي الجباية أو طاقة الأرض، فقد كان أحمد بن أحمد بن زياد (ت ٣١٨هـ/٩٣٠م) من أهل النعم في منشئه " ثم امتحن في آخر عمره بمغارم السلطان على أهل الضياع فانكشف" (٦)، وأن مالك بن عيسى القفصي " امتحنه عبيد الله الشيعي بصحبته ، وتعديل الأرض له

---

(١) ابن عذارى : البيان المغرب ١/١٤١

(٢) المصدر السابق ١٤٢

(٣) السابق نفسه ١/١٧٣

(٤) القيروان الأندلسي : قضاة قرطبة وعلماء إفريقية ٢٢٨

(٥) ابن عذارى : البيان المغرب ١/١٨١

(٦) طبقات علماء أفريقية ١٦٣

لتوظيف الخراج الذي يسميه المقسط" [1]، وكانت الدولة الفاطمية شديدة في استخلاص الخراج، ولا يُقبل أي تدخل ، فلما حاول ابن زياد التوسط لدى الخليفة المهدي للتخفيف من المبلغ المفروض عليه أجيب: "إن هذه المغارم لم يفتح السلطان قط فيها باباً من التخفف لولد من أولاده ولقائد من قواده" [2].

ولم تقبل الدولة الفاطمية تأخير دفع الجباية، فقد منع المعز لدين الله الفاطمي العمال من جمع جباية أكثر من سنة، وطالبهم أن يدفعوا جباية كل سنة عند انقضائها ، خوفاً من أن يؤدي التأخر في دفعها إلى العجز عن الوفاء بها بعد ذلك، فكتب إلى الأستاذ جوذر " وأمرنا أصحاب الدواوين أن لا يقبلوا من العمال إلا اتصال ما لكل سنة عند انقضائها ، فمن عجز عن الوفاء في أول السنة كان عنه في التي تليها أعجز، وتلافى النظر في الأول أحق من النظر في إدبار الأمور" [3].

وهكذا كان أهل الريف في عصر الدولة الفاطمية في إرهاق حتى أن المعز الفاطمي أوصى يوسف بن زيري قبل رحيله إلى مصر قائلاً : "إن نسيت ما أوصيناك فلا تنس ثلاثة أشياء : إياك أن ترفع الجباية عن أهل البادية ... وافعل مع أهل الحاضرة خيراً" [4]، واستمر هذا الإرهاق والشدة في العصر الصنهاجي ، فقد اشتد عامل إفريقية يوسف بن أبي محمد سنة ٣٧٩هـ/٩٨٩م على أهل الريف في الجباية "فكان من أهل الحاضرة في أمن وعافية، وأهل البادية في عذاب وغرامة" [5].

وأدت هذه السياسة إلى ارتفاع مال الخراج وكمية العشور واستمر ذلك – فيما يبدو – في عهد دولة بني باديس ، فقد بلغت في عهد المعز بن باديس " أعشار بعض أعمال الساحل بناحية صفاقس خمسين قفيز وغير ذلك" [6].

ب) الزكاة

---

(1) المصدر السابق ١٧٤.

(2) المصدر السابق ١٦٩

(3) سيرة الأستاذ جوذر ٩٦

(4) المقريزي : اتعاظ الحنفا ١/١٠١

(5) ابن عذارى : البيان المغرب ١/٢٤٥

(6) ابن خلدون : العبر ١/١٥٦

والزكاة لغةً هي الطهارة والنماء [1]، وهي فريضة إسلامية بالكتاب والسنة والإجماع[2]، وهي مسئولية الدولة في جبايتها وإنفاقها لضمان حد الكفاية لكل محتاج ، وإنفاقها في المهام الشرعية ؛ لأن جهود الأفراد تعجز عن ذلك [3].

وقد فرضت الزكاة على جميع نعم المسلمين من الإبل والبقر والنقود الذهبية والفضية ، وما يخرج من الأرض : الزروع ، والثمار ، والمعادن ، وقد بينت الشريعة نصاب كل ذلك [4].

وكان الفلاحون في الأندلس يدفعون عشر ما تخرجه الأرض إذ اكتمل نصابها الشرعي ، إذا رويت سيحاً أو بماء المطر ، فإذا رويت بآلات الري كان عليها نصف العشر[5]. وكان الزكاة متروكة للأهالي ، ولم تكن وظيفة تقوم بها الدولة ، ولكن الحكم الربضي "جعل العشر ضريبة على الناس بعد أن كان مصروفاً إلى أمانتهم [6]" ويتضح ذلك من البيان الذي قدمه العذري عن القرى التي تدفع الأعشار في قرطبة .

أوردت كتب النوازل عديد من نوازل الزكاة ، منها أن هناك قوم يخرص عليهم زروعهم ، ويحال بينهم وبينه حتى يدفعوا دراهم عيناً، فحينئذ تخلى بينهم وبينه، وفي هذه الحالة يحسب لجميع ما أخرج من الزرع من الدراهم، وتحط من قيمة الزرع من الدراهم وتحط من قيمة الزرع ويزكي ما بقى [7]، وإذا أخرج المزكي الزكاة فضاعت من غير تفريط فلا شيء عليه [8].

ورخص الفقهاء لمن وجبت عليه زكاة قبل يوم عاشوراء في تأخير إخراجها إليه إذا كان موسماً للمساكين يبرزون فيه وا يعذرون من لا يعطيهم فيه، وذلك قياساً على لزوم

---

(1) ابن منظور : لسان العرب ١٤/٣٥٨ ، ٣٥٩ .

(2) الشوكاني : نيل الأوطار ٤/١٧٠.

(3) عبد الهادي النجار: الإسلام والاقتصاد ٨٦ (عالم المعرفة رقم ٦٣) ، صلاح سلطان : سلطة ولي الأمر ٤٨.

(4) صلاح سلطان : سلطة ولي الأمر ٤٩.

(5) ابن رشد : المقدمات ١/٢٨٣ ، ٢٨٤.

(6) ابن سعيد : المغرب ١/٤٣.

(7) المعيار ١/٣٧٩، ٣٨٠.

(8) المصدر السابق ١/٣٨٨.

تأخير الزكاة عن حلول حولها قبل مجيء السعاة إلى مجيئهم، وكثيراً ما فعل ذلك أيام المرابطين ، فيأخذونها ويجرنها على من يرد عليهم من الأضياف والأعراب وغيرم من أبناء السبيل (١)، وعندما دخل العرب إفريقية كانوا يأخذون قطيعة على الزرع وحب الزيتون من العين، فكان يسقط من زكاة المالك القدر الذي تأخذه العرب (٢).

ويعطى الزكاة أناس كثيرون ، وعددت النوازل منهم اليتيمة الخادمة في الدار، وكافلها يطعمها ويكسوها ، فله أن يعطيها من الزكاة ما ترفق به في كسوتها أو تتجمل به في العيد أو متى تزوجت (٣)، وتعطى الزكاة لولي من فقد عقله من الفقراء (٤)، وإذا كان هناك فقراء في بلد وقربهم قرية أخرى عليها فقراء ، فيبدأ بفقراء البلد ، ويعطى الآخرون ما فضل عنهم (٥)، وتعطى الزكاة للفقير ولو كان له ولد غني (٦).

ولم يجز العلماء اقتطاع الدين من على الفقراء فيما وجب له عليهم من زكاة الغني، ولا يخص الغني قرابته الفقراء بالزكاة إن وجد أحوج منهم (٧)، كما أجازوا إعطاء المزكي لولده الخارج عن نفقته ممن يطلب العلم وهو مستحق لها كغيرهم من الفقراء (٨).

وهناك مَنْ يملك أرضاً ولا تقوم به منافعها ، فإن باعها ضاع حاله أبداً (٩)، فلا يزكي، كما وجد فلاح اضطر إلى أكل زرعه أخضر قبل يبسه، فيترك شيئاً من الحب الذي حصده أخضر بعد معرفته بمكيلته، فينظر ما بين الكيلين من الأخضر واليابس ، فيجعل ذلك جزء ، ويسقط مكيلة الأخضر ، ويخرج العشر من اليابس (١٠).

وممن يعطى الزكاة في القرية زوجة الفقير الذي سافر لأجل الحاجة التي لحقته

---

(١) نفسه ١/٣٨٥

(٢) المعيار ١/٣٦٤

(٣) نفسه ١/٣٦٦

(٤) نفسه ١/٣٦٦

(٥) المعيار ١/٣٦٧

(٦) نفسه ١/٣٦٧

(٧) المعيار ١/٣٨٩

(٨) المعيار ١/٣٩٠

(٩) المعيار ١/٣٩٠

(١٠) المعيار ١/٣٩٠

وعليه دين كثير، ولم يخلف لزوجته شيئاً ، ولحق بالزوجة ضرر كثير [١]، والفلاح الذي يضع زرعه من الأندر ويخرج ما وجب عليه من العشر ويتركه في الأندر لعدم حضور المساكين والأندر مخوف (أو يشك فيه) ، فلا يتركه في الأندر إلا إذا كان مأموناً وإلا ضمنه.

وتعددت المزروعات التي يجب فيها الزكاة ، فزكاة التمر الذي يجذ بسراً أو يصير تمراً إنما يراعى النصاب بعد يبسه، فإذا كان نصاباً تمراً وجبت فيه الزكاة، وإلا فلا ، وإذا خرص صنع به ما شاء وأخرج بعد يبسه تمراً وجب عليه، كما يحدث في قرى مدينة قفصة، وكذلك لا ينظر إلى وقت رفع الزيتون حتى يجف ويتناهى ، فإذا كان نصاباً بعد التجفيف أخرج زيته [٢].

وفي بعض البلاد التي بها عنب لا يتذبب - وإنما يعصر أو يصيرونه رُبًّا - فيكون الزكاة فيه قيمة العشر ، وأجاز الفقهاء أن يخرج أهل القرى العنب حباً أو رُبًّا أو قيمة عشره أو العشر حباً [٣] ، وتكون الزكاة في زرع السقي أو النخل إذا استغنى بالمطر عن القرب والزيادة بالماء بالعشر [٤]، وإن لم تستغن عن السقي على العادة والمطر قليل زكى الجميع نصف العشر ، وزكاة من باع الزيتون لغير ثقة تكون من ثمن الزيتون وهو أكثر مما أقر به المشتري من الزيت، وإن زاد بيسير استظهاراً للذي في العصر فحسن[٥] ، وزكاة الزرع والزيتون لا تسقط فيها المصاريف، فهي على أرباب الأموال كالزريعة والسقي والعمل [٦].

ولم يكن كل الفلاحين يعلمون مقداراً ما يتزكون به ، فهناك من له زرع في سائبة تشرب بالدلو، فوجد فيها نصاباً فأخرج منه العشر جهلاً أنه يلزمه نصف العشر[٧].

والزيتون المحبس على المسجد أو المساكن لا زكاة فيه، مثل الرجل الذي حبس

---

[١] المعيار ٣٩٢/١

[٢] المعيار ٣٨٣/١

[٣] السابق ٣٦٩/١ ، ٣٧٠

[٤] المعيار ٣٧١/١.

[٥] المعيار ٣٦٥/١.

[٦] السابق ٣٦٩/١.

[٧] السابق ٣٦٩/١.

زيتونة على مسجد على أن تباع ثمرته في كل عام، ويشترى من الثمر حصر، ويقام بالوقيد من زيته، فيفضل من ثمن الزيتون مال ويحول عليه الحول، وكذلك إذا أوصى للمساكين بغلة زيتون تباع ويتصدق بها على المساكين ، ومن الفقهاء من أجاز فيها الزكاة . [١]

والماشية من الأشياء التي توجب فيها الزكاة [٢]، وذكرت كتب الفتاوى بعض النوازل في زكاة الغنم ، فزكاة الغنم لا يجزئ فيها إخراج شاة مذبوحة يتصدق بها على الفقراء [٣].وأجاز الفقهاء أخذ الزكاة من الغصاب يعطون زكاة غنمهم ، ولأنهم لا يقدرون على رد ما في أيديهم إلى أربابها [٤].

ج) الجزية :

وهي ما توضع على رؤوس النصارى واليهود، وكان يُرَاعى فيها الرِفق والإنصاف، فيُعفى غير القادرين منهم على دفعها من النساء والصبيان والرهبان والشيخ الفاني والفقراء الذين لا كسب لهم [٥].

وتعد الجزية من المواد الثابتة لخزانة الدولة في الأندلس ؛ لكثرة النصارى واليهود في الأندلس ، فمن الأحداث الدالة على تسجيل أعداد نصارى الذمة في كشوف ، فقد اتهم مسيحي قرطبة خوستيوجيس أسقف مالقة في القرن الثالث الهجري بأنه قدم أسماء الفلاحين المسيحين في أسقفيته لتسجل أسماءهم في كشف دفع الجزية ، وفعل مثله الأسقف إلفيرا بمنطقة غرناطة ، وهذا يدل على كثرة الفلاحين النصارى بهذه المناطق [٦].

واستمر الفلاحون النصارى في مناطق عديدة في مدن الأندلس وبعض المناطق الريفية الجنوبية وأكثرية في المناطق الشمالية ، وهذا يدل على الطابع التعددي للمجتمع الإسلامي مما يدل على تسامح الإسلام وقدرته على استعمال أهل الذمة في الحضارة الإسلامية [٧].

---

(١) المعيار ٣٩٦/١.

(٢) ابن رشد : المقدمات ٢٧٩/١.

(٣) المعيار ٣٧٧/١.

(٤) المعيار ٣٦٤/١.

(٥) الماوردي : الأحكام السلطانية ١٤٤ ، حسن إبراهيم حسن : النظم الإسلامية ٢٧٤ ، ٢٧٦.

(٦) ميكيل دي إيبالزا : ال مستعربون ص ٢٤٦ (ندوة الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس)

(٧) المرجع السابق ٢٥٨ .

ويدفع أهل الذمة الجزية حسب مقدرتهم المالية فكانوا ثلاث فئات: تدفع الدنيا منها سبعة عشر درهماً ، والوسطى أربعة وثلاثين درهماً ، والعليا واحد وخمسين درهماً (1)، ويمكن تجزئتها على أقساط ، فتجبى على اثنى عشر قسطاً أو ستة أجزاء أو خمسة (2).

وتُقَدَّر الجزية حسب أحوال أهلِ الذمة ، فقد طلبَ أبو عبد الله الشيعي من جباة المال أن يحصّلوا من أفراد الطبقة العليا على ثمانية وأربعين درهماً ، والوسطى أربعة وعشرين درهماً ، والسفلى اثنى عشر درهماً (3).

وكان هناك بعض المدن التي بها أهل ذمة – يهود أو نصارى – فيحصل منهم على الجوالي مثلما حدث مع يهود قابس وتنس (4)، وكذلك يهود مدن جادوا وفاس (5)، وفرضت الجزية كذلك على يهود نصارى مدينتا طبنة وبلزمة (6).

د) الضرائب والمغارم

وكان على الفلاحين مغارم ومكوس متنوعة ، منها: المغارم ، وهي تسمية عامة لضريبة مفروضة على القرى في الريف منذ عصر الإمارة بالأندلس، ويبدو أن الخليفة هو الذي يفرضها على الناس ، إذ سميت بالمغارم السلطانية (7)، وتدفع عيناً على أهل الإقليم الواحد، مثلما وقع من تحمل إقليم شرف إشبيلية من مغارم في عهد الحكم المستنصر (8)، ، وقد تذمر الناس من هذه المغارم ، وإذا ضاق الحال بالناس سمح لهم بدفع المغارم على أقساط(9).

وقد يُعفى الأمراء الرعية من هذه المغارم لسبب أو لآخر ، فأعفي الأمير عبد الرحمن الثاني أهل قرية "فج البشرى" من أعمال طليطلة من المغارم بسبب وجود قبر جاريته الشفاء

---

(1) ابن حوقل : صورة الأرض ١٠٨ ، بغية الملتمس ٢٥٩ ، رحلة الوزير ١١٢ .

(2) حسن محمود : تاريخ الغرب الإسلامي ٤٩ ، قيام دولة المرابطين ٤٨٠.

(3) ابن عذارى : البيان المغرب ١/١٣٧.

(4) ابن حوقل : صورة الأرض ٧٠ ، ٧٧.

(5) البكري : صفة المغرب ٩، ١١٥.

(6) ابن عذارى : البيان المغرب ١/١٣٦ ، ١٣٧

(7) المقتبس (ت الحجي) ٦ ، ١١٤ ، البيان المغرب ٢/٧٦ ، ١١٤ ، الذخيرة ١/١/٨١.

(8) البيان المغرب ١/٢٢٧.

(9) الذخيرة ١/١/٣٨.

بتلك القرية [1]، ويقدم أهل القرية أو الإقليم المعفى من المغارم وثـائق مذيلـة بشـهادة الشـهود تدل على ذلك [2].

وشكا أحد الفلاحين للخليفة الحكم المستنصر "مغرماً يلزمه في قريته ... يبغـي تخفيفـه عنه" [3]، كما "شكا أهل طرطوشة [4]، القاصية ثقل مغارمهم مع الدنو إلى العدو" .

وفرض في عصر الطوائف ضريبة القطيع ، وشملت الغنم والبقر والدواب ، والنحـل، وكل ما يباع في الأسواق ، وتدفع مشاهرة ، يقول ابن حزم [5]: "وأما في زماننا هذا وبلادنـا هذه ... فإنما هي جزية على رؤوس المسلمين يسمونها القطيع ، ويؤدونها مشـاهرة"، وهنـاك ضريبة الزيتون التي كانت تجبى على الزيت ، وكان الناس غير قـابلين لهـا ، وألغاهـا هشـام المؤيد بالله سنة ٣٦٦هـ/٩٧٦م. [6].

وهناك مكوس على الفلاحين لصالح جيش الأندلس ، ومنها ضريبة الحشود والبعـوث، وتدفع نقداً أو عيناً على أهل الريف والمدن ، وتدفع مرة واحدة في العام أثناء التجهـيز لغـزو الصائفة ، وأسقط الأمير محمد هذه الضريبة عن أهل قرطبة حين قام بغزوته على جليقية[7]، وألغى الخليفة الحكم المستنصر سدسها عن جميع الرعايا بكور الأندلس سـنة ٣٦٤هـ/٩٧٤م بمناسبة شفائه ، وأنفذ بذلك كتابا "الى الأقطار لإعلام الناس فـي الكـور بالسـدس مـن السـاقط عنهم قبل أن يأتيهم القابض [8].

أما ضريبة الناض والطبـل العـام ، فتؤخـذ نقداً ، والثانيـة مقـابل الإعفـاء مـن الخدمـة العسكرية [9]، وأدخل المنصور بن أبـي عـامر تعديـلاً بـأن أعفـى الرعيـة مـن الغـزو مقـابل ضريبة سنوية "الإقطـاع" ، هذا بالإضافة إلى إلزام الفلاحين بتقديم ميرة الجيش وتموينه أثنـاء

---

(1) ابن حيان : المقتبس (ت مكي) ١٠٦ ، وحاشية ١ ص١٠٥.
(2) ابن العطار : الوثائق والسجلات ٥٩٧ وما يليها .
(3) ابن حيان : المقتبس (ت الحجي) ٦٣.
(4) ابن حيان : المقتبس (ت شالميتا) ٤٦٨ .
(5) ابن حزم : رسائل ابن حزم٣/١٧٦.
(6) بان عذارى : البيان المغرب ٢/٢٥٩.
(7) ابن عذاى : البيان المغرب ٢/١٠٩ .
(8) ابن حيان : المقتبس (ت الحجي) ٢٠٧ ، ٢٠٨.
(9) العذري : نصوص عن الأندلس ١٢٤ ، ١٢٧ ، مؤنس : فجر الأندلس ٥٨٠ حاشية ٢ ، ٣.

المرور بالمناطق الريفية" [١]، ويلزم أهل بعض الكور بتقديم الزفت والقطران اللازم لصناعة الأسطول وقد أسقط ذلك الخليفة الحكم المستنصر سنة٣٦٢هـ/٩٧٢م [٢].

وهناك ضريبة القطع والمفارقة ، ويقدمه سادة النواحي والمدن المنتزية ، فتتركهم الإمارة مقابل أداء هذه الغلات [٣]، وقد يتعهد المستبد بالناحية بأداء الضريبة دون قطع الطاعة ، وتدفع هذه الضريبة عيناً لا نقداً [٤].

وما يتبقى من المكوس والضرائب يسدد على أقساط ، وأحياناً تعفى منها الرعية في حالة الأزمات والكوارث الطبيعية التي تحل بالأرض الزراعية [٥].

هذا بالإضافة إلى الضرائب المفروضة على الدواب ، وعلى كل ما يباع في الأسواق، وتقدر حسب قيمة الشيئ المباع ، فقد ذكر أن الخليفة الحكم وكل مَنْ أحصى له ما يباع بقرطبة من السمك المملوح المسمى بالسردين خاصة ، المجلوب من الساحل فانتهى البيع فيه في يوم واحد إلى عشرين ألف دينار دراهم [٦]".

وتوصف الضرائب والمكوس في المغرب – كما في غيره من البلدان – بأنهما ليس لهما حد معين، وأن جبايتها تعتمد على أهواء المسئولين ، وعلى الوضع العام ، وترتبط الضرائب والمكوس بحالة الدولة، فالتخفيف فيهما يؤدي إلى الازدهار والرفاهية ويشجع على العمل والإنتاج، يقول ابن خلدون : " اعلم أن الجباية أول الدولة تكون قليلة الوزائع كثيرة الجملة ، وآخر الدولة تكون كثيرة الوزائع قليلة الجملة، والسبب في ذلك، أن الدولة وإن كانت على سنن الدين فليست تقتضي إلا المغارم الشرعية من الصدقات والخراج والجزية... وإذا قلت الوزائع والوظائف على الرعايا نشطوا للعمل ورغبوا فيه ، فيكثر الاعتمار ويتزايد لحصول الاغتباط بقلة المغرم ، وإذا كثر الاعتمار كثرة أعداد تلك الوظائف والوزائع فكثرت الجباية" [٧].

---

[١] ابن حيان : المقتبس (ت شالميتا) ٣٥٩.

[٢] المقتبس (ت الحجي) ١٠١.

[٣] ابن حيان : المقتبس (ت اسماعيل العربي) ٢٧ ، ٢٨ ، ٤٧ ، العذري : نصوص عن الأندلس ١١ ، ١٢ ، الحلة السيراء ٢٣٧/١.

[٤] ابن عذارى : البيان المغرب ١٤١/٢ ، ابن الخطيب : أعمال الأعلام ٩٩.

[٥] ابن الخطيب : أعمال الأعلام ٦٧ ، ١٥٤.

[٦] ابن الخطيب : أعمال الأعلام ١٠٤.

[٧] ابن خلدون : المقدمة ٢٧٩.

وتشمل هذه الضرائب الغلات الزراعية والمنتجات الصناعية والثروة الحيوانية من بقر وإبل وغنم (1)، فتفرض على المزروعات الداخلة أو الخارجة إلى المدن مثلما حدث في فاس، حيث يفرض عمال مدينة فاس من "لوازم على المجتازين من فاس إلى سجلماسة يلزمونهم على ما معهم من التجارة"، وكذلك على مدينة سجلماسة ، فكان يؤخذ رسوم ، "قوافل خارجة إلى بلد السودان إلى ما يخرج عنها، ويدخلها من نواحي إفريقية وفاس والأندلس وأغمات (2)، ويحدث نفس الشيء في مدينة طرابلس حيث تؤخذ المكوس من البضائع الصادرة من المدينة أو الواردة لها (3).

وأقيمت مراصد على أبواب المدن لتأخذ هذه الضرائب مثل مدينة أجدابية لها "لوازم على القوافل الصادرة والواردة من بلاد السودان" (4)، ولمدينة القيروان رسوم على القوافل المتجه إلى مصر (5)، ولمدينة تنس مراصد على المتاجر الداخلة إليها والخارجة منها (6).

وتسجل هذه الضرائب في سجلات خاصة تذهب إلى صاحب المدينة "وإليه جميع مجاري البلد والنظر فيه، وفيما ورد إليه وصدر في اسيتفاء ضرائبه ولوازمه واعتبار السجلات والمناشير بموجب ما على الأمتعة وتصفحها خوف الحيلة الواقعة دون الأداء عنه بإفريقية (7)" ، ويعطي للتاجر أو الزارع سجلاً "براءة" حتى يتحرك بسهولة دون أن يتعرض له العمال، وكان الخليفة المعز الفاطمي يتشدد في جباية هذه الأموال ، ويطلب من العمال القائمين على المراصد بأن " لا تطلق لأحد شيئاً له إلا من بيده سجل" (8).

وقد كانت هذه الأموال مصدراً كبيراً لبيت المال، فبلغت جباية القيروان والمهدية وصفاقس وتونس ٨٠٫٠٠٠ دينار ، وجباية قسطيلية ٢٠٠٫٠٠٠ دينار، وجباية بونة ٢٠٫٠٠٠ دينار ، ومرسى الخزر ١٠٫٠٠٠ دينار، وبلغت جباية مدينة المنصورة في يوم

---

(1) ابن حوقل : صورة الأرض ٦٨ ، ٦٩.
(2) ابن حوقل : المصدر السابق ٩٩، ١٠٠.
(3) السابق نفسه ٦٨.
(4) ابن حوقل : صورة الأرض ٦٧.
(5) المصدر السابق ٩٧.
(6) السابق نفسه ٧٧.
(7) ابن حوقل : صورة الأرض ٦٨.
(8) سيرة الأستاذ جوذر ١٠٩ ، ١١٠

واحد ستة وعشرون ألف درهم [1]، وقدرت مكوس التجارة مـع بـلاد والسـودان ٤٠٠ر٠٠٠ دينار [2].

ومارست الدولة الأغلبية فرض الضرائب في آخر عهدها ، فكانت مفروضة من قبل الأمير أبراهيم بن أحمد ثم خففها تقرباً من الرعية ، لكنها فرضت بعد ذلك، فعندما أراد أبـو عبد الله الشيعي استعطاف الرعيـة رد المظـالم وأسـقط الضرائـب و المكـوس وأخـذ العشـر طعاماً بدلاً من الضريبة المالية، وترك لأهل الضياع خراج سنة [3].

أما الدولة الرستمية فيبدو من النصوص أنهم لـم يرهقـوا الرعيـة بفـرض الضرائـب والمكـوس ، لأن التجـار اسـتوطنوا تـاهرت مـن سـائر البـلاد ، وأتتهـم الوفـود والرفـاق مـن الأمصار وأقاصي الأقطار ، وليس أحد ينزل بهم من الغرباء إلا استوطن معهـم وابتنـى بيـن أظهرهم لما يرى من رخاء البلـد وحسـن السـيرة ... حتـى لا تـرى داراً إلا قيـل هـذه لفـلان الكوفي وهذا الفلان المصري ، وهذه لفلان القروي ... والعمارة زائدة والنـاس والتجـار مـن كل الأقطار تاجرون"[4].

وسار بنو زيري على سياسة الدولة الفاطمية في فرض الضرائب والمكـوس ، مثلمـا حدث في سـوق القيروان، ولكـن أهـل سـوق ا لقيروان قـاموا بـالثورة علـى عـامل الخـراج وصـاحب السوق – أبي البهار خلوف – لشدته عليهم في فرض الضرائب. [5]

أما الدولة المرابطية فلم يرد عنها – حتى عصر يوسف بن تاشـفين – أنهـا فرضـت ضرائب ومكوس غير شرعية ، بل ألغت الضرائب و المكوس ، وخففت عن الرعية ، وورد عن قاضي الأمير المرابطي أبي بكر بن عمر أن "العدل يزيد السلطان فـي علـوه ، وينصـره على عدوه" وطبقت هذه الحكمة في عهد عبد اللـه بـن ياسـين ، فكـانت مصـادر بيـت المـال: الزكاة والعشور وجزية أهل الذمة وأخماس غنائم المشركين ، وفي عهـد يوسـف بـن تاشـفين تكاد تجمع المصـادر [6]، أنه لم يفرض سوى الضرائب الشرعية" ممـا أوجبـه حكـم الكتـاب

---

[1] البكري : المغرب ٢٥، ٣٦ ، ٤٩ ، ٥٥

[2] أرشيبا لدلويس : القوى البحرية والتجارية ٢٥٥

[3] ابن عذارى : البيان المغرب ١٣٢/١

[4] ابن الصغير : سيرة الأئمة الرستميين ٣٧

[5] المرادي : الإشارة في تدبير الإمارة ١٠٧

[6] ابن الخطيب : أعمال الأعلام ٢٣٤/٣ ، ابن أبي دينار : المؤنس ١٠٤، ابن القاضي : جذوة الاقتباس ٥٤٥/٢

والسنة من الزكوات والأعشار وجزيـة أهل الذمـة وأخمـاس الغنـائم وأزال المكـوس وأسـقط المغارم المخزنية ، وترك ما أوجب الكتاب والسنة تركه [1]، ولاشك أن لهذه السياسـة أثرهـا على سائر الرعية من التخفيف عن كاهلهم ومضاعفة الإنتاج .

ويتم تحصيل الضرائب على أيدي الجباه من موظفي الدولة ، وتحدد قيمتها في الحقول أو الأهراء أو المطامير ، أو أثناء الزرع [2]، ، أو في زمن الحصاد – في شهر يونيـه غالبـاً – ويُجرى تعيين الحراس على الصوامع والمطامير ، و يُقام خيام لاستلام العشور [3].

وقد يعهد بتحصيل الجباية عن طريق المتقبلين بعد إقامة مزاد علني ، وكان المتقبلـون يضيفون أعباءً جديدة ليحصلوا على ربح كبير مما جعل المحتسبون يسخطون على المتقبلين، ويرمونهم بكل نقيصة [4].

وتُدفع الضرائـب نقداً ، أو عينـاً ، فالنقديـة تسـمى النـاض ، والعينيـة تسمى وظيفـة ، فتفرض على كل إقليم مقدار من القمح والشعير والزيت ، ثم تقوم كـل قرية في الإقليم بدفـع ما يخصها من الضرائب حتى تقسم الضرائب على المساحـات الزراعيـة المزروعة .

وتحتفظ الدولة بنصيبها في الأهراء والمطامير تستخدمها وقت الحاجة ، وقد تدفع منـه رواتب عينيه للجنود ، وهو نظام مفيد للفلاحين إذ تتوفر لغالبيتهم النقود ، ومثـال هـذا النـوع من دفع الضرائب العينية ما كان يقوم به الشاعر يحيى بن حكم الغزال في "بلاط مروان" من قبض الأعشار، ومسئولاً عن أهراء الحبوب، وعندما ارتفـع سـعر الحبـوب فـي السـوق بـاع يحيى الغزال ما لديه منها في الأهراء، ثم اشترى منها حين رخص السعر في السوق ، وكان الفارق بين السعرين ٠٠٠ر٣٠ دينار ، فحبسه الأمير عبد الرحمن الأوسط ثم أطلقه[5].

وكان الحاجب محمد بن أبي عامر يكثر من شراء المحاصيل مـن السـوق فـي سنوات

---

(1) ابن أبي زرع : الأنيس ٢/٢٠

(2) بروفنسال : سلسلة محاضرات ٨٢ ، ٨٣.

(3) ابن القوطية : تاريخ افتتاح الأندلس ١٠٦.

(4) ابن عبدون : ثلاث رسائل ٣٠ ، حسن محمود : قيام دولة المرابطين ٤٨٠.

(5) ابن دحية : المطرب ١٣٦.

الخصب ويخزنها خاصة بعد أن مرت الأندلس سنة ٣٧٨ هـ/٩٨٨م بمجاعة شديدة استمرت سنوات[١].

وكان هذا النظام في جمع الضرائب يتم عن طريق موظفين في كل كورة على حدة ، ولهذا تصبح الثورات والفتن ذات عواقب وخيمة على الاقتصاد إذ تمتنع المنطقة الثائرة عن إيراد الجباية للحكومة المركزية ، و هذا ما حدث في الفتنة في نهاية القرن الثالث الهجري، يقول ابن خلدون [٢]: "وقد اضطربت نواحي الأندلس بالثوار ، ولما كثر الثوار قل الخراج لامتناع أهل النواحي من الأداء".

وكان الناس يسألون الفقهاء عن الوظائف الموظفةعلى الأرضين بجزيرة الأندلس المسماة بالمعونة كانت موضوعة في القديم علىنسبة الدراهم السبعينية بل على الستينية ، وظفت عليها لتقوم بها مصالح الوطن ، ووظف أيضاً على الكسب في ذلك العهد بنسبة درهم ونصف للرأس من الغنم ، ثم إن السكة تبدلت ونقصت، ثم ظهر الآن المعيار الحق ، وهي السكة الجديدة ، فهل يؤخذون بها إذا ظهر ما كان قد لزمهم في قديم الأزمان بعد أن تحط عنهم الأجعال ، وما لزمهم من الملازم الثقال وما أحدث بعد تلك الأعصار ؟.

فالجواب أن الأصل ألا يطالب المسلمون بمغارم غير واجبة بالشرع ، وإنما يطالبون بالزكاة ، وما أوجبه القرآن والسنة: كالفيء، والركاز ، ووارث من يرثه بيت المال ، وهكذا ما أمكن به حمى الوطن ، وما يحتاج له من جند ومصالح المسلمين وسد ثلم الإسلام ، فإذا عجز بيت المال عن أرزاق الجند وما يحتاج إليه من آلة حرب وعدة فيوزع على الناس ما يحتاج إليه من ذلك ، لكن لا يجوز هذا إلا بشروط :

الأول : أن تتعين الحاجة ، فلو كان في بيت المال ما يقوم به لم يجز أن يفرض عليهم شيء . الثاني: أن يتصرف فيه بالعدل ، ولا يجوز أن يستأثر به دون المسلمين ، ولا أنْ ينفقه في سرف ، ولا أن يعطي من لا يستحق ، ولا يعطي أحداً أكثر مما يستحق . الثالث : أن يصرفه مصرفه بحسب الحاجة والمصلحة لا بحسب الغرض . الرابع: أن يكون الغرم على من كان قادراً من غير ضرر ولا إجحاف ، ومن لا شيء له أوْ لَهُ شيء قليل فلا يُغرم

(١) ابن الخطيب : أعمال الأعلام ٩٩.

(٢) العبر ٢٨٨/١.

شيئاً . الخامس: أن يتفقد هذا في كل وقت ، فربما جاء وقت لا يفتقر فيها لزيادة على ما في بيت المال ، فلا يوزع ، وكما يتعين التوزيع في المال فكذلك اذاتعينت الضرورة للمعونة بالأبدان ولم يكف المال ، فإن الناس يجبرون على التعاون على الأمر الداعي للمعونة بشرط القدرة وتعين المصلحة والافتقار إلى ذلك " [١].

وأكد أحد فقهاء الأندلس ضرورة دفع المغارم حتى يتسنى الدفاع عن الأندلس فعندما سئل عمن يعطى حاجة لدلال يسوقها ثم أن الدلاّل بعد بيعها يغيب على المغرم ويقسمه مع التاجر وبائع السلعة ، فهل يسوغ ذلك لهم أم لا؟ وهل يجوز لأحد أن يغيب على شيء من المغارم ، فكان الجواب : أن مصالح المسلمين التي لا تسكن ثغورهم ولا ينكف عنهم عدوهم، ولا تأمن طرقهم إلا بها كانت لا تقوم إلا بمغارم الأسواق ، وكان أصل وضعها عن اتفاق من أهل الحلّ والعقد قديماً لذلك لكون بيت المال عاجزاً قاصراً عنها ، فإن تلك المغارم يجب حفظها ، وأن يولي لقبضها وتصريفها في مواضعها الثقات الأمناء ، فإن أخذوها من محلها ووضعهوها في المصالح التي جعلت لها ، كان سعيهم مشكوراً ، ومن ضيعها ووضعها في غير موضعها كان غاشاً ظالماً ، وكذلك من لزمته من أهل الأسواق فحبسها ولم يخرجها [٢].

وكان في بعض القرى حصة لبيت المال وسائرها لأهلها ، فذهب إلى قسمتها ، وكان الرأي أن يوكل الوالي إلى حصة بيت المال من يقسم عليها ، ويثبت التوكيل عند القاضي بعد أن يثبت عند القاضي ملك القرية لأربابها مع بيت المال، والاشتراك بينهم فيها عن أنفسهم ، أو يوكلون ويرسل القاضي معهم رجالاً يحضرون القسمة ، ويشهدون عنده بالسداد فيها [٣].

وطولب رجال عن أملاكهم بقرية ، فانعقدت لهم وثيقة بمعرفة الشهداء بحرية أملاكهم المذكورة ، وثبتت عند الحاكم ، فقال خصماؤهم : تحوز هذه البينة هذه الأملاك التي شهدت بحريتها ، وتعيين هؤلاء الرجال الذين شهدت لهم [٤]، واشترى رجل الزيتون أو غير ذلك من الشجر بعدما يستجد ، أو الأرض بعد حصاد زرعها ، وذلك كله يلزمه الوظيف ، فيقول

---

(١) المعيار ٥/٣٢ ، ٣٣.

(٢) المعيار ٥/٣٢

(٣) المعيار ٨/١١٩.

(٤) المالقي : الأحكام ١٥ ، رقم ٣٤٩.

البائع للمشتري : اغرم عليَّ الذي ابتعت مني ، فيقول المشتري : لا أغرم حتى أحطم ، والجواب أن : على المبتاع الوظيف وجميع المغارم من اليوم الذي ابتاع منه ذلك [١].

ويبدو أن الدولة قد خصصت ديواناً يكتب فيه الأحوال المالية وسائر القضايا ، فيكتب فيه عدة الورثة [٢]، وتسجل في هذه الديوان البراءة من الديون [٣]، فإذا توفى رجل وعليه في الديوان مال كبير ، ولا يأمن القاضي من إخفاء الورثة للمال ، فإن القاضي يعجز المال لاسيفاء الديون [٤]، وتوفى رجل آخر وعليه في الديوان مال ، وأخذ أخيه هذا المال والأملاك ، وكان منها بغلة بسرجها ولجامها ، فتدخل القاضي ومنع الأخ من استعمال البغلة إلى حين تسديد ما على أخيه من ديون [٥].

وتوفى رجل يدعى محمد بن يحيى ، وعليه مال مكتوب في الديوان ، وكانت أمواله وأملاكه أضعاف ما عليه في الديوان – الذي بالقضاء – ، فأمر القاضي ابنة المتوفى وزوجته من إحضار ما على الرجل من أموال ، فإن لم يقدما أموالاً تكفي لسداد الديون فإن القاضي يحجز بعض الأملاك ويوكل وكيلاً ينادي بيع الأملاك ثم تباع [٦]. وكان على رجل ديون ، وطلب مهلة لبيع ضيعة له في جيان ، واستأذن القاضي في ذلك ، وطلبت المرأة صاحبة الدين أن يؤخذ لها كفيل " حميل" يضمن لها المال [٧].

هـ- الغرامات والمصادرات

وكانت هذه الأموال ممن اعتاد الخلفاء والأمراء مصادرتها من الأغنياء وكبار الموظفين، وأكثر ما ورد إلينا في ذلك كان في عصر الدولة الفاطمية التي عرفت بشرة كبير للمال ، فأخذوا ما يقرب من ثمانية وعشرين حملاً من المال الذي تركه الأغالبة في رباط سوسة ورقادة [٨]، وأغرم الفاطميون أهل سجلماسة كثيراً من الأموال بلغ ٤٠٠,٠٠٠ دينار

---

[١] المالقي : الأحكام ٢٠٢ رقم ٣١٤.
[٢] ابن سهل : الأحكام ٦٣٦، ٦٣٧.
[٣] المصدر السابق ٦٣٥.
[٤] المصدر السابق ٦٣٥.
[٥] ابن سهل : السابق ٦٣٤.
[٦] ابن سهل : الإعلام ٦٣٣.
[٧] ابن سهل : الإعلام ٦٣٤.
[٨] سعد زغلول : تاريخ المغرب العربي ١١٧/٣

سنوياً تجمع على ثلاث مرات [1]، وأخذ المهدي الأموال التي كانت في قلعة ايكجان[2].

وأخذت أموال بعض الأثرياء مثل أخذ أموال أبي جعفر خيرون أحد أشهر أثرياء القيروان [3]، وفي سنة ٣٦٦هـ /٩٧٦م أغرم عامل إفريقية عبد الله الكاتب نحو ستمائة رجل من أهل القيروان ، فكان يأخذ من الرجل نحو عشرة آلاف دينار، وبلغ ما أخذ أكثر من أربعمائة ألف دينار [4]، وطولب عامل الفاطميين على قفصة بمال كثير أخذه فدفع نحو عشرة آلاف دينار[5]، وعندما مات القاضي المروزي محمد بن عمر سنة ٣٠٣هـ طولب أهل القيروان بما لكثير"[6]، فامتحن بذلك جماعة من وجوه أهل القيروان، " ولما توفى أبو سعيد الوكيل – وكان من ذوي الأموال الوافرة – ذهب عمال المهدي إلى داره وأخذوا "أربعين ألف مثقال سوى البز والجوهر وضربوا ابنه بالسياط" [7].

❀ ❀ ❀

---

(1) ابن حوقل : صورة الأرض ١٠٠ ، الوزان : وصف إفريقيا ٤٩٤ هامش ٢٤

(2) القاضي النعمان : رسالة افتتاح الدعوة ٢٨٩

(3) المالكي : رياض النفوس ٥٤/٢

(4) ابن عذارى: البيان المغرب ٢٣٠/١

(5) المصدر السابق ١٧٧

(6) المصدر السابق ١٧٥

(7) السابق ٢٨٨/١

٣) المعاملات المالية في المراكز الريفية

* **القرض**

عرف أهل الأندلس والمغرب صوراً من المعاملات المالية مثل: القرض ، والشـركة التجارية ، والاستدانة ، والحوالة ، والرهن ، والمعاوضة ، والسلف ، والكـراء ، والوديعـة ، وغيرها .

فالقرض هو أن يقوم رجل بإقراض آخر مالاً ليعمل به نظير جزء من الربـح ، مثـل رجل سافر بمال قراض من صفاقس ومرَّ بطرابلس فأخذ فقام عليه صاحب القراض بقراضه وبدين واختصم مع الورثة ثم اصطلحوا على أخذ مال القراض وربح أربعة دنـانير، ثـم جـاء صاحب المال الطرابلسي فأثبته وحلف يمين القضاء وطلبه مع الربح ولـم يوجـد لـه خـبر ، ووقع له مـع الورثـة مجادلـة مع أنهم دفعوا لـلأول المـال وبعـض الربـح ، واحتجـوا عليـه بمعرفته لهذا المال وسفره به وسبقه نحو العام [١].

وقد يدفع رجـل قَرَاضـاً لصـاحب مركـب علـى أن يحمـل سلعه بغير كـراء والربـح بينهما، وهذا القراض فاسد للزيادة المشترطة على العـامل ، ولـه إجـارة مثلـه فيعملـه وكـراء مركبه ، ولصاحب المال ربحه وخسارته [٢]، وقدّم رجل دنانير وسـفينة إلـى جماعـة ، وقـال لهم: ما ربحتم من شيء فلي الثلثان ولكم الثلـث ، وهـذا القـراض أيضـاً يُفْسَـخ إن لـم يكونـوا عملوا ، فإن كانوا عملوا كانت السفينة على كراء مثلها ، وكانت الدنانير محمولة عليهم علـى قراض مثلهم [٣].

وتحدث المشاكل بسب رد القرض ، مثل رجـل دفـع لآخـر مـالاً قراضـاً فيسـافر بـه للمشرق ، وكتب بينهما وثيقة ، فاشترى الرجل بضاعة وحملها في المركب ، وانفتح المركب وخشي عليه الغرق ورد سالماً إلى المهدية ، فدفع البضاعـة لـرب المـال ، وطلبـه بالوثيقـة ، فقال رب المال : البضاعة لم تزل مشدودة إلى استقبال الزمن ، وظل بعض المال مع الرجـل

(١) المعيار ٢٠٣/٨ ، ٢٠٤.
(٢) المعيار ٢٠٥/٨.
(٣) المعيار ٢٠٥/٨.

نحوخمسة عشر سنة ، ولم يذكر الرجل أن له قبله شيئاً وافتقر الرجل واحتاج[١].

وأحياناً تتعرض التجارات لمخاطر البحر ، مثل تاجر قَدَّم إلى بَحري دنانير مرابطية قراضاً يسافر بها إلى صقلية ، ثم غاب صاحب المال ، فلما قدم صاحب المال سأل البحري عن الدنانير ، فأخبره أن العدو أخذها منه في البحر [٢]، ووقع مثل ذلك مقارض بأربعين ديناراً على أن يصل إلى توسن من صفاقس ، فوصل لتونس ، واشترى بها مع غيرها ، وجعل المتاع في دار صاحب الأربعين ، ثم تيسر له السفر في البر لقابس، ثم سافر فيه ، ثم رجع في البحر فأخذ العدو جميع ما معه ، فطلب صاحب الأربعين ضمان الأربعين [٣].

ويقوم القراض عند أهل العلم على الأمانة ، والمقارض مصدق فيما يدعيه من تلف أو خسارة ، ما لم يظهر كذبه فيه ، وبينة المقارض التي شهدت له بنقصان المتاجر واستحالة الصرف بسبب الفتن مثل الفتنة البربرية بالأندلس، فوقع في قرطبة في مال يتيم كان أبوه قد دفعه قراضاً إلى رجل ، ثم مات و أوصى بابنه إلى ذلك المقارض وغيره ، ثم عزل وقام مكانه – وكان مقدار القرض ألفي مثقال ، وكان ذلك سنة ٤٥٨هـ/١٠٦٥م – وأنفق الوصي المقارض مبلغ ١٢٢٨ مثقالاً على اليتيم ، فأثبت ذلك في عقود ، و بقي معه ٧٧٢ وأنها تلفت في التجارة لكساد الأسواق ، ولم يكن هذا التلف من غير تضييع ولا تفريط ولا خيانة[٤].

وحدث مثل هذا أيضاً في الأندلس في عصر الطوائف ، حيث طولب رجل بخمسمائة مثقال ونيف من ذهب دفعت إليه قراضاً ، وكتب صاحب المال به عليه عقداً أشهد به على نفسه ، وأقر المقترض ، فحكم القاضي أن يعطيه ماله ، فقال : منه هنا شيء، ومنه غنم ببطليوس ينهض معي وأدفع إليه الغنم وأعطي الذي هنا ، ثم ذكر أن كثيراً من الغنم قد مات[٥].

وقدَّم رجل إلى رجلين مبلغ أربعمائة مثقال ذهباً ليتجرا بها في صناعة الصوافين بسوق

---

[١] المعيار ٢٠٦/٨ ، ٢٠٧.

[٢] المعيار ٢٠٧/٨.

[٣] المعيار ٢٠٤/٨.

[٤] ابن سهل : الإعلام ١٤١ وما بعدها .

[٥] ابن سهل : الإعلام ٣٨٢.

قرطبة على سبيل القراض ، ويتصرف بها في الصناعة المذكورة، وليس لهما أن يصرفا المال في غير التجر الموصوف بالصناعة الموصوفة، ولا أن يسافرا به ولا بشيء منه[1].

* **الشركة**

وقامت شركة بين فلاحين للألبان ، وذلك لاستخلاص الجبن والزبد ، ثم يقتسمون الربح [2]، واشترك بعض أهل قرية في شركة لطحن الغلال ، وقامت الشركة على المناصفة للربح [3]، واشترك رجلان في شركة متفاوضين في جميع أموالهما وتجارتهما وجميع أمورهما قليلها وكثيرها (لأنهما شقيقان) وأنهما قد دفعا ذهباً إلى رجل في استعمال عشر شقق خز [4].

* **الاستدانة**

وأشارت كتب النوازل [5]، إلى نظام الاستدانة (أو الديون) ، فقد داين رجل من أهل فاس رجلاً من أهل قرطبة في أموال [6]، وكذلك داين رجل في قرية على أن يعطيه دينه من عصير كرمه ، فأخلف عصير كرمه أو تأخر ، وحدث لرجل من أهل تاكرنا أنه استدان مبلغاً من رجل وأخبره أنه يؤدي الدين من ماله بتاكرنا ، ثم حيل بنيه وبين ماله بتاكرنا [7]، وإذا امتنع المدين عن أداء الدين ، فيسجنه القاضي ، فإذا رضي بالسجن ، تباع أملاكه وتسدد ديونه [8].

وثبت دين بالعدول على ميت ، وأقر الوصي وسائر الورثة ، فأخذ الدائن داراً من التركة مقاصة من دينه دون يمين [9]، وكان على رجل دين ، فجاءه آخر يقول إن الدائن

---

(1) ابن سهل : الإعلام ٣٨٣ .

(2) المعيار ٥/٢١٥ .

(3) المعيار ٥/٢٣٦,

(4) ابن سهل : الإعلام ٤٥٢ ، ٤٥٣.

(5) المعيار ١٠ / ٤٤٠ وما بعدها .

(6) المعيار ١٠/٤٤٣.

(7) المعيار ١٠/٤٤٣

(8) المعيار ١٠/٤٣٤.

(9) المعيار ٦/٢٣٢.

وكله لقبضه منه ، وصدّقه الدائن دون بينة على الوكالة [1]، واستظهر ذمي من اليهود بدين على مسلم بثلاثة رسوم تاريخ أحدها ١٥ عاماً ، أنه بقى له من كل منها بقية ، والمسلم يقول إنه وفاها كلها [2]، وكذلك كان هناك دين ليهود استظهروا برسوم بعيدة التاريخ من عشرة سنين إلى ثلاثين سنة ، والغرماء يقولون بالخلاص دون بينة [3].

وترك الزوج المتوفي دين المهر ، وخلف زرعاً مخزوناً يفي بالمهر أو يقل عنه ، فقال وصي المتوفي لزوجته: خذيه في مهرك واتركي ما بقي [4]، وكان هناك دين لأحد المتوفين، وترك أملاكاً ، فأراد الورثة أن يؤدي كل منهم ما ينوبه لصاحب الدين على المتوفي ، ثم يقتسمون الأملاك على فريضة الله [5].

*** الرهن**

وقد ترهن بعض الأملاك نظير مبلغ من المال ، وذلك مثل امرأة رهنت بيتاً فيه مطمورتان * في دنانير [6]، ورهن رجل أملاك زوجته ، إلا أنها أنكرت الإذن له بذلك [7]، وادعى رجل على آخر أنه باع منه بضاعة بثمن معلوم ، وارتهن بها رهناً ، فقال الراهن : لم تبعني ولكنك أسلفتني البضاعة ، والرهن بسلفك الذي أسلفتني [8]، وارتهن رجل فداناً ، واشترط المنفعة لمدة معلومة ، ثم أراد الراهن بيعه إلى المرتهن ، يقطع منه دينه ، ويدفع له الباقي نقداً [9]، واشترط رجل سلعة بنقد ثم رهن عنده في ثمنها سلعة أخرى ، ثم اختلفا في ثمن المشتراة [10]، ورهن رجل داراً بينه وبين زوجته ، ولم يقبض المرتهن الدار ، ولا

---

(1) المعيار ١٠٥/٩.

(2) المعيار ٥ / ٢٤٤.

(3) المعيار ٨٦/٩.

(4) المعيار ٨٩/٥.

(5) المعيار ٢/٦.

* المطمورة أو الأهراء أو المخازن : تُخزن فيها المحاصيل الزراعية ، (أبوالخير الإشبيلي : الفلاحة ١٧).

(6) المعيار ٤١٢/١٠.

(7) المعيار ٤٩٥/٦.

(8) المعيار ٤٩٦/٦.

(9) المعيار ٤٩٣/٦ ، ٤٩٤.

(10) المعيار ٤٩٠/٦.

طلب حوزها حتى مات الراهن [١]. وأحياناً يرهن رجل رهناً ثم يموت المرتهن ، ولا يوجود الرهن [٢]، وارتهن رجل داراً بالمنفعة ، ثم أراد شراءها قبل المدة [٣]، وارتهن رجل زرعاً أو ثمرة لم يَبْدُ صلاحها ، وحاز الأصل مع الثمرة أو الزرع [٤].

*** المعاوضة**

وعرفت المراكز الريفية نظام المعاوضة ، وهو المبادلة بين عوضين [٥]، وذلك مثل معاوضة وقعت بين رجلين في أرض فاستحق أحد العوضين ، هل يرجع المستحق من يده على صاحبه بقيمة ما كان دفعه في المعوض أو بقيمة ما استحق من يده؟ أمْ يرجع في عين العوض الذي خرج عنه ؟ وكيف إنْ كان الاستحقاق بعضه بالملك وبعضه بالشفعة هل هو كاستحقاق جميعه بالملك أم لا؟ ، فكان الرأي أنه إن كان المستحق عليه يرجع فيما بيد شريكه فيشتركان فيه على حسب شركتهما قبل القسمة إن كان ما بيد شركيه قائماً ، لم يفت بغرس ولا بناء ولا تفويت من بيع أو هبة أو ما في معناه ، فإن فات أعني ما بيد شريكه بشيء من ذلك رجع بقيمة حصته فيما بيده [٦].

ودفع رجل إلى رجل أرضاً في أرض فقبضها معاوضة فبنى أحدهما في بعض الأخرى التي قبضها من صاحبه ثم طرأ استحقاق في جميع الأرض التي قبضها صاحبه عوضاً عن الأرض التي بنى فيها، والرأي بأن الموضع الذي يبنى فيه من الأرض قد فات بذاته قليلاً كان أو كثيراً ، فإن كان قليلاً فقد فات ووجب أن يعرف مقداره من الأرض فإن كانت قيمته أقل من الثلث أخذ سائر الأرض وغرم له قابض الأرض قيمة الموضع المبني فيها يوم وقعت المعاوضة فيها[٧].

وتعاوضا رجلان بأرض فعمد أحدهما إلى ما أخذ من الأرض فغرسها وعمرها

---

(١) المعيار ٦/٤٩٢ ، ٤٩٣.
(٢) المعيار ٦/٤٩٥ ، ٤٩٦.
(٣) المعيار ٦/٤٩٥ ، ٤٩٦.
(٤) المعيار ٦/٤٩٧.
(٥) نزيه حماد : معجم المصطلحات الاقتصادية في لغة الفقهاء ٢٥٥، ٢٥٦.
(٦) المعيار ٥/١٧٠.
(٧) المعيار ٩/٥٩٤.

سنين ثم طلب كل واحد منهما إلى صاحبه أن يقيله [1]، من أرضه فتقايلا هكذا مبهماً ، فقال الذي رجعت إليه أرضه المغروسة لغارسها : اقلع عني غرسك ، وقال غارسها : ما أقلع غرسي لأنك قد أبصرت الغرس إذا أقلتك ولم تجهله ، وقال هذا الذي أقال : قد أبصرته ولكني ظننت أنك ستقلع الغرس من أرضي ، ولو علمت أنك لا تقلع الغرس من أرض ما أقلتك ، والرأي أن الإقالة مجهولة ، فالفسخ أملك بها وأولى ؛ لأنها وقعت على غير بيان[2].

وعاوض رجل آخر بفدان فيستحق أحد الفدادين [3]. ووقع لرجل له إشراك في أرض له منها العشر ، فعاوض رجل منهم يجعل على نفسه وعلى أشراكه ، ثم إن أشراكه باعوا منه ومن رجل آخر جميع المال ، فلما صار الجميع إليه قام هو والمشتري معه على صاحب العوض الأول يريدان فسخه ، وفي هذه الواقعة لا يجوز البيع حتى يعلم البائع بالمعاوضة ، فإذا علم فلا قيام للمشتري فيما عاوض فيه [4].

وكذلك رجل عاوض رجلاً بفدانه وخرج هذا إلى أرض هذا ، وهذا إلى أرض هذا ، وادعى أحدهما على رجل في فدان كان له في رأس الفدان الذي صار إليه فأنكره صاحب الفدان ، فدعاه الذي صار إليه الفدان الى اليمين إذ لم يجد بينة بملك الرجل الأول ، فقال الرجل صاحب الفدان : بل يحلف لي الذي عاوضك وصار إليك الفدان منه ، وأنزلك فيما تدعيه ، فقال المعاوض الذي كان له الفدان : ليس عليَّ يمين لأني قد خرجت عنه ، وإنما يمينك على الذي هو اليوم بيده فسّر لنا ذلك ؟ ، والحكم في ذلك : إن كان المعاوض الخارج عن الفدان التزم لصاحبه أن الموضع الذي يدعيه القائم عليهما من حقه الذي عاوض به صاحبه ، كلف القائم البينة [5].

ووقعت المعاوضة في الأحباس الخربة ، وذلك مثل دار محبسة على مسجد خربت، فبناها رجل من ماله ، وقال أعطى فيها ديناراً أو أصلين من القسطل [6]، وحبست نصف

---

[1] الإقالة لغة : الرفع والإزالة ، وشرعاً : رفع العقد وإلغاء حكمه وآثاره بتراضي الطرفين (ابن نجيم : البحر الرائق ٦/١١٠ ، نزيه حماد : معجم المصطلحات الفقهية) ٦٤.

[2] المالقي : الأحكام ١٣٠ رقم ١٣٤.

[3] المالقي : الأحكام ٢١١ رقم ٣٣٧.

[4] المالقي : الأحكام ٣٢٢ رقم ٦٤٤.

[5] المالقي : الأحكام ٢١٥ رقم ٣٥١.

[6] المعيار ٧/١٩٨ ، ١٩٩.

دار على مسجد ، والدار في شركة الغير ، فقسمت الدار ونقصت قيمتها وكراؤها ، وطلب صاحب النصف أن يعوض الحبس بموضع أفضل منه [١]، وطلب أحد الفلاحين معاوضة أرض حبس انقطع منفعتها [٢]، وعاوض رجل الوالي بقرية ، وبداخل القرية التي أعطى الوالي أرض لم يتقدم عليها ملك لأحد [٣]، وحدثت المعاوضة بين رجلين في أرضين ، ثم أراد أحدهما القيام على صاحبه بالغبن فيها [٤].

وغاب رجل عن زوجته ولها عشرة دنانير ، فقال لها يوم سافر : خذي في العشرة ثلاثة أثمان قمح من المطمورة [٥]، واشترى رجل قمحاً من آخر إلى آجل بثمن محدد ، فلما جاء الأجل أخذ الدائن عوضاً عن ثمن القمح [٦].

*** الوديعة**

والوديعة لغةً : بمعنى التركة ، وشرعاً : تطلق على العين التي توضع عند الغير ليحفظها [٧]، وتذكر النوازل أن رجلاً من تجار الزيت بسبتة سافر إلى بعض مدن وقرى المغرب الأوسط ليبيع الزيت هناك ، فأودعه قوم من أهل بلدته زيتاً لهم ليبيعه لهم هناك[٨]، وقال أحد المودعين ما وجدتم عليها خطي واسم صاحبها فادفعوها له [٩]، واستودع رجل غيره وديعة ، فتلفت عنده [١٠]، وحدث في وديعة إرث تصدق بها أبو الزوجة المتوفية ، وزوجها على ابنتيها الصغيرتين ، ومات الزوج ، فلم يوجد بعض الأثاث المودع [١١]، وأرسلت مع رجل وديعة إلى الإسكندرية ، فلما وصلها أخفى الوديعة ، وجعلها في وعاء

---

(١) المعيار ٧/١٩٩.

(٢) المعيار ٧/٤٦٠.

(٣) المعيار ٥/٤٣ ، ٤٤.

(٤) المعيار ٥/٥٧.

(٥) المعيار ٥/٨٩.

(٦) المعيار ٥/٥٧ ، ٨٩، ١٠/٤٣٦.

(٧) ابن جزي : القوانين الفقهية ٣٧٩ ، ابن فارس : حلية الفقهاء ١٥٩ (ط بيروت : ١٤٠٣هـ).

(٨) المعيار ٩/٧٥.

(٩) المعيار ٩/٩٦.

(١٠) المعيار ٩/٧٥.

(١١) المعيار ٩/٧٩.

على وعائها لتسلم من العشر ، فعثر عليها العاشر [١]، وأودع رجل وديعة مع رجل ، فتضيع الوديعة مع ثياب المستودع أو في كيس نسيه [٢].

وامتنع مودع عن دفع وديعة لمن جاءه يزعم أن صاحبها أمره بقبضها [٣]، وإذا أنفق رجل وديعة عنده ثم ردً مثلها لمودعها ، فضاعت ، فلا ضمان عليه [٤]، وكان هناك وديعة ثياب عند رجل فأنكرها ، ثم قامت عليه بينة أنه أودع أشياء لا يعلمون ما فيها ويظنونها ثياباً[٥]، وكذلك وديعة جاء رجل عند المودع وقال إن صاحبها وكله على قبضها منه ، وصدقه دون بينة على الوكالة [٦]، وأودعت امرأة حلياً عند بعض أقاربها لبيعه ، فاشترى بثمنه قمحاً زعم أنه قراض ، وخالفته المرأة [٧].

وأودع رجل دراهم ، وجعلها المستودع في تابوت ، ودفع المفتاح إلى خادمه ، فلما استردها صاحبها زعم أنها ناقصة [٨]، وقدمت امرأة وديعة دنانير لامرأة أخرى لتدفعها مجزأة إلى أختها وحفدتها ، ثم ماتت المودعة ، وطالب الورثة بالوديعة [٩]، واستودع رجل وديعة زيت للبيع ، وخلطها حافظها مع زيت آخر ، ثم ضاع ثمن الزيت [١٠].

وترك رجل وديعة عند بقال ، فتركها في حانوته ، فسرقت مع غيرها من الحانوت[١١]، وكان هناك وديعة كتان أودعها جل غريب قبل وفاته عند آخر ، ومات المودع عنده ، فقبضها رجل ودفعها لأخ المودع ، فقام ابنه يطالبه بها [١٢]، وأودع ساكن فندق

---

(١) المعيار ٩/٨٤.

(٢) المعيار ٩/٧٥.

(٣) المعيار ٩/٩٩-١٠٠.

(٤) المعيار ٩/٩٣.

(٥) المعيار ٩/٩١.

(٦) المعيار ٩/١٠٥.

(٧) المعيار ٩/٧٨,

(٨) المعيار ٩/١١٢.

(٩) المعيار ٩/١١٠.

(١٠) المعيار ٩/٧٥ ، ٧٦.

(١١) المعيار ٩/٩٨.

(١٢) المعيار ٩/٨٥، ٨٦.

وديعة عند أحد سكان الفندق ، فلما أراد السفر وجد أن الوديعة ضاعت [1]، وادعى رجل على آخر أنه أودعه وديعة قمح وفول ، ولا حجة للمودع [2]، واستودعت إحدى النساء لفافتين فيها حوائج النساء ، فتوفى المودع ووجدت عنده [3].

وأتى رجل إلى امرأة بوديعة مال باسم والده ، ثم هلك الوالد ورجع الرجل إلى المرأة ليأخذ المال ، فأبت المرأة أن تسلمه إلا للورثة [4]، وادعت امرأة وديعة مال كتب أبوها في وصيته أنه بعث بها مع رجل ، فأنكر الرجل الوديعة [5]، بينما كان هناك وديعة مال عند رجل مات في سفر فدفعها لبعض مَنْ معه ليمكنها لبعض الورثة [6]، وسلم رجل وديعة مال لرجل فجاءه كتاب من صاحبها الغائب يأمر بدفع دنانير معلومة ، فدفع وأشهد ، ثم حضر الغائب فأنكر الكتاب ، وأنكر المدفوع له [7].

❀ ❀ ❀

---

(1) المعيار ٩/١٠١.

(2) المعيار ٩/٨١.

(3) المعيار ٩/٧٩.

(4) المعيار ٩/٩٨.

(5) المعيار ٩/٨٥.

(6) المعيار ٩/٨٤.

(7) المعيار ٩/١١٣

مقارنة أثر الملكيات الزراعية على الحياة الاقتصادية

من الصعب تصور ازدهار الحضارة الإسلامية بدون الزراعة ؛ لأنها أتت بالقسم الأكبر من ثروة المجتمع ، وقد بلغت الزراعة في الأندلس والمغرب درجة طيبة من الخبرة الفنية والعلمية ، رغم كون الزراعة تنتمي إلى الإنتاج البسيط – في هذا الزمن – الذي ينصرف معظمه إلى إشباع الحاجات الضرورية وأهمها القوت ، ويرتبط بالزراعة تربية الماشية وصناعة الألبان واستخراج الحرير والعسل والصيد والرعي ، وكانت الزراعة والاهتمام بها من عوامل ازدهار الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس ، كما يتضح ذلك من مراجعة كتب الخراج لمختلف الولايات الإسلامية ، ومدنه وقراه ، وقد أورد العذري ما يغله كل إقليم وكل قرية .

وقد أكد العلماء المسلمون أهمية الزراعة "فالفلاحة هي العمران ، و منها العيش كله ، والصلاح جله ، وببطلانها تفسد الأحوال ، وينحل كل نظام " ، ويقول الماوردي "فأما المزارع فهي أصول المواد التي يقوم بها أمر الملك ، وينظم بها أحوال الرعايا ، فصلاحها خصب وثراء ، وفسادها جدب وخلاء ، وهي الكنوز المذخورة ، والأموال المستمدة ، وأي بلد كثرت ثماره ومزارعه ، استقل بخيره وفاض على غيره ، فصارت الأموال إليه تجلب ، والأقوات منه تطلب ، وهي بالضد إن قلت أو اختلت" .

واهتم أهل الأندلس والمغرب بمشاريع الري ، وإن كان الأندلسيون أكثر براعة واهتماماً بالري من إخوانهم في المغرب ، لأن فترات السلم في الأندلس كانت أكثر من المغرب ، وإن كان في بلاد المغرب القنوات المغطاة ، وما عليها من سواقي وقواديس وطواحين هواء ، وإنشاء المواجل والصهاريج ، وترتب على ذلك زيادة مساحة الأرض الزراعية حتى بداية القرن الرابع ، لكن مع مجيء الفاطميين دب الإهمال في هذه المنشآت، أما في عصر الأغالبة قبلهم فقد أقاموا مجموعة من أعمال الري التي كان لها أحسن الأثر ، فحفرت الآبار والبرك والمواجل ، وجلبوا الماء من العيون والسفوح الجبلية والأودية عبر القنوات ، وظهرت الحنايا مثل فسقية الأغالبة بالقيروان وغيرها ، وكان الطريق من القيروان إلى صفاقس عامر بالفسقيات والمراجل ، وحولت أراضي هذه المنطقة إلى جنات ورياض ، وقد اختلف الأمر تماماً بعد الأغالبة ، فظلت هذه المنشآت في حالة إهمال طيلة القرن الرابع.

أما في الأندلس فكانت السقاية لها إدارة خاصة بها ، وتقع تحت سلطة القاضي في الغالب ، وقلما نجد مدينة صغيرة أو كبيرة بدون قاض مهما بلغ فيها عدم الاستقرار ، ونظرة إلى الإحصاءات للمحاصيل وتوفرها وكثرتها تبين وفرة المياه والمحاصيل ، وقد أدى ذلك إلى رخاء الأسعار في معظم المدن كما رأينا.

وقد ظهر الفرق بين أنهار الأندلس الكثيرة التي بلغت حوالي أربعين نهراً (بين كبير وصغير) ، وبين أنهار المغرب التي لا يصدق عليها هذا الوصف إلا في المغرب الأقصى ، وهذه الغزارة في المياه في الأندلس جعلت الأندلس مقسمة إلى أقاليم زراعية حسب ما يغله كل إقليم وكل قرية ، أما تقسيم المغرب فهو تقسيم جغرافي طبيعي ، أو تقسيم سياسي ، فقد تلاحمت الظاهرة الطبيعية الجغرافية ، مع الزراعة مع السياسية والإدارة ، ولعل هذا يؤكد عدم الاكتفاء ببعد واحد في تفسير أحداث التاريخ. لكن رغم مساندة العامل الجغرافي الطبيعي للأندلس ، فإن العامل البشري في المغرب كان كفيلاً بتقريب هذا الفارق كثيراً مثلما حدث في القرن الثالث ، وقد تبيَّن لنا من خلال الأحداث كيف أوقف العامل البشري – من الخلافات المذهبية والعصبية القبلية – من فرصة رعاية الزراعة ومنشآتها ، فقد استنفدت البلاد الشرقية – القيروان – كل طاقاتها بتوالي الثورات على الفاطميين ، وقد رأينا مثال ذلك في ثورة أبي يزيد .

والبلاد الغربية كانت أحسن حالاً من البلاد الشرقية رغم الصراعات بين أنصار الفاطميين وأنصار الأمويين ، وعكس ذلك وقع في عهد المرابطين ، فقد عمت الزراعة كل المغرب الأقصى ، وقد اختلفت أشكال ملكية الأرض في المغرب والأندلس ، ولعل السبب وراء ذلك شكل المجتمع وتركيبه ، فالتركيب الاجتماعي في المغرب قبلي ، بحيث تسكن القبيلة في منطقة مخصصة لها ، ويوزع الإنتاج بها حسب أعرافها .

وعوامل ازدهار وتطور الزراعة في الأندلس والمغرب يجمع كل العوامل التي رصدتها ، فالأندلس كان أكثر أمناً من المغرب طيلة ما يقرب من قرن ونصف ، و الفتنة التي عمت قرطبة ما بين ٣٩٩-٤٢٢هـ أثرت على قرطبة فقط ، ولم يحدث شيء يذكر في باقي حواضر الأندلس ، ولم تتأثر كثيراً ممالك الطوائف بالأحداث إلا بعد عام ٤٥٠هـ.

وبعد توالي ضغط النصارى والجزية وتخريب القرى والمدن فقد بدأ الأندلس يعتمد

على المغرب ، وبخاصة بعد ظهور المرابطين في هذه الفترة ، وبدخول المرابطين إلى الأندلس اختفت المظالم حتى نهاية فترة الدراسة.

أما الأمن فكان مشكلة المغرب التي ألحت عليه وأثرت على تطور هذا المجتمع وخروجه من الإطار القبلي ، بل شجعته على التمسك بهذا الشكل القبلي ، ووجهت القبيلة الحركات والاعتقادات ، وقد أثرت القلاقل السياسية على المغرب بجانب القلاقل العصبية ، فقد تمردت الجنود العربية في نهاية عصر الأغالبة ، ونهبت المزارع وقُتِل الأمراء الذين تبنوا سياسيات إصلاحية.

وقد رأينا سياسية الشطط في المغارم في الجبايات في عصر الفاطميين وبعض فترات الأندلس ، لكنها كانت في المغرب أكثر ، وعندما تتفشى المجاعات ، وتزداد أسعار المزروعات والمطعومات في أيام الشدائد والنوازل يهلك كثيراً من الفقراء وتنتشر ظاهرة الاحتكارات للحنطة وخزنها لبيعها ، فعرفت مراكز العمران الريفي والحضري المغربية – كثيراً – مثل هذه المجاعات والأوبئة التي حلت بتاهرت والقيروان وسجلماسة ، فكانت تأكل الرمم والحيوانات ، وقد عمرت فاس لمدة خمسين عاماً بعد تأسيسها ، لكنها عرفت المجاعات والأوبئة سنوات ٢٦٠، ٢٨٠، ٣٣٩هـ، وماتت أعداد ضخمة من السكان.

وكان الحكام والولاة بعد هذه الأحداث وغيرها من أحداث الثورات يسيرون بالعدل رغبةً في إعادة الأمور إلى ما كانت عليه ، وقد كان بني زيري أفضل كثيراً من الفاطميين في المسائل المالية ، ولولا صراعهم القبلي لتغيرت المغرب في عهدهم ، أما الأندلس فلم تكن أحوالها الحسنة في حاجة إلى مثل هذه المظالم ، فهي دولة عظيمة فرضت سيطرتها وحمايتها على كل من حولها ، ولم تكن في حاجة إلى المظالم الاقتصادية.

أما الصناعة فهي أعمال تحويلية مركبة دقيقة ، ولا تكون إلا حيث يبلغ الإنسان مبلغاً طيباً من التحضر ، والصنائع كثيرة كثرة الأعمال المتداولة في العمران ، فهي تشذ عن الحضر ولا يأخذها العد ، وهي تتفاوت من حيث ضرورتها وشرف موضوعها ، فمن الضروري البناء والنجارة والحياكة ، و من الصناعات الشريفة كالكتابة والطب ، وتستلزم الصناعة التخصص ؛ لأن الصناعات لا يزاولها شخص واحد ، فهي مركبة تستدعي كثرة.

ولا ينتظر أن تستجاد كل الصنائع بدرجة واحدة في كل القرى و المدن ، بل عرف

كل مركز عمراني بصناعة معينة وإتقانه لها ، مثل شهرة طليطلة بصناعة السلاح مثلاً ، وهذا ما يعرف بمبدأ التخصص الإقليمي ، وهدف الصناعة هو السعي إلى سد حاجات الإنسان الضروري منها ، فالكمالي ، فالصنائع تستجاد كلما كثر الطلب عليها ، ولا يكثر الطلب عليها إلا إذا كانت تسد حاجات متزايدة الأهمية لدى المجتمع المحلي ، خاصة وأن الغرض الأساسي من الصناعة المحلية الاكتفاء المحلي.

والصناعة الضرورية للمعاش ، وتوجد في كل قرية ومدينة ، كالخياط ، والحداد ، وأمثالهما ، وما يستدعي فوائد الترف وأمواله ، فإنما يوجد في القرى العامرة والمدن المستبحرة في العمران الآخذة في عوائد الترف والغنى من التنعم ، ولذلك لا تكون في المدن المتوسطة ، وإن نزح بعض الملوك والرؤساء إليها فيختطها ويجبي أموالها إلا أنها إذا لم تكن لها داعية من كافة الناس فسرعان ما تهجر ، وتخرب لقلة فائدتهم ومعاشهم منها.

والصناعة لا تقفز إلى ذروة الاتقان والرسوخ ، بل هي تتدرج من البسيط نسبياً إلى المركب ، ومن الضروري إلى الكمالي ، بل إن نظرة المجتمع تتغير إلى ما هو ضروري أو كمالي من الصناعات والخدمات بتطور الحضارة.

وقد توفرت عوامل نشاط الصناعة في المغرب والأندلس – مع اختلاف حظها ، كماً وكيفاً – فقد توفرت المواد الأولية النباتية والحيوانية ، كقصب السكر ، والقطن والكتان والسمسم ، هذا فضلاً عن امتداد العالم الإسلامي بجوار المغرب والأندلس ، وقيام التبادل التجاري في الخدمات والبضائع ، فالعصر الإسلامي خلق ظروفاً شجعت على التوسع في إنتاج هذه المواد وتبادلها ، فقد وقعت البلاد تحت وحدة دينية ثقافية (حضارية).

لكن متطلبات المجتمع الأندلسي وتحضره فاق المغرب كثيراً في وقت الدراسة ، فكانت الصناعات – وبخاصة المترفة – تفوق مثيلاتها في المغرب ، ورغم عوامل التفوق الحضاري في الأندلس في بعض الفترات ، فإن قرى ومدن الأندلس قد اعتاد على التعاون، أو ربما التكامل الاقتصادي بدرجة أو بأخرى ، وليس أدل على فتح الأندلس أبوابها لكل التجار القادمين من دخول ابن حوقل وأبي عبد الله الشيباني الرياضي إلى الأندلس على صورة التجار ، فلم يؤد العداء المذهبي بين الفاطميين والأمويين إلى الانفصال الاقتصادي وتبادل المصنوعات ، فكان التجار ينتقلون من قرية إلى أخرى ، ومن مدينة إلى أخرى

حاملين معهم الصناعات ، فكان هناك برغم العداء السياسي إحساس بتراث مشترك وحضارة مشتركة ، وهو إحساس دعم كثيراً القطاعي الصناعي في العالم الإسلامي .

ومن القواعد البديهية الاقتصادية أن قيام الصناعة واتساع نطاقها ورسوخ قدمها تستلزم وجود السوق الذي يستوعب إنتاجها ، فقد يشتهر أهل بلد تجاري مثلاً بنوع المنتجات الصوفية بفضل ظروف طبيعية مواتية أو بفعل مهارة فنية اكتسبوها وتوارثوها ، فيجب على هذه الصناعة التحرك خارج حدود الحاضرة أو المدنية ، ولهذا كان العالم الإسلامي كله سوقاً كبيراً لكل هذه الصناعات ، الأندلس والمغرب مع العالم الإسلامي والعكس حتى رأينا الكوفي والبصري والمصري في تاهرت ، والإسكندراني في ألمرية ، فكان اتساع السوق وقدرتها الاستهلاكية بمعايير تلك العصور وطبقاً لفئات الناس اجتماعياً حافزاً قوياً للصناعات وكان الثراء والاكتفاء المادي مشجعاً على تنشيط الصناعة ، وكان ذلك في الأندلس أكثر منه في المغرب ؛ لأن الأندلس كان أكثر استقراراً وكانت الأسر والطوائف المنعمة في الأندلس أكثر منها بكثير في المغرب .

وهذا الذي قدمناه معناه أنه كانت هناك قوة شرائية كبيرة أو بتعبير آخر كانت هناك فئات اجتماعية لها من الإمكانيات المالية ما يسمح لها بالحصول على مختلف ضروب السلع والخدمات الترفيهية ، فانعكس ذلك على الصناعة ، وقد لعبت الحكومات بطريق مباشر وغير مباشر دوراً له شأنه في تنمية الصناعة ، ظهر ذلك في متطلبات قصور الأمراء وعمال الأقاليم ، فازدهرت الصناعات التي تخص هذا القطاع ، وقد رأينا ذلك في الأندلس يمثل كثرة كبيرة في أسرة بني أمية والأسر الموالية لهم وهي كثيرة ، فقد تبارت هذه الفئات المترفة في إقامة الدور الفاخرة ، وقد فاق ذلك الأندلس نظيره المغرب كما رأينا من خلال رصد الصناعات.

وخلاصة القول في عوامل تنشيط الصناعة أنها ازدهرت في الأندلس أكثر منها في المغرب إلى حد إنجاز نهضة مسايرة للتقدم العمراني ، لوفرة الإنتاج الزراعي وتنوعه ساعد على قيام صناعات تحويلية ، وقد باشرت الدولة المحافظة على الأمن واستخراج المعادن ، وتوسعت في أنواع من الصناعات ، ولم تتدخل في شئون الصناعات إلا بالقدر الذي يضمن لها نصيبها من الضرائب .

وتركت الدولة لأرباب المهن والصناعات حرية تسيير أعمالها دون تدخل ، ويعد هذا من مظاهر ازدهار الصناعة ، فكان يندرج في سلك الحرفة أو الصنعة أهلها من المبتدئ إلى المعلم ، وعرفت كل حرفة بتقاليدها ورسومها ، فصارت تحدد الأسعار وتنظم العمل وتدافع عن مصالحها إزاء الدولة ، وكانت الدولة تستجيب لطلب النقابات في تخفيف المكوس.

ويعتبر العلم مهماً في العملية الصناعية ، فهو ممثل التجربة والتعليم في الصناعات وفي إيجادها ونشرها "أن الصناعة هي ملكة في أمر عملي فكري وبكونه عملياً فهو جسماني محسوس ، والأحوال الجسمانية المحسوسة نقلها بالمباشرة أوعب لها وأكمل لأن المباشرة في الأحوال الجسمانية المحسوسة أتم فائدة والملكة صفة راسخة تحصل عند استعمال ذلك الفعل وتكرره مرة بعد أخرى حتى ترسخ صورته وعلى نسبة الأصل تكون الملكة ونقل المعاينة أوعب وأتم من نقل الخبرة ... وعلى قدر جودة التعليم وملكة التعليم يكون من حذق المتعلم في الصنعة ، وكانت الدولة تشرف على تنظيم الصناعة وذلك عن طريق المحتسب ، فكان من مهام المحتسب أن يراقب عمليات الصناعة ، وكان يجعل على كل صنعة عريفاً من صالح أهلها ، وقد عرفت الأندلس والمغرب نظام الحسبة ، وإن كان هذا النظام دقيقاً في الأندلس عنه في المغرب كما رأينا في الحياة الإدارية.

وتعددت الصناعات في مراكز العمراني الريفي والحضري بالأندلس والمغرب ، وأهم هذه الصناعات : النسيج، والورق ، والصناعات الجلدية ، والصباغة ، والصناعات الخشبية، والمطاحن وصناعة الزيوت والصابون ، وصناعة السكر والعقاقير والعطور ، والصناعات الزجاجية والمعمارية ، وكانت كل مراكز العمران تُعرف ببعض هذه الصناعات ، أو كانت هذه الصناعات تتم في الحوانيت أو المصانع الصغيرة ، أو تتم في البيوت الريفية ثم تعرض في الأسواق.

وخلاصة القول إن الصناعة بكل ما ارتبط بها تتوقف على درجة عمران واستقرار المجتمع – مع أن الصناعات موجودة في أي مجتمع بشري – ومن خلال الحياة الاجتماعية في الأندلس والمغرب نجد أن الأندلس فاق المغرب كثيراً في هذا الشأن .

۞ ۞ ۞

والتجارة هي محاولة الكسب وتنمية المال بشراء السلع بالرخص وبيعها بالغلاء أياً كانت السلعة من زرع أو حيوان أو قماش ، وذلك القدر النامي يسمى ربحاً ، وتلخص التجارة في كلمتين : شراء الرخيص وبيع الغالي ، ويزيد التاجر المسلم أنه يراعي أحكام الإسلام وغاياته في التجارة ، وكان التاجر في فترة البحث يقابل أحوال متغيرة كثيرة ، ولذلك فلم يكن التجار يغامرون ويتاجرون بكل ما يملكون ، وعلى التاجر أن يراعي حالة الطلب ، أي يجلب إلى الأسواق ما تشتد حاجة الناس إليه ، فيجب عليه انتقاء السلعة التي يكون الطلب عليها ثابتاً فلا تؤثر فيه تقلبات السوق .

وقد شهدت التجارة في المغرب في القرون الأربعة الهجرية ازدهاراً كبيراً ، وذلك رغم فترات الصراعات والاضطرابات التي كانت تزداد تخريباً وتدميراً ، فقد نشطت التجارة في عهد الفاطميين وفي عهد بني باديس حتى دخول الأعراب إلى المغرب ، أما في البلاد المغربية الغربية فقد أصيبت التجارة بشلل بسبب الصراعات القبلية ؛ وذلك لأن النظم الحكم المركزية – وقد توفرت في إفريقية – سيطرت على التجارة ووجهت النشاط الاقتصادي ، وخففوا الضرائب والمكوس ، وكانت أوضاع العملة – في معظمها – حسنة ، إلا فترات التغيير للعملة ، كما كان حدث في عهد المعز الباديسي.

أما التجارة الداخلية فكان من الطبيعي في مراكز العمران الريفي والحضري أن تقوم حياتها على الاكتفاء الذاتي ، فأهل القرى يزرعون ما يحتاجون إليه من مواد غذائية كالحبوب ، والبقول ، والخضر ، والفواكه ، ويربون أنواعاً من الحيوانات كالأغنام ، والإبل، والماشية ، تمدهم باللحم واللبن لغذائهم ، وبالوبر والصوف والجلود لعمل البسيط من الأدوات والاحتياجات ، وكان هناك عدد كبير من المدن تشابه القرى في بعض هذه المظاهر عن طريق الظهير الزراعي الذي يحيط بالمدينة إذا كانت تجاور أو تحيط بالمدن مساحات واسعة تشتغل في الإنتاج الزراعي والحيواني ، وهذا ظاهر في أوصاف الجغرافيين للمدن التي أوردتها في فصل العمران.

وقد نشأت لذلك قيام تبادل بين القرى والمدن المجاورة ، وبين القرى ونفسها ، وبين المدن وغيرها من المدن ، وقد فصلت الحديث عن قيام هذا التبادل التجاري الداخلي في الأندلس والمغرب ، وكان هذا التبادل يتم خلال الأسواق الداخلية التي تعقد في أيام معلومة

من الأسبوع ، أو في المواسم ، وكان هناك أسواق جامعة ، وتكون في الغالب في المدن الكبيرة التي تتوسط المنطقة بحيث تيسر للمجاورين لها بالذهاب إليها ، وكانت تباع في هذه الأسواق الكبيرة مختلف أنواع السلع ، ولا تكاد تخلو مدينة كبيرة فضلاً عن حاضرة الإقليم من سوق – كما رصدت – بل إن المدن الملكية كانت أسواقها من أروج الأسواق مثلماً رأينا في أسواق المهدية ورقادة والزاهرة والزهراء ، وكثرت الألفاظ الدالة على هذه الأسواق .

واختلفت الأسعار من وقت لآخر حسب توفر السلع المساعدة ، أو حسب أوقات السلم أو وقت الشدة والكوارث ، وقد وردت لنا أسعار بعض السلع والأدوات ، لكنها لم تكن في مركز ريفي واحد أو مدينة واحدة أو في وقت واحد ، ولهذا لا تصلح لرسم صورة للأسعار، وكثيراً ما تذكر الأسعار وقت الشدة. أما الاحتكار فقد اختلف الفقهاء في تحديد السلع التي يجوز فيها الاحتكار ، وخلاصة رأيهم أنه لا يجوز الاحتكار في السلع الضرورية كالقمح والشعير ، وشدد المحتسب "ممثل الدولة" في بيع هذه السلع الضرورية بيد أصحابها الفلاحين، حتى لا تقع في يد التجار ويتحكموا فيها ، هذا فضلاً عن أن احتكار السلع وانتظار غلائها واستغلال الناس أمر يرفضه الدين الإسلامي والطبيعة الإنسانية السوية.

ولم يُترك شأن التجارة بين التجار ، بل وضعت الحكومات الإسلامية القواعد والنظم لتنظيم هذه العملية بما يكفل صالح كل من التاجر والمستهلك ، وهذا انطلاقاً من أن التجارة وغيرها من نشاطات الحياة يكون لخدمة الإسلام والمسلمين – أو يجب أن يكون الأمر كذلك – وكان من الطبيعي أن تبتدع الدولة الإسلامية النظم والقواعد والوسائل العملية التي تكفل إخراج القواعد السابقة إلى التنفيذ على اعتبار أن الدولة مسئولة عن النشاط الاقتصادي من جهة ومن رعاية مصلحة المجتمع من جهة أخرى ، فكان نظام الحسبة ، وكانت اختصاصات المحتسب متشعبة ، وكانت تشمل كل النشاطات الاقتصادية ، حتى أنه عرف أولاً باسم صاحب السوق ، لكثرة تردده على الأسواق ومتابعتها ، وكان المحتسب من الفقهاء ولهذا فهو يراعي الجانب الديني ، وكلما كان المحتسب تقياً ورعاً كلما راعى ذلك وأوصى أتباعه بذلك.

وقد تضافرت العوامل الداخلية السابقة على تنامي التجارة الخارجية واتساعها حتى وصلت إلى الصين وبلاد الفلجا وأفريقية السوداء ، ودولة الفرنجة والبلاد الإسكندنافية ،

وعقدت الاتفاقيات التجارية وسمح للتجار الأجانب بممارسة نشاطهم وفق شروط لا تظلم أحداً، وقد أقامت جاليات من جنوة وبيزة والبندقية في بعض مدن المغرب في عصر بني باديس ، وبني حماد ، وسمح لها أن تشارك في تجارة العبور بقسط وافر ، وبالمثل وجدت جاليات فرنجية في مدن الأندلس ، كما فتحت بيزنطة وبلاد الخزر أسواقها للأندلسيين والمغاربة.

وكان التعامل يتم مقايضة وبالعملات ، وعرفت السفاتج والصكوك وقد رصدت التجارة الخارجية مع معظم البلدان في المغرب والأندلس ، وقد وضح مدى نشاط التجار في المغرب والأندلس على السواء في معظم فترات الدراسة حتى الأزمنة القلقة، حتى يمكن أن نقول أن التجارة في المغرب والأندلس انتعشت في هذه الفترة ودبت الحركة في الموانى والمدن الساحلية ، وقد لاحظنا أن مدن المغرب خاصة كانت ذات ملمح تجاري ، بل نشأت على طرق للتجارة ، وعندما تغيرت الأوضاع فقدت هذه المدن والمراكز العمرانية وتحولت إلى قلاع وحصون ؛ لأن حركة العمران امتدت حولها ، وقد رأينا ذلك ممثلاً في تاهرت وسجلماسة ، عكس مدن الأندلس التي لم تعرف هذه الظاهرة.

وقد شهدت آخر فترات دولة بني باديس ودولة بني حماد وآخر عصر الطوائف – العشرون سنة الأخيرة تقريباً – فقدان الحكومات تأمين الطرق التجارية البرية ، فكانت العلاقات متوترة مع معظم المحيطين ، وظهر خطر النورمان على سواحل المغرب وفرض ملوك الطوائف القبالات على كل ما يباع في الأسواق للحصول على الأموال ، وكانت هذه العوامل من جملة ما جعل الفقهاء في المغرب والأندلس يسعون لاستدعاء المرابطين.

واختلف الأندلس عن المغرب كثيراً في النظم المالية ، وأحسب أن النظم المالية هي أظهر الفروق للعمران والتحضر في الأندلس والمغرب ، فقد قاسى المغاربة كثيراً من المظالم المالية من الضرائب والغرامات والمصادرات وأعمال السلب والنهب والتخريب ، في حين أن الأندلس استمرت ما يقرب من قرن ونصف في حالة مالية جيدة – بالنسبة للرعية والحكومة معاً – وقد ظهر ذلك في الحياة الاجتماعية ، ويتضح ذلك من خلال مقدار الخزانة في كل من المغرب والأندلس ، فقد فاقت خزانة الأندلس كثيراً – فيما أظن – خزانة المغرب ، ولم يحدث التأزم إلا في نهاية عصر الطوائف ، وكان خلفاء الأندلس يراقبون

عمال الإدارة المالية الذين يجبون الضرائب ، وبخاصة بعد تجربة الثورات في القرن الثالث – والتي كانت ذات أسباب اقتصادية في بعض جوانبها – فكانت تجمع هذه الأموال بالعدل – أو قريباً منه – وتصرف فيما ينفع الرعية ، وفي أعمال العمران وتجديد وتوسيع المنشآت ، وقد ظهر ذلك في وصف قرى ومدن الأندلس والمغرب في هذه الفترة ، فقد وصف ابن حوقل الأندلس بالعمران الكثير حتى أن المسافر فيها لا يشعر بالخوف من الجوع أو العطش لكثرة رخاء السكان .

أما في المغرب فقد قاسى المغاربة من مظالم الفاطميين بكل صوره ، وكان عمال الإدارة المالية في عهد الفاطميين ظلمة قساة مرتشين ، وكان الخلفاء الفاطميون يغضون الطرف عن ذلك ، أما أعمال الاضطراب والصراعات في المغرب الأوسط والأقصى فلم تترك شيئاً بأيدي الناس ، بل كانت الأموال تنهب والأنفس تقتل والعمران يخرب .

وكانت المظالم المالية في المغرب تتوقف في بعض الفترات بغية إنعاش الأحوال وإبقاء على نظام الحكم، وقد حدث ذلك مراراً في المغرب وفي الأندلس في عصر الطوائف.

أما في عصر الخلافة فكان الخلفاء والحجاب يتركون للرعية بعض مستحقات الحكومة المالية شكراً لله على الصحة أو ميلاد طفل أو التوفيق في غزوة ، وهذا يوحي بيسر الأحوال، بل إن من ينظر إلى الإنشاءات العمرانية في الأندلس للمدن الملكية والمسجد الجامع والمدن والحصون بل وتعمير منطقة الثغور يعلم أن الأندلس كانت في حالة انتعاش كبير ، في حين كانت المغرب في صراع مع الحياة مع الفاطميين الذين لم ينشئوا إلا المسجد الجامع في المهدية ولا نعرف له وصفاً .

وكان بيت المال ينقسم إلى بيت مال مركزي في حاضرة الدولة ويكون له فروع في باقي المدن الأخرى ، وكانت ترسل بواقي الأموال إلى بيت المال حسب تصرف في أعمال الإنشاء أو الحروب أو تحفظ لوقت الأزمات ، ولم تحدث تجاوزات كثيرة في الأندلس فيما يخص عمال الإدارة المالية ؛ لأن خلفاء الأندلس كانوا يقظين من ناحية ، ولأن عمال الإدارة في الأندلس كانوا من الموالي الذين على درجة طيبة من الناحية المالية ، ولم يكن يستدعي ذلك مظالم كثيرة يقع فيها العامل ، عكس عمال الفاطميين كانت تصادر أموال هؤلاء الظلمة وتقتلهم وتأخذ أموالهم ، فتحقق مصلحتين : تأخذ أموال الرعية ، وتصادر أملاك العمال ،

وتأخذ الأموال ،وقد تغيرت هذه الأوضاع كثيراً في عصر بني باديس وبني حماد في المغرب ، أما في الأندلس في القرن الخامس – عصر الطوائف – فقد كثرت أعمال التعدي على أموال وأملاك الرعية مثل تعدي الوزير ابن السقا في قرطبة وابن النغريلة في غرناطة وغيرهما من التعديات والتجاوزات.

وتعددت موارد بيت المال في الأندلس منها : الخراج ، والزكاة ، والجزية ، والمكوس، والضرائب ، والغنائم ، والمصادرات وهي قليلة في الأندلس . أما في المغرب فكانت موارد بيت المال : الزكاة ، والخراج ، والمكوس ، والضرائب ، والغرامات ، والمصادرات ، والمواريث ، وأعمال السلب والنهب.

وقد وضح الفرق بين الموردين ، ففي الأندلس وجدت الجزية لأن أهل الذمة (النصارى واليهود) كثيرون في الأندلس ، وتعتبر الجزية مورداً ليس قليلاً في الأندلس ، وكذلك الغنائم التي يحصل عليها الجيش الأندلسي في حروبه مع نصارى الشمال ، وإن كان الوضع قد تغير كثيراً في عصر الطوائف ، فأصبح المسلمون يدفعون الأموال إلى النصارى.

أما الدولة الفاطمية فقد اعتمدت على أعمال السلب والنهب لما في أيدي الناس ، وتترك لعمالها ظلم الناس ثم تصادر ما جمعوه أو تصادر أموال أعدائها . أما دولة بني باديس فكان مسلكها المالي طيباً إذا ما قورنت بالفاطميين ، وقد خضعت لها مدن كثيرة ، ولم نسمع كثيراً مظالم كثيرة منها . أما دولة المرابطين فكانت نموذجاً للتحري لمصادر بيت المال ، فلم يعرف أنها تعدت على أموال الرعية في الأندلس أو المغرب حتى عام ٥٠٠هـ.

وتباينت وجوه الإنفاق في المغرب والأندلس بشكل كشف عن أظهر الفروق بين كلا البلدين ، فكانت الإنفاق في الأندلس يشمل : مرتبات الموظفين ، والإنفاق على الجيش والأسطول ، وترميم التحصينات ، وأعمال البناء والتشييد – وكانت كثيرة –. أما في عصر الطوائف فقد أصبح الإنفاق على الترف واللهو وأعمال الزينة وشراء التحف والجواري أو دفع الجزية ، ولهذا حددت الناحية المالية نهاية عصر الطوائف ، فقد كانت آخر النتائج ظهوراً لكل المظالم والشرور التي عانها الأندلس في نهاية عصر الطوائف ، فهو عصر لم يفقد رصيده المالي والحضاري والعسكري مرة واحدة ، بل ظل ينزف زهاء خمسين عاماً .

أما في المغرب فكانت وجوه إنفاق الفاطميين فكانت على الجيش والأسطول أولاً ، ثم مرتبات الموظفين وشراء الأنصار من الأشخاص والقبائل بالهبات والاحتفالات الضخمة التي تخص الشيعة ، ولم تُصرف في أعمال التشييد والعمران بعد القرن الثالث الهجري إلا قليلاً ، وهذا يبين أن أموال المغرب لم تصرف على مشروعاته وتحضره ، بل أُنفقت على قتله ، حيث يشترى الأنصار في حرب الأعداء عكس الأندلس الذي أنفقت أمواله عليه.

ولم تسلك دولة بني باديس ودولة بني حماد هذه المسالك الظالمة ، غير أنهم لم يعرفوا التحضر بشكل كاف حتى ينقلوه إلى بلادهم ، فقد غلب عليهم الجانب القبلي .

⊛ ⊛ ⊛

الفصل الخامس

الحياة الاجتماعية والملكيات الزراعية

المبحث الأول

عناصر السكان والملكيات الزراعية

تميز الأندلس والمغرب – عن غيرهما من سائر بلاد الإسلام – بتعدد العناصر السكانية ، وتباينها بشكل أثار الصراعات ، وكان لهذه العناصر تأثيرها في توجيه الأحداث ، وإن بدتْ هذه العناصر متجانسة في القرن الثالث الهجري في المغرب ، والرابع الهجري في الأندلس ، إلا أنها عادت وتمايزت بشكل حاد ، فظهر في الأندلس التأثير الكبير لعنصري الصقالبة والبربر ، وفي المغرب أنهكت الصراعات القبلية كل القوى السياسية ، وانعكس ذلك على الأملاك الزراعية خاصة والنواحي الاجتماعية عامة .

وهناك ملمح طيب سيتضح من تناول الحياة الاجتماعية في الأندلس والمغرب هو أن جميع نواحي الحياة مرتبطة أوثق الارتباط بحدود الدين الإسلامي وأوامره ونواهيه ، بصرف النظر عن الواقع التاريخي أي التطبيق الصحيح الكامل لهذه الحدود والأوامر والنواهي ، أو عن إهمال جانب أو جوانب منها في الحياة العملية للناس ، وذلك أن مراكز العمران الإسلامي (المدن – القرى – الحصون – القلاع – الربط) تضع حدود الإسلام مثلا أعلى لها ، وتقيس سلوك الأفراد وصحة المعاملات والعلاقات البشرية ، فتقيس ارتفاع البناء وعرض الشارع ومعاملات العبيد بالقياس إلى حدود الإسلام ؛ لأن الدين الإسلامي عند المسلم متغلغل في كل نواحي الحياة ، وظلت القيم الإسلامية تحرك المسلمين ، وتكون حجة على مَنْ خالفها ، ومن هذه القيم : المساواة وتقديس العمل والمسؤولية عنه ، واحترام الأسرة، والتكامل الاجتماعي ومنع الجشع والاحتكار ، وتفرعت عنها قيم كثيرة ظهرت واضحة في تطبيقات المسلمين في القرى والمدن وهذه محاولة لتوضيح أثر الملكيات الزراعية على الحياة الاجتماعية – الملامح الأساسية والجزيئات المعبرة – .

أولاً: العــرب في الأندلس والمغرب

تتابع العرب على دخول الأندلس منذ الفتح ، فبنى عرب الفتح على أنفسهم سوراً ليتميزوا عن إخوانهم البربر، وبلغت طائفة موسى بن نصير سنة٩٣هـ / ٧١١م ثمانية عشر ألفاً من وجوه العرب[١] ، كما دخل الحر بن عبد الرحمن الثقفي الأندلس والياً في أربعمائة

---

[١] ابن عذارى : البيان المغرب ٢/ ٩٠، المقري : نفح الطيب :١/ ٢٦٩.

رجل سنة ٩٧ هـ / ٧١٥م، وانضم بلج بن بشر القشيري إلى الأندلس في عشر آلاف من عرب الشام سنة١٢٣هـ/٧٤٠م [١] ، وقدم حسام بن ضرار الكلبي إلى الأندلس ومعه كثرة من العرب أوقفت الصراع بين عرب قحطان وعرب عدنان[٢] ، وبقيام دولة بني أمية على يد عبد الرحمن الداخل واستقرار أحوال الأندلس توافد العرب على الأندلس وبخاصة بني أمية ومواليهم فأنزلهم الأمير عبد الرحمن وأقطعهم الأراضي وأحسن جوائزهم[٣] ، وتتابع بعد ذلك دخول العرب على الأندلس، يقول المقري[٤] "اعلم أن الداخلين للأندلس من المشرق قوم كثيرون لا تحصر الأعيان منهم فضلاً عن غيرهم" ويؤكد ذلك بقوله: [٥] "اعلم أنه استقر أهل الإسلام بالأندلس وتنام فتحها صرف أهل الشام وغيرهم من العرب هممهم إلى الحلول بها، فتنزل جرائيم العرب وساداتهم جماعة أورثوها أعقابهم، وتوافد الناس بعد الفتوحات من الشرق والغرب" .

ورصدت لنا المصادر الأماكن الزراعية والقرى التي استقر بها العرب ، وهذه محاولة تقريبية لحصر استقرار العرب في قرى الأندلس :

١- بنو فهر :

منهم بنو القاسم الأثرياء أصحاب ألبونت ، وبنو الجد الأعيان أصحاب الأراضي بإشبيلية[٦].

٢- كنانة

استقروا في جهات كورتي الجزيرة الخضراء وشذونة، فعرفتا ببلاد بني كنانة[٧]، وسكن بعضهم في بوادي وقرى كورة جيان، وبلغ من قوتهم ومركزهم أن الأمير تدخل مع

---

[١] ابن عذاري : المصدر السابق ١١/٢، ٣١، المقرى: نفح الطيب ١٤/١٠.

[٢] ابن عذاري : المصدر السابق ٣٣/٢.

[٣] ابن عذارى: السابق نفسه ٤٩/٢.

[٤] المقري : نفح الطيب ٥/٢.

[٥] المصدر السابق :٢٩٠/١،٢٩٨.

[٦] المقرى : نفح الطيب ٢٩٠/١،٢٩١،١٨/٣.

[٧] ابن حزم : الجمهرة ١٨٩.

عامل الكورة عندما قتل أحد الكنانيين [١]، ومنهم بنو عميرة ذوو العدد والثروة والوجاهة في مرسية[٢] ، ولهم في بلنسية إقليم كنانة ، ولهم فيه أملاك كثيرة [٣]، ويوجد في طليطلة الوقشيون الكنانيون من الأعيان وكبار الملاك[٤].

٣- أسد

استوطنوا أحد أقاليم إلْبيرَة، وعرف الإقليم باسمهم، وكانت لهم بيوت في قرى البراجلة والبشرة من إلْبيرَة [٥].

٤- تميم

منهم خلق كثير بالأندلس [٦]،وهم قاعدة بشرية عربية كبرى[٧]، وأشهرهم بنو بهدلة المستقرون في قرية الزبارقة، وامتلكوا بها الأراضي[٨]، ومنهم بنو نمرة بن مرة الساكنون في الجانب الشرقي من قرطبة ببلاط مغيث[٩]، ومنهم محمد بن الحسين بن أسد الذي تولى الشرطة للناصر والحكم المستنصر[١٠]، ومنهم بنو يحيى بقرطبة، فتولى منهم القاضي محمد بن زكريا بن يحيى" ابن برطال " قضاء رية وجيان، ثم قضاء الجماعة بقرطبة[١١] ، وأخوه زكريا بن يحيى المتولى لقضاء بطليوس وباجة في حكم الناصر والحكم المستنصر[١٢]، وابنه أحمد بن محمد بن يحيى الذي تولى خطة الشرطة، و محمد بن تمليخ الذي أسند إليه خطة الرد والقضاء بشذونة .

---

[١] ابن عذارى : البيان المغرب ٢/٩٩،١٠١.

[٢] ابن حزم: الجمهرة ١٨٩.

[٣] العذرى: نصوص عن الأندلس ٢٠.

[٤] المقرى : نفح الطيب ١/٢٩١.

[٥] ابن حزم : الجمهرة ٢٠١ ،
L.S. Fernandes : Historia de Espana Antigua Y Media. Madrid 1976. P.282, Guichard: the Soc. Hist. of Mus. Sp. PP. 681-682.

[٦] المقرى : نفح الطيب ١/٩١.

[٧] ابن حزم : الجمهرة ٢٠٧-٢١٤.

[٨] المصدر السابق ٢١٩.

[٩] ابن حزم : الجمهرة ٢٢٠، طوق الحمامة ١٢٨.

[١٠] ابن الفرضي: تاريخ علماء الأندلس ترجمة رقم ١٤٠٦ .

[١١] المصدر السابق : ترجمة رقم ٤٥١.

[١٢] المصدر السابق : ترجمة رقم ١٣٩، ابن حزم : الجمهرة ٢٠١ .

٥- ضبة :

لهم بيوت ذات أراضى في الجزيرة الخضراء وتدمير و إلْبيرَة ووادي آش وألمرية[١]

٦- قمعة :

امتلكوا أرضاً في إقليم ألش التابع لكورة تدمير[٢]، ومنهم بنو الشيخ الثائرون خلال الفتنة بزعامة محمد بن عبد الرحمن الثائر بقليوشة ، ولهم بيوت وأراضى في استجة وجيان وتدمير[٣].

٧- قيس

أورد لهم ابن الفرضى ستة وثلاثين ترجمة[٤]، وأغلب قيس من جند قنسرين ودمشق المتمركزين في إلْبيرَة وجيان ، وكثر نسلهم في إقليم غرناطة، ولهم بها أملاك وأراض بشمال الأندلس[٥].

٨- سليم :

سكنوا في قرى إلْبيرَة وجيان ، وأورد لهم ابن الفرضي ست تراجم[٦]، واستقرت جماعة منهم في قرية قورت ،وامتلكوا بها الأراضي وكثر نسلهم في إلْبيرَة وجيان وشمال الأندلس[٧].

٩- باهلة

ملكوا الأراضي بجيان ، ومنهم بنو عبد الخالق الذين تولوا القضاء، مثل أحمد

---

(١) ابن جلجل : طبقات الأطباء والحكماء ١٠٨،١٠٩ - المقرى : نفح الطيب ٩١/١

(٢) المقرى نفح الطيب ٢٩١/١/٣٣٤/٣٣٥ ابن الفرضى : المصدر السابق ترجمة رقم ١٩٧،١٤٩١، الضبى : بغية الملتمس ترجمة رقم ٢٦٣،٧٥٤.

(٣) ابن حزم : الجمهرة ٢٤٠

(٤) ابن حيان : المقتبس (ت ملشور) ص٢١ ، العذرى : نصوص عن الأندلس١٣

(٥) ابن الفرضي : تاريخ علماء الأندلس تراجم رقم ١٩٤، ٣٢٤، ٦٥١، ١٤٩١ .

(٦) المصدر السابق رقم ١١،٤٣، ٥١،٦٧،٦٨،٧٦،١١٢،١٤٣،١٧٠ .

(٧) مجهول : أخبار مجموعة ٥٦،٦٥,ابن الأبار : الحلة السيراء٦٢/١.

والوليد وعبد الخالق[1]، فتولى الوليد القضاء في طليطلة، وتولاها أحمد بعده ، ثم انتقل إلى جيان متولياً القضاء ، واستقر بها وعرف نسله هناك[2].

١٠- غطفان

ملك بعضهم الأراضي في قرية فرشانة بإقليم الشرف بكورة إشبيلية، ومنهم بنو صخر بنواحي قرمونة[3]، وسكن بعضهم قرية مرشانة الواقعة بين استجة وقرمونة[4]

١١- عيسى:

سكنوا في قرى قرطبة وإشبيلية ، وكثروا في بوادي غرناطة[5].

١٢- مُرَّة :

لهم عقب ورياسة وأملاك بإلْبيرة، ومنهم بنو عوف بإشبيلية ، وكانت لهم رئاسة بها، ثم خملوا وعمل كبيرهم فخَّاراً[6]بقرى إشبيلية .

١٣- أشجع :

سكنوا في القرن الخامس بالبادية[7]، ومنهم بنو شهيد الذين تولوا الخطط السلطانية مثل أمية بن عيسى بن شهيد كان وزيراً وصاحب مدينة للأمير محمد[8] ، وعبد الرحمن بن أميه بن شهيد حاجب الأمير المنذر والأمير عبد الله[9]، وعبد الملك بن شهيد تولى الكتابة للأمير المنذر[10].

---

[1] ابن حزم : الجمهرة٢٤٦ .

[2] ابن الفرضى : المصدر السالبق رقم ١٥٠٥،٥٩

[3] ابن حزم : الجمهرة ٢٤٩، ٢٥٠

[4] ابن الفرضى : المصدر السابق رقم ٦٠٨

[5] المصدر السابق رقم ١٥٥٧ ، الضبي : بغية الملتمس رقم ١٢/٧

[6] ابن حزم : الجمهرة ٢٥٢،٢٥٤،٢٥٥ .

[7] المصدر السابق : ٢٥٩، ٢٦٠ ، ابن عذارى: البيان المغرب ٣٨/٢ .

[8] ابن القوطية : ذكر أخبار الأندلس٩٨ .

[9] ابن حيان: المقتبس ٥٣/٣ .

[10] ابن عذارى : البيان المغرب ١١٣/٢ .

وكان محمد بن أمية بن شهيد وزير الأمير عبد الله[1]. وعبد الملك بن عمر بن شهيد وزير الأمير عبد الله والخليفة الناصر[2]، وخالد بن أمية بن عيسى بن شهيد خازن الخليفة الناصر ، ثم تولى الوزارة[3]، وأمية بن محمد بن شهيد تولى كورة استجة[4]

١٤- هوازن :

هم بإشبيلية خلق كثير، فلهم قريتان بشرف إشبيلية، فأصبحوا أعيان إشبيلين، ولهم ببلنسية أملاك ومنازل تعرف بمنازل هوازن[5]، ووهبهم الأمير هشام أملاكاً وضياعاً كثيرة[6].

١٥- ثقيف :

ملكوا الأراضي الكثيرة بقرية طرش بكورة إِلْبيرَة[7]، وكانوا من مؤيدي الأمير عبد الرحمن الداخل، ومنهم بنو عاصم بن مسلم الثقفي، وبنو قرعوس الذين منهم صاحب السوق العباس بن قرعوس، وبرز منهم الفقهاء والقضاة وأصحاب الشرطة والمحدثون[8].

١٦- نمير :

استقروا بإقليم البراجلة في غرناطة ،وهى منطقة واسعة من الأراضي، وتقع في سفوح جبل سيرانيفادا ، وتضم البراجلة العليا والسفلي، وامتازت بتربتها السوداء الصالحة للزراعة، ومكاناً جيداً لرعى الماشية وتربية الأغنام[9]، ومنهم بنو أرقم في وادي آش[10].

---

(١) ابن عذارى : المصدر السابق ١٤٢/٢ .

(٢) ابن حيان : المقتبس ٣٥٤/٥ ، ابن عذارى : المصدر السابق ٢٠١/٢ .

(٣) ابن حيان : المصدر السابق ٣٥٤/٥ .

(٤) ابن عذارى : ١٤٢/٢.

(٥) ابن الأبار : الحلة السيراء ١٥٤/١،١٥٥،ابن حزم : الجمهرة ٢٦٥

(٦) ابن الأبار : الحلة السيراء ١٥٤/١،١٥٥، ابن الخطيب : الإحاطة٤٢٦/١

(٧) مجهول : أخبار مجموعة ٧٦، ٨٢

(٨) ابن الفرضى : تاريخ علماء الأندلس تراجم ١٠٩٥،١٢١٥،١٤٥٨،١٥٧١

(٩) ابن الخطيب : الإحاطة٣٤٣/١

(١٠) المقرى : نفح الطيب ٢٩٢/١

١٧- **كلاب :**

ملكوا الأراضي الكثيرة في قرية الخشبل من شوذر في كورة جيان، وكانت لبعضهم ضياع في قرطبة، حيث أعطاهم أرطباش بن غيطشة عشرة ضياع كبيرة ، وتحتوى على عشرة آلاف شجرة زيتون، تسقى من عين ماء في الضيعة[١]، وكان منهم محمد بن مسلمة الكلابى القيسي الذي تولى قضاء قرطبة (ت ٢٨٩هـ/٩٠١م)[٢] .

١٨- **عقيل :**

استقروا في جيان ووادي آش ومنتيشة [٣]، وكان يخرجون مع الأمراء للطوائف، وكان منهم اسحاق بن إبراهيم الذي بنى حصن متيشة وامتنع به ابن حفصون[٤]، ومنهم بنو سامى الوادي آشيون، وكان لهم مكان عرف بهم، ومكان آخر في بلنسية[٥].

١٩- **ربيعة :**

توزعت ربيعة بين قرى إلْبيرَة وجيان، فاستقر بنوا أسد في إقليم باسمهم، وسكن بنو بكر بن وائل في المنطقة الزراعية بين إلْبيرَة وقلعة رباح ومنطقة وداي يانة التابعة لكورة جيان[٦].

٢٠- **غافق :**

توزعت بين أماكن عديدة، فلهم بيوت وأملاك في شقورة وشذونة وقرطبة[٧]، ولهم في فحص البلوط حصن أو قرية تدعى قرية الغافقين[٨]، ولهم أملاك في قرية مرنيانة بإشبيلية[٩].

---

[١] ابن حزم : الجمهرة ٢٨٧، مجهول : أخبار مجموعة ٣٨ ، ابن القوطية: ذكر بلاد الأندلس٤٠

[٢] ابن الفرضى : المصدر السابق ترجمة رقم ٦٨٤ .

[٣] ابن حزم : الجمهرة ٢٩٢ ، ابن عذارى : البيان المغرب ١٣٦/٢، ياقوت: معجم البلدان ٢٠٧/٥،٢٠٨

[٤] ابن الأبار : الحلة ٣٧٧/٢ ، ابن حيان: المقتبس ٢٩/٣ .

[٥] العذرى : نصوص ٨٩، ابن حيان : المقتبس ٢٩/٣ .

[٦] المقرى : نفح الطيب ٣٣/٣ ، العذرى : نصوص ٩١، ابن الأبار: الحلة السيراء ١٢٧/١، ابن حزم : الجمهرة٣٢١، البيان المغرب ١٦٦/٢

[٧] المقرى : نفح الطيب ٢٩٤/١، ابن الفرضى: المصدر السابق رقم ٨٨ .

[٨] ابن حزم : الجمهرة ٣٢٨،ابن الفرضى: السابق رقم ١٣٨١.

[٩] الوصيف : العرب اليمنية فى الأندلس ١٤٨،ابن الفرضي : تاريخ علماء الأندلس رقم ٩٥٢،٤٧٤، ١٢٠٥،٩٧٨

٢١- الأنصار :

ملكوا الأراضي بجزء الأنصار بطليطلة[١]، وقرية شوش الأنصار قرب إشبيلية[٢]، وإقليم تيبل بن أوس قرب إلْبيرَة، ومنهم بنو ربيع بن محمد الذين تولوا خزانة الأهراء بقرطبة، وملكوا الأراضي في قرية قربلان قرب سرقسطة[٣]وبقرية اختيانة قرب قبرة والمعروفة بكثرة زيتونها[٤]، وعاش بعضهم في حصن شارقة، وقصر الشرفاء في بلنسية، وهى مناطق مشهورة بخصوبتها[٥].

٢٢- غسان :

سكن بعضهم بقرية صالحة في طريق مالقة[٦]،وآخرون بجوار بجانة، وبعضهم استقربقرية فرخشبيط من قرى الأشات[٧]،وفى غرناطة قرية لغسان باسمهم[٨]، وكذلك في وادي آش سكن بنو حسان وبنوعمرالغسانيين[٩]، وذكرابن الفرضي أسماء بعضهم[١٠].

٢٣- الأزد :

عاشوا في قرى منطقة تدمير، وفى إقليم لورة بغرناطة ، وملكوا الأراضي في قرية لجانة "أو لسانة" الغرناطية[١١]. وفى قرية جند بغرناطة ، وفى فحص أبى العوجاء قرب جيان[١٢] ، وسكن بعضهم في ضواحي سرقسطة وطليطلة ورية[١٣].

---

(١) المقرى : نفح الطيب ٢٩٤/١ .

(٢) ابن حزم : الجمهرة ٣٦٥،٣٦٤،٣٤٣ .

(٣) العذرى : نصوص ٩٠ ، ابن الخطيب : اللمحة البدرية ٢٩ ابن الأبار: المعجم ٢٤٣،٢٤١ .

(٤) ابن حزم: الجمهرة ٣٦٥، والمراكشي: الذيل والتكملة١/٥/٢٥٠.

(٥) ابن حزم : الجمهرة ٣٥٤،٣٤٨،٣٤٧،٣٤٣،٣٤٢ .

(٦) الإحاطة ٣٧٧/١، نفح الطيب ٢٩٤/١ .

(٧) المقرى: نفح الطيب٢٩٢/١ .

(٨) ابن حيان : المقتبس ٨٨/٨٧/٣ .

(٩) ابن الخطيب: الإحاطة ٢٨/١ .

(١٠)تاريخ علماء الأندلس : رقم ٥٣٣، ٩٠٦، ١٤٤٣،٩٨٠ .

(١١) العذرى : نصوص ٥،٢ ابن الخطيب:الإحاطة ١٢٧/١ .

(١٢) الزبيدى:طبقات النحويين ٣٤٠،٣٣٥ .

(١٣) ابن الفرضى :تاريخ علماء الأندلس رقم ١٠٤٤،٩٢٦، ١٦٢٨، ١٢٧٧، ١٣٢٩، ١٤١٩ .

٢٤- خثعم :

ملكوا الأراضي في قرية ملسانة من قرى شذونة ، وهى دارهم بالأندلس[١]، وسكن بعضهم في ضواحي إلْبيرَة وقرطبة[٢].

٢٥- همدان :

ومنزل همدان مشهور على ستة أميال من غرناطة،وأُطلقت عليهم اسم القرية التي بها أراضيهم، كما أطلق على أحد أقاليم غرناطة إقليم همدان[٣]،وتولى منهم مصعب بن عمران الهمداني القضاء للأميرين هشام والحكم الربضى[٤]، كما سكنت أسرة همدانية في قرية حديدة في وادي بيرة ، نسبة لحديدة بن زبان[٥].

٢٦- طئ :

دارهم وأملاكهم في الأندلس في بسطة قرب وادي آش من كورة جيان ، وسكنوا حصن ناجلة، وملكوا الأرض حوله[٦]، وسكن بعضهم في أراضى قبلى مرسية[٧].

٢٧- مراد :

ملكوا الأرض حول حصن مراد بين إشبيلية وقرطبة[٨]، وسمى أحد أقاليم قرطبة باسمهم[٩]، وتوزعوا في الاستقرار بين قرطبة وإشبيلية وإلْبيرَة ، وبجانة وطرطوشة ووشقة[١٠].

---

[١] ابن حزم: الجمهرة ٣٩١/٣٩٢.

[٢] ابن الفرضى: تاريخ علماء الأندلس رقم ٧٤٦ ، ابن الخطيب: الإحاطة ١٣٥/١.

[٣] العذرى: نصوص عن الأندلس ٩٠

[٤] ابن الفرضى : المصدر السابق رقم ٣٩٨

[٥] ابن الخطيب :الإحاطة ١٢٨،١٢٩، ابن الآبار : التكملة٣،٢،٤

[٦] ابن حزم: الجمهرة ٤٠٤

[٧] المقرى : نفح الطيب . ٢٩٥/١

[٨] ابن حيان : المقتبس (ت مكى) هامش رقم ٣٠٣

[٩] المقرى : نفح الطيب ٢٩٥/١

[١٠] ابن الفرضى : المصدر السابق ارقام : ٢٨، ١٨٥، ٢٩٢، ٣٧٤، ٤٥٠، ٤٨٧، ٥٧٩، ٦٠٢، ٦٨٠، ١٠٥٥، ١٠٨٧، ١٤٦٤، ١٤٨٢

٢٨- عنس :

كانت لهم أراضى قرب قنطرة قرطبة[١]، ومساكنهم وأراضيهم جهة قلعة يحصب بإلْبيرَة ، وكانت بها بنو سعيد العنسيين أصحاب كتاب "المغرب في حلى المغرب"[٢].

٢٩- خولان :

بنوا قلعة خولان قرب شذونة في كورة الجزيرة الخضراء[٣]، وملكوا الأراضي في قرية غلجر التابعة لإقليم الملاحة قرب إلْبيرَة جنوبى غرناطة[٤]، ولهم محلة باسمهم في إشبيلية[٥]، وذكرابن الفرضي لهم ترجمات في قرطبة وجيان ورية[٦]

٣٠- معافر :

لا توجد لهم أماكن استقرار خاصة ، ولكنهم أسر متفرقة، فيوجد آل حجاف في بلنسية ، وبنو منخل في جيان[٧]، وملكوا الأراضي في قرية كنتش معافر جنوب إشبيلية ، وكلمة كنتش تعنى أن هذه القرية كانت من أرض الخمس التابعة للدولة ، فأقطعت للمعافرين الداخلين الأندلس بعد الفتح لمعارضة العرب البلد بين مشاركتهم فيما بين أيديهم من أراضى[٨]، وكانت العادة أن ينتقل الأفراد من المدن إلى أراضيهم في القرى، مثلما دخل أحد المعافرين الذي رحل عن إشبيلية ،وسكن أرض له بغربها[٩]، ونزل بعض المعافرين في قرية شكنب من إقليم تاجرة الجمل من عمل لوشة غربي غرناطة" فكانوا من الأنساب المعروفة بإلْبيرَة[١٠]، وسكن بنو مفوز في حصن "ينبه" من أعمال شاطبة في شرق

---

[١] ابن الخطيب :الإحاطة ٢١٥/١ .

[٢] ابن حزم: الجمهرة٤٠٦.

[٣] ابن حزم :الجمهرة٤١٨ ،ابن سعيد:المغرب٣١٠/١،المقرى:نفح الطيب ٢٩٥/١

[٤] ابن الخطيب : الإحاطة ، ابن حزم: ١٣١/١ الجمهرة ٤١٨

[٥] ابن حيان المقتبس (ت الحجى)١٧٠ ، ابن الأبار : التكملة ٤٨٧/٢/١

[٦] ترجمات رقم ١٤٩٧،١٣٦١،١٢٤٥،١١١٥،١٠٥٣،٩٠٦،٩٣٠،٨٦٥،٧٩٤،٥١٠،٤١٥،٤٠٧،٣٢٤

[٧] ابن حزم: الجمهرة٤١٩

[٨] عبد الواحد زنون طه : الفتح والاستقرار الإسلامى فى شمال أفريقيا والأندلس ٢٣٣

[٩] ابن الفرضى : تاريخ علماء الأندلس رقم ٤١

[١٠] ابن الخطيب :الإحاطة ٥٢٤/٣،ابن الفرضي : تاريخ علماء الأندلس رقم ١٣٥٨،١٣٥٦

الأندلس[١]، وتكررت فيهم ولاية القضاء ، فمنهم بن عمر بن شراحيل المعافرى في عهد عبد الرحمن الداخل[٢]، والقاضي محمد بن بشير المعافرى (ت١٩٨هـ/٨١٣م) في عهد الحكم بن هشام[٣]، وابناه سعيد بن محمد(ت ٢١١هـ/٨٢٦م) في عهد عبد الرحمن بن الحكم[٤]،والقاضي مسرور بن محمد (ت٢٣٨هـ/٨٥٢م) في عهد عبد الرحمن الأوسط[٥]،والفقيه طالوت بن عبد الجبار المعافرى المشترك في ثورة الربض ، وترجم ابن الفرضي لأعلام كثيرة من معافر[٦].

٣١- عاملة :

سكنوا قرية "بلة العاملين" من كورة رية[٧]، وعاش بنو سماك القضاة[٨]، في قرى غرناطة .

٣٢- جذام :

انتشر الجذاميون في كور وقرى الأندلس مثل قرطبة ، فكان فيها القاضي موسى بن محمد بن زياد[٩]، وفى استجة ومورور، ونواحي إشبيلية والجزيرة ورية[١٠]، وسكنوا جزء من قلعة يحصب، وامتلكوا في إلْبيرَة إقليماً سمى بتيبل بنى هود ، (وتعنى كلمة تيبل مساحة من الأرض مزروعة بالأشجار والنبات ، مما يعنى غني المنطقة[١١].)

---

(١) ابن حزم:الجمهرة٤١٩ ،ابن سعيد:المغرب٢/٣٩٣

(٢) ابن الفرضى :تاريخ علماء الأندلس رقم٩٣٦

(٣) الضبى: البغية ٦٩

(٤) ابن الفرضى: تاريخ علماء الأندلس ٤٧٣

(٥) ابن الفرضي : تاريخ علماء الأندلس ١٤٣٠

(٦) السابق:رقم١٦٦ ،٢٦٧،٩٣٩،١١٥٥،١٣٣١،١٣٥٥،١٣٧٤،١٤٧٠،١٦٣٧

(٧) ابن حزم: الجمهرة٤١٩،٤٢٠،ابن الفرضى السابق رقم ٢٧٦،الحميدى : جذوة المقتبس رقم ٣٢٦

(٨) المقرى: نفح الطيب الطيب١/٢٩٥

(٩) ابن الفرضى: تاريخ علماء الأندلس رقم١٤٩٥

(١٠) المصدر السابق :رقم٢٤١،٢٧٧،١٤٨٧،ابن حزم:الجمهرة ٤٢١

(١١) عبد الواحد زنون : الفتح والاستقرار ٢٢٢

Elias Ters : Linajes Arabes en Al Andalus, Segun La " Yamhaa" de Ibn Hazm.

Madrid. Al-Andalus vol XXL. Fasc. 1957. PP. 55 - 111. Fasc. 2PP. 336-376.

٣٣- لخم

أثر اللخميون كثيراً في تاريخ الأندلس لكثرة بطونهم ، فسكن بنو حدس قرية قرطة بكورة رية[١]، ومنهم قاضى قرطبة عامر بن معاوية بن عبد السلام[٢]،ولهم جزء اللخمنيين ناحية قلعة رباح مما يؤكد وجود جماعة منهم هناك[٣]، وكانت إشبيلية من مراكزهم الرئيسية، فملك بنو ثوابة الأرض في قرية آش بالشرق[٤]، وظل عقبهم بها حتى نهاية الدولة الأموية، ومنهم بنو عمر الذين امتلكوا الأراضي في قرية " لبص" التابعة لإقليم البصل ، ولهم فيها بيت مشهور[٥]، ومنهم بنو عباد وبنوالباجى أعيان إشبيلية ، وآل وافد ، وآل نمارة وامتلك الأراضي بنو بحر بقرية البحر بين شرقي إشبيلية[٦]، ووجدوا كذلك في قرى وأحواز شذونة والجزيرة الخضراء وقرطبة وجيان[٧].

٣٤- تجيب :

من القبائل العربية التي لها دور واضح في سياسة الأندلس وبخاصة في الثغر الأعلى ، وتوزعت أسرهم في قرى ومدن قلعة أيوب ودروقة وسرقسطة[٨]، وكان منهم بنو صمادح الذين حكموا ألمرية في عصر الطوائف (٤٣٣-٤٨٤ هـ/١٠٤١-١٠٩١م)[٩].

٣٥- ذو رعين :

عاش أفرادها في منطقة سهلية خصبة عرفت بفحص رعين في كورة رية[١٠]، وسكن بعضهم في قرية بطشة الواقعة على نهر الوادي الكبير قرب إشبيلية[١١]، وتوزعوا في

---

(١) ابن حزم:الجمهرة ٤٢٣

(٢) ابن الفرضى : تاريخ علماء الأندلس رقم ١٧٥

(٣) الوصيف:أثر العرب اليمنية٢٠٤

(٤) ابن حزم: الجمهرة٤٢٣

(٥) ابن بشكوال:الصلة رقم ١١١٤

(٦) ابن القوطية: ذكر بلاد الأندلس٢٠،المقرى:نفح الطيب ٢٩٦/١، ابن بشكوال: الصلة رقم١٤٠٧

(٧) ابن الفرضي : تاريخ علماء الأندلس٥٦،٨١،١٠١،١٣٥،٤٥٨،٤٦٠،٩٢٩،١٠٩٨،١٢٠،١٥٣٥

(٨) ابن حزم: الجمهرة ٤٣١،ابن عذارى: البيان المغرب١٧٥/٣،١٧٦

(٩) ابن الخطيب:أعمال الأعلام ١٨٩/٢

(١٠) ابن حزم:الجمهرة٤٣٣،٤٣٤،المقرى: نفح الطيب٢٩٦/١ .

(١١) ابن الفرضي : تاريخ علماء الأندلس ١٠٥،٥١٤،٦١٩،٦٣٢،١٠٠٠،١٠١١،١٢٣٤

قرى وأرباض قرطبة ، وشذونة، ورية ، وبجانة ، وطليطلة ، وسرقسطة(١).

٣٦ - هوزن وحراز :

ملكوا الأراضي الكبيرة في قريتين منسوبتين لهما في إقليم الشرف(٢)، وشكلوا فئة من أعيان إشبيلية(٣)، ووجد بعض آل حراز فى قرى مدينة لبلة(٤).

٣٧- يحصب :

تمركز اليحصبيون في قرى قلعة بنى سعيد بإلْبيرَة ، ونسبت القلعة لهم(٥)، وكانت من أكبر القبائل في قرى لبلة ، وكونوا في عصر الطوائف إمارة مستقلة(٦)،ولهم أملاك في قرية قلنبيرة من إقليم طشانة في كورة إشبيلية، وكانت لهم ثورات في هذه المنطقة(٧).

٣٨- قضاعة :

استقروا في أماكن متعددة ، وملكوا الأراضي الزراعية في قرية قمرلة في طرطوشة شرق الأندلس(٨)، وفى وادي أندة بكورة بلنسية(٩)، وفى قرية (بلى) التابعة لفحص البلوط المعروف بأراضيه الزراعية الخصبة ، وعاش بعضهم في قرية الأرحا قرب شذونة(١٠)وملكت عشيرة خشين الأراضي الكثيرة في قرية خشين غرب مالقة(١١)، وسمى جزء من كورة الجزيرة الخضراء خشين مما يدل على كثرتهم بهذا الجزء(١٢) .

---

(١) ابن الفرضي : تاريخ علماء الأندلس ١٠٠،١٠٥،٢٧٢،٣٢٨،٣٦١،٥٥٢،٩٣٢،١٠٢٠

(٢) ابن حزم: الجمهرة ٤٣٢ ،المقرى:نفح الطيب١/٢٩٧

(٣) المقري : نفح الطيب ١/٢٩٧

(٤) ابن حزم:الجمهرة٤٣٥

(٥) المقرى : نفح الطيب ١/٢٩٧

(٦) الوصيف : العرب اليمنية٢٤٥

(٧) مجهول:أخبار مجموعة٨٤،١٠١،١٠٥،١٠٧

(٨) ابن الأبار: الحلة السيراء ٢/٢٣٨

(٩) ابن الأبار : التكملة ١/١٤٥ ٢/٦٢٤،٨١٢،٨١٣،٨٥٦ ،٨٨٨،٨٩٠؛مصطفى أبو ضيف: العرب فى الأندلس ٤٧١

(١٠) ابن الأبار : التكملة ١/١٩٩،٢٩٢

(١١) المصدر السابق ٤/٧١

(١٢) العذرى: نصوص عن الأندلس ١٢٠

وملك بنو مهرة الأراضي بقرية شنبوس بشلب غرب الأندلس[1]، ومنهم بنو عذرة ودارها في قرية دلاية بإلْبيرَة[2]، وامتلكوا جزء من إقليم البشرى المتميز بالغابات[3]، ولهم قرية عذرة بألمرية[4]، ومنهم كبار الملاك في الجزيرة الخضراء[5]، ومنهم بنو فواتش بجيان والثغر الأعلى[6]، وملكت عشيرة تنوخ الأراضي في قرية " زند " قرب إلْبيرَة[7].

٣٩- كلب :

استقر معظم أفرادها في قرى إشبيلية ولبلة ومورور، ولهم أملاك في وادي الكلبيين قرب المدور[8]، ولهم قرية في وادي الشرف[9]، واستقر بنو سراج في أحواز بجانة[10].

٤٠- حضر موت :

استقر بنو خلدون في قرية إقليم الشرف بإشبيلية[11]، وفى أرياف مرسية وغرناطة وبطليوس وسرقسطة وتطيلة ومورور[12].

وهكذا كان الريف الأندلسي من أماكن استقرار العرب ، فكانت قرطبة من مراكز العرب ، فشكلوا أغلبية في إقليم الصدف ، نسبة إلى قبيلة الصرف اليمنية [13]، وسكن بعض بني مراد في حصن المرور ، ونسب حصن مراد إلى قبيلة مراد [14]، وسميت قرية بلي

---

(١) ابن الأبار: الحلة السيراء ٣١/٢

(٢) ابن حزم:الجمهرة٤٥٠

(٣) البكرى: المغرب ١٢٤ ، العذرى : نصوص عن الأندلس ٩٠

(٤) الإدريسى: صفة المغرب والأندلس ١٩٨

(٥) المقري : نفح الطيب ٢٩٨/١

(٦) ابن حزم : الجمهرة ٤٥٠

(٧) المقرى: نفح الطيب ٢٩٧/١،ابن الفرضي : تاريخ علماء الأندلس ١٩٠/١

(٨) العذرى: نصوص عن الأندلس ٩

(٩) ابن الأبار : التكملة ١١٦/١،١١٧

(١٠) الحميرى: صفة جزيرة الأندلس ٣٧

(١١) ابن حيان: المقتبس ٧١/٢ ، مجهول: أخبار مجموعة ١١٧،١٠١،٨٤

(١٢) ابن الفرضى: السابق ١٥٨،٤٩٢،٥٤٢،٧٢١،٨٢٦،٩٢٣،١١٨٢،١٢٨٨

(١٣) العذري : نصوص عن الأندلس ١٢٥.

(١٤) المقري :نفح الطيب ٢٩٠/١ ، ٢٩٥.

نسبة إلى القبيلة العربية التي سكنتها في شمال قرطبة [١].

وأتت إشبيلية بعد قرطبة في كثرة العرب بها ، فكان بها قرية البحريين المنسوبة إلى بني بحر اللخميين ، وسكن بعض بني لخم في قرية آش ، واستقر بعضهم في قرية "لبص من إقليم البصل من أعمال إشبيلية [٢]، وعاش بعضهم "بنوعطاف" في قرية "يومين" التابعة لإقليم طشانة ، وسكن بعض اليحصبيين في قرية مورة شرق إشبيلية ، ولقوم من الأنصار أملاك في قرية شوش الأنصار ، وملك بنو غافق أملاكاً كبيرة في قرية مرسانة[٣].

واستقرت في أرياف إلبيرة قبائل المضرية واليمنية ، ومنهم : بنو غطفان في قرية أشكروس من إقيم الكنائس ، وملك نصير الأملاك في البراجلة ، ومثلهم بنو محارب في قرية قسلة، ملك خولان الأرض في قرية آجر من إقليم القلاعة .

وهذا جدول بأهم القرى التي استقرت بها القبائل العربية :

القبيلة	القرية	المصدر
تميم	الزبارقة	ابن حزم : الجمهرة ٢١٩.
سليم	قورت	مجهول : أخبار مجموعة ٥٦ – ٦٥ ، ابن الأثير : الحلة السيراء ٦٢/١.
غطفان	فرشانة	ابن حزم : الجمهرة ٢٤٩ – ٢٥٠.
ثقيف	الطرشي	مجهول : أخبار مجموعة ٧٦ – ٨٢
كلاب	الخشبل	ابن حزم : الجمهرة ٢٨٧ ، أخبار مجموعة ٣٨ ، ابن القوطية : ذكر بلاد الأندلس ٤٠.
غافق	مرنيانة	الوصف: العرب اليمنية في الأندلس ١٤٨، ابن الفرضي : السابق رقم ٤٧٤ ، ١٢٠٥،٩٧٨،٩٥٢.
الأنصار	شوش	ابن حزم : الجمهرة ٣٤٣ ، ٣٦٤ ، ٣٦٥

---

[١] ابن حزم : الجمهرة ٣٤٣.

[٢] المصدر السابق ٤٢٣ ، ٤٢٥.

[٣] ابن حزم : السابق نفسه ٣٢٨ ، ٣٢٩، ٣٦٥، ٤٣٤ ، ابن حيان : المقتبس (ت مكي) ١٤١ ،ابن الخطيب : الإحاطة ١٠٨/٢.

غسان	صالحة وفرخشبيط	الإحاطة ١/٣٧٧ ، النفح ٢٩٤ ، المقري : نفح الطيب ٢٩٤/١.
الأزد	لجانة أو (لسانة) الغرناطية	العذري : نصوص عن الأندلس ٥٢٢، ابن الخطيب : الإحاطة ١٢٧/١.
الأزد	قرية جند	الزبيدي : طبقات النحويين ٣٣٥ ، ٣٤٠
خثعم	ملسانة	ابن حزم : الجمهرة ٣٩١ ، ٣٩٢
خولان	غلجر	الإحاطة ١٣١/١ ، الجمهرة ٤١٨
معافر	كنتش	عبد الواحد زنون طه : الفتح والاستقرار الإسلامي في شمال أفريقيا والأندلس ٢٣٣
عاملة	بلة العاملين	ابن حزم: الجمهرة ٤١٩ - ٤٢٠ ، ابن الفرضي :السابق ٢٧٦ ، الحميري : جذوة المقتبس رقم ٣٢٦.
لخم	قرطة وآش بالشرق ولبص وقرية البحر	ابن حزم : الجمهرة ٤٢٣ بن حزم : الجمهرة ٣٢٣ ابن بشكوال : الصلة رقم ١١١٤ ابن القوطية : ذكر بلاد الأندلس ٢٠ ، المقري: نفح الطيب ٢٩٦/١.
ذورعين	بطشة	ابن حزم : الجمهرة ١٠٥ ، ٥١٤ ، ٦١٩، ٦٣٢ ، ١٠٠٠ ، ١٠١١ ، ١٢٣٤.
يحصب	قلنبيرة	مجهول: أخبار مجموعة ٨٤، ١٠١، ١٠٥ ، ١٠٧
قضاعة	قمرلة وفي بلى التابعة لفحص	ابن الآبار : الحلة ٢٣٨/٢ التكملة ١٩٩/١ ، ٢٩٢
كلب	وادي الشرف	التكملة : ١١٦/١ ، ١١٧.
حضرموت	إقليم الشرف	ابن حيان : المقتبس ٧١/٢ ، مجهول: أخبار مجموعة ٨٤ ، ١٠١ ، ١١٧.

القبائل العربية في الأندلس وأماكن استقرارها

(مستخرجة من كتاب "جمهرة الأنساب" لابن حزم)

المدينة أو القرية	القبائل العربية المقيمة فيها	الصفحة
شذونة	بنو كنانة ، بنو عرمرم ، بنو خنثعم ،	٣٦٥،١٨٩
	بنو جدام ، بنو زياد اللخميون	٤٢٣،٤٢١،٢٩٢
سرقسطة	بنوعبد الدار ، بنو كعب	٣٦٥ ، ١٢٧
	التجيبيون ، بنو فوارتش	٤٥٠ ، ٤٣٠
طلبيرة	بنوبعدلة	٢١٩،٢١٨
قلعة رباح	بنو حارثة	٣٤١
دلاية	بنو عذرة	٤٥٠
دروقة	التجيبيون (فرع آخر)	٥٠٠ ، ٤٣٠
قلعة أيوب	التجيبيون (فرع آخر)	٤٣٠
قرمونة	قبائل نمارة	٣٢٧
قبرة	بنو عمر بن أد	٢٠١
قرية اختيانة بقبرة	بنو قطنين	٣٦٣
البيرة	بنو أسد ، بنو مرة ، بنو قشير	٢٥٢،١٦٩
	آل عطيف ، دار همذان	٣٩١،٢٩٠
	بنو خولان	٤١٨ ، ٣٩٧
	بنو خشين	٤٥٥
مرسية	بنو ملكان	١٩٩
مورور	دار بلي	٤٣٣
وادي الحجارة	بنو قتيبة	٢٤٦
وادي آش	بنو خويلد (فرع بن بني سعد)	٤٠٨،٢٩٢
بجانة	جرش	٤٣٦
باجة	الزهريون ، بنو منذر	٢٦٧،١٣٢
	آل حفص بن أحمد بن عمار	٣٣٣
تدمير	بنوأفصى ، بنو منهب	٣٨٣ ، ٢٤٠
	بنو جدام	٢٤١

بسطة	دار طيئ	٤٠٤
بلنسية	آل جحاف	٤١٩
بطليوس	الزهريون من بني زهرة	١٣٢
أربونة	بنو نجبلة	٣٩٠
الجزيرة الخضراء	بنو كنانة ، بنو جذام	١٨٩ ، ٤٢١
	بنو لخم	٤٢٤
جيان	فرع من بني ثعلبة ، بنو عبد الخالق	١٩٢، ٢٤٦
	بنو لاضباب ، بنو قسير	٢٨٧ ، ٢٩٠
	بنو خويلد ، بنو منخل	٢٩٢ ، ٤١٩
	بنو عذرة ، بنو خشين	٤٥٠
إشبيلية	بنو عائشة وبنو سعيد (فرع بني غطفان)	١٠٤
	دار بني مرة ، بنو مالك	٢٤٩، ٢٥٤
	بنو ببشتغير وبنو يريم	٣٩٢
	بنو مازن	٤١٢
قلعة يحصب	بنو عنس بن مذجح	٤٠٦
مالقة	الشعبانيون	٤٣٣
لبلة	بنو زيان (من أعقاب بن عبد العزيز)	١٠٥
	بنو سلول	٢٧٢
قرطبة	أعقاب العباس بن الوليد	
	(أحد حفدة الوليد بن عبد الملك الأموي)	٨٠
	بنو سعيد الخير	
	(من أعقاب عبد الرحمن بن معاوية)	٩٥
	بنو زيان (من أعقاب عمر عبد العزيز)	١٠٥
	ولد عمارة ، بنو الحسبن الطبنيون	١١٥ ، ٢٢٠
قرطبة	بنو عك بن عدنان ، بنو ربيع ، بنو هارون ، بنو	٣٢٩، ٣٣٣
	خولان ، دار بلي	٤١٨ ، ٤٤٣
أونبة (لبلة)	بنو سلول ، بنو مطروح	٣٢١ ، ٣٢٧
	قبائل نمارة ، بنو حراز	٤٣٥ ، ٤٥٥

	بنو خشن	٤٥٥
ريّة	أعقاب العباس بن الوليد (أحد حفدة الوليد بن عبد الملك الأموي)	٨٩
	بنو اهلنمر ، بنو عشيم	٣٠٢ ، ٣٤٧
	بنو الأشمر ، أعقاب زيد بن يشحب	٣٩٨ ، ٤١٩
	بنوزياد ، ذي رعين	٤٢٣ ، ٤٣٤
	بنو شهد ، بنو قين	٤٤٧ ، ٤٥٤

القبائل العربية وأماكن استقرارها في الأندلس

(مستخرجة من "فرحة الأنفس" لابن غالب برواية المقري)

المدينة أو القرية	القبائل العربية وبطونها المقيمة فيها
إشبيلية	البلويون ، الحضرميون بنو لخم ، بنو الباجي ، بنو زهرة ، بنوا لوافد ، بنو غياد ، بنو هوازن .
غرناطة	الحضرمينون ، بنو المنتصر ، بنو القليعي ، بنو سماك ، بنو عبد السلام ، بنو هوازن ، الخمذانيون ، نمير بن عمر ، بنو عطية ، بنو عبد البر.
شقورة	بنوغافل
قلعة بني سعيد	بنو سعيد اليحصبيون
حصن المدور	المخزوميون
مرسية	الحضرميون ، منزل طيء
وادي آش	ربيعة بن نزار
بلنسية	بنوهوازن
تدمير	بنو هذيل ، بنو عذرة
منطقة بين الجزيرة الخضراء وإشبيلية	بنوخولان
قلعة رباح	بنو جرام ، بنو تجيب
قرية صالحة (قرب مالقة)	بنو القليعي
قرطبة	بنو سراج ، بنو كلب بن وبرة ، الحضرميون ، الأصبحيون ، بنو حمديس ، بنو جهينة
أونبة (لبلة)	البكرينون
بطليوس	الحضرميون.

وقد كثر دخول العرب – وبخاصة القحطانية – إلى المغرب بعد تأسيس القيروان ،

واتخذ كل منهم أرضاً وخطة نزل بها ، وكان منهم الأوس والخروج وتجيب[١]، فاستقرت تجيب في جبل برقة الغربي[٢]، وانتقلت بعض بطون جهينة إحدى بطون قضاعة القحطانية، وأقاموا مع بلى وبنى مدلج في الرمادة من عمل لوبية[٣]، وانتقلت قبائل من غنت وميدعان في المنطقة ما بين برقة وزيلة[٤]، وسكن بعض بلى في الرمادة من لوبية[٥].

ومن القبائل العدنانية بنى مدلج[٦] "فعلى الطريق من مصر إلى المغرب منازل لبنى مدلج بعضها على الساحل وبعضها بالقرب من الساحل"[٧]، وأقام كثيراً منهم في قرى لوبية ومراقية والرمادة[٨]، ومن القبائل التي استقر كثير منها في الغرب قبيلة فهر[٩].

وأسست القبائل العربية في مدينة أجدابية المساجد الجامعة والأسواق العامرة، وفيما يلي القيروان جهة الغرب في موضع يسمى الجزيرة استقرت جماعة من رهط عمر بن الخطاب وسائر بطون العرب[١٠]، واستقرت بطون من قريش وقضاعة في مدينة سطفورة[١١]، وعاش في جهات تونس بطون من تجيب وغيرها من القبائل العربية التي مارست الزراعة[١٢].

واشتغل بعض بطون بني هاشم بالزراعة في الأراضي حول مدينة باجة ، واستقر قوم من ربيعة يقال لهم السناجرة في قرى مجانة[١٣] .

---

[١] ابن عبد الحكم : فتوح مصر ١٧٣ الكندي : الولاة والقضاة ٤٤

[٢] اليعقوبي : البلدان: ١١٩، ١٢٠

[٣] ابن عبد الحكم : فتوح مصر ٩٨ ، الكندي : الولاة والقضاة ٧١ .

[٤] اليعقوبي : البلدان ١٢١، ١٢٣ .

[٥] ابن عبد الحكم : فتوح مصر ١١٩٠، ١٢٠ .

[٦] المصدر السابق ١١٥ .

[٧] اليعقوبي : البلدان ١٢٨، ١٣١ .

[٨] المصدر السابق ١٢٨ ، ١٣١ .

[٩] ابن الحكم : فتوح مصر ١٩٤ ، ١٩٩ .

[١٠] المصدر السابق ٣٤٨ .

[١١] المصدر السابق ٣٤٨ .

[١٢] السابق نفسه ٣٤٩ .

[١٣] اليعقوبي : البلدان ٣٤٩.

وعاش بعض بطون من قريش حول مدينة طبنة من منطقة الزاب[1]، وفى باغاية من منطقة الزاب سكن العرب مع البربر من هوارة ، وعجم من أهل خراسان، وعجم من أهل المغرب من بقايا الروم[2] ، وفى مدينة ميلة سكن قوم من بنى سليم [3]، وعاش بعض بني أسد بن خزيمة حول مدينة سطيف [4]، وفى بلزمة من بلاد الزاب قوم من بني تميم [5]، وفى مدينة مقرة – من مدن الزاب –عاش بنو الصمصامة القحطانية[6] ومعظم هذه القبائل مارست الزراعة مع الرعي.

وفيما يلي الزاب غرباً في مدينة متيجة سكنت إحدى بطون آل البيت من نسل الحسن بن على يُدْعون بنو محمد بن جعفر[7]، وسكن بعضهم في مدينة مدكرة والخضراء[8]، وسكنت بعض القبائل العربية في مدينة سوق إبراهيم على حدود تاهرت[9]، ونزل في طنجة فروع من قبائل بلى ولخم[10] .

وغرب مدينة تاهرت توجد أملاك كثيرة لرجل يقال له صالح بن سعيد "ومملكته مسيرة عشرة أيام في عمارات، وحصون، وقرى، ومنازل، وزروع، وضرع، وخصيب ، وآخر مملكته مدينة يقال لها مرحامة على جبل تحتها أنهار وأودية وعمارات"[11] .

واستقر في مدينة ودان بعض قبائل من اليمن من حضرموت، وقبائل قيسية من بني سهل، وكان بينهما صراع دائم، واعتمدوا في معيشتهم على النخيل المتواجد بها بكثرة[12]،

---

(1) السابق نفسه ٣٥٠

(2) السابق ٣٥١ .

(3) السابق نفسه ٣٥١.

(4) السابق ٣٥١.

(5) السابق ٣٥١.

(6) السابق ٣٥١.

(7) السابق ٣٥٢.

(8) السابق ٣٥٣.

(9) السابق ٣٥٣.

(10) البلاذري : فتوح البلدان ٢٧٢/١.

(11) اليعقوبي : البلدان ٣٥٦ ، ٣٥٧.

(12) البكري: المغرب ١١ .

وكان العرب في مدينة طرابلس بكثرة، وتزعموا بها الثورات في عهد الأغالبة، وحملت قرى بكاملها أسماء يمنية مثل قرية الأنصاريين، وتقع على مسيرة يوم من مدينة الأربس شمال غرب القيروان[١]، وهى من المناطق الخصبة الزراعية التي تجود بها أنواع الحنطة[٢]، وفى المغرب الأقصى توجد قرية خولان على الطريق الرابط بين طنجة وفاس على نهر زلول[٣]، وهناك قرية تحمل نفس الاسم على نهر مجردة في أفريقية[٤]، وكان يسكنها الفقيه سعدون بن أحمد الخولانى[٥]، وفى مدينة البصرة بالمغرب الأقصى وجد بعض قضاعة، وكثروا بها حتى أن لهم مقبرة باسمهم ، وكانت هذه المدينة أكثر مدن المنطقة مرعاً وزرعاً، وهذا بالإضافة إلى تواجدهم بكثرة في الحواضر الكبرى مثل تاهرت والقيروان وفاس وطرابلس، وفى كل هذه الأحوال مارس العرب الزراعة والرعي[٦].

وقد أقطعت بعض هذه القبائل الأراضي من قبل السلطة ، وهى أرض الصوافى التي تركها الروم ، ومعنى هذا أن العرب تقاسموا الأرض التي لم يجدوا فيها أحداً واعتبروها ملكا لهم ، وكان ذلك في نهاية القرن الأول الهجري بعد استقرار الأوضاع وتمام الفتح ، ومثال ذلك صالح بن منصور الحميرى من عرب اليمن الذي استخلص نكورلنفسة ، وأقطعه إياها الخليفة الوليد بن عبد الملك [٧]، وكانت في الأصل قرية صغيرة ثم عمرت حتى أصبحت مدينة عامرة .

وعاش بعض العرب مع البربر ، وتقاسموا الأرض "فحد نكور من جانب الشرق إلى زواغة وجراوة الحسن بن أبى العيش ، وينتهي من جانب الغرب إلى قبيل من غمارة يعرفون ببنى مروان وبنى حميد إليهم تنسب الحميدية وإلى مسطاسة وصنهاجة من ورائهم أوربة حزب قاسم صاحب صالح[٨]، "والمراد أن قبيل من زواغة وجراوة ينتسب إلى الحسن

---

[١] البكري : المغرب ٤٦،٤٧ ابن حزم: الجمهرة ٣٥٨،٣٥٩ .

[٢] البكري : المغرب ٤٧ .

[٣] البكري: المغرب ١٠٩ .

[٤] العمرى : مسالك الأبصار ٥/ ورقة ١١٢ تحت رقم ٤٣٧٦ دار الكتب المصرية .

[٥] المالكي : رياض النفوس ٣٣٩/١ ابن مخلوف : شجرة النور الزكية ٨٢،٨٣ .

[٦] بوبة مجاني: أثر العرب اليمنية في المغرب ٢٣٠ (ماجستير آداب القاهرة ١٩٨٢)

[٧] ابن خلدون : العبر ٢٢٠/٦

[٨] البكري : المغرب ٩٠

بن أبى العيش الذي أصبح رئيساً على ناحيتهم ، وهناك فريق من الغماريين ينتسب إلى بني مروان وبنى حميد اللذين صار لهما الرئاسة في منازل غمارة [1].

وهذه – وغيرها – نماذج من البيوت العربية المستقرة في المغرب ، وأورد ابن حزم [2] نماذج من هذه البيوت منهم بيت أبى بكر بن عبد الله من أحفاد أبى بكر الصديق بالسوس ، وبنو فهر بن محمد بن أحمد بن طالوت القائم على عبيد الله المهدى في طرابلس، ومنهم حمزة بن الحسن بن سليمان بن الحسين بن علي، وكان على ملك هاز بناحية تلمسان، ونزل بنو العون في مدينة وهران وهم الذين عمروها[3].

وأصبح للعرب بذلك دور كبير في المشاركة في تمدين المدن المغربية وزرع ما حولها، فالذي مدن مدينة نكور هو صالح بن منصور اليمنى وقومه[4]، والذي مدّن مدينة مليلة إدريس بن صالح مؤسس نكور، وكانت مليلة في الأصل قرية صغيرة[5]، وتغلب على بلد " مجة " رجل من ولد الحسن بن على بن أبى طالب يقال لهم بنو محمد بن جعفر، وهو بلد واسع فيه عدة مدن وحصون، ومدينة " مذكرة " فيها ولد محمد بن سليمان بن عبد الله بن الحسن، وكل رجل منهم مقيم متحصن في مدينة وناحية، وعددهم كثير حتى إن البلد يعرف بهم وينسب إليهم، وآخر المدن التي في أيديهم، وهى المدينة المشهورة، فيها رجل يقال له عيسى بن إبراهيم بن محمد بن سليمان بن الحسن بن على بن أبى طالب، وهذا البيت ابن عم لبيت الأدارسة ، منهم أولاد سليمان أخي إدريس بن عبد الله استقروا فيه أولاً بعد استقرارإدريس في المغرب الأوسط ، ثم أقرهم ابنه إدريس الثاني عليه ، وأصبحت منطقتهم هي منطقة تلمسان إلى غربي المغرب الأوسط [6].

وكوّن الحسنيون إمارات صغيرة في المغرب منهم سليمان بن عبد الله بن الحسن بن الحسن على أبى طالب الذي لحق بالمغرب بعد وفاة أخيه إدريس الأول، ونزل بتاهرت

---

(1) ابن حزم : الجمهرة ١٣٧.

(2) المصدر السابق ٥٥.

(3) ياقوت : معجم البلدان ٤٣٦/٨

(4) ابن خلدون : العبر ٣١٢/٦

(5) البكري : المغرب ٨٨

(6) المصدر السابق ٨٨ ، ٨٩.

وتلمسان، وأقام إمارة بتلمسان، وهادن الأدارسة، وخلف سليمان ابنه محمد، واستمرت تلمسان في أولاد محمد بن سليمان وأحفاده أحمد بن محمد ثم القاسم بن أحمد، وبلغ الرئاسة في أرشقول من إقليم تلمسان عيسى بن سليمان، وتذبذب ولاؤهم بين الأمويين والفاطميين[١].

وأقام حَسَنى آخر في قرية جراوة– جنوب تلمسان – إمارة صغيرة، وهو إدريس بن محمد بن سليمان، وورثها عنه ابنه محمد، ثم حفيده يحيى، ثم ولده على بن يحيى ، وتحولت جراوة – نسبة إلى قبيلة من زناتة– إلى مدينة عامرة آهله بالسكان، واستقل بتنس إبراهيم بن محمد بن سليمان وتوارثها بعده أولاده.

وانتهى أمر معظم هذه الإمارات الصغيرة على يد الفاطميين، فاستولى الفتى ميسور على أرشقول بن إدريس بن إبراهيم سنة ٣٢٣ هـ /٩٣٤م ، ودخل موسى بن أبى العافية جراوة وأخذها من الحسن بن أبى العيش، ولكن ظل أثر هؤلاء العرب العمراني ماثلاً، يقول ابن حزم[٢] : "الحسنيون بالمغرب كثير جداً، وكان بها ممالك عدة، وقد بطل جميعها، ولم يبق منهم بها رئيس أصلاً".

وانتقل بعض عرب الأندلس إلى المغرب ، فبعد ثورة الربض الأندلسية سنة ٢٠٢هـ/ ٨٦٦م رحل عدد من عرب الأندلس إلى فاس[٣]، واستمر تدفق العرب من المشرق على المغرب، فاستقر عدد منهم في سجلماسة[٤]وأقام بعضهم حول مدينة سبتة "كانوا عربا بربراً ، وعربانها تنسب إلى حذف[٥] " .

واشتهرت بيوتات عربية كثيرة في المغرب بفضل هذا الاستقرار مثل أسرة بنى حنين من عرب كنانة بفاس[٦]، وبيت بني عشرين الخزرج ، ومنهم الفقيه على بن عشرين[٧]، وبيت بنى حدور الأنصاريين[٨]، وأسرة السلالجى التي استمرت منذ زمن

---

[١] ابن حزم : الجمهرة ٤٨

[٢] حسين مؤنس : تاريخ المغرب وحضارته ٤٢٢/١، ٤٢٢

[٣] ابن عذارى : البيان المغرب ٧٧/٢

[٤] ابن حوقل : صورة الأرض ٦٥

[٥] البكري :المغرب ١٠٣.

[٦] ابن الأحمر : بيوتات فاس ٣٩.

[٧] المصدر السابق ١٩.

[٨] المصدر السابق ٥١.

الأدارسة إلى المرابطين[1]، وبيت بني بكار الكنانيين، ومنهم الفقيه بكار بن عبد الرحمن القيسي (ت ٤٥٠هـ/١٠٥٨م) [2]، وبيت بن ملجوم الذي تولى بعضهم القضاء في مكناسة ومراكش[3].

العرب الهلالية :

عندما أراد المستنصر بالله الفاطمي (٤٢٧- ٤٨٧هـ/١٠٣٥-١٠٩٤م) ووزيره اليازورى معاقبة المعز بن باديس سمحوا لقبائل العرب القوية البدوية لدخول أفريقية ، وبذلك استفادوا استفادتين : التخلص من القبائل المشاغبة في جنوب مصر ، والانتقام من الزيريين لإعلانهم الانفصال عن الفاطميين .

وكان أغلب العرب الداخلين للمغرب في هذه المسيرة الكبيرة من بنى هلال وبنى سليم والمعقل ، ولكثرة عدد بنى هلال وتعدد بطونهم غَطَّى اسمهم على بنى سليم والمعقل ، وهذه محاولة لبيان الأماكن التي نزل بها العرب وأثرهم الاجتماعي على إفريقية والمغرب.

القبيلة	**المكان**	**المصدر**
أولاً : بنو هلال		
١- الأثبج ومنها:		
دريد	استقروا بين عنابة وقسنطينة	عبد الوهاب بن منصور : قبائل المغرب ٤١٨ ، طاهرراغب :٧٢
كرفة	في جبال الأوراس مايلى زاب تهوزا	ابن منصور السابق ٤١٨، طاهر راغب السابق ٧٣
مقدم والعاصم	في بوادي أفريقية ثم في تامسنا بالمغرب الأقصى	ابن منصور : السابقة ٤١٨ ، طاهر راغب :السابق ٧٣
الضحاك	الزاب ثم رحل جزء منهم لسلجماسة	ابن منصور : السابق ٤١٨ ، راغب: السابق ٧٣

---

[1] السابق نفسه ٤٥.

[2] السابق ٣٧،٣٨.

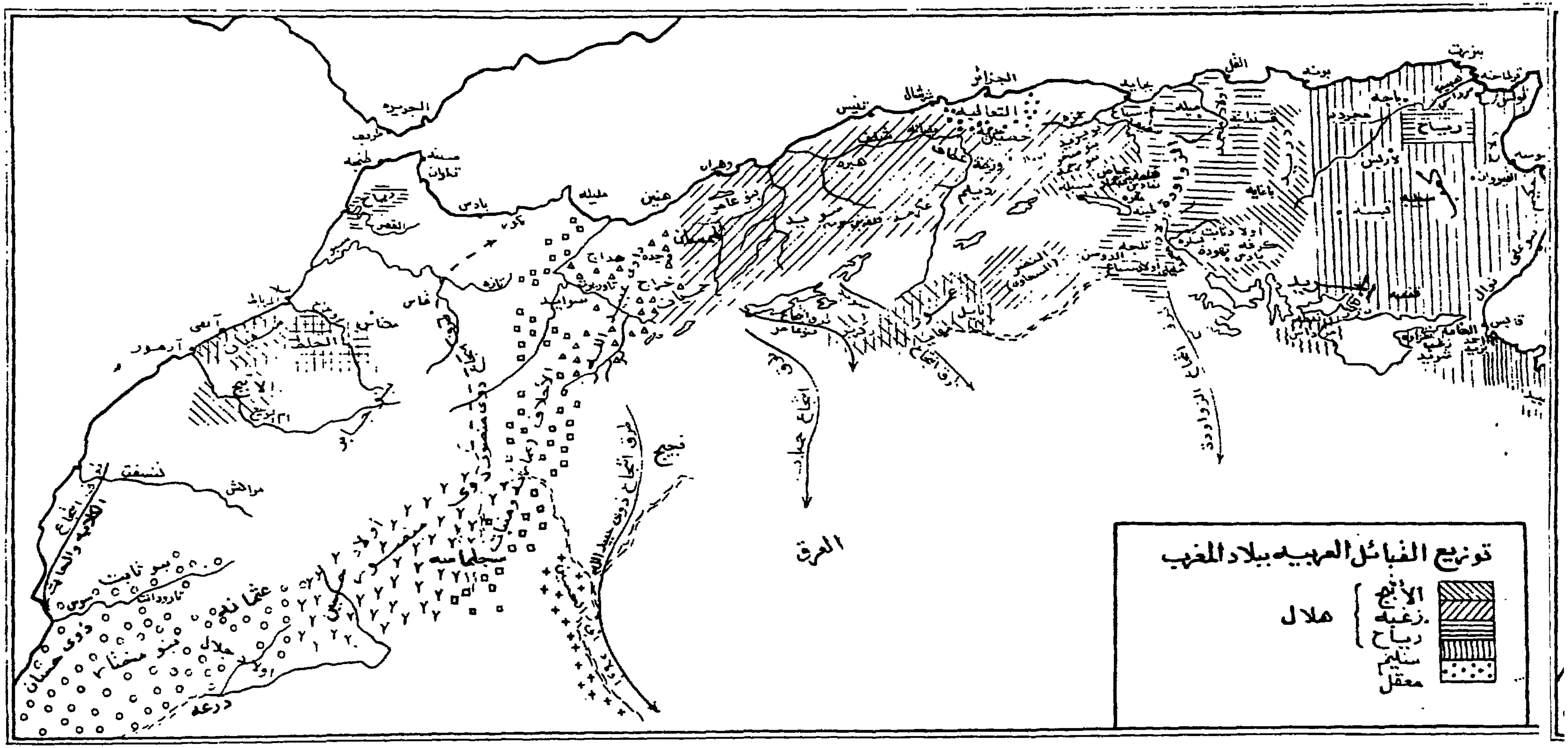
[3] ابن القاضي: جذوة الاقتباس ٢/٥٤٩.

القبيلة	المكان	المصدر
لطيف	الزاب وبنو القرى والآطام.	طاهر راغب : السابق ٧٥
بنوقرة	قرب بسكرة إلى مواطن غمرة	ابن منصور :قبائل المغرب ٤١٩
عياض	بادية المغرب الأدنى ثم قلعة بني حماد	ابن منصور : السابق ٤١٩ طاهر راغب ٧٤
٢- رياح ومنها:		ابن خلدون : ٣،١٦، ٣٦
مرداس	مجاورة توزر بشط الجريد	ابن منصور : السابق ٤٢١، طاهر راغب ٧٦.
الخضر	أفريقية ثم المغرب الأقصى	ابن منصور : السابق ٤٢١
أولاد سعيد وعامر وعلي ومسلم.	في أفريقية لم يغادروها	طاهر راغب : ٧٦
٣- .غبة ومنها:	في طرابلس وقابس والمسيلة وبوادي تلمسان	ابن خلدون : الغرب ٦/ ٤٠ ، ٤٢.
بنو يزيد	أفريقية ثم بوادي تلمسان ثم بلاد الريف	طاهر راغب : السابق ٧٦
بنوحصين	بسيط متيجة وحوز بجاية وسلا	طاهر راغب : السابق ٧٧، ابن منصور السابق ٤٢٣
بنو مالك	سهول غرب المغرب الأقصى وقريتا الأربعاء وأحد، كورت وتلمسان	طاهر راغب : السابق ٧٧
بنو عامر	في قرى وهران وسلا والعرائش وطنجة وفاس	ابن منصور: السابق ٤٢٣ طاهر راغب ٧٨
٤- قرة وجشم ومنهم:	أفريقية لفترة والمغرب الأقصى لجشم	العبر :٦ / ٢٥ ، ٢٦
بنو جابر	سفح جبل تادلة	ابن منصور : السابق ٤٢٠
بنو الخلط	أفريقية ثم بسيط تامسنا	المرجع السابق ٤٢٠

القبيلة	المكان	المصدر
بنو سفيان	قرى آسفى ثم بسيط تامسنا	المرجع السابق ٤٢٠
بنو شكر	جبل راشد	طاهر راغب : السابق ٨٠
ثانيا: مواطن سليم		
١- **زُغْب**	شط الجريد، والمنطقة بين قابس وتورز	ابن منصور: السابق ٤٢٨ طاهر راغب: السابق ٨٥
٢-**هيب ومنهم:**	في برقة	ابن منصور: السابق ٤٣٠ طاهر راغب: السابق ٨٥
شماخ وشمال	حازت خصيب برقة	ابن منصور: السابق ٤٣٠، ٤٣١
بنو لبيد ومحارب وبنو عزاز	شرق برقة	المرجع السابق ٤٣١
٣- **عوف ومنهم:**	طرابلس وقابس	ابن خلدون : العبر ٧٣/٦
مرداس ويتبعها أولاد جامع	وادي قابس	ابن منصور: المرجع السابق ٤٣٠
علاقة ويتبعها أولاد يحيى وحصن	في أفريقية	المرجع السابق ٤٣٠
٤- **ذباب و منهم:**	أفريقية بين قابس وبرقة	المقريزى : البيان والإعراب ٦٨ العبر
بنو أحمد وبنو زيد	غربي قابس	ابن منصور: المرجع السابق ٤٢٨ العبر ٨٥/٦، ٨٦
آل النوايا وسفيان	قابس وقرب قسنطينة	المرجع السابق ٤٢٨ طاهر راغب السابق ٨٨
إلى وشاح وسليمان وسالم	قابس وبلاد نفوسة	المرجع السابق ٤٢٩ طاهر راغب السابق ٨٨

القبيلة	المكان	المصدر
٥ – لبيد وصبيح	برقة	العبر: ٣١٣/٦ طاهر راغب السابق ٨٨
ثالثاً : المعقل ومنهم	المغرب الأوسط والأقصى	ابن خلدون : العبر ٦١/٦ ما بعدها ٨٥/٧
١- الثعالبة	مدينة أشير ، فحص متيجة	ابن منصور: السابق ٤٢٤، طاهر راغب: السابق ٨١
٢- ذوو عبيد الله	بين تلمسان ووجدة ، وادي ملوية	ابن منصور: السابق ٤٢٦ طاهر راغب : السابق ٨١
٣- ذوو منصور	فيما بين ملوية ودرعة وقصور وطاط	ابن منصور: السابق ٤٢٥ طاهر راغب : السابق ٨١
٤- بنو مختار	وادي ملوية ، بلاد المصامدة ، جبال درن	ابن منصور: السابق ٤٢٧ طاهر راغب : السابق ٨٢
رابعاً : ملحقون بالسابقين		
١- بطون غطفان	أفريقية	ابن حزم : المجهرة ٢٤٣ ، ٢٤٧
٢- بنو شورة	إفريقية	طاهر راغب: السابق ٨٤ ومصادره
٣- هوزان	المغرب الأوسط	السابق نفسه
٤- الأشعوب وبنو عقبة	أفريقية وطرابلس وما حولها	السابق نفسه
٥- بنو عنترة	إفريقية	السابق نفسه

❀ ❀ ❀



توزيع القبائل العربيه ببلاد المغرب
الأثبج
زغبه
رياح
هلال
سليم
معقل
الجزيره
طريف
سبتة
طنجه
تطوان
بادس
مليله
هنين
وهران
تنس
شرشال
الجزائر
بجايه
القل
بونه
بنزرت
باجه
تونس
سوسه
القيروان
قابس
فاس
تازه
الرباط
آزمور
مراكش
سجلماسه
درعه
العرق

الأثر الاجتماعي للمسيرة الهلالية في المغرب :

إن من أكبر آثار المسيرة الهلالية أنها أكملت تعريب المغرب الإسلامي لغة ودماً، فقدر عدد عرب المسيرة بمليون عربي – يقلون قليلاً أو يزيدون قليلاً – ويقدرون بربع السكان تقريباً ، وضم هذا العدد عدداً أكبر من الرجال ، مما ساعد على المصاهرة والزواج، وانتشر العرب في القرى والبوادي والصحراء "فتمكنت اللغة العربية تخاطباً واستعمالاً وكتابة" [(١)]، وتعربت معظم بلاد المغرب ابتداء من القرن السادس الهجري [(٢)].

ويتجلى تعريب البربر في ثلاثة مقاييس هي :

١- الدم العربي ٢- اللغة العربية ٣- العادات والتقاليد

١ – الدم العربي

بدأت الهجرات العربية المتظمة للمغرب بعد الفتح الإسلامي ، واستقرار العرب ببناء القيروان وزيادة مراكز التحضر من المدن والقرى والربط والحصون والقلاع ، وكان أكثر العرب يسكنون المدن ويقرر ذلك السلاوي فيقول : "وإن بقي القليل منهم ، فإنما كانوا يستوطنون في الأمصار دون البادية ، ويسكنون القصور دون الخيام" [(٣)]. وكانت المغرب معبر العرب إلى الأندلس ؛ لأن الأندلس أكثر خيرات من المغرب .

وظل البربر أكثر سكان المغرب حتى المسيرة العربية في منتصف القرن الخامس ، فدخل أكثر من نصف مليون عربي إلى المغرب ، في الوقت الذي قل فيه عدد سكان المغرب بسبب الحروب الكثيرة وهجرات عدد كبير من المغاربة إلى مصر مع الفاطميين ، وانتقال بعض البربر إلى الأندلس في الوقت الذي أخذ العرب ينتشرون في أنحاء المغرب واختلط عرب المسيرة الهلالية والبربر في القرى والضواحي والبوادي [(٤)].

٢ – اللغة العربية

تمثل اللغة أهم أركان الحياة الاجتماعية والفكرية للإنسان ، وإن أهم ما يميز الإسلام

(١) طاهر راغب : دور القبائل العربية ١٩٤

(٢) محمد حسن : الأصول التاريخية للتعريب في المغرب العربي ، مجلة المستقبل العربي السنة ٧ العدد ٧٢ ص٦٣ ، نازلي معوض أحمد : التعريب والقومية العربية في المغرب العربي ص٢٢،مركز دراسات الوحدة العربية ١٩٨٦.

(٣) الاستقصا ٢/١٤٥ .

(٤) السابق نفسه .

تلازم انتشاره مع شيوع استخدام اللغة العربية ، وفيما يتعلق ببلاد المغرب ، فكان بها عند دخول الإسلام فئة الحكام من الروم البيزنطنين ، ويتكلمون اللغة اليونانية وهي اللغة الرسمية في الولايات البيزنطية، وهناك عنصر البربر والأفارقة ، ولهم لهجات بربرية عديدة، بعدد القبائل والمناطق ، وكان هناك لغة أخرى مزيج من اللهجات البربرية والاتينية[١]، وهكذا اتسق التركيب اللغوي مع التقسيم الاجتماعي.

وتلاشت اللغة اللاتينية بعد دخول المسلمين وخروج الروم، أما اللغة المزيج من اللهجات البربرية وبعض الكلمات اللاتينية فبقيت في بعض المناطق القريبة من الساحل مثل قفصة "فأكثرهم يتكلمون باللسان اللطيني الإفريقي" [٢].

وبقيت اللهجات البربرية في المناطق الصحراوية والريفية المستخدمة غالباً ، أما في المدن فقد حدث صراع لغوي بين اللغة العربية واللهجات البربرية بثلاث أطوار هي:

الطور الأول: طور الثنائية اللغوية بين العربية واللهجات البربرية ، والطور الثاني: ميل الوضع اللغوي إلى جانب اللغة العربية ، والطور الثالث : سيطرة اللغة العربية على الوضع اللغوي .

وكانت اللغة البربرية لغة شفهية ، ولم يكتب بها إلا القليل ، فلم تسم إلى مستوى البيان والأدب . أما اللغة العربية فهي لغة الدين و القرآن والحضارة[٣]، وهناك عوامل جعلت السيادة للغة العربية وهي:

أ- الهجرات العربية إلى المغرب : وقد تتبعت في عنصر العرب - في فصل الحياة الاجتماعية - في المغرب تعاقب هجرات العرب للمغرب ، مما ساعد على تعرب البربر ، وكانت الهجرات العربية تتزايد باستمرار .

ب - الهجرات المغربية إلى المشرق الإسلامي: وكانت هذه الهجرات للعلم أو للتجارة أو لهمامعاً ، فرحل كثير من العلماء إلى المدينة المنورة ومكة مثل : البهلول بن راشد ، وابن غانم ، ومعاوية بن الفضل الصمادحي، وحاتم بن عثمان المعافري وعلي بن أياد وأسد بن الفرات[٤]، ومنهم عبد الله بن أبي حسان اليحصبي "رحل إلى مالك فكان عنده

---

[١] الإدريسي : صفة المغرب ١٠٤، ١٠٥

[٢] عثمان الكعاك : مراكز الثقافة في المغرب ١٢

[٣] أبو العرب تميم : طبقات علماء إفريقية ١٦٣، عياض : ترتيب المدارك ١/٤٦٥، المالكي: رياض النفوس ١/٢٥٥، ابن مخلوف : شجرة النور الزكية ٦٢

[٤] عياض : ترتيب المدارك ١/٤٨٠ ، ٤٨٥

مكرماً"[1]، وكذلك الحارث بن أسد القفصي[2]، وممن ذهب إلى المدينة الإمام سحنون بن سعيد ، وابن حبيب وابن المعذل [3]، ومحمد بن رشيد[4]، وحمد يس القطان[5].

وذهب المغاربة وبخاصة الإباضية إلى مدينتي: الكوفة والبصرة ، ومن هؤلاء : أبي خليل الدركلي وعبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم، ومحمد ابن يانس، وعمر بن يملكتن[6]، وبكر بن حماد التاهرتي [7].

وكانت مصر أولى محطات المغاربة في رحلاتهم إلى المشرق، وممن استقر وقتاً طويلاً في مصر للدراسة : أسد بن الفرات[8]، وسحنون بن سعيد [9]، وولده محمد بن سحنون[10]، ومحمد بن رشيد[11]، وأحمد بن محمد الأشعري "حمد يس القطان" [12]، وعيسى بن مسكين ، والحسن بن إسماعيل القرشلني [13]، ومحمد بن رزين [14]، ومحمد بن عمر[15].

ج- التعليم : ارتبط التعليم بالدين الإسلامي فكانت علوم القرآن والحديث والفقه والأصول والدراسات الأدبية واللغوية وغيرها من علوم اللغة العربية تدرس بالعربية، وهناك عشرات المراكز العلمية في المغرب وبها مئات الطلاب المغاربة الذين يدرسون ويناقشون

---

(1) المالكي : رياض النفوس ٢٩١/١

(2) ابن مخلوف : شجرة النور الذكية ٥٦

(3) السلفي : تراجم أغلبية ١٤٥

(4) عياض : ترتيب المدارك ٢٥٤/٣.

(5) الشماخي : السير ١٤٢.

(6) معجم أعلام الجزائر ٥٨ ، ٥٩.

(7) ابن مخلوف : شجرة النور الزكية ٦٢

(8) الدباغ : معالم الإيمان ٧٨/٢ ، الذهبي : أعلام النبلاء ١٢ ، ٦٤

(9) المالكي : رياض النفوس ٤٤٤/١

(10) السلفي : تراجم أغلبية ١٤٥

(11) عياض : ترتيب المدارك ١٥٤/٣ ، ١٥٥

(12) عياض : المصدر السابق ٢٢٣/٣

(13) السابق ١٣٠/٣

(14) السابق ٢٥٩/٣

(15) السلفي : تراجم أعلبية ١٤٦ .

ويتحاورون باللغة العربية [١].

د- الحكومات العربية : قامت في المغرب حكومات عربية في إفريقية ، فأسس الأغالبة دولة واستمرت حتى سنة ٢٩٦ هـ ، وفي المغرب الأقصى كون الأدارسة دولة قوية استمرت حتى سنة ٣٢٧هـ ، واستقطبت العناصر العربية والبربرية في إدارة البلاد [٢].

ورغم هذه الخطوات في التعريب إلا أن المناطق البعيدة عن المدن والموغلة في الصحراء والجبال لم يتم تعريبها بشكل كبير ، ويرجع هذا إلى قلة عدد عرب الفتح، ويصرح بذلك السلاوي في ملاحظة دقيقة فيقول [٣] "فلم تكن العرب تسكن المغرب يومئذ بقبائلهم وخيامهم ولا استوطنوه بأحيائهم وحللهم كما هو في شأنهم اليوم" ، وظل هذا الوضع إلى أن دخل العرب الهلالية المغرب "واستمر الحال على ذلك إلى أواسط المائة الخامسة ، فدخلت العرب أرض إفريقية ، واستوطنوه بحللهم وخيامهم"

ويؤكد الدرجيني شيوع اللهجة البربرية في المغرب [٤]، في أكثر من موضوع من طبقاته [٥]، ومنها قوله: أن أبا عثمان المزاتي " واسمه بالنفوسية باثمان" عندما رأى ذئب قال بلسان البربرية كلاماً ترجمته بالعربية[٦] " وأيضاً "فتكلمت بكلام له وزن في غناء البربر وترجمته ... " [٧] ، وكذلك "وهذا القول بكلام بربري موزون" [٨].

وألّف باللغة البربرية بعض الكتب القليلة في القرن الرابع ، فألف أبو سهل الفارسي مؤلفاً فيه وعظ وتذكير بالبربرية التي كان فصيحاً بها [٩]، وأحياناً تقرأ المؤلفات بالعربية، وتفسر بالبربرية، فكان رجل عزابي – أي يتعلم في العزابة وهي حلقات العلم عن الإباضية

---

(١) ينظر تفاصيل ذلك في : حسن علي : الحياة الدينية في المغرب ١٣ – ٨٧ ، عبد الرحمن حجازي : التربية الإسلامية في القيروان ٢٠٨ وما بعدها

(٢) حسين مؤنس : معالم تاريخ المغرب والأندلس ٩٨ ، ١١٧

(٣) السلاوي الاستقصا ١٤٥/٢.

(٤) الدرجيني : طبقات المشائخ بالمغرب ٣٠٨

(٥) السابق ٣١٠ وكذلك ٣٦٥ ، ٤١٦

(٦) الدرجيني : طبقات المشائخ بالمغرب ٣٠٨

(٧) السابق ٣١٠، وكذلك ٣٦٥، ٤١٦

(٨) السابق ٣١١

(٩) السابق ٣٥٢

- يقرأ آثار أحد الخوارج الإباضية ثم تفسر باللسان البربري [١]، وبعض الصالحين يروي عنه باللسان من البربري [٢]، وأهل جربة يتحدثون اللغة البربرية عامتهم وخاصتهم [٣].

*** أثر المسيرة العربية على العادات:**

وكان تأثير عرب المسيرة الهلالية ، كبيراً كذلك في العادات والتقاليد والأخلاقيات ، وشمل ذلك : المأكل والملبس ، والمسكن وطرائق الكسب وأسلوب القتال واستعمال الأسلحة[٤]، ونتج ذلك من الاختلاط والتزواج ، فاتخذت بعض القبائل البربرية الخيام وربوا الإبل والبقر مثل العرب [٥]، ويصرح ابن خلدون بهذا التأثير [٦]، بقوله عن إحدى قبائل البربر " واغترسوا شجر النخل على طريقة العرب" ، كما أثر العرب على البربر في طريقة لباسهم ونوعيته [٧]، وتأثرت قبائل : مزاته وزبيانه وفزارة بطريقة العرب في ركوب الخيل واستعمال الرماح الطوال [٨]، وزاد أمر التأثير إلى المعايشة ، فعايشت بعض بطون زناتة وهوارة قبائل العرب [٩]، وكان من نتيجة ذلك أن هوّارة "نسوا رطانة الأعاجم وتكلموا لغات العرب ، وتحلوا بشعارهم في جميع أحوالهم " [١٠]، ويرجع هذا التأثير من العرب على البربر إلى تشابه الحياة والطبائع بين العرب والبربر [١١].

وسار انتشار الإسلام مع التعريب والعادات والتقاليد ؛ وذلك لأن بلاد المغرب كانت بها دعوات هدامة متنبئة ، وكانت قبيلة برغواطة معروفة بأفكار غريبة ومعتقدات فاسدة[١٢]،

---

(١) الدرجيني : الطبقات ٤١٦

(٢) السابق ٤٢٠

(٣) الإدريسي : صفة المغرب وأرض السودان ص١٢٧ .

(٤) طاهر راغب : دور القبائل العربية بالمغرب العربي ١٩٧ وما بعدها ، مصطفى أبو ضيف : أثر القبائل العربية في الحياة المغربية ٢٣١ وما بعدها (دار النشر المغربية ١٩٨٢م).

(٥) ابن خلدون : العبر ١٤٩/٦ .

(٦) العبر ١٢٠/٦ .

(٧) المصدر السابق ٣٠/٦ ، ١١٦ ، طاهر راغب : دور القبائل العربية بالمغرب العربي ١٩٨ ، مصطفى أبو ضيف : أثر القبائل العربية ٢٤٢ وما بعدها .

(٨) الإدريسي : صفة المغرب ١٣٣ .

(٩) ابن خلدون : العبر ١٤٢/٦ ، السلاوي : الاستقصا ٣/٣.

(١٠) ابن خلدون : العبر ١٠٣/٦.

(١١) طاهر راغب : دور القبائل العربية ٢٠١ .

(١٢) البكري : المغرب ١٣٨ ، ١٤١ .

ودخلت دول المغرب الأقصى في حروب كثيرة مع برغواطة ، فحاربهم الأدارسة ثم المرابطون ، واستشهد عبد الله بن ياسين مؤسس دولة المرابطين في إحدى المعارك مع برغواطة ، وأكمل أبو بكر بن عمر جهادهم حتى "أسلم الباقون إسلاماً جديداً ، ومحا أبو بكر بن عمر أثر دعوتهم من المغرب" [١].

وكان دخول القبائل العربية وتكاثرهم قد غيروا التركيبة السكانية لصالح المسلمين ، فنتج عن الاختلاط والتصاهر والتعريب انتشار الإسلام أكثر ، ويلمح هذه الظاهرة بعض المستشرقين – في عبارات حادة متجنية – فيقول جوستاف لوبون [٢]: "وتدفُقْ العرب كالسيل على إفريقية أواسط القرن الحادي عشر الميلادي (الخامس الهجري) كان بمثابة (غارة) أمة لا غارة عسكرية ، (ففرضوا) بفضل كثرتهم على البربر عادتهم ودينهم ولغتهم" .

❀ ❀ ❀

---

[١] السلاوي : الاستقصا ١٧/٢ ، ١٨ .

[٢] حضارة العرب ٢٥٦.

ثانياً : البربر في المغرب والأندلس

١) البربر في المغرب

غلبت البنية القبلية على التنظيم الاجتماعي للبربر في المغرب، وحاول المؤرخون والباحثون تقسيم البربر وتفسير كل تقسيم، وشاع تقسيم البربر إلى فرعين رئيسين: البتر والبرانس، والبتر رحالة أما البرانس فمستقرون [١]، غير أن الحضارة والبداوة ظواهر متبادلة بين قبائل كلا الفرعين فصنهاجة تنقسم إلى: مستقرين في الشمال، ورحل على الإبل في الصحراء "صنهاجة اللثام"، وكذلك زناتة تنقسم إلى : بدو السباسب العليا بالمغرب، وسكان الواحات المستقرين ، كما أخذت نفوسة البترية شكلاً ريفياً قروياً في جبل الأوراس، والتقسيم الأقرب إلى هدف هذه الدراسة هو نمط الحياة السائد بين القبائل، فتنقسم القبائل إلى: البدو والرحل، والمستقرين في مراكز العمران المختلفة سواء انتمت إلى البتر أو البرانس.

البربر الرحل :

عاش البربر الرحل على التنقل مثل زناتة وصنهاجة الصحراء، فكان معاش زناتة على الإبل، ولذلك فهي أكثر ظعناً ؛ لأن مراعي التلول لا تستغن عنها الإبل، ففي فصل الشتاء تهرب القطعان إلى الدفء محتمية بالتلول[٢]، وقامت الحياة بينهم على التعاون، وعملت قبائل عديدة بالرعي مثل هوارة التي ملكت كثيراً من الدواب ودواب هوارة غاية في الفراهة[٣]، ولصنهاجة إبل وبقر وغنم وخيل كثيرة[٤]، وبعض قبائل المصامدة مصدر ثروته من رعى الغنم والبقر[٥]، وملكت قبيلة مكناسة أماكن الإنتجاع حول سجلماسة، وملك أبو القاسم سمكو بن واسول ماشية كثيرة[٦].

---

(١) محمد حسن: الأرياف والقبائل المغربية٢١، عبد الوهاب منصور: قبائل المغرب ٢٩٣ العبر ١١٧/٢

(٢) ابن خلدون: المقدمة ٣٢٣/١ .

(٣) ابن الفقيه: مختصر البلدان ٩٣ .

(٤) الزهري: الجغرافية ١٦ .

(٥) ابن عذارى: البيان المغرب ١٥٦/١ .

(٦) البكري : المغرب ١٤ ، ابن خلدون: العبر ١٣٠/٦ .

وعرفت الملكية المشاعة [1] بين البربر الرحل، فانتشرت المراعى المشاعة لقبائل البربر على طول الطريق بين أغمات وفاس في بلد زواغة إلى حصن داى إلى وادي درنة ومغيلة[2]، فبعض قبائل المصامدة الرحل " جميعهم يبيحون البلاد للمراعى والزرع والمياه لورود الإبل والماشية"[3]، وإذا شحت المياه والمراعى تنتقل القبيلة إلى مكان آخر مثلما حدث مع قبيلة لمتونة التي حاربت قبيلة أخرى لضمان القوت[4]. ومثلت زناتة وصنهاجة الصحراء أهم العناصر البربرية البدوية المعتمدة على أسلوب الرعي وممارسة الزراعة بقلة، وهذا رصد لأماكن القبائل.

قبيلة زناتة :

كثرت بطون قبيلة زناتة واتسعت مواطنها حتى شملت أقسام المغرب الثلاثة، وذكر ابن حوقل[5] أكثر من مئة من البطون الزناتية، ثم قال. إنه لم يصل "إلى كثير من قبائلهم والبلاد التي تجمعهم والنواحي التي تحيط بهم مسيرة شهور، والعلماء بأنسابهم وأخبارهم قد هلكوا " ، وأهم قبائل زناتة هي : مغراوة ، بنو يفرن ، جراوة ، بنو واسين ، بتودمر، بنو يرنيان ، بنو يلومي وغيرهم .

وانتشرت زناتة فى شمالى إفريقية، فسكن بعضهم جبال طرابلس وضواحيها من البوادي والأرياف ، وجبال الأوراس ومنطقة الزاب[6]، واستقر كثير منهم في المغرب الأوسط وبخاصة بين تاهرت وتلمسان[7]، وكانت لهم السيادة على المغرب الأوسط حتى قيل " مغرب زناتة "[8] وضربت في المغرب الأقصى حتى المحيط الأطلسي[9] وفى الصحراء ما

---

(1) أبو العباس النفوسي : القسمة وأصول الأرضين (مكتبة الضامري ، عمان ، ١٩٩٣م) ٤٩٧.

(2) البكري : المغرب ١٥٤.

(3) ابن حوقل : صورة الأرض ١٠٠ .

(4) ابن الأثير: الكامل ٧٥/٨ ، الجابرى: العصبية والدولة ٣٩٢.

(5) صورة الأرض ١٠٣.

(6) ابن خلدون : العبر ٨/٧ .

(7) ياقوت : معجم البلدان ٣٥٤/٢

(8) ابن خلدون : العبر ٢/٧ دبوز : المغرب الكبير ٣٣/٣ .

(9) السلاوي: الاستقصا ٣/٣ .

بين غدامس والسوس الأقصى[١] وبلاد الجريد ، فسكنت في بوادي الجريد[٢]. وبالجملة فقد احتلت زناتة الصحارى والهضاب التي تمتد من غدامس إلى المغرب الأقصى، ومناطق سيادتهم من الجزء الغربي من المغرب الأوسط ومنطقة الصحارى، وليس من السهل تحديد موقع جغرافي في ثابت لقبائل زناتة؛ لأنها غير مستقرة في مكان واحد، بل بدو رحل يظعنون وراء الكلأ[٣] ، وهذا رصد لأهم قبائل زناتة ومواقعها الجغرافية التي تتحرك فيها .

مغراوة :

كانوا من أوسع بطون زناتة وأهل البأس والغلب فيهم، وتقاسموا[٤] مع بني يفرن المغرب الأوسط، وظلت مغراوة على رئاسة زناتة حتى صراعها مع صنهاجة الشمال بعد انتقال الفاطميين لمصر[٥] ، وتفرعت من مغراوة بطون كثيرة منها. بنو سنجاس، وبنو زنداك، وبنو روا، وبنو ورسيغان، وبنو خزر (أو بنو خزرون)، وكان منهم القواد والزعماء[٦]، وأسلمت مغراوة فى زمن الفتح[٧].

وهكذا تواجدت بطون مغراوة فى أمصار المغرب الإسلامي كله، ففي إفريقية عاشت بعض بطونها فى جبل طرابلس، وعلى بعد ثلاثة مراحل منه[٨]، وعاش بنو سنجاس وبنو ورا في قرى وبوادى قسنطينة[٩]وسكن بنو وريغة في الزاب[١٠]، وعاش بنو خزرون حول مدينة بسكرة وقرب طبنة في وادى مطماطة[١١]، وأخرى فى ورجلان بالزاب[١٢]، وضرب بنو زنداك مساكنهم قرب طبنة جهة المسيلة[١٣].

---

[١] ياقوت: معجم البلدان ٢٦٨/٦

[٢] ابن خلدون : العبر ٢/٧

[٣] سنوسي يوسف إبراهيم : موقف زناتة من الخلافة الفاطمية (ماجستير، آداب عين شمس) ٣٩

[٤] السلاوى: الاستقصا ١٨٩/١

[٥] ابن حوقل: صورة الأرض ١٠٢

[٦] ابن حزم : الجمهرة ٤٩٧ ، المقريزى: البيان والإعراب ٥٢ .

[٧] ابن خلدون : العبر ١٠٨/٦ .

[٨] العبر ١٤٣/٦.

[٩] ابن خلدون: العبر ٤٧/٧، ٤٨ .

[١٠] المصدر السابق ٤٨/٧ .

[١١] البكري: المغرب ٥٢ ، ابن عذارى: البيان المغرب ١٩١/١ .

[١٢] أبو زكريا : السيرة ٥٠.

[١٣] ابن خلدون: العبر ١٣/٧، ٦٥ .

وسادت مغراوة على المغرب الأوسط[1]، وبخاصة بنو خزر في تلمسان وأعمالها[2]، وبين تاهرت وتلمسان[3]، وقرب تاهرت بين مليانة ومازونة، [4] وساعد على ذلك ما كان لبني خزر من سلطة كبيرة أيام الفاطميين، فتقاسموا مع الفاطميين الاستيلاء على تاهرت[5]، ومثل بنو سنجاس أكبر القبائل في منطقة جبل راشد وجبل كريكرة وبوادى ونواحي شلف[6]، وعاش معهم بنو ورسيغان[7]، وتحركت الأغواط بين الزاب وجبل راشد[8]، وعاش بعض بطون مغراوة شرقى وهران حيث المفاوز والأرض الرملية[9]، وكانت مدينة مستغانم التي يصب فيها نهر شلف فرضة لمغراوة[10] .

والخلاصة أن بطون مغراوة انتشرت في المغرب الأوسط، وامتدت مضاربها بين الشلف وحتى تلمسان وجبال مديونة وشرق المغرب، ومثلت سهول الشلف العليا وحتى الصحراء قلب مغراوة[11].

وفي المغرب الأقصى عاشت بعض بطون مغراوة شرق مدينة جراوة ووهاد جبال درن مجاورين للمصامدة[12]، وظل بنو ورا في المنطقة المعمورة بين مراكش وبلاد السوس[13]، وتحركت بعض بطون بنى سنجاس في ربوع المغرب الأقصى[14].

---

[1] ابن خلدون: العبر ٤/٤٤،٦،١٠٢ .
[2] ابن أبى زرع: الأنيس المطرب ٢٢.
[3] ابن الأثير: الكامل ٦/٨ .
[4] ابن الخطيب: أعمال الأعلام: ١٠٣/٣ ، بونار: المغرب العربي ٨٢ .
[5] ابن خلدون : العبر ٤٧/٧ .
[6] المصدر السابق ٤٧/٧ .
[7] البكري : المغرب ١٨٩ .
[8] ابن خلدون : العبر ٤٨/٧ .
[9] البكري: المغرب ٧٢ .
[10] أبو الفدا: تقويم البلدان ١٢٦ .
[11] ابن خلدون: العبر ٨٦/٧ .
[12] الإدريسي: نزهة المشتاق ٢٥٧/٣ ، ابن خلدون : العبر ١٠٨/٦ .
[13] ابن خلدون : العبر ٤٨/٧ .
[14] المصدر السابق ٤٦/٧ .

بنو يفرن :

من أقوى بطون زناتة المنتشرة في المغرب كله، ففي إفريقية كانت مضاربهم بجبل طرابلس[١]، ونسبت إليهم مدينة يفرن شرق وادي الرومية[٢]، وعاشت بجبل الأوارس وبلاد قسطيلية وتوزر[٣] والزاب وبلاد الجريد[٤]، فكانت أفريقية كلها دياراً لبنى يفرن مع غيرهم من القبائل[٥]، وساند بنو يفرن ثورة أبي يزيد مخلد بن كيداد، ولما قضى الفاطميون على الثورة تتبعوا بنى يفرن فتركوا أفريقية[٦]، وبقى جماعة منهم فيما بين القيروان وتونس والبوادي والنواحي حولها[٧].

وتناوب على المغرب الأوسط بنو يفرن ومغرواة، وأنشأ بنو يفرن تلمسان، فتحكموا في المغرب الأوسط، وأقام بنو يفرن إمارة لهم في أرشقول[٨] التي تبعد عن تلمسان عشرين ميلا[٩]، وظلوا بين تاهرت وتلمسان حتى بناء مدينة أفكان سنة ٣٣٨هـ/٩٤٩م في جبل راشد على بعد مرحلتين من تلمسان[١٠]، وظلت كذلك حتى دخل جوهر الصقلي المغرب الأوسط والأقصى فخرب المدينة وأحرقها، وهزم بنى يفرن[١١]، فسكن بنو يفرن في البوادي حول تاهرت، وظلوا كذلك حتى أقصاهم بلكين بن زيرى قبيل انتقال المعز لدين الله الفاطمي إلى مصر[١٢].

وتجول بنو يفرن في المغرب الأقصى حول مدينة جراوة الواقعة بين تلمسان ووادي ملوية ، وفى الجبل الواقع على بعد أربعة أميال من جراوة، وفى الأرض المحيطة بطنجة ،

---

(١) ابن أبى زرع: الأنيس المطرب ١٦٢/١ ابن الخطيب: أعمال الأعلام ١٦٤/٣ .

(٢) ابن خلدون: العبر ١٦٩،٣/٣ ياقوت : معجم البلدان ٣٣٥/٢ .

(٣) ابن خلدون: العبر ١٣/٧، الدرجيني: الطبقات ٤٤/١ .

(٤) ابن حوقل: صورة الأرض ٩٤، بونار: المغرب العربي ١٨٢ .

(٥) ابن خلدون: العبر ١٠٣/٦ .

(٦) المصدر السابق ٣٢/٧ .

(٧) المصدر السابق ١٧/٧ .

(٨) أبو الفدا : تقويم البلدان ١٢٣ .

(٩) البكري: المغرب ٧٩ ، الجيلالى: تاريخ الجزائر العام ٢٩٧.

(١٠) البكري: المغرب ٧٩ المقدسي : أحسن التقاسيم ٤٧ .

(١١) الأزدى: أخبار الدول المنقطعة ورقة ٧ ع .

(١٢) المقدسي: أحسن التقاسيم ٢١٨، السلاوى: الاستقصا ١٧٤/١، محمود إسماعيل: الخوارج ١٩٨

وحول سلا ، واتخذوها دار ملكهم نتيجة صراعهم مع مغراوة، واتخذوا من تادلا وجبال درن مضارب لهم، ثم دار إمارة بعد ذلك.

جراوة :

تنقلوا بين جبل الأوراس الشرقي وعلى منحدراته ، وعاشت بعض بطونها في السهول العليا من قسنطينة وقلعة بنى حماد، وتنتمي إلى هذه القبيلة الكاهنة التي ناصبت المسلمين العداء في بداية الفتح الإسلامي، ثم دخلت جراوة الإسلام بعد مقتلها.

بنو واسين :

وهم أخوة مغراوة وبنى يفرن، ومنهم بنو عبد الواد وبنو مرين وبنو توجين، وكان لبنى مرين بطون تفرعت عنهم ومنهم: بنو عسكر وبنو انكاس وغيرهم، ومن بنى توجين بنو عبد القوى، وسكن بنو واسين في أحواز برقة حول قصور غدامس الواقعة جنوب سرت، وفى جبل أوراس استقر بعض بطون بنى عبد الواد وحول ضواحى قسنطينة، وحول قسنطينة وتوزر، وحول مدينة الحامة غرب توزر، وخرج من هذه المدينة ثوار على المعز الفاطمي سنة ٣٥٨هـ /٩٦٨م.

وسكنت في المغرب الأوسط بعض بطون بنى مرين وبنى توجين بين تلمسان وتاهرت. أما غالبية بنى توجين فكانت تعيش بالمغرب الأقصى حول مدينة جراوة، وظعن بنو مرين بين فجيج وسجلماسة[١] وملوية ، وغالبية بنى توجين تحركوا بين ملوية وجبل راشد[٢]، وكانت حياتهم ظعن وترحال .

بنو دمر :

تفرعت عنهم فروع كثيرة منهم: بنو ونيد، وبنو غزرول ، وبنو رغمة ، وبنو صغمار ، وبنو يطوفت ، وبنو برزال[٣]، وتنقلت هذه البطون في إفريقية في نواحي طرابلس وجبالها، الجبل المقابل لجزيرة جربة والمجاور لقابس، وسكن بنو برزال في الزاب حول

---

(١) ابن عذارى: البيان المغرب ٦٦/١، ٢٠٠، البكري: المغرب ١٤٢ .

(٢) السلاوى: الاستقصا ٣/٣ .

(٣) ابن حزم: الجمهرة ٤٩٨، ابن خلدون: العبر ٥٢/٧ .

سطيف وطبنة وميلة والمسيلة قبل إنشاء مدينة المحمدية[١].

وضرب بنو ونيد في المغرب الأوسط في السهول الواقعة جنوب تلمسان، وأزاحهم بنو راشد إلى الجبل المطل على تلمسان[٢]، وعاشت بطون منهم فيما بين تاهرت وتلمسان[٣]، ومدينة الخضراء غرب تنس[٤]، وأقام بنو دمر إمارة لهم في نواحي قصر البخارى، واتخذوا من تيلاس حاضرة لهم، وانتهت هذه الإمارة بوجود الدولة الفاطمية[٥]، وانتقلت هذه القبائل إلى الأندلس في منتصف القرن الرابع الهجري[٦].

أما بنو يرنيان فلم يكن لهم مواطن في أفريقية، وسكنوا في المغرب الأوسط في الجبل المطل على تلمسان، وأغلبهم في بوادي مدينة هاز[٧]، وظلوا بها حتى أجلاهم عنها زيرى بن مناد الصنهاجى، وخربت وأصبحت مفارة[٨]، وكان أكثر بنى يرنيان في بوادي ملوية بين سجلماسة وأجر سيف[٩] ، واختطوا قصور على حفاتي وادي ملوية، وفيما بين فجيج وسجلماسة[١٠]، وفى الجبل المسمى باسمهم في الطريق بين وجدة وسجلماسة[١١].

ومن الزناتية بنو (ومانوا) وبنو (يلومى)، ومواطنهم في المغرب الأوسط حول وادي ميناس قرب نهر شلف، وبنو يلومى في الجزء الغربي منه[١٢]، والجعبات والبطحاء وسيك وسيرت وجبل هوارة، وتحت ضغط الفاطميين وصنهاجة فرت هذه القبائل[١٣]، ومنهم بنو

---

[١] ابن عذارى: البيان المغرب ٢٩٥/٣، التيجانى : الرحلة ١٨٥ .

[٢] ابن خلدون : العبر ٥٢ .

[٣] ابن عذارى: البيان المغرب ٢٠٠/١ .

[٤] البكري: المغرب ٧٥، ياقوت :معجم البلدان ٤١٤/٢، ٤١٥ .

[٥] اليعقوبي: البلدان ١٠٤ .

[٦] ابن خلدون : العبر ٥٢/٧ .

[٧] اليعقوبي: البلدان ١٠٤ ، ابن خلدون : العبر ٢٤،٨١/٧ .

[٨] ابن حوقل: صورة الأرض ٥٨، ٨٦.

[٩] البكري: المغرب ٩٠

[١٠] ابن خلدون: العبر ٥٢/٧ .

[١١] البكري : المغرب ٨٨

[١٢] ابن خلدون : العبر ٥٤/٧ .

[١٣] المصدر السابق ٧٨/٧ .



البربر فى الأندلس
منذ الفتح الاسلامى حتى نهاية عصر الإمارة
مناطق سكناهم وأهم قبائلهم
مقياس الرسم
English Miles
0 10 20 40 60 80 100 120
خليج بسكاى
جبال البرت
المحيط الأطلسى
البحر المتوسط
برتقال
مصمودة
أشترقه
سلمنقه
قلمرية
قورية
طلبيرة نفزة
ترجيله
نفزة
طليطلة
جبال طليطلة
قلعة رباح
أشبونه
مصمودة
ماردة بطليوس
مكناسة
باجه
قصر ابى دانس
مصمودة
شنترية الشرق
شاطبة
نفزة
بلنسية
دانيه
نفزة
لقنت
زناته
سرقسطه
ر. ابره
وادى الحجارة
شنتبرية
جبال المعدن
زواوة
كتامة
قرطبة
اشبيلية
مرشانة
اشونه
مصمودة
موورور
هواره
جبال البشرات
جبل شلير
المريه
منهاجة
مالقه
مغراوة
جبل طارق
الجزيرة الخضراء
مصمودة
شذونه
شنترية الغرب
مدينه
ر. الوادى الكبير
ر. وادى يانه
ر. التاجه
ر. دويرة
ر. المنيو
ر. شقر
ر. شنيل
استجه
هواره
جيان
منهاجة
بياسه
أبذه
نفزة
فحص البلوط
كركى
برانس
البيرة

عزرون القاطنون في جزيرة جربة الواقعة قبالة أفريقية وغرب قابس[١].

وهناك بطون زناتية أخرى وجدت في بلاد المغرب، ولكن لا يعرف لهم نسب لقبيلة كبرى مثل بنى يفرن أو مغراوة أو بنى دمر، وضربت بعض هذه البطون الزناتية حول سيرت[٢]وطرابلس في المنطقة الواقعة بين طرابلس وقابس، وفى جبل نفوسة[٣]، ودخلت مع قبائل نفوسة في حروب، وسكنت قبائل أخرى في قرية تامست الواقعة بين تاهرت والمسيلة، وأغارت على المناطق الخاضعة للدولة الفاطمية، فشجع الفاطميون صنهاجة على بناء مدينة أشير لتكون حاجزاً بين هذه النواحي وهجمات الزناتية[٤] .

وفى المغرب الأوسط سكنت بعض البطون جنوب تاهرت ممتدة إلى مسوفة، وقرب تاهرت سكن نحو ثلاثين ألفا أكثرهم من زناتة[٥]، وعلى بعد ثلاثة مراحل من جراوة في مدينة العلويين سكنت بعض زناتة وأميرهم حامد الزناتى[٦] ، وتجولت بعض البطون حول مدينة نكور[٧]، وفى المنطقة الواقعة بين تاهرت وسجلماسة[٨]، وفى وادي سجلماسة وعلى بعد عشرة أميال من سجلماسة في المنطقة الواقعة بين فاس وسجلماسة سكنت بعض بطون زناتة، ويعرف بوادي زناتة[٩]، وعاش بعضها في جبال المغرب الأقصى، ووقفوا حائلا بين تقدم الملثمين – المرابطين – صوب الشمال[١٠].

قبيلة صنهاجة :

تعد صنهاجة من أكبر قبائل البربر وأكثرها انتشاراً، واحتلت مساحات شاسعة من بلاد المغرب، وانقسمت صنهاجة إلى قسمين كبيرين : قسم شرقي في أفريقية والمغرب

---

[١] المصدر السابق ٥٤/٧ .

[٢] ابن حزم : الجمهرة ٤٩٩ التيجانى: الرحلة ١٢١،١٢٢

[٣] ابن عبد الحكم: فتوح مصر والمغرب ٢٩٤ ، الأنصاري ٦٥ .

[٤] النويري: نهاية الأرب ٤٧/٢٢، ياقوت: معجم البلدان : ٢٤٦/١ .

[٥] مجهول : الاستبصار ١٧٩ .

[٦] الدرجيني : الطبقات ٢٦/١ .

[٧] اليعقوبي : البلدان ١٠٧ .

[٨] البكري : المغرب ٩٠ ، ابن عذارى: البيان المغرب ٧٨/١ .

[٩] اليعقوبي : البلدان ١٠٩ .

[١٠] ابن الخطيب : أعمال الأعلام ١٣٩/٣، محمود إسماعيل : الخوارج ١٦٦ .

الأوسط ، ومنه خرج بنو زيري بفرعيهما: بنى باديس في القيروان، وبنى حماد في المغرب الأوسط، ولم تظهر صنهاجة الشمال في أحداث المغرب الأدنى والأوسط إلا بعد تأزم وضع الدولة الفاطمية بسبب صراعها مع زناتة، فجمع العداء لزناتة بين الفاطميين وصنهاجة، وتزامن ذلك مع تزعم زيرى بن مناد لصنهاجة الشمال، فكان أول زعيم أظهر دور وصنهاجة في المغرب الأدنى[١].

واتخذت صنهاجة أشير مركزاً لهم على المنحدرات الجنوبية لجبل تترى غرب أفريقية، وأصبحت أشير حاجزاً بين بطون زناتة الواقعة في المغرب الأوسط والمدن والمناطق التابعة للفاطميين في أفريقية، فزاد ذلك في العداء بين صنهاجة الشمال وزناتة[٢]، ثم جدد زيرى بند مناد بناء مدينة مليانة المشرقة على مضارب زناتة المغرب الأوسط وأسكنها ولده بلكين وبعض بطون صنهاجة، وأقام سلسلة من الحصون والقلاع بين مليانة وأشير، فقويت شوكة صنهاجة الشمال[٣].

أما القسم الغربي فهم صنهاجة الصحراء التي شكلت دولة المرابطين في القرن الخامس الهجري، وبلغت صنهاجة من الكثرة أن قال فيهم ابن خلدون: [٤] " لا يكاد قطر من أقطاره يخلو من بطن من بطونهم في جبل أو بسيط، حتى لقد زعم كثير من الناس أنهم الثلث من أهل البربر".

وانتشرت هذه البطون في المناطق الممتدة من تول لمطة في جنوب المغرب الأقصى إلى القيروان بأفريقية[٥]، وفي إقليم الجزائر بين المسيلة وتترى وميلة، فسيطرت على الطريق بين مرطانية السطيفية ومرطانية القيصرية[٦]، وسكنت بعض بطونها في منطقة الأطلس الوسطى من تاز إلى إقليم بنى هلال، وأوغلت جنوباً حتى امتلكت واحات الصحراء،

---

[١] اليمانى: سيرة جعفر ١٢٩ البكري: المغرب ٩١،٩٦،٩٧ ابن الأثير: الكامل ٢٢٤/٨ .

[٢] مجهول/ الاستبصار ١٧٠، ياقوت: معجم البلدان ٢٦/١ ابن عذارى: البيان المغرب ٢٦٢/٣ .

[٣] ابن خلدون : العبر ١٥٣/٦، ماجد: ظهور الفاطميين ٩٩ ، البكري: المغرب ٦٩ حسن محمود :قيام دولة المرابطين ٩٧ .

[٤] ابن خلدون : العبر ١٥٢/٦.

[٥] ابن أبى زرع: الأنيس المطرب ٦/٢ ، ابن الخطيب: أعمال الأعلام ٢٥٥/٣ .

[٦] حسن محمود : قيام دولة المرابطين ٣٦ .

ونزل بعضهم في إقليم الريف وطنجة[١].

وتجاوز عدد قبائل صنهاجة الجنوب السبعين قبيلة أهمها: لمطة ، وجدالة ، وجزولة، ولمتونة ، وترغة ، وسرتة ، مسوفة ، ودكالة ، وهسكورة[٢]، وكان لكل قبيلة مضاربها المعلومة، فتمتد قبيلة لمتونة من وادي نون على المحيط الأطلسي ، وإلى الشرق من وادي نون تقع مدينة أركى، وهي حصن لمتونة ومعقلها، وقامت القبيلة بدور تجارى هام، واستحوذت هذه القبيلة على عديد من المناصب.

وتمتد مضارب جدالة حتى مصب نهر السنغال متخذة مدينة أوليل مركزاً لها، وهى لذلك أوفر مالاً وأكثر استقراراً، وهى قريبة من أودغست فاستفادت بذلك من تجارة العبور، وكان لها الزعامة على المرابطين قبل انتقال الزعامة إلى لمتونة[٣]، وسكنت لمطة وجزولة في المنطقة الممتدة من جبل درن وحتى وادي نول[٤]،وانتشرت ترعة في وادي درعة، وتتفصل ديارها إلى سجلماسة والمناطق القريبة منها[٥]، وتمركزت مسوفة بين سجلماسة وأودغست، مما كان لها دور في تجارة الذهب، وكان لها دور كبير في تاريخ دولة المرابطين[٦].

وكان لظهور حركة المرابطين أثره في هجرة صنهاجة الصحراء إلى مناطق الشمال الخصبة، فعمرت المناطق القابلة للعمران، وامتلأت المدن مثل أغمات بالمرابطين التي كثر الخلق بها، وضيقوا على أهلها ، وكانوا على حالة صعبة"[٧]، ثم أقاموا مدينة مراكش" ، ووجدوا في فحصها من المسرح الخصيب للجمال والدواب ما غبطهم بها[٨]" وأخذت تتكاثر أعداد قبائل صنهاجة " فوفدوا إليه – يوسف بن تاشفين – منهم مجموعة

---

(١) مجهول: مفاخر البربر ٦٦ .

(٢) مجهول: الحلل الموشية ٧ ، النويري: نهاية الأرب ١٧٣/٢٢ ، الإدريسي: وصف أفريقيا ٥٩ .

(٣) الدمشقي: نخبة الدهر ٢٣٨ .

(٤) حسن على: الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس ٢٩٨،٢٩٧ .

(٥) مجهول: الحلل الموشية ٧ البكري: المغرب ١٦٤ .

(٦) عبد الهادي شعيرة : المرابطون٣٠.

(٧) مجهول: الحلل الموشية ١٥ .

(٨) المصدر السابق ١٦ .

كثيرة ،وكثروا بكل مكان[١]" .

فاستوطنت قبائل صنهاجة المتنقلة المناطق الممتدة عبر الساحل الأطلسي من دول لمقة إلى جنوب السوس، ثم الأطلس الصغير وقسم من الأطلس الكبير[٢]،وقرب المحيط الأطلسي نحو مصب أم الربيع جنوب أزمور ومنطقة الريف[٣]،وهذا يعنى أن المغرب شهد تعميراً كثيراً باستقرار قبائل صنهاجة.

وانتقل بعض سكان المغرب إلى أماكن أخرى مثل اتجاه برغواطة من تامسنا إلى السوس وجبال الأطلس، في حين انتقل بعض بطون صنهاجة إلى منطقة نهر أم الربيع[٤]، كما سكنوا حول مدينة سلا وفاس[٥] ومنطقة الهبط، كما بنو مدينة تاودا " بناها أمير من قبيل الملثم ... وكانت على المقربة من جبل غمارة، وكانت بمكانة شبه الثغر سدا مانعاً من طغاة غمارة"[٦] .

والخلاصة أن هجرات صنهاجة الجنوب غيرت من أماكن القبائل المغربية قبلها، وعمرت المناطق جنوب السوس وجبل فازاز الذي سُميَ بجبل صنهاجة[٧]، فعمرت مناطق فارغة، أقطعت للقبائل التي سكنتها .

البربر المستقرون :

يتحدد الشكل الاقتصادي للقبيلة حسب البيئة التي تعيش فيها، فتجتهد كل قبيلة وتجمع عمراني في تحصيل المعاش من النشاط الزراعي أو الصناعي أو التجاري، وقد أتاحت البيئة المغربية أماكن استقرار متعددة، فعملت بعض القبائل بالزراعة، وانتشرت بينهم الملكيات الزراعية المشاعة والفردية، فامتلكت قبيلة لواتة أرض مدينة أصيلة[٨] ولقبيلة يزغنان جنات

---

[١] السابق نفسه ٣٣ .

[٢] مارمول : أفريقيا ٢٨٣/٢ .

[٣] الحميرى: الروض المعطار ٣٠٥

[٤] ابن سعيد : الجغرافيا ١٣٧، المراكشي: المعجب ٥١٢ .

[٥] ابن القاضي: الاقتباس ١٧٣/١، ١٧٤، ٢٥٧ ، الإدريسي: صفة المغرب ٩٧ .

[٦] الإدريسي: صفة المغرب ١٠١ ، مجهول: الاستبصار ١٩٠.

[٧] ابن سعيد : الجغرافيا ١٢٣ .

[٨] البكري: المغرب ١٠٩ .

وأملاك حول مدينة فاس[١]، ولبنى ثيبون أملاك وجنات وربوع كثيرة في المغرب الأقصى[٢]، كما امتلك الأفراد الأراضي على طول الطريق بين أغمات إلى فاس في بلد زواغة إلى حصن داى إلى وادي درنة ومغيلة[٣]. والأراضي التي بين طنجة إلى قلعة ابن خروب، وهى أراضى خصبة كثيرة الزرع[٤].

وتعاون سكان القرى المغربية في أعمال الزراعة ورعى الماشية فاشتركوا في زراعة الحقول وجمع المحصول وتبادلوا استعارة الدواب في حرث الأرض[٥]، وإعارة المنازل لحفر مطامير خزن الحبوب[٦]، ونظموا استغلال المياه وفق نظام الحصص أو التداول والمناوبة[٧] أو حسب العرف الجاري في تسليف الماء حيث يأخذ المزارع مياه مزارع آخر يوما أو طول الليل على أن يرد ما أخذ منه بعد أربعة أيام أو خمسة أيام[٨].

وأحياناً تحدث المنازعات بين الأفراد بسبب الذي يريد أن يحول ماءه شخص يمر في أرض رجل إلى موضع آخر منه هو أقرب إليه لأنه يريد أن يتحكم عليه في أرض[٩] أو بسبب تجاوز الفلاحين حدود أراضيهم مثل " رجل زارع أقواما في قرية له فتجاوز المزارعون حدود القرية التي زرعوا فيها إلى أرض قرية أخرى تجاوروها وحرثوها فشكى رب القرية تجاوز أولئك الفلاحين إلى أرض قريته[١٠].

وشكلت أكثر القبائل البربرية استقراراً قبائل المصامدة وكتامة ونفوسة وازداجة وأوروبة، وهذه محاولة لبيان أماكن هذه القبائل في الريف والضواحي المغربية.

---

[١] ابن الأحمر : بيوت فاس الكبرى ٥٣ .
[٢] المصدر السابق ٢٢.
[٣] البكري : المغرب ١٥٤.
[٤] البكري : المصدر السابق ١١٣ .
[٥] الونشريسي: المعيار ١٠٩/١٨/٩ .
[٦] المصدر السابق ١٠٨/٩ .
[٧] ابن الحاج : النوازل ١٤٧.
[٨] ابن رشد : الفتاوى ٢٧٠/١ .
[٩] المصدر السابق ٢٧٢/١ .
[١٠] ابن الحاج : النوازل ٢٨٠.

المصامدة :

وهم أظهر القبائل المستقرة من البرانس، ومن أكثر القبائل البربر وأوفرهم[١]، واتخذوا المعاقل والحصون ومارسوا فلاحة الأرض وارتبطوا بها[٢]، واستوطن بعضهم في السهول وبعضهم في الجبال، وغطوا الجانب الغربي من المغرب الأقصى، "فحد بلادهم النهر الأعظم الذي يصب من جبال صنهاجة، وينتهي إلى البحر الأعظم، ويدعى هذا النهر أم الربيع، وآخر بلادهم الصحراء التي تسكنها لمتونة ومسوفة فهذا حد بلاد المصامدة عرضاً ، وحدها طولاً من الجبل المعروف بدرن إلى البحر الأعظم"[٣] ، وقسمت قبائل المصامدة إلى ثلاث مجموعات، كل مجموعة استوطنت منطقة، وهذه المجموعات هي:-

أ) مصامدة الشمال :

وأشهر هذه القبائل غمارة التي استوطنت جبال أطلس الريف المطلة على البحر المتوسط، والساحل الممتد بين سبتة وطنجة[٤]، مثل منطقة قصر ونهر البان وفى موضع يدعى يكروشت[٥]، وفى جبال حاميم القريبة من تطوان[٦]، وفى جبل عرف باسمهم[٧]، ومن بطونهم بنو (فتركان) شرق حجر النسر[٨]. وبنو شداد قرب سبتة[٩]وبجوارهم بنو جفو وبنو نفقاوة وبنو تال وبنو زروال[١٠]، وبنو مسارة الساكنين لمدينة بجانين قرب سبتة .

ومن القبائل المستقرة في الشمال دغاغ وآصادة وبنو سمغرة، وقد بنى بنو آصادة مدينة آصادة[١١]، وسكن بنو سمغرة بين سبتة وطنجة، وهم أهل جبل موسى[١٢]، وعملوا

---

(١) ابن خلدون : العبر ٢٧٥/٦.

(٢) حسن على : الحضارة الإسلامية ٣٠١ .

(٣) المراكشي : المعجب ٤٨٢،٤٨٣.

(٤) البكري: المغرب ١٠٤ ، ابن خلدون: العبر ٣٦/٦

(٥) البكري : المغرب ١٠٨ .

(٦) المصدر السابق ١٠٨ ، ابن خلدون : العبر ٤٤٥/٦/٤٤٦ .

(٧) مجهول: نبذة تاريخية ٧٠.

(٨) البكري: المغرب ١١٤ .

(٩) البكري : المغرب ١٠١.

(١٠) البكري : المغرب ١٠٨ ، ابن خلدون : العبر ٤٣٦/٦

(١١) البكري : المغرب ١٤٤.

(١٢) البكري: المغرب ١٠٤ ، ابن عذارى: البيان المغرب ٢٦/١ .

بالزراعة[١]، واستقر بنو سكين في قرية بتاورّص، وامتلكوا الأراضي التي زرعوها[٢]، وسكن بنو حزروق بن عون في قرية صدينة وزرعوا وامتلكوا الأراضي[٣].

واستوطن بنو وجفوال حول تطوان[٤] وقصر كتامة ووادي ورغة وبسائط المغرب[٥]، وهكذا استقر مصامدة الشمال في بلاد الريف، وامتدت مضاربهم على السهول الساحلية حتى تامسنا، أي استوطنوا المنطقة الممتدة من البحر المتوسط وحتى نهر سبو[٦].

ب) مصامدة الوسط:

وهم مصامدة السهول " تامسنا " ، وسكنوا منطقة تامسنا وريف المحيط الأطلسي من سلا وأزمور إلى أنفا وآسفى في المنطقة الممتدة من سبو إلى وادي أم الربيع[٧]، وهم أمم لا تنحصر[٨]، ويعد سهل تامسنا من أخصب بلاد المغرب ووصف " بزهرة المغرب " واشتملت على أربعة أقاليم هي : حاحة وسوس وجزولة وناحية مراكش[٩] .

ج) مصامدة الجنوب :

واستقروا في تينملل [١٠] وسكنها أفخاذ مسكالة وبنو ورتانك وبنو ألماس وسكتانة وبنو أنسا وأهل تيغنوت وأهل القبلة وأهل تادرات وأهل السوس[١١] وهرغة[١٢] في غرب جبل درن ومن أفخاذهم[١٣]كدانة وايت حمزة وبنو تاريكت وإكزالن وبنو مكرار وبنو أنامر،

---

[١] البكري : المغرب ١٠٤ .

[٢] المصدر السابق ١٠٦،١٠٧ .

[٣] المصدر السابق ١٠٧.

[٤] المصدر السابق ١٠١ .

[٥] ابن خلدون: العبر ٤٣٦/٦ .

[٦] الحميرى : الروض المعطار ٦٦.

[٧] ابن خلدون: العبر ٤٣٦/٦ .

[٨] المصدر السابق ٣٥٦/٦.

[٩] ابن خلدون : العبر ٢٧٦/٦ .

[١٠] مجهول : الاستبصار ٢٨٠ .

[١١] البيدق : الأنساب في معرفة الأصحاب ٤٣،٤٤.

[١٢] ابن خلدون : العبر ٥٦١/٦ ، ابن سعيد: الجغرافيا ١٢٥ .

[١٣] البيدق : الأنساب ٣٧،٣٨،٣٩ .

وبنو ملول، وبنو الملة وبنو واكانط وبنو مزاكت وغيرهم.

وقبيلة هنتانة أعظم قبائل المصامدة وأشدهم بأساً وأكثرهم عدداً ، وسكنت في جبال درن متاخمة لمراكش، وامتدت مساكنهم من جبل كدميوه إلى جبل أنماى[1]، ولها تسعة بطون[2] .

وقبيلة هسكورة " كان لهم مكان اعتزار بكثرتهم وغلبهم[3]، وسكنت هسكورة الإقليم المسمى باسمها والممتد شمالاً على حدود دكالة وحتى نهر تانسيفت، وفي جنوبه بعض فروع الأطلس الكبير، ويمتد غرباً قرب نهر أنماى، ويصل مشرقاً إلى وادي العبيد[4]، وقسمت هسكورة إلى قسمين: هسكورة القبلة، ولهم سبعة أفخاذ، وهسكورة الظل ولهم أحد عشر فخذاً[5].

واستوطنت قبيلة كدميوة جنوب تينملل في الجبل المحاذي لهنتاتة[6]، إلا أن قسما منها استقر في سهل جنوب مراكش، وبلغ عدد بطونها ٤٦ بطناً[7]، واستقرت قبيلة جنفية في شمال وادي السوس، ولهم اثنان وعشرون بطناً[8]، وعاشت قبيلة آصادة شمال السوس الأقصى، وله فروع في شمال المغرب[9].

وسكن بعض المصامدة إقليم حاحة[10]، وينسب الإقليم لقبيلة حاحة، ويقع جنوب نهر تانسيفت حتى وادي سوس جنوباً ، ويقع شرقيها وادي نفيس[11]، وقطنت قبيلة رجراجة بالقرب من وادي تانسيفت، وشمالها وادي أم الربيع[12]، وقبيلة هزرجة بالقرب من

---

[1] ابن خلدون : العبر ٥٧٧/٦ .
[2] البيدق : الأنساب ٤٤ .
[3] ابن خلدون: العبر ٣٥٤/٦ .
[4] الحميري: الروض المعطار ١٤٣،١٤٢، الحسن الوزان : وصف أفريقيا ١٨٣
[5] البيدق: الأنساب ٥٣،٥٢.
[6] ابن خلدون: العبر ٣٦٤/٦ .
[7] البيدق : لأنساب ٤٧،٤٤ .
[8] المصدر السابق ٥٠،٤٨
[9] ابن خلدون : العبر ٤٦١/٦.
[10] ابن سعيد : الجغرافيا ١٢٥ .
[11] مجموعة رسائل موحدية ٨٣.
[12] المصدر السابق ٨٣،٨٢ .

أغمات[1]، وقبيلة هزميرة في ريـف مراكـش[2]، وقبيلـة هيلانـة فـي مدينـة أغمـات إيـلان[3]، وسكن بعض المصامدة في أغمات وريكـة[4]ونفيس[5]، وقبيلـة كـلاوة سـكنت جنـوب شـرقي مراكش[6]، وبنو وازكيت قرب مراكش[7] وتامسنا[8].

وتوفرت في معظم أماكن المصامدة مصادر الرزق الزراعي، فجعلتهم مكتفين ذاتيـاً " فاستغنوا بقطرهم عن سائر أقطار العـالم[9]" وظـل المصـامدة فـي شبه عزلـة عـن أحـداث المغرب إلى أن أخضعهم المرابطون[10]، وتعاملوا معهم بذكاء لاستمالتهم ، فأعطى عبد اللـه ابن ياسـين بعـض أمـوال الزكـاة والأعشـار إلـى طلبـة المصـامدة وقضاتهـا[11]، واسـتخدمهم يوسف بن تاشفين في الجيش[12]، وأوصى ابنه عليا ألا يثيرهم[13]، بل إن يوسف بن تاشـفين جعل " مدينة مراكش لنزله وعسكره وللتمرس بقبائل المصـامدة المصيفـة بمواطنهـم بهـا فـي جبل درن[14] " وهذا أحدث بعض المضايقة لمصامدة جبل درن لمراقبـة المرابطيـن لهـم فـي سهل الحوز وسهل ورغة الخصيب .

كتامة :

إحدى قبائل البربر البرانس ، وبجهودها قامت الدولة الفاطمية في المغرب ومصـر ،

---

[1] ابن خلدون : العبر ٥٧٧/٦ ، المراكشي : المعجب ٣٤١ .

[2] المراكشي : المعجب ٣٤١ ، المراكشي : الإعلام فيمن حل بمراكش١٤١/١

[3] البكري : المغرب

[4] ابن مقديش: نزهة الأنظار ١٣/١

[5] الإدريسي: صفة المغرب ١٦٣

[6] ابن خلدون : العبر ٥٧٧/٦

[7] المصدر السابق ٤٦٢/٦

[8] مجهول : الاستبصار ١٩٨

[9] ابن خلدون : العبر ٢٩٨/٦

[10] عياض: ترتيب المدارك ٨٢/٨، ابن عذارى: البيان المغرب ١٠/٤ ، حسن محمود: قيام دولة المرابطين ٢٩٥،٢٩٦ .

[11] ابن أبى زرع : الأنيس المطرب ١٢٦ .

[12] المصدر السابق ١٣٩ ، حسن على : الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس ٣٠٠ .

[13] مجهول : الحلل والموشية ٨٢،٨٣ .

[14] ابن خلدون : العبر ٢٤٥/٦ .

ولها في أرض أفريقية والمغرب الأوسط وبعض مدن وقرى المغرب الأقصى مراكز استقرار، بعضها يقع على الساحل والآخر في داخل البلاد ومن هذه المراكز: مرسى الخزر ويقع على هوامش كتامة الشرقي، ولها قلعة وسوق عامرة بالأقوات، ويشتهر أهلها بصيد المرجان[١]، وتلى مدينة بونة الساحلية مرسى الخزر، وهى بجوار قرية سيبوس، ولمدينة بونة ظهر زراعي واسع ومراع ربيت فيها الماشية لغناه بالأعشاب والبساتين والزروع والفواكه، وكثرت بها اللحوم والألبان والعسل والكتان[٢]، وخضعت بونة لنفوذ كتامة في العصر الفاطمي، ثم خضعت لبنى زيرى، وكان لها دور بحرى نشيط، وبلغت جبايتها عشرين ألف دينار[٣].

ومعظم سكان مدينة سكيكدة[٤] من بطون كتامة، وأيضاً سكان مرسى القل[٥]، وقصر جيجل من مضارب زناتة، وكان عامراً حتى القرن الرابع الهجري، وحوله فج الزرزور وقرية متوسة[٦]، وانتشرت قبائل كتامة في سهول بجاية المتسعة، واستغلت أراضيها في زراعة الفواكه والتين وسائر المزروعات المصدرة لبلاد المغرب ووُصفوا بأن أهلها مياسير تجار وبها الصناعات والصناع ما ليس بكثير من البلدان، وأهلها يجالسون تجار المغرب الأقصى وتجار الصحراء وتجار المشرق[٧].

وعاشت بعض بطون كتامة في مرسى الدجاج وتمتعوا بالغنى والثروة وسعة الأراضي الزراعية المستغلة ثم الحركة التجارية النشطة[٨]، ويلاحظ في أماكن كتامة السابقة على الساحل الشرقي للمغرب الأوسط وجود وسط زراعي مع نشاط تجارى ساعد على ازدهار هذه المراكز.

أما مراكز كتامة في الداخل فأهمها: قسنطينة ولها ظهير زراعي واسع تمتد فيه

---

(١) البكري : المغرب ٥٥، الإدريسي: صفة المغرب ٨٦ .

(٢) البكري : المغرب ٥٥

(٣) المصدر السابق ٨٣ ، ابن عذارى: البيان المغرب ١٨٢/١ .

(٤) البكري: المغرب ٦٣ ، الإدريسي: صفة المغرب ٨٣ .

(٥) مجهول: الاستبصار ١٢٧، الإدريسي: صفة المغرب ٧٠،٧١،٧٤ .

(٦) اليعقوبي : البلدان ١٠٣ ، ابن خلدون: العبر ٢٩١/٦ .

(٧) الإدريسي: صفة المغرب ٦٢،٦٤، مجهول : الاستبصار ١٢٨،١٣١.

(٨) البكري : المغرب ٦٥،٨٢ مجهول : الاستبصار ١٣١.

الزروع والمراعى والبساتين[1]، ومدينة ميلة من مراكز كتامة المهمة، وهى كثيرة الزروع واسعة العمران وأشجارها وبساتينها كثيرة ومياهها غدقة[2]، وبقربها قرية صغيرة هي تاناقللت وبجوارها حصن سطيف[3].

وأهم مراكز كتامة هو حصن ايكجان الحصين، وهو بمكان جبلى وعر منعزل، وتحيط به الجبال ويلتف حوله الوديان ، فنشأت سهول عالية الخصوبة وبساتين وزروع، والطرق المؤدية إلى الحصن ضيقة، وكان هذا الموقع هو سر اختيار الداعي الشيعي له مراكزاً للدعوة الفاطمية في المغرب[4].

ومن الأماكن التي سكنت بها كتامة مدينة تيجس العامرة[5]وقصر الإفريقي ومدينة توبوت[6]، وبعض مدن الزاب، وجبل الأوراس بها بعض بطون من كتامة[7]، ووجدت بعض بطون زناتة في المغرب الأقصى في قلعة ابن خروب وهى كبيرة واسعة العمران، وبالقرب منها قرية (دمنة عشيرة) ثم مجموعة من القرى لكتامة تجاورها سوق كتامة[8]، ومنها – أيضاً – قصر دنهاجة نسبة لأحد فروع كتامة، وهو واسع العمران والتمدن كثير السكان[9]. وحدد ابن خلدون[10] مضارب كتامة بقوله: "موطنين بأرياف قسنطينة إلى تخوم بجاية غرباً إلى جبل أوراس من ناحية القبلة، أو كانت بتلك المواطن بلاد مذكورة أكثرها لهم وبين ديارهم ومجالات تقلهم مثل: ايكجان ، وسطيف ، وباغاية ، وفاس ، وبلزمة ، وتيكست ، وميلة ، وقسنطينة ، والقل ، وجيجل من حدود جبل أوراس إلى سيف البحر ما بين بجاية وبونة، وكانت بطونهم كثيرة ".

---

[1] الإدريسي : صفة المغرب ٦٨،٦٧ ، العبدرى: الرحلة ٣٠،٢٩ .

[2] البكري: المغرب ٦٤ .

[3] البكري المغرب ٦٧ .

[4] الإدريسي : صفة المغرب ٧٠ ، ياقوت : معجم البلدان ٣٦٣/١ ، العزيزى ٥٧/١ .

[5] البكري : المغرب ٥٣ .

[6] الإدريسي : صفة المغرب ٧٥،٧٤ ، ابن حوقل : صورة الأرض ٨٥،٨٤ .

[7] البكري : المغرب ١٤٤ .

[8] مجهول : الاستبصار ١٩٠ ، الإدريسي: صفة المغرب ١٠٩ .

[9] مجهول : الاستبصار ١٨٩ .

[10] العبر ١٤٨/٦

وانقسمت كتامة إلى قسمين كبيرين[1]: غرسن بن كتم ، ويسودة بن كتم، فمن بطون غرسن بنو ياوة ، وبنو نيطاش ، وبنو إيان، ويتفرع من بني يناوة فرع حيملة القريبة من إيكجان، وفرع لهيصة المنتشر في قرى ميلة وتازروت[2]، وفرع سالته المنتشر في أحواز سطيف.

وتفرع بنو نيطاسن إلى فرع أجاتة قرب جبال الأوراس، وفرع أوغاس قرب الساحل، فرع عسمان قرب فج مصالة، وتفرع بنو إيان إلى فرع ملوسة الموجودة في بوادي المسيلة[3].

أما بطون يسوده فهي:متوسة ودنهاجة والسبدورسين[4]،وانتشرت متوسة في قرى قسنطينة، ودنهاجة قرب ميلة، ويضيف ابن خلدون[5] قسماً ثالثاً يضم مصالة قرب بجاية[6].

نفوسة :

غيرت نفوسة من أرضها، وابتعدت عن الطريق الساحلي الرابط بين مصر والقيروان، وتحركت نفوسة وهوارة نحو الشمال والجنوب نتيجة الأوضاع الطبيعية والاقتصادية والمعطيات السياسية، وخرجت في القرن الثاني الهجري من جهة طرابلس إلى جهة تاهرت والمغرب الأوسط، وساعد على ذلك النمو السكاني وتتابع الأزمات والمجاعات، ورفض دفع الخراج والضرائب للأغالبة، وأدى ذلك إلى تشتيت أرض القبيلة إلى أقسام متباعدة، فتوزعت نفوسة في زغوان وسهل القيروان والساحل والجريد وتاهرت، وكان هذا التوزيع نتيجة لعوامل متداخلة سياسية واقتصادية[7] .

وفى نهاية القرن الثاني قام اتحاد قبلي بين لماية ولواتة ونفزاوة ونفوسة وهوارة

---

[1] ابن خلدون : العبر ١٧٥/٦ ، القاضي النعمان: رسالة افتتاح الدعوة ١٠٦

[2] ابن عذارى : البيان المغرب ١٧٣/١، القاضي النعمان: المصدر السابق ١٠٦

[3] القاضي النعمان: رسالة افتتاح الدعوة ١٠٦. .

[4] ابن خلدون : العبر ١٤٨/٦ .

[5] المصدر السابق نفسه، القاضي النعمان : رسالة افتتاح الدعوة ١١٥ .

[6] العبر ١٧٥/٦ ، الإدريسي: صفة المغرب ٩١

[7] ابن الصغير: سيرة الأئمة الرستميين ١٠،٦ ، الدرجيني : الطبقات ١٧/١ ، الشماخي: السير ١٦٥،٩

وغيرهم[١]، واعتمدت دولة الرستميين على عصبية نفوسة[٢]، فأصبحت المحرك الأساسي لسياسة الدولة، ودافعت عن الدولة الرستمية الإباضيـة، وأضيف إليها الدور العسكري مع دورها السياسي والإداري، فكانت تلي عقد تقديم القضاة وبيوت الأموال وإنكار المنكر في الأسواق[٣]، فتحولت نفوسة إلى التمدن وأصبح لها أحياء داخل تاهرت "عدوة نفوسة" وأصبح لهم الأراضي حولها ، فكثرت الأموال بأيديهم، ونفوسة قد ابتنت العدوة[٤].

وهكذا ملكت قبيلة نفوسة الأرض وكسبت الثروات من إحياء الموات حول تاهرت، ومن التجارة والوظائف الإدارية والعسكرية، ومع تدهور أوضاع الدولة الرستمية، وظهور الاضطرابات والصراعات، وظهور قبائل جديدة أكثر عدداً وأقوى شوكة من نفوسة ، وزاد من وضع نفوسة ضعفاً هزيمتها أمام جيوش الأغالبة في وقعة " مانو "[٥].

قبيلة ازداجة :

نسبت إلى البرانس في المغرب الأوسط، ومن بطونهم بنو مسكن وبنو مسطاسة، وكانت لهم كثرة واعتزاز، وتَشَيَّع بنو مسكن، وكان لهم دور في الصراع الفاطمي الأموي، ومصَّرُوا ومدينة وهران سنة ٢٩٠هـ/٩٠٢م مع الأندلسيين البحريين[٦] وسكنوا في أحوازها وقراها، ثم هجروا قرى وهران ولجأوا إلى قبيلتهم الأم في جبل قيدر، فخربت قرى وهران ولم يعدلها عمرانها إلا في عهد دواس بن صولات والي تاهرت، واستمر ذلك حتى سنة ٣٤٣ هـ/٩٥٤م فهجرت القرى أمام إغارات يعلي بن محمد بن صالح اليفرني الزناتي.

وتمركز بنو مسكن في جهات نكور وفى قرية تانسالمت قرب وهران، وفى سوق عبيدون الازداجى، وفى قصر ابن سنان الازداجى، وفى إقليم باجة، وهناك قرى وعمارات متصلة لازداجة قرب حوض نهر سبو[٧]. أما مسطاسة فانتشروا في الطريق بين سبتة

---

[١] ابن خلدون : العبر ٦/٢٢٥

[٢] ابن الصغير : المصدر السابق ١٤، الدرجيني: الطبقات ١/ ٨٧ ، الشماخي: السير: ١٦٥،٩٥ .

[٣] ابن الصغير : سيرة الأئمة الرستميين ١٩.

[٤] المصدر السابق ١٨.

[٥] ابن الصغير: سيرة الأئمة ١٩ .

[٦] البكري: المغرب ٧٠ ، البيان المغرب ١/١٨٤ .

[٧] البكري : المغرب ٧٩،٧٠ ، مجهول :الاستبصار ١٣٥ .

وفاس، وفى أرض غمارة، وفى حصن مسطاسة وفى نكور[١].

قبيلة أوربة :

تمتعت بمكانة طيبة بين قبائل المغرب لكونهم أكثر عدداً وأشد بأساً وقوة[٢]، وتمركزوا في المغرب الأوسط في غربي تلمسان وجبال الأوراس ومنطقة الزاب، ثم هاجروا بعد هزيمتهم أمام جيش أبى المهاجر دينار وعقبة بن نافع إلى قرية وليلى ومصروها حتى أصبحت مدينة، وكانت خصبة التربة وكثيرة المياه والغروس والزيتون[٣]

ولقبيلة أوربة بطون منها : ويقوسة ورغيوة وزهكوجة ولجاية وأنفاسة ونيجة وفرياتة، وسكنت رغوة فى وادى سقان قرب قسنطينة ، واستقرت زهكوجة فى أحواز القصر الكبير بالمغرب الأقصى ، وسكنوا قرية باسمهم في هذه المنطقة ، وتوجد لجاية في قرى إقليم فاس وبقرب وادي ورغية ومثلها مزياتة[٤] .

٢) البربر في الأندلس

كان البربر أكثر العناصر السكانية عدداً في الأندلس ، وذلك لقرب المغرب من الأندلس ، فتوالت الهجرات البربرية للأندلس . فتسامع الناس من أهل العدوة بالفتح لطارق وسعة المغانم فيها فأقبلوا نحوه من كل جهة ، وخرقوا البحر على ما قدروا عليه من مركب فلحقوا بطارق[٥]، وأصاب البربر من أرض الأندلس الزراعية مع ما يتفق وعددهم الكبير، وقد استوعبت الأندلس كل مَنْ دخلها من العرب والبربر وما به من سكان قبل ذلك ، واستقر البربر في أماكن عديدة في جنوب وشرق ووسط الأندلس ، وأهم القبائل التي كانت أسبق من غيرها هي : مطغرة ، ومديونة ، ومكناسة ، وهوارة ، وكلها بطون زناتية، ومنها – أيضاً : مغيلة ، وملزوزة ، ونفزة ، وأوربة ، ومصمودة[٦].

---

[١] البكري: المغرب ٩٩، ١٤١، ١٤٢ .

[٢] البكري : المغرب ٩٠، الإدريسي : صفة المغرب ١١٠.

[٣] أبن أبى زرع : الأنيس المطرب ١٤/١،١٥

[٤] البكري : المغرب ١١٤، عبد الوهاب بن منصور : قبائل المغرب ٣١٤.
Mahmud Makki : Egipto y los Origenes de la Historiografia Arabigo - Espanola. Revista del institute Egipci o de Estudios Islaicos en Madrid. 1957. Vol. V. Fasc. 1-2 PP. 157-248.

[٥] المقرى: نفح الطيب ١٦٣/١ .

[٦] مجهول : أخبار مجموعة ٢٧،٢٨ ،مؤنس :فجر الأندلس ١٩٤ .

وقد توالت الهجرات البربرية التي استقرت في الأندلس وذلك منذ عهد الرحمن الداخل الذي احتمى بهم في المغرب واصطنعهم في الأندلس ، فوجه إليهم ، وأحسن لمن وفد عليه إحساناً رغب مَنْ خلفه في المتابعة(١).

وأهم الأماكن التي استقر بها البربر هي :

* سكنت بعض بطون مغراوة في قرى جوف الأندلس ، وتكاثروا في الأندلس منذ عصر الخلافة والحجابة(٢).

* جاز كثير من بني يفرن إلى الأندلس منذ عصر الخلافة وعندما دمر الفاطميون في المغرب مدينة أفكان عاصمة بني يفرن(٣)، استقروا في قرى وأرياف رندة حاضرة تاكرنا، وخطب لهم على منابر مالقة وسائر بلاد رية ، واستولوا على جيان وماحولها(٤)، وسرقسطة(٥)، وحكم عبد الرحمن بن عطاف اليفرني قرطبة لمدة عامين عندما استخلفه يحيى بن على العلوى الحسنى " المعتلى " سنه٤١٦هـ/١٠٢٥م(٦) .

وعبرت بعض بطون دمر إلى الأندلس وضموا لجيش الحكم المستنصر ، ثم تقوى بهم المنصور العامرى في حروبه(٧)، وعند الفتنة الأندلسية (٣٩٩-٤٢٢ هـ/١٠٠٨-١٠٣٠م) استولوا على مورور وشذونة ما حولها من القرى والحصون ، وأنشأوا إمارة مورور(٨)، واستولوا على مدينة شريش(٩)، وبعض قرى وأعمال جيان وقام بنو برزال في مالقة(١٠).

---

(١) المقرى : نفح الطيب ٣٦/٣ .

(٢) ابن عذارى : البيان المغرب ١١٣/٣.

Fernando Díaz-Plaja : la vida cotidiana en la Espana Musulmana. Madrid. 1993. P.40 , Gorcia Gamez : Al- Hakam II ylos Bereberes Segun Un texto inedito de Ibn Hayyon. pp. 212 - 219.

(٣) مجهول : نبذة تاريخية ٤٥ .

(٤) ابن عذارى : البيان المغرب ١١٣/٣ .

(٥) المقرى: نفح الطيب ٥٦١/٣ .

(٦) المراكشي:المعجب ٥٢ .

(٧) ابن خلدون :العبر ٥٢/٧ .

(٨) ابن عذارى :المصدر السابق ١١٣/٣ .

(٩) ابن غالب : فرحة الأنفس ٢٨٤ .

(١٠) المراكشى : المعجب ٧٣ .

* جاز بعض بطون بنى يرنيان إلى الأندلس في فترة الحكم المستنصر والمنصور بن أبى عامر، وخدموا في الجيش ، فكانوا أفحل جند الأندلس وأشدهم[1] شوكة ، وأقطعوا حصن أركش[2] وما حوله من أراضى .

* سكنت بعض زناتة في قرى لقنت[3] وفي بعض أعمال ونواحي سرقسطة[4]، وأقطع حصن نوية الواقع في أعمال وشقة إلى بعض أهل زناتة[5]، حتى أطلق أحد أقاليم بلنسية على زناتة[6]، فكانت هذه البطون يعملون غالباً في الجندية ، وأقطعت لهم الحصون والقرى والمدن.

وعملت هذه البطون – غالباً – في الجندية والجيش ، وأقطعت لهم الحصون، وكان جنوب الأندلس أكثر المناطق كثافة بالبربر ، وهي المنطقة الممتدة من الجزيرة الخضراء والمتجه نحو الوادي الكبير ، وشملت الجزيرة الخضراء ، وتغلبوا على منـطق كثيرة بها ، وكان لهم جزء يسمى جزء البربر، وأقاموا في هذه المنطقة التحصينات مثل قصر كتامة .

وهذه بعض أماكن استقرار البربر في جنوب الأندلس :

* سكنت شذونة وقراها جماعات بربرية مثل بني إلياس من مغيلة، وبني الأخطل في ملزوزة، وبني بنيه ، وبعضهم انتقل إلى الثغور في الشمال الشرقي، وهناك موضع ينسب لصيدنة في مدينة شذونة [7].

* واستقر جماعة من هوارة في مورور ، وتولى عبد الرحمن بن موسى الهواري قضاء استجة.

---

(1) ابن خلدون: العبر ٤٩/٧ .

(2) ابن عذارى: البيان المغرب ٢٩٤/٣،ابن الأبار : الحلة السيراء ٥١/٢ هامش .

(3) ابن حزم : الجمهرة٤٤٩

(4) ياقوت الحموى: معجم البلدان ٣٣٦/٧

(5) العذرى: نصوص عن الأندلس،١٦٨

(6) السابق: ٢٠ .

(7) السابق ٢١ .

* عاش بعض بني يطفت في مدينة رندة ومنهم بنو الزجالي.

* وسكن بنو الخروبي الزناتية في لقنت شمال غرب إشبيلية، وامتلكت جماعة من هؤلاء أراضي في جيان ، وتميزوا بالثراء والعدد، وسكننت جماعة من طريف وملكت الأراضي في بوادي إستجة.

وأشهر الأسر البربرية التي كانت لها أملاك زراعية هي:

١- بنو وانسوس :

انتقلوا إلى الأندلس منذ عصر الولاة ، وأقاموا أولاً في ماردة ، وكانت لهم ضياع ، ورئاسة ورأى مسموع [١]، وثار بها أصبغ بن عبد الله بن وانسوس لمدة سبع سنوات في حكم الحكم الربضى[٢]، ثم عاد إلى طاعته، وكان دائم التردد على أسرته وضياعه ، وتولت هذه الأسرة العديد من المناصب فمنهم : الكاتب الوزير سليمان بن محمد بن أصبغ بن إنسوس، وكان ذا خطوة عند الأمير عبد الله ، وتولى إمارة وادي الحجارة (ت٢٩٢ هـ/٩٠٤م)[٣] وتولى الوزير محمد بن على سليمان خطة العرض ثم الوزارة وتوفى سنة٣٠٧ هـ/٩١٩م .

بنو مزاحم :

تزوج عيسى بن مزاحم البربري من سارة القوطية عندما أتت دمشق لتستنصر بالخليفة هشام بن عبد الملك(١٠٥-١٢٥ هـ/٧٢٣-٧٤٢م) لأن عمها أرطباش أعطاها ضياعاً كثيرة أخذت منها ، فرد الخليفة إليها أملاكها ، وزوجها من عيسى بن مزاحم ، وأنجب من سارة إبراهيم وإسحاق اللذين تناسلا بإشبيلية[٤]، وكان من هذه الأسرة عمر بن عبد العزيز بن إبراهيم بن مزاحم قاضى استجة وإشبيلية[٥].

---

[١] ابن سعيد :المغرب ٣٦٢/١ .

[٢] ابن عذارى: البيان المغرب ٧٢/٢ .

[٣] الحميدى : الجذوة ٢٢٦ ، الضبى :بغية الملتمس ٣٠١، مجهول:نبذة تاريخية ٧٩ .

[٤] المصادر السابقة نفسها .

[٥] المراكشي :الذيل والتكملة ٤٤٩/٢/٥.

بنو الزجالى :

استقروا – أولاً – في مدينة تاكرنا مثل بنى الخليع ، وكانت لهم أملاك زراعية بها ، ثم انتقل بعضهم إلى قرطبة واستوزرهم الأمراء والخلفاء[1] ومنهم :

– الوزير حامد بن محمد بن سعيد[2] (ت ٢٦٨هـ/٨٨١م) .

– تولى عبد الله بن محمد بن سعيد الوزارة والكتابة للأمير عبد الله[3] .

– تولى عبد الله بن محمد بن عبد الله الوزارة (ت ٣٠٢ هـ/٩١٤م) [4].

– الوزير محمد بن عبد الله (ت ٣١٥هـ/٩٢٧م)[5].

– تولى عبد الله بن عبد الله بن محمد خطة المواريث[6] (ت٣١٥ هـ/٩٢٧م) .

– تولى عبد الرحمن بن عبد الله بن محمد خططاً كثيرة للخليفة الناصر[7].

– تولى أحمد بن محمد بن عبد الله مدينة إشبيلية للخليفة الناصر سنة ٣١٦هـ/٩٢٨م [8].

– وتولى مالك بن محمد بن عبد الله كورة استجة سنة [9]٣١٨هـ/٩٣٠م ، وكان لهؤلاء أملاك زراعية كثيرة .

بنو مسلمة :

أقاموا بقرى مدينتى باجة وإشبيلية ، وكان لعامر بن مسلمة أملاك قديمة فى إشبيلية، فعاش في وفرة وتصون ، وتولى بعضهم الخطط والأعمال ، فتولى أحمد بن مسلمة خطة

---

[1] ابن حيان : المقتبس (ت مكى) ١٧١ .

[2] المصدر السابق ١٧١

[3] ابن الأبار :أعتاب الكتاب ١٧٢ .

[4] ابن عذارى : البيان المغرب ١٦٥/٢ .

[5] المصدر السابق١٩٣/٢، ١٩٦ .

[6] المصدر السابق نفسه ونفس الصفحات .

[7] السابق ١٥٩/٢، ١٥٧.

[8] ابن حيان : المقتبس ٢٥٣/٥ ، ابن عذارى : البيان المغرب ٢٠٩/٢ .

[9] ابن عذارى: البيان المغرب ٢٨٤/٢.

الشرطة العليا[١] ، وكان أبو عامر محمد بن مسلمة من أهل العلم والأدب[٢] .

بنو الخليج :

سكنوا مدينة تاكرنا ، ويبدوا أنهم من أجنادها، وأقطعوا حصن قنيط[٣]، وكان دخولهم إلى الأندلس في أربعمائة فارس[٤] .

بنو الخروبى :

استقروا في لقنت من قرى مدينة لاردة ، ولهم أملاك[٥] بها وعملوا في خدمة الخليفة الناصر، فتولى محمد بن عبد الله الخروبى (ت٣١٤هـ/٩٢٦) خططاً كثيرة[٦] ، وتولى عبد الله بن محمد بن عبد الله السكة للناصر قبل انتقالها لمدينة الزهراء سنـ ٣٢٢ هـ/٩٣٣[٧]

بنو الليث :

أقطعوا قرية شنت فيلة بالقرب من قرطبة .

وبالجملة فقد توزعت القبائل البربرية في مدن وقرى وحصون الأندلس، وتقلدوا المناصب الإدارية المهمة التي انعكست على أملاكهم للأراضي الزراعية ، ومما يدل على كثرة البربر في الأندلس وامتلاكهم لكثير من الأراضي أنهم عندما تركوا الأندلس في القرن الثاني الهجري قدر ما تركوه نحو خمس الأندلس ، وأدى ذلك إلى نقص الجباية ، مثلما حدث في فحص البلوط الذي سكن معظمه البربر ، وبلغت جبايته في عهد الأمير محمد نحو ألفى دينار، وتتصل أحوازه بأحواز قريش ، وتنتظم قراه بقراها ، وهذا ما يؤكد عمل البربر بالزراعة وامتلاكهم للأراضي في الأماكن التي استقروا بها، وهذه الكثرة البربرية أوجدت ضغائن بين أهل الأندلس والبربر لشعورهم أن البربر يقاسمونهم بلادهم ، وصرح أهل

---

[١] ابن حيان : المقتبس٥/٩٨ ، ابن عذارى : البيان المغرب ٢/١٦٤ .

[٢] ابن بسام: الذخيرة ٢/١/١٠٥.

[٣] ابن القوطية: تاريخ افتتاح الأندلس ٤٨، ابن عذارى: البيان المغرب ٢/١٤٢.

[٤] ابن القوطية: المصدر السابق ٤٨.

[٥] ياقوت: معجم البلدان ٥/٧ ، الحميرى: صفة حزيرة الأندلس١٦٨.

[٦] ابن عذارى: البيان المغرب ١٩٣

[٧] الحميرى: الروض المعطار ٤٣٥ .

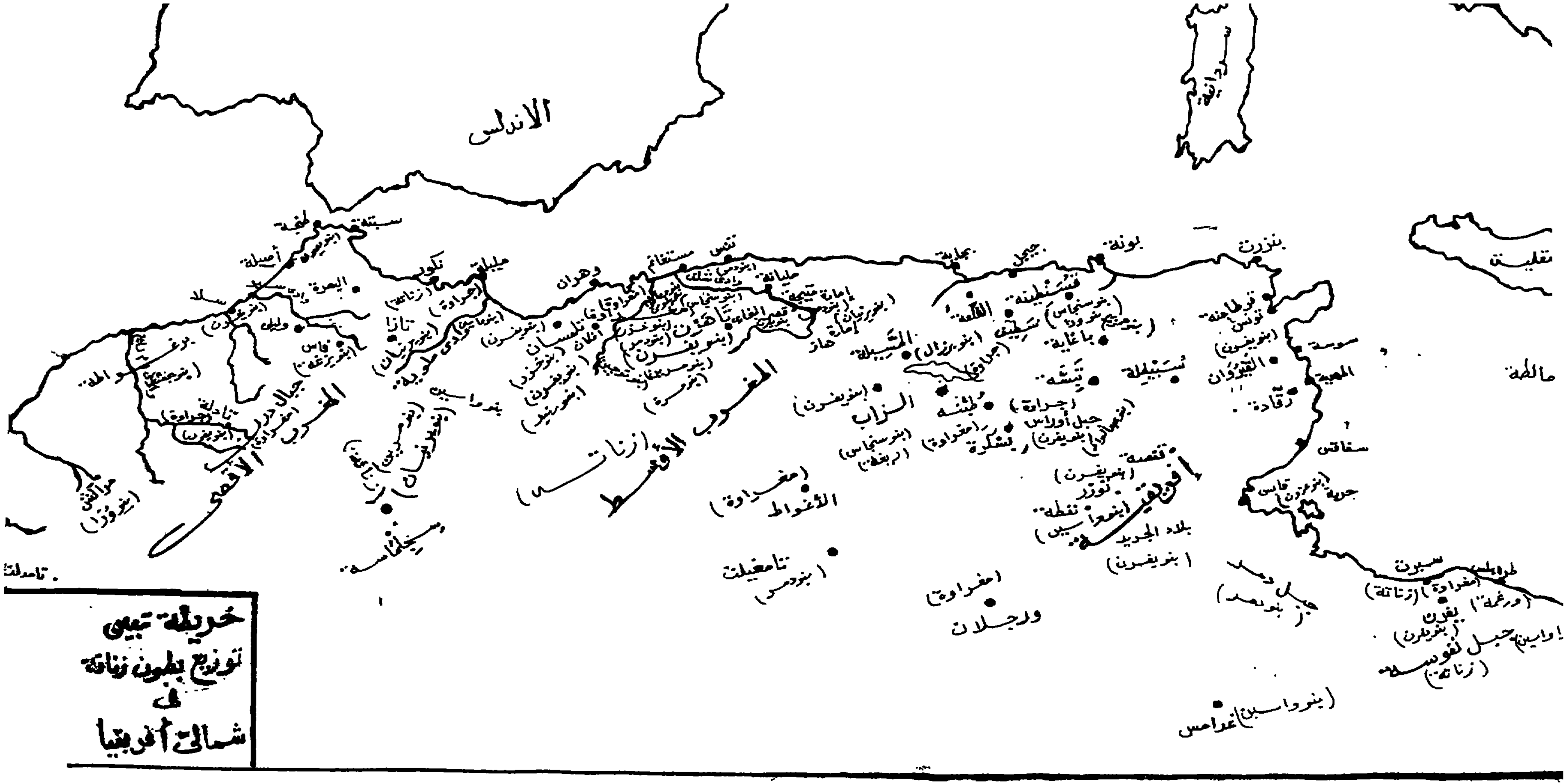
الأندلس بذلك في أمثالهم " كل ما يجى من المغرب مليح إلا ابن أدم والريح[1] .

القبيلة	بطونها	مكان الاستقرار والتملك	الصفحة [2]
	أوربة	أليشة	٥٠١
	زوارة	شقندة ، إلبيرة ، ألبونت	٥٠١
مصمودة	بنو طريف	أشونة	٥٠٠
	بنو يحيى	قرطبة	٥٠٠
	بنودانس	قلنبرية	٥٠١
	بنو سالم	مدينة سالم	٥٠١
صنهاجة	بنو الغليظ	أقليش ، وبذة	٥٠٠
	بنو رزين	السهلة	٥٠٠
	بنو جهور المرنايون	قرطبة	٤٩٩
زناتة	زوزة ، بنو الليق	قرطبة	٥٠٠
	بنو عرون ، بنو هذيل	تاكرنا	٥٠٠
	بنو الجزولي	شاطبة	٥٠٠
	بنوالزجالي	-	٤٩٨
	بنو الحليع		٤٩٨
	بنو ع ميرة	.	
	وزداجة		٤٩٨
	مغليلة بنو الياس		
	بنو زروال		
	بنوزروال		
	مكناسة		
	بني والنوس		

❀ ❀ ❀

[1] الزجالى : أمثال العوام ٢/٣٠٧،٣٠٨ .

[2] ابن حزم : الجمهرة .



ملحوظة: أسماء البطون الزناتية موضوعة بين أقواس

ثالثاً : المسالمة والمولدون :

يعنى مصطلح المسالمة أى الأسبان الذين دخلوا في الإسلام ، وكانوا في ازدياد على مر القرون . أما المولدون فهم الأبناء الذين ولدوا من أباء مسلمين وأمهات أسبانيات[١] ، وهذا التفريق واضح في نصوص المؤرخين ، ففي أحداث سنة٢٧٥هـ/٨٨٨م قال بن حيان[٢]: " تحزبت المسالمة مع المولدين وتميزت إليهم نصارى الذمة ، فصار جميعهم إلبا على العرب القائمين بدعوة عمر بن حفصون" .

وشكل المولدون نسبة سكانية كبيرة، وانتموا إلى سائر الفئات والشرائح الاجتماعية،

واشتهرت منهم بعض الأسر مثل بنى مردنيش وبنى غرسية ، وبني ردلف وبنى انجلين وبنى شبرقة وبنى الجريج وبنى مرتنيل[٣] .

وكان المولدون أكثر أهل القرى والحصون " وأما من أسلم من أهلها فمن كان منهم بالبادية فاكتسبوا البقر والغنم والحرث والعسل ، وأهل الجبال منهم فكانوا يغرسون الأجنات والفواكه وقطع الخشب وطبخ الفحم ومن ولى البحر منهم فكانوا يجلبون الحوت والسردين، ويصنعون السفن وآلاتهم إلى غير ذلك . فأما من كان منهم بالحاضرة فكانوا يحترفون بالدباغة والحياكة والخرازة وبيع النعال المخرزة وبيع الحبال والجلاليب ونسجها والضرب بالطبول والبنود والحجامة[٤].

وقد أحسوا بالتغيرات الاجتماعية التي حدثت في الأندلس ، ويفسر ذلك قيام المولدين بالثورات في الأماكن التي شكلوا فيها كثرة وأغلبية مثل مدينة إشبيلية[٥] التي شهدت صراعاً مريراً بين العرب والمولدين ، وفى كورة إلْبيرَة سقط الكثير من المولدين والعرب قتلى

---

[١] الحجى: التاريخ الأندلسى ١٦٣،عنان: تاريخ الإسلام فى الأندلس ع١ق١ ٢٠٦.

[٢] ابن حيان: المقتبس٣/٥١.

Simont : Historia de los Mozarabes de Espana. Amsterdam. "1967. P. XVI. nota. 2, lévi - Provencal: Hist. de l.Esp. Mus . T. I. P. 75.

[٣] ابن حيان: المصدر السابق ١٠٣،٧٠،٧٤ ، السيد سالم: تاريخ المسلمين وآثارهم ١٢٩.

[٤] ذكر مشاهير أهل فارس فى القديم ٢١.

[٥] ابن حيان: المقتبس ٣/١٥،١٦.

بسبب هذا الصراع[1]، وكانت كورة رية أكثر الكور بالمولدين الذين التفوا حول ابن حفصون وأولاده من بعده[2].

وهكذا دلت الثورات المولدية في المدن والكور والقرى والحصون[3] على كثرتهم في هذه الأماكن مثل لورقة ومرسية وقاد المولدين فيها ديسم بن أسعد ، وفي جبل شمنتان وبعض حصون وقرى جيان قادهم عبيد الله بن أمية بن الشالية ، وفى بطليوس قادهم عبد الرحمن بن مروان الجليقى ، وفى حصن مارتلة ثار عبد الملك بن أبى الجود ، وثار المولدون بقيادة بكر بن يحيى في شنت مرية بكورة اكشونية ، وثاروا في قلمرية وشنتبرية بقيادة سعدون بن فتح السرنباقى ، وثار في شوذر خير بن شاكر، وفى حصن المنتلون سعيد هزيل، وفى كورة باغة سعيد بن وليد بن مستنة، وثار في حصون جيان بنو هابل ، وثار في كورة مورور طالب بن مولود ، وقاد محمد بن غالب المولودين في شنت طرش بكورة استجة ، وثار في وشقة بنو عمروس ، وفى حصن لبخش ثار يونس بن محمد ، وفى حصن ألمرية بشذونة ثار سلمة بن حمدون ، وثار في حصن اسكطامة، داود بن سليمان ، وفى حصن أقوط ثار عبد الله بن حميد[4]، ومعظم هذه الحصون في مناطق ريفية.

وكثر المولدون بمنطقة الثغور كذلك ، ومثلت ثورتهم خطوة كبيرة ، وثاروا كثيراً لأن الولاة لم يحسنوا معاملاتهم ، فعندما نزل العرب وشقة بموضع يعرف بالعسكر، بنوا عليه المساكن وغرسوا الكروم وحرثوا لمعاشهم وسكن بجوارهم المسالمة والمولدون وعملوا بزراعة الأرض[5]، وأساء عمال بنى سلمة التجبيين إلى أهل الثغر الأعلى فسخروا أهله في زراعة الأرز وحصاده، فدفعهم ذلك إلى الثورة عليهم[6] .

ولاءمت الأوضاع الجغرافية للثغور موقف المولدين ، فالثغور بعيدة عن قرطبة مركز الحكم ، وهى – أيضاً – قريبة من أرض أعداء الدولة نصارى الشمال ، فيهرب إليها

---

[1] المصدر السابق ٣/٦١،٥٥، ابن الأبار: الحلة السيراء ١/١٥٠،١٤٨

[2] ابن حيان : المقتبس/٨٥

[3] عبادة كحيلة :المولدون ٢١٤ وما بعدها

[4] ابن حيان: المقتبس ٢/١١٥،١١٤،١١٣،١١٢،١٠٦،١٠٥

[5] العذرى: نصوص عن الأندلس ٥٨،٥٦

[6] المصدر السابق ونفس الصفحات.

المولدون ، ولذلك ملك المولدون أرض الثغور الجيدة ؛ لأنها في أماكن خصبة وعلى وديان الأنهار ، فثغر سرقسطة يقع على خمسة أنهار، ومن أطيب البلدان بقعة وأكثرها ثمرة[١]، وحول طليطلة بساتين محدقة وأنهار مخترقة وجنات يانعة وفواكه عديمة المثل ، ولها من جميع الجهات أقاليم رفيعة ، ففيه من البقر والغنم الشيء الكثير الذي يجهز به الجلابون إلى سائر البلاد[٢]، وتقع ماردة على نهر وادي يانة وأرضها كريمة ولها أقاليم عدة ، وتفنن أهلها في جلب المياه إليها وإلى قصورها ، وهكذا أحاطت الأرض الخصبة بالثغور، وملك بعض هذه الأراضي المولدون ، فأمدتهم بالتموين وقت الثورات ، وفاض الإنتاج وخزن وقت الحصار[٣]، هذا فضلاً عن تميز الثغور بالتحصينات مما زاد في أمان المولدين، فوجدت أسر إقطاعية لها قوتها الاقتصادية فضلاً عن صغار الفلاحين والعبيد

وكانت ثورة ثغر ماردة سنة٢٥٤هـ/٨٦٨م أشهر ثورات المولدين فهاجمها الأمير عبد الرحمن، وخرب قنطرة المدينة ، وقبض على زعماء الثورة من المولدين وهم ، عبد الرحمن بن مروان الجليقي ، وابن شاكر ، ومكحول بن عمر ، وغيرهم، وكانوا أهل بأس ونجدة وبسالة مشهورة ، واستعمل الأمير محمد بن عبد الرحمن على ماردة سعيد بن عباس القرشي ، وأخذ الثوار لقرطبة ، غير أن الوزير هاشم بن عبد العزيز أساء إليهم، فهرب المولدون إلى الحصون والقلاع ، فدخل عبد الرحمن بن مروان الجليقي قلعة الحنش جنوبي ماردو واستولى مكحول بن عمر على قلعة جلمانية وانضم إليه المولدون [٤]، وأغاروا على العرب والبربر، فخرج إليهم الأمير محمد واستنزلهم من الحصون والقلاع ، ورحل المولدون إلى قرية بطليوس فقاموا بتمدينها وسكنوا في القرى التي حولها ، وتحصن ابن مروان ببطليوس ، وثار على الإمارة وتحالف مع نصارى الشمال ، فخرج إليهم هاشم بن عبد العزيز وقتل كثيراً منهم، وآثار عليهم البربر، "وأنزلهم في أقاليم ماردة على المولدين، فغلبوهم على قراهم ونزلوا بيوتهم، فهاجت غصبة المولدين ، ولجوا في المجبئة.

---

(١) العذرى: نصوص عند الأندلس ٢٢،٢٣، Lévi-provençal , l "Esp Mus. P. 32, E. Mitre : op. cit P. 76. Guichard . The socia . hist. p. 689.

(٢) الحميرى : الروض العطار ١٣٢

(٣) المصدر السابق ١٣٣

(٤) ابن حيان : المقتبس ٣٤٦، ابن القوطية : تاريخ افتتاح الأندلس ٨٨، ٨٩.

أخذ عبد الرحمن بن مروان والمولدون يغيرون على القرى والحصون والمدن والكور، فأغاروا على كورتى لبلة وإشبيلية ، واستولوا على حصن طلياطة ، فأرسل الأمير محمد إلى ابن مروان رسالة قال فيها " يا هذا قد طال غمنا بك وغمك بنا ، عرفنا بمذهبك " فأجابه عبد الرحمن بن مروان " مذهبي أن يباح لى البشرنل ابتنيها وأمدنها وأعمرها وأقيم الدعوة ، ولاتلزمنى جباية ولا طاعة في أمر ولا نهى[1] " فرفض الأمير محمد ذلك ، وتحالف عبد الرحمن الجليقى مع الفونسو الثالث ، وأخذ يغير على المسلمين ، ولما توفى عادت بطليوس وماردة لحكم الإمارة الأموية في قرطبة، ثم استردها بنو مروان الجليقى، واستمر هذا الوضع حتى استردها عبد الرحمن الناصر سنة٣١٧هـ/٩٢٩م [2] . وكانت هناك مولدون آخرون في أماكن أخرى كثيرة ، انتزوا على الخلافة الأموية مثل عبد الملك بن أبى الجود في باجة ومارتلة ، وبكر بن يحيى في شنت برية من كورة أكشونية، وابن حصيب بحصن منت يعور بلبلة وغيرهم [3].

وكثر المولدون في وسط الأندلس– الثغر الأوسط– في طليطلة وما جاورها وملكوا الأراضي الزراعية ، وصالحهم الأمير محمد على قطيع من العشور يؤدونه كل عام، وحكم المدينة أسر مولدية مثل أسرة بنى قسى في الثغر الأعلى حتى سنة ٢٩٣هـ/٩٠٥م ثم أسرة طربيشة[4]

وزبدة القول: أن المولدين امتلكوا الأراضي في أماكن عديدة ، وسكنوا في القرى والبوادي ، ودافعوا عن مصالحهم ، فقاموا ببعض الثورات ، غير أنهم لم يوحدوا قيادتهم في الأماكن العديدة التي انتزوا بها ، واستطاعت الإمارة استنزال المولدين المتمردين ، وتركت بعضهم على أملاكهم في مقابل دفع الخراج وسائر الاستحقاقات المالية، ولم يشذ عن هؤلاء إلا ثلاثة في جنوب الأندلس هم: عمر بن حفصون وأولاده وسعيد بن هذيل، وسعيد بن

---

(1) ابن القوطية: تاريخ افتتاح الأندلس ٨٩

(2) ابن خلدون: العبر ٣١٣/٤ ، المقتبس ١٥/٣، ١٦، ابن عبد ربه: العقد الفريد ٢٢٤/٣، ابن عذارى : البيان المغرب ١٩٩/٢

(3) ابن حيان: المقتبس ٦٦/٣ .

(4) ابن حيان: المقتبس (ت شالميتا) ١١٨/٥ ، البيان المغرب ١٧٥/٢ وما بعدها، الحلة السيراء ٢٣٣/١ ، السيد سالم:قرطبة١٠/١، حمدى حسين:أضواء جديدة على ثورات طليطلة ٣٠، ٥٩، ٧٥

مستنة الذين تمادوا حتى وفاة الأمير عبد الله ، وأخذت تمرداتهم شكلاً اقتصادياً وإدارياً ، ثـم تطورت إلى شكل عنصري وديني .

وبعد استقرار الأحوال في عهد النـاصر عدلت الخلافـة مـن تعاملها مـع المولديـن فحـازوا الأمـلاك الزراعيـة والأمـوال ، واشتركوافى وظـائف الدولـة مثـل محمـد بـن لبابـة المشاور للأحكام ، ثم المفتى[١]، وتولى عبد الله بن الحذن قضاء وشقة وما والاها[٢]، وتولى محمد بن يحيى بن عمر (ت٣٣٠ هـ/٩٤١م) قضاء كورة إلْبيرَة ثم الوثائق[٣]، وتولى سعدان بن إبراهيم خطة الصلاة في كورة رية[٤]، وتولى محمد بن أحمد بن يحيى(ت٣٨٠هـ/٩٩٠م) قضاء استجة ورية[٥]، وتولى اسحاق بن إبراهيم خطة الفتيات ٣٥٢هـ/٩٦٣م[٦] ، وتولى عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد (ت ٣٨٦هـ/٩٩٦م) قضاء سرقسطة[٧] وغيرهم كثير.

وقد أحدث الناصر والحكم المستنصر والمنصور العامرى تغيرات كبيرة وجوهريـة في تشكيل العناصر السكانية في الأندلس ، فتناوبوا الاعتماد عليهم ، وذاب العرب مع سـائر سكان الأندلس ، وكاد يختفي عنصر المولدين مع باقي العناصر، ونسب الإنسان إلـى مكانـه ومدينته لا إلى عنصره .

الأندلسيون في المغرب

كان طبيعياً أن تقوم علاقة مستمرة بين المغرب والأندلس فـي العصـر الإسـلامي، وتواصلت الانتقـالات مـن أحدهمـا للآخـر لأسباب كثيرة، فكـان المغـرب الأقصـى موطــن للأندلسيين لقرب الموقع الجغرافـي، ففـي سبتة استقر عدد منهـم فـي غمـارة، واستوطنوها واشتروا بها الأراضي الزراعية[٨].

---

[١] ابن الفرضى: تاريخ علماء الأندلس رقم ١١٩٨

[٢] المصدر السابق رقم ٢١٦ ، الحله السيراء رقم ٩٨ ١/٢٥٤

[٣] ابن الفرضى: المصدر السابق رقم ١٢٣١

[٤] ابن الفرضى: المصدر السابق رقم ٥٤٣

[٥] المصدر السابق رقم ١٣٦٠

[٦] ابن الفرضى: المصدر السابق رقم ٢٣٥.

[٧] ابن الفرضى : تاريخ علماء الأندلس رقم ٨٠٧

[٨] البكري : المغرب ١٠٤

مستنة الذين تمادوا حتى وفاة الأمير عبد الله ، وأخذت تمرداتهم شكلاً اقتصادياً وإدارياً ، ثم تطورت إلى شكل عنصري وديني .

وبعد استقرار الأحوال في عهد الناصر عدلت الخلافة من تعاملها مع المولدين فحازوا الأملاك الزراعية والأموال ، واشتركوافي وظائف الدولة مثل محمد بن لبابة المشاور للأحكام ، ثم المفتى[1]، وتولى عبد الله بن الحذن قضاء وشقة وما والاها[2]، وتولى محمد بن يحيى بن عمر (ت٣٣٠ هـ/٩٤١م) قضاء كورة إلْبيرَة ثم الوثائق[3]، وتولى سعدان بن إبراهيم خطة الصلاة في كورة رية[4]، وتولى محمد بن أحمد بن يحيى(ت٣٨٠هـ/٩٩٠م) قضاء استجة ورية[5]، وتولى اسحاق بن إبراهيم خطة الفتيات ٣٥٢هـ/٩٦٣م[6] ، وتولى عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد (ت ٣٨٦هـ/٩٩٦م) قضاء سرقسطة[7] وغيرهم كثير.

وقد أحدث الناصر والحكم المستنصر والمنصور العامرى تغيرات كبيرة وجوهرية في تشكيل العناصر السكانية في الأندلس ، فتناوبوا الاعتماد عليهم ، وذاب العرب مع سائر سكان الأندلس ، وكاد يختفي عنصر المولدين مع باقي العناصر، ونسب الإنسان إلى مكانه ومدينته لا إلى عنصره .

الأندلسيون في المغرب

كان طبيعياً أن تقوم علاقة مستمرة بين المغرب والأندلس في العصر الإسلامي، وتواصلت الانتقالات من أحدهما للآخر لأسباب كثيرة، فكان المغرب الأقصى موطن للأندلسيين لقرب الموقع الجغرافي، ففي سبتة استقر عدد منهم في غمارة، واستوطنوها واشتروا بها الأراضي الزراعية[8].

---

(١) ابن الفرضى: تاريخ علماء الأندلس رقم ١١٩٨

(٢) المصدر السابق رقم ٢١٦ ، الحله السيراء رقم ٩٨ ١/٢٥٤

(٣) ابن الفرضى: المصدر السابق رقم ١٢٣١

(٤) ابن الفرضى: المصدر السابق رقم ٥٤٣

(٥) المصدر السابق رقم ١٣٦٠

(٦) ابن الفرضى: المصدر السابق رقم ٢٣٥.

(٧) ابن الفرضى : تاريخ علماء الأندلس رقم ٨٠٧

(٨) البكري : المغرب ١٠٤

وهناك هجرة كبرى – أو نفي – أندلسية، قام بها أهل ربض شقندة إلى فارس[1] سنة ٢٠٢هـ/٨١٧م، وكانوا نحو ٨٠٠٠ أسرة – أي ما يقرب من ٢٥٠٠٠ شخص– فنزلوا عدوة الأندلسيين، وشرعوا في البناء يميناً وشمالاً إلى ناحية الكدان وقورة وحارة البادية إلى الرميلة فسميت عدوة الأندلس[2]. ومن الذين هاجروا لفاس صناع وفلاحون مما أثر زراعياً على مدينة فاس، فاختصت عدوة الأندلس بحسن الفواكه الصيفية كالتفاح الطرابلسي الحلو الأصفر الذي ليس مثله في جميع المغرب لحسن حلاوته والتفاح الليوبى والطلحى والطلخى وأصناف الكمثرى والمشمش والبرقوق والتوت[3] ، وهذا ما جعل الأمير إدريس الثاني يفضل عدوة الأندلس لتربية ماشيته ودوابه[4] " فأنزل جميع أجناده وقواده بعدوة الأندلس، وجعل كسبه من الخيل والإبل والبقر والغنم بأيدى ثقاته، ولم ينزل معه بعدوة القرويين غير واليه وحشمه وسائر رعيته من التجار والصناع والسوقة ".

وعرف عن أهل الأندلس الدقة والجودة في الصناعة، مما جعل موسى بن أبى العافية – تابع الأمويين في المغرب – يرسل إلى الخليفة الناصر سائلاً إيفاد عدد من الصناع والأدوات لبناء قلعة، فلبى الخليفة مطلبه، فأخرج إليه محمد بن وليد رئيس المهندسين لديه مع ثلاثين بنّاء وعشرة من النجارين وستة من الجيارين المحسنين لعمل الجير، وستة من الأشارين لأشر الخشب، ورجلين من الحدادين، ورجلين من الحصادين تخيروا من حداق طبقاتهم "[5] .

وانتقل بعض الأندلسيين للمغرب في عصر الطوائف، فعملوا في سائر الأعمال الاقتصادية (زراعة وصناعة وتجارة)، فاستنبطوا المياه وغرسوا الأشجار، وأحدثوا الأرحاء التي تعمل بالماء[6]، وأدخل الأندلسيون إلى فاس زراعة قصب السكر وزراعة أشجار التوت[7].

---

(١) ابن الأبار : الحلة السيراء ٤٤/١

(٢) ابن أبى زرع : الأنيس المطرب ٤٧

(٣) المصدر السابق ٤٦

(٤) السابق نفسه ونفس الصفحات.

(٥) ابن حيان : المقتبس ٣٨٨/٥ .

(٦) عبد العزيز بن عبد الله : مظاهر الحضارة المغربية ٢٧/١ .

(٧) المرجع السابق ٨٨.

وأنشأ مهندسون أندلسيون القناطر على الأنهار المغربية، فقد أمر أمير المسلمين علي بن يوسف بن تاشفين ببناء قنطرة تانسيفت ، لتسهم في توزيع المياه اللازمة للزراعة يقول الإدريسي [١]: " وعلى ثلاثة أميال من مراكش نهر يسمى تانسيفت، وليس بالكبير لكنه دائم الجري وزمن الشتاء يحمل بسيل كبير لا يبقى ولا يذر ، وبنى علي بن يوسف عليه قنطرة عجيبة متقنة الصنع فجلب إلى عملها صناع الأندلس وجملا من أهل المعرفة بالبناء، فشيدوها وأتقنوا بناءها حتى كملت " .

واستطاع أحد الأندلسيين– عبد الله بن يونس – بمهارة أن يوفر الماء لسقى البساتين التي انتشرت بسبب الطريق التي ابتكرها، وقام سكان مراكش وما حولها من قرى وصنعوا مثله في استخراج المياه حتى كثرت البساتين والجنات[٢].

❀ ❀ ❀

---

[١] صفة المغرب ٦٩.

[٢] ابن أبى زرع : الأنيس المطرب ٢/٤٠ ، السلاوي : الاستقصا ٢/٢٥.

رابعاً : النصارى في الأندلس والمغرب

أ) النصارى في الأندلس :

شكل النصارى نسبة كبيرة ، وشمل استيطانهم معظم مدن وقرى الأندلس ، وأظهرت الأحداث مراكز لهم من أهمها :

١- **كورة إلْبيرَة :** وقع بها ثورات كثيرة، واشترك فيها عدد كثير من النصارى، وتحالفوا مع عمر بن حفصونن وقتل منهم عدد كبير[1].

٢- **كورة رية :** ضمت عدداً كبيراً من النصارى، ولهم بها أسقفية ، وكان بها قلعة ببشتر معقل ابن حفصون الثائر، وشمل نفوذه المنطقة كلها ، وحملوا ابن حفصون على اعتناق النصرانية[2].

٣- **غرناطة :** عمل معظم النصارى بها في فلاحة الأرض[3].

٤- **برشلونة :** وكان عددهم كبير، ولم يماثلهم في العدد سوى اليهود[4].

٥- **كورة جيان :** كثر بها النصارى فجعل عليهم الخليفة الناصر عريفا منهم يعرف بابن بزنت لغلبة النصارى على حصن أبذة[5].

٦- **حاضرة بطليوس :** ويتبعها حصن لييط ، ومعظم أهلها من النصارى " امتلأ برعية الجهة من النصارى ، وأعدوا ما يحتاجون من كل شئ ، وقد هددوا بمجئ الفونسو"[6].

٧- **الثغر الأعلى والأوسط :** وكثر النصارى بشكل واضح في منطقة الثغر الأعلى والأوسط لقربهم من نصارى الشمال ، وكان لهم دور واضح في تسليم طليطلة للنصارى

---

(1) عبادة كحلية :المعاهدون ١٢٨ . Glick : Islam. and christ . sp. P. 104 , 135.
Guichard : Structures socials " Orientales" et "occidentalts " dans l' Espagne Musulmane.

(2) ابن حيان: المقتبس ١٦٨/٥ .

(3) ابن الخطيب: الإحاطة ١١٣/١٢٢/١.

(4) البكرى: جغرافية الأندلس ٩٦ .

(5) ابن حيان: المقتبس ١٣١/٥.

(6) عبد الله بن بلقين: مذكرات الأمير عبد الله ١٠٨، كحيلة: المعاهدون ١٢٩ .

(سنة٤٧٨هـ/١٠٨٥م)[١]. وكان للنصارى أحياء خاصة داخل المدن، فلهم حي في الجانب الشرقي من قرطبة غرب مدينة الزهراء[٢]، ولهم في سرقسطة حي خاص بهم كذلك[٣]، وغير هذه المدن كثير، وكان في نصارى المدن الأثرياء من امتلاك الأراضي الزراعية ، وأقام النصارى في الأرياف والقرى بشكل كبير، فسكن بعضهم قرية بنتيج قرب وبذة[٤]، وقرية الزبارقة[٥]، وأكد ابن حوقل[٦]سكنى النصارى للقرى والحصون: "وبالأندلس غير ضيعة فيها الألوف من الناس لم تمدن ، وهم على دين النصرانية روم ، وربما عصوا في بعض الأوقات ، ونجا بعضهم إلى حصن صعب فطال جهادهم ، لأنهم في غاية التمرد ، وإذا خلعوا ربقة الطاعة صعب ردهم إلا باستئصالهم ، وذلك شئ يصعب ويطول " فكان نصارى قرية فنياتة – قرب وادي اس – ذوى يسار من امتلاك الأراضي[٧].

وشارك المسلمون في القرى والأرياف النصارى الاحتفال بعيد العنصر، مما يوحي بالتأثير بين الجانبين ، وقد نهى الفقيه ابن لبابة المسلمين عن الاحتفال بيوم العنصرة[٨].

الكنائس والأديرة :

بلغت عدد المطرانيات والأسقفيات واحداً وثلاثين كرسياً و من هذه الكراسي ثلاث مطرانيات : طليطلة ماردة وإسبيلية وثمان وعشرون أسقفية هي : وادي أس ، أركبيقة ، شذونة ، استجة ، برشلونة ، بسطة ، بياسة، بقرة ، قلهرة ، قورية ، سرقسطة ، مدينة المائدة، قلمرية ، قرطبة ، قبرة ، لبلة ، إلْبيرَة ، جرندة ، ألس ، مالقة، أرفلة ، أوسما ، شيه، سيجونتا ، مارتش ، أرش ، طالقة ، بلنسية[٩]. وهناك كنائس كبرى مثل كنيسة – شنت مرية، ومرتلة ، ودروقة ، وشنت بجنت (قرب شلب) ، وأستجة (المجاورة للمسجد الجامع) ،

---

[١] بروفنسال: مادة طليطلة دائرة المعارف الإسلامية ١٥/٢٦٠ .

[٢] فون شاك: الفن الإسلامى ٢٣ .

[٣] أشباخ: تاريخ الأندلس ١/١٥٢.

[٤] الحميرى: الروض المعطار ٦٠٧ .

[٥] ابن حزم: الجمهرة ٢١٨،٢١٩ .

[٦] صورة الأرض ١٠٦ .

[٧] كحيلة: المعاهدون ١٠٧.

[٨] الونشريسى : المعيار ١١/٩٢ .

[٩] حسين مؤنس: فجر الأندلس ٤٩٢، عبادة كحيلة: تاريخ النصارى فى الأندلس ٩٣ وما بعدها .

وكنيسة ربنية بإشبيلية ، وسانت أجلح غربى قرطبة ، وكنيسة سانت قرشتوبل فى منية عجب، وكنيسة سانت سويلش جنوب منطقة القنبانية(١).

ومن الأديرة بالأندلس دير على وادى ماردة ، ودير قرب قلمرية، ودير تلة العسل فى جبل قرطبة على بعد ثلاثين ميلاً شمالى قرطبة ، ودير أملاط الواقع على طريق طليطلة، فكان الجيش الأندلسى يمر به فى طريق الثغر الأعلى ، وتوفى الحاجب المظفر العامرى قربه سنة ٣٩٩هـ/١٠٠٨م ، ولجأ إليه أخوه عبد الرخمن العامرى" شنجول" عندما طاردته قوات محمد بن عبد الجبار(٢)، ويتبع الكنائس والأديرة أراضى زراعية يعمل فيها سكان الأديرة والكنائس ، وتوقف عليها الأرض ، وهذه الأماكن تدل أيضاً على تواجد النصارى بها وأنهم مارسوا شعائر دينهم دون مضايقات .

تنظيمات النصارى

القوامس : كان قومس قرطبة رئيساً للجماعة النصرانية ، وساعده عدد من القوامس فى الأقاليم ، وأسرة بنى قسى من القوامس فى عهد القوط قبل الإسلام ، ثم أصبح لهم مكانة فى الأندلس الإسلامى بعد ذلك ، وبخاصة فى العصر الإسلامى فى الثغر الأعلى(٣).

وأصبحت الدولة الإسلامية تعين قوس النصارى ، لأنه حلقة الوصل بين الحكومة وبين النصارى . أما قوامس الكور والأقاليم فكانت تختاره جماعة كل إقليم ، ولقوامس الأقاليم سلطات قضائية ويقضون وفق تعاليم دينهم(٤). وأول قوامس الأندلس أرطباش أحدأولاد الملك غيطشة الثلاثة – إلى جانب ألمند ووقلة– وكانت له ضياع كثيرة فى الأندلس، وهو صاحب اقتراح تفريق الشاميين على الكور(٥) المجندة ، وفى عهد الحكم الربضى أساء قومس النصارى ربيع بن تدلف السيرة فى أهل دينه من النصارى، فسلب أموالهم وضياعهم ، فأمر الحكم بصلبه ، لثورة النصارى عليه ، وبخاصة أهل إلْبيرَة ،

---

(١) المصدر السابق ٥٣،٦٦،١٠٣.

(٢) البيان المغرب ٣/٣،٥،٧،٣٧،٧١،٧٢، كحيلة: تاريخ النصارى فى الأندلس ٩٦ وما بعدها.

(٣) ابن حزم : الجمهرة ٥٠٢.

(٤) كحيلة: تاريخ النصارى ٨٧.

(٥) ابن الخطيب : الإحاطة١/١٠٣، ابن القوطية: تاريخ إفتتاح الأندلس ٥٧،٥٦.

وطالبوا بإسترداد ما سلب منهم[1].

وفى عهد الأمير عبد الله كان قومس قرطبة حجاج "أو حسان " وهرب ولده "سربند" إلى ابن حفصون ، وقبض عليه وقتل ، ثم قتل والده القومس[2]. وتلاه فى القماسة حزمير "جذمير" وتورط حزمير فى فتنة ابن حفصون، فحبس ومات فى حبسه ٢٩٣هـ/٩٠٥م[3]. وساعد قاضى العجم القومس الذى يعنيه الأمير، مثل أصبغ بن عبد الله بن نبيل الكانى[4]، ومنهم حفص بن البر وجده الأعلى ، وقلة من غيطشة وأرضيمبر المدفون بكنيسة شويلش[5].

النصارى والوظائف فى الدولة :

تولى بعض النصارى وظائف فى الدولة الإسلامية فى الأندلس ، فكان قومس بن انتيان بن يليانة مستخرج الخراج من النصارى ، وعاون عبيد الله بن أمية من يزيد فى الكتابة للأمير محمد ، وبعد موت عبيد الله خلفه قومس[6]، وكذلك صحب هشام بن كليب" أو هذيل" سفراء امبراطور الروم قسطنطين سنة" ٣٣٧هـ/٩٤٨م " لتجديد الهدنة التى طلبها الروم ، وعاد بعد سنتين ومعه رسل قسطنطين[7] . وأرسل الناصر أسقف إلبيرة ربيع بن زيد "يريخمند" إلى أتو إمبراطور الدولة الرومانية (٣٢٥-٣٦٣هـ/٩٣٦-٩٧٣م) ، وعقد اتفاقية صداقة بين أوتو والناصر سنة ٣٤٥هـ/٩٥٦م[8]، وأرسل نفس الشخص إلى بلدان المشرق لشراء مستلزمات لبناء مدينة الزهراء[9].

ويؤكد أن النصارى فى الأندلس كانوا قناة اتصال بين حكومة الأمويين ونصارى أوروبا والشمال، وأنهم يتولون الترجمة بين الطرفين، فعندما أتت وفود أمراء نصارى

---

(1) ابن الأثير: الكامل ١٤١/٦، ابن خلدون: العبر١٢٧/٤،١٢٨، عنان: دولة الإسلام ٢٥٥/١/١.
(2) ابن حيان : المقتبس ٩٢/٣.
(3) ابن عذارى: البيان المغرب ١٤٢/٢
(4) ابن حيان: المقتبس (ت الحجى) ١٤٦.
(5) ابن القوطية: تاريخ افتتاح الأندلس ٣١.
(6) المصدر السابق ٩٥،٩٧، كحيلة: تاريخ النصارى ١٥٦.
(7) ابن خلدون: العبر ١٤٣/٤ .
(8) رينو: تاريخ غزوات العرب ١٨٨،١٨٢.
(9) ابن عذارى: البيان المغرب ٢٣١/٢ .

الشمال قام بالترجمة عيسى المنصور الأسقف ومعاوية بن القومس وعبيد الله بن قاسم مطران إشبيلية، وذلك فى سنوات ٣٥١ ،٣٦٠هـ /٩٦٢،٩٧٠م[١].

وكان على النصارى واجبات مالية على الأرض الزراعية التى يملكونها ، فيؤدون الخراج عنها ، وفى الأرض المقطعة للجند الشامى أدى النصارى ثلث غلة الأرض ويختصون بالثلثين ، وأفاد هذا الوضع المسلمين والنصارى ، فكان على المسلمين الحرب ، وعلى النصارى العمل فى الأراضى ، وعندما تبدل هذا الوضع ظلم الجباة النصارى حتى ترك بعضهم الأرض" وما زال أهل الأندلس ظاهرين على عدوهم ، وأمر العدو فى ضعف وانتقاص لما كانت الأرض مقطعة فى أيدى الأجناد ، فكانوا يستغلونها ويرفقون بالفلاحين وكانت الأرض عامرة والأحوال وافرة والأجناد متوافرين والكراع والسلاح فوق ما يحتاج إليه"[٢].

وأدى النصارى الجزية مقابل الحماية والإعفاء من الخدمة فى الجيش ، ومقدار الجزية أربعة دنانير أو أربعين درهماً ، ويعفى منها الصبيان والشيوخ والعبيد وذَوو العاهات والرهبان[٣]، وهذه المبالغ لم تكن يوماً ما مشكلة على النصارى . وكانت بعض الحقوق المالية للدولة تسقطها تخفيفاً على الرعية بما فيهم النصارى ، فأسقط الأمير المنذر سدس الجباية[٤]، ورفض عبد الرحمن الأوسط رسمًا على الدواب والأحمال التى تعبر قنطرة قرطبة[٥]

ب) النصارى في المغرب :

دخلت أعداد من نصارى مصر– قدرت بنحو ألف أسرة – إلى المغرب لإنشاء دار الصناعة بتونس[٦] ، ووجد بعض النصارى في طرابلس[٧] ، والقيروان[٨] ،

---

[١] ابن حيان: المقتبس (ت الحجى) ١٧٤،٦٤، المقرى: نفح الطيب ١٨٢/١.
[٢] الطرطوشى: سراج الملوك ١٣٠،١٢٩ .
[٣] الإمام مالك: الموطأ ٥٥/٢، الإمام سحنون: المدونة٤٠/٢، ٤١ .
[٤] ابن الخطيب: أعمال الأعلام ٢٤/٣ .
[٥] ابن سعيد: المغرب ٥١/١.
[٦] الرقيق القيرواني : تاريخ أفريقية ٦٦ السيد سالم ، العبادي : تاريخ البحرية الإسلامية ٥٦/١ .
[٧] ابن الحكم : فتوح مصر ١٧١ .
[٨] أبو العرب : الطبقات ٢٤٤ .

وباجـة[١] صفاقس[٢]وتلمسان[٣]، وعمل النصارى في القيروان بالزراعة والصناعة والتجارة، وانتقلوا بحرية في سائر البلاد[٤] ، وكان بتاهرت حي يعرف بحي الكنيسة[٥]، ولم تخل فاس منهم، فوجد بها باب يسمى باب الكنيسة ، مما يرجح وجود النصارى في هذه المنطقة ، ووجدوا أيضاً في أرياف تامسنا ، وأخذت أعداد النصارى في التضاءل – حتى صمتت عنهم المصادر– بسبب الهجرات أو الدخول في الإسلام، وبمجيء المرابطين عاد النصارى إلى المغرب بسبب حركة التغريب لنصارى الأندلس لتعاونهم من نصارى الشمال في الحروب بالأندلس، فوجدوا في سلا مكناسة[٦]ونمت أعداد النصارى أكثر بسبب جلبهم كأسرى حرب أو جنود مرتزقة ، فاشترى يوسف بن تاشفين منهم نحو مائتين وأربعين[٧]، واستمر ذلك حتى بلغ عددهم نحو أربعة ألاف مسيحي[٨]، ونقل أسرى معركة الزلاقة (٤٧٨هـ) إلى بر العدوة وبلغوا نحو عشرين ألفا [٩]، ووجدت بمكناسة نحو ثلاثة آلاف تكونت من النصارى المبعدين من الأندلس والأسرى[١٠]، وزاد عددهم في بلاد فاس في هذه الفترة[١١]، وسكنوا في أحياء خاصة في مراكش ، وبيع فيه الخمور ولحم الخنزير ، وأسف لذلك ابن تومرت[١٢].

وأدى النصارى الجزية ، ورأى بعض النصارى أن يدفعوها جماعيا بدلاً من أدائها حسب الرؤوس ، فإذا بلغ أحد أبنائهم الحلم لا يلزمه شئ ، لكن إذا مات أحد من رجالهم البالغين فإن قدر الجزية الجماعية يبقى كما هو عليه ، وهذا مخالف لأحكام الشريعة

---

[١] البكري : المغرب ٥٧ .
[٢] المقري : أزهار الرياض ٢٧٠/٢ .
[٣] البكري : المغرب ٧٦ .
[٤] الطالبي: الدولة الأغلبية ٤٧ .
[٥] ابن الصغير: سيرة الأئمة ٧٩ ، ابن الخطيب : أعمال الأعلام ١٩١/٣.
[٦] مجهول : الحلل الموشية ٧٥ .
[٧] المراكشي : الإعلام فيمن حل مراكش وأغمات من الأعلام ٢٩٩/١٠.
[٨] مجهول : الحلل الموشية ١٣١
[٩] مارمول : أفريقيا ٥٦/٢.
[١٠] ابن عذارى: البيان المغرب قسم الموحدين
[١١] مجهول :الحلل الموشية ٩٠ ، الوزان : وصف أفريقيا ٢٠١.
[١٢] الذهبي : العبر ٥٩/٤.

الإسلامية التي تؤدى الجزية على رأس كل ذمي بالغ [1].

وعمل نصارى المغرب في جباية الضرائب [2] ، فكانوا يقصدون المدن والقرى، ويستخلصون ما على القبائل من ضرائب [3]، وقام نصارى الأندلس بحفر عدد من القنوات مرت عبرها المياه من جبل دزن وتجمع بمراكش [4]، وساهموا في تطوير المجال الزراعي بفضل خبرتهم وتقاليدهم في الزراعة.

وأمدتنا النوازل الفقهية بمادة تاريخية طيبة عن بعض جوانب من ممارسات نصارى الأندلس ، مثال ذلك قيام عطار على نصارنيين في فدان بقرية "حجر بحر" وادعى أنه يمتلك هذا الفدان ، ودلل على ذلك بشهادة الشهود الذين أيدوا ملكيته له ، بينما أدعى الغاصبان النصرانيان أنهما اشتريا هذا الفدان من نصرانيين آخرين بمقابل، وزعم وكيلهما أن هذا الفدان الذي اشترياه غير الفدان الذي يدعي العطار ملكيته.

ورأى الفقهاء لزوم أن تنصب شهادة الشهود على تعيين الفدان موضوع المنازعة بذاته حتى لا يختلط بسواه، فإذا ثبت أن الفدان موضوع الشهادة هو المغتصب وجب إعادة الحيازة إليه [5].

ونشب خلاف في قرية أبطليش [6]، بين سيدة تدعى أسماء بنت حيون ، ونصارى من هذه القرية ، وخلاصة النزاع هو ما إذا كان للقومس الحق في تمثيل النصارى أمام الفقهاء بدون وكالة صريحة، أم أن هذه الوكالة متطلبة ولازمة . ورأى الفقهاء أنه ليس للقومس صفة في تمثيل المدعين بشراء الأرض موضوع المنزاع من السيدة أسماء ، وإنما ينبغي أن يكون المدعون حاضرين بأنفسهم ، أو تكون وكالتهم للقومس ثابتة. وإذا ثبت بالبينة حصول البيع دون أن ترد هذه البينة على تحديد أشخاص المشترين أنفسهم ، فإن هؤلاء لا يجب لهم أي حق قبل البائعة، وما جاز إثبات أي حق لهم قبل هذه السيدة فيما خلا من أمكن

---

[1] ابن الحاج : النوازل ٢٩٥.

[2] مجهول :الحلل الموشية ٨٤،٨٥.

[3] المصدر السابق ٨٥

[4] مارمول : أفريقيا ٢/٥٦

[5] محمد بن عبد الوهاب خلاف: وثائق في أحكام قضاء أهل الذمة ٥٦ وما بعدها .

[6] المرجع السابق ٢٤، ٢٥.

للبينة أن تعينهم بذواتهم. أما من عداهم فلا حق لهم قبلها.

ومنع الفقهاء المواد التي تدخل في صناعة بعض المحرمات ، فمنع بيع أصول الكرم للنصارى، لأنهم يعصرون منه الخمر [١]، ومنع ابن الحاج بيع العبد الكافر الكبير من الكافر، إذا كان يخرج به على بلاد المسلمين ، لما يخشى من إطلاعه على أمور المسلمين وأسرارهم [٢].

وكان المسلمون يشترون الملابس الثقيلة التي يصنعها النصارى ، مثل لباس الدرتدين [٣].

وسُمِحَ للنصارى بوقف الأراضي والعقارات على كنائسهم ، فكان لكنيسة الغراب – قرب مدينة شلب – أموال يتصدق بها عليها [٤]، "والكنيسة في ذاتها عامرة بالقسيسين والرهبان، و بها أموال مدخرة وأحوال واسعة ، وأكثر الأموال محبسة عليها في أقطار الغرب (غرب الأندلس) وبلاده ، وينفق منها على الكنيسة وخدامها وجميع من يلوذ بها ، مع ما يكرم به الأضياف الواردين على الكنيسة" [٥]. وكذلك حُبس على الكنائس في غرناطة وإشبيلية ، وكان رهبان وأساقفة هذه الكنائس لا عيش لهم إلا من ريع هذه الأحباس [٦].

كما وقعت نازلة على فدان ادعى أحد الفتيان الصقالبة أنه حبسه على مسجده بقرية طرجيلة ، بينما نبه أحد الأفراد القومس إلى أن الأرض أرض جزية ، فلا يجوز حبسها على مسجد المسلمين ، فأمر القاضي أن يبقى وضع الأرض محبسة على المسجد ، على أن يقيم المدعي البينة على أنها أرض جزية [٧].

ولم يجز الفقهاء مرور جنائز المسيحين لمدافن المسلمين ووطئهم أرضها ؛ لأن في ذلك مساساً بحرمتها ، وعند النصارى متسع في أن يمضوا بجنازاتهم في الطرق الأخرى

---

(١) المعيار ٥١/٦.

(٢) السابق ١٨٧/٢.

(٣) المعيار ٥٣/٦.

(٤) الإدريسي : صفة المغرب والأندلس ١٨٠، ١٨١.

(٥) المصدر السابق ١٨٠ ، ١٨١.

(٦) الونشريسي : المعيار ٥٦/٨ ، ٥٧.

(٧) خلاف : المصدر السابق ٣٢ ، ٨٠ .

الجانبية بعيداً عن مقابر المسلمين [١].

ووقعت قضية في نهاية القرن الثالث الهجري بالأندلس وملخصها أن رجلاً يسمى ابن ابتله ادعى خادماً في ملك ابن حفصون ، وقال : إنه كان يملكها في حصن بباشتر ، وأن ابن حفصون ، وقال : إنه كان يملكها في حصن بباشتر ، وأن ابن حفصون أخذها وزوجها[٢].

ونتيجة زواج المسلمين من النصارى ، تحدث بعض النوازل تتعلق أحياناً بالحضانة، فقد توفيت أم لصغيرتين مسلمتين ، وأبوهما مسلم موجود ، بينما جدتهما لأمهما على قيد الحياة وأحداهما نصرانية ، وكذلك جدتهما لأبيهما . ورأى الفقهاء أن الأب المسلم أحق بالحضانة [٣].

❀ ❀ ❀

---

[١] السابق ٣٢ .

[٢] السابق ٣٢ ، ٣٣ ، ٨٣ .

[٣] السابق ٣٣ ، ٨٦.

خامساً : اليهود

أ) اليهود في الأندلس

كانت الأندلس من الأماكن التى كثر بها اليهود وانتشروا فى أنحائها[١]، وساعد اليهود المسلمين فى فتح الأندلس فقد " ألفى طارق طليطلة خالية ليس فيها إلا اليهود فى قوم قلة"[٢]، وهذا جعل لليهود مكانة فى الأندلس[٣]، ووجدوا فى كنف المسلمين التسامح والتقدير، فكثرت أعدادهم ، وتزايدت الهجرة إلى الأندلس من سائر الأنحاء ، " فصرف اليهود همهم للحلول بالأندلس[٤]". واستوطن اليهود فى مدن رئيسة فى الأندلس ، فسكنوا بقرطبة ، ولهم باب يعرف باسمهم، ويبدوأنه قريب من جبهم بها[٥]، كما عاش جماعة منهم ، فى إشبيلية ، وساعدوا الخلافة الأموية فى القضاء على ثورة المولدين بها[٦]، وكثر التجار اليهود بطليطلة فحملوا منها وإليها أشكال السلع المختلفة[٧]، وكان يهود أليسانة أكثر اليهود ، حتى عرفت بمدينة اليهود" واليهود يسكنون بجوف المدينة ولا يداخلهم فيه مسلم البتة وأهلها مياسير[٨]" وتجمع عدد كبير من اليهود فى مدينة طركونة[٩]، وهناك مدن أخرى سكنها اليهود منها:

طركونة	الحلل الموشية ١٠٧،١٠٨
غرناطة	الروض المعطار ٢٣
برشلونة	الروض المعطار ٢٤، البكرى: ٩٦
ألمرية	عطية القوصى: تجارة مصر فى البحر الأحمر ٣٢،٣٥
سرقسطة	عيون الأنباء ٢/ ٥٠، ٥٢،٥٣

---

[١] جمال حمدان: اليهود أنثروبولوجيا ٣٠ وما بعدها، حسين مؤنس: كيف نفهم اليهود ٤٨.

[٢] ابن عذارى: البيان المغرب ٢/١٧

[٣] المقدسي: أحسن التقاسيم ٢٣٦

[٤] مجهول: ذكر مشاهير أهل فارس ٢١.

[٥] الخشني: قضاة قرطبة ٦٤، المقرى: نفح الطيب١/١٤٨

[٦] العذرى: نصوص عن الأندلس ١٠٢، المقري : نفح الطيب ١/٦٦،٦٨ .

[٧] ابن حزم: الأصول والفروع ١٤/٥٥، عيون الأنباء٥/٥٠.

[٨] الإدريسى: صفة المغرب والأندلس ٢٠٥.

[٩] المصدر السابق: ١٩٠،١٩١.

طرطوشة	القوصى: المرجع السابق ١٣١ ومصادره
أندة	نفح الطيب ٥/٧٢
ماردة	الطاهر مكى : دراسات أندلسية ٥٤

ويقرر المستشرق اليهودى بروفنسال [١] أن هذه الجالية اليهودية التى عاشت فى الأندلس الإسلامى " كثيرة العدد مزدهرة الحال جيدة التنظيم" وعمل اليهود أعمال شتى منها بالطبع فلاحة الأرض وإن كانت أقل المهن التى مارسوها – فيذكر ابن سهل فى حديثه عن الفلاحين اليهود الذين يملكون جنانا فى قرطبة[٢]، والفلاح اليهودى الذى قسط ثمن السلع لدلال" ، "وعملوا بتجارة العبيد" فجميع من على وجه الأرض من الصقالبة فمن جلب الأندلس... يفعل بهم ذلك تجار اليهود" .

ومن الأحداث التى تُروَى في ذلك عندما كان الأمير محمد بن عبد الرحمن أميراً على ماردة احتبس لرجل يهودى جارية أعجبته بعدما غالى اليهودي فى ثمنها ، فاختلسها الأمير منه بواسطة عبيده ، فقام اليهودى إلى القاضى سليمان بن أسود الذى قال للأمير وإلى ماردة: إن هذا اليهودى الضعيف لايقدر أن يدعى على الأمير بالباطل، وقد شهد عندى قوم من التجار ، فليأمر الأمير بإنصافه"[٣] ، ورجعت الجارية لليهودى .

وقد عمل بعض اليهود وظائف الدولة مثل حسداى بن إسحق الإسرائيلى الذى استوزره الخليفة الناصر ، وقام بعدة سفارات إلى النصارى[٤]، وكلف بروخ اليهودى " بمهام دبلوماسية كذلك[٥]، وفى عهد ملوك الطوائف احتل إسماعيل ابن النغريلة مكانة كبيرة فى بلاط بنى زيرى فى غرناطة ، وأدار مملكة غرناطة ، وخلفه ابنه يوسف الذى أساء السيرة، فقام عليه المسلمون فقتلوه ومعه عدد كبير من اليهود فى غرناطة[٦].

---

(١) الحضارة العربية في الأندلس (ت الطاهر مكي ، دار المعارف ١٩٨٤م) ١٣٢.

(٢) الأحكام الكبرى ٨٣ .

(٣) الناهى: المرقبة العليا ٥٦،٥٧ .

(٤) ابن حيان: المقتبس ٥/٤٦٦، صاعد البغدادى طبقات الأمم ٨٨ .

(٥) ابن حيان: المصدر السابق ٥/٤٥٧.

(٦) ابن الخطيب: الإحاطة ١/٤٤٦ ، مذكرات الأمير عبد الله ٣١، الطاهر مكى: دراسات أندلسية ٥٤ وما بعدها .

وهكذا مارس اليهود سائر الأعمال : الفلاحة والتجارة فى الذهب والمجوهرات والرقيق والرهونات والصاغة ، وأطباء ومترجمين وفى دواوين الدولة ، وكانوا من أفضل الجاليات فى الأندلس وتجارها يأتون بعد تجار المسلمين[١]مكانة .

ب) اليهود في المغرب :

و كان اليهود من العناصر والطوائف المتواجدة في المغرب قبل فتح الإسلامي، وكثروا أكثر في المغرب الأقصى ، واستوطن اليهود عدداً من المدن المغربية و بخاصة الحواضر الكبرى ، فوجد في القيروان سوق لليهود ودكاكين للرهادنة[٢]، وتعاملوا بالربا في أسواق القيروان حتى جبههم القاضي عبد الله بن طالب بشدة ، ومنع تعاملهم بالربا[٣]، وهذا يعني تأثير اليهود السيء في اقتصاد القيروان.

وكان يهود فاس أكثر يهود المغرب [٤]، وعندما بنيت فاس أتوا إليها من سائر مدن المغرب وبنوا الديار والحوانيت والرباع [٥]، وبلغت الجزية عليهم ٣٦ ألف دينار كل سنة[٦]، مما يوحي أن عددهم تراوح بين ١٢ ألف شخص قادر على دفع الجزية كما وجدوا في سائر بلدان المغرب الأقصى مثل نكور ، وسمى أحد أبوابها بباب اليهود[٧]، وفى حصن داى بتادلا[٨]، وفى أغمات وريكة[٩]و أغمات إيلان [١٠]وفى مدينة آسفى[١١] ، ووجدوا في مكناسة[١٢]، وبادس[١٣]، وكثروا بحاضرة سجلماسة، وشكلوا قوة اقتصادية تحكموبها في

---

[١] اندريه ميكيل: الإسلام وحضارته(ترجمة زينب عبد العزيز) ٢٢٤

[٢] ابن خرداذبه :المسالك ٢١.

[٣] المالكي : رياض النفوس١/٢٦١ ، ٣٧٧.

[٤] البكري :المغرب ١١.

[٥] ابن أبى زرع :الأنيس المطرب ٢٠.

[٦] السابق نفسه ٢٠.

[٧] البكري : المغرب ٩٠ ، ابن عذارى : بيان المغرب ١/١٧٦.

[٨] البكري : المغرب ١٥٤.

[٩] الإدريسي :وصف المغرب ٦٩.

[١٠] المصدر السابق ٧٠.

[١١] الوزان : وصف أفريقيا ١٥٧.

[١٢] البيدق :أخبار المهدي ٧٦.

[١٣] مارمول : أفريقيا ٢/٢٣١.

اقتصاد سجلماسة، فحنق عليهم أهلها، وفشوا بهم إلى المهدي الفاطمي الذي صادر أموالهم وممتلكاتهم ، وأجبرهم على العمل في الكنافة والبناء ، لكن هذه المحنة لم تدم ، وعادوا إلى سابق عهدهم في التعامل بالذهب[١].

ووفرت لهم مدن المغرب الأقصى فرصة كبيرة للعمل التجاري، فجذبهم الاستقرار والرخاء الاقتصادي لوقوع الطرق التجارية الهامة في بلاد المغرب الأقصى التي تحمل السلع وبخاصة الذهب، لذلك وجد تجار من اليهود على طول الطريق التجاري بين مدن المغرب الأقصى وبلاد غانة[٢]، وربط يهود المغرب بين تجارة الأندلس مع بلاد أوربا الغربية والفرنج، فكانوا يسلكون منطقة السوس الأقصى خلال طريقهم من المشرق إلى المغرب، ومن المغرب إلى المشرق براً وبحرا[٣]

وعمل بعض اليهود في الصناعات وبخاصة التعدين في مدن درعة وداى وفازاز التي سكنها عدد من اليهود، ومارس بعضهم حرفتي الصناعة والصيرفة بل كانت مهنة الصباغة تكاد تنحصر فيهم يتوارثونها لا يدخلون أحداً من المسلمين فيها، وهم أيضاً مهرة في حرفة الصيرفة والمال [٤] .

وهم يحصنون الأماكن التي يسكنون فيها حفاظاً على أموالهم وممتلكاتهم فسكنوا حصن فازاز ، " وكان اليهود أكثر سكانه؛ لأنهم سوقة فيلجأون إلى الحصن تحوطاً على سلعهم[٥]"، وسكنوا في أحياء خاصة بهم – غالباً–، وهذا لا يمنع إقامتهم واختلاطهم بالمسلمين، فقد اشترى على بن يوسف بن تاشفين أرضا من اليهود بجوار جامع القرويين لتوسيعه[٦]، إلا أن بعضهم كان يشرب الخمر فيؤذى جيرانه مثل اليهودي الذي اشترى داراً من مسلم في درب يقطنه أهل الخير، وتأذى الجيران بما لا يجوز فعله كشرب الخمر"[٧] .

---

[١] مجهول : الاستبصار ٢٠٢ ، بوفيل: تجارة الذهب ١٥١١.

[٢] البكري : المغرب ١٤٨ ، ١٤٩ ، ١٥٥ ، ١٧٤

[٣] ابن خرداذبة : المسالك والممالك ١٥٤،١٥٣

[٤] مجهول : الاستبصار ١٨٧، ٢٠٢ .

[٥] الحميرى : الروض المعطار ٤٣٥.

[٦] ابن أبى زرع : روض القرطاس ٣٩ .

[٧] الونشريسي : المعيار ٤٣٧/٨ .

وكان اليهود – كأهل ذمة – يؤدون الجزية للمسلمين مقابل حمايتهم ، فقدم أهل فاس من اليهود، مبلغ ٣٦٫٠٠٠ دينار[١]، وكان لليهود الهيئات القضائية الخاصة التي تقضى المنازعات بينهم [٢]

وتقدم لنا النوازل معلومات جديدة حول الحياة اليومية لليهود في الأندلس والمغرب، ودورهم الاقتصادي والاجتماعي ، فتتحدث نازلة عن "رجل يهودي اشترى من مسلم في درب، ليس فيه إلا المسلمون من أهل العافية والخير، فسكن اليهودي الدار ، وآذى الجيران بشرب الخمر وفعل ما لا يجوز ، وللدرب بئر بإزاء هذه الدار ، فصار يملأ معهم بدلوه فامتنع أهل الدرب من الامتلاء منها .. ورأى الفقهاء بأن يمنع اليهودي من إيذاء الجيران ، بما وصف من شرب الخمر ، وفعل ما لا يجوز فإن انتهى وإلا اكتريت عليه الدار [٣]، "ورفع بعض الأهالي نازلة تتساءل عن منع اليهود من الاستقاء من نهر في وسط بلدة المسلمين الذين يتوضئون فيه ويتطهرون ويغسلون ثيابهم ، ولم يجز الفقهاء هذا المنع ؛ لأن النهر لا يفسد ولا ينجسه أن يكون الثوب نجساً والمسلمين يغسلون فيه نجاستهم [٤].

وصرح سؤال عن رجل يهودي قد ربى مع مسلمين ، فربما جاءوه في حاجة أو عرضت له إليهم حاجة، وربما مشى في طريق ملاصقة لهم، فيجرى بينهم حديث وابتسام وكلام لين، وأجاب الفقهاء "أما جارك من أهل الذمة فيستقضيك حاجة لا مأثم فتقضيها له، فلا بأس ... وما عليك منه إن أنت لم تكثر ولم تفرط فيه، ولكن بقدر ما يدعو إليه حق الجوار[٥]".

وقد يتقاضى اليهود أمام القضاء الإسلامي ، فسئل ابن العطار عن جماعة من اليهود يطالبون شخصاً منهم بمظالم ودعاوى ، ويزعمون أن لهم براهين ببينة اليهود، ويذهبون إلى محاكمته ببينة اليهود، والمدعى عليه يرغب بمحاكمته عند حكام المسلمين ، إذ بيديه وثيقة

---

[١] ابن أبى دينار: الأنيس ٦٤ ، أمين الطيبى: جوانب من النشاط الاقتصادي في المغرب الإسلامي (مجلة البحوث التاريخية) ع سنة ١٩٨٤ ٤٥٨،٤٥٧

[٢] محمد بن عبد المجيد : اليهود في الأندلس ٤٠

[٣] الونشريسي : المعيار ٤٣٧/٨.

[٤] المعيار ٤٣٣/٨ ، ٤٣٤.

[٥] المعيار ٣٠٠/١١ ، ٣٠١.

عربية بعدول المسلمين مما يطلبونه به، وأجاب ابن العطار " :اذا أظهر المطلوب الوثيقة التي فيها براءته وقطع الحجة عنه في هذا المطلب ، وكان شهوده مسلمين عدولاً ، وممن يرضى تعديلهم ، لزمت الطالبين له محاكمته إلى حكام المسلمين ، ولم يكن لهم رفعة إلى حكامهم [1].

ورفعت نازلة إلى فقهاء قرطبة في القرن الرابع الهجري تخص يهودي ذكر أن امراة طلبته ،وهي منهم عند قضاتهم بأشياء ادعتهاعلى أبيه ، وأن بيده سجلاً لقاضي الجماعة ، ووثائق متعددة بالخط العربي ، وشهود المسلمين ، وأثبت أن قضاة اليهود وفقهاءهم على عداوة أبيه ، وأنت المرأة ، وزعمت أن حقها ثبت عند قضاتهم وشهودها من اليهود ، ومتى خرج نظرها عنهم بطل حقها . فأجاب أحد الفقهاء بقوله: الذي جرى به العمل ببلادنا إذا تظالم اليهود فيما بينهم في الأموال والحقوق ، ودعا أحد الخصمين منهم إلى حكم الإسلام ، ودعا الثاني إلى قضاتهم ، أن يرفعوا إلى قضاتهم ، كيف والطالبة تقول: إن شهودها من أهل ملتها ولا تمكنهم من الشهادة إلا عند قضاتهم . وإنما يخير حكم المسلمين في الحكم بينهم أو يصرفهم إلى قضاتهم إذا جاءوا راضين بحكم المسلمين [2].

وكان المسلمون يسألون الفقهاء عن معاملة اليهود بالبيع والشراء والاستدانة ، فسمح بذلك على ما يجوز شرعاً [3]، وعمل بعض اليهود بالطب ، وقد يضيع منه أمة يطببها ، فيقوم صاحبها بطلب الضمان على الطبيب اليهودي [4]، وأكرى رجل من يهودي دراباً ، فيأتي يوم السبت فيريد اليهودي الإقامة [5].

واشتهر اليهود بسوء المعاملة المالية و استحلال أموال المسلمين ، مثل رجل من يهود الذمة استظهر على رجل من المسلمين بثلاثة رسوم أحدما لتاريخه (١٥) عاماً ، و الرسمان لتاريخهما أحد عشر عاماً ، وذكر أنه بقيت لهم من كل واحد منها بقية ، وطلبه بها،

---

(١) المعيار ٥٦/١٠.

(٢) المعيار ١٢٨/١٠ ، ١٢٩ ، وهناك إجابات أخرى لا تخرج عن فتوى ... هذا الفقيه .

(٣) المعيار ٢٤٤/٥ .

(٤) المعيار ٨ / ٣١٩ .

(٥) المعيار ٢٦٢/٨ .

فقال المسلم إنه خلصه من الرسوم [1]، وهناك مسألة قريبة من ذلك ، وهي أن اليهود المشتغلين بالمعاملات المالية في القرى وغيرها يستظهرون برسوم شرعية بديون على أناس، وتواريخ الرسوم بعيدة التاريخ منها ما يكون ٢٠ عاماً وأزيد ، والغرماء يدعون الخلاص ولا بينة لهم ، واليهود ينكرون القبض [2].

❀ ❀ ❀

(١) المعيار ٥/٢٤٤ ، ٢٤٥.

(٢) المعيار ٥/٢٤٥ .

سادساً : عناصر سكانية أخرى

١) الصقالبة :

تعود أصول الصقالبة إلى الجيلقيين و الألمان والفرنسيين والإيطاليين وغيرهم من بلاد أوربا الوسطى والجنوبية ، وجلب الصقالبة عن طريق الحروب التى كثرت فى الأندلس حتى إن الصوائف والشواتى كانت منتظمة على أرض الشمال الأندلسى ، وعرف المنصور بن عامر بالجلاب لكثرة ما كان يأتى من أسرى وغنائم ، وانتشرت تجارة الرقيق فى سائر العالم فى هذا الوقت ثم تأتى إلى الأندلس عن طريق التّجار اليهود(١). الذين يخصون هؤلاء الأطفال قبل بيعه(٢) وأتى بعضهم عن طريق القرضة البحرية .

وعرفت الأندلس الصقالبة منذ وقت مبكر، فاستخدمهم عبد الرحمن الداخل فى جيشه بسبب تآمر العرب اليمنية على اغتياله(٣)، وبلغوا فى عهد الحكم الربضى نحوألفى صقلبى فى خدمته ، وأخذ نفوذ الصقالبة فى التزايد وملكوا الأراضى والمنيات والجنان نتيجة توليهم مراكز الدولة العليا مثل الوزارة مثل بدر بن أحمد فى عهد الناصر الذى تولى الحجابة والوزارة وخطةالعرض والخيل والرد(٤)،

واختلف فى عدد الصقالبة الذين عملوا فى قصور الناصر الأموي ، فقيل ٣٧٥٠(٥) ذكر و٦٨١٤ من النساء ، وذكروا أن عددهم فى الزهراء ٦٧٨٦ فتى(٦).

وتعددت الأعمال التى قام بها الصقالبة فكان منهم الجند المرتزقة الذين تولوا وظائف الدولة الكبرى مثل الوزارة والقيادة وسائر الخطط ، وهؤلاء بلاشك امتلكوا الأراضى الزراعية إقطاعاً أو شراء ، ومن هؤلاء نجدة بن حسين الصقلبى الذى أسند له

---

(١) بروفنسال: حضارة العرب فى الأندلس ٨٥ ، عنان: دول الإسلام فى الأندلس ع١/ق٢/٤٥٠.

(٢) العبادى: الصقالبة ٨

(٣) المقرى: نفح الطيب ١/٣٣٣ العبادى: الصقالبة١٢ .

(٤) ابن حيان: (ت ملشور) ١٠٠، ١١٢، ١٣١

(٥) مجهول: وصف جديد لقرطبة ١٧٠

(٦) كليليا: مجاهد العامرى ١٠

الناصر جليل أمره ، وتولى بدربن أحمد الصقلبى الحجابة والردو الطراز[١]، وغالب بن عبد الرحمن الصقلبى الذى ذاع صيته فى عهد الحكم المستنصر، فكان فارس الأندلس بلا مدافع وصاحب مدينة سالم[٢]، وجعفر بن عثمان المصحفى تولى الجزائر الشرقية ثم تولى الحجابة للحكم المستنصر[٣]، وتولى الفتى أفلح الشرطة وخطة الخيل ، وتولى ابنه زيادة بن أفلح مدينة الزهراء[٤]، وتولى أولاد محمد بن أفلح الثلاثة وهم : هشام، وعبد الرحمن ، وعبد الملك خطة العرض[٥]، وتولى خلف الفتى خطة الطرازسنة٣١٣هـ/٩٢٥م[٦]، وتواى قند الصغير طليطلة سنة ٣٢٦هـ/٩٣٧م[٧]، وأسند إلى طرفة بن عبد الرحمن الصقلبى خطة المواريث[٨]، وتوالى نجدة بن حسين الصقلبى خططا عديدة للناصر[٩].

وفى عهد الحكم المستنصر تولى فائق البردو الطراز، جؤزر الصناعة والبيزرة[١٠]وتولى درى الفتى الخزانة[١١]، وكان تليد الفتى صاحب الخزانة العلمية فى قصر المستنصر[١٢]، وأسند إلى ياسر الفتى أمانة العطوب والنزائل وقت الأزمات والكوارث ، وتولى درى عريف الخياطين فى قصر المستنصر[١٣]، وأسند إلى بشر الفتى وسرور ونصر أعمال الزيادة فى جامع قرطبة[١٤].

وتميزت بذلك الوضعية السياسية والاقتصادية للصقالبة فأصبحت على درجة جيدة،

---

[١] ابن الأبار: الحلة السيراء٢٥٣/١ .

[٢] ابن بسام: الذخيرة ٦٣/١/٤ .

[٣] ابن سعيد: المغرب ١٨٧/١.

[٤] ابن حيان: المقتبس (ت الحجى) ١٠٣ .

[٥] المصدر السابق ١٠٤ .

[٦] ابن عذارى: البيان المغرب ٢٣٥/٢ .

[٧] ابن حزم: طوق الحمامة ١٥٣.

[٨] ابن حيان: المقتبس : (ت شالميتا)٤٨٨.

[٩] المصدر السابق ٤٨٩ .

[١٠] البيان المغرب ٢٥٩/٢ .

[١١] ابن حيان : المقتبس (ت الحجى) ١٠٣.

[١٢] المقرى: نفح الطيب ١٥٨/١

[١٣] ابن حيان: المقتبس (ت الحجى) ٩٢ .

[١٤] المصدر السابق ٢٥٠ .

بسبب التصاقهم بأعيان وأكابر المجتمع الأندلسى وقربهم من الأمراء الأمويين ، ومن عمل منهم فى أراضى الملاك شارك فى رخاء الأندلس ، وبعضهم عمل فى سائر الصناعات والحرف المعتمدة على ما تغله الأرض ، فكان للطبيب الأندلسى عمر بن بريق ستة عشر صبيا من المماليك[١]، وكان لدى أحد الصقالبة مبلغ ثمانية آلاف دينار[٢]كما يوحى بثراء بعض الصقالبة وقدرتهم على شراء الأرض الزراعية .

٢) الفرس :

وقام الفرس بدور واضح في تاريخ المغرب العربي سياسياً وحضارياً، وبدأ وفود الفرس مع العرب في فترة الفتح، وظهر أثرهم في إنشاء المحارس والمعاقل والحصون والقلاع في عصر الولاة[٣]، وتولى بعضهم الولاية في أفريقية مثل محمد بن يزيد من الموالى الفرس[٤]، وإسماعيل بن عبيد الله مولى بنى مخزوم[٥]، وخدم بعضهم في دواوين الدولة مثل كيسان الفارسي الذي خدم للدولة الأغلبية[٦]، وأحمد بن أحمد بن زياد الذي كان عالماً بالوثائق ووضع فيها أجزاء أجاد فيها[٧].

وشكل الفرس نسبة سكانية في المغرب الأوسط، وعدّوا العنصر الثالث بعد البربر والعرب[٨]، وساعد قيام الدولة الرستمية على استقرار الفرس بها ؛ لأن مؤسسها – قيل – ذو أصول فارسية ، وتذكرهم المصادر باسم العجم ، وتقلدوا قيادة الجيش الرستمى وأرفع المناصب[٩].

وتواجد الفرس – أيضاً – في المغرب الأقصى ، ولهم في فاس فج يعرف باسمهم

---

(١) ابن جلجل: طبقات الأطباء والحكماء ١٠٧.

(٢) ابن حيان: المقتبس (ت مكى) ١٧

(٣) أبو العرب : طبقات علماء أفريقيا ٥٦

(٤) السلاوى : الاستقصا ١/١٠٠ ، محمود إسماعيل : مغربيات (المكتبة المركزية ، فاس ١٩٧٧م) ٨٧.

(٥) المصدر السابق ١/١٠١

(٦) المالكي : رياض النفوس ١/٨٠ .

(٧) أبو العرب : الطبقات ٢٥١ .

(٨) حسن على: أخبار الأئمة الرستميين ١٤٥ .

(٩) محمود إسماعيل : الخوارج في المغرب ١٢٧.

"فج الفرس " وباب من أبواب فاس عرف بباب الفرس [١]، وكذلك في بلاد الهبط وصنهاجة والريف[٢]، ففي بلاد صنهاجة فج الفرس[٣] .

وكان للفرس إسهامات في الحياة الاقتصادية المغربية فساعدوا في نقل الساقية والخطارة ونقل نظام الري المستخدم فيه القنوات المشقوقة تحت الأرض لتفادى التبخر[٤]، وعمل كثير منهم في التجارة ، فأحدهم من أكابر تجار سوق الأحباس ، وكان يستورد الساج "الطيلسان الغليظ"[٥]، وفى المغرب الأوسط بنى ابن وردة الفارسي سوقا سماه باسمه ، ومنع صاحب الشرطة من التجول فيه لهيبة ابن وردة عند الناس[٦]

❀ ❀ ❀

---

[١] البكري :المغرب ١٠٧.

[٢] البكري: المغرب ١٠٥.

[٣] أبن أبى زرع : الأنيس المطرب ٥٢.

[٤] البكري : المغرب ١٤٦، لومبار :الإسلام في عظمته الأولى٤٩، ٥٠ ، كلود كاهن: تاريخ العرب ١٢٠.

[٥] الدباغ: معالم الإيمان ١/١٩٢،١٩٣

[٦] ابن الصغير : سيرة الأئمة الرستميين ٢٧.

المبحث الثاني

فئات السكان والملكيات الزراعية

المبحث الثاني

فئات السكان والملكيات الزراعية

فئات المجتمع الأندلسي والمغربي

أقر الفكر الإسلامي باختلاف أقدار الناس وتفاوت أحوالهم ، ورتبهم فئات وشرائح حسب مراتبهم في الكسب والمعيشة وسعة المال ، فكان هناك أهل السعة والأملاك من أهل السلطان ومستنفذي أهل القلم وأرباب الخطط الإدارية وكبار التجار[١]، وتلي ذلك متوسطو الحال الذي قال فيهم أبو الوليد الباجي: " وأسلم الطبقات الطبقة المتوسطة لاتهتم من دعة ولا ترمق من رفعة[٢]، وهم عند الجاحظ [٣]" أورع الناس أبداً وأهنأهم عيشاً وآمنهم سرباً "فهم قد يتشوفون إلى المزيد ولا يخافون كثيراً من النقصان" وفي الدرجة الوسطى يرجو الازدياد ، وبينها وبين المخاوف حجاب[٤]، وشملت هذه الطبقة فئات وشرائح العلماء وأهل القلم ومتوسطي التجار ، ومعظم هؤلاء كانت لهم أملاك زراعية عملوا فيها بأنفسهم أو أنابوا عنهم وكلاء ، وتهبط الفئات والشرائح وقت الأزمات الطبيعية والسياسية والاجتماعية، والاقتصادية إلى درجة العوام ، وفي هذا تغير في نسب الفئات الإجتماعية ، وينتج عن هذا خطورة على المجتمع ، إذ كلما زادت نسبة الفئات والشرائح المتوسطة كلما كان المجتمع أكثر تماسكاً وتحضراً .

ثم تأتي فئات وشرائح العوام ، وهي تتصف بعوام الناس أو غمار الخلق [٥] أو السواد ، وتشمل الصناع والأجراء والخدم والعبيد والفلاحين والباعة وغيرهم[٦].

١) أملاك الحكام والأمراء وأصحاب الوظائف

امتلك بنو أمية أملاكاً كثيرة في أنحاء الأندلس ، فمنذ تكوين عبد الرحمن الداخل

---

[١] اخوان الصفا : الرسائل ٢٤٨/١، ابن رضوان: الشهب اللامعة ٣١٨

[٢] وصيته لولديه ٤٥ .

[٣] التاج في أخلاق الملوك " المنسوب له " ١٥٦ .

[٤] الباجي : المصدر السابق ٤٥ .

[٥] ابن سيده: المخصص ١٢٧/٣/١ .

[٦] ابن عبد ربه : العقد الفريد ١٥٢/٢، ابن بسام: الذخيرة ٧٧٧/٢/٢ .

السابقة ، فكان هناك دار للمطرف بن الحكم الربضى بقرطبة ، ودار لعبد الله بن عبد الرحمن الأوسط قرب باب القنطرة ، ودار محمد بن سعيد الأموى بمنية ، ودار مطرف بن الأمير عبد الله على مقربة من قنطرة قرطبة[1]، ودار محمد بن اسحاق بسرقسطة[2].

وامتلك أفراد البيت الأموى المنيات ، وهى جنات وبساتين للنزهة والراحة ، ويحيط بها فى الغالب الأملاك الزراعية مثل منية المغيرة ابن الأمير الحكم الواقعة شرقى قرطبة " المدينة الشرقية "[3]، ومنية المنذر بن عبد الناصر" ابن القرشية " الواقعة فى منطقة السماما " أو الشاعات" على نهر قرطبة[4].

وملك بنو أمية الأملاك الزراعية والأموال المصادرة ، مثلما حدث مع أملاك يوسف الفهرى وضياع أرطباش القومس وأملاك مولاه بدر[5]، وأملاك الصميل بن حاتم الذى امتلك ضيعة كبيرة عرفت "بعقدة الزيتون" واقعة فى إقليم المدور واحتوت على ما يقرب من ١٠٠٠٠٠ شجرة[6]، وصادر عبد الرحمن الثانى أملاك رئيس خاصته نصر الفتى ، ومنها منية نصر وأقطعت للمغنىالشهير زرياب[7]، وصادر الأمير المنذر بن محمد أملاك وضياع القائد هاشم بن عبد العزيز وأولاده سنة٢٧٣هـ/٨٨٦م [8]، وكان الناصر عندما ينزل الثوار يمنح إقطاعاتهم لرجاله وخاصته مثلما فعل مع حصون جيان "أخلى مواطنهم منهم، واستعمل على حصونهم ومعاقلهم ثقات رجاله"[9]، وشك برجاله كل حصن افتتحه ، ونظر فى مصالحه فانحسم الداء[10].

واشترى الأمراء الأراضى، فاشترى عبد الرحمن الداخل منية الرصافة من ورثة

---

[1] ابن حيان: المقتبس ١٨/٥، ١٩، ٢٠ ، (ت الحجى١٥٣)، السيّد سالم، قرطبة ٢٢٠/١، ٢٢١ .

[2] العذرى: نصوص عن الأندلس٥٢ .

[3] أحمد فكرى: قرطبة ١٧١، حسين مؤنس: وصف جديد لقرطبة ١٦٩

[4] ابن حيان: المقتبس (ت الحجى) ٤٣، ٢٢٨، السيد سالم : قرطبة٢٠٩/١، ٢١٠.

[5] ابن الخطيب": الإحاطة ٤٤٥/١ .

[6] ابن القوطية : تاريخ افتتاح الأندلس ٦٠، مؤنس: فجر الأندلس٦٣٢ .

[7] ابن حيان: المقتبس (ت مكى) ١٣.

[8] ابن عذارى البيان : المغرب ١٥٥/٢، ١١٦ .

[9] ابن حيان: المقتبس ٦٦/٥ .

[10] مؤنس: وصف جديد لقرطبة ١٦٨

رزين البرنسى البربرى ، واشترى الأمير عبد الله منية الناعورة ، من خليل البيطار [١]، وأحياناً تهدى الأملاك للأمراء ، فأهدى الوزير أحمد بن شهيد سنة٣٢٧هـ/٩٣٧م قريتين كبيرتين من أرياف قرطبة وجيان للخليفة الناصر [٢]، وأهدى درى الأصغر الخازن المنية الرمانية للحكم المستنصر سنة٣٦٢هـ [٣].

وتقدم الأمير محمد فى ابتياع الدور الفخمة والضياع المغلة لأخوته بحسب مقاديرهم " ومن يدخل الأندلس من بنى أمية يجرى له الأرزاق ويقطع ، فدخل الأمويون إلى الأندلس أيام عبد الرحمن بن الحكم فأكرمهم الأمير وأقطعهم ، وأجرى لكل واحد من الرزق بالمشاهرة ثلاثين ديناراً... وخص سراتهم بالقطائع الواسعة" [٤] ومثله فعل الخليفة الناصر الذى أقطع الأرض لأبنائه وأسرته و"سلك الخليفة الناصر لدين الله بذكور الأولاد لأول توالى مواليدهم له مسلك الأمير محمد أبى جده فى ذكور أولاده من تعجيله النظر لكل واحد منهم أول ترعرعه بقصر يسكنه ، وضياع تغل له وعقار بداخل البلد يجرى عليه خرجه إلى رزق هلالى ومعروف ساى يجريهما عليه ... ويختار لكل واحد منهم فى وجوه الناس وأولى مرواتهم وكيلاً يسند بشأنه إليه ويقلد النظر فى داخله وخرجه وأمر قصره وضياعه يرزقه على ذلك ما يقوم به ، فلا تزال نعمة الولد منهم تنمى بنمو سنه وينوب بحسن النظر والادخار لما فضل من دخله... ولم يكن ينشأ له غلام من بنيه إلا ابتنى له بالمدينة معه قصراً يقرنه لكل واحد بمنية بستان بخارج البلد في أمكنة متنزهاته الحسنة ، وأضعف لهم على ذلك الأرزاق الهلالية والمعارف السنية ، أوسع لهم من الضياع المغلة والعقار الخراجية ، واختار لهم كفاة من وجوه وكلائه ألزمهم وكالتهم والقيام بشؤونهم [٥].

وحاز رجال البيوتات الأندلسية المشهورة الكبيرة وكبار الموظفين الأملاك الكبيرة فى الريف والبوادي ، وتوارثها عنهم الأبناء وحصلوا على هذه الأملاك عن طريق الإقطاعات من الأمراء ، فأقطع الأمير عبد الرحمن الأوسط أبا زكريا يحيى بن قرين قطائع

---

(١) ابن حيان: المقتبس (ت مكى) ٢٣٤ ، ابن الأبار: الحلة السيراء ٤٣/١ .

(٢) المقرى: أزهار الرياض ٢٣٦/٢،٢٦٤

(٣) ابن حيان: المقتبس (ت الحجى) ١٠٦،١٠٧.

(٤) ابن حيان : المقتبس (ت مكى) ١٩٤،١٩٥.

(٥) ابن حيان : المقتبس (ت شالميتا) ١٤ ، ١٥

في قرطبة [١]، وكان لأيدون الفتى الصقلي فدان بعدوة الوادي الكبير [٢] ، وامتلك جهور بن يوسف بن بخت القرطبى ضياعاً كثيرة فى كورة شذونة ، يتفقدها من آن لآخر[٣]وامتلك عبيد الله بن بدر ضيعة كبيرة بضواحى قرطبة[٤]، ولأصبغ بن عبيد الله بن وانسوس البربرى عدة ضياع بماردة[٥]، وكان لنصر الخصى أملاكاً كثيرة ومنية بعدوة الربض الشرقى على نهر الوادى الكبير ، وله قصر على قطعة أرض بربص شقندة[٦]، وملك بنو عبد الجبار قرى بأكملها فى تدمير مثل قريتى ترسة وقرية تل الخطاب وغيرها ، واستضاف أحمد بن عبد الرحمن بن عبد الجبار المنصور بن أبى عامر وجميع عسكره أياماً، وأهدى للمنصور قناطر من الفضة الخالصة ، مما يوحى بثراء هذا الرجل من امتلاك الأرض الزراعية[٧]، وكان لعبد الملك بن شهيد أملاكاً زراعية شاسعة فى كورة تدمير، اشترى لها العبيد لزراعتها[٨]، وحاز ابنه أحمد بن عبد الملك أملاكاً زراعية كثيرة فى قرطبة وجيان حتى أنه أهدى الخليفة الناصر قريتين فى قرطبة وجيان[٩]، وكان لمحمد بن سعيد بن السليم أملاكاً زراعية كثيرة غلَّت عليه أموالاً وافرة حتى إنه أهدى للخليفة الناصر ١٠٠٠٠٠ دينار دراهم[١٠]، وملك بنو الزجالى أملاكاً كثيرة منها محلة الزجالى ، ولهم صير الزجالى خارج باب اليهود ، وهو من أجمل المواضع وأحسنها[١١]، وملك درى الفتى الصقلى منية بوادى الرقاق ، وهى المنية الرمانية ، وصرف عليها أموالاً كثيرة حتى أوصلها إلى ما كانت عليه من البساتين المسقية والأراضى المزروعة والعبيد والحيوان ، وتقرب للخليفة الحكم المستنصر بالله بأن أهدى

---

(١) ابن الخطيب : الإحاطة ٤٥٥/١ ، المقري : نفح الطيب ١٣، ٤٠

(٢) محمد عبد الوهاب خلاف: وثائق شئون الحسبة ١٣٢

(٣) الزبيدى: طبقات اللغويين والنحويين ٢٩١

(٤) مجهول: أخبار مجموعة ١٩

(٥) ابن عذارى: البيان المغرب ٧٢/٢

(٦) المقتبس ٣٨/٣، السيد سالم : معالم قرطبة فى شعر الله زيدون (مجله معهد الدراسات الإسلامية العدد ٢٢سنـ١٩٨٤) ١٠٢.

(٧) العذرى : نصوص عن الأندلس ١٥ .

(٨) ابن بسام: الذخيرة ١٩٨/١/١.

(٩) المقرى: أزهار الرياض ١٦٣/٢،١٦٤ .

(١٠) ابن عذارى : البيان المغرب ٢٢٥/٢،٢٢٦ .

(١١) ابن خاقان : قلائد العقيان ١٥٣ .

إليه هذه المنية مما يدل على كثرة أمواله[١]، و كان لآل خطاب أملاكاً زراعية كثيرة في مرسية ، حتى إن أحمد بن وجيه بن خطاب استضاف المنصور وجيشه ثلاثة عشر يوماً لم ينفق أحد منهم مثقال درهم[٢]

تكونت هذه الفئة في المغرب من الأمراء وأهلهم وقادة الجند ورجال الدولة من كبار الموظفين مثل : الوزراء ، والكتاب ، والولاة القضاة ، والأعيان ، والأسر الشهيرة، ويحوز الأمراء الأرض من أرض الصوافي أو استصلاح الموات ، وتؤول إليهم أراضي أمراء الدولة السابقة عليهم ، فورث الخلفاء الفاطميون أراضي وأملاك دولة الأغالبة والرستمية ، وقد وضح من خلال المصادر ثراء البيت الأغلبي وغناه[٣].

أما أمراء الدولة الرستمية فغلب عليهم التعفف منذ عهد والدهم عبد الرحمن بن رستم ، فعندما أتاه ثلاثة أحمال من إباضية المشرق تشاور مع مجلس الشورى المكون من رؤساء القبائل في أنسب الطرق لتوزيع هذه الأموال فأجمعوا رأيهم على تقسيم المال إلى ثلاثة أقسام : ثلث على الكراع، وثلث على الفقراء، وثلث للسلاح ، وتم توزيع المال كما اتُفِقَ عليه [٤]، وعندما عاد وفد المشرق بعد سنوات بأموال كثيرة ، وكانت الدولة الرستمية قد أصبحت قوية فقال لهم ابن رستم: "ارجعوا بمالكم فإن أربابه أحوج إليه منا ؛ لأننا في أرض قد استولى عليها العدل "[٥]، وكان الإمام يعقوب بن أفلح " إذا أتى وكيله بغلاته أمره بأن يجعلها تحت بردعة له يجلس عليها، وإذا أراد إخراج شئ منها دفعه بقضيب من يده " وكانت له بقرات يأمر بحلبها بين يديه في إناء جديد فإذا امتلأ شربه أجمع، ثم يقوم عليه ثلاثا لا يأكل طعاما ولا يشرب شراباً "[٦].

واستولت الدولة الفاطمية على أموال وأملاك الأئمة الرستميين ولم تقدم لنا المصادر نصوص صريحة لامتلاك الأراضي في المغرب ، ولكِن حرْص الدولة الفاطمية على جمع الأموال من شتى مصادره الشرعية وغير الشرعية معروف ، فقد خرج المهدي من

---

(١) ابن حيان: المقتبس (ت الحجى ١١٧).

(٢) العذرى: نصوص عن الأندلس ١٥

(٣) السيد سالم :المغرب الكبير ٤٠٧

(٤) ابن الصغير: سير الأئمة الرستميين ١٠،١١،١٢

(٥) الشماخى : السير ١٤١.

(٦) ابن الصغير : سير الأئمة ٥٤.

سجلماسة ترافقه أحمال التبر ، وأخذ أموال وذخائر إيكجان[١]، وأغرم كثيرا من المدن مثل طرابلس[٢]وبرقة[٣]، ويعرف ما بلغته الدولة الفاطمية من ثراء ما تقدمه من هبات وأعطيات مثلما صرح المنصور لتعليل كثرة إنفاقهم "لمباهاة الأعداء والدلالة على شرف أنفسنا ، وعلو همتنا ، وسخاء قلوبنا بما تضن به النفوس، ويشح به كل أحد"[٤]، وأنفق الخليفة المعز أموالاً كثيرة في ختان أبنائه ومعهم صبيان معظم مدن المغرب سنة٣٥١ هـ/ ٩٦٢م، "وكان الذي أعطاه الخاصة من الخلع على أقدارهم ما يتفاوت ويطول ذكره ، وكان الذي أُعطاه العامة من الصلة غير الكسوة لكل صبي منهم مائتا درهم إلى مائة وخمسين ، وأقل ما أعطاه المجهولون من أهل البوادي ونظرائهم وعبيدهم كل صبي منهم عشرة دراهم "[٥] وأنفقت أموال كثيرة على مرافق الدولة الفاطمية ، من ذلك إنفاق مائة ألف دينار لحفر قناة توصل ماء نهر أيوب إلى مدينة المنصورية[٦].

ولم تصلنا كذلك أملاك ومخصصات الأسرة الزيرية ، ولكن نفقاتهم لم تقل عن نفقات من سبقهم ، فقد أمر الأمير المنصور الزيري كاتبه عبد الله الكاتب بإعطاء مشايخ وعلماء القيروان ١٠٠٠٠ دينار[٧]، وأرسل مبالغ كثيرة إلى القاهرة ، وبلغت – كما قيل مليون دينار– ، وكلف المنصور الزيرى يوسف بن عبد الله الكاتب بناء قصره الكبير سنة ٣٧٥هـ بالمنصورية وتكلف ١٠٠٠٠٠" مائة ألف دينار من مال الخراج[٨].

وفى دولة المرابطين اقتصر يوسف بن تاشفين على الضروري من العيش فكان " عديم الرفاهية ، تَشَيَّب العيش على قاعدة البربر[٩]، غير أن بقية أمراء صنهاجة قد حازوا الإقطاعات منذ سنة٤٧٠هـ بعد استقرار الأحوال له " فوفد عليه – يوسف بن تاشفين – منهم جموع كثير ولاهم الأعمال، وصرف أعيانهم في مهمات الاشتغال، واكتسبوا الأموال وملكوا رقاب الرجال"[١٠]

---

[١] القاضي النعمان : افتتاح الدعوة ٢٨٩.

[٢] ابن الأثير : الكامل ٦٦/٨ .

[٣] ابن عذارى : البيان المغرب ١٧٠/١.

[٤] سيرة الأستاذ جوذر ٦٠.

[٥] القاضي النعمان : المجالس والمسايرات ٦٥٤/١، ٦٥٩.

[٦] المصدر السابق :١٧٣/١ وما بعدها.

[٧] ابن عذارى : البيان المغرب ٢٤٠/١.

[٨] المصدر السابق ٢٤١/١ ، سعد زغلول عبد الحميد : تاريخ المغرب ٣٠٩/٣.

[٩] ابن خلكان : وفيات الأعيان ١١٣/٧.

[١٠] مجهول : الحلل الموشية.

٢) أملاك العلماء والأدباء :

حازت هذه الفئة أراضى زراعية حققت لهم الاكتفاء والاستقلال العلمى والفكرى ، وآلت إليهم هذه الأملاك عن طريق الإرث أو الشراء أو الإقطاع أو الهدية وغيرها من الطرق الشرعية للتملك.

وهذه نماذج لأملاك أهل العلم والثقافة فى الأندلس :

* ورث الفقيه زهير بن مالك البلوى إقطاعاً كان لجده عدى بن جذيمة كان إقطاعاً من الأمير عبد الرحمن الداخل وتوارثه أبناؤه عنه[١].

* أقطع الأمير محمد الفقيه يحيى بن إبراهيم بن مزين القطائع والقرى[٢].

* أقطع الخليفة الناصر الأديب النحوى المشرقي أبا علي القالي بعض الأراضى لما وفد إلى الأندلس من بغداد[٣].

* أقطع الناصر الأديب الشاعر أحمد بن محمد بن أضحى الهمدانى إقطاعاً اشتمل على بعض الأراضى وما عليها من أرحاء[٤].

* ملك القاضي مصعب بن عمران الهمدانى ضيعة بجهة المدور من قرطبة[٥].

* وحاز الفقيه القاضي سعيد بن سليمان الغافقى على ضيعة فى فحص البلوط[٦].

* ملك الفقيه أبو وهب عبد الأعلى بن وهب(ت٢٦١ هـ/٨٧٤م) ضيعة بالقرب من مقبرة قريش بقرطبة وكان يزرعها بنفسه[٧] .

---

(١) ابن الفرضى : تاريخ علماء الأندلس رقم ٤٥٤ .

(٢) الخشنى : أخبار الفقهاء والمحدثين ٣٧١ .

(٣) ابن حيان : المقتبس ٤٧٥/٥، ٤٨٠ .

(٤) ابن الخطيب: الإحاطة ١٥٠/١، ١٥٣ .

(٥) الخشنى: قضاة قرطبة ٦٩، ١٣٦ .

(٦) الخشنى: قضاة قرطبة ٦٢.

(٧) الخشنى: أخبار الفقهاء ٣٦١.

* وكانت لأبى بكر بن هزيل ولأبى بكر بن القوطية ضيعتان بسفح جبل قرطبة[١].

* لزم الشاعر طاهر بن محمد بن عبد الله ضيعة واسعة الغلة ببلدته [٢].

* كان الطبيب حمد بن أبا واسع الثراء ، امتلك عدة ضياع استثمرها استثماراً طيباً[٣].

* ملك أحمد بن هشام بن أمية بن بكير أملاكاً فى قرية اختيانة من عمل قبرة ، ومثله خلف بن موسى بن فتوح المقرى حاز أملاكاً فى قرية أشبرة من أعمال سرقسطة[٤].

* ملك الفرج بن الحارث بن أبى الأسد أملاكاً فى قرية أبطلش من أعمال قرطبة ، وكان من المحدثين[٥]، ولبكر بن رداد أملاك فى أرياف إلْبيرَة[٦].

* سكن الفقيهان مكى بن صفوان بن سليمان بن سليم[٧](ت٣١٨) وسعيد بن نمر بن سليمان الغافقى[٨]. قرية بيرة وعملا فى أرضهما.

* ملك محمد بن يزيد بن رفاعة أملاكاً زراعية فى قرية طرش التابعة لإلْبيرَة ، وكان لغوياً شاعراً تفوق على النحوى المشرقى أبى على القالى فقال فيه الخليفة الحكم المستنصر: " الحمد لله الذى جعل فى بادية من بوادينا من يخطئ وافد العراق إلينا"[٩]

* ملك الخطيب الأديب سعيد بن محمد بن شعيب أملاكاً له فى قرية قبتور من أعمال إشبيلية[١٠]، ومثله الأديب الشاعر أحمد بن أضحى الهمدانى له أملاك زراعية فى قرية همدان[١١].

---

[١] المقرى: نفح الطيب ٧٤،٧٣/٣ .
[٢] ابن الفرضى: تاريخ علماء الأندلس ٣٦١/١ .
[٣] ابن جلجل : طبقات الأطباء ٣٩ .
[٤] ابن الأبار: التكملة رقم ٨٠٢ .
[٥] الخشنى : أخبار الفقهاء والمحدثين ٢٩٥ ترجمة ٣٩٨ .
[٦] ابن الفرضى: تاريخ علماء الأندلس رقم ٢٨٧.
[٧] الخشنى: أخبار الفقهاء رقم ٢٥٨.
[٨] المصدر السابق رقم ٤٣٥ .
[٩] المقرى: نفح الطيب ٧١/٧٠/٣ ، ابن الخطيب : الإحاطة ١٨٤/١٨٣/٣ .
[١٠] ابن بشكوال : الصلة رقم ٣٨٥.
[١١] ابن الخطيب: الإحاطة ١٥٠/١ ، ١٥٣ .

* ملك عبد الرحمن بن أحمد بعض الأملاك فى قرية عبلة التابعة لأعمال إلْبيرَة[1]، ومثله يوسف بن هارون الرمادى سكن قرية رمادة وحاز فيها أملاكاً[2]، ومثلهما الشاعر الشهير أحمد بن محمد دراج القسطلى الذى ملك أراضى فى قرية قسطلة وإليها نسب[3].

* كان للفقيه مصعب بن عمران ضيعة أدارها بنفسه[4]، ومثله الفقيه يحيى بن عمر ملك ضيعة بإشبيلية يعمرها بنفسه[5].

* وامتلك الفقيه سعيد بن سليمان ضيعة فى فحص البلوط ، وكان وكيله يأتى إليه بإنتاج أرضه فيقول : " هذا مقيتى ومقيت عيالى، وتولى القضاء ولم يأخذ أجراً على عمله[6].

* كان لمحمد بن الحسن النباهى أملاكاً فى مالقة وضيعة فى قرطبة[7].

* كان الفقيه يحيى بن عبد الله من سراة الناس كريماً، يطعم من ثمار بستانه ، ويعطى القريب طعاماً، ويقول له : " تستعين به إدامك"[8].

* ملك الفقيه عبد الله الباجى ضيعة وورثها عنه ابن أحمد الذى زادت ثروته فأصبح ذا جاه وثروة[9]. واشترط القاضي محمد بن بشير ان يكون راتبه من الفئ[10] ، وليحى بن معمر ضيعة له بإشبيلية ، ولما عزل من القضاء لم يوجد فى بيته إلا القوت الضرورى الذى تصدق به قبل رحيله من إشبيلية إلى قرطبة[11] ، وكان لمحمد بن حسن

---

[1] ابن حزم: الجمهرة ٢٦٠.

[2] الهمدانى: آثار البلاد ٥٤١.

[3] ابن دحية : المطرب ١٥٦.

[4] الخشنى : قضاة قرطبة ٢٥ .

[5] القاضى عياض: ترتيب المدارك ٣/٥١،٥٢ .

[6] الخشنى: قضاة قرطبة ٦٣ .

[7] النباهي : تاريخ قضاة الأندلس ٩٢ ، ٩٣.

[8] ابن الفرضى: تاريخ العلماء ترجمة ١٥٩٧، ترتيب المدارك ٤/٤١٣ .

[9] القاضى عياض: ترتيب المدارك ٤/٥٨١.

[10] عياض : ترتيب المدارك ٢/٤٩٧ .

[11] المصدر السابق ٣/٥٢ .

النباهى رزقاً من بيت المال وأموالاً وأملاكاً كثيرة وضيعة بقرطبة[1]، وعمل القاضي أحمد بن محمد بن زياد تاجراً قبل توليه القضاء ، وكان قد اقترض مبلغاً من المال لذلك[2]، واكتسب الفقيه عبد الله بن حسين "ابن السندى" (ت٣٣٥هـ/٩٤٦م) أموالاً كثيرمن تولى قضاء وشقة ولاردة[3]وكان القاضي ابن أبى عيسى (ت٣٣٩هـ/٩٥٠م) من الميسورين وذا أموال وأملاك كثيرة[4]وللفقيه محمد بن يبقى بن زرب (ت٣٨١هـ/٩٩١م) ، أموال وافرة من تجارته وضياعه ، وأشهد الفقهاء على ذلك عند توليه القضاء[5].

وكان للفقيه القاضي عبد الله الباجى (ت٣٧٨هـ/٩٨٨م) ضيعة[6]، وطلب من الحاجب المنصور بن أبى عامر إسقاط الضريبة عنها ، وكذلك كان ابنه القاضي أحمد بن عبد الله الباجى قاضى إشبيلية ذا جاه وثروة من أملاكه وضياعه التي ورثها عن أبيه[7]وكان محمد بن عبد الرحمن بن فطيس (ت٤٠٩هـ/١٠١٨م) ميسوراً من أملاكه وضياعه التى ورثها عن أبيه القاضي[8]. وكان إسماعيل بن عباد وافر النعمة ، وذكر أن أملاكه تعدل ثلث ثورته ضيعة وغلة ، هذا عدا ماله من ضياع وأملاك في قرطبة – وغيرها[9]، وآوى كثير من أهل قرطبة وقت الفتنة البربرية .

وللقاضى عبد الرحمن بن بشر قاضى الحموديين أملاك وأموال جعلته من الميسورين، وكانت له دور فخمة[10]وللفقيه أحمد بن يحى بن سميق (ت٤٥١هـ/١٠٥٩م) ضيعة فى طلبيرة يعيش منها ، وكان يشترى حوائجه بنفسه[11]، وامتلك القاضي أبو الوليد

---

(1) السابق ٧٣/٣.

(2) السابق ١٠٢/٣.

(3) ابن الفرضى :تاريخ علماء الأندلس رقم ٦٧٨ ترتيب المدارك ٤٥٤/٤.

(4) الحميدى :جذوة المقتبس رقم ٢١ ، عياض : ترتيب المدارك ٥٤٧/٤ .

(5) عياض : ترتيب المدارك ٦٣٢،٦٣١/٤ النباهى ٧٧.

(6) عياض :ترتيب المدارك ٥٨١/٤.

(7) السابق ٦٨٤/٤.

(8) ابن بشكوال :الصلة رقم ١٠٨٨.

(9) ابن الأبار : الحلة اسيراء ٣٧/٢، ابن بشكوال : الصلة رقم ٢٣٥.

(10) النباهى : قضاة قرطبة ٨٨.

(11) الصلة رقم ١١٩

الباجى أموالاً وضياعاً من ملوك الطوائف من الصلات والهدايا حتى توفى عن مال وافير[١]وللفقيه سعيد بن يحى الحديدى أموال وضياع كثيرة جعلته سببا لحسد معاصريه[٢] والفقيه عبد الرحمن بن سعيد التميمى (ت٢٦٥هـ/٨٧٨م) ذو مال عظيم وضياع ودنيا واسعة ، ومن أهل الجود واليسار[٣]، والفقيه عبيد الله بن يحى الليثى(ت٢٩٨هـ/٩١٠م) عظيم الجاه والمال والضياع[٤]وللفقيه اللؤلؤى حقول مزروعة وضياع واسعة[٥]وللفقيه إسحاق بن إبراهيم بن مسرة (ت ٣٥٤ هـ/٩٦٥م) دكان للكتان يتجرفيه[٦]، وللفقيه المشاور ابن القوطية ضيعة بسفح جبل قرطبة[٧]، وللفقيه عبد الله بن محمد الصابونى (ت ٣٧٨هـ/٩٨٨م) دكانيين لصناعة الصابون ومنها عيشه وكسبه[٨]والفقيه عبد الله بن محمد بن موسى عظيم الجاه ثرياً من ضياعه وحقوله[٩]،وامتلك الفقيه عبد الملك بن حبيب أرضاً وزيتوناًبقرية فى إلْبيرَة ، وحبس جميع ذلك على مسجد فى قرطبة ، وله مسجد منسوب إليه فى إلْبيرَة وعمل بعصر الأدهان[١٠]، وللفقيه عبد الأعلى بن وهب(ت٢٦١هـ/٨٧٤م) جنات بقرب مقبرة قريش ، وكان يعتمرها بيده ، ويذهب إليه تلاميذه وكل من يرغب فى سؤاله عن مسألة[١١] وكان للفقيه سعيد بن أحمد بن سعيد غنياً من الضياع والأراضى[١٢]، وللفقيه المعيطى ضيعة يعيش منها وفيها[١٣] ويتجر الفقيه أحمد بن عبد الملك فى سوق البزازين بقرطبة[١٤] ولأسرة بن

---

(١) عياض : ترتيب المدارك ٤/٨٠٤،٨٠٥.

(٢) عياض : المصدر السابق ٤/٨٢٣.

(٣) السابق :٣/١٥٣،١٥٤

(٤) ابن الفرضى : تاريخ علماء الأندلس رقم ٧٦٤.

(٥) عياض : ترتيب المدارك ٤/٤١٧،٤١٨.

(٦) عياض : المصدر السابق ٤/٤٢٤ وما بعدها .

(٧) عياض : السابق ٤/٥٥٥.

(٨) عياض : السابق ٤/٦٨٢.

(٩) ابن الفرضى : تاريخ علماء الأندلس رقم ٧٤٥.

(١٠) ابن فرحون : الديباج الذهب ٢/٨.

(١١) عياض : ترتيب المدارك٣/١٣٨،١٤٠.

(١٢) ابن بشكوال : الصلة رقم ٤٨٢ .

(١٣) عياض : ترتيب المدارك ٤/٦٣٣.

(١٤) عياض : ترتيب المدارك ٤/٦٣٥،٦٣٦

زيدون ضياع وأملاك كثيرة فى إِلْبيرَة[١]، وللفقيه أحمد بن إبراهيم بن أبى سفيان الغافقى (ت٤١٠هـ/١٠١٩م) ضيعة وأراضى فى إِلْبيرَة[٢]، وللفقية أبى بكربن زهر أملاك وضياع فى إشبيلية[٣] .

وكان الفقيه معوزبن داود بن معوز التاكرنى (ت٤٣١هـ/١٠٣٩م) يتفضل بفضل ضيعته على طلبة العلم وأهل السبيل[٤] ، والفقيه محمد بن عتاب (ت٤٦٢هـ/١٠٦٩م) عمل وكيلاً لضياع المنصور بن عبد العزيز بن عبد الرحمن بن أبى عامر[٥]، ولازم الفقيه بن القليعى (ت٤٩٨هـ/١١٠٤م) ضيعته فى غرناطة[٦] ، ويعيش الفقيه عبد الله بن مالك (ت٤٦٠هـ/١٠٦٧م) على تين وعنب يبيعه فى قرطبة وكان متواضعاً فى أموره كلها[٧]

وحاز بعض العلماء والفقهاء المغرب على ثروات وأملاك، فمحمد بن الحسن بن كامل لم يكن ببلده نظيره في سعة الحال وكثرة المال[٨]" وكان أحمد بن جعفر بن سفيان المخزومى "من أهل الثروة واليسار[٩] ، وإبراهيم بن ميمون الخصرمي " ذو نباهة وثروة[١٠]، وأبو بكر بن خلف الأنصاري " نال دنيا عريضة واعتقل أموالاً جليلة[١١] كما أن حجاج بن يوسف " نال دنيا عريضة وأورث عقبه نباهة[١٢] ، وكان الفقيه أبو عمران الكندي من أعيان العدوة[١٣]والفقيه ابن الجد " نال دنبا عريضة ، واستفاد ثروة عظيمة، وإليه كانت

---

(١) ابن الأبار: التكملة رقم ١٩٤/١.

(٢) ابن بشكوال : الصلة رقم ٥٥،عياض : ترتيب المدارك ٧٤٣/٤

(٣) عياض : ترتيب المدارك ٧٤٧/٤

(٤) عياض : ترتيب المدارك ٧٥٦/٤

(٥) ابن الأبار: التكملة رقم٢٨٣

(٦) ابن بشكوال: الصلة رقم ١٥٧،الأمير عبد الله :التبيان١١٧

(٧) ابن بشكوال : الصلة رقم ٦٧٠.

(٨) ابن عبد الملك : الذيل والتكملة ١٦٢/٦ .

(٩) ابن الأبار : المعجم ٧٦/١ .

(١٠) المصدر السابق ١٥٠/١ .

(١١) السابق نفسه ٢٢١/١ .

(١٢) ابن القاضي :جذوة الاقتباس ١٠٦/١.

(١٣) السلفى : تراجم أغلبية ١٢٢ .

رياسة بلده الانفراد بها[١]، وكسب الفقيه عبد الله بن محمد الهمذاني دنيا عريضة[٢].

ومارس بعض علماء المغرب وزهاده أعمال الزراعة من الحرث والحصاد والدرس، وتملك بعضهم الأراضي وقام بزراعتها بنفسه، وأكل من عمل يده، فحمل أحدهم محراثه على كتفه متجهاً إلى حقله وأمامه زوج من البقر، ومن ورائه تلاميذه ينظرون فراغه من الحرث ليواصلوا تعليمهم[٣]، وكان لخميس بن أبى أرح الرجراجى فدان أرض، وقام فتيان قريته بمساعدته دون علمه، فحصدوا بعض أرضه ، فلما رآهم قال لهم : كفوا بارك الله فيكم، فقالوا له: ما حصدنا إلا طائعين، فجمع ما حصدوه وتبرع به[٤].

وملك أبو محمد (مع الله) بن يحيى بستاناً عمل فيه بنفسه[٥]، وفعل مثله أبو محمد جلدا سن بن إسحاق الذي زرع أرضة بنفسه[٦]، وقام أبو عبد الله الرجراجى بالعمل في أرضه[٧]، ومثل هؤلاء كثير رصدتهم كتب التراجم والطبقات[٨].

وإذا لم يكن للعالم أو الزاهد أرضاً عمل في أرض غيره، مثلما فعل أبو الحسن على الصنهاجى من أهل تادلا، فقام بحراسة البساتين والحصاد لغيره[٩]، وحين احتاج أحد ملاك الأرض إلى حصاد زرعه التمس أجيراً، فوجد العالم الزاهد عبد الله الجزولي السجلماسي فاستأجره فحصد له زرعه وداوم على استئجاره في موسم الحصاد [١٠] . وامتلك أبو زكريا يحيى بن موسى الراجراحى أبقارا وقام على رعايتها بنفسه، وحين عزم الحج استأجر لها أجيرا [١١] وعمل الفقيه الزاهد أبو يعزى يلنور راعياً للماشية[١٢].

---

(١) ابن الأبار: المعجم ٥٤٢/٢ .

(٢) المصدر السابق ٩١٧ .

(٣) المالكي : رياض النفوس ١٨٥/١ ، السلفي : تراجم أغلبية ٩٧ .

(٤) التادلى: التشوف ١١٣.

(٥) التادلى: التشوف ١٣٤.

(٦) المراكشي : الأعلام فيمن حل بمراكش وأغمات من الأعلام ١٠١.

(٧) التادلى : التشوف ٣٥٧ .

(٨) المصدر السابق ٣٧٦،٤٠٠ .

(٩) السابق نفسه ٢٥٤ ، ٢٥٥ .

(١٠) السابق ٢٧٨ .

(١١) التادلى : التشوف ٢٣.

(١٢) المصدر السابق ٢١٥.

واحترم العلماء والزهاد ملكية الغير فكان لأحدهم أبقاراً يضع على فمها الكمامة لئلا ترعى أرض غيره فإذا وصل إلى أرضه أزال الكمامة عن فمها ثم يضع الكمامة في طريق العودة [1] وعمل العمال والفقهاء في الصناعات البسيطة فصنع مروان بن شحمة البلوى الطوب وباعه[2]، وعمل أبو الحسن على بن زكريا الأسود في صناعة الأطباق [3] ، وقام أبو زكريا يحيى بن ميمون الصنهاجي بصناعة القدور، ويشترى بما يعمل شعيراً ويطحنه ويأكل منه[4] ومثله أبو يعزان بيريدن بن وبيدن الايلانى عمل في صناعة القدور واقتات بثمنها[5]، وعمل أبو سعيد عثمان اليرحجى في أحجار الأرحاء المستخدمة في طحن الحبوب[6] ودبغ أبو على حسن بن على المطغرى الجلود وباعها وعاش منها [7] ، وعمل بعضهم في الجزارة مثل أبي جبل يعلى الفاسي الذي تورع في البيع والشراء، فلا يشترى الغنم إلا من قوم يعرف طيب مكسبهم ويساعده بعض تلاميذه في الذبح والبيع [8]، وعمل أحدهم في بيع سمك الإسفنج والهريسة [9] ، وكان أبو يعقوب يوسف بن على المؤذن عطاراً في سوق مدينة داى [10].

وحمل أبو محمد عبد الواحد بن تومرت الهسكورى الخضراوات من الحقول المجاورة في قفة وباع هذه الخضراوات في السوق[11] ، وتشارك العالمان حمديس القطان وعبد الجبار بن خالد في تجارة القطن في سوق الأحد[12]، وعمل أبو محمد عبد الله بن حمد في حانوت بائعاً للفخار[13].

---

(1) السابق ١٣٤.

(2) الدباغ : معالم الإيمان ١٠٥/٢ .

(3) التادلى : التشوف ٢٣٩.

(4) المصدر السابق ١٩٧ .

(5) المراكشي : الإعلام ١٩٦/١٠ ، التادلى : التشوف ٤٣١ .

(6) التادلى : التشوق ٣١٩.

(7) المصدر السابق ٣٨٤ .

(8) الكتانى : سلوى الأنفاس ١٦٢/٣ .

(9) التادلى : التشوف، ٢٤١ ، ٢٤٢ .

(10) المصدر السابق ١٦٨ .

(11) المراكشي: الإعلام ٥٠٨/٨ .

(12) الدباغ : معالم الإيمان ٢٠٢/٢ تراجم أغلبية ٢٩٦ .

(13) القاضي عياض: ترتيب المدارك ٤٠٣/١ .

وكان للعلماء دورهم في التوسط لدى السلطان في رفع المظالم المالية عن الفلاحين، فيحاولون تخفيف الضرائب عن الفلاحين في الأرياف والبوادي، مثلما فعل أبو مدين الذي انتصف به ضعفاء الفلاحين، ومحاولته رد أملاك الفلاحين المأخوذة ظلماً[1]، وتعايشوا مع الفلاحين في أوقات الشدة والجفاف والمجاعات والقحط، فيُخْرِجون القمح والسمن ويوزعونه على المحتاجين[2]، ويساعدون الفقراء في شراء لحم العيد[3]، ورغم أن الفقيه عبد الغفور بن إسماعيل كان صاحب أملاك إلا أنه أمسك بالضروري لمعيشته وفرق ما دون ذلك للفقراء والضعفاء[4]، وكان أحدهم " قبلة للأيتام "، وتورع كثير منهم عن التقرب لذوى السلطان والجاه، فعندما عرض عامل منطقة كالة على أحد الفقهاء مصاحبته إلى ولايته على أن يعطيه ألف دينار ذهباً مرابطياً ، امتنع عن ذلك" ولم يخلف – رحمه الله – لا ديناراً ولا درهماً ، أو عبداً أو أمه ، ولا عقاراً ولا ثياباً إلا أشياء لاقدر لقيمتها "[5]، وعرف القاضي أبو عبد الله بن عيسى بالإحسان والإكرام للفقراء والضعفاء، وبنى جامع بسبتة[6]

وفيما يلي جدول بأهم الملاك من العلماء حتى نهاية القرن الخامس الهجري:

العالم	النص الدال على الأملاك	المصدر
عبد الله بن محمد بن جبل الهمذاني	نال بخدمة السلطان دنيا عريضة	التكملة ، ج٢ ، ص٩١٧.
عبد الله بن عبد الله بن عيشون المعافري	صاحب ثروة ويسار	المصدر السابق ص٩٣٦.
ابن الرمامة	من ذوي اليسار	صلة الصلة ، ص٥٠٣
عيسى بن يوسف الأزدي	من أعيان فاس	المصدر السابق ص٥٤٦
علي بن طويل بن أحمد	من أعيان فاس	المصدر السابق ص٥٥٢

---

[1] التادلي : التشوف ٢٣٩ .

[2] المصدر السابق ٢٤٦ .

[3] السابق نفسه ١٩٧ .

[4] ابن عبد الملك : الذيل والتكملة ٣٧ .

[5] ابن فرحون : الديباج المذهب ٤٩ .

[6] القاضي عياض : ترتيب المدارك ٨/٢٠٠، ٢٠١

العالم	النص الدال على الأملاك	المصدر
محمد بن الحسن الكامل	لم يكن ببلده نظير في سعة الحال وكثرة المال	الذيل والتكملة ، س٦ ، ص١٦٢
محمد بن عبد الله بن حسون الكلبي	من جلة أعيان بلده وكبار حسبانه	المصدر السابق س٦ ص٢٣١
سعيد بن عبد الله اللخمي	من ذوي اليسار	المصدر السابق س٤ ص٣٤
أبو محمد عبد الله بن عيسى الشبلي	من بيت شرف وجاه عريض مع سعة الحال والمال	نفح الطيب ، ج٢ ص٦٥٠
محمد بن أصبغ الأزدي	كان مشاركاً بجاهه وماله في المعروف والخير	الصلة ، ج٢ ، ص٥٨٦
سراج بن عبد الملك	كان أوسع أهل عصره مالاً وجاهاً	المعجم ، ص٣٠٦
محمد بن أحمد بن نمارة الحجري	كان كثير المال واسع الحال	المصدر السابق ص١٥٧
عبد الغفور بن إسماعيل بن خلف المكوني	كان ذا يسار	المصدر السابق ص٣٧
محمد بن أحمد بن خلف الغساني	نبيه البيت رفيع القدرعالي الصيت	الذيل والتكملة س٥،ق٢، ص٦٢٥
أبو الحسن سعد الخير	كان تاجراً كثير المال	معجم البلدان، ج٣ ص٤٤٠
أبو بكر العربي المعافري	كان كثير الأموال	تذكرة الحفاظ ، ج٤ ص٨٨
محمد بن الحسين بن كامل الخصر	كان له أموال وسعة حال لم يصل إليها غيره	فقهاء مالقة ، ص٩
محمد بن عبد الرحمن بن سيد	بنى مسجداً أنفق عليه أموالاً كثيرة	المصدر السابق ص٨
عبد الرحمن بن قاسم الشعبي	كانت له مكانة ووجاهة عند الأمراء ويسار	نيل الابتهاج ، ص١٦٢ ؛ طبقات المالكية ، ص٢٨٣
أبو جعفر أحمد بن محمد بن كوثر المحاربي	من أعيان غرناطة	أخبار وتراجم أندلسية ، ص٢٧
أبو عبد الملك بن سمجون اللواتي	كان ذا جاه عريض	الغنية ، ص١٩٧
علي بن أبي القاسم بن أبي قنون	كان نفاعاً للناس بماله وجاهه	الذيل والتكملة ، س٨ ق١، ص١٦٠
أبو الوليد بن رشد	كان عظيم المنزلة مقدماً عند أمير المسلمين	طبقات المالكية ، ص٢٩٥

العالم	النص الدال على الأملاك	المصدر
عاشر بن محمد بن عاشر	تولى القضاء ونال دنيا عريضة	المصدر السابق ص٣٣٠
أحمد بن محمد المخزومي	من أهل الثروة واليسار	التكملة ج١ ص٧٦
إبراهيم بن ميمون الحضرمي	ذو نباهة وثورة	المصدر السابق ج١ ص١٥٠
حجاج بن يوسف الهواري	نال دنيا عريضة	المصدر السابق ج١ ص٤١١
محمد بن رزق	كان صاحب يسار وثروة عظيمة	المصدر السابق ج١ ص٤٢٩
محمد بن علي بن يبطش الكناني	كان صاحب ثروة ويسار	المصدر السابق ج٢ ص٤٨٣
محمد بن أبي الجليل	كان يملك ثروة كبيرة عمل على إخفائها	المصدر السابق ج٢ ص٥٣٢
ابن الجد الفهري	كانت له حظوة عند الأمراء ، نال دنيا عريضة وثروة عظيمة	المصدر السابق ج٢ ص٥٤٢

٣- الفلاحون :

وهم الذين يقومون بفلاحة أراضيهم ، ويعيشون فى القرى والبوادى ، واعتمادهم الأساسى علىالزراعة ، وهناك فلاحون من كبار الملاك وآخرون من صغار الملاك ، فأما كبار الملاك فكانوا يقيمون فى المدن غالباً ويكتفون بالوكلاء لمتابعة أملاكهم ، وبعضهم أقاموا فى ضياعهم وأملاكهم . أما صغار الملاك من الفلاحين فهم الذين امتلكوا مساحات محددة وصغيرة من الأراضى ، وعملوا بأنفسهم فى هذه الأراضى وبمساعدة الإسرة والأقارب والجيران ، ويتعاون صغار الفلاحين فى العمل فيتبادلون الآلات الزراعية(١).

وتعيش هذه الفئه مستقرة مادامت الأحوال مستقرة ، وهى أول الفئات تأثراً بالأزمات السياسية والاقتصادية ، فيصل بهم الحال إلى هجر قراهم وأملاكهم ، بالإضافة إلى تأثرهم بالضرائب غير الشرعية المفروضة عليهم التى أخذت منهم فى وقت الأزمات ، ففى سنة٢٦٠هـ/٨٧٣م رغم شدة المجاعة والقحط، إلا أن عمال الجباية أخذوا العشور ، وقام ولاة مدينة قرطبة بضمان إيراد العشور حتى هتك الستور وقتل الأنفس(٢).

(١) الونشريسى: المعيار ١٠٩/١٠٨/٩

(٢) ابن القوطية: تاريخ افتتاح الأندلس ١٠٦، ١٠٧

وأعمال الفلاح لاتنتهى ، وتسير حياته على وتيرة واحدة ، فهو يعيش بين بيته وحقله، فيعمل فى الحقل فى الحرث والبذور والتنظيف والتزبيل والقطف والحصاد ، فهى حياة متواصلة الجهد والتعب، وتشير الأمثال لذلك" رقد مارس وابريل وجاء وقت حصاد الشعير[1].

وهذا ما جعل القضاة والفقهاء، ينصحون الحكام بالحرص على الفلاحين والرفق بهم وحمايتهم فى أعمالهم لأنه كلما كانت حياة الفلاح مستقرة انعكس ذلك على كل فئات المجتمع ، فإذا انعدم الأمن للفلاح وهجر أرضه تنعدم الأقوات وتحدث المجاعات وتزداد الأسعار ، "يقول ابن عبدون [2]: ويأمر الرئيس بالحرث وبالمحافظة عليه ، وبالرفق بأهله ، والحماية لهم في أعمالهم ، ويأمرو وزراءه وأهل القدرة من أهل بلده بالحرث ، فيكون له ولهم أنفع ، ولأحوالهم أرفع ، وللناس أمتع وأشبع ، ولبلاده أطيب وأرخى ، ولحمياته أنمى وأزكى"

وبجانب الفلاحين أصحاب الأراضى هناك فلاحون مستأجرون ، فيعملون فى أراضى غيرهم وفق أحكام الشريعة الإسلامية من مزارعة ومغارسة ومساقاة وكراء وغيرها، ويسجل ذلك فى عقود ووثائق بصورة دقيقة[3]، ويبطل الفقهاء والقضاة ما هو مخالف لمقاصد الشريعة الإسلامية . فالرجل الذى يعطى أرضه على وجه المزارعة للعامل ثم يبيعها بعد ما عمل العامل ، ويريد أن يدفع العامل عن الأرض ليس له ذلك ، وهو على شرطه حتى يتمه[4]، وهناك من ينزل أحد الأشخاص أرض يعمرها لعدة سنوات نظير أجر معلوم ، ومع طول المده يمتنع المستأجر عن دفع الكراء فيتدخل القضاء ، مثلما حدث مع امرأة أنزلت رجلاً فى أرضها فى أيام دولة بنى عباد ثم تصدقت بأرضها لابنها فتخاصم مع المستأجر الذى بقى فى الأرض سنوات وإمتنع عن دفع الكراء[5]، وأحياناً يستأجر الفلاح الأرض من الدولة مثل استئجار أرض الأحباس أو أرض من مات عنها صاحبها ولا وارث

---

(1) الزجالى: أمثال العوام ٢٤٨ ، حسين مؤنس : عالم الإسلام (الزهراء للإعلام العربي ١٩٨٩م) ٢٢٢ وما بعدها .

(2) ابن عبدون: ثلاث رسائل فى الحسبة ٥ .

(3) ابن العطار: الوثائق والسجلات ٥٨، ٩١ وغيرها الونشريسى: المعيار ٢٩٨/١٠، ٢٩٩، ابن سهل: الأحكام الكبرى ٣٧١

(4) ابن رشد : الفتاوى ٦٠/١، الونشريسى: المعيار ١٦٩/٨ .

(5) الونشرسي: المعيار ١٦٩/٨ .

لها فتعود إلى الدولة التى تؤجرها[1]، وأوصى القضاة بالتخفيف على مستأجرى أرض الأحباس ليشجعوا على إستأجارها[2]

وهناك فلاحون أجراء يعملون باليومية ، في أعمال البذر والحرث الغرس وتنظيف الأرض والحصاد ، فهناك من يستأجر فلاح لحرث نصف فدان[3]، ويتم كراء هؤلاء من قبل وكلاء الأرض فى الضياع الكبرى[4]وتذكر العقود أن الأجراء يذكرون فى مدى العقود . "فيذكرأن المشارك فى الأرض نزل الأرض ببقرة وآلاته وأجرائه"[5]، ويحدد لكل أجير عملاً معلوماً وقت معلوم حتى لايحدث خلاف ، وعلى صاحب الأرض أن يكون يقظاناً فطناً حساساً دربا عظيم السياسية للخدام ، رفيق الكلام حسن الأخلاق، يلين فى موضع اللين، ويشتد فى موضع الشدة ، فيحسن أخلاقهم ويداريهم ويسوسهم ويحرضهم على العمل كى لايكسلوا[6].

٤- الرعاة

شكل الرعى وتربية الحيوانات جزءاً من النشاط الريفى الزراعى الأندلسى والمغربي، وانتشرت المراعى حول الأودية الكبرى مثل منطقة وادى تاجة وقلمرية وأرياف يابرة وشلب وطرطوشة وشريش بلنسية وغيرها [7] ومارس الرعاة عملهم فى الأراضى الزراعية أحياناً وذلك بعد جنى المحاصيل لتنظيف الأرض ، وعندما تترك الأرض مدة لإراحتها كان ذلك فرصة للرعاة لاستخدام الأرض فى الرعى ، هذا بخلاف المسارح التابعة للقرى ، وفيها ترعى الماشية ، ويحدث خلافات بسبب هذه المسارح ، كأن يكون المسرح من حوز منزلهم فيريد بعضهم حرثه ، ويأبى آخرون [8] والمسارح التى تكون فى بعض القرى ينتجعها من حولها من أهل القرى بمواشيهم ثم يريدون أن يقسموها فيدعى فيها كل من كانت

---

(١) المعيار ٨٧/٨، ٢٨٩.

(٢) ابن سهل: الأعلام ٧٦٥.

(٣) عياض: ترتيب المدارك ١٤٧/٦ ، أبو الخير الإشبيلى: الفلاحة ١٢١، ١٣٩

(٤) عياض: السابق ١٤٧/٦

(٥) ابن العطار: الوثائق ٥، ٦٦، ٦٧، ابن مغيث: المقنع ٢٦٢

(٦) أبو الخير الإشبيلى: الفلاحة ١٣٩.

(٧) مجهول : ذكر بلاد الاندلس ٧٤ ، الحميرى :صفة جزيرة الأندلس ٢١ ، ٧٠، ١١١، ١٣٢، ١٤٥ ، ١٦٢، ١٦٨

(٨) ابن رشد : البيان والتحصيل ٣١٣/١ .

ماشيته تسرح فيه ، وإن كان إنما يتخطى إليه القرى ؟ وأجاب الفقهاء فى ذلك : أن لاحق فيه لمن كان يتخطى القرى إليه ، وقد يسرح الناس بعضهم عند بعض على مسيرة الميل والأميال واليوم والأيام ، والمسرح يكون لأهل القرية التى فى حوزها ، فإن تداعى أهل قريتين أو ثلاثة أو أربعة وكلهم حول ذلك المسرح وهو واسط بينهم ، ولم يثبت بالبينة لبعضهم دون بعض قسم بينهم على عدة القرى التى يدعيها أهلها ، وليس على عمران تلك القرى [١]

ومارس الرعى فقراء المجتمع – غالباً – ، ويبلغ أجر بعض الرعاة عشرة دنانير فى السنة [٢]، وقد يشترك أكثر من راعى فى رعى الأغنام والأبقار[٣]وتدور أكثر مشاكل الرعاة حول ضمان الراعى لما يرعى من أغنام وأبقار، وتخريب الأغنام لبعض الأرض الزراعية ، وهذا ما كشفت عنه كتب النوازل ومنها :

استأجر رجل راعيا لغنمه ، فلما خرج الراعى بها إلى السرح ترك الغنم ورجع إلى المدينة ثم انصرف إليها عشية ، فوجد منها غنماً قد نقصت ، ولم يدر متى زالت , وكان رأى الفقهاء أنه لا ضمان عليه إلا أن يقيم رب الغنم البينة أنها إنما ضاعت فى وقت تعديه[٤]، وإذا ضرب الراعى البقرة أو الشاة بعصا كبيرة أو رميها بعصا صغيرة فقتلها ، أو ضربها بحجر فهو ضامن[٥] . أما إذا استأجر صاحب غنم راعيين لحرز الغنم ، فذهب أحدهما لابتياع طعام أو لمصلحته فضاع من الغنم شئ أو أكلها السبع ، فلا ضمان عليهما ، لأنه لابد لأحدهما أن يعمل فيما يحتجان إليه[٦] . وإذا أفسدت الغنم زرعاً بالليل ، فإن كانت تبيت الغنم عند أهلها فعليهم الضمان ، وإذا كان الرعاء بها فى القفار فلا ضمان على الرعاة[٧]

---

[١] ابن رشد : المصدر السابق ٣/٣١٥، ٣١٦.
[٢] المعيار ٨/٢٦٣ .
[٣] المالقى : الأحكام ٢٩٢.
[٤] المالقى : الأحكام ٢٧٣ ، المعيار ٨/٣٣١.
[٥] المالقي : الأحكام ٢٩٢ ، المعيار ٣٣١.
[٦] المالقى : الأحكام ٢٩٢.
[٧] المالقى : الأحكام ٢٩٢ ، المعيار ٣٣١.

وإن وكّل راعى غنم غيره ، ومثله فى الكفاية ، فضاع منها شئ عند الوكيل ، فالراعى ضامن ، ووقع مثل هذا مع راعي بقر دفعها إلى غيره يرعاها بغير إذن أهلها ، فرعاها يوماً ، فلما كان آخر النهار – ذهب ليقبض البقر فوجدها ناقصة بقرة[١].

واتخذ راعى غنم سنة للرعى بعشرة دنانير ، فلما كان فى بعض السنة باع صاحب الغنم غنمه أو تلفت ، فلم يضمن الراعى صاحبه أن يأتى بغنم مثلها ، ولا صاحب الغنم دعاه إلى ذلك ، ولكنه جلس بلا عمل أو أجر نفسه من غيره فى بقية السنة ، ثم جاء بعد السنة أو قبل تمامها إلى صاحب الغنم يسأله العشرة دنانير ، فقال صاحب الغنم : ليس لك على إلا قدر ما رعيت عندى ؛ لأنك قد غفلت حتى انقضت السنة ، ولم توف بخدمتى، فأجاب الفقهاء أن الأجرة على المستأجر[٢] ، وإذا نام الراعى ، ورعت غنمه الزرع وآذت فهو ضامن ما أفسدته الماشية .

وحكم الفقهاء أن الزرع إذا كان محيطاً بالقرية ، ومتصلاً بها بحيث لا يسلم من الماشية إذا أخرجها صاحبها وخلاها من غير حارس ، فالواجب على ربها أن يمنعها ان تؤذى أحداً ، ويمر بها على الطريق التى يحتفظ أهلها من أذى الزرع الذى يليها ، فإذا[٣] أخرجها من مزارع القرية إلى فحوصها التى لازرع فيها تركها هناك بغير راع إن أحب .

❁ ❁ ❁

وكان النمط الرعوى من أنماط الاقتصاد الغالبة على مناطق عديدة في بلاد المغرب، وعاش عليه مجموعة كبيرة من الرعاة، فاشتهرت زناتة أن معاشها في الإبل، ولذلك كانت كثيرة الظعن إلى مراعى التلول ويبدو [٤]، ويبدو أن هوارة كانت على درجة عالية من المهارة في حرفة الرعي وتربية الماشية، فدواب هوارة غاية في الفراهة[٥]، ومدينة برقة معروفة بمراعيها الدائمة الخضرة الصالحة للسائمة[٦]، وثروة المصامدة تأتى من رعيهم

---

[١] المالقي : الأحكام ٢٨٨ ، المعيار ٣٣٥/٨.

[٢] المالقى : الأحكام٢٨٨ .

[٣] المعيار ٣٣٥/٨.

[٤] الإدريسي : صفة المغرب ٧٣ ، البكري : المغرب١٤٤،٤٥ .

[٥] مختصر البلدان ٨٣ .

[٦] مجهول : الاستبصار ١٤٣ ، وينظر إلى رصد أماكن الرعي في مبحث الرعي وتربية الحيوانات في المغرب .

للغنم والبقر[١]، وكان لقبيلة مكناسة سطوة كبرى في منطقة سجلماسة لامتلاكها مواضع الانتجاع[٢]، ويوصف الرجل بالغنى إذا كان صاحب ماشية مثل أبي القاسم سمكوبن واسول[٣]، والدية عند برغواطة مائة رأس من البقر لكثرته عندهم[٤] .

وللنساء ملكية خاصة للحيوانات تعود عليهن بالثروة[٥]، وكن يقمن بالرعي مثل بني منصور الذين تذهب نساؤهم خلف قطعان الماعز[٦] وفي منطقة بني رزين قامت النساء بحراسة الماعز[٧]، وللرعاة دربة جيدة بمعرفة أماكن الكلأ، وهم يتعاونون فيما بينهم – غالباً – ؛ لأن حياتهم في هذا العمل، ولكن أحياناً يحدث النزاع حول مناطق الانتجاع والرعي[٨].

واستأجر أصحاب الحيوانات الكثيرة الرعاة نظير معلوم[٩] ، وبعض ملاك الحيوانات يقوم بالرعي بها بنفسه وبمساعدة أسرته، وتعيش من منتجات الماشية[١٠]، وهناك رعي بالمشاركة بحيث يتشارك الرعاة بأعداد من الماشية والغنم وفق نصيب متفق عليه[١١]، وفي بعض الأحيان يفقد الرعاة بعض الرؤوس المكلفين بحراستها مما كان يتسبب في بعض المشاكل بين المالك والمستأجر[١٢]، وانتشرت عادة رعى الماشية بالتناوب بين عائلات قرية معينة ، ويشترط على صاحب النوبة أداء ثمن الرأس الضائع أو تعويضه.[١٣].

---

[١] الزهرى : الجغرافية ١٦.

[٢] ابن عذارى: البيان المغرب ١٥٦/١ .

[٣] البكري : المغرب ١٤٩ العبر ١٣٠/٦ .

[٤] البكري: المغرب ١٣٩ .

[٥] ابن حوقل : صورة الأرض ١٠٠.

[٦] الوزان : وصف أفريقيا ٣٣٤ .

[٧] المصدر السابق ٣٣٤ .

[٨] ابن حوقل : صورة الأرض ١٠١ .

[٩] التادلى : التشوف ١١٤،١٠٦ .

[١٠] المراكشي : المعجب ٣٣٩ .

[١١] الونشريسي : المعيار ١٥٢/٨ ،١٩٤، ١٩٥.

[١٢] ابن رشد : الفتاوى ١٣٠٤/٢ المعيار ٢٦٣/٨.

[١٣] احمد البويعقوبى : تحفة القضاة ببعض مسائل الرعاة(مخ) ، المعيار ٣٤١/٨ ورقة ٢ نقلا عن الحسين بولقطيب : الحياة الاقتصادية للحلف القبلى المصمورى(مجلة الاجتهاد ،عدد ١٨سنة ١٩٩٣م)

وأثار الرعي عدة مشاكل بين الفلاحين ، عندما تخترق المواشي الأرض الزراعية ، ولتلافى ذلك وضع الرعاة كمامات على أفواه الماشية أثناء الذهاب والإياب للمرعى[1].

٥- الأجراء في الملكيات الزراعية :

وهم الأجراء والعمال طيلة العام وعمال المياومة " أي الذين يعملون باليوم" وبعضهم يملك ملكيات صغيرة تقيم الأود ، وبعضهم لا يملك إلا قوة عمله ، وشكلوا شريحة لا بأس بها ، ويأخذون أجراً مقابلاً لأعمالهم مثل أجراء الحرث ودرس الزرع ، وعمال الحصاد وحراس الزرع والأنادر، وتكون أجورهم نقدية أو عينية مما تخرج الأرض من زروع حسب العرف المعمول به.

وكان هناك مكاناً معلوماً للعمال والأجراء ، ومن أراد فلاحين يذهب ويأتي بهم ، ويأخذهم لحقله ، ويجب على المشغل "أن يجعل في موقف رجالة الخدمة رجل مثيل خير يفصل بين الناس إذا اختلفوا في وقت الانطلاق ، فإن هذه الطائفة غير منقادة للحق لأنهم شبان غراب ، فيكرى المرء نفسه بالنهار بأجرة معلومة إلى وقت معلوم ، ومن حلول الوقت يترك العمل ويرجع إلى التلذذ وقلة الإنصاف ، و يعقل نفسه بجمع الحطب أو يطهر أو يمضي إلى حاجة الإنسان وشبه ذلك في ا لموضع دون عمل حتى يحين الوقت ويأتي كأنه قد وفاك حقك " [2].

"واذا كان الفلاحون كثيرين فإنه ينبغي ألا يعملوا جميعاً في موضع واحد ؛ لأنهم إذا اجتمعوا كثر حديهم ، وأشار بعضهم على بعض بالمكر والخبث في العمل" ، ويجعل العمال " اثنين اثنين ليعمل الكسلان منهم على عمل النشيط الدائم ، ويستحث بعضهم بعضاً ، ووكل بعضهم لبعض مما تثق به ، واجعل له على ذلك شيئاً" [3].

وهناك عديد من النوازل التي تناولت هذه الفئة منها أنه إذا استأجر شركاء في الزرع أجيراً على حرز الزرع مجملا ثم اختلفوا في فرض الأجرة فقيل تكون بقدر ما لكل

---

[1] التادلي : التشوف ١٣٤.

[2] ابن عبدون : ثلاثة رسائل في الحسبة ٤٦ ، ٤٧.

[3] أبو الخير الأشبيلي : الفلاحة ٩ ، ١٠.

واحد، "وإذا استأجر الأجير على أن يعمل له في كرم له على النصف على ما يخرجه الكرم أو ثلثه أو جزء منه فلا بأس في ذلك ، وإذا استأجر الأجير بحرس الزرع أو بعضه فالمعمول على أمر الناس إذا اضطروا إلى الأجير فيما لابد لهم منه ولا يجد العمل به فلا بأس في ذلك. وإذا استأجر المالك الأجير يحرث بزوجه في أرضه ويجرى له سهماً خمساً أو ربعاً، ثم ينظره بما يصير على العامل من البذر إلى وقت رفع الزرع، فإن كان ذلك تطوعاً جاز، وإن كان بشرط لم يجز ويفسخ ما لم يعمل، فإن عمل وفات بالعمل نظر إلى قيمة عمل الأجير بيده وقيمة كراء الأرض والبقر ثم يتقاضان ، ومن بقى له فضل على صاحبه رجع به عليه والزرع بينهما على شرطهما. (١)

وأجر حراس الزرع بعد نباته والزيتون بعد أن نور فهل يكون في ذمم أهل المال أو في الزرع والكرم ؟ ولو أصابت ما حرسوا جائحة ما يكون لهم من الأجر؟ وكذلك في حراسة الأندر أولاً؟ فحراستهم الزرع والزيتون بعد خروجه وأخذهم منه فلا يجوز، وإنما بشيء معلوم في ذمة المالك ، فإن أصابت الزرع والزيتون جائحة أذهبته تنفسخ الإجارة ، وللأجير الأجر بحسب ما مضى ، واستئجارهم في الأندر بقدر معلوم رأوه فجائز.

وحراس الزرع، والزيتون ليلاً ونهاراً بالضمان وبغيره يحرسون على أن كل قفيز عليه مُدّان أو ثلاثة ؟ وهل عليهم تفريغ الأحمال والشباك ؟ ويحرسون الأندر كله بأقفزة، ومعلومة ومنهم من يصيب ألفا ومائة قفيز أو أقل أو أكثر وهل هو على عدد الرؤوس ؟.

والرأي أن الضمان عليهم لا يلزم ، وله أجر مثله مما لاضمان عليه ، واستئجارهم لكل قفير مدين فجائز، فإن شرطوا في هذا تفريغ الشباك أو نزول الأحمال فيلزم ، واستئجارهم الأندر بأقفزة معلومة ، فإن كان قبل حصوله في الأندر ورؤيته فلا يجوز أما بعد حصوله فجائز (٢).

ويتخذ المالك أجيراً للحرث في مزرعة ، وكان لصاحب الزرع قليب ، وشرط على

---

(١) الونشريشى: المعيار ٢٢٥/٨

(٢) المصدر السابق: ٢٢٦/٨

الأجير أنّ يرد عليه القليب في إبانه ، وشرط عليه أيضاً نصف العمل في الحصاد والدرس ، وليس للأجير في الزرع إلا السدس، فرأى الفقهاء أن اشتراط هذا من الغرر [1].

وهناك طائفة أخرى ارتبطت حياتهم بما تخرجه الأرض ويعملون أيضاً يوم بيوم ، وهم الحمالون لمنتجات الأرض إلى الأسواق ، وهم يحملون الزرع من مكان لآخر على الدواب ، واهتمت بهم النوازل الفقهية، فإذا اكتر المالك دابة إلى موضع يحمل عليها زرعاً مضموناً فإذا بواد في الطريق ، فإن كان المستكرى يعرف النهر وأنه لايخاض إلا بركوب المركب ، فإن كان الكرى يعرف ذلك فالكراء عليه لتخليف المتاع ، وإن لم يعرف ذلك فالكراء على صاحب المتاع [2].

وكان أحياناً يخرج اللصوص على الحمالون للزرع أثناء نقله من بلد لآخر [3]، فيطرح الحمالون الحمولة عن الدواب، ويفروا بدوابهم ، فإن كان طرحهم للمتاع على وجه التخليص والتحيل عليه رجاء السلامة له مثل أن يكون يخفى بطرحهم إياه عن اللصوص وشبه ذلك مما ترجى له السلامة، فلا ضمان عليهم ، وإن كان اللصوص قادرين على أخذ المتاع لا يرجى تخلصه منهم على حال طرح الدواب أو بقى عليها، فلا ضمان عليهم أيضاً ، وإن كان على غير ذلك فهم ضامنون.

وأما إذا اكترى مالك دواباً بالسحر لنقل الطعام ، فضلت دابة بحملها في السحر ، فوكل بسائر الدواب ، وخرج يطلب الدابة التي ضلت فلم يجدها ، فرجع للذي وكل عليها فوجد دابة أخرى ضلت بحملها فهل يضمن الحمال ؟ فأما الدواب المكتراة فلا ضمان عليه فيها إذا كان مع قوم شهدوا له أنها ضلت منه ، وإن كان وحده حلف . أما الدابة التي ضاعت فإن تركها عند ثقة فلا ضمان عليه ، وإن تركها عند غير ثقة فهو ضامن [4]

وعلى مكتري الدواب لحمل الزرع ألا يتعدي المكان الذي اتفق عليه مع صاحبها ، وإذا تعدى غرم ما تعداه [5]، وإذا زاد المتكارى في الحمولة ، وعطبت الدابة نظر إلى

---

(1) المالقى : الأحكام ٣٠٩

(2) المالقى : الأحكام ٢٨٦ .

(3) المالقي : الأحكام ٢٩٨،٢٩٩،٣٠١ .

(4) السابق نفسه ٣٠٦.

(5) المالقي : الأحكام ٣٠٨.

الزيادة هل تعطب في مثلها؟ فإن كان يعطب من مثلها ضمن قيمة الدابة [1]، ويشترط الاتفاق على كمية الحمولة التي تحملها الدابة ، وإذا اتفقا على كمية المحمول ، ووجد المكتري الشيئ المحمول دون الكمية لغلط المكتري ، فالكراء كله يلزم المكتري ؛ لأنه أمكنه من دابته وأباح له حمل العدة التي اكترى منه الدابة عليها [2]. وإذا اكترى المكتري الدابة وحبسه المطر فعليه كراء ما حبسها والكراء الأول [3].

والعمل اليومي للأجراء المستخدمين يبدأ – غالباً – من شروق الشمس إلى ما بعد الغروب ، ولبعض المستخدمين تصرفات غير محمودة فيتحايلون في إضاعة الوقت وأخذ بعض ممتلكات المستأجر ، مما جعل المستأجرين يتخذون الوكلاء الملاحظين لمراقبتهم في العمل [4]، وشاعت الأمثال الشعبية الدالة على تحايل الأجراء مثل "ليس على الأجير أكثر من الاجتهاد ويحلف إنه ما قصر" [5].

وذكرت النوازل العديد منه قضايا عمال الأرض الزراعية ومن هذه القضايا :

إذا عمر المزارع بعد المزارعة وأراد رب الأرض إخراجه فليس له إخراجه عن عمارته ، فإن أبى أن يعمل معه قسمت العمارة بينهما ، فما صار لرب الأرض كانت عليه قيمتها يؤدى ذلك رب الأرض إلى العامل معجلاً ، ويكون للمزارع أن يزرع النصف الذي يصير له منها ، ويمون عليه كراء الأرض لرب الأرض يؤدى ذلك عند انقضاء الحصاد وإن سلمت الأرض من جائحة يجب للعامل القيام بها[6].

وأدخل رجل المناصف في أرضه ، وجعل معه النصف في جميع الزروع ، فيعمل العامل تلك الأرض ويحصد الزرع ويدرسه ويذره ، ويأخذ صاحب الأرض نصيبه ، ويدعو العامل صاحب الأرض إلى أن يقسم معه الكتان قبل أن تخبطه فيأبى رب الأرض أن يأخذ

---

(1) المصدر السابق ٣٠٩.

(2) السابق نفسه ٣٠٩.

(3) السابق ١٩٩.

(4) السقطي : في آداب الحسبة ٦٥ ، ابن عبدون : ثلاث رسائل في الحسبة ١٥٦ ، ابن العوام : الفلاحة ٥٣٤ .

(5) الزجالي : أمثال العوام ٢/٢٢٩ رقم ١١٦٣.

(6) المالقي : الأحكام ٣٣،٣٣٣.

نصيبه إلا أن يتم مؤنته من الطبخ ز الخبط والنفض ، ويقول للعامل : عليك جميع مؤنته ونفقته ، والحكم في ذلك على المتعارف عليه في بلدهما[1].

وجرت الأحكام والعادات أن المزارع إذا لم يشرع في العمل في قليب أو زريعة أو غيرها جاز لمن شاء منهما حل عقد المزارعة ، أما إن شرعا في العمل لم يكن لواحد منها الخروج ، وإذا انعقدت المزارعة لأعوام ، وأراد أحدهما حل الأمر قبل بدء العمل جاز ذلك، وإذا شرعا في حرث أو زريعة لم يجز ذلك[2]، وأعطى فلاح رجلاً الأرض مناصفة ، وعلى الفلاح الأرض ونصف الزريعة ، وعلى العامل نصف الزريعة والعمل ، واختلفا في أي العمل يكون على العامل ؟ فصاحب الأرض يقول : عليك الحصاد والحبال والدرس والزرو والتهذيب والنفلان ، والعامل يقول : على الحرث فقط ، وليس على غير ذلك ، ورأى الفقهاء أن على العامل عمله كله[3]

وأحياناً تحدث معاملات فاسدة عن جهل بين الفلاح والعامل ، كمن يحرث الأرض بالربع أو الثلث من غير أن يجعل له صاحب الأرض نصيباً من الزريعة[4].وأعطى رجل أرضه على وجه المزارعة لعامل ، ثم باع الأرض بعد ما عمل العامل ، فيريد المشترى أن يدفع العامل عن الأرض فلم يجز الفقهاء ذلك ، بل هو على شرطه حتى يتمه[5].

وأكد الفقهاء على أنه : لا تجعل جناية الجير على من استأجره ، فقد استأجر رجل أجيراً للخدمة ، ودفع إليه دابة وغرائر يطحن عليها الناس بالكراء ، ولم يسال أحد عن الدابة، ولم يعرف أن الرجل أجير ، فهرب الأجير بالحمل الذي كان يحمله ، فطلب صاحب الطعام الأجير فلم يجده ، وعرف أنه أجير لفلان ، فذهب إليه صاحب الطعام وسأله فقال له: كان أجيرى فهرب بغرائرى ودابتي وطعامك[6].

وكان للفقهاء رأى مفصل في الرجل الذي يستأجر الحصاد وبلقاط على ما يفعله أهل

---

[1] المصدر السابق ٣٢٢.

[2] المالقى : الأحكام ٣٣٠.

[3] المالقى : ٣٢٦.

[4] ابن رشد : الفتاوى ١٣٦٧/٣ رقم ٤٨٦ ، المعيار ٢٢٢/١٠،٢٢٣ ، البرزلى : النوازل ٨٣/٢أ

[5] المالقى : الأحكام ٢٠٢.

[6] المالقى : الأحكام ٣١٢.

البدو ، وقالوا إن الاستئجار فاسد يفسخ قبل العمل ، فإن لم يعثر عليه إلا بعد الحصاد فالحب الملقوط لصاحب الزرع ، ولا شئ للقاط ولا للحصاد فيه ، وعلى صاحب الزرع أجرة مثل الحصاد على غير شرط اللقاط ، وعليه أجرة اللقاط على غير شخوصه في اللقط و الدرس والذرو ، وإن تنازعوا في ذلك بعد أن صار الملقوط حباً ، وإن كان قبل أن يدرسه اللقاط ويذروه ، كانت له الأجرة في اللقط خاصة والسنبل الملقوط لرب الزرع ، وإن كان اللقاط الذي صيره حب واستهلكه فعليه رد المكيلة إلى صاحب الزرع على صفته، وإن كان صاحب الزرع غائباً حيث لا يمكن معرفة ما عنده في ذلك ، وتنازعوا الحصاد واللقاط في ذلك ، بيع من الحب الملقوط ما يكمل منه الحصاد أجرة مثله دون اشتراط اللقاط، وما يعطى منه اللقاط أجرة لقطة ، ووقف سائر الحب من يد اللقاط[١].

واستأجر رجل من أهل مجريط (مدريد) أجيراً بطعام ، ثم خرجا إلى قرطبة ، فطلب طعامه منه ، فقال المستأجر : لا أعطيك طعاماً لأن ثمنه هنا مضاعف ، ولا أعطيك إلا مثل ما كان يساوى في مجريط[٢]. واستأجر رجل أجيراً على أن يعمل له في كرم على النصف أو جزء منه على ما يخرج الكرم[٣]، وقد يستأجر الأجير يحرث الزرع وله بعضه[٤]، وأجيز ذلك إذا اضطروا إليه مما لابد للناس منه.

واستأجر رجل أجيراً يحرث بزوجه في أرضه ، ويجرى له في ذلك سهما: خمسا أو ربعا، ثم ينظره بما يصير على العامل من البذر إلى وقت رفع الزرع ، وأجيز ذلك لو كان تطوعا ، أما إن كان بشرط فلم يجز[٥].

واغترس مغارس أرضاً بجزء معلوم ، ولقح غرسه ، وقام عليه العام والعامين ، ثم عجز عن العمل أو أراد الانتقال من موضع المغترس فيها قبل المغارسة ، ويذهب إلى بيع ما عمل من رب الأرض أو غير ممن يقوم على موضع الغراسة المذكورة إلى تمامها بذلك

---

(١) المالقى : السابق ٢٩٣.

(٢) ابن رشد : الفتاوى ٩٣٥/٢ ، المعيار ١٩٧/٦، ١٩٨، ٢٣٠/٨، البرزلى : النوازل ١١١/٢ب ، ابن سلمون: العقد المنظم ٢٩٢/١ .

(٣) المالقى : الأحكام ٣٢٧.

(٤) المالقى : الأحكام ٣٢٧.

(٥) المالقى : الأحكام ٢٩٥.

الجزء الذي أخذها هو به[1].

ويستأجر أهل القرى الحراس لحراسة الزرع من الصيد ، وأحياناً يأبى أحدهم ، ويحترس هو نفسه[2]، واشترك أربعة لهم حقول في استئجار حارس يحرس زرعهم ، ولأحدهم الزرع القليل وللآخر الكثير[3]، وكان لشريكين زرع ، وأراد أحدهما استئجار حارس وأبى الآخر [4]، ولم يجز الفقهاء حراسة الحراس للزرع والزيتون بعد خروجه على أن يأخذوا منه ، وإنما يكون بشيء معلوم في ذمة من استأجرهم[5].

٦- فئة العبيد والخدم :

عملت عدة عوامل على تكاثر العبيد في الأندلس منها: القرصنة البحرية، والصراع المستمر بين المسلمين والنصارى ، والحروب الأهلية الداخلية مثل فتنة بن حفصون التي كثر فيها بيع الأحرار ، هذا فضلاً عن بقايا العصور السابقة ، ومثلت هذه الفئة نسبة لا بأس بها في الريف الأندلسي – ثم عن طريق تجارة الرقيق التي قام بها اليهود والنخاسون[6] ، وكان العبيد من أجناس عدة أهمها : عبيد السودان ، والصقالبة ، والكروم ، وتركز الصقالبة في القصور بالمدن غالباً، بينما تركز عبيد السودان في البوادي والأرياف[7].

وعمل العبيد في ضياع الملاك فإذا بيعت الأرض يترك ما عليها من عبيد ، فقد أعطى أرطباش ميمون العابد مجشراً " مرعى " بما فيه من العبيد والبقر والغنم[8] ، وأقطع الأمير محمد أخوته كثير من الضياع وما يحتاجون إليه من العيال والإيماء والعبيد[9] ،

---

[1] ابن رشد : الفتاوى ١٣٦٠/٣، ١٣٦١ ، المعيار ٢٠٢١٦ ، البرزلى : النوازل ٧٧/٢أ ابن سلمون : العقد المنظم٤٢/٢.

[2] المالقي : الأحكام ٢٩٥.

[3] المعيار ٢٠٠/٨.

[4] المعيار ٢٠٠/٨.

[5] المعيار :٣٢٥/٨

[6] ابن سهل : وثائق فى أحكام قضاة أهل الذمة ٨٣،٨٥ ، ابن بسام الذخيرة ١٩/١/٣ ، ابن حزم : رسائل ابن حزم ١٧٥/٣، ١٧٦

[7] ابن سعيد : المغرب ٤٣/١ ، العبادى : الصقالبة فى أسبانيا ٨ وما بعدها .

[8] ابن القوطية : تاريخ افتتاح الأندلس ٥٩ .

[9] ابن حيان : المقتبس (ت مكى) ١٩٤ .

وأهدى درى الأصغر الخازن مولاه الخليفة الحكم المستنصر منية الرمانية ، وجميع ما كان له فيها وداخلها وخارجها من البساتين المسقية والأراضين المزروعة ، وكل ما بها من عبد وأم، وثور ودابة ، واشتمل ذلك على أعداد متوالية وأحوال وافرة ونعم مؤثلة[١] .

وكان العبيد دعامة أساسية في حياة المجتمع المغربي في هذه الفترة ؛ لأنهم من القوى العاملة المنتجة في القرى والمدن، فقاموا بمعظم الأعمال، فاستخدموا في بيوت أهل اليسار للخدمة، واحتاج إليهم الأمراء في الجيش ثم تقلدوا وظائف كبرى، واستعملوا كحرس للقوافل التجارية. وما يهمنا هو عملهم في القرى والضياع بفلاحة الأرض[٢].

وتمتلك الفئات القادرة عدداً من العبيد، ففي قرى القيروان وما حولها عمل فيها العبيد، وكذلك بين فاس وأغمات وجد العبيد في الأرض الزراعية[٣]، فكان أصحاب الضياع والملكيات الزراعية يسكنون المدن ويعمل العبيد – ومعهم الوكلاء عن الملاك – في الأرض مثل قرى الساحل قرب القيروان، وهناك من ملك قرية كاملة ويعمل بها العبيد مثل محمد بن مسروق القيرواني[٤] – في القرن الثالث الهجري – وبلغ سعر غلام يرعى الغنم عشرة دنانير[٥]، إلا أن العبد الذي يعمل في الفلاحة ضعف ذلك، وكان ليوسف تاشفين نحو ألفي عبد من عبيد السودان[٦] وللوزير عبد الرحمن بن مالك المعافرى كثير من الخدم[٧]، وكان للفقيه أحمد بن عبد الصمد حشم ورقيق[٨].

وذكر الإدريسي[٩]، استخدام العبيد في حراسة القوافل أثناء حديثه عن تجار " وما من رجل يسفر عبيده ورجاله إلا وله في قوافلهم المائة حمل والسبعون والثمانون حملاً كلها موقرة " وكانت لتجار أودغست أموال عظيمة ورقيق كثير كان للرجل منهم ألف خادم أو أكثر "[١٠].

---

[١] ابن حيان : المقتبس (ت الحجي) ١٠٦، ١٠٧ .

[٢] إبراهيم القادرى: الإسلام السرى في المغرب (دار سينا ، مصر ١٩٩٧م) ٢٣٠ وما بعدها، الجيب الحنجانى: المغرب الإسلامي ٩٢ .

[٣] التادلى : التشوف ٨٠ ، البكري : المغرب ٥٥.

[٤] المالكي : رياض النفوس ١٢٦/١ .

[٥] أبو العرب : الطبقات ٢٤١ .

[٦] الأمير عبد الله: التبيان ١٧١.

[٧] المقري : نفح الطيب ٢٣٢/٣.

[٨] ابن عبد الملك : الذيل والتكملة ٢٤٠/١/١ .

[٩] صفة المغرب ٦٦.

[١٠] البكري : المغرب ٦٨.

ويتم أحياناً إعارة العبد أو تسليفه أو تأجيره بأجرة معلومة من جانب أسياده[١] . فإذا استلف رجل عبد إلى أجل فيجزم العبد أو يجن فعليه أن يأتي صاحبة بعبد صحيح عند أجله ذلك ليس بمنزلة البيع[٢] .

ومن ابتاع عبداً عرض له داء في عهده الثلاث ، فمات منه بعد عهدة الثلاث إنه يتصرف بقيمة ما بين الصحة والداء ، ولا يكون له الرجوع بجميع الثمن ؛ لأنه بمنزلة من باع عبداً أو به عيب فمات منه ولم يدلس به فأنما يرجع ما بين الصحة والدار، ولا يكون له الرجوع بجميع الثمن إذا مات العبد[٣] . وإن أبق المملوك في عهدة الثلاث ونشده المبتاع آنفاً في أيام العهدة فذلك من البائع وليس للمبتاع الرجوع على البائع بالثمن إلا بعد أن يحلف المبتاع : لقد أبق عنه بحيث لا يعلم بغير ضرر أضر به ويرجع بالثمن[٤] .

وإذا باع رجل عبداً ثم ادعى البائع مالاً بيد العبد أنه له ، وقال المشترى بل هو كسبه عندي ، كان القول قول المشترى ، إذا قام العبد عنده مده يكسب فيها المال، وان لم يقم عنده مده يعلم أنه يكسبه فالقول قول البائع[٥] .

أما إذا اشترى رجل عبدين بعبد ووجد بأحدهما عيب فله أن يرد العبد المعيب إذا كان وجه العبدين مع قيمه التالف إذا كان العبد الذي بثمن العبدين لم يفت بحوالة أسواق فصاعداً، فإن فات فليس للذي وجد العيب بأرفع العبدين إلا أن يرد المعيب وحده بحصته من حصة الفائت، ويرجع بقدره من قيمة العبد الذي هو ثمن العبدين بسبب فوته ولا تنتقض الصفقة[٦] .

وهكذا تدل النوازل على كثرة العبيد والإماء في المجتمع الأندلسي والمغربي ، وكان لهم دور واضح في الفلاحة والأعمال المتعلقة بها ، ومن أكثر المشاكل التي تخص العبيد والإماء والخدم هي العيوب التي قد تظهر بعد البيع ، مثل قيام رجل على قومه من النخاسين

---

[١] ابن العطار : الوثائق ٥٥،٥٦ ، ١١٧ ، ١١٨ .

[٢] المالقى : الأحكام ٢٨٣

[٣] المالقي : الأحكام ٢٤٨

[٤] السابق السابق ٢٥٦.

[٥] المالقى :الأحكام ٢٦٧

[٦] المالقى : الأحكام ٣١٦ .

في خادم باعوها منه ، وظهرت بها عيوب ، فأمر صاحب الأحكام من يثق من النساء بالنظر في العيوب ، فأقرت المرأة أن العيب قديم و بمثله ترد الخادم ، فردت على النخاسين ، ثم رد النخاسون على التاجر الذي اشتروها منه وردوا الثمن ، ثم قام التاجر بمحاولة ردها إلى من اشتراها منه ، فقال له إنه باعها صحيحة وهى الآن مضروبة الظهر[1] .

وأحياناً يحكم الأطباء في العيوب التي ترد بها الإماء والعبيد ، فقد اشترى أحد الأشخاص خادما من رجل من أهل جراوة بفحص البلوط ، وبالخادم آثار يجب بها ردها ، وأقر الجراوى بذلك ، فشهد الطبيبان يحيى بن إسحاق وتمليخ أن بالخادم قروح غليظة قديمة يجب بها الرد[2] ، واشترى رجل آخر خادما صفراء من شخص وألفى بها عيوبا أقر بها البائع، وكانت هذه الحادثة سنة ٤٦٤هـ / ١٠٥٤م بقرطبة ، فحكم الأطباء بأن العيب قديم ويجب به الرد[3] . واشترى رجل جارية فبالت في السرير قرب شرائها ، وطلب ردها إلى من اشتراها منه[4]. وهناك عيوب خفية قديمة لا تظهر إلا بعد مدة طويلة ، يكون الخادم قد تنقل بين أكثر من مشتر ، وهنا يجب رده إلى بائعه الأصلي[5] .

ومن أظهر ما أوضحته النوازل حمل الإماء ، ومن ذلك من اشترى أمة سوداء ثمنها مائة مثقال وواحد وستون مثقالاً ذهباً قرمونية ، وقام بعد سبعين يوماً مدعياً إنها لم تحض عنده في شئ من هذه المدة ، وأراد ردها بارتفاع حيضتها [6]، وهناك من اشترى جارية بثمانية وعشرين مثقالاً ونقده ، وسأله عن استبرائها فقال له : إلى ثلاثة أيام تأتيها حيضتها ، فانتظر المشترى عشرة، وظل ينتظر إلى ثلاثة أشهر ولم تحض[7]، واشترى رجل أمة فظهر بها حمل[8]، وأوصى أحد الأشخاص بعتق أمة اعترف بوطئها وظهر بها الحمل[9]، واشترى

---

[1] ابن سهل : الإعلام ٤٠٠/١ .
[2] ابن سهل : الإعلام ٤٠٢/١
[3] المصدر السابق ٤٠٥/١ ، ٤٠٦
[4] السابق ١ /٤١٣
[5] عياض : مذاهب الحكام ٢٥٧.
[6] ابن سهل : الإعلام ٤١٠/١.
[7] المصدر السابق ٤١٢/١ .
[8] السابق ٣٩٣/١.
[9] عياض : مذاهب الحكام ١٨٣.

رجل جارية ودفع ثمنها غير دينارين، وظهر بالجارية عيب وجب به ردها ، فقال البائع : إنما أخرجها إليَّ المبتاع مستبرأة ، فقال المبتاع : لم أقبضها مستبرأة ، ولا وطئتها بعد شرائي لها ، ولا اشتريتها للوطء ، ولا هي من جواري المتعة[1] . وكذلك باع رجل جاريته من رجل على أن أحد ما بالخيار ثلاثا ، فيثبت عليها المشترى فيطأها في أيام الخيار وتحمل منه[2]. ومن تسرى بأمة فحملت منه حملاً ، فهي له أم ولد ولا يجوز بيعها ولا إجارتها ، ولا إسلامها في جناية إن جنتها ، وإن له فيها الاستمتاع وخفيف الخدمة وإذا مات خرجت حرة من رأس المال[3]

وحدث في الريف الأندلسي أن رجلا" توفى وكانت له مملوكة ، فقامت بعقد استرعاء يتضمن أن شهداء سمعوا سيدها يقول : إنها أم ولده ، ولهذه المملوكة ولد صغير ، وتركها سيدها حاملاً، فأنكر الورثة أن يكون ولدها الذي معها أو حملها منه . فحكم لها القاضي أن شهادة الذين شهدوا أنها أم ولد عاملة ، ولا يضرهم من خالفهم بالشهادة على إنكاره ، والحمل الذي بها لاحق به ، إلا أن يكون قد نفاه[4].

ومن مشاكل العبيد التي ذكرها ابن سهل[5]أن قام عند القاضي شخص يدعى محمد بن الشامة ، فذكر أنه باع عبداً من ابن عقيل النخاس وأقبضه العبد ولم يقبض منه الثمن ، وحضر ابن عقيل فقال : قبضت منه مملوكاً أسوداً لأبيعه ولم اشتره منه ، وقد أبق منى ، ومشكلة أخرى[6]عن رجلين أتيا القاضي ومعهما غلام كل منهما يدعيه ملكا .

وتسبى الحرائر في وقت الفتن، وتباع على أنهن عبيد ، ويكون ذلك بين أهل الريف ، مثل ذلك تلك المرأة التي ادعت الحرية ، وأنها من موضع بجيان سمته ، وأن متغلباً في ذلك الجانب أغار عليهم فسباها فيمن سبى ، وهى حرة، وذكر المشترى أنه اشتراها من ذلك

---

(1) ابن سهل : الإعلام ٤٠٩/١.

(2) المالقى الأحكام ٢٦٥ .

(3) ابن سهل : الإعلام ١٩٣/١.

(4) عياض : مذاهب الحكام ٢٦٤ ، ٢٦٥ المعيار ٢٠٨/٩ ، ٢٠٩.

(5) ابن سهل : الإعلام ٥٤٩/١.

(6) المصدر السابق ٥٥٤/١.

الجانب التي زعمت أنها من أهله[١]، وتكرر ذلك من عبد[٢]، وكذلك مملوكة من يابرة ادعت الحرية ، وعينت أهلها بمدينة يابرة[٣] .

وقامت امرأة ممتلكة لرجل من أهل قرطبة تدعى الحرية ، وأنها ابنة فلان من سبتة بالمغرب ، وشهد لها شاهد أن علم أنهما يعرفانها بسبتة سبعة أعوام تتصرف تصرف الحرائر[٤] ، وحدث مثل ذلك أيضاً في قرطبة ، عندما اشترى رجل جارية وشهد شاهد بحريتها[٥].

وأحيانا يُعْتَق العبد ، فقد مات أحد الأشخاص بسبتة وترك تركة وغلاما ، فتقاسموا التركة حتى وصلوا إلى الغلام المسمى :" سعادة الأسمر" ، فقال من حضر المجلس عسى أن تفعلوا مع هذا الغلام خيرا وتعتقوه ، إذا لم يقصر الميت معه لحسنه ، وثمن الغلام بعشرة مثاقيل رضى أحد الأشخاص على شرط العتق[٦] ، وهناك جارية معتوقة ، ولها ابنة مملوكة من ثلاثة أعوام ، فتزوجت ورغبت في الخروج مع زوجها وتريد أخذ ابنتها معها[٧]

وبيعت جارية رومية لم تبلغ المحيض بأربعة وثلاثين مثقالاً[٨]، وأشهد رجل في مرضه المتصل بوفاته ببيع خادمة سوداء له من زوجه ، وله ولدان ذكر وأنثى من غيرها ، ثم مات ، فاعترض المقدم على الولدين البيع[٩]، وهناك امرأة بيعت عليها مملوكة تحت الضغط والإكراه في مال التزمته بغير حق ، فقام ورثتها فيها على مشتريها ، فأثبت المشترى أن الابتياع كان صحيحا بعد الإكراه بشهرين[١٠] .

---

(١) السابق ١/١٨٧.
(٢) السابق ١/١٨٨.
(٣) السابق ١/١٨٩.
(٤) المصدر ١/١٩٠.
(٥) ابن رشد : الفتاوى ٣/١٦١٨المعيار ٦/٦٦٩.
(٦) عياض : مذاهب الحكام ٢٦٠، ٢٦١ المعيار ٩/٢٣١.
(٧) المعيار ٩/٢٢٤.
(٨) ابن رشد : الفتاوى ٣/١٦١٥.
(٩) ابن رشد : الفتاوى ٣/١٦٣٧.
(١٠) إبن رشد : الفتاوى ٣/١٦٤٢ ، المعيار ٩/٦٣٣ .

٧- الصناع والحرفيون في الأندلس والمغرب:

كانت الصناعات والحرف من الأنشطة الهامة التي ازدهرت بين القرن الثالث والخامس الهجريين ؛ للتطور الحضاري والعمراني الكبير في هذه الفترة، وخلق ذلك حاجات استهلاكية جديدة، فأصبحت الحرف مجالاً حيوياً للفئات الشعبية، ونظر إلى تعلم الصناعات نظرة إيجابية، فروى أن أبا محمد عبد الله التبان أنه قال: " قال لي أبى ذات يوم، يا بني ما يكون منك لا تعرف صنعة واشتغلت بالعلم ولا شئ عندك"[(١)]، واشترط أحد الآباء على أن لا يزوج ابنته " إلا لمن له صناعة يستر حاله وحالها بها "[(٢)].

وقد حفلت كتب التراجم والطبقات والحسبة بالإشارة إلى أصحاب الحرف والصناعات فمنهم البناء والرفاء والصباغ والحائد والخياط والزجاج والطحان والسقاء والحزاز والدلال والنساخ والفحار[(٣)] ، ومعظمها كما نلحظ مرتبطة بما تخرجه الأرض الزراعية.

وكانت هذه الحرف تورث فيقول المثل "صنعة ولدك ولو كان حشاش" [(٤)]، وكان الأب يحرص على أن يخلفه ولده [(٥)].

ووجد مَنْ عمل بصناعة الفخار والأواني الخاصة بالأطعمة والقدور وأقداح الوضوء والغلال [(٦)]، وهناك عمال الصناعات الجلدية التي يصنع منها النعال والأنطاع للطحن عليها في بيوت الفلاحين خاصة ، وفي تصنيع الأحقاف "من الجلد البقري" [(٧)].

وهناك من اشترك مع الملاك في امتلاك الأرحاء والمصانع [(٨)]. وكان هناك

---

(١) الدباغ : معالم الإيمان ١٩٩/٣ .

(٢) النويري : نهاية الإرب ٤٦٤،٢٣.

(٣) المالكي : رياض النفوس ١١٧/١، ١٣٨، ١٣٩، ١٩٥، ٢٠٣، ١٤٦، ١٥٨، ٢٠٠، ٢٢٦، ٢٣٧، الدباغ : معالم الإيمان ٧٥/٢، ١٢/٣، ١٠٩، ١٢٦، ١٦٠، ١٩١، ٢٢٧ .

(٤) الزجالي : أمثال العوام ٢١٥/٢ ، ٢٤٥

(٥) المراكشي : الذيل ق١ رقم ٤٥٤ ص ٣٢٩ ، ٣٣٠.

(٦) السقطي: في آداب الحسبة ٦٧.

(٧) السقطي : المصدر السابق ٦٤ ، ابن عبد الرؤوف : ثلاث رسائل في الحسبة ١٠٣.

(٨) المعيار ٤٠٨/٩ ، ابن رشد : النوازل ٨ ، ٧ ، ابن الأبار : الحلة السيراء ٢٦٠/٢.

الطحانون الذين يطحنون الغلال نظير أجر معلوم [١].

وأوردت كتب الحسبة العديد من الحرفيين الذي ارتبطت حياتهم بالأملاك الزراعية وما تخرجه الأرض :

الفرانون : يتعلق عملهم بالغذاء الذي لا غنى للإنسان عنه ، وكان أهل الريف يخبزون خبزهم في بيوتهم كما هي العادة ، أما أهل المدن فكان يخبز لهم في أفران خاصة ، وفي أماكن يشترط فيها ألا تؤذي الآخرين ولا تضرهم ، ويجعل للأفران أنبوباً يخرج منه الدخان [٢]، وهناك من يعجن خبزه في بيته ثم يذهب به للفرن مثلما فعل القاضي مسرور بن محمد عندما استأذن من مجلس القضاء وسار بعجينه إلى الفرن [٣]، وانتشرت الأفران في كل مكان في المدن والقرى الأندلسية ، وكان سعر الخبز يتأثر بأثمان الدقيق في أوقات الأزمات التي كانت تؤثر أول ما تؤثر على هذه الطوائف .

وهناك عمال الأرحاء والمطاحن ، وكانت تدار بالمياه والرياح أو الحيوانات ، وأكثرها أرحاء المياه ، ولكثرة إنتاج الحبوب الغذائية من قمح وشعير كثرت المطاحن والأرحاء [٤].

الخياطون : تعتمد هذه الحرفة على النسيج الذي توفر في الأندلس ، وكان هناك الخياطون في الريف الأندلسي حيث يقومون بخياطة الثياب لساكني الريف، وهي في الغالب ثياب رخيصة وتقول الأمثال الريفية " ثياب أبو إبراهيم ثلاثة بثلث الدرهم جبه لا تساوي حبه" [٥]، وأما في المدن فكانت هناك أماكن خاصة بالخياطين مثل منية الخياطين بقرطبة[٦]، وكانوا أفضل حالاً من خياطين الريف لأن مستوى الحياة في المدن أعلى منها في الريف ، ولهذا كان لهم عريف[٧].

---

(١) السقطي : من آداب الحسبة ١٦ ، ٢٤.

(٢) الخشني : قضاة قرطبة ٧٩ ، ٨٠ ، ابن فرحون : الديباج المذهب ٢/٢٥٢.

(٣) قضاة قرطبة ٤٤

(٤) السقطي ٤٨.

(٥) الزجالي : أمثال العامة ٢/١٦١ مثل ٧٤٢.

(٦) ابن الفرضي ١/١٩٨ ، الحلة السيراء ١/١٩٣.

(٧) ابن حيان : المقتبس (ت مكي) ٢١

البناءون والنجارون: تزدهر هذه الحرف مع التوسع العمراني ، فيقوم البناءون ببناء الدول والقصور والمساجد وغير ذلك ، وكان يؤخذ عرفاء البنائين في الحملات العسكرية لاستخدامهم في هدم الأسوار والقلاع والقناطر مثلما حدث في هدم قنطرة طليطلة في عهد الأمير محمد بن عبد الرحمن (١). وكما سنرصد في بناء المدن والحصون وغير ذلك ، فنجد أن البنائين قد عملوا في هذه الفترة بشكل ساعدهم على الحياة الكريمة .

ومثل البنائين حرفة النجارة وما ارتبط بها من النشارين والخراطين وكل ما يتصل بالخشب (٢)، والغالب أن النجارين في الريف يعملون بالنجارة بجانب عملهم في الأرض ، لأن أعمال النجارة في الريف لا تكون طول العام ، فعندما يجد النجار عملاً يعمله أسرته في الحقل الذي يزرعه مشاركة أو ملكا له.

العطارون : الذين ينتجون العطور ويتجرون فيها كالمسك والزعفران ، وكان يوجد في الربض الغربي لقرطبة سوق للعطارين (٣)، وكان مجتمع الناس (٤).

الجزارون : وتقام محلاتهم على مجاري الأنهار في الغالب وذلك لحاجتهم المستمرة للمياه ، وكانت هناك حوادث قتل تحدث من الجزارين بسبب الأسلحة البيضاء المستعملة معهم دائماً، مثلما حدث في عهد الأمير عبد الرحمن بن الحكم (٥).

الحصارون : وهم الذين يقومون بصناعة الحصر من الحلفاء – غالباً– ، ويستعملها الفلاحون في صناعة الجبن.

الحبالون : الذين يقومون بصناعة الحبال وفتلها وتهيئتها للاستخدام في سائر الأغراض الفلاحية ، وتستخدم الحبال بكثرة في الريف ، وكان بإمكان أصحاب الأعمال هذه أن يخرج منهم كبار الموظفين والقواد ، فقد عير الناصر أحد قواده بأن جده حبالاً (٦)، "حوثرة بن عباس يفتل الحبال في اسطوانة ويخيط الحلفاء على باب داره" ، وهناك أيضاً

---

(١) م مكي ٣٠٦.

(٢) المقدمة ٤١١.

(٣) ابن حزم : نفط العروس ٧٤ .

(٤) ابن حزم : طوق الحمامة ٢٢

(٥) ابن القوطية : تاريخ افتتاح الأندلس ٩٠ ، ٩١.

الفخارون الذين يصنعون الأواني والقدور والأقداح وهي صناعة لا غنى للناس عنها في الأرياف والبوادي [1].

أما الصناعات والحرف في الأرياف فتلائم متطلباتهم البسيطة مثل النسيج والحدادة والفخار والبناء والصناع في الغالب يعملون في أراضيهم مع احتراف هذا العمل، وأهل الريف يذهبون إلى المدن بما فضل من صناعاتهم[2].

وتتم الصناعة في الأرياف والقرى المغربية في البيوت ثم يذهب بها إلى الأسواق، فكان يصنع الجلود وتحاك الثياب في قرى مكناسة[3]، ونساء القرى في السوس وأغمات يتكسبون بما يصنعون " وأهل السوس وأغمات أكثر الناس تكسباً يكلفون نساءهم وصبيانهم التحرف والتكسب[4]، والنساء في أحواز القيروان يقضين أوقاتهن وراء المنسج، وفى قرى سوسة تعيش امرأة وزوجها الشيخ الكبير على غزل الكتان[5]، وساعدت طريقة الصناعة في البيوت على معيشة هذه الشرائح قليلة الدخل وعدم خضوعها للضرائب والمكوس، وعدم تحمل دفع إيجار الدكاكين، هذا فضلاً عن توارث الصنعة[6] .

وهناك من يملك أماكن العمل والحرف كما فعل عبد الحق بن عبد الوارث بنى داراً لدبغ الجلود يكريها [7]"، وهناك من يمتلك الأفران والمطاحن والمناسج والحمامات[8] وقد يشترك أكثر من شخص في هذا الامتلاك[9] فبلغ عدد المشتركين في مطحن ستة عشر شخصاً في حين امتلك شخص أكثر من عشرة معاصر وأرحاء ومطاحن[10]، ويستأجر

---

(٦) مجهول : أخبار مجموعة ١٣٨ ، ١٣٩

(١) عويس : الثور البحرية ٣٥٠ ، الصلة ٣٠٦/١

(٢) بروفنسال : الإسلام في المغرب والأندلس ٢٧٤،٢٧٥ .

(٣) الدباغ : معالم الإيمان ٤٠٩/٢ ،٢٢٠ ، الاستبصار ١٨٨

(٤) البكري : المغرب ١٦٣

(٥) المالكي : رياض النفوس ٢٦/٢

(٦) ابن فرحون : الديباج المذهب ٦٩/١

(٧) الدباغ : معالم الإيمان ٢٢٧/٣

(٨) الونشريسي : المعيار ٢٢٢/٥، ٨/ ١١٤، ٤٨/٩ ، ١٠ /٦٦٢

(٩) المصدر السابق ٣٥٥/٦ ، ١١/٨، ١١٥، ٤٩،٩١،٦ ، الحلة السيراء ٢٦٠/٢

(١٠) المعيار ٤٠٨/٩، ١٠٠ ٦٦

الملاك الصناع الحرفيين.

وهناك ثلاثة أصناف من الصناع هم[1]:

- الصانع الخاص الذي يملك آلات العمل ويكريها لغيره بأجر معلوم ووقت محدد.
- الصانع المشترك، وهو ليس بأجير عند رب العمل، وإنما يقدم خدمته لمن له حاجة
- الصانع المتجول مثل صناع الأدوات الحديدية أو الخشبية .

وارتبطت فئات اجتماعية بالأسواق والشوارع والميادين مثل الوكلاء الذين يقومون بترويج السلع وبيعها بدلاً من أصحابها وفق عقد ، بحيث لا يتعدى الوكيل على ما أتفق عليه مع صاحب العمل[2]، وهناك السمسار الذي يتوسط بيْن الفلاحين والصناع وبين التجار، واتخذ بعضهم للسمسرة دكاناً خاصاً[3]، وكذلك الدلالون وهم وسطاء بين البائع والمشترى، وأحياناً يبيعون السلع نظير أجر معلوم[4] وأيضاً الحمالون الذين يحملون السلع على أكتافهم أو باستخدام حيوانات النقل، وكان لهم مكان خاص يسمى الموقف[5] .

وهذه الشرائح لا تمتلك إلا القليل من المال، فأحدهم اشتكى الفقر، وأنه لا يمتلك إلا ديناراً واحداً[6]، وهناك رجل وضعت امرأته ولم يجد ما يمون به مولوده الجديد[7]، وآخر أصابته فاقة، وظل يومين بلا أكل فأجبر على رهن ثيابه لشراء رغيفين[8] ، وتسوء أحوال هؤلاء الصناع والحرفيين وقت الحروب والثورات والمجاعات، فتقل التغذية لهلاك الزرع والضرع " وإذا ظهر في السوق بعد أيام كثير شئ من خبز الشعير يحشر الناس عليه، وإنهم لقيام ينظرون، وما يصل إليه إلا الكفاة الذين لهم تجلد على الاقتحام وصبر، ثم لايعدم الذي يتوصل إليه أن يجتمع عليه العشرون وأكثر من الضعفاء والمساكين حتى ينتزعوه منه قهراً. وأما شيخ أو عجوز أو طفل أو ضعيف فإنه لا يصل إلى شئ ولا على لقمة منه، وسائر

---

(1) الذيل والتكملة ٣٢١/١/٥

(2) المصدر السابق ١٧٩/٤ ، ١٨٠ الونشريسي : المعيار ٣٢٠/١٠،٣٣٢،٣٣٤،٣٣٧

(3) التادلى : التشوف ١٣١،١٣٢ المعيار : ٢٣٠/٨،٣٥٥،٣٥٦،٣٥٧،٣٦١

(4) المعيار ٣٢/٥

(5) مجهول: مناقب الشيخ السبتى " مخ " ١٠٢

(6) المصدر السابق ١٠٢

(7) السابق نفسه ١٠٣

(8) ابن الزيات: أخبار أبى العباس السبتى "مح " ١٠٢

الأيام إنما يظهر في الأسواق ما يكرر طحنه من فيتور الزيتون وغيره ، فهو كان غذاء الناس لأنه كان كثيراً بالبوادي الخالية فتجتلبة الضعفاء ويقتاتون به[1]" .

ورغم ذلك فكان يلتفت إلى هذه الشرائح في الأوقات الصعبة فتوزع عليهم الصدقات[2].

٨- التجار:

كان لازدهار التجارة المغربية معظم فترات الدراسة أثره على الفئات السكانية التي عملت بالتجارة ، فتمتع التجار بثروات ومعيشة طيبة بالمقارنة بغيرهم ، ففي مدن المغرب الأدنى اشتغل كثير من السكان بالتجارة بما فيهم العلماء فكان عند هاشم بن مسرور التميمي ألف دينار تصدق بها ، ولم يبق معه إلا خمسة دنانير فاتجربها حتى عادت ألفا[3]، وكان الزاهد أبو عبد الرحيم تاجراً في سوق البزازين بالقيروان[4]، ولعبد الله بن فروخ حانوت يتاجر فيه[5]، ويبيع العالم عوف بن يوسف الكتان في حانوته[6]، ويبيع إسماعيل من ناقع البز في سوق القيروان[7]، ومما يدل على غنى التجار قول أبي عثمان سعيد ابن الحداد " قدمت من طرابلس فكنت في رفقة فيها سبعون حملاً براً من صداف البصرة، وجميع ما في الرفقة من الجمال والأحمال والأعوان لرجل واحد"[8].

أما مدن المغرب الأوسط فقد غلب عليها التجار ، وتحولت غدامس وورجلان وزويلة وغيرها من قرى عامرة إلى مدن تجارية ، ومارس الأئمة الرستميون الأعمال التجارية ، فامتلك عبد الرحمن بن رستم قوافل تجارية تتجه بالبضائع إلى السودان[9]، وفي عهد الإمام أفلح "عمرت معه الدنيا ، وكثرت الأموال والمستغلات وأتته الوفود من كل الأنصار والآفاق بأنواع التجارات ، وتنافس الناس في البنيان[10]، ويؤكد ابن الصغير شهرة

---

(١) ابن عذارى: البيان المغرب ٣٢٥ ، القسم الموحدى، وهو يصدق على الفترات قبلها وبعدها

(٢) مجهول : مناقب الشيخ أبى العباس ١٠٣

(٣) الدبائغ : معالم الأيمان ٣٤٤/٢

(٤) المالكي :رياض النفوس ٣٢٧

(٥) المصدر السابق ١٢٢/١.

(٦) أبو العرب : الطبقات ١١٩.

(٧) المصدر السابق .١١٩

(٨) الدبائغ: معالم الأيمان ٣١٢/٢.

(٩) الشماخي: السير١٥٨.

(١٠) ابن الصغير : أخبار الأئمة ٢٦

تاهرت التجارية بقوله: "استعملت السبل إلى بلد السودان وإلى جميع البلدان من مشرق ومغرب بالتجارة وضروب الأمتعة ...والناس والتجار من كل الأقطار يتاجرون " والإمام أبو اليقظان" قد أخرج ابنه أبا حاتم في جيش ليجوروا قوافل قد أقبلت من المشرق وفيها أموال لا تحصى[١].

والتجارة في مدن جنوب المغرب الأقصى مصهر الثروة فأهل سجلماسة من أغنى الناس وأكثرهم مالا لأنها على طريق من يريد غانة التي هي معدن الذهب ، ولأهلها جرأة على دخولها"[٢]ويؤكد ابن حوقل ذلك"[٣]مع تجارة غير منقطعة منها إلى بلد السودان وسائر البلدان وأرباح متوافرة ورفاق متقاطرة وسيادة في الأفعال وحسن وكمال في الأخلاق والأعمال ، يخرجون برسومهم عن دقة أهل المغرب في معاملتهم وعاداتهم إلى عمل بالظاهر كثير، وتقدم في أفعال الخير شهير"، ووجد التجار المياسير - أيضا - في أغمات وسلا ودرعة والسوس ، فتجار سلا في سعة وشراء[٤].

وخطورة السفر أبرز ما قابل التجارة المغربية من مشاكل ، فتؤجر القافلة الأدلاء في أول بلاد لمتونة وغالباً ما كانوا من قبيلة مسوفة الذين هم أدرى الناس بالطرق الموصلة للسودان[٥]، وترسل الرسائل إلى وكلاء التجار أو معارفهم في البلاد التي سيحلون بها ، وتتعرض القافلة التجارية للخطر إذ ضل الدليل أو مات[٦].

١٠- مستوى المعيشة في الأرياف :

يعيش بعض العامة في بحبوحة نتيجة امتلاكه بعض الأرض أو وسائل الإنتاج مثل صغار الفلاحين والتجار وأصحاب الحوانيت والدلالين[٧]، أومن ورث العقارات والأراضي . ويعيشون فيها في يسروستر وتصرفوا فيها بالبيع والشراء ، فامتلكوا المئات من الدنانير من تأجير البيوت ، فقوم كراء دارين لمدة من السنين ١٤٤،٥ مثقالاً[٨]، وبيعت دار بقرطبة

---

[١] السابق نفسه ٥٠.

[٢] ياقوت : معجم البلدان ١٩٢/٣.

[٣] صورة الأرض ٩٠.

[٤] البكري : المغرب ١٥٥، ١٦٣.

[٥] ابن بطوطة : الرحلة ٧١.

[٦] ابن رشد: الفتاوى ١٠٤٥/٢.

[٧] ابن سهل : الإعلام ٦٢٥

[٨] ابن سهل : السابق ٣٨١

لامرأة اسمها صبور بحومة مسجد عبادل بقرطبة بـ٢٨٠ مثقالاً قرمونية رغم ما فيها وهى الأسس والملوحة وقدم البنيان[١]، والجنة التي بيعت سنـ٤٥٧ـبـ٢٤٠ مثقالاً قرمونية ، والتي كانت بشرق المدينة بحوانيت الريحانى في حومة مسجد أسلم[٢]، وبيع البغل بـ٢٤ عملة ذهبية[٣]، وبيعت قطعة أرض صغيرة على الوادي الكبير بعشرة دنانير ذهبية ، ونتيجة للقنطرة التي أمامها المنصور ابتاعها منه المنصور بـ١٠٠ دينار فقبضها العامى وهو غير مصدق[٤]، وبيع جزء من حقل بأربعة دنانير، ورهن حقل على ١٠٠ دينار، ورهن نصف كرم على ٥٠ عملة ذهبية[٥]، وإن لم تحدد لنا المصادر مساحات هذه الأرض.

وغالب العامة والفلاحين يملكون دخلاً صغيراً ، لقلة الأجور، فأورد المقري[٦] أجور العامة في بناء مدينة الزهراء ، وتراوحت بين الدرهم والدرهمين والثلاثة (والدينار يساوى ١٧ درهماً) فبلغ الدخل الشهري بين ٣ إلى خمسة دنانير. والعامة والفلاحين أكثر المتضررين من الأزمات من القحط والمجاعات ، فلا تكاد تنشب الحروب والثورات حتى تدمر البساتين وتخرب الزرع[٧]، فيلجئون إلى المدن بحثاً عن الغذاء، ويلجأ بعضهم إلى السلب والنهب[٨]، فهم أقل الفئات صموداً أمام ارتفاع الأسعار ويمكن مقارنة ذلك بأسعار السلع مع أجور العامة ، فبلغ سعر ربع الدقيق في إحدى سنوات القحط أيام المنصور دينارين[٩]، وأثناء الفتنة البربرية ٣٠٠ درهم ، ووصل مد القمح خمسة عشر دينارا[١٠]، ولذلك كثر الموتى بين العامة حتى عجز عن دفنهم لكثرتهم[١١]

---

[١] السابق نفسه ٥٥٢

[٢] المصدر السابق ٥٢٤

[٣] صلاح عيد : عامة قرطبة (دكتوراه ، آداب القاهرة ١٩٩٨م) ٢٤٧.

[٤] ابن سهل: الأحكام ٥٢٠ .

[٥] البيان المغرب ٢٨٨/٢ .

[٦] نفح الطيب ٥٢٦/١.

[٧] ابن عذارى: البيان المغرب ١٠٧/٣ .

[٨] ابن عذارى المصدر السابق ١٠٢/٣، النويرى: نهاية الأرب٤٢٧/٢٣

[٩] النويرى: نهاية الإرب ٤٢٧/٢٣.

[١٠] ابن القطان : نظم الحمان ١٩٧.

[١١] ابن عذارى: البيان المغرب ١٠٥/٣ ، نظم الجمان ١٩٧.

المبحث الثالث

العادات والتقاليد والاخلاقيات

المبحث الثالث:

العادات والتقاليد والأخلاقيات .

١- الزواج :

الزواج سنة كونية تكون النظام الأسرى الذي يتكون ، ولم يكن الزواج ميسراً في الأندلس بشكل كاف فكانت له تكاليف باهظة لرغبة النساء في التباهي، تقول الأمثال " حليني وإلا تخليني " و" هم البنات للممات " و" وى على من مات وخلى سبع بنات " و" زوجوه حوجوه"[١]، وزاد من صعوبة الزواج كثرة الحروب مخلفة عددا من الأرامل وجالبة الجواري[٢]، فقيل عن المنصور[٣] إنه: " ملأ الأندلس غنائم وسبيا من بنات الروم وأولادهم ونسائهم، وفى أيامه تغالى الناس بالأندلس فيما يجهزون به بناتهم من الثياب والحلي والدور، وذلك لرخص أثمان بنات الروم، فكان الناس يرغبون في بناتهم بما يجهزون مما ذكرنا ولولا ذلك لم يتزوج أحد حرة " ويبدأ سن الزواج من سن البلوغ النفسي والبدني، وهو يختلف من منطقة جغرافية إلى أخرى ،وسن الشاب عادة أكبر من سن الفتاة، وأحياناً يتم العقد في سن صغيرة، ولا يتم البناء إلا بعد البلوغ[٤] .

وهناك صفات ترجى في الفتاة رغم اختلاف ذلك حسب المستوى المالي والثقافي وأبرزها ثلاث خصال: طيب الأصل، وحسن الخلق ، وكمال الدين، وغلب على أهل الريف تزوج البدينة الشقراء، وقالوا في ذلك: " الشحم زين ومن فقدت حزين "[٥]. ويرشح اختيار الزوجة- في الغالب - من الأقرباء أو الجيران أو فتيات القرية أو القرى المجاورة[٦]وقلما تزوج الريفي من المدينة[٧] .

ويبدأ الزواج بذهاب أم العريس أو إحدى قريباته إلى بيت العروس، ولعرض طلب

---

[١] الزجالى: الأمثال ٢٤٢/٢ مثل رقم ١٣٥ ، أزجال ابن قزمان صـ٢١ ، قصيدة ٢١،والزجل فى الأندلس ٧٦

[٢] يقول ابن قزمان و"الربض لاشيوخ ولا حجاج: وأرامل ملاح بلا أزواج"

[٣] ابن حزم : طوق الحمامة ٧٩،٧٨ .

[٤] المرادي : الإشارة فى تدبير الإمارة ٦٨

[٥] الزجالى: الأمثال رقم ١٠٧

[٦] دندش: الأندلس فى نهاية المرابطين ومستهل الموحدين ٣٠٢

[٧] ابن عبدون : ثلاث رسائل فى الحسبة ٥٣

الزواج، ويقوم بهذه المهمة أحياناً إحدى النساء المسنات الصالحة المنقط الرجاء من الرجال، وأحب أعمالها إليها وأرجاها للقبول عندها سعيها في تزويج يتيمة وإعارة ثيابها وحليها لعروس مقلة[١].

وللأب اليد الطولى في تزويج ابنته، ولابد من رأيه وإذنه، ويحدث في ذلك – أحياناً– مخالفات، مثل الولي الذي زوج ابنته المتزوجة في غياب زوجها ورغماً عنها[٢]، وسجنت امرأة تزوجت بدون إذن وليها[٣]، وهناك من يزوج ابنته في سن مبكرة قبل البلوغ، فورد أن رجلاً كانت له ابنة لها ثمانية أعوام، فخطبت إليه، فأبى عن زواجها لصغرها، ثم إنه فيها زوجها على أن لا يدخل بها الزوج إلى اقتضاء أربعة أعوام[٤].

ويقوم فقيه القرى بعقد القران، وفى القرى التي لا يوجد بها فقيه يستدعى أهل العروسين أحد العدول من جهة قريته، ويشهد أهل القرية أو خمسة أشخاص للشهادة على صحة الزواج[٥]، وتكشف عقود الزواج عن الشروط التي تضعها، وما تهبه الزوجة لزوجها، وقيمة الصداق والهبة، والهدايا المتبادلة بين الطرفين؛ فأصحاب الأملاك الزراعية وأهل القرى يقدمون جزءاً من الحقل الذي يملكونه، ويسجل ذلك في وثيقة الزواج، فورد أن الزوج ساق لزوجته نصف الحقل الذي يملكه[٦]، وآخرون يهبون زوجاتهم عدداً من المواشي، أو جزءاً من عقار أو أرض أو منشأة ، وقد تبلغ هدية الزوجة ٥٠ مثقالاً[٧]، وأحياناً يهب الأب لابنته المتزوجة داراً أو قطعة أرض لصهره يبنى فيها داراً، أو يهب أملاكاً زراعية واسعة[٨].

والشروط الغالبة في هذه الفترات – وهى شروط كل زواج– التي يتعهد بها الطرفان: المعاملة بالحسنى، وحسن الصحبة، وجميل المعيشة، وعدم النكاح من ثانية أو

---

(١) ابن حزم: طوق الحمامة ٧٨،٧٩ .

(٢) ابن رشد: الفتاوى ٦٢ .

(٣) ابن الحاج: النوازل ٦٦،٦٧ .

(٤) ابن رشد: الفتاوى ٥٦ .

(٥) الونشريسى: المعيار ٣/ ٢٧٠ ، ٩/ ١٨٠،١٨٠، ٢١٨ ، دندش : الأندلس فى نهاية المرابطية ٣٠٢.

(٦) ابن ورد : النوازل " مخ، ورقة" ١١ مسألة رقم ٣٣.

(٧) ابن الحاج: النوازل ٤٨ .

(٨) المالقى: الأحكام ٣٩٧

التسرى أو الغيبة الطويلة[1]، وأحياناً تشترط الزوجة في عقد النكاح أن ينفق الزوج على ابن لها من غيره مدة معينة ، وإن لم يجز العلماء ذلك[2]. وهناك من زوّج ابنته من رجل وتحمل الأب عنه النقد والهدية والكالئ معلوم أجل معلوم[3]، وأحياناً ينحل الرجل ابنه المتزوج في حين عقد نكاحه بثلث مستغل أملاكه[4].

وتتفاوت قيمة الصداق، وينقسم إلى قسمين: النقد " المقدم " والكالئ " المؤخر " ، إذا حَلَّ أجل الكالئ قبل الدخول فلها أن تأخذ زوجها بكاليها، ولها منع نفسها ، حتى يعطيها كاليها[5] وإذا حل الكالئ قبل البناء لها أن تأخذه وتجهز به نفسها. وأحياناً تضيع عقود الزواج في أوقات الفتن وذهاب الكتاب من أيديهم، ويؤدى ذلك إلى مشاكل مطالبة الزوجة بمؤخرها[6].

وتحاول الأسرة تجهيز ابنتها بكل ما تستطيع[7] ، فجهز أحد الأطباء ابنته بثلاثمائة دينار، وباعت امرأة بعض أرضها لتزويج ابنتها[8]، وأحياناً تجهز العروس بالمهر المدفوع لها[9]، وأحياناً يتطوع أهل الخير بتجهيز الفقيرات الضعيفات إلى أزواجهن، واعتبروا ذلك من القربات[10].

ويتكون جهاز العروس الزيفية من الأوطية والألحفة والأبسطة والوسائد والفرش والأدوات المنزلية كالصحاف والأقداح وملابس وحلى[11]. ووصف ابن شهيد[12] مكونات

---

(1) المصدر السابق ٣٩٧

(2) السابق نفسه ٣٩٤

(3) ابن رشد: الفتاوى ٢/٧٢٤

(4) المصدر السابق ٢/ ٧٢٥

(5) المالقى :الأحكام٤٠١

(6) المصدر السابق ٣٩٨

(7) ابن أبى أصيبعة: طبقات الأطباء ١١١/١/٣

(8) ابن الحاج: النوازل ٤٧

(9) المصدر السابق ٦٨

(10) ابن عبد الملك: التكملة ٢٦٦/١/١

(11) دندش: الأندلس فى نهاية عصر المرابطين ٣٠٢

(12) ابن بسام : الذخيرة ٦٧٧/٢/١

عروس ريفية مثل الغلائل والملاءات والسراويلات والعصائب والمقنعة والخمار والدلال المستعار وحراقة الورد وعصارة العصفر والزعفران ومراود الزجاج، والأثمد حباب المصعكى واللبان وغيرها.

وتقام وليمة طيبة لحفل الزفاف يحضرها معظم أهل القرية يتقدمهم أشياخ القرية وأهل الزوج والزوجة، ويذبح في هذا اليوم الخرفان و الشياه والثيران[1]، ويبدأ الحفل بإيقاد الشموع والثريات والقناديل، ويستدعى المغنون، وتستخدم آلات الطرب في الغالب[2]، وتتحلى العروس بالزينة من الحلي وتزين نفسها ووجهها بمواد الزينة، وتلبس ثياب العروس وتضع التاج على رأسها، ويلتف حولها المدعوون، وهذا وصف لحفل الزفاف[3]، وقد زينت العيون بالتكميل ، والشعور بالترجيل، وكرر السواك على مواضع التقبيل وطوقت الأعناق بالعقود، وأقبلت صنعا بأوشيتها، وعنت بأرديتها ، ودخلت العروس في حليتها، ورمقت الكفوف بالحناء، وغص الذراع بالسوار وتختم في اليمين واليسار، وأمسكت الثياب بأيدي الأبكار. ومشت الإماء أمام الأحرار، وتقدمت الرايات بالأطفال الصغار.

وأحياناً يحدث زواج المتعة، وهو زواج إلى أجل مسمى، فتزوج رجل من بطليوس امرأة نكاح متعة إلى أجل مسمى بلا ولى ولا صداق إلا نصف درهم، وأقر عند القاضي بوطئها، وبرر اضطراره إلى هذا الزواج بأنه لم يستطع أن يتزوج زواجاً مشروعاً خوفاً من والده، وأنه لجأ لزواج المتعة بدلاً من الوقوع في الزنا، ولم يجز الفقهاء هذا الزواج[4].

واهتمت كتب النوازل بالزواج وما فيه من صداق ومؤخر (كالئ) ومشاكل الزواج والطلاق والعدة واللعان والخلع ، وترتبط بعض هذه النوازل بالملكيات الزراعية .

فهناك رجل ساق إلى زوجته أرض لكذا وكذا قفيزا"، وفى حقل كذا وكذا قفيزا" فإن تم في هذين الحقلين وإلا أتم لها في حقل كذا وكذا بموضع معين[5] ، وآخر ساق لزوجته جميع أملاكه في قرية كذا مع جميع الدار التي بموضع كذا ، وحدها كذا مع نصف جميع

---

[1] ابن عسكر: فقهاء مالقة (مخ)١٧٩، ابن بسام: المصدر السابق ٨٧٥/٢/١

[2] يحيى بن عمر: أحكام السوق ١١٩، ١٢٢، ابن عبد الرؤوف: ثلاث رسائل فى الحسبة ٨٣

[3] ابن الخطيب: الإحاطة ٥٠٢/٢، ابن قزمان: زجل رقم ٥١

[4] نوازل ابن رشد: ٥٦

[5] المالقى : الأحكام ٣٩٧ رقم ٨٦٢

أملاكه بقرية كذا غير القرية الأولى ، ثم قال بأثر ذلك في الدور والدمن والأفنية لم يزد على هذا[١]وساق زوج إلى زوجة نصف أملاكه مشاعاً ، ثم باع جزءاً من أملاكه مشاعا، ثم طلبت المرأة بعد مدة سياقتها كاملة[٢] .

وساق رجل من أملاكه بقرية كذا إلى كنته ربعها ثم ساق إلى كنة له أخرى ربع أملاكه بالقرية ، ثم انعقد عليه بعد ذلك لإنسان ابتاع فلان من فلان جميع أملاكه بقرية كذا ، واعتمر المبتاع الملك بمحضر المرأتين ، وكان زوج إحداهما يعتمر معه ، ثم قام هذا المعتمر بعد عشرين سنة عن المرأتين بتوكيلهما يطلب السياقتين ، وقال المبتاع قد اشتريت من البائع جميع أملاكه واعتمرتها بمحضرك وحضور المرأتين ، وكنت مناصفي فيها ، وقال الوكيل : ما كنت اعتمر لهما إلا سياقتيهما[٣] .

واشترط في الزواج التكافؤ ، فقد تزوج رجل من امرأة خطبها وأبوه وهو وليها ، وطلبت المرأة – واسمها أم الأصبغ – من وكيلها يعقد عليها لولده أحمد ، وأجاز العلماء ذلك إذا رضيت اليتيمة به والسداد من صدقاتها وأنه كفؤلها من جميع أحواله ، وذلك بعد أن يعلم الوكيل الصداق والأرض التي عرضها الزوج[٤] وعندما تقدم أحد الأشخاص للزواج من يتيمة ، وعرف القاضي أن المتقدم للزواج كفؤ للمتقدم لها في حاله وماله وجميع أسبابه ، وعرف القاضي أنها خلو من الزوج ولا وصى ولا وكيل ولا ولي ، وسمى نقداً وكالياً معرفين والأجل مؤقت وقريب المدة[٥]

والصداق من فرائض النكاح الثلاثة مع الولي والشاهدين ، والصداق عند المالكية لا حد لأكثره ، ولا يبنى بالزوجة حتى يقدمه الزوج ، وأورد ابن سهل أن محمد ابن عبد الله ابن هاشم خطب أم الأصبغ وأصدقها سبعمائة عرض لها منها عرضا عرفته بوصف من وصفه لها بمائتي وناض نقدها خمسمائة والكالئ خمسمائة إلى خمس سنين[٦] وقد يقدم الزوج

---

[١] ابن سهل : الإعلام بنوازل الأحكام ٢٤٩/١

[٢] المصدر السابق ٢٤٧/١

[٣] ابن سهل : الإعلام ٢٤٩/١.

[٤] ابن سهل المصدر السابق ٢٦١/١.

[٥] المصدر السابق ٢١٦.

[٦] ابن سهل : الإعلام ٢٠٢

في القرية داراً في كتاب صداق الزوجة فثلما حدث في غرناطة سنة ٤٦١هـ/١٠٦٨م، فيمن كانت له داران متصلتان في صف واحد إحداهما قبلي الآخر ، ولكل دار منهما باب إلى ناحية الأخرى ، فساق إحداهما إلى زوجته في صداقها وقال فيه: وساق إليها جميع الدار التي بقرية كذا وحدها في القبلة كذا ، وفي الجوف أرض فلان ، ومن الشرق كذا وفي الغرب الطريق وإليه يشرع بابها ، وبنى بزوجته وأقام معها سنة أو أزيد ثم ماتت الزوجة وبقيت الداران بيد الزوج فطلب ورثتها ميراثهم فيما تخلفته في الدار المسوقة[١]

ويحدث أحياناً أن يقدم الزوج صداق زوجته لأبيها ثم يشتكى أنه لم يجهزها به كله، وذلك مثل قيام أحد الأشخاص في الثلاثمائة دينار التي نقدها ابنته وقبضها الرجل منه ولم يجهزها بها ، فقال الرجل : إنها جهزها بها ورصد كل ما جهزها به في كتاب[٢]. يحدث الخلاف في الصداق في القرى بين الأقارب ، كما تزوج رجل من ابنة عمه وبقى مدة ، وقام أبو الزوجة يطلب تجديد الصداق لابنته ، وزعم أن الأول ضاع ، فقال الزوج إن أبى كان حمله عنى لأنني كنت صغيراً[٣] ، وإذا اتفق ولى الزوجة مع الزوج على قدر الصداق وتوفى قبل الإشهار فلا ميراث بينهما ما لم يقع التصريح بصيغة النكاح[٤] ، وأحياناً يحمل الأب عن ابنه الصداق في عقد النكاح ، وهو بذلك لازم للأب ولا رجوع له به عليه[٥] ، وقد يضع الأب صداق ابنته عن زوجها عن ابنتائه رفقا" به[٦]، ومَنْ نقد زوجته أصلاً كعبد أو ثوباً قيمته مائة دينار فلا يلزمها أن تبيعه وتتجهز به[٧] ، وزوّج أب ابنته بصداق عند الدخول عبارة عن حلى ورحل كثير" ، ولما توفيت ابنته نقل أكثر الجهاز مدعياً أنه كان أعاره لها ، وكانت التركة قد أحصيت فبلغت نحو ٥٠٠ دينارا" ، وكان هذا بين أقارب في قرى المغرب[٨]

---

[١] السابق ١/٢٤٠
[٢] السابق ١/٢٤١ ، ٢٤٢
[٣] المعيار ٣/٣٠٨ ، ٣٠٩
[٤] المصدر ٣/٢٠٩
[٥] السابق ٣/٣٥٢ ، ٣٦٦
[٦] السابق ٣/٣٨٣ ، ٣٨٤
[٧] السابق ٣/ ٤٠٣
[٨] السابق ٣/٢٩٠ ، ٢٩١

ولا تخلو الحياة الزوجية من مشاكل وعقبات ، منها غيبة الزوج الطويلة ، مثل غيبة شخص يدعى يوسف بن هارون الذي نكح امرأة من أبيها ، ثم غاب عنها قبل بنائه بها غيبة طويلة إلى القيروان ، فقام أبوها يريد تطليقها عليه بعدم النفقة[١] وغاب رجل عن زوجة وطفلتين ، فقدم القاضي نفقة الزوجة على غيرها[٢] ، وإذا أثبتت الزوجة غيبة زوجها وتوفرت الشروط الموجبة للطلاق ، وتأخر قيامها شهرين أو ثلاثة فلابد من إثبات ثان[٣] ، وإذا غاب الزوج غيبة طويلة حتى ظنته الزوجة أنه مات ، فتزوجت دون طلاق ، ثم حضر الأول فلا حد عليها إن لم يتبين كذبها في دعوى الموت[٤] ، وإذا غاب الزوج غيبة انقطاع وأثبتتها الزوجة حلفت في جامع الجمعة وطلقت نفسها[٥]، وإذا غاب الزوج قبل البناء غيبة انقطاع يعتبر معه مفقوداً يضرب له الأجل وتطلق زوجته عليه[٦] .

وأحياناً يتعد الزوج على أملاك زوجته ، كما حدث مع رجل زوج ابنته البكر التي في حجره من رجل بصداق معلوم ، وشرط عليه شروط انعقد عليها النكاح ألا يضرها في نفسها ولا في أخذ شئ من أملاكها ومالها إلا بإذنها ورضاها، فإن فعل شئ من ذلك فأمرها بيدها ، فأخذ الزوج شيئاً من أملاكها ومالها بغير إذنها ، واعترف بذلك ، وشهد عليه الشهود عند الحاكم وشكت ، الزوجة من ذلك[٧]

ويسبب موقف الزوج من زيارة الزوجة لأقاربها بعض المشاكل ، فهناك رجل اشترط لامرأته أنه كلما منعها من زيارة أحد من محارمها من الرجال أو أحد من قرابتها من النساء، أو منعها من تشهد لأحدهم فرحاً أو حزناً أو تؤدى لأحدهم حقاً في الوقت الذي يصلح ذلك فيه ويجوز، أو منع أحد ممن ذكرنا من زيارتها ومن الدخول إليها فأمرها بيدها، وتريد المرأة أن تزور أهلها عن يومين أو ثلاثة وأراد الزوج منعها من ذلك حتى يكون بين

---

(١) ابن سهل : الإعلام ١/ ٢٧٩

(٢) المعيار : ٣/ ٣١٩

(٣) المعيار : ٣/٣٥٣ ، ٣٦٩

(٤) السابق ٢/٤٣٠

(٥) السابق ٤/١١٤ ، ١١٥

(٦) السابق ٤/٣٢٦

(٧) القاضى عياض : مذاهب الحكام ٢٦٦

الزيارة وقت بعيد[1] . بل هناك المربية أو الحاضنة إذا لم تكن قرابة ، فطلبت الزيارة لمن حضنته بحكم شرط الصداق لها بزيارة أهلها من النساء[2] ، بل أحياناً تطلب هدية العرس من الزوج عند افتراق الزوجان بعد الدخول بمدة ، وادعى والد الزوجة أنه عرف البلد ، وقال الزوج إنه غير عرف إلا لمن اشترطه[3] .

وفي إحدى قرى بياسة اختلف رجل مع زوجته كانت تعطى أهلها بعض ملابسها ، وكان يعرف ذلك ويرضى عنه ، ثم قامت وادعت أن بعض ثيابها سرق ، فوقع ظنه على إخفائها كما عهد منها[4]، وقد تطلب الزوجة بعض حقوق لها بعد الطلاق ، وتكون مصدر خلاف ، كما فعلت إمراة تدعى فاطمة زوجة محمد بن أحمد الشرفي التي طلقت نفسها في مغيبه ، وقالت إنها كانت دفعت إليه قبل مغيبه مائة مثقال ليبتاع لها بها خادماً، وأنها كانت أسلفته مدى قمح ثم رغب منها أن تأخذ فيه ثمانية عشر مثقالاً ، ولم يؤدها إليها ولا ابتاع لها المملوكة[5] .

وقام الدلال ابن عيسى على زوجه وأمها مدعياً أنهما أخذتا له سبعين مثقالاً ذهب قرمونية فأنكرتاه ، ثم اصطلحوا عن ذلك بعشرين مثقالاً تؤدى كل واحدة نصفها ، وعقد عليهما بذلك عقداً ، وكتب على الزوجة عقداً آخر أنها وضعت عنه كالئ صداقها وأسقطته عنه ، ثم بارئها بعد شهر أو نحوه وطلبها وأمها بالعشرين مثقالاً[6] .

ومن مشكلات الزواج (القرن الخامس الهجري) - أيضاً - أن امرأة أسلفت زوجها ثلاثين ديناراً ذهباً وأنظرته بها خمسة أعوام أو ثلاثة ثم طلقها بعد عام ونصف من تاريخ السلف ، وقالت : إنها أسلفته وأنظرته استدامة بعصمتها معه[7] ، وشرط أحد الأزواج سنة

---

[1] عياض : مذاهب الحكام ٢٦٨ ، المعيار ١٠٨/٣

[2] عياض : مذاهب الحكام ٢٦٧ ، المعيار ١٠٧/٣ ، ١٠٨

[3] عياض : السابق ٢٧٠ ، المعيار ٤٧/٣.

[4] إبن سهل : الإعلام ١/ ٣٣٢ .

[5] ابن سهل : الإعلام ١/ ٥٣٤ .

[6] المصدر السابق ١/ ٥٦٧ .

[7] السابق نفسه ٥٦٨/١.

٣٧٩هـ/٩٨٩م لزوجته في صداقها ألا يرحلها عن دارها ما لم يطلب بكرائها ، فإن طلب به، فله أن يرحلها[١].

وصير رجل لزوجه بعض أرضه وأملاكه ، وغاب عنها مسيرة يوم ، وكان يقدم عليها في أزمنة قليلة ، ولم يخلف لها نفقة ، ولابعث بها إليها ، ولا مال له تعدى فيه بنفقتها إلا بقيمة ملكه الذي لم يصير لها ، وكانت تنفق على نفسها وعلى بنتين لها منه من مالها ، وتعطى غلة ملك زوجها المذكور في المغرم إذا كانت تطلب به ذلك إلى توفى الزوج[٢].

٢- الطلاق :

يحدث الطلاق بسبب سوء المعاملة وكثرة مشاجرة الزوج معها أو غياب الزوج عن زوجته مدة طويلة، أو فقدان الزوج في الحروب والفتن فيلزم الزوجة " من يوم يرفع أمرها سنة كاملة يبحث فيها من أمره فإن لم يوقع له على خبر اعتدّت امرأته وتزوجت إن شاءت[٣] ، وإن طلقت المرأة تقضى العدة في دارها التي طلقها فيها زوجها أما إذا كانت حاملاً فلا تخرج من دار مطلقها إلا بعد الوضع [٤].

وإذا طلبت الزوجة الطلاق تتفق على أن تتنازل للزوج عن حقها في والصداق وترد إليه جميع ما ساقه إليها[٥] فقد بارى عبيد الله بن محمد الازدى راقى بنت الفقيه أبي الوليد يونس بعد بنائه بها إذا تفاقمت أمورهما واختلفت أهواؤهما على أن أسقطت جميع ما كان أمهره لها من كالى "متأخر " بعد معرفتهما بعدده وعلى أن صرفت جميع ما كان أمهره لها من كتاب صداقها معه من دور بالوط الغربي الذي من قصبة إشبونة ، وجنات بنواحي الجهة المذكورة ، وأرضين بقرى مدينة الأشبونة... طائعة بذلك كله".

الخلع :

وعرف المجتمع الأندلسي والمغربي قضايا الخلع ، مثل امرأة خالعت زوجها على أن

---

[١] المصدر السابق ١/ ٢٦٠ ، ٢٦١ .

[٢] المعيار ٥/ ١٧٨ .

[٣] ابن رشد : بداية المجتهد ونهاية المقتصد ٢/٤٥ الونشريسي : المعيار٣/٣٣٨،٤/٤٨٣ .

[٤] المعيار ٤/٥/٩٧ ، ٤٨٢ .

[٥] الونشريسي : المعيار ٤/٥،٦.

حطت عنه جميع كالئها ، وغير ذلك مما تضمنه عقد الخلع على أن لا تتزوج إلا بعد انقضاء عام من تاريخ الخلع ، فحكم الفقهاء أن الخلع جائز والشرط باطل [١]، وخالصت امرأة زوجها بجميع مالها ، والتزمت مؤونة حمل ونفقة مَنْ تضع إلى البلوغ [٢].

وخالعت امرأة زوجها على أن تنفق على ابنه منها إلى الحُلم ، ثم راجعها بعقد صحيح جديد ، ثم طلقها ، وفي هذه الحالة يسقط عنها ما تحملته من نفقة ابنه ورجعت النفقة عليه [٣]، واختلعت امرأة من زوجها بكالئها ، وأسقطت مؤونة حمل إن ظهر بها وما يحتاج إليه ما تضعه من مؤونة إلى فطامه ، فإذا فطمته كانت فحيرة في صرفه على أبيه ، وتقوم بجميع شؤونه إلى البلوغ طائعة غير متضررة ، وأشهدت على نفسها بذلك ، ثم قامت بعد ذلك على الزوج و أثبتت أنها عديمة [٤].

وتفاقمت المشاكل بين زوجين ، واختلفت أهواؤهما ، فطلبت الخلع وأسقطت عنه جميع ما كان أصهره لها من كالئ بعد معرفتها بعدده ، وصرفت إليه جميع ما كان أمهره لها في كتاب صداقها معه من دور بالربض الغربي من قصبة الأشبونة ، وجنات بنواحي الأشبونة وأرضين بفرى المدينة من جميع جهاتها ، ثم ملّكها الزوج أمر نفسها [٥].

٣- المرأة في القرى والبوادي الأندلسية والمغربية

تختلف المرأة الأندلسية في الريف عن مثيلاتها في المدن ، ولكل فئة سلوكيات تميزها عن غيرها ، فالمرأة الريفية ساعدت زوجها في الأعمال ، وامتلكت الأراضي التي يعمل فيها الزوج ، مثل رجل اعتمر أملاك زوجته المتكونة من أرض وكرم وأشجار تين وزيتون ودور ، وقبض الغلات كما يصنع في أملاكه ، ثم توفى بعد سبعة أعوام من زواجه بالمرأة [٦].

وساد حسن العشرة بين المرأة وزوجها ، وعند الوفاة تهبه بعض الأملاك مثل امرأة امتعت

---

(١) ابن رشد : الفتاوى ١٥٦٠/٣.

(٢) المالقي : الأحكام ٣٨٤ رقم ٨١٢.

(٣) ابن رشد : الفتاوى ١٢٧٧/٣.

(٤) ابن رشد : الفتاوى .

(٥) ابن رشد : الفتاوى ٩٥٢/٢ ، ٩٥٣.

(٦) المالقي : الأحكام ٤٥٩ رقم ١٠١٤

زوجها في أملاكها [1]، كما وهبت امرأة في صحتها نصف صداقها [2]، وأسلفت امرأة زوجها ثلاثين دينارً ذهباً ، وانظرته خمسة أعوام ، ثم طلّقت منه بعد عام ونصف وأرادت أخذ الأموال ؛ لأنها أسلفته لاستدامة العشرة بينهما ، فسمح لها بأخذ حقها حالاً [3]، ودفعت امرأة إلى زوجها قبل مغيبه مائة مثقال ليشتري لها بها خادماً ، وأنها أسلفته مدّيْ قمح ، ورغب أن تأخذ فيه ثمانية عشر مثقالاً ، ولم يؤدها إليها ، ولا اشترى لها المملوكة ، وقامت تطلب بحقها [4]، كما اعترف رجل في مرض وفاته . بدين لزوجته [5].

وعملت بعض النساء بغزل الصوف والكتان والحرير ويبعن ذلك في الأسواق ، ويشترين حاجاتهن [6]، وربت المرأة الأندلسية دود الحرير في القرى [7]، ولم يمنع الأزواج زوجاتهم عن ممارسة التجارة [8]، وتنقلت بعض النساء بين البلاد ، فكانت المرأة تجيء بالمال والمتاع من بلد إلى بلد منفردة لا يعترضها أحد من خلق الله " [9].

وتمتعت المرأة الريفية بحرية الحركة خارج البيت ، فذهبت إلى الأسواق وشواطي الأنهار وأماكن النزهة والمقابر ، ومنع المحتسبون النساء من الاختلاط في هذه الأماكن ، فيمنع النساء من الجلوس على شواطئ الأنهار في المصيف إذا ظهر الرجال ، وألا يخلو رجل بامرأة في حانوته إلا أن يكون في السوق ، وفي موضع ظاهر للناس ، كما يمنع النساء من الوقوف على أبواب الديار لما فيه من الكشف وعدم الاستتار [10]، كما يمنع النساء من اتباع الجنائز [11] .

---

(1) عياض : مذاهب الحكام ١٩٠ ، ١٩١ .

(2) ابن رشد : الفتاوى ١٦٨/١ .

(3) ابن سهل : الإعلام ٥٦٨ .

(4) ابن سهل : المصدر السابق ٥٣٤ .

(5) المعيار ٣٨٣/٩ .

(6) الخشني : قضاة قرطبة ٦٩ ، المالقي : الأحكام ٤٤٥ رقم ٩٨٨ .

(7) عريب بن سعد : تقويم قرطبة ٤٩ .

(8) المالقي : الأحكام ٤٦٦ رقم ١٠٢٨ .

(9) ابن عذارى : البيان المغرب ١١٤/٢ .

(10) ثلاث رسائل في الحسبة ٤٦ ، ٨ ، ٥٦ ، ٥٧ ، ١١٣.

(11) المصدر السابق ١٢١.

أما معظم الأخبار عن المرأة الأندلسية فهي المرأة في الفئات الثرية ، فلا يرد في كتاب ابن حزم (طوق الحمامة في الألفة والآلاف) إلا نساء الخاصة والجواري والإماء [1].

و قامت المرأة المغربية بدور كبير في حياة الأسرة في القرى والبوادي، فقامت بنسج الثياب وصنع الزرابى، وشاركت زوجها في حقله، تفلح وتسقى وتحصد وتحطب[2] وتتحمل بجانب زوجها الأعباء الاجتماعية من تربية أولاده وغيره ، وهى بذلك تساعد على كفاية أسرتها ، وتحلب البقر والماعز، وتستخرج الزبدة من الحليب وتربية الدواجن[3] ، وساهمت في رفع مستوى البيت مادياً، فكانت تبيع اللبن والزبد، وما تغزل من نسيج تحمله إلى سوق الغزل [4]، واشتهرت بعض قرى وبوادي المدن بالنسيج الذي تصنعه النساء مثل قرى شيشاوة ووزان في المغرب الأقصى وتلمسان وبونة في المغرب الأوسط وجربة في المغرب الأدنى . [5]

واشتهرت بعض نساء القبائل والقرى بما يقمن به من أعمال، فنساء قرى سجلماسة يصنعن من غزل الصوف الإزار ويبيعنه بـ ٣٥ ديناراً فأكثر، كما يصنعن الغنارات ويبعنها بثمن كبير، [6]، وأهل السوس وأغمات أكثر الناس تكسباً ، يكلفون نساءهم التحرف والتكسب [7]، أما المرأة الصنهاجية فلها مكانة عالية، والولد ينسب لأمه والمرأة تزوج نفسها . [8]

ووردت نوازل كثيرة تخص المرأة المغربية ، فأهل القرى في المغرب يحرصون على عدم خروج أراضيهم وممتلكاتهم خارج الأسرة في حالة بيعها فقامت إحدى الزوجات بشراء بساتين ودار زوجها [9]، وكان الزوج يستغل أرض زوجه[10]، وإذا غاب الزوج غيبة

---

(١) الطاهر مكي : دراسات عن ابن حزم وكتابه طوق الحمامة ٢٤٨ (دار المعارف ١٩٨٢م).

(٢) ابن خير : الفلاحة ١٤١ ، ابن الحاج : النوازل ٨٠.

(٣) البيدق : أخبار المهدي ٢١ ، الوزان : وصف أفريقيا ١٤١.

(٤) البيدق : أخبار المهدي ٢١ ، عبد العزيز عبد الله : مظاهر الحضارة المغربية ١٣٢/١.

(٥) عبد الوهاب بن منصور : قبائل المغرب ٢٨٥/١.

(٦) حسن علي : الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس ٣٦٢.

(٧) البكري : المغرب ١٦٣.

(٨) عبد العزيز بن عبد الله : مظاهر الحضارة ١٤١/٢

(٩) الونشريسي : المعيار ١٨٣/١٠

(١٠) المصدر السابق ٣٤٨/١٠

طويلة، ولا يعلم مستقر له تتصرف الزوجة في أرض زوجها لمعيشة أولادهما. [1]

ويحدث في القرى تعدد زوجات لكن أحياناً لا يعدل الزوج بين الزوجات، مثلما حدث من رجل له زوجتان فمال إلى إحداهما وبنيها ونفى الأخرى وبنيها وأسكنها قرية مجاورة ، وأشهد أن هذه الدار للزوجة المنقطع إليها وأن الماشية لها والموضع لبنيه منها، وبعد موت الزوج حدث نزاع بين الأبناء من الزوجتين حول واجبهم ونفقتهم [2]

وأحياناً يتزوج رجل امرأة من قرية أخرى غير قريته، ويريد الانتقال بها من قريتها إلى قرية مدينة أخرى، فتمتنع الزوجة عن الذهاب مع الزوج[3]

٤- الميلاد والختان :

يمثل ميلاد الأطفال – بخاصة الذكور – مناسبة سعيدة للأسرة، ويتم الميلاد عادة على يد القابلة، فنطلق الزغاريد[4]، ويهنئ أهل المولود، وتقام عقيقة للمولود في اليوم السابع، وتختلف حسب المستوى المادي للأسرة، وتقيمها أغلب الأسر ولو كانت مقلة، فذكر أن رجلاً ولدت امرأته فجد في طلب لحم وطعام، وشكا لأحد الصالحين فتصدق عليه بما أقام به العقيقة[5]. ويطلق اسم الصبي في الأسبوع الأول، وتدلنا كتب التراجم[6]على شيوع الأسماء الإسلامية المعروفة مثل محمد وأحمد وإبراهيم وعيسى أما أسماء الفتيات فكانت الأسماء الإسلامية الشرقية مثل أسماء، عاتكة، وفاطمة، وعائشة وعبدة وعزيزة[7]، ثم أصبح هناك أسماء فتيات بأسماء الزهور، فبنات الحاجب المنصور العامري أسماؤهن: بهار، نرجس، بنفسج[8]، وفى هذه المناسبة تقدم الهدايا – قدر الطاقة – للمولد من الأحباب والمقربين،

---

(١) المصدر السابق ١٠٠/٥

(٢) الونشريسي ١٢٧/٥

(٣) المصدر السابق ١٥٩/٣

(٤) الزجالي: الأمثال رقم ٥٢/٢،٢٠٤ ، ابن خلدون: المقدمة ٩٤١،٩٤٠/٣ .

(٥) التادلي: التشوف .

(٦) الطاهر مكي: دراسات عن ابن حزم ٤٣ ابن خاقان: قلائد العقيان ٤٩، ديوان ابن زيدون ٢٧٩.

(٧) ابن حيان: المقتبس (ت مكي) ١٦٤.

(٨) الطاهر مكي: دراسات عن ابن حزم ٤٣ .

ونسمع عبارة " اجتمع عند أهله هدايا كثيرة "[١].

وانتشرت في الريف الأندلس استخدام التمائم للأطفال من الشيوخ لمنع الحسد، واستمر ذلك بعد مرحلة الطفولة[٢]، ويهتم الأب بأولاده وإدخال الفرحة عليهم، فيشترى لأولاده اللعب خاصة في الأعياد[٣]، ويطمح رب العائلة في الريف للمزيد من الأبناء لأنهم امتداد للأسرة، ويساعدونه في العمل بالحقل فهم مورد للمال . وتعهد بعض الأسر بطفلها إلى قروية، ويظل في الريف حتى الفطام مقابل راتب شهري وملابس[٤] ، أما في الريف فيكون هناك بيت للأسرة الكبيرة الذي يجمع الأب والأم والأبناء وزوجاتهم، وأحياناً أبناء العمومة وأخوات الوالد[٥].

٥- المناسبات والاحتفالات الأسرية والدينية :

الزواج الخطوة الأولى لتكوين أسرة جديدة، ويبدأ الزواج بالخطبة، فتقوم إحدى الخاطبات بذلك، أما في القرى حيث يتعارف أهلها فيرسل الشاب والده ووالدته وبعض أقاربه لوالد العروس لخطبتها والاتفاق على الصداق[٦]، وكثيراً ما يتم زواج الأقارب في الوسط القروي والبدوي.

ويتم عقد القران في المسجد - مثل سجلماسة - على يد القاضي أو صاحب الأنكحة[٧]، وصاحب خطة المناكح يزوج من غاب عنها وليها، أو من لا ولي لها[٨]وفى القرى يعقد القران إمام المسجد[٩]، وأحياناً يستدعى أهل العروسين أحد العدول من النواحي القريبة، وإذا كانت القرية بعيدة يكتفي بأهل القرية أو خمسة أشخاص من أهل المرأة للشهادة على صحة الزواج[١٠].

---

(١) ابن القطان: نظم الجمان ١٤٧.

(٢) ابن الأبار: الحلة السيراء ٨٤/٢

(٣) ابن المناصف : تنبيه الحكام ٢٧ "مخ "

(٤) التادلى : التشوف ٢٤٤

(٥) المصدر السابق ٣٦٨، ابن رشد الفتاوى ١٠٢

(٦) الونشريسي : المعيار ١٦١/٣،١٦٢،٢٤٧

(٧) النادلي : التشوف ٩٨

(٨) ابن عبدون : رسالة في الحسبة١٣

(٩) المعيار ٩٧/٣

(١٠) المصدر السابق ٢٧٠/٣،١٨٠/٩،١٨١.

ويهب بعض الأباء الهبات والعطايا لتجهيزها، فوهب رجل ابنته خمسين رأساً من الغنم ونصف كرمه من أجل الإعداد للزواج[1]، ويقدم الزوج إلى زوجته داراً أو قطعة أرض واسعة أو مبلغاً مالياً نحلة[2]، أما المهر فيختلف حسب الوسط الاجتماعي والبيئات، فهو في المدن أكبر منه في القرى والبوادي، فبلغ مهر إحدى النساء من صنهاجة أربعة مثاقيل[3]، ويذكر في عقد الزواج مقدار الصداق ، والذي كان بعضه نقداً، وكان عبارة عن خلاخل فضة قيمتها عشرة دنانير من الذهب، وأقراص من الذهب وعقد جوهر قيمته عشرة دنانير من الذهب، وثوب من الكتان وآخر من الحرير وملحفة قطن وفراش من القطيفة، وأحياناً كان يشترى من الصداق غطاء ولحاف وفرش وبعض الصحاف والأقداح[4].

ومن العادات الغريبة في بعض قرى المغرب أن يتفق والد الزوجة مع الزوج على أن يكتب في عقد الزواج صداقا قدره مائتا دينار ثم يرد والد الزوجة إلى العريس مائة وخمسين دينار ، أي أن الصداق الحقيقي خمسون ديناراً ، ويحدث ذلك للتباهي ، وفي معظم القرى والبوادي المغربية ولا يسمون صداقاتهم ، ولا يشهدون عليها وقت العقد لكن عند البناء والصداق عندهم معروف مقدر، والمهر معروف مقدر "والمهر على عاجله وآجله ، ومن كان له يسر ربما دفع المعجل عند التعريس وأما المؤجل فلا يطلب به إلا بعد موت أوفراق"[5] .

وجهاز العروس في القرى والبوادي بسيط في الغالب ، فلم يتعد فراشا ولحافاً وبعض الملابس والحلي ، وإذا كانت الأسرة فقيرة تصدق بعض المحسنين لتجهيز الضعيفات إلى أزواجهن[6]. أما حفل العرس فتعد فيه وليمة ويذبحون فيها الذبائح كل حسب قدرته ، ويتهادى المغاربة في الأعراس بالدراهم والدنانير والجزور وبعض الأطعمة كالزبد والقمح والشعير واللحم والفاكهة[7]، ويستقدم المغنيون وتسمع الزغاريد والطبول[8]، وتزين العروس وتجمل ثم تذهب إلى بيت زوجها[9].

---

(1) المصدر السابق ٢٤٦/٣ .

(2) القاضي عياض: مذاهب الحكام ٢٧٠ .

(3) البكري : المغرب ١٦٩، ابن أبي زرع : الأنيس المطرب ١٣٢ .

(4) الونشريسي : المعيار ١١٦،١٠٠/٣ .

(5) الونشريسي: المعيار ١٦٠/٣، ٢٤٨، ٣٠٥،٢٩٩.

(6) ابن عبد الملك : الذيل والتكملة ٢٦٦/١/٨ .

(7) الونشريسي : المعيار ١٨٢،١٨١/٩.

(8) البيدق: أخبار المهدي بن تومرت ٢٩.

(9) الونشريسي: المعيار ٢٥١/٣،١٨١/٩،١٨٢،١٤٥/١١.

وهناك احتفالات عامة يحتفل بها في القرى المغربية مثل الاحتفال بقدوم شهر رمضان وإحياء لياليه[١]،ويكثر فيه التزاور ودعوات تناول الإفطار[٢] ،وكذلك الاحتفال بعيد الفطر وبعيد الأضحى[٣] ، والمولد النبوي[٤] ، ويوم عاشوراء[٥]، وحفلات الختان[٦] .

٦- الأطعمة في الأندلس والمغرب:

تختلف الأطعمة في الأندلس حسب المجتمعات والبيئات والمستوى الاقتصادي، ومن أشهر الأطعمة : الهريسة المصنوعة من القمح والأرز أو فتات الخبز، ورغائف الدرمك والدشيشة والمقراس المصنوع من لحم الفخذ ، والأحرش المصنوع من اللحم المدقوق، والبلاجة المصنوع من الأكباد أو اللحم الغنمي ، والإسفنج ، وهو يشبه الزلابية المشرقية[٧].

وهناك مؤلف عن الطبيخ في عصر الموحدين [٨]، وصل إلينا ، وهو ينطبق على فترة الدراسة لصعوبة تغير الطعام في المجتمعات في فترات قليلة، ويتحدث الكتاب عن الشواء فيفصل الكلام عن الدجاج ولحم الضأن والبقّر والطيور ،ويعدد الألوان المطهوة فيذكر ثلاثة و ستين نوعاً تقريباً ،وهي أنواع عرفها المطبخ الأندلسي في سائر الأماكن تقريباً .

وهناك أطعمة نسبت لأماكنها مثل الموزونة المصرية ، والفروج، والدجاجة، العباسية ، والبرمكية ، والبورانية ، والأندلس عرفت حوت المروج وطعام المجبنة [٩].

وطبيعي أن تختلف الأطعمة حسب فصول السنة ، ففي الصيف مثلاً – الفروج بالقرع وطعام السكباج ، وفي الخريف اللحوم المصنوعة في البرم، وفي الشتاء يعالج اللحم

---

(١) المصدر السابق ١٤٧،٨/٢٥٥،١١/١٠٥،٢٨٠-٢٨٣.

(٢) التادلى : التشوف ١١٧.

(٣) المعيار ٢٧٣/١.

(٤) المصدر السابق ٢/٣٢،٨/٢٥٠،١١/٢٧٩

(٥) السابق ٨/٢٥٤

(٦) السابق ٦/٤١٦

(٧) كتاب الطبيخ في المغرب والأندلس في عصر الموحدين (ت أميروز ميراندا ، مدريد ١٩٦٥م)

(٨) كتاب الطبيخ ٤٨.

(٩) المصدر السابق ٥٠ ، ٥٤ .

السمين بطريقة أخرى [1]، ويتميز طعام أهل الريف بالبساطة ، والاعتماد على ما يخرج من مزروعاتهم وحيواناتهم مثل الأجبان بأنواعها واللبن الرائب، والثرائد بأنواعها مثل ثرائد اللحوم بالزيت وثرائد اللبن بالسمن والزبد وثرائد الدجاج [2].

وتعددت أنواع الأطعمة في الريف الأندلسي وبخاصة الأجبان بأنواعها واللبن الرائب، واللحوم بأنواعها وبخاصة لحوم الدجاج والبط مما يربى في بيوت الفلاحين ، والثرائد من الأطعمة المفضلة للفلاحين مثل ثرائد الدجاج وثرائد اللبن بالزبد والسمن وثرائد اللحم بالزيت[3]، واستعمل الربضون البيض في العديد من الأكلات مثل البيض المقلو والبيض المطبوخ في الفرن والبيض بالعسل [4]، ويستخدم الأندلسيون الزيتون المخلل بكثرة [5]. وتعددت أنواع الجبن في الريف الأندلسي فكان هناك مجبنة بالبيض والمجبنة المثلثة والمجبنة بالسميذ، ومجبنة طليطلة ومجبنة شريش [6].

أما العصائد والحساء الذي يتناوله أهل الريف فمثل سويق القمح وسويق الشعير وكشك الشعير وحرير الحنطة وحريرة الشعير وحريرة الذرة وغيرها [7].

ويصنع أهل ريف الأندلس المربات من مزروعاتهم مثل: مربة الأترج، والجزر والورد، والجوز ، والقرع ، والكمثرى ، ومن الأشربة شراب الأترج ، والورد ، والتفاح[8]، والرمان والسفرجل وحب الآس.

وفي القرى التي تقترب من السواحل البحرية والأنهار فإنهم يأكلون سمك الحوت المضاف إليه الخل و الثوم والبيض والجبن الرطب ، ويعددونه بالملح ، وكانوا يصنعون من

---

(1) المصدر السابق ٢٠٦، ٢١٥، ١١٢.

(2) المصدر السابق ١٢٣، ١٤٠ ، ١٨٨ ، السقطي : آداب الحسبة ٣٢.

(3) كتاب الطبيخ ١٣٣، ١٤٠ ، ١٨٨.

(4) عبد الملك بن زهر : كتاب الأغذية (ت اكبيسراثيون غارثيا) مدريد ١٩٩٢م. ص٣٧، ٣٨.

(5) كيفية تخليله انظر أبو الخير الأشبيلي : الفلاحة ١٧٦.

(6) كتاب الطبيخ ١٦٩ ، ٢٠١

(7) عبد الملك بن حبيب : مختصر في الطب ٥٤ ، ابن زهر : الأغذية ١١، ١٤.

(8) عريب بن سعد : تقويم قرطبة ٣٧، ٧٠ ، ٧٧، ٨٥، ٩٨ ، وغيرها .

البيض أشكالاً منها البيض المقلو والمطبوخ في الفرن والبيض بالعسل [١].

ومن أشهر أكلاتهم المجبنات، وهي قطائف يضاف إليها الجبن في عجينها بالزيت، مثل المجبنة بالبيض والمجبنة المثلثة ، والمجبنة بالسميذ ، وكانت تصنع من الجبن البقري والغنمي بنسبة (١/٣) ويعجن الخليط حتى يتماسك ، ثم يضاف بعض اللبن الحليب والدقيق ثم يقلى في المقلاة [٢].

وعند وضع الطعام يجلس أفراد الأسرة على الأرض، ويتحلقون حول موائد منخفضة، ويأكل الجميع باليد، وإن كان الطعام كسكسو تناوله الجميع في صحن واحد بدون ملاعق ، ويكون المرق واللحم في قدر من الفخار ، وامتاز طعام أهل البادية بقلة التوابل والأدم [٣].

واعتمد أهل الريف على الحبوب والبقول ، ومثّل الخبز جانباً رئيساً في غذاء أهل الأندلس ، وقد تعددت أنواع الخبز وأشكاله و مصنوعاته، فكان هناك خبز القمح أو الحنطة أو البر [٤]، وهو أسرع هضماً ، ويعرف في الأندلس بالشمرة ، و يأتي خبزه في غاية البهاء واللذادة [٥]. ويصنع الفلاحون خبز الشعير، وأضافوا إليه دقيق القم ونخالته [٦]، ومثله خبز الذرة الذي استعمله فلاحو الأندلس [٧]، وهو نوعان : خبز الدخن المصنوع من الذرة الرفيعة وخبز الذرة البيضاء ، ويضاف إليهما عند صنعهما الحنطة والنشا.

وفي وقت الأزمات والمجاعات يصنع أنواع أخرى من الخبز مثل خبز الحمص واللوبيا والأرز والنخيل والقسطل والتين والسفرجل وحب الآس والترمس [٨].

---

[١] عبد الملك بن زهر : الأغذية ٢٠، ٣٧ ، ٣٨.

[٢] السقطي : رسالة في الحسبة ٣٢ ، مجهول: كتاب الطبيخ ١٦٩ ، ٢٠١.

[٣] المقدمة ٣/٩٤٧ ، ٩٤٨.

[٤] إحسان صدقي العمد : الخبز في الحضارة الإسلامية (حوليات كلية الآداب ، الكويت ١٩٩٢م) ٦٥ ، وما بعدها .

[٥] أبو الخير الأشبيلي : كتاب الفلاحة ١٣٣.

[٦] عبد الملك بن حبيب : مختصر في الطب ٥٥.

[٧] ابن العوام : الفلاحة ٢/٧٨ ، ٨١، ٨٢.

[٨] تفاصيل صنع هذا في ابن العوام : الفلاحة ١/٢٥١، ٢٥٧ ، ٣٠١ ، ٣٢٨ ، ٣٢٩ ، ٣٤٦ ، ٦٣ ، ٦٧ ، ٧٠ ، ٩٤، ٩٥.

ونظراً لتغير الأحوال وعموم بعض الأزمات ، اشتهر أهـل الريـف الأندلسـي بخـزن الطعام في مطامير ، وهي حفـرة فـي قـاع الأرض ، وتؤجـر أحيانـاً [١]، وتخـزن أحيانـاً فـي الأهراء ، مع تعريفها للهواء الدائم حتى لا تفسد ، وتخـزن الحبـوب فـي السنابل مـع إضافـة مواد حافظة لها [٢].

واشتهرت الحصون في الثغور بمقدرتها على خزن الطعام مثل حصن استيرش الذي بناه الأمير محمد لغـلال مدينـة سـالم [٣]، واشـتهرت مدينـة طليطلـة بتخزيـن الطعـام لفترات طويلة [٤]، وخزنت الأطعمة في أرياف سرقسطة مثل القمح والتين والخـوخ والتفـاح والفـول والحمص، وفي قرى إشبيلية يخزن الزيتون وزيته لفترات طويلة والعسل والتين اليابس ، في أرياف ألمرية يخزن الشعير، وفي قرى وأرياف لورقة يخـزن الطعـام لمـدة كبيرة [٥]، وفـي أرياف غرناطة يخزن أنواع عدة من الطعام [٦].

وتنوعت الأطعمة – أيضاً – في المغرب حسب البيئات والأماكن ، وحسب المستوى المادي للأفراد، وعدَّدَ صاحب كتاب الطبيخ [٧]، أنواعاً من الأطعمة زادت عن الخمسمائة لـم ترتب وفق نظام خاص.

وهناك أطعمة حسب قبائل وبيئات المغرب ، فهناك من يقتات الشعير وإدام الإبل[٨]، ويقدم لضيوفه صحفة من ثريد الدرمك بالزعفران واللحم الغنى السـمين[٩]، وأهـل صنهاجـة يصففون اللحم الجاف بعد طبخه ، وصب اللحم المذاب أوالسمن عليه ، ويشربون لبـن الإبـل ، وهذه الأغذية تقوى الجسم[١٠] ، ويصنع أهل لمتونة طعام آسلو"، ويعمل بقلـى الحنطـة قليـا

---

[١] ابن العوام ١٠/٦٦٠.

[٢] مجهول : منظومة في الفلاحة ٥٧١ ، ابن العوام : ٦٧٨/١ ، ٦٨٢.

[٣] المقتبس (ت مكي) ١٣٢ ، تعليق رقم ٢٨٥ ، ٥١٣ ، ٥١٤.

[٤] مجهول : ذكر بلاد الأندلس ٤٨ ، ٤٩ ، ٥٣..

[٥] مجهول : السابق ٧٣ ، ٨٤ ، ابن غالب: فرحة الأنفس ٢٩٢ ، الزهري :الجغرافية ٨٢، ١٠١.

[٦] ابن الخطيب : الإحاطة ١٣٧/١.

[٧] مجهول : كتاب الطبيخ في المغرب والأندلس ٢٨ ، ٥٤، ٦٠ ، ٦١ ، ٦٢ ، ٦٤.

[٨] المرادى : الإشارة في تدبير الإمارة ٦٧.

[٩] التادلى : التشوف ٣٥١،٣٥٢.

[١٠] البكري : المغرب ١٧٠ ، مجهول : الاستبصار ٢١٣.

متوسطا ، تدق حتى تصير جريشا ، ثم تمزج بالعسل والسمن، ويخلط الخليط على النار فيصبح طعاما شهيا[١]، وأهل مصمودة يأكلون طعاما يسمى "اسماس" وهو سويق بالسمن أو الزبد[٢]، واعتمد أهل حاحة على العسل والخبز[٣]، وهناك قبائل تأكل السلاحف مثل جدالة[٤] أو الجراد مثل أهل السوس[٥] ، والغريب أن يأكل أهل سجلماسة الكلاب وحيوان آخر يسمى الخردون[٦] .

أما أشهر أكلات المغرب فهي الكسكسو المخلوط بالسمن والقديد والبصل[٧]، وأكلة الثريد باللبن واللحم[٨] وأحياناً بالفول والسمن[٩]، ومن الأطعمة العصيدة والهريسة المصنوعة من القمح والأرز أو فتات الخبز أو الشحم ثم رغائف الدرمك والدشيشة والمقراس المصنوع من لحم الفخذ[١٠].

ويعتمد أهل البوادي والقرى في غذائهم على الألبان والتمور وما تخرج الأرض، وطعام الفقراء يقتصر على خبز الشعير واللبن الرايب[١١]، وأهل الصحراء يعتمدون على الإبل في طعامهم[١٢]، وفضل المغاربة لحم الماعز عن لحم الضأن أو البقر وهم يجيدون صناعته على النار[١٣].

ويعتبر الخبز أهم مادة للغذاء عندهم، ومنه خبز الحنطة المطبوخ في التنور، وخبز

---

(١) الإدريسي : صفة المغرب ٥٩.

(٢) البيدق: أخبار المهدي ٣٣ هامش ٥٠.

(٣) الوزان : وصف أفريقيا ١٠٧

(٤) مجهول :الاستبصار ٢١٥

(٥) ابن مقديش: نزهة الأنصار ١/١٠

(٦) الإدريسي : صفة العرب ٥٩

(٧) مجهول : مناقب الشيخ أبى العباس السبتى مخ ١٥٦ أ، الوزان: وصف أفريقيا ١٩٧ .

(٨) ابن زهر : المختصر في الأغذية ٢/١٠١ ب ، التادلى : التشوف ١٣٢

(٩) التادلى : التشوف ١٠٣

(١٠) مجهول : الطبيخ ١٩١،١٩٤ .

(١١) عبد الوهاب بن منصور: قبائل المغرب ١/٢٨٥

(١٢) ابن حوقل : صورة الأرض ٩١ .

(١٣) مجهول : الطبيخ ٢٨ .

الشعير وخبز الأرز فالذرة فالجاروس والدخن[١]، وخبز الذرة طعام أهل الريف من الفلاحين[٢].

وهناك أنواع من الحلويات مثل الكعك والمسمنات والشهدة والخشكلان والمشماش والسنسبوط والمعسل والزلابية والجوز نيقات والقاهريات التي تحسن صنعها السودانيات[٣].

أما الأشربة فتعددت مثل الأطعمة، فشراب سكان جبل درن من عصير العنب وشراب الرب وهو من عصير العنب المطبوخ جيداً[٤]، وهم لا يستغنون عنه لشدة برد جبل درن[٥] وشراب أهل السوس يسمى انزيز[٦]، وعسل السوس يفوق عسل كل الأمصار[٧] .

وطريقة الأكل تختلف حسب البيئات، فالفلاحون يجلسون على الأرض، ويتحلقون حول موائد منخفضة ويأكل الجميع باليد، وإذا كان الأكل كسكسو تناوله الجميع من صحن واحد بلا ملاعق، ويكون اللحم والمرق في قدر فخار يتناول كل واحد ما شاء[٨]، والوجبات عند أهل الريف – غالباً – ثلاث ، وخالية من الأدم، عكس أهل المدن الذين تميزوا بكثرة أكلهم واتخذوا أشكالاً متعددة منه[٩]، وهكذا تميز طعام أهل المغرب بالبساطة، واعتمدوا فيه على مزروعاتهم وماشيتهم .

وحفلت كتب النوازل بقضايا الأطعمة ، منها : اختلف متبايعان في ثمن طعام ، فقال البائع بعدد عينه ، وادعى المبتاع أقل منه ، والطعام المشترى – وقت اختلافهما – قد ذهبت عينه أو هو باق ، وقد حالت سوقه [١٠]، وادعى رجل على آخر أنه باع له طعاماً بثمن معلوم إلى أجل ، فلما حل الأجل وطلب منه الثمن ، قال المدّعى عليه : لم اشتره منك ،

---

[١] ابن زهر : مختصر في الاغذية "مخ " ٣/٢ .

[٢] ابن الخطيب الإحاطة ١٤٣/١، الوزان : وصف أفريقيا ٧٠.

[٣] ابن زهر : مختصر في الأغذية ٥/٢أ ، مجهول : الطبيخ ٢٠٢،٢٠٩،٢١٠ـ٢١١،٢١٤،٢١٦ .

[٤] مجهول : الطبيخ ٢٥٥ .

[٥] مجهول : الاستبصار ٢١١

[٦] الحميري : الروض المعطار ٣٣٠.

[٧] مجهول : الاستبصار ٢١٢ .

[٨] الوزان: وصف أفريقيا ١٩٨ .

[٩] الطرطوشى : الحوادث والبدع ١٤٢،١٤٣ ، ابن خلدون : المقدمة ٩٤٧/٣،٩٤٨ .

[١٠] ابن رشد : الفتاوى ١٣٠٨/٣ ، المعيار ٣٧٨/٦.

وإنما أعطيتـه لـي سلفاً [1]، وحكـم الفقهـاء أن الأرض إذا كـان فيهـا زرع صغير فـلا تبـاع بطعام[2].

أمـا إذا اشـترى رجـل صُبْرة * مـن طعـام ، فذهـب الرجـل يأتيـه بـالثمن ، فأصيبت الصبرة بنار فأحرقت ، فالمصيبة من المشتري [3].

وفي سنوات الجدب والقحط يحتاج البدويون والفلاحـون إلـى الأقـوات مـن الطعـام ، ويشترونه بالدين إلى الحصاد ، فإذا حل الأجل قالوا لغرمائهم ما عندما إلا الطعام ، وما نقدر على ذهب ، فيلتجئ أرباب الديون إلى أخذه منهم خوفاً إن تركوه في أيديهم أن يهذب منهم بالأكل وغيره لفقرهم [4].

واشترى رجل طعاماً في غير سنة مجاعة ، ولـم يبـق فـي السـوق غيره ، فـأراد أن يشركه فيه فأبى عليه المشتري ، وقال له هو شيء وتجده [5]، ونظـراً لوضـع الأندلـس بيـع الأشياء التي منع العلماء بيعها لأهل الحرب كالسلاح وغيرها لكونهم محتاجين إلى الضرورة في أشياء أخر من المأكول والملبوس.

❀ ❀ ❀

---

(1) ابن رشد : الفتاوى ١٣٠٦/٣ .

(2) المعيار ٢٧٣/٦ ، ٢٧٤.

* الصُبْرة من الطعام هي إناء بلا كيل ولا وزن (المصباح المنير ٣٣١).

(3) المعيار ٢٨٩/٦.

(4) المعيار ٤٠٨/٦.

(5) المعيار ٧٣/٨.

٧- الملابس في الأندلس والمغرب

لم تتفق ملابس أهل الأرياف على شكل ثابت ، بل اختلفت من منطقة لأخرى ، كما تباينت حسب فصول السنة والمستوى المعيشي للفلاحين ، ويبدو أن ملابس أهل الأرياف كانت متميزة ، فهناك من لبس "جبة من جباب أهل البادية ، واعتم بمثل عمائمهم" (١)، ومن لباس أهل الريف الغفارة على الرأس ، وهي تشبه القلنسوة وتتسدل على الكتفين (٢)، فعندما أتى القاضي سعيد بن سليمان الغافقي من ريف فحص البلوط ليتولى قضاء قرطبة كان يرتدي غفارة بيضاء (٣)، وتصنع الغفارة من الصوف وتكون حمراء أو خضراء (٤).

ومن ملابس الرأس العمائم ، وكانت من الهدايا القيمة ، فقدمها الحكم المستنصر لرؤساء البربر ، وكان منها العمائم : الزرقاء والحمراء والخضراء (٥)، كما يتعمم العلماء بعمائم معروفة ، وأمر أحد الخلفاء أن ينادي في قرطبة "ألا يتعمم رجل لا يحمل المدونة حفظاً وفقها" (٦)، وهناك الشاشية والقلنسوة ، وتصنع من الوشي أو الخز أو الصوف أو الفراء(٧)(وتشبه الطربوش في مصر) .

كما انتشرت الجبة بين أهل الريف ، وصنعت م الخز والديباج والصوف (٨)، أما الياليس (أو الطيلسان) وشاع ارتداؤه بين العامة والخاصة ، وهناك نوعان من الطيلسان : منها المربع الشكل والطيلسان المحنك) واستخدم في الاحتفالات وصلوات الجمعة ، والآخر الطيلسان المقور وهو على عدة أشكال (٩).

ولبس أهل الريف في الشتاء ثياب من الصوف على الملابس الداخلية ليقيهم البرد

---

(١) الحميدي : جذوة المقتبس ٢٢٣/١ ، ابن بسام : الذخيرة ٦٦٣/٢/١ .

(٢) الأهواني : ألفاظ مغربية (مجلة معهد المخطوطات ٣٠٠/٢/٣ .

(٣) الخشني : قضاة قرطبة ١٣٧ .

(٤) المقري : نفح الطيب ٢٢٣/١ .

(٥) ابن حيان : المقتبس (ت الحجي) ١٠٨ ، ١٣٢ ، ١٣٣ .

(٦) الزهري الجغرافية ٨٨ .

(٧) سحر سالم : ملابس الرجال في الأندلس في العصر الإسلامي (ندوة الأندلس : الدرس والتاريخ ٢٥٤.

(٨) ابن رشد : البيان والتحصيل ١٧/٥ .

(٩) سحر سالم : ملابس الرجال في الأندلس ٢٥٨ .

والمطر ، وصنعت من الأفرية وصوف الأغنام [١]، أما الإزار فهو لباس يغطي أسفل البدن وحتى منتصف الساقين ، واعتاده أهل جنوب الأندلس [٢] ، والسروال ثوب بفضفاض يغطي أسفل البدن حتى القدمين ، وكانت من الملابس الشائعة ، فعندما قتل عبد الرحمن شنجول (٣٩٩هـ/١٠٠٨م) صلب على باب السرة وكسى قميصاً وسراويل [٣]. أما القمصان فتصل إلى منتصف الساقين بينما يصل الكمان إلى أطراف أصابع اليدين إذا أرخى الذرعان ، وهي أما سوداء أو بيضاء ، فعندما استخفى المستظهر بالله الأموي في أتون حمام القصر بعد أن تجرد من ثيابه ، وبقى في قميص أبيض قد أسوّد [٤].

ولبست الأقراق في القدم ، وصنعت من الخشب ، والجلد [٥]، واستخدم أيضاً الأخفاف والنعال [٦]، وإذا لبسته النساء يُحدث صوتاً يجذب أسماع الرجال في الشوارع والطرقات ، فنهى المحتسبون عن لبسه [٧]، واستعمل بعض الفلاحين أحذية من الحلفاء [٨].

ويعد الملبس تجسيداً لرؤية الجماعة والفرد للقيم التي يؤمن بها، وتتباين أنواع الأزياء حسب الشريحة الاجتماعية وحسب فصول السنة، ومن ملابس الرجال في المغرب الجبة والدراعة والسروال والغفارة والمحشو والدرندين وهو لباس يقي لابسه من برد الشتاء القارس [٩]، والبرانس ذات اللون الأسود والأحمر والأكسية البيضاء والمصبوغة والقبطية والشاسية والسلهامة ومعظم هذه الملابس تصنع من الصوف والكتان [١٠] .

وهناك مدن وقرى وبوادي مغربية تميزت ببعض العادات في ملابسها مثل أهل

---

(١) المقري : نفح الطيب ١/١٩٨ .

(٢) صالح أحمد العلي : الألبسة العربية ١٠.

(٣) ابن عذارى : البيان المغرب ٣/٧٣ .

(٤) المقري : نفح الطيب ٤/١٢٤ ، ابن خاقان : قلائد العقيان ١٢٤.

(٥) ديوان بن قزمان ١٠٤ .

(٦) ثلاث رسائل في الحسبة ١٠٣.

(٧) يحيى بن عمر : أحكام السوق ١٢٦ .

(٨) ابن حيان : المقتبس (ت اسماعيل العربي) ١٦٠ .

(٩) المعيار ١٠/٢٠٨ ، ١١/٢٧، ٢٨

(١٠) مجهول : الحلل الموشية ٢٧، ابن غازي : الروض الهتون ٦

أزكى من بلاد الصحراء يلبسون مقندرات ثياب الصوف ويسمونها بلغتهم القدوار [١]، ويرتدى سكان السوس أكسية من الصوف يلفونها على رؤوسهم ويحتزمون في أوساطهم بمآزر، ويسمونها اسفاقس [٢]، وعرفت لمتونة أثواب الصوف والعمائم الكرازى [٣]، ويلبس أهل نول لمطة ألبسة السفسارية والبرانس [٤]، وبعض أهل فاس يلبسون في الصيف دراعة قطن مصبوغة وطاقية ومئزراً قصيراً، ويزيدون في الشتاء دراعة ثانية من قطن[٥]، ويلبس أهل مراكش البرانس والعمامات والسراويل وجبات من جوخ ملونة تصل إلى الأرجل وقطعاً صغيرة مفصلة على شكل القرن كأنصاف سترات من فوق شملة رقيقة أو من خيوط الحرير والصوف وقمصان وقلنسوات قرمزية [٦]، ويرتدى أهل الريف أثواب الصوف ووضع جلموس غليظ من الرأس وحزام تلمساني وعمامات بيضاء فضلاً عن سراف، "وهو سكين كبير يوضع في الحزام" [٧] وعرف أهل حاحة الثياب الصوفية، وهى لا تقل خشونة عن غطاء الفراش، ويضعون على جلدهم إزاراً من الثوب نفسه يسترهم من الحزام إلى نصف الساق، ويغطون رؤوسهم بعمامات من صوف عرضه زهاء نصف قدم يلفونها خمس مرات، ولم يعتادوا على لبس القميص لقلة الكتان عندهم [٨]، ويرتدى أهل جزولة معاطف صغيرة أو قمصان من صوف ضيقة [٩]، ولبس أهل تامسنا الملابس القطنية لزراعة القطن عندهم، واعتمد أهل المصامدة على قطن تادلا في صناعة ملابسهم [١٠]، وحمل تجار أغمات وريكة الأكسية والثياب والعمائم والمآزر لزيادة الطلب عليها [١١].

---

(١) الإدريسي : صفة المغرب ٦٠.
(٢) المصدر السابق ٩٢.
(٣) السابق نفسه ٥٨.
(٤) السابق ٧٥.
(٥) الكتاني : زهرة الآسى "مخ" ٦٩/١.
(٦) مارمول : أفريقيا ١٧٥/٢/ ١٧٦
(٧) ابن مقديش : نزهة الأنظار ١١/١
(٨) مارمول : أفريقيا ٧/٢
(٩) المصدر السابق ٧٠/٢
(١٠) الإدريسي : صفة المغرب ٧٠
(١١) ابن مقديش : نزهة الأنظار ١٢/١

ويلبس أهل القرى والبوادي ملابس مميزة ، فذكر ابن سعيد [1] أن أبا اسحق الزويلي دخل على أحد العلماء وعليه زي أهل البادية .

ويعتم الرجال- كما قدمنا – بعمامات قطنية أو كتانية أو يلبسون طاقية أو شاسية في الأوقات العادية ويلبس الفلاحون عند الحصاد قبعات من دوم "المظل" عريضة الحواش لتقيهم من حرارة الشمس [2]، أما المرابطون فلبسوا اللثام وصار ميزة لهم. [3]

وانتعل أهل المغرب الأحذية والنعال المصنوعة من الجلد "البلغة" وأثناء الحرث يلبس الفلاحون نعل من الجلد تشد بشريط على الساق، وفى فصل الشتاء تلبس الجوارب اتقاء البرد [4].

أما ملابس المرأة المغربية فكانت قميصاً وسروالاً وصديرة من صوف في الأوقات الباردة وإزاراً حريرياً في الأوقات المعتدلة والحارة [5]، وأحياناً يلبسن ثياب الكتان والقطيفة والملحفة القطن في الشتاء للوقاية من البرد [6].

وعرفت بعض المدن بعادات خاصة في لباس المرأة المغربية ، فلا يلبس نساء فاس في فصل الصيف غير قميص يحزمنه بنطاق، ويلبسن في الشتاء ثياباً عريضة الأكمام مع سراويل طويلة تستر سيقانهم ، وخماراً يغطي رأسهن، ويلبس نساء مراكش ثياباً من الحرير والقماش يسترهن حتى الأقدام ، ويرتدين خماراً على رؤوسهن [7].

وكان نساء أهل القرى والبوادي سافرات ، ويخرجن لمزاولة الحياة مع أسرهن، ويقمن بالرعي وحضور الأعراس والولائم ، ومساعدة الأزواج والأباء في سقي الدواب وغسل الصوف وجمع الحطب [8]، وينتعلن الأحذية والجوارب الصوفية [9].

---

(1) المقتطف في أزاهر الطرف ٢٥٨.

(2) عبد الوهاب منصور : قبائل المغرب ٢٨٤

(3) حسن علي : الحضارة الإسلامية ٤٣٨

(4) عبد الوهاب منصور : قبائل المغرب ٢٨٤

(5) المصدر السابق نفسه ٢٨٤

(6) الونشريسي : المعيار ٣/١٠٠، ٢٤٩، ٤٠٦، ١٠/٢٥٩ ، ٣٤٧

(7) الوزان : وصف أفريقيا ١٩٧ ، مارمول : أفريقيا ٢/٥٧.

(8) الونشريسي : المعيار ١١/١٩٣.

(9) عبد الوهاب بن منصور : قبائل المغرب ٢٨٤

٨ – الأحوال الصحية لأهل القرى والبوادي

انتشرت أمراض بين سكان البوادي والأرياف لظروف العمل والحياة ، فانتشر داء الحميات والطحال بين أهل أودغست [١] وأمراض العيون بين أهل سجلماسة[٢] ومرض الجذام بين أهل فاس[٣] ، وإذا سقطت الأمطار في شهور الصيف في فاس[٤] تسبب الحمى الوبائية وتنتج الأمراض نتيجة سوء التغذية وبخاصة في الريف[٥] .

ويرى ابن خلدون[٦] أن النظام الغذائي المنتشر بين أهل الحواضر في الأمراض، فأهل الحواضر أكثر أمراضاً لكثرة أكلهم وتنوع أصناف الغذاء ، وعدم تنظيم أوقات التناول وخلطها بالتوابل ، عكس سكان الأرياف والبوادي فطعامهم قليل.

ويعتمد أهل الريف على العطارين في العلاج ، وحاول المحتسبون منع هذه العادات فلا يبيع الشراب والمعجون ولا يركب الدواء إلا الحكيمُ الماهر ، ولا يشترى ذلك من عطار ولا شرائبي ، فإنهم حرصاء على أخذ الثمن بلا علم فيفسدون الفتوة ويقتلون الإعلاء، لأنهم يركبون أدوية مجهولة مخالفة للعمل[٧] .

وشاع استخدام الأعشاب الطبيعية والنباتات في العلاج، فاستعمل أهل السوس زيت المرجان في علاج الكلى والبول[٨] ، بينما استخدم آخرون شحوم النعام ضد الأوجاع البدنية وآلام الأذن[٩] ، والحناء على رؤوسهم كلما شعروا بصداع أو آلام ، وحبة اللبان لمقاومة آلام الأضراس ودهن الصنوبر لعلاج مرض الفالج [١٠].

---

[١] البكري : المغرب ١٥٨.

[٢] الإدريسي: صفة المغرب ٦١ .

[٣] المقري: أزهار الرياض ٨٦.

[٤] مارمول: أفريقيا ٣١/١.

[٥] ابن أبي أصبيعة:١٨/١/٣

[٦] ابن خلدون: المقدمة ٢٤٧/٣

[٧] ابن عبدون : ثلاث رسائل في الحسبة ٤٧.

[٨] البكري : المغرب ١٦٢.

[٩] الإدريسي: صفة المغرب٧٢.

[١٠] ابن زهر : مختصر في الأدوية ٢٧.

مقارنة أثر الملكيات الزراعية على الحياة الاجتماعية

ارتبط النظام الاجتماعي في الأندلس والمغرب بالنظام السياسي بصورة كبيرة ، وبخاصة أن الدولة أصبحت تقوم على عصبيات تمثلت في عناصر أو في قبائل ، وهذا جعل القلق السياسي يصاحبه تمزق اجتماعي وخلل حضاري عام ، وربما الخراب في المراكز العمرانية – الريفية والحضرية – ، وهذا ما أعطى للتجربة الإسلامية في الحضارة شكلاً خاصاً وسمتاً مميزاً يحتاج إلى الدقة في فهم مساره .

أؤكد القول أن هناك ثلاثة مجالات ارتبطت ببعضها في مسيرة الحياة الإسلامية: السياسية بالإدارة بالاجتماع ، وهذا ما سيظهر من التحليل والمقارنة بين بلدين كبيرين مهمين مثل الأندلس والمغرب ، فقد كان في المغرب في القرون الثلاث الأولى صراعاً بين الأجناس التي حلت به، صراع بين العرب – قيسيه ويمنيه – ، وصراع بين العرب والبربر ، ونالت هذه الصراعات من بلاد المغرب ، وينبغي التنبيه إلى أن هذا الصراع له جانب سياسي كبير ، فالصراع بين أهل البلاد من البربر ومظالم العمال وجندهم ، وقد حسم هذا الصراع بتكوين دول إسلامية مثل: الأغالبة في إفريقية ، والإباضية في المغرب الأوسط ، والصفرية في سجلماسة ، والأدارسة العرب في المغرب الأقصى ، وتجمع البرغواطيون في تامسنا ، وأقاموا لهم كياناً قبلياً له سلطة على بعض المناطق .

وأفادت هذه الدول –رغم تنافرها المذهبي والقبلي – المغرب ، وتركت فرصة طيبة للمغرب لنشوء وتثبت الحضارة الإسلامية به ، وقد تجانست العناصر بين بعضها ، فرأينا في تاهرت وقراها أفراد من مصر وبغداد والكوفة والأندلس وغيرها من البلدان ، وكذا المغرب الأقصى الذي جذب العديد من العرب للعيش في ظل الإدارسة ، ولم تحدث صراعات بين العناصر في هذه الفترة وتبدلت الأوضاع في المغرب تماماً بعد دخول الفاطميين ، فقد قضوا على كل الكيانات السياسية في المغرب تقريباً ، ولم يستطيعوا أن يقيموا نظاماً بديلاً ، بل اعتمدوا على القبائل المغربية وضربها ببعضها بعضا ، وكانت المحصلة النهائية لذلك إضعاف القبائل الضخمة التي يرجى منها الخير في المغربين الأدنى والأوسط ، وكان لكل عنصر من هذه العناصر أملاكه الزراعة ، وتفرقوا في مراكز العمران الريفي بشكل عشوائي ، وليس شكلاً مخططاً كما يحاول بعض المستشرقين ترويج ذلك .

وقد اتخذ ابن خلدون من العصبية القبلية المفتاح الوحيد الذي فسر به جميع المشاكل التي طرحها التاريخ المغربي – خاصة – ، وقد ظهرت الإشكالات العديدة التي ارتبطت بالعصبية والدولة ، فالعصبية رابطة نفسية اجتماعية تتحول بالزعماء أو الاستقطاب من الشخصيات التي تبغي السلطة إلى قوة للمواجهة والمطالبة ثم تأسيس الدول ، وهو تأسيس لا ينتهي طبيعياً بل ينتهي بالاجهاز عليه من عصبية أخرى أقوى منه ، وما ينتج عن هذا الصراع من خسائر ، وقد رأينا ذلك في إجهاز المصامدة على صنهاجة الجنوب في المغرب والأندلس ، والعصبية قد تكون عصبية بقبيلة أو عصبية بعنصر كما سنرى في الأندلس.

أقول : إن قيام الدول على العصبية قد ولد ظواهر تاريخية تكررت لتكرر الأسباب ، فظهرت ضعف العصبية وأثره ، وسقوط الدولة بضعف عصبيتها لتقوم بعدها عصبية جديدة، وسارت الحضارة الإسلامية في بعض البلدان من البداوة إلى الحضارة.

وعندما تقوم دولة جديدة على عصبية جديدة فإنها تمر بثلاث أسس: أولاً: نظام المشاركة والمساهمة وهو عنصر يضمن الوحدة والالتحام داخل الجماعة الغالبة . ثانياً: سلوك سياسة كسب القلوب وإنزال الناس منازلهم ، ببعض كسب الولاء من مختلف الفئات والعناصر الأخرى . ثالثاً: الاقتصاد في النفقات ، وهذا يخلق جو من الاطمئنان والازدهار فيزداد ولاء الرعية وتظهر بوادر الرخاء ، وظهر ذلك جيداً في دولة المرابطين.

أعود مؤكداً أن الفاطميين لعبوا بالتركيبة القبلية في المغرب ، فقاموا على أكتاف كتامة، ثم غدروا بها واستنفذوا قوتها ، ثم استخدموا صنهاجة الشمال ، وتركوا لهم الإمارة في جو قبلي وصراعات لا تنتهي بين مغرواة وزناتة وبني يفرن وصنهاجة واصطلى المغرب بكل هذه الصرعات ، ودخلت قبائل المغرب ضد تجمع برغواطة ، وهكذا تفرغ معظم المغاربة للحروب القبيلية تتوارثها الأجيال ، فيربى الأولاد من أجل القتال ، فقل طلاب العلم والراحلون له ، ويضاف إلى ذلك الصراع مع الفاطميين قبل بني زيري ، وانعكس ذلك على أملاك الرعية ، فدمرت القرى ، وأُتلفت المحاصيل ، وهجر الناس قراهم وأرضهم .

أما في الأندلس فقد كان الصراع عنصرياً جنسياً ، فقد تعددت العناصر في الأندلس بشكل مثير ، والذي أكثر من هذه العناصر هم الحكام أنفسهم ، وقد خسر المسلمون – عامة

– كثيراً من جراء هذه الصراعات العنصرية ، فخسر المسلمون التطلع إلى فتح بلاد غالة بسبب الصراعات بين العرب البلدية وغيرهم من العرب القادمين الجدد ، وهدد هذا الصراع وجود المسلمين كله في الأندلس ، ثم دخل البربر في الصراعات ، ففقدت الأندلس في هذه الفترة أراضي كثيرة في الشمال واستعمرها النصارى ، وفقد المسلمون خمس شبه الجزيرة الإيبرية في هذا الصدام .

وبدخول عبد الرحمن الداخل إلى الأندلس حسم هذا الصراع ، لكن عنصراً جديداً كان قد تشكل وأصبح من قوة تهدد حياة الأندلس كلها ، وهو عنصر المولدين ، ويبدو أن هذا العنصر قد وقعت عليه بعض المظالم الاقتصادية ، وقد تمرد هذا العنصر مع النصاري ضد الإمارة في ثورة ابن حفصون ، وامتدت هذه الثورة حوالي أربعين سنة ، وشارك معهم العرب والبربر في ثورات شملت الأندلس كلها عدا قرطبة وبعض المدن التابعة لها ، لكن أمراء بني أمية بذلوا كل الجهد في سبيل إعادة الأندلس على ما كان عليه حتى استطاع الناصر إنهاء هذا التمرد العنصري ، لكن الناصر تعلم من هذا الدرس فبدأ يستخدم عنصراً جديداً هو عنصر الصقالبة في القصور والإدارة ، ثم أتى المنصور بن أبي عامر وقضى على ما بقي للعنصر العربي من سلطة ، فسمح للبربر المغاربة بالعبور إلى الأندلس بكثرة، وهذا يوحي أن الحياة في المغرب بالنسبة للمغاربة أنفسهم أصبحت شيئاً لا يطاق ، حتى تركوا بلادهم ورضوا بالهجرة إلى غيرها وبالعمل كجند مرتزقة في جيش الأندلس.

وقد أوضح هذا التركيب العنصري الجديد أنه تغيير جوهري في تركيبة السكان والجيش ، وأن الإمساك بهذه التركيبة الاجتماعية في كل الظروف أمر غير متصور ، وأن التاريخ يثبت أن ضرب العناصر ببعضها ، و الفرق ببعضها أمر يأتي على الحاكم في النهاية ، فيأتي الحاكم بعنصر أو بفرقة لتأكل مثيلتها فتأكلها ثم تأكل الحاكم نفسه ، وهذا ما حدث في الأندلس ، فقد أصبح العرب يشعرون كعنصر أنهم مهددون من الصقالبة والبربر، فدبروا المؤامرات ، وحقدوا عليهم كل الحقد ، وأصبح الأندلس يتطلب دائماً حاكماً قوياً يستطيع أن يسمك بيد من حديد هذه العناصر بغير رأفة أو تهاون ، وإلا ستكون نهايته القتل، كما حدث للأمير المستظهر الذي قتل في حركة غريبة ، كان يمكنه الإمساك بها منذ البداية .

وأخيراً انطلقت أحقاد هذه العناصر في الأندلس ، فحطمت سور الأندس الإسلامية

المتمثل في الخلافة ، وهكذا دخلنا عصر أمراء الطوائف ، وقد مثل هذا العصر - بغير قصد في الغالب - معظم العناصر السكانية في الأندلس ، فتسلط الصقالبة على بعض الحواضر وتسلط العرب على بعضها الآخر ، والبربر على بعضها الثالث ، وصعب التوفيق بين كل هذه العناصر ، فرأينا من خلال الأحداث تدخل العناصر في إفساد محاولات الإصلاح ، بل ظهر من العناصر ما يزكي نيران الصراع العنصري ، وأضر هذا الصراع بالأندلس ضرراً بالغاً وأشقاها ، فقد فقدت طليطلة مركز الأندلس ، وفقدت الأندلس كثيراً من جراء هذا الصدام ، وأخيراً حلت المشكلة بمشكلة عنصرية أكبر ، وذلك بدخول البربر الصنهاجيين لحل مشكلة الأندلس وعناصرها التي أقلقت كل الحكام ، وكان هذا التغيير أو الاستمرار في هذا التغيير في غير صالح الأندلس الإسلامية ؛ لأن البربر في عصر الحجابة كانوا حماة الأندلس وصلب جيشها ، وكان أهل البلاد مع العرب لهم كارهون ، وهكذا سار الأندلس من خطأ إلى خطأ ، وكلها أخطاء قذفت به في النهاية في مصير مؤلم ، وترك فرصة طيبة لنصارى الشمال كي تقوى وتصارع المسلمين ، وتقلص وجودهم في الأندلس. ولا يخفى أن وراء هذه الصراعات بعض الأسباب الاقتصادية والامتيازات التي يتمتع بها عنصر دون عنصر ، وجهرت بعض العناصر بهذه الامتيازات .

وهكذا لعبت العصبية القبلية والعنصرية دوراً سيئاً للغاية في تاريخ المغرب والأندلس، والفرق بين الأندلس والمغرب في ذلك أنها تأخرت في الأندلس ما يقرب من مائة سنة سار الأندلس فيها خطوات حضارية كبيرة وبسرعة كبيرة ، ولازم هذا التشكيل الحضاري هذا القطر عكس المغرب الذي أوقفت الصراعات القبية تجربته الحضارية مبكراً فلم يستطع إكمال مسيرته بما يتفق مع إمكانياته الطائلة.

الفئات السكانية : كلمة فئة اجتماعية أوفق - عندي - من كلمة طبقة اجتماعية التي شاع استخدامها ، وذلك لأن كلمةطبقة تومئ إلى السامع معنى التفاوت في الدرجات من أعلى إلى أدنى ، كما تتفاوت طبقات الجو وطبقات الأرض ، وهو اختلاف رأسي ، ولا يقتصر اختلافها على التفاوت الأفقي الذي يكون بين الأشياء المتماثلة أو المتساوية في الطبقة.

والفرق بين التفاوت الرأسي والأفقي أن الأول تفاوت من أعلى إلى الأدني تفاوت لا

يلزم عنه بالضرورة الاختلاف بالدرجات العليا والدنيا سواء نظرنا إلى ارتفاع الجاه أو المظهر أو ارتفاع المركز الوظيفي أو ارتفاع المراتب في الأرزاق والثروات ، وهذا واضح جداً في القيم والمفاهيم الإسلامية ، ولفظ فئات لا يعطي هذا الإيحاء ولا تلك الدلالة ، أما ظاهرة الاختلاف بين البشر فهو قديم قدم الوجود البشري ، بل سُنَّة كونية تشمل الكواكب والنبات والحيوان ، والسبب في تناول هذا التمهيد أن أناسا يرجعون جميع الفوارق في تكوين الفئات إلى سبب وحيد هو السبب الاقتصادي ، بل إلى شريحة واحدة من شرائح ذلك السبب الاقتصادي وهي شريحة رأس المال. فعند الماديين أن رأس المال وحده كاف لتعليل جميع الفوارق بين فئة وأخرى من فئات المجتمع، وأننا إذا أخرجنا العامل الاقتصادي من تلك المجتمعات و قفت فيها عوامل الاختلاف وتعطلت فيها تلك السنن التي لم تتعطل قط في ناحية من نواحي الكون ، ولم تزل تطالعنا في لحظة بنمط ملحوظ من أنماط التغير والتغيير.

وخلاصة القول في مسألة العوامل المؤثرة في حركة التاريخ أو في مسألة من المسائل المتشعبة أو وجود عامل فعال لن يعطل وجود العوامل الأخرى ، ولن يبعدها عن التأثير في خلق الامتيازات والفوارق والعلاقات ، وليس العامل الاقتصادي بالاستثناء من هذه القاعدة الشاملة ، بل لعله يأتي – كما هو مشاهد – في مقدمة العوامل التي تعجز عن الانفراد والتفرد بالتأثير في أحوال وشئون المجتمع ، لتوفر عوامل أخرى لها مكانتها مثل العناصر الدينية العقدية والنفسية والحيوية التي لا يمكن استغراقها في الجانب الاقتصادي مهما يكن من مكانته في بعض المعاملات والعلاقات ، وليس من العسير تعزيز هذه الحقيقة بالشواهد الملموسة من واقع حياتنا ومن واقع التاريخ الإنساني كله فضلاً عن التاريخ الإسلامي ، فالظروف الاقتصادية موجودة كغيرها من الظروف المعهودة ، ولكنها لا تجيز لأحد أن يبني عليها وحدها أقدار الأمم ومصير الطبقات والجماعات. وبعد فتلك كانت عجالة سريعة في مشكلة الفئات الاجتماعية والعامل الاقتصادي في حركة التاريخ .

وقد اتفقت الأندلس والمغرب في أشكال الفئات الإجتماعية ، وإن اختلفت في مسيرتها وحجمها وتأثيرها حسب تاريخ كل بلد منهما ، وحازت كل فئة أملاكاً زراعية ، فكان هناك فئة الحكام ، ومالهم من سلطة ونفوذ وثراء وأملاك ، وما يتعلق بهم من الموالي أو الخاصة ، ثم فئة العلماء ، وفئة التجار والصناع ، وفئة العامة ، ثم فئة العبيد ، وتحت بعض هذه الفئات تكون هناك أصناف أصغر منها، وامتلكت هذه الفئات أملاكاً زراعية أو عملت في

أعمال لها صلاة بالأملاك الزراعية .

وكانت فئة الحكام في الأندلس أكثر عدلاً وتحرياً للعدالة والرحمة برعاياهم من المغاربة لأن حكام الأندلس من أهل البلاد وليس لهم غيرها ، عكس الفاطميين الذين حاولوا الخروج من المغرب ، وبالفعل تم لهم ذلك ، وأخذوا معهم عصارة حياة المغاربة من الأموال الكثيرة والذخائر والتحف ، وقد انعكس ذلك على فئة الخاصة في كل البلدين ، فقد كثرت فئة الخاصة في الأندلس من ناحية العدد ودرجة الثراء بكثير عن مثيلاتها في المغرب كله ، حتى فاق بعض أثرياء الأندلس أمراء المغرب ، وكان خاصة الأندلس تمرساً للإدارة من المغاربة الذي أهلّهم لمكانتهم التعصب القبلي ليس أكثر ، ولهذا فعندنا فئة كبيرة في الأندلس تعرف بالموالي أخرجت أفراداً كثيرين كان لهم دوراً كبيراً في تاريخ الأندلس السياسي والإداري والحضاري ، في حين لم يوفر تاريخ المغرب ومسيرته هذه الفرصة لفئة الخاصة ، بل غلب على بني زيري (بني باديس وبني حماد) المظهر العسكري والصرعات ، وكانت فئة الخاصة قليلة جداً في المغرب إذا ما قورنت بالأندلس، وهذا الفارق أظهر إلى حدٍ بعيد الإفرازات والنتائج في مسيرة تاريخ كلا البلدين .

أما فئة العلماء فكان لها كبير التأثير في حياة الأندلس والمغرب وإن اختلفت الأسباب والدواعي ، فالعلماء في أفريقية كانوا من المالكية ، وكان لهم دور بطولي رائع ضد كل المذاهب الأخرى – بما فيها السنية – وأخرج علماء أفريقية بلدهم منتصرة في كل الصراعات ، وتمسكوا بالمذهب السني المالكي ضد الشيعة والخوارج ، والمعتزلة ، صحيح أن مدرسة المغرب المالكية لم تشهد تطوراً داخلياً من ناحية المؤلفات والشرح بعد الإمام سحنون بن سعيد ، إلا أن للمالكية في ذلك كل العذر ، فكان كل معركتهم هي الذود عن المذهب المالكي والصراع مع عدو قوي و صاحب السلطة حتى أنهم قلّلوا تحركات الشيعة ومن وقف معهم ، وجعلوهم يقصروا مذهبهم على الخاصة ، وهذا – عندي – أقوى الأدلة على عدم إخلاص الشيعة لمذهبهم ، فلم يحملوا السيف لنشر مذهبهم إلا قليلا ، وعندما خرج الشيعة من المغرب تنفس العلماء المالكية الصعداء ، وأخيراً أعلن المعز بن باديس – مقرراً ما هو واقع – عودة إفريقية إلى المذهب المالكي ، وقد اتفق المغرب الأقصى مع المغرب الأدنى في المذهب المالكي ولكن معركتهم كانت مع زندقة برغواطة ، ونشر الإسلام فيما وراء الصحراء .

أما المغرب الأوسط فقد ظهر فيه علماء الإباضية وكانوا متسامحين مع غيرهم من المذاهب ، ولم يظهر منهم ما يشين إلى المالكية عكس الشيعة في ذلك ، ولم نعرف من علماء الشيعة إلا القاضي النعمان.

وفي الأندلس فكانت معركة العلماء مختلفة تماماً ، فقد حسموا الموقف وثبتوا المالكية منذ البداية ، وقد اشترك علماء الأندلس في حرب النصارى حتى نهاية الوجود الإسلامي في الأندلس ، وحملوا عبئ تفرق الأندلس في عصر الطوائف ، وسعى أبو الوليد الباجي لتوحيد الأندلس ، و اشتركوا بشكل واضح ومؤثر في استدعاء المرابطين إلى الأندلس ، وأفتوا لهم بإنزال أمراء الطوائف من الحكم ، وأصبحت لهم مكانة كبيرة في عهد دولة المرابطين ، وهكذا نشط علماء الأندلس في كل مجال ، بل كان منهم الشعراء والأدباء ، فقد جمع علماء الأندلس محاسن عصرهم في العلم والأدب والجهاد والمواقف الحاسمة ، وكان علماء الأندلس يعرفون دورهم حق المعرفة ، وملك هؤلاء العلماء أملاكاً زراعية بشتى الأحجام ، وأغنتهم عن التنازلات .

أما فئة التجار في الأندلس والمغرب فكانت نشيطة وإن كان توفر عوامل النشاط التجاري في الأندلس أكثر منها في المغرب ، وكان التجار الأندلسيون يرحلون إلى سائر بلدان المسلمين ، ويأتي إليهم التجار من سائر البلدان ، لأن التجارة تحتاج إلى الأمن أكثر من غيرها من النشاطات الاقتصادية ، وعمل التجار على ترويج الحاصلات الزراعية أو الصناعية من أصل زراعي.

أما فئة الصناع فكانت تعتمد على الخامات الزراعية غالباً والصناعات أكثر حركة وإنتاجاً في الأندلس ؛ لسرعة استهلاكها واستخدامها لرخي الأحوال في الأندلس عنها في المغرب ، فقد شهد الأندلس ازدهاراً وتقدماً فاق نظيره المغرب بمراحل ، هذا فضلاً عن غلبة حياة القبلية على المغاربة في حين جمعت مراكز العمران الأندلسية عناصر سكانية كثيرة ، وقد التحمت هذه العناصر بشكل طيب.

أما فئة العامة في الأندلس فكانت تغيرها في المغرب ، فاشتركت في الأندلس في الأحداث وتأثرت بها ، فقد أوشكوا أن يقتلوا الحكم الربضي ، وقتلوا الحكم المستظهر ، واشتركوا في تخريب مدينتي الزهراء والزاهرة ، وكان لهم دور كبير في الفتنة البربرية

والعداء المستحكم بينهم وبين البربر ، وهذا ما لم يكن للعامة في المغرب ، بل على العكس كانت العامة في المغرب ضحية للصراعات من كل نوع ، وقد قتل منهم أعداد كبيرة على يد الأعراب ، وكنت أعداد كبيرة تموت منهم وقت الكوارث الطبيعية كالأوبئة والمجاعات والزلازل والفيضانات والقحط .

واختلفت مصادر فئة العبيد ، فقد اختلفت مصادرها في المغرب والأندلس ، فكانت في الأندلس من أسرى الحروب بين المسلمين ونصارى الشمال ، أما في المغرب فكان العبيد غالباً من السودان.

وأما العادات والتقاليد في الأندلس فكانت تتفق في نوعها وتختلف في كيفية ممارسة هذه العادات ، وهناك مسألة أود أن أوضحها وهي مبلغ ترف أهل الأندلس فإننا نتصور الأندلس بلداً واسعاً رحباً معطاء عامراً بأشكال العمران من البيوت والقصور والمنتزهات والحمامات والمساجد والفنادق ، فضلاً عن أنه بلد تلاقت فيه خيرات العالم الإسلامي العلمية والثقافية والحضارية ، وهذا التصور صحيح ، لكن أهل الأندلس لم يعرف عنهم السرف والترف ، أو الفاقة الشديدة ، كما يتصور ، لكنهم أناس يأخذون حظهم من الدنيا ولا ينسون نصيبهم من الآخرة ، فلم يتكلفوا الترف كما في بغداد مثلاً ، ولعل السبب في ذلك يعود إلى جغرافية الأندلس القاسية التي لا تترك فرصة للترف الزائد بل تتطلب العمل ، فكان أهل الأندلس أقرب إلى اليسار أو الكفاية ، وما عندنا من أخبار عن معظم أهل الأندلس يدل على حياة وسط لا هي مسرفة في الرخاء ولا هي ضيقة متعبة ، ولعل أخبار الحصار توحي لما كان عليه أهل الأندلس من قدرة على الادخار والتدبير ، حتى إن الحصار كان يمكث على مدنهم بالسنين والشهور ، ولا تسقط المدن إلا بالخيانة في الغالب .

أما ما لدينا من أخبار السرف والبذخ فيرجع إلى مدة قصيرة هي فترة ملوك الطوائف بعد عام ٤٥٠هـ، ومعظم هذه الأخبار كما رأينا تدور في قصور الأمراء ، وهو إسراف عابر ولم يكن عاماً ، بل كان تصرف أقل ما يوصف به أنه يقع من بلهاء ، إذ أن نتيجته تكون الخضوع للنصارى والتضييق على الرعية وظلمها ، وكانت النتيجة أن تبرمت الرعية كلها بهذا الوضع غير المألوف وخلعت هذه الفئة ، وهذا يوضح السبب الثاني في رفض أهل الأندلس للترف ، وهو وضع الأندلس كثغر يقتضي اليقظة والجهاد الدائم المستمر ، ولهذا

تبرمت الرعية بملوك الطوائف المترفين ، لأن ذلك أضر ببلادهم كل الضرر ، وهذا الوضع شكل مزاج أهل الأندلس الإسلامي ، فكان مزاج الاعتدال أوالتقصير وليس الترف ، فلم تعرف ظاهرة تعدد الإماء في الأندلس بشكل واسع مثل غيرها من البلدان الإسلامية .

أما في المغرب فكانت البيئة شحيحة عزيز ما فيها ، ولا يسمح للسرف بأي صورة ، بل بيئة تقتضي الاعتدال والإيثار وحسن السيرة ، واستغلال معطيات البيئة المحيطة ، وهذا بدوره شكّل مزاج أهل المغرب ، فجلهم أميل إلى التقشف والزهد ، ولعل هذا قرب منهم مذهب مالك ، أو اقتربوا من مذهب مالك ، وكان متصفاً بهذه الصفات ، ولهذا أسلفت أن مظاهر ثراء أمراء المغرب يفوقها أي مولى أندلسي ، ولعل هذا أثّر على نظام الإدارة في المغرب ، فجعله بسيطاً عكس الأندلس ، وهذا يدل على أن البيئة توجه مزاج وعادات أهلها إلى حد بعيد ولا يمكن إنكار دورها ، ولا أريد أن أكرر أن مظاهر الاحتفالات والمناسبات تتأثر بهذا العامل فهي أكثر ترفاً منها في الأندلس عنها في المغرب .

الفصل السادس

الحياة العمرانية
والملكيات الزراعية

المبحث الأول

مراكز العمران الريفي

المبحث الأول

مراكز العمران الريفي في الأندلس والمغرب

ظهر الاهتمام بالعمران واضحاً في كتب التاريخ والجغرافيا والرحلات والنوازل ، وسار معها الجانب الفكري ، والكتب الأولى تصف الواقع المعاش ، فقد تطورت مراكز العمران (مدن – قرى – حصون – قلاع) وكانت الحاجة العملية إلى السفر والترحال والحج، كثر التمدن وأخذ ينمو ويعمق ويتجذر ويتوالد بعضه من بعض في إطرا الحاجات الفكرية والعملية .

وأوجب الفقهاء على الحكام أن "يأخذ السلطان الناس بالعمارة وكثرة الغراس ، ويقطعهم الإقطاعات في الأرض الموات ، ويجعل لكل أحد ملك ما عمر ويعينه على ذلك ، فبذلك ترخص الأسعار ويعيش الناس والحيوان ويعظم الأجر ويكثر الأغنياء ويكثر ما تجب فيه الزكاة ولا يمنع الأمام من البنيان الواسع وأن يبلغ به غاية الاتقان والقوة ، ولكن يمنع من التزويق والتذخرف وما أشبه ذلك" (١).

والعمران هو بناء مراكز العمران وإحياء الموات وإيجاد الزرع والضرع وإدارة ذلك كله ، وتكثر العمارة الركن الخامس التي تقام بها صورة الملك ووجوده بعد : نصب الوزير وإقامة الشريعة وإعداد الجند وحفظ المال ثم إقامة العدل ، يقول الحكماء : الملك بالجند والجند بالمال والمال بالعمارة ، فالدولة دون عمران لا تتصور والعمران دونها متعذر ، فالمال يأتي من كثرة العمارة ، ويقل بقلتها ، فتعدد الأعمال بالأمصار هو السبب في الكسب الذي هو مفضي لحصول الثورة بما يفضل عنها من ضرورات وينشأ عن ذلك شماخة الملك بنمو الجباية وصرف ما يفضل منها إلى اتخاذ المعاقل والحصون واختطاط المدن والأقطار.

وعن ذلك ترسخ عوائد الترف والتأنق في المسكن والملابس واستجادة الأبنية والماعون واتخاذ الخدم والمراكب وكل ذلك مستدع لنفاق الأعمال والصنائع لموجب كسبها لزيد كثرة المال ونمو الجباية وبحسب تفاوت الأمصار في العمران . وما تحفظ به العمارة هو

---

(١) ابن الأزرق : بدائع السلك ٢/٥١٥ ، ٥١٦ .

العدل ، وقيل لا جباية إلا بعمارة ولا عمارة إلا بعدل "وبالعدل عمت الأرض وقامت الممالك" .

والإحسان إلى المزراين فإن الرعية تظل سماناً ما سمنوا .

والذي يخل بالعمارة وحفظها هو الظلم ووفور الظلم إنما هو بالأعمال العائدة بفضل المكاسب النافعة في الأسواق والعدوان على الناس في أموالهم ذاهب بأموالهم في تلك الأعمال لمصير كسبها بأيدي المنتهبين ، فتكسد أسواق العمران ، ويخف ساكن قطره فراراً منه لتحصيل الرزق في غير إيالته فتخرب أمصاره وتختل باختلاله الدولة ، ونقص العمرا بالظلم يقع بالتدريج ، والظلم يأتي بأخذ ملك أحد أو غصبه أو طاله بغير حق .

واستخدم المسلمون كلمات عدة لظواهر التمدين والعمران ، مثل : المصر ، والقصبة، والحاضرة ، والمدينة ، والبلدة والكورة ، والحوز ، والقرية ، والعمل ، وما يحيط بهذه المراكز الحضرية من : الريف ، والضيعة ، والربض ، والضاحية .

وما يهمنا هنا المصطلحات: الأخيرة منها، فالقرية خلاف المدينة ، وهي سكنى القرى والأرياف ، والضاحية الناحية البارزة من المدينة ، وهي ظاهر المدينة ، فالضاحية على بعد من المدينة وتنحى من المساكن .

والحوز : هو ما يدخل في حدود الكورة ، "ويتصل بحوز كورة تدمير كورة بلنسية ، وهي شرق تدمير وشرق قرطبة" (١)، فالحوز زمام الكورة كله ، أي ما يتبعها من الأرضين والبلاد .

ويتصل بأحواز كورة بلنسية أحواز مدينة طرطوشة (٢)، ويتصل حوز مدينة طركونة بحوز طرطوشة (٣)، وتتصل أحواز مدينة طركونة بحوز طرطوشة (٤). وتتصل أحواز مدينة بريطانية بمدينة لاردة (٥)، وتتصل أحواز مدينة تطيلة بأحواز مدينة أشقة (٦)، وكذلك

---

(١) ابن غالب : فرحة الأنفس ٢٨٥ .
(٢) المصدر السابق ٢٨٥ .
(٣) السابق نفسه ١٨٦ .
(٤) السابق ٢٨٦ .
(٥) ابن غالب : فرحة الأنفس ٢٨٦ .
(٦) السابق ٢٨٧ .

أحواز تطيلة بأحواز سرقسطة [١]، ومثلها أحواز كورة ماردة بأحواز فريش [٢]، وأحواز مدينة شنترين بأحواز كورة باجة [٣]، وأحواز شنترين تتصل بأحواز أشبونة [٤]، ومثلها أحواز أكشونبة بأحواز الأشبونة [٥]، وأحواز لبلة بأحواز أكشونبة [٦]، وأحواز كورة إشبيلية بأحواز كورة لبلة [٧]، وأحواز كورة مورور بأحواز مدينة قرمونة [٨]، وأحواز كورة مورور بأحواز كورة شذونة [٩]، وأحواز كورة الجزيرة الخضراء بأحواز كورة شذونة [١٠]، وتتصل أحواز كورة رية بأحواز الجزيرة الخضراء [١١].

(١) القـــرى

أ) القرى الأندلسية

نمط عمراني مغاير للمدنية ، وفيها يعيش أهل الريف فى منازل متجاورة ، وعمل أهلها فى الغالب بالزراعة والرعى بجانب الصيد فى القرى الساحلية ، وتختلف أحجام القرى بين قرى كبيرة تقترب من المدينة في الحجم والمرافق، وبين قرى صغيرة تجمع عدة بيوت.

وتزداد أهمية وعائدات الرزق للقرى إذا كانت على طرق المواصلات ، أو كانت هى ذاتها محطة تجارية، فتقوم بدور المورد الغذائى ، فالمسافر لايمشى ثلاثة فراسخ إلا وجد الخبز والزيت فى الحوانيت على طول سفره[١٢] ، وأينما سار يجد الحوانيت فى الفلوات والشعارى والأودية فى رووس الجبال لبيع الخبز والفواكة والجبن واللحم والحوت وغير ذلك من ضروب الأطعمة[١٣] ، ووصف الإدريسي إحدى قرى الأندلس بأنها" يباع فيها

---

(١) السابق ٢٨٧ .

(٢) السابق ٢٩٠.

(٣) السابق ٢٩١ .

(٤) السابق ٢٩١ .

(٥) السابق ٢٩١

(٦) السابق ٢٩٢ .

(٧) السابق ٢٩٣ .

(٨) السابق ٢٩٣ .

(٩) السابق ٢٩٤ .

(١٠) السابق ٢٩٤.

(١١) السابق ٢٩٤ .

(١٢) الزهرى : الجغرافية ٨٠.

(١٣) المقري : نفح الطيب ٢٢٦/١

للمسافر بين الخبز والسمك وجميع الفواكة كل شيء فـي إبانـه"[١] ، ومـن نمـاذج هـذه القـرى التي توجد على الطرق هي : قرية أرطانة[٢]، وقرية انبصُّرسكه[٣] ، وقرية بسير سكه[٤].

وتتبع القرى الأقاليم ، ويختلف عددها حسب كل إقليم ، وتُدفع الجباية والخراج علـى عدد القرى ، ففي قرطبة مثلا[٥] يحتوى إقليم المدور علـى ٩٠ قريـة ، وإقليم القصب ٨٧ قرية ، وإقليم لورمر على ٦٤ قرية ، وإقليم الصدف على ٢٨ قرية ، وإقليم بنى مسرة علـى ١٧ قرية ، وإقليم منيانة على ٢٦ قرية، وإقليم كرتش على ٦٠ قرية، وإقليم القشتل على ٤٨ قرية، وإقليم الهرهار على ٧٣ قرية، وإقليم الملاحة ٨٤ قرية، وإقليم الشعر على ٩٠ قرية ، وإقليم السهل على ١٠٢ قرية ، وإقليم أولية على ٨٦ قرية ، وإقليم الوادي ١١١ قريـة ، وإقليم مريم على١١٣ قرية ، أي أن ١٢ إقليم في قرطبة احتوت على ٩٦٨ قريـة ، وهـى ليست أكبر مدن أو كور الأندلس .

ومع ازدياد الاستقرار السياسى والاجتماعى و الاقتصـادى تبلـغ البوادى والأريـاف منتهاها عمرانيا وسكانيا ، فتأتي القرى فى نهاية الجمال لتصنع أهلها فى أوضاعها وتبييضها لئلا تنبوعنها العيون[٦]، فإقليم الشرف غرب إشبيلية أخذ فى الأرض طـولا وعرضـا فراسـخ مسافة أربعين ميلا ، ويحتوى على قرى كثيرة تصل إلـى مـائتين وعشـرين قريـة[٧]، وتزيـد قرى إشبيلية عن غيرها من القرى بانتخاب مبانيها وتهمم سكانها منها داخلا وخارجا إذ هـى فى تبييضها لها نجوما فى سماء الزيتون[٨].

وتذكر المصادر بعض أسماء قرى إشبيلية منها : قرية كنتش معافر بقبلى إشبيلية[٩]، وقرية قورة الواقعة بآخر الشرف على عشرة أميال من الحاضرة[١٠]، وقرية أرنبسة من حيز

---

[١] الإدريسي : نزهة المشتاق ٢/٥٦٦
[٢] العذري : نصوص عن الأندلس ١٩
[٣] المصدر السابق ١٠٨
[٤] السابق نفسه ١٠٩
[٥] مجهول : ذكر بلاد الأندلس ٤٣،٤٤
[٦] المقرى : نفح الطيب ١/ ٢٠٥
[٧] المصدر السابق ١/١٥٩
[٨] السابق نفسه ٣/٢١٣
[٩] العذرى : نصوص عن الأندلس ٩٩
[١٠] المصدر السابق ٩٩

إشبيلية وطربيل وادى إبرة[١]وعلى ميلين من المدينة ، وقرية بللة نوية البحريين شمالا بـإقليم طشانة[٢]، وقرية شنت طريش فى آخر حد إشبيلية إلى استجة [٣]، وقرية البلاط وقرية كريب ومرنيانة الغافقين[٤] وقرية المسيلة[٥]وقرية قرشـانه[٦]وأبيلـة[٧]وفلـح الشـرف[٨]، وقريـة وادى ربذة[٩]وتلميط وشلوقة[١٠]وآش[١١] وقرية مقرانة[١٢]و حومة بير الوداع خارج إشبيلية[١٣] .

ومن قرى إقليم المدينة باشبيلية قرية أرش قرب إشبيلية[١٤]وقرية طربيل علـى وادى إبرة على ميلين من إشبيلية[١٥]، وقرية قريقش قـرب حصـن الزاهـر ، وقريـة البلطيـل قـرب إشبيلية ، وقرية قراخة بحاشية الجبل منها[١٦] ، وهناك كدية الجبـل قبالـة بـاب قرمونـة[١٧] ، وبساتين وجنات المصلى[١٨].

ويتبع إقليـم البصل قرية طلياطة الواقعة على طُريق المحلات على بعد عشرين ميلا شمال غرب إشبيلية[١٩]،وقرية نوح[٢٠]وقرية لبص[٢١]، وقرية سانية ابـن أبـي عمـــران.[٢٢]

---

(١) ابن حيان : المقتبس ٣/ ٨٢
(٢) المصدر السابق٨٢
(٣) السابق نفسه ٧
(٤) ابن حيان : المقتبس ٣/ ٧١
(٥) ابن الحاج : النوازل ٣١٤.
(٦) ابن حزم :الجمهرة ٢٤٩
(٧) أبو الخير الاشبيلى: الفلاحة ٢/ ٧٠
(٨) المصدر السابق ٢/ ٧٠ ، ٧١.
(٩) السابق نفسه ٢/ ٨٥٢
(١٠) البيان المغرب : جزء الموحدين ١٤٥
(١١) ابن حزم : الجمهرة ٤٢٣
(١٢) ابن سعيد : المغرب ١/ ٢٨٨
(١٣) المقرى : نفح الطيب ١/ ٢٧٦.
(١٤) أبو الخير الفلاحة ١/ ٥٣٨
(١٥) ابن حيان : المقتبس ٣/ ١١٠
(١٦) أبو الخير الفلاحة ١/ ٥١٣.
(١٧) ابن عبد الملك المراكش: الذيل والتكلملة ١/ ١٢/ ٥١٤.
(١٨) الحميرى : صفة جزيرة الأندلس ٥٩.
(١٩) ابن الخطيب : الإحاطة ١/ ٥١٣، العذرى : نصرص عن الأندلس١١٠.
(٢٠) ابن بشكوال: الصلة ٢/ ٣٠٩.
(٢١) الجمهرة ٤٢٣.
(٢٢) ابو الخير :الفلاحة ٢/ ٧٤٣

ومن قرى إقليم (البر) قرية وبر الجامعة[١]، وقرية مورة على بعد ثلاثة فراسخ من إشبيلية[٢]، ومن قرى إقليم طشانة قرية يومين الواقعة بمحاذاة الوادي الكبير شمال إشبيلية ، وإلى الجنوب من إقليم طشانة على طول مجرى الوادي الكبير تنتظم قرى الوادي الكبير في إقليم الوادي ، وقرية القلعة الجامعة، وقرية شنت بوس من قرى وادى إشبيلية[٣]، وقرية بللية[٤]، وقرية الغابة فى سهل الغابة وكثيراً ما تعرض هذا السهل للفيضان[٥] .

وكانت هناك قرى كثيرة على طول ستين ميلا فى المجرى السفلي للوادي الكبير بين البحر وإشبيلية ، ومن أشهر القرى قرية طبلاطة على الضفة اليمنى للوادى الكبير [٦]، وقرى قبتور فى جزيرة قبتورالنهرية [٧]، وقبطال[٨].

وفى إقليم قرطشانة حصون الحوف[٩]، وقرى شقبيالة وقرشبين الجبل وموررالة ومنت شاقر[١٠]، ومن إشبلية الأخرى قرية إبرانة[١١]، وقرية أرضانة[١٢]، ووسالة[١٣] ، وقرى ارتش[١٤] وذيرة وبيرش[١٥] وقنية[١٦] وطيأش[١٧] وكماط وبلغندر[١٨] وشوش

---

[١] ابن حيان : المقتبس ٦٩/٣.
[٢] العذري : نصوص عن الأندلس ١١٠.
[٣] أبو الخير: الفلاحة ٥٤١/١ ، عبد الملك المراكشي: الذيل والتكملة ٤٨٧/٢/١.
[٤] أبو الخير : الفلاحة ٨٤٣/٢.
[٥] أبو الخير: الفلاحة ٨٤٣/٢.
[٦] أبو الخير: المصدر السابق ١٧١/١ .
[٧] السابق ٦٨٨.
[٨] الأدريسي: النزهة ٥٤٩/١ أبو الخير: الفلاحة ١٥٩/١ .
[٩] أبو الخير: السابق نفسه١٥٩/١ .
[١٠] السابق نفسه١٥٩/١ .
[١١] أبو الخير: المصدر السابق ٢٢٩/١ .
[١٢] السابق نفسه ٨٤٧/١ .
[١٣] نفسه ٢٥٩/١ .
[١٤] أبو الخير: المصدر السابق ٧٢٥/٢ .
[١٥] نفسه ٢٣٠/١.
[١٦] نفسه ٢٥/٢ .
[١٧] السلفى : أخبار وتراجم أندلسية ١٥٥ .
[١٨] أبو الخير: الفلاحة ٧٢٥/٢ .

الأنصار[1]وتتفاوت عدد الدور فى القرى، وكان لكل قرية جامع ومسجد على قدر حوم القرية[2].

وحصنت بعض القرى أهميتها الاستراتيجية، فكتب محمد بن غالب إلى الأمير عبد الله يسأله بناء حصن بقرية شنت جرش وحصنت قرية قورة بالشرق بحصن منيع[3]، وحصن الفتح من عمل إشبيلية المشرق على فحص الفتح فى غياض هناك[4]، ونسب لقرية المنتسير حصن، وكذا حصن القصر فى إقليم الشرق[5].

وهذا جدول ببعض أسماء القرى الذي ذكرتها المصادر :

القرية	المكان	المصدر
أشبرة	سرقسطة	التكملة (ترجمة) ٨٢٠
إقليم ابن جرير	إلبيرة	ابن الفرضي (ترجمة) ٢٨٧
كشكينان	قرطبة	ابن الفرضي (ترجمة) ٦٥٥
وية اختيانة	قبرة	ابن بشكوال (ترجمة) ٢٠
باذو	جيان	الخشني ص ٧٢٠٦٧
غليار	قرطبة	النباهي ٤٥ – ٤٧
ربلس	همدان	الخشني ترجمة) ٥٣ ص٤٧
منت لشم	الزاوية	صاعد الأندلس ٧٣
جرف مواز	قرطبة	الزبيدي (ترجمة) ٢٣٨
الغافقين	إشبيلة	ابن الفرضي (ترجمة) ٣١٥
جبل سهيل	رية	ابن الفرضي (ترجمة) ٣١٥
إطابة	تاكرنا	ابن بشكوال (ترجمة) ٩٣٤
فرخشنيط	إلبيرة	ابن الفرضي (ترجمة) ٥٣١

(١) ابن حزم : الجمهرة ٣٤٦ .

(٢) ابن الحاج: النوازل ١٢١ .

(٣) العذرى : نصوص عن الأندلس ٩٩ .

(٤) أبو الخير : الفلاحة ٦٤٢/٢.

(٥) عبد الملك المراكشي : الذيل والتكملة ٤٢٨/٦.

القرية	المكان	المصدر
باغة	جيان	ابن بشكوال (ترجمة) ٣٠٥
برجة	إلبيرة	الخشني (ترجمة) ٩٦
ضيعة نرجالة	قبرة	ابن حزم ص ٩٧
أشبره	سرقسطة	ابن الآبار (ترجمة) ٨٠٢
بيرة	إلبيرة	الخشني (ترجمة) ٤٣٥
أشونة	استجة	ياقوت ص٣٩
فيشاطة	رية	ابن الفرضي (ترجمة) ٣٩١
طرش	إلبيرة	ابن الخطيب ص ١٨٣ - ١٨٤
همدان	غرناطة	المقتبس (ترجمة العربي) ٥١ ، ٥٢
جبل سنتان	جيان	ابن حيان (ت العربي) ٢٥ ، ٢٧
وادي القصب	إلبيرة	ابن حزم ص٢٦٠
مغيلة	إشبيلية	الحميدي (ترجمة) ٩٢٤
ماردة	شلب	الإدريسي ص ٥٤٣
قسطلة دراج	جيان	الحميدي (ترجمة) ١٨٦.
أبطلش	قرطبة	الخشني ; أخبار الفقهاء ٢٩٥
شوش	إلبيرة	ابن القوطية ٥٦ ، ٥٧
عيلة	إلبيرة	ابن سعيد : المغرب ٢/١٠٥ ، ١٢٥ ، ١٠٦
آرنيش	قرطبة	م٥/٣٦٢
غلنيزة	قرطبة	م٥/٣٦٢
أشترلة	ماردة	م٥/١٢٣
قولسانة	ماردة	م٥/١٢٣
عامس	ببشتر	م٥/١٥٢
طلبيرة	ببشتر	م٥/١٥٢

القرية	المصدر
طرسيل	البيان المغرب ١٠/٢ ، أخبار مجموعة ٢٠
قبرلش	ابن سهل ٤٤٦
شقندة	الروض ١٠٤ ، نفح الطيب ٤٥١/١
وزغة	المغرب ٢٢٠/١
أطانة	ابن حيان (ت الحجي) ٤٣
بسطانة	ذكر بلاد الأندلس
اكتبيل	المن بالإمامة ١٢٧
شبيرة	الفتاوى لابن رشد ٧٢/١
السقائين	خلاف :تاريخ الفقهاء ٦٠٠
رميمة	نفح الطيب ٥٣٤/٣
أنسر	التكملة ٢٣
طبيرة	الإدريسي : وصف الأندلس ١٧٨
شقرش	الإدريسي ١٧٩
حلق الزاوية	الإدريسي ١٧٩
يانة	الإدريسي ١٨٦
بمغام	الإدريسي ١٨٧
بلسانة وبطرنة وشلوبنية	الإدريسي ١٩٨
شاط	الإدريسي ١٩٩
طرش – الفشاط	الإدريسي ١٩٩
بزليانة	الإدريسي ١٩٩
عبدوس – عيلة	الإدريسي ٢٠٠
بلذوذ – حنصل	الإدريسي ٢٠٠
وشمة – وافرفيدة	الإدريسي ٢٠١
دوش	الإدريسي ٢٠١
شوشبيل	الإدريسي ٢٠٣
صدف	الإدريسي ٢٠٣
كنتش – معاقر	العذري : نصوص عن الأندلس ٩٩

قورة	العذري : نصوص عن الأندلس ٩٩
أرنبكسة – طربيل	ابن حيان : المقتبس ٨٢/٣
بللة	ابن حيان ٨٢/٣
شنتاطريش	ابن حيان : المقتبس ٧/٣
البلاط – كريب	ابن حيان : المقتبس ٧١/٣
مرنيانة الغافقين	ابن حيان : المقتبس ٧١/٣
المسيلة	ابن الحاج : النوازل ٣١٤
فرشانة	ابن حزم : الجمهرة ٢٤٩
أربيلة	أبو الخير الإشبيلي : الفلاحة ٧٠/٢
فلح الشرف	أبو الخير الإشبيلي : الفلاحة ٧٠/٢
وادي زبدة	أبو الخير الإشبيلي : الفلاحة ٨٥/٢
تلميط – شلوقة	البيان المغرب (جزء الموحدين) ١٤٥
آش	ابن حزم : الجمهرة ٤٢٣
مقرانة	ابن سعيد : ٢٨٨/١
حوقة بير الوداع	المقري : نفح الطيب ٢٧٦/١
قريقش – البلطيل – قراطة	أبو الخير : الفلاحة ١٥٣/١
نوح – لبص	أبو الخير: الفلاحة ٧٤٣/٢
سانية ابن أبي عمران	ابن حيان : المقتبس (م) ٣ / ٦٩
مورة	أبو الخير : الفلاحة ٥٤١/١
يومين – الوادي الكبير	عبد الملك المراكشي : الذيل ٤٨٧/٢/١
القلعة الجامعة – شنتابوس	عبد الملك المراكشي : الذيل ٤٨٧/٢/١
بللية	أبو الخير : الفلاحة ٨٤٣/٢
الغابة	أبو الخير الإشبيلي : الفلاحة ٨٤٣/١
طبلاطة	أبو الخير الإشبيلي : الفلاحة ١٧١/١
قبتور	أبو الخير الإشبيلي : الفلاحة ٦٨٨/١
قبطال	الإدريسي : النزهة ٥٤٩/١ ، أبو الخير١٥٩
شنبالة – قرشين الجبل	أبو الخير الإشبيلي : الفلاحة ١٥٩/١
مورالة – منت شاقر	أبو الخير الإشبيلي : الفلاحة ١٥٩/١

ابرانة	أبو الخير الإشبيلي : الفلاحة ٢٢٩/١
أرضتة	أبو الخير الإشبيلي : الفلاحة ٨٤٧/١
وسالة	أبو الخير الإشبيلي : الفلاحة ٢٥٩/١
ارتش	أبو الخير الإشبيلي : الفلاحة ٧٢٥/١
ذيرة بيرش	أبو الخير الإشبيلي : الفلاحة ٢٣٠/١
قنية	أبو الخير الإشبيلي : الفلاحة ٢٥/٢
طياش	السلفي : أخبار وتراجم أندلسية ١٥٥
كماط	أبو الخير الإشبيلي : الفلاحة ٧٢٥/٢
بلغندر	أبو الخير الإشبيلي : الفلاحة ٧٢٥/٢
شوكش الأنصار	ابن حزم : الجمهرة ٣٤٦
شنت جرش	العذري : نصوص عن الأندلس ٩٩

❀ ❀ ❀

ب) القرى المغربية

غلب على القرى المغربية - كذلك - طابع الإنتاج الزراعي ، والجغرافيون المسلمون يصفون خيراتها الزراعية وحجمها، فوصفت القرى بأنها قرية كبيرة وجامعة وعامرة ، ويرصد البكري أهم القرى المغربية وينسبها إلى المدينة التي تتبعها: فيتبع مدينة بسكرة قرية ملشون[١]، وفي الطريق من القيروان لمدينة أبة قرى وعمارات كثيرة[٢]، وفي الطريق إلى مدينة تيجس قرى كثيرة[٣]، وفي قرية الفهمين سوق جامعة بقرب فحص بُل[٤]، ويتبع مدينة باجة قرية المغيرية[٥]، وبشرق مدينة الغدير قرية طرقلة[٦]، ويتبع مدينة أشير

---

[١] البكري : المغرب ٥٣

[٢] المصدر السابق ٥٣

[٣] المصدر السابق ٥٤

[٤] المصدر السابق ٥٥

[٥] المصدر السابق ٥٧

[٦] المصدر السابق ٦٠

قريتي سوق هوارة و سوق كرام[١]، وبقرب مدينة الخضراء قريتي بني واريفن وقارية[٢]، والخارج من مدينة أشير يمر بقرية شعبة[٣].

وفي الطريق من وهران للقيروان توجد قرية تانسالمت وهي لقبيلة ازداجة[٤]، وقرب مدينة بنطيوس قرى كثيرة[٥]، وحول مدينة تهوذا أزيد من عشرين قرية[٦]، وبعد مدينة مذكود قرية جمونس الصابون ، وهي كبيرة آهلة;وبها آبار عذبة، وبها شجر الزيتون وجامع وسوق عامرة وحمام، وفيها قصر كبير، وهو مخزن لجماعة من أهلها، وبها غدير ماء كبير ، ولها قرى كثيرة عامرة مفيدة، ومثل هذه القرية قرية مجدول وهي آهلة كبيرة وبها غدير منه شربهم، ولهم آبار كثيرة طيبة، و قربها كذلك قرية دعام[٧]، العامرة.

وقرية أجرسيف عامرة على نهر ملوية يأتيها من جانب مطغرة ، ويخاض إليها من جهة القبلة، ويحصنها قلاع جارة المنيعة[٨]، ويتبع مدينة نكور قرية أقطى[٩]، وعلى نهر اليلي قرية بتاورص لعبد الرحمن بن فحل من بني مسكين من مصمودة، لها مزارع وأرضون ، ويسكن بنو مرزوق بن عون المصمودي في قرية صدينة ذات المياه السائمة وهي أطيب تلك البلاد مزارع، وفي أعلاها مسارح واسعة ومروج خصبة للماشية، وفي المنطقة ذاتها قرية هوّارة العامرة بها عيون عذبة[١٠]، وقرية بليونش الآهلة كثيرة الفواكة وبغربيها نهر يُقام عليه الأرحاء.

وقرب مدينة البصرة نهر ردات و بقربه موضع حنّاوة ، وهو قرى كثيرة عامرة، وعلى نهر سبو القرى الكثيرة، وقرب سبتة قرية نصر بن جرو عامرة آهلة، وبها جامع،

---

(١) المصدر السابق ٦٠

(٢) المصدر السابق ٦١

(٣) المصدر السابق ٦٤

(٤) المصدر السابق ٧١

(٥) المصدر السابق ٧٢

(٦) المصدر السابق ٧٢

(٧) البكري : المغرب ٧٥

(٨) البكري: المصدر السابق ٨٨

(٩) السابق ٩٢

(١٠) السابق ١٠٦،١٠٧

وبساتين كثيرة، ويوم سوقها يوم الجمعة، وقرية الأقواس حولها أرض كثيرة طيبة الزرع، وبجوار قلعة ابن خروب يوجد قرى متصلة لكتامة، و قرية لعرب خولان آهلة كثيرة الخير على نهر زلول[١]، وقرب مدينة البصرة قرى عامرة متصلة وفي جنانها عيون كثيرة، ويوجد على نهر سبو القرى الصغيرة[٢].

وفي الطريق من سبتة لفاس توجد قرى وادي نيرش الآهلة العامرة كثيرة الثمار والعيون ويسكنها لواتة، وعلى نهر قرب الوادي السابق القرى مثل قرية تاهدارت العامرة الكبيرة، وقرية كقمارية التي يقطع بها الطواحن ، ويسكنها صنهاجة[٣].

وعلى وادي سبو قرى كثيرة متصلة وعمارات غير منفصلة وأنها كثيرة لازداجة، وتوجد قرية وليلي، ويسكن بها زاوي بن أخي موسى من أبي العافية[٤]، وعلى وادي مقرة سبع قرى منها قرية يكسم وزيتها أطيب الزيوت، وقرب مدينة سيبية توجد قرية الجهنيين كبيرة آهلة ، كثيرة الفنادق والحوانيت، وبها أشجار و فواكه، وقرية ممس عامرة آهلة ، بها مسجد وفندق، ثم قرية المستعين كبيرة آهلة، بها ماجلان، وقرب مدينة صفروي قرية تاسغمرت ، وهي على نهر[٥].

ويذكر البلاذري أن قرب نفزاوة قرى متصلة كثيرة الزيتون والكروم، ويتصل بمدينة الخضراء مدن وحصون وقرى ومزارع[٦]، وحول مدينة يلل مزارع وأشجار وقرى وعمارات، وحول مدينة نكور مسيرة عشرة أيام في عمارات وحصون وقرى ومنازل وزرع وضرع وخصب[٧]، وحول فاس القرى والعمارات والضياع والمزارع ، وعلى نهر تاهرت قرى كثيرة[٨]، وحول سجلماسة قرى لبني درعة[٩].

---

(١) البكري : المغرب ١٠٨ - ١٠٩.
(٢) السابق ١١٠، ١١١.
(٣) البكري : المغرب ١١٣.
(٤) المصدر السابق ١٤٨.
(٥) السابق ١٤٦.
(٦) صفة المغرب١٣.
(٧) السابق ١٨.
(٨) السابق ١٩.
(٩) السابق ٢١.

ويعتبر الإدريسي أكثر من اهتم بالقرى في المغرب وذكر أسماءها، فعلى نهر سجلماسة توجد القرى المتصلة والعمارات المتقاربة والمزارع الكثيرة[1]، وفي السوس قرى كثيرة وعمارتها متصلة وأسعارها رخيصة[2]، وكثرتْ في فحص أفيح القرى مثل قرى تونين وتيقطين وغفسيق وأم ربيع، وهي قرى كبيرة جامعة، وبها أخلاط من بربر رهونة وبعض زناتة وتامسنا ، وهم أصحاب حرف ومواش وجمال [3]، وعلى وادي أم الربيع قرية أم ربيع، وبها ألبان ونعم رغدة وحنطة في نهاية الرخص، وبها بقول ومزارع القطاني والقطن والكمون، ومن أم ربيع إلى قرية ايجيسل مرحلة، وهي حسنة وبها عيون كثيرة دفاعة بالماء الذي يتصرف في سقي كثير من زروعهم، ومن قرية ايجيسل إلى قرية آنقال مرحلة، وسكن بها المرابطون ، وبها عين ماء عليها أقباء ، وماؤها معين، وهي حسنة كثيرة الزروع والمواشي والإبل والبقر والغنم، و قبالتها فحص طويل ممتد[4].

وبجوار هذه القرية قرية مكول على بطح؛ويتصل بها فحص خرّاز ، وهي كالحصن الكبير، ويسكنها كثير من البربر ، ولها سوق نافقة بما يجلب إليها من جميع المجلوبات من السلع والمتاجر التي يحتاج إليها، و بها زروع كثيرة ومواش وأنعام ، وبجوارها قرية ايكسيس[5]، وكثرت بأرض دكالة المنازل والقرى[6].

وتوجد قرية العلويين بالمغرب الأوسط، وهي كبيرة على نهر يأتيها من القبلة وفواكهها فاضلة وخيراتها شاملة، وعلى وادي سبو قرية عكاشة ، لها أسوار ، وأرضها طيبة وحنطتها جيدة [7].

وبجوار مدينة تلمسان قرية تارو وقرية غايرات ، وقرية تندلي وتمسنان ، وقرية العلويين ، وهي قرية كبيرة عامرة على ضفة نهر، ولهم بها جنات ومياه جارية من عيون،

---

[1] الإدريسي : صفة المغرب ومصر والأندلس ٦١.

[2] السابق ٦١.

[3] السابق ٧٠ ، ٧١.

[4] الإدريسي : صفة المغرب ٧١.

[5] السابق ٧٢

[6] السابق ٧٣

[7] السابق ٨٠

وبقربها قرية بايلوت وهي جليلة كثيرة الأهل والعمارة على نهر ليس به أرحاء، ويسقي هذا النهر مزارعها ،وقربها قرية (سي) على نهر مرغيت[١].

وقرب تاهرت قرية المعسكر ، لها أنهار وثمار، وقرية عين الصفاصف، بهافواكه كثيرة وزروع ونعم دارّة[٢].

ويتبع مدينة تنس قرية تانيت [٣]، وبجوار وهران قرية بني وازلفن وهي كبيرة ولها كروم وجنات[٤]، وفي منطقة ونشريس توجد قرية ريغة ، ولها أرض متسعة وحروث ممتدة وفواكه وبساتين، ولها سوق صالحة تُقصد يوم الجمعة يُباع فيها ويُشترى ، ويُقضى فيها الحوائج، ولهذه القرية مياه كثيرة و عيون مطردة وبجوارها قرية ماورغة وهي قرية حسنة وبها زراعات وخصب ومياه جارية[٥]، وقرب تلمسان في فحص أفيح وجدت قريتا: تادرة ونذاي[٦]، وقرب تاهرت و جدت قرى كثيرة مثل قرية أعبر، وهي صغيرة على نهر، وبجوارها قرية دارست وزراعاتها كثيرة وومواشيها عامة، وقرية ابن مجبر، وهي قرية كبيرة كثيرة الزرع عذبة المياه و شربهم من العيون وسكانها من زناتة[٧]، وقرية سطيت بها عين ماء جارية، وقرية هاز في فحص رمل وبها مياه وعيون[٨]، وقرية تاورت كبيرة عامرة على نهر وبها المنزل، وشرب أهلها من عيون محتفرة ببطن واد يأتيها من جهة المشرق[٩]، وقرية بني خلف وقرية سوق يوسف، وقرية القل كانت مدينة صغيرة ثم صارت مرسى،

---

[١] السابق ٨٢، ٨٣.
[٢] السابق ٨٣
[٣] السابق ٨٤.
[٤] السابق ٨٤
[٥] السابق ٨٥.
[٦] السابق ٨٥.
[٧] السابق ٨٧.
[٨] السابق ٨٧.
[٩] السابق ٩٢.

وهي عامرة[١]، وقرية أرزاو، وهي كبيرة تجلب إليها الحنطة، ويسير بها التجار ويحملونها الى كثيرة من البلاد[٢].

وحول مدينة المسيلة قرى كثيرة منها قرية أجُر، وهي قرية حسنة، ماؤها من الآبار، و فيها زروع وحنطة وشعير كثيرة ، وقرية طامجنة لها فحص كبير، وحنطتها وشعيرها كثير رخيص جداً، وقرية أركو لها جنات وعيون ومياه وبساتين وغلات قمح وشعير وخير واسع، وقرية البردوان قرية كبيرة ، وهي من أقاليم القمح والشعير وقرية النهروين في وطاء من الأرض وفيها آبار ماء عذبة ، ولها سوق ، وأهلها من كتامة و مزاتة، وقرية تامسيت لها أشجار وعمارات، وقرية دكمة لها سوق و أهلها من كتامة، وقرية أوسحنت بها مياه جارية ومزارع حنطة وشعير[٣]، ولمدينة تشمس قرى عامرة[٤]، ولمدينة البصرة قرى وعمارات، وفي جنوب البصرة على نهر سبوقرية ماسنة لها سور وأسواق[٥].

وهذا جدول بأسماء بعض قرى المغرب كما وردت في المصادر

القرى المغربية	المصادر
ملشون	البكري : المغرب ٥٣
الفهمين	البكري : المغرب ٥٤
المخيرية	البكري : المغرب ٥٧
طرقلة	البكري : المغرب ٦٠
سوق هوارة – سوق كرام	البكري : المغرب ٦٠
بني واريفن – قارية	البكري : المغرب ٦١
شعبة	البكري : المغرب ٦٤
تانسالمت	البكري : المغرب ٧٢
جمونس الصابون – مجدول – دعام	البكري : المغرب ٨٨
أجرسيف	البكري : المغرب ٩٢

(١) السابق ٩٨.

(٢) السابق ١٠٠.

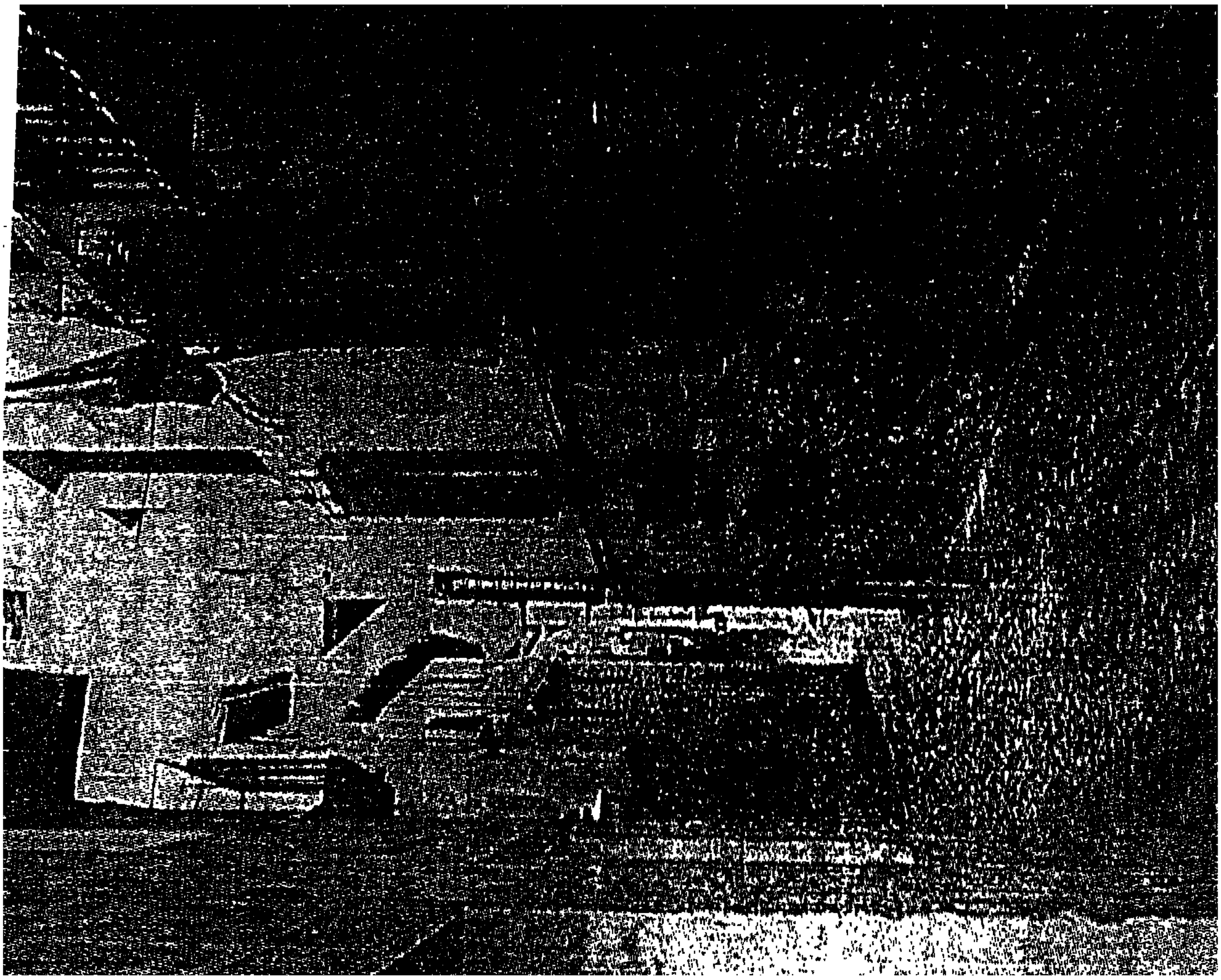
(٣) السابق ١٢٠.

(٤) السابق ١٦٩.

(٥) السابق ١٧٠.

القرى المغربية	المصادر
أقطي	البكري : المغرب ٩٩
بتاورص صدبنة – هوارة	البكري : المغرب ١٠٦-١٠٧
بليونش – نصر بن حرو	البكري : المغرب ١٠٨ – ١٠٩
وادي ينرش – تاهدارت – كقمارية	البكري : المغرب ١١٣
يكسم – الجهينين – ممس – المستعين – تاسغمرت	البكري : المغرب ١٤٦
تيقطين – غفسيق – أم ربيع– أيجسيل – آنقال	البكري : المغرب ٧١
مكول – ايكسيس	البكري : المغرب ٧٢
العلايين – عكاشة – نارو – غايرات – تندلي – تمسنان	البكري : المغرب ٨٠
بايلوت – سي – المعسكر – عين الصفاصف	البكري : المغرب ٨٢ ، ٨٣
تانيت – بني وازلفن	البكري : المغرب ٨٣
ريفه – ماورغة	البكري : المغرب ٨٥
تادرة – نداى– أعبر – دارست	البكري : المغرب ٨٥
ابن مجبر	البكري : المغرب ٨٧
هاز – تاورت – بني خلف – سوق يوسف	البكري : المغرب ٩٢
القل	البكري : المغرب ٩٨
أرزوا – أجر– طامجنة – أركو	البكري ١٠٠
البردوان – النهروين – تامسيت – دكمة – اوسحنت	البكري ١٢٠

وتشتمل القرية على حوائر (جمع حارة) كثيرة مفرقة ، وكل حارة منها منسوبة إلى قوم معروفة لهم ولآبائهم ، فقام أهل حارة من تلك الحوائر على أهل حارة أخرى ، فادعوا عندهم أملاكاً ، وارتفعواجميعاً إلى صاحب أحكامهم ، ووكل كل فريق منهم وكيلاً مفوضاً على الإقرار والإنكار والخصام ، وقبض الأيمان وردها ، وغير ذلك، وأخذ كل وكيل منهما نسخة صاحبه ، فقال وكيل المطلوبين لوكيل الطالبين : قل لموكليلك يحوزوا ما ادعوا به ، ويحلفوا عليه أنه لهم ، ويستحقوه ، فعقد عليه عقداً بالرضى بأيمانهم بعد الحيازة ، فلما جاء الطالبون بعّضوا تلك الأملاك المطلوبة ، فقالوا : عن بعضها هي لجميعنا ، وعن بعضها هي



لفلان ولأخيه فلان ابني فلان منا ، وقالوا عن بعضها : هي لجميعنا ولفلان وفلان معنا ممن لم يخاصم معهم ولا وكل بتوكيلهم [١].

كما وجدت الأزقة كذلك ، وتعددت المشاكل بين الجيران بسبب التعديات وما يريد كل ساكن إحداثه مثل : قناة في الزقاق المسلوك عليه مكشوفة برصيفها يأتي عليها الماء وأهل الأزقة التي تجاورها لا تنكب فيها دابة ولا يتأذى فيها أحد حتى أحدث عليها المجاورون لها الحوانيت والتوابيت والمصاطب ، فلما ضاق بهم الزقاق برصيفها غطوا القناة ، فانقطع بتغطيتهم لها ذهوب الماء في حنيتي القناة حتى صارت سبخة وتسقط فيها الدواب ويقع فيها الناس [٢].

وكان لرجل دور في سكة غير نافذة ، ولرجل معه فيها دار واحدة ، فجعل صاحب الدور درباً على فم الزقاق [٣]، واجتمع أصحاب درب على أن يغلّموه في موضع يلاصق حائط بعلوّ رجل ، فشكا صاحب العلو ضرر الهواء الذي بسبب ا لغلق والفتح [٤]، ووقع في درب غير نافذ فيه باب دار لرجل ، وكان إليه حائطاً لبعض الجيران ، ففتح باباً فلم ينكر عليه جاره ، أو كان قديماً ، فطمسه ، ووهب الدار لابنته ، فأرادت الإبنة فتح الباب المطموس [٥].

وحدث في زنقة ضيقة فيها ثلاث أبواب لثلاث من الدور ، فبنى أحدهم في داره فندقاً عظيماً ، وبنى الثاني أيضاً فندقاً أقل من هذا الأول ، وليس بين أبواب الفنادق والدار الثالثة إلا نحو ثلاثة أذرع ، وليس في البلد فنادق غير هذه ، فمن حيثما أتت الزقاق والمسافرون قصدوا إلى هذين الفندقين ، فمن شدة عمارتهما ، وجلوس الناس عند أبوابهما وتضييق الزقاق في الدخول والخروج بطل سكنى الدار الثالثة لعظم الضرر في ذلك ، ويشهد أهل المعرفة أن ذلك ضرر عظيم على هذه الدار الثالثة ، لكنه ينتفع بها لغير هذا[٦].

---

[١] ابن رشد : الفتاوى ١٩١/١ ، ١٩٢ ، البرزلي : النوازل ٨٤/٢ أ.

[٢] المعيار ٦١/٩ .

[٣] المعيار ٧/٩

[٤] المعيار ٧/٩.

[٥] ابن رشد : الفتاوى ١٦٠٢/٣ ، المعيار ٢٠/٩ ، ٢١ ، الوزاني : النوازل الجديدة ١٢٨/٧ ، ١٢٩.

[٦] المالقي : الأحكام ٢١٢ رقم ٣٤٢ .

كما كان هناك زنقة غير نافذة كان يدخل عليها إلى مواضع ، وصارت المواضع كلها لرجل واحد ، ماعدا عرصة واحدة مقابلة لوجه الداخل في الزنقة المذكورة فإنها لرجل آخر ، وبأول الزنقة صابة (ساباط) قديمة ، فأراد الرجل الذي صارت له المواضع المذكورة أن يزيد في الصابة إلى رب باب العرصة [١].

وكان التعديات المادية أو الأخلاقية أظهر المشاكل في الأزقة مثل رجل أدخل من زقاق المسلمين شيئاً في داره ، والزقاق نافذ ، فلا يرفع ذلك الجيران إلى مسئول الوالي ، ولا يشهدون به إلا بعد عشرين سنة [٢]، كما سئل أحد الفقهاء عن دارين بينهما زقاق مسلوك وفي إحدى الدارين كوة يرى منها ما في الدار الأخرى التي بينهما طريق ، فبنى صاحب الدار التي ليست فيها كوة غرفة قبالة الدار التي فيها الكوة ، وفتح كوة قبالة الكوة القديمة ، فقام صاحب الكوة القديمة على صاحب الكوة المحدثة ، فقال له : ترى منها ما في غرفتي ، فسدّ عني كوتك التي أحدثتها عليّ ، فقال له: وأنت أيضاً فسدّ عني كوتك التي أحدثت عليّ ، فقال له : كوتي قديمة منذ أربع سنين أو خمس ، فقال له: نعم كوتك منذ أربع سنين أو خمس، وإنماتركتها لحسن الجوار غير تارك حقي [٣].

❀ ❀ ❀

---

[١] المعيار ٩/٥ ، والصابة تحريف مغربي للساباط ، وهي السقيفة بين دارين على طريق نافذ أو غير نافذ، يمر الناس تحتها .

[٢] المعيار ٩/٣٧ .

[٣] المالقي : الأحكام ١٣٠ رقم ١٣٣.

(٢) أحواز المدن "الظهير الزراعي"

أ- في الأندلس

أقام المسلمون مدناً كثيرة بالأندلس لم تكن موجودة قبلهم ، بلغت حوالي خمسين مدينة منها: أبدة ، وأبطير، وأقليش ، وإلبيرة ، وبجانة ، وبطليوس ، وبيانة ، وتطيلة، والجزيرة الخضراء ، ودانية ، ودلاية ، ودروقة ، والزاهرة ، والزهراء ، وسلطيش، وطلبيرة، وطلمنكة، وطريف، وغرناطة، وقلعة أيوب ، وقلعة رباح، وقلعة يحصب، ومرسية ، وألمرية ، ومدينة سالم، ووادي الحجارة، ووشقة، ومجريط ، وجبل طارق [١].

وقرر أحد المؤرخين أن "ميزان وصف الأندلس أنها جزيرة قد أحدقت بها البحار فأكثرت فيها الخصب والعمارة من كل جهة ، فمتى سافرت من مدينة إلى مدينة لا تكاد تنقطع العمارة ما بين قرى ومزارع و الصحارى فيها معدومة" [٢]، وأن المسافر بين مدن الأندلس وقراها لا يتزود بالماء لوفرته في كل مكان ، والطرق عامرة حتى إن المسافر ربما مر في اليوم الواحد على أربع مدن ، ومن المعاقل والقرى ما لا يحصى" [٣].

وقد أقيمت هذه المدن في مواقع جديدة، أو في أماكن كانت فيها مدن قديمة مندثرة فبنيت على أنقاضها، أو تحولت من مركز عمران صغير إلى مدينة كبيرة مثل بطليوس التي كانت قرية صغيرة ثم تحولت إلى مدينة كبيرة ، وأصبحت حاضرة غرب الأندلس ، وتدل هذه المدن على تكاثر سكاني احتوته هذه المدن ، ويفسر في ذات الوقت كثرة النشاط الزراعي والصناعي والتجاري ، ووجد حول المدن الجديدة حزام غذائي زراعي، قامت فيه القرى والحصون، لأنها مناطق زراعية قابلة للزراعة والاحتطاب.

وهذا استعراض للمدن الإسلامية الجديدة في الأندلس موضحاً فيه الجانب الزراعي والاقتصادي والعمراني:

---

[١] شاكر مصطفى : المدن في الإسلام ١٧٩/١

[٢] المقري : نفح الطيب ٢٠٥/١.

[٣] المصدر السابق ١٥٩/١.

التحصينات والمياه	الاقتصاد	الاجتماع	العمران	المصادر
أبدة: تتبع كورة جيان، على مقربة من النهر الكبير.	لها مزارع وغلات وقمح وشعير كثير جداً	سكن فيها العرب	اختطها عبد الرحمن بن الحكم ثم أتمها ابن محمد بن عبد الرحمن وهي مدينة صغيرة.	معجم البلدان ٦٤/١ الإدريسي ٢٠٣ الروض المعطار ١١
أبطير: حصن كبير ، داخله عين ماء	حوله الحقول والمزارع		بناه المنصور بن أبي عامر	الحميري : ٩
أقليش: لها حصن، قاعدة كورة شنترية على نهر			بناها الفتح بن ذي النون ومدنها وبها الحمامات	الحميري ٢٨
إلبيرة : حولها أنهار كثيرة	أرضها سقيا ، غزيرة الأنهار، كثيرة الثمار ، ملتفة الشجر، لا تعدم زريعة بعد زريعة.	أهلها من العرب و المولدين وانتقل أهلها إلى مدينة غرناطة.	من مدن الأندلس ، نزلها جند العرب من دمشق وكثير من موالي عبد الرحمن بن معاوية، وهو الذي أسسها وأنزلها مواليه، وقد خربت في الفتنة في القرن الثالث الهجري.	الحميري ٢٩ ابن غالب : ٢٨٣.

التحصينات والمياه	الاقتصاد	الاجتماع	العمران	المصادر
بجانة: بجانب ألمرية، كانت مرصداً يدخل من النهر جدولان، وبئر عذبة .	بها متاجر رائجة	نزلت بها قضاعة ، و توجه إليها الناس في الفتنة ، ويؤمها الناس والمرضى	كانت قرية من قرى العرب ، وحولها أرباض كثيرة ، وبها ١١ حماماً.	الحميري ٣٧، ٣٨.
بطليوس : في بسيط من الأرض ، عليها سور منيع، على ضفة نهر يانة			بناها عبد الرحمن بن مروان المولدي بأمر الأمير عبد الله، لها ربض كبير كالمدينة ، خلا بتوالي الفتن ، لها حصون كثيرة وأقاليم	الإدريسي١٨٠ الحميري ٤٦.
بيانه: من أعمال قرطبة أعلى ربوة من الأرض، كثيرة المياه السائحة ، لها حصن منيع، على نهر مربلة	طيبة التربة ، أسواق عامرة، كثيرة البساتين والكروم والزيتون		على نهرها أرحاء كثيرة	الإدريسي ٢٠٥ الحميري ٥٩ معجم البلدان ٥١٨/١
تطيلة: في شرقي قرطبة بالقرب منها نهر كالش	يحيط بها الحقول والجنات وهي من أكرم الثغور تربة يجود زرعها ويدر ضرعها وتطب ثمرتها وتكثر بركتها ، كثيرة الأشجار		اختطت في أيام الحَكَم بن هشام	الحميري ٦٤٠ معجم البلدان ٢٣/٣

التحصينات والمياه	الاقتصاد	الاجتماع	العمران	المصادر
الجزيرة الخضراء: لها سور من حجارة ، يشقها نهر العسل، ومنه شرب أهلها	لها بساتين وجنات على كلتا ضفتي النهر ، وهي من أطيب المدن أرضاً ، لها دار صناعة داخل المدينة ، بها إنشاء وإقلاع ، جبايتها ١٨٩٠٠دينار		متحضرة لها ثلاث أبواب، بها مسجد الرايات، وتسمى جزيرة أم حكيم، بها ثلاث حمامات ، لها أقاليم عدة.	الإدريسي ١٧٦ معجم البلدان: ١٣٦/٢ الحميري: ٧٣
دانية: على البحر ، عليها سور حصين ، ولها قصبة منيعة	بها شجر التين والكروم كثير، السفن عليها واردة وصادرة ، ويخرج منها الأسطول للغزو.		عامرة حسنة ، على عمارة متصلة ، بها ربض عامرة ، بها دار إنشاء السفن	الإدريسي: ١٩٢ الحميري: ٧٦ معجم البلدان: ٤٣٤/٢
الزاهرة: شرقي قرطبة	يتصل بها قرى ألش، كثرت بها الأسواق ، وحُملت إليها الجبايات	سكنها كبار رجال الدولة الأموية الذين أقطعوا أماكن لهم	بناها المنصور بن أبي عامر سنة ٣٦٨هـ / ٩٧٨م بنيت في عامين، اتصلت بأرباض قرطبة	الحميري: ٨١ ، ٨٢
الزهراء : في غربي قرطبة في سفح جبل أملس "جبل بطلس"	بها الأسواق	دعا الناصر أهل الأندلس للسكنى فيها، وأعطى كل من	مدينة صغيرة اختطها عبد الرحمن الناصر الأموي سنة	ابن حوقل: ١٠٧ الحميري: ٩٥

التحصينات والمياه	الاقتصاد	الاجتماع	العمران	المصادر
		بنى فيها ٤٠٠ درهم، ونقل إليها الديوان والمجلس والخزائن	٣٢٥هـ/٩٣٦م ، وأنفق في بنائها أموالاً كثيرة ، وبها الحمامات والقصور والمتنزهات.	معجم البلدان: ١٩١/٣
سلطيش قرب لبلة ، يحيط بها البحر من كل جانب، لها عيون ماء عذبة تصلح بها الألبان	لها بساتين حسنة ، وبها أطيب الصنوبر ، ولها مراع خصيبة، وهي مرفأ ، وكثيرة السفن	يسكن مع المسلمين جماعة من النصارى	بنيان متصل، تعرض لها الفرنجة عدة مرات ، لها أرباض واسعة ، وبها دار صناعة الحديد	الحميري: ١١١ الإدريسي: ١٧٩
طلبيرة على ضفة نهر تاجة ، لها قلعة منيعة، واسعة المساحة	لها عمل واسع المجال، وإقليم شريف الحال، ومزارعها زاكية، وجهاتها حسنة ، بها أسواق ومزارع زاكية		مدينة كبيرة، لها أرحاء كثيرة، واسعة المساحة	الإدريسي: ١٨٧ الحميري: ١٢٧ ، ١٢٨ معجم البلدان: ٣٨/٤
طلمنكة بثغر الأندلس			بناها الأمير محمد بن عبد الرحمن ، تبعد عن وادي الحجارة مسافة ٢٠ ميلاً	الحميري: ١٢٨ معجم البلدان: ٣٩/٤

التحصينات والمياه	الاقتصاد	الاجتماع	العمران	المصادر
طريف على البحر المتوسط، عليها سور تراب يشقها نهر صغير	لها بساتين وجنات وأسواق		بها الفنادق والحمامات	الإدريسي: ٢٠٣ الحميري: ٢٤
غرناطة قصبتها بجوفيها "شرقيها" ويجلب إليها الماء من عين عذبة ويشقها نهر حدره		كثر بها اليهود حتى قيل غرناطة اليهود	بناها حبوس الصنهاجي المغربي وأكملها ابنه باديس، بها الأرحاء والحمامات	الإدريسي: ٢٠٣ الحميري: ٢٤
وادي الحجارة ذات سور حصين ومياه معينة فيجري بغربيها نهر صغير	على نهرها بساتين وجنات وكروم وزراعات ، وبها الزعفران الذي يجهز به إلى سائر الجهات		حسنة كثيرة الأرزاق والخيرات وجامعة لأشتات المنافع	الإدريسي: ١٨٩ الحميري: ١٩٣
القصر على ضفة نهر كبير	أرضها خصبة بها بساتين وأشجار الصنوبر ، كثيرة الألبان والسمن والعسل واللحم.		حسنة متوسطة	الحميري: ١٦١

التحصينات والمياه	الاقتصاد	الاجتماع	العمران	المصادر
قلعة أيوب حصينة، قريبة من مدينة دروقة ، وبالقرب من لبلة، من أعمال سرقسطة	رائقة البقعة ، كثيرة الأشجار والثمار كثيرة الخصب والمزارع		رخيصة السعر ، محدثة	البكري: جغرافية الأندلس ٩١ ، الحميري: ١٦٣ ، معجم البلدان: ٣٩٠/٤
قلعة رباح ذات أسوار من حجارة ، على وادي منه شرب أهلها، لها حصن حصين	بها الحقول والأرياف والأسواق		كبيرة، بها حمامات ومتاجر وهي مدينة حسنة، انتقل إليها سنة ٢٤١هـ	ابن حوقل ١١١ الحميري: ١٦٣
لاردة لها أسوار على نهر كبير	بها فحص شيكجان، خصيبة لها بساتين كثيرة وفواكه غزيرة ، كثيرة الضياع والمزارع والمراعي		أعاد تأسيسها بعد تخريبها إسماعيل بن موسى بن لب بن قسي سنة ٢٧٠ هـ ، صغيرة متحضرة	الحميري: ١٦٩ الإدريسي: ١٩٠
مجريط مدينة وقلعة منيعة حولها خندق، استخرج الماء من جوف الأرض	يحيط بها المزارع الواسعة والجنات والبساتين ، كثيرة الخضرة والزروع والثمرات، وبها الصناعات والتجارات.		بناها الأمير محمد بن عبد الرحمن ، وهي مشتقة من كلمة مجرى ثم بالمقطع "يط" وتعني التكثير في المجاري	الحميري: ١٧٩ ، ١٨٠ معجم البلدان: ٦١/٥ محمد علي مكي : موريد العربية ٦٦

التحصينات والمياه	الاقتصاد	الاجتماع	العمران	المصادر
مرسية على النهر الأبيض ، لها سور – يحيط بها سور، لها حصون وقلاع	ذات أشجار وحدائق محدقة بها ، رخيصة الفواكه كثيرة الشجر ، بها صناعة البسط ، بها إقليم الفندوذ ينمو به الزرع	يجيد أهلها صناعة البسط الرفيعة	اختطها عبد الرحمن بن الحكم وسماها تدمير لتدمر الشام، قاعدة العمال ، بها جامع وحمامات ، لها ربض وأرحاء وحظائر	الحميري: ١٨١ الإدريسي: ١٩٤ معجم البلدان: ١٠٧/٥
ألمرية فيها مرفأ ومرسى للسفن وابتنت بها المحارس ، وعليها سور حصين	بها الفواكه ، وحولها الحقول والبساتين ونعمها وزروعها كثيرة، وكل الصناعات عامرة بالأسواق ، وبها ٨٠٠ دار طراز ، تحل بها مراكب التجار.		أمر ببنائها الخليفة الناصر الأموي سنة ٣٤٤هـ ، لها ربض كبير عامر ، وعدد فنادقها ٨٠٠ فندق ، وحولها قرى كثيرة منها قريتي اليجانس وعذرة وبها حمامات	الإدريسي: ١٨٩ ابن حوقل : ١١١، ١١٢
مدينة سالم: في وطاء من الأرض لها سور عظيم	حولها بساتين وجنات وزروع، وبها الأسواق ، لها إقليم و اسع وناحية كثيرة الماشية		كبيرة القطر، كثيرة العمارات، فائضة الخير واسعته .	الإدريسي: ١٨٩ ابن حوقل: ١١١، ١١٢

التحصينات والمياه	الاقتصاد	الاجتماع	العمران	المصادر
وشقة: لها سوران من حجر ، ونهر يشق مدينتها	كريمة التربة، حولها بساتين، يحيط بها جنات وحدائق ، ملتفة الثمار ، مخصوصة بطيب الكمثرى والزعرور	عمل أهلها في الزراعة ، ومعظم أهلها من المسالمة والمولدين .	مدينة حسنة ، بها أزيد من ٦٠ مسجداً ، رائعة البنيان، بها حمامات كثيرة.	الإدريسي: ١٧٦ ، ١٩٠ الحميري: ١٩٤، ١٩٥

أ

*** تطوير المدن القديمة ودلالته على العمران الريفي**

وُجد المسلمون في الأندلس مدناً قديمة ذات تاريخ وخصائص حضارية فعمل المسلمون على تطويرها وفق الحياة والمفاهيم الإسلامية ، وهي مفاهيم لا تمس موقع المدينة ولا أبنيتها أو مرافقها ، وأبقوا الفلاحين حولها في أراضيهم أو أراضي مَنْ يزرعون لهم، وكان هذا التطوير تدريجياً وعلى مهل.

وفي الأندلس مدن قديمة مشهورة منها قرطبة وإشبيلية وطليطلة وطرطوشة وماردة وبلنسية وسرقسطة وغيرها ، ودلَّ على اتساع هذه المدن القديمة كثرة الأرباض "الأحياء" التي امتدت فيها المدن مثل قرطبة.

وكانت قرطبة في بداية الفتح الإسلامي تتكون من مركزين عمرانيين يفصل بينهما سور حاجز بين سكان القسم الشرقي والقسم الغربي من المدينة ، والقسم الشرقي يمثل المدينة العتيقة. أما الغربي فيمثل القصبة [1]، واتسعت قرطبة بعد أن توافد عليها العرب والبربر ، وفتحت أسوارها من الشرق والغرب والشمال ، وتناثرت الأبنية خارج أسوارها ، وأصبحت "أبنيتها مشتبكة على البلد من شرقه وغربه ... وقرطبة هذه بائنة بذاتها عن مساكن أراضيها غير ملاصقة لها" [2] ، واتصلت الأبنية بين الزاهرة والزهراء وقرطبة[3].

وزادت قرطبة في جوانبها: الشرقي والغربي ، والشمالي والقبلي ، وتألفت قرطبة من "مدن خمسة يتلو بعضها بعضاً ، بين المدينة والمدينة سور حاجز، وفي كل مدينة ما يكفيها من الأسواق والفنادق والحمامات وسائر الصناعات" [4]، وبلغ عدد أرباض قرطبة ٢١ ربضاً هي [5]:

---

(١) المقري : نفح الطيب ١٣/٢ ، ابن الخطيب : أعمال الأعلام ، ١٠٣ ، الإدريسي: صفة المغرب ٢٠٨

(٢) ابن حوقل : صورة الأرض ١٠٨

(٣) المقري: نفح الطيب ٥/٢ ، ٢٠٣/٤

(٤) الإدريسي : صفة المغرب ٢٠٨

(٥) السيد سالم: قرطبة ١٧٨/١ ، ١٨٠

أولاً : المدينة الغربية :

١- جوانب الريحان	٢- الرقاقين	٣- مسجد الكهف
٤- بلاط مغيث	٥- مسجد الشفاء	٦- حمام الإلبيري
٧- مسجد السرور	٨- مسجد الروضة	٩ - السجن القديم

ثانياً: المدينة الشرقية :

١- شبلار	٢- فرن بريل	٣- البرج
٤- منية عبد الله	٥- منية المغيرة	٧ - المدينة العتيقة

ثالثاً: المدينة الوسطى : وهي قصبة قرطبة ومركزها

رابعاً : المدينة الجنوبية :

١- شقندة	٢- منية عجب

خامساً : المدينة الشمالية :

١- باب اليهود	٢- مسجد أم سلمة	٣- الرصافة

وتنقسم الأرباض إلى حومات أو حارات مثل : حومة باب الفرج ، وحومة النجارين، وحومة عين فرقد، وحومة غدير بني ثعلبة [١].

وكان لمدينة بلنسية ثلاثة أربـاض خـارج سـورها [٢]، ولبطليـوس ربـض كبير [٣]، ولمدينة شنترين ربض على طول نهرها [٤]، ولمدينة دانية ربض عامر [٥]، ولمدينـة مرسـية ربض عامر آهل [٦]، ولمدينة ألمرية ربض المصلى وربض الحوض ، وربض الحوض أقل

---

[١] السيد سالم: السابق ١٨٠.

[٢] التكملة ٦٢٥/٢.

[٣] الإدريسي : صفة المغرب ١٨٠.

[٤] السابق ١٨٦.

[٥] السابق ١٩٢.

[٦] السابق ١٩٤..

اتساعاً من ربض المصلى [1]، وذلك لضيق المساحة الواقعة بين وادي الرملة الغربي والسفوح المنحدرة للجبل المعروف باسم الكنيسة ، ولربض المصلي عدة أبواب منها [2]: باب موسى، وباب ليهم "لاهم" ، وباب بجانة ، و باب السودان ، وباب دار صناعة ألمرية ، وباب العتاب، ولمدينة مالقة ربضان كبيران [3]، بهما فنادق وحمامات ، ولمدينة إليسانة ربض يسكنه المسلمون وبعض اليهود [4].

*** مساحة المدن وأعداد سكانها**

اتسعت ظاهرة التمدن في القرون الخمسة الأولى، ويعني هذا زيادة أعداد السكان ، لأن مراكز العمران تجلب سكاناً كثيرين، والمراكز العمرانية بوصفها مجتمعات بشرية تتعرض للتضخم والتقلص حسب الفترات التاريخية التي تمر بها، ومن الدلائل على زيادة عدد السكان أرباض المدينة التي تجذب في الغالب أهل القرى والحصون، فإذا زادت أعداد سكان مدينة أو حصن أقيم خارجه ربض ، وأحياناً تقام على هذه الأرباض أسوار خارجية تحيط بها [5].

وتعد مدينة قرطبة دليلاً على ذلك ، فكان بها أرباض في كل الجهات، فيوجد في شرقها سبعة أرباض ، وفي غربها تسعة أرباض وشمالها ثلاثة أرباض ، وفي جنوبها ربضان، وبذلك تجاوزت قرطبة حدودها القديمة شرقاً فيما وراء باب رومية وغرباً فيما وراء أبواب عامر القرشي، وسميت الأرباض بأسماء بعض الأسر بها أو باسم أحد أبنيتها أو أحد منشآتها أو اسم سوق أو صناعة مشهورة ، ومثال ذلك أسماء أرباض قرطبة الغربية [6]

---

(1) العمري : وصف أفريقية ٤٦.

(2) العذري : نصوص عند الأندلس ٨٣ ، ابن الخطيب: مشاهدات ٣٦ ، السيد سالم: تاريخ ألمرية ١٢٩ ، محمد أبو الفضل : تاريخ ألمرية ١٨٠

(3) الإدريسي: صفة المغرب ١٩٩.

(4) السابق ٢٠٥

(5) السيد سالم: محاضرات في الحضارة الإسلامية ٣٥، وبحوث إسلامية في التاريخ والحضارة والآثار ق٢/٢٢

(6) ابن حيان : المقتبس (ت مكي) ٣٨ ، ابن بشكوال : الصلة ٧٣/٢، السيد سالم: قرطبة ١٧٩/١ وما بعدها.

هي : حوانيت الريحان، الرقاقين ، مسجد الكهف ، بلاط مغيث ، مسجد الشفاء ، حمام الإلبيري ، مسجد السرور ، السجن القديم، مسجد الروضة، والأرباض الشرقية : شبلار ، وفرن بريل والبرج ومنية عبد الله ومنية المغيرة والزاهرة والمدينة العتيقة ، والأرباض الجنوبية : شقندة ومنية عجب ،والأرباض الجنوبية : شقندة ومنية عجب، والأرباض الشمالية : باب اليهود ومسجد أم سلمة والرصافة.

واتسعت مدينة ألمرية وبنى فيها ربضان [١]: ربض المصلى وربض الحوض، ويقع ربض المصلى في المدينة القديمة، ويشرف على جبل لاهم، وسمي بذلك لوقوع مصلى العيد به، أما ربض الحوض فكان أقل اتساعاً لضيق المساحة الواقعة بين وادي الرملة الغربي السفوح المنحدرة للجبل المعروف باسم الكنيسة.

وكان لمدينة بلنسية ثلاثة أرباض واقعة خارج أسوارها [٢]، ولمدينة بطليوس ربض كبير ، خلا بالفتن ، ولمدينة شنترين ربض على طول نهرها [٣]، ولمدينة دانية ربض عامر [٤]، ولمدينة مرسية ربض عامر آهل [٥]، ولمدينة لورقة ربض كبير [٦]، ولمدينة مالقة ربضان كبيران [٧]، وكذلك لمدينة إليسانة ربض ليس له سور [٨].

وهكذا مثلت الأحياء – الأرباض – التوسع السكاني للمدن ، وبلغ عدد سكان الحي عشرة آلاف أو يزيد، وشكل الحي وحدة داخل المدينة، أي له أبواب خاصة به كما في أحياء – أرباض – ألمرية، فلربض المصلي أبواب مثل [٩]: باب موسى وباب لاهم وباب بجانة

---

(١) العذري: نصوص عن الأندلس ٨٦، السيد سالم : ألمرية ١١٦، ١٢٦، محمد أبو الفضل: ألمرية ١٨٠.

(٢) ابن الأبار : التكملة ٦٢٥/٢ ، الإدريسي : صفة المغرب والأندلس ١٨٠.

(٣) الإدريسي : المصدر السابق ١٨٦.

(٤) الإدريسي : السابق ١٩٢.

(٥) الإدريسي : السابق ١٩٤.

(٦) الإدريسي : السابق ١٩٦.

(٧) الإدريسي : السابق ١٩٩.

(٨) الإدريسي : السابق ٢٠٥.

(٩) ابن الخطيب : مشاهدات لسان الدين ٣٦، الحميري : الروض المعطار ٢٤٢، العذري: نصوص عن الأندلس ٨٣، المقري : نفح الطيب ١٠٢/١

وباب ألمرية وباب السودان وباب دار الصناعة وباب العقاب ، وهذه الأبواب تساعد على أمن الحي وزيادة قدرته الدفاعية.

ومدن بلاد الأندلس لها دروب بأغلاق ، تغلق بعد العتمة، ولكل زقاق بائت – حارس ليلي يتبع الشرطة – فيه ، له سراج معلق ، وكلب يسهر ، وسلاح معد، وذلك لشطارة عامتها وكثرة شرهم وإعيائهم في أمور التلصص إلى أن يظهروا على المباني الشديدة ويفتحوا الأغلاق الصعبة، ويقتلوا صاحب الدار خوفاً من أن يقر عليهم أو يطالبهم بعد ذلك" وللحي سوقه ومساجده ومرافقه الخاصة به.

وتتاول أعداد السكان في منطقة ما يكون على وجه التقريب وما هي إلا مؤشرات ودلائل عامة ، فقد أحصيت مدينة قرطبة وربضها أيام المنصور بن أبي عامر فكانت ١١٣٧٧ داراً للرعية وأما دور الأمراء والكبراء والوزراء والرؤساء والقادة والكتاب والأجناد فبلغت ٦٠٣٠٠ بيت سوى غرف الكراء والحمامات والخانات، وكان بها من المساجد ١٣٨٧٥ مسجداً، و ٣٧١١ حماما و٣٠٤٥٢ حانوتا و ٤٣٥ قصراً للخلفاء وأسرهم ويعمل بهذه القصور ٦٧٨٦ خادماً صقلبيا و ٦٨١٤ جارية ، وجرايتهم في اليوم ١٣ ألف رطل من اللحم عدا ضروب الصيد والحوت (السمك) وعدد الصقالبة في الزهراء ٣٩٥٠ خصيا، جرايتهم من اللحم اليومي ٦٠٠٨ أرطال عدا أصناف الطير والحوت، ولهذا كان بخارج قرطبة ٣٠٠٠ قرية، فيها منبر وجبايتها ٣ ملايين دينار. [1]

وعندما خربت قرطبة في بداية القرن الخامس الهجري بلغ عدد دورها ١١٣,٠٠٠ داراً للرعية، و ٦٣٠٠ داراً لأهل الدولة والخدم والأجناد ، ونقصت حماماتها إلى ٧١١ حماماً ، ومساجدها ٣٨٧٧ مسجداً، وهذه الأرقام تجعل سكان قرطبة يقتربون من نصف مليون نسمة عدا العبيد والجواري والأجناد.

*** أثر الفتن على أعداد السكان والعمران الريفي:**

مرت بالأندلس فتن كبرى امتدت سنين طويلة فأثرت على كل مظاهر الحياة، الفتنة الأولى كانت في الربع الأخير من القرن الثالث وامتدت حتى سنة ٣٢٠هـ/٩٣٢م، ووقعت

---

(1) حسين مؤنس : وصف جديد لقرطبة ١٦٧ ، ١٦٩

الفتنة الثانية المسماة "بالفتنة البربرية" من سنة ٣٩٩هـ/١٠٠٨م وحتى سنة ٤٢٢هـ/١٠٣٠م، وكانت عواقب الفتنة الثانية أسوأ أثراً، ولم يعرف الأندلس بعدها استقراراً .

وأثرت الفتن على عدد وتوزيع السكان، فهلكت الناس بسبب المنازعات والمجاعات والهجرات الداخلية و الخارجية، ففي الثورات التي عمت الأندلس في القرن الثالث الهجري هاجر كثير من الأهالي – وبخاصة الريف – إلى مناطق أكثر أمناً ، فهاجر محمد بن مسلمة الصدفي من قرى تطيلة موطنه إلى قلعة أيوب زمن الفتنة [١]، وخرج تميم بن علاء بن عاصم التميمي من مدينة استجة إلى شذونة [٢]، وعفير بن مسعود الغساني من سكان إشبيلية ثم خرج عنها عند حدوث الفتنة بها إلى قرطبة فلم يزل ساكناً بها حتى مات [٣]، وعبد الله بن هذيل الكناني من أهل جيان " سكن قرطبة في الفتنة وبها مات ، وإسحاق بن عيسى المرادي رحل من بلده استجة إلى قرطبة زمن الفتنة أيام الأمير عبد الله وبها مات [٤]، والأسماء السابقة لعلماء لأن العلماء من أفراد المجتمع وما يصدق عليهم يصدق على غيرهم.

وبهذه الهجرات خلت بعض جهات المدن من سكانها ، فعندما خرج المطرف ابن الأمير عبد الله بحملة عسكرية صوب جنوب الأندلس سنة ٢٨١هـ / ٨٩٤م جال في أراضي إلبيرة " إلى أن حل بمدينة سجيلة فألفاها خالية ، فأقام بها أربعة أيام يدمر ما حولها من قرى وحوانيت وحمامات [٥].

وكما تخلو المدن المُهاجر منها من السكان فالمقابل تكثر في المدن المهاجر إليها مثل مدينة بجانة التي كان بها والي صالح اسمه عبد الرازق بن عيسى أقره الأمير عبد الله عليها فأشاع الأمن حتى "إن المسافرين يضعون أمتعتهم ورحالهم بالأسواق والشوارع مطروحة بلا

---

(١) ابن الفرضي : تاريخ علماء الأندلس ٦٤٤/٢

(٢) السابق ٨٢/٢

(٣) الزبيدي : طبقات النحويين ٢٧٥

(٤) المصدر السابق ١٤١/١

(٥) ابن حيان : المقتبس (ت إسماعيل العربي) ١٣٢/٣.

حارس فلا يكاد يضيع شيء منها "[١]، ولذلك أمها الناس من كل جهة، وانجفلوا إليها من كل ناحية فارين من الفتن التي كانت آنذاك شاملة، فكانت أمناً لمن قصدها وحرماً لمن لجأ إليها" فكثر أهلها واتسعت عمارتها وحسنت حال من فيها فلحقت بكبار أمصار الأندلس" وعمر بنوذي النون مدينة جيان "وشادوا بها الحصون والمعاقل وأحدثوا بها القرى والمنازل فعمرت بهم وكثر أهلها [٢].

وجذبت بلنسية الفارين والمهاجرين لحصانتها وبعدها عن مسرح الفتنة وحسن معاشرة أهلها ورخاء أسعارها وكثرة خيراتها "فرحل الناس من كل قطر بالأموال إليها وطمحت بسكانها الآمال واستوطنها طائفة من جالية قرطبة القلقة الاستقرار فألقوا بها عصا التسيار وأجمل عشرتهم فبنوا بها المنازل والقصور واتخذوا البساتين الزاهرة والرياضات الناضرة وأجروا بها المياه المتدفقة [٣].

وهكذا شيد أهل بلنسية الدور والقصور ، فبنى مؤمل القشتيلي – من أعوان العامريين – قصراً أنفق عليها مائة ألف دينار [٤]، وسلك مبارك ومظفر سبيل الملوك الجبارين في إشادة البناء والقصور والتباهي في عليات الأمور إلى أبعد الغايات ومنتهى النهايات بما أبقيا شأنهما حديثاً لمن بعدهما أواشتمل هذا الرأي على جميع أصحابها ومن تعلق بهما من وزرائهما وكتابهما فاحتذوا فعلهما في تضخيم البناء [٥]"، وشيد عبد العزيز بن عبد الرحمن شنجول منية الناعورة و سط أملاك زراعية له، ولجأ بعض الأندلسيين إلى ألمرية فأنشا خيران العامري ربضي : الحوض والمصلي، ووسع المسجد الجامع لاكتظاظ المدينة بالسكان ، وهكذا بلغت ألمرية في أيام الخيران من العمارة والقوة وفشوا الصنائع ما هو مشهور[٦]"

---

(١) ابن حيان : المقتبس ٣/٨٨.

(٢) المصدر السابق ٣/١٧.

(٣) ابن بسام : الذخيرة ٣/١/١٧، ابن عذارى: البيان المغرب ٣/١٦٠.

(٤) ابن بسام : الذخيرة ٣/١/١٨.

(٥) ابن بسام : الذخيرة ٣/١/١٧.

(٦) ابن الخطيب : أعمال الأعلام ٢/٢٤٤.

ونمت مدن شرق الأندلس مثل طرطوشة وبلمة وميورقة ودانية ، وشيدت بها بعض الأرباض الجديدة (١)، كما مصرت غرناطة بعدما كانت حصناً ، "واتفق رأي الجميع أن يخيروا لأنفسهم جبلاً منيفا ومعقلاً شامخاً يبنون فيه ديارهم ويرحلون بقلتهم وكثرتهم ويجعلونه القاعدة" (٢)، وقصد سرقسطة عدداً كبيراً فأحسن استقبالهم منذر بن يحيى التجيبي فعمرت سرقسطة (٣)، وعمرت قلعة رباح بخراب مدينة أوريط (٤).

وأتت الفتنة في القرن الثالث على معالم عمرانية كثيرة، فخربت المدن والقرى والحصون ، ودمرت مدينة باغة بشمال غرب كورة إلبيرة بفعل سعيد بن مستنة، وهدمت منية ابن حفصون القريبة من ببشتر "وقد تمادى الهدم على المنية فصيرت دكا"، وقام جيش الإمارة سنة ٢٧٩هـ/٨٩٢م بهدم حصن كركبولية وفعل ذلك بمرأى من الأمير حتى غادره قاعاً صفصفا (٥)، وقام الأمير المطرف ابن الأمير عبد الله بهدم ونهب وحرق حصن الزعواق بين قرطبة وإشبيلية" أمر بهدمه وحرقه وقطع شجره وعفى آثاره، وأمر فأحرقت المراكب بفنائه والخشب والآلات التي كانت فيه(٦).

وما حدث في الفتنة البربرية (٣٩٩ - ٤٢٢هـ/١٠٠٨-١٠٣٠م) كان أسوأ من ذلك، فقد هدد البربر سكان قرطبة فخافهم الناس، وهرب كثير منهم، وأسلموا ديارهم وأموالهم فاستولى البربر عليها(٧)، وترك قرطبة ابن الفخار - الذي رفض مسالمة البربر - إلى بلنسية (٨)، وتعقب الخليفة علي بن حمود أنصار الأمويين ونفاهم خارج قرطبة، وكان منهم الفقيه عبد المهمين بن عبد الملك بن أحمد (٩)، وفر أبو بكر محمد بن أحمد - من

---

(١) إبراهيم سلامة : الأندلس بين سقوط الدولة العامرية و نهاية الخلافة الأموية (ماجستير ، جامعة الإسكندرية ١٩٩٠م) ص٤٣١.

(٢) مذكرات الأمير عبد الله الزيري ٢١، ٢٢ ، ابن الخطيب :الإحاطة ٩٣/١

(٣) ابن بسام : الذخيرة ١٨١/١/١

(٤) الحميري : صفة جزيرة الأندلس ٣٣، ١٦٣.

(٥) ابن حيان: المقتبس ١٠٦/٣، ١٠٧.

(٦) المصدر السابق ١١٤/٣.

(٧) ابن عذارى : البيان المغرب ١١٥/٣.

(٨) القاضي عياض : ترتيب المدارك ٧٢٥/٤/٢، ابن فرحون: الديباج المذهب ٢٧١، ٢٧٢.

(٩) القاضي عياض: ترتيب المدارك ٧٤٣/٤/٢.

موالي الأمويين – إلى دانية [١]، وهاجر الشاعر أحمد بن عبد الملك بن شهيد إلى مالقة[٢]، ونكب محمد بن عباد شيوخ إشبيلية ففر منه بعض أهلها مثل أبي بكر محمد بن مروان بن زهر إلى طليطلة ثم إلى الثغور الشرقية وبها توفى[٣].

وتوالت هجرات الأندلسيين إلى المناطق الآمنة المستقرة في المراكز الريفية حول المدن البعيدة عن الفتن ، فهاجر إسحاق بن الحسن الزيات إلى نواحي سرقسطة [٤]، ومثله محمد بن الحسين المعروف بابن الكتاني [٥]، وهاجر إلى طليطلة الزاهد أبو محمد بن عمار[٦]، ورحل بعضهم إلى دانية مثل أحمد بن عبد الله المعروف بابن الصفار العالم بالهندسة والعدد والنجوم ، وبها توفى [٧]، وتنقل الفقيه هشام بن غالب الغافقي بين غرناطة وإشبيلية[٨]، وتوفى ٤٣٨هـ/١٠٤٦م، وانتقل إلى جيان الفقيه حسين بن أحمد بن محمد الغساني ووالده[٩]، وهاجر أحمد بن محمد بن سعيد" ابن الفراء" إلى إشبيلية [١٠]، وخرج سليمان بن بيطير إلى مالقة وبها توفى [١١]، وهاجر علي بن خلف بن بطال إلى بلنسية [١٢]، وخرج أحمد بن مطرف إلى الثغر ومنه إلى جزيرة ميورقة وبها توفي سنة ٤١٠هـ/١٠١٩م [١٣]، وخرج خلف مولى جعفر الفتى – المعروف بابن الجعفري – إلى طرطوشة وتوفي بها سنة ٤٢٥هـ/١٠٣٣م [١٤].

---

(١) ابن الأبار : التكملة رقم ١٠٩ ص٣٩١.
(٢) ابن بسام : الذخيرة ٣٢١/١/١.
(٣) القاضي عياض: ترتيب المدارك ٧٤٧/٤/٢.
(٤) ابن الأبار : التكملة رقم ٧٠٩ ص١٩٢ .
(٥) صاعد الأندلسي : طبقات الأمم ١٠٨ ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ٤٩١.
(٦) ابن بشكوال : الصلة رقم ٣٥١ ص١٥٦.
(٧) صاعد الأندلسي : طبقات الأمم ٩٣، ٩٤ ، ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء ٤٩١.
(٨) ابن بشكوال : الصلة رقم ٦٥٢.
(٩) المصدر السابق رقم ٣٢٩.
(١٠) السابق نفسه رقم ٩٤.
(١١) السابق رقم ٤٤٤.
(١٢) السابق رقم ٨٩١.
(١٣) السابق رقم ٦٩.
(١٤) السابق رقم ٣٧٧.

وانتقل عبد الرحمن بن عبد الله بن خالد الهمذاني إلى ألمرية، وترك أملاكه ببجانة[1]، وعاد محمد بن عبد الله البكري من قرطبة إلى موطنه مرسية [2]، ومثله خلف بن خلف بن مروان بن أمية رجع إلى بلدة صخرة حيوة بغرب الأندلس ، وبها توفى سنة ٤٠١هـ/١٠١٠م [3]، وعاد سعيد بن إدريس من قرطبة إلى موطنه إشبيلية وتوفى بها سنة ٤٢٩هـ/١٠٣٧م[4].

وترك بعض الناس الأندلس كلها فخرج عبد الرحمن بن محمد إلى مصر وفيها توفى سنة ٤١٠هـ/١٠١٩م [5]، وأراد خلف بن علي الزاهد الذهاب إلى مكة فتوفى في إلبيرة سنة ٤٠٠هـ/١٠٠٩م[6]، وخرج أحمد بن محمد القيسي من إشبيلية إلى مصر وتصدر الإفتاء بها، وتوفى سنة ٤٠٧هـ/١٠١٦م [7]، ومثله عبد العزيز بن أحمد بن السيد القيسي الذي استوطن مصر زمن الفتنة وبها توفى سنة ٤٢٧هـ/١٠٣٥م [8].

وفي الفتنة البربرية (٣٩٩ - ٤٢٢هـ/١٠٠٨-١٠٣٠م) خربت المناطق الزراعية والسلطانية حول قرطبة فتخربت الزاهرة، وهاجمها الثوار واستولوا على قصر الحاجبية ونهبوا ما به من أمتعة وذخائر[9]، ونهبت دور كثيرة لرؤساء الدولة العامرية من صقالبة وبربر، وكذلك دور الوزراء المجاورة للزاهرة [10]، ثم نقل المهدى ذخائرها إلى القصر الخلافي وأمر "بهدمها وحط أسوارها وقلع أبوابها وتشعيث قصورها وطمس آثارها" [11].

---

(1) السابق رقم ١٠٩٥.

(2) السابق رقم ١١٥٥.

(3) السابق ٣٦٢.

(4) السابق ٤٩٩.

(5) السابق ٧٥٨.

(6) السابق رقم ٤٠٤.

(7) السابق ٤٧ .

(8) السابق رقم ٧٨٨.

(9) ابن عذارى : البيان المغرب ٦٢/٣.

(10) النويري : نهاية الأرب ١٣١/٢٤.

(11) ابن عذارى : البيان المغرب ٦٤/٣ ، المقري : نفح الطيب، ٥٨٩/١، ٥٩٠.

وحدث للزهراء ما حدث للزاهرة ، "فتوجه إليها عامة قرطبة فنهبوا ما وجدوا فيها من آلات البربر، وقتلوا من وجدوا بها، ودخلوا الجامع ونهبوا حصره، وقناديله ومصاحفه وسلاسل قناديله وصفائح أبوابه"[1].

وأتى العامة على دور البربر، فقد سعى المهدي بعد نجاح ثورته على العامريين إلى التخلص من أعوانهم البربر فأمر بنهب دورهم وتخريبها، مثل دور بني ماكسن بن زيري وزاوي بن زيري[2]، فهجر البربر منازلهم في ربض بلاط مغيث من أرباض قرطبة الغربية[3].

وعندما دخل البربر قرطبة بعد معركة قنتيش سنة ٤٠٠هـ/١٠٠٩م نهب عبيدهم عدداً كبيراً من منازل أرباضها [4]، ثم رجعوا يغيرون على أدنى البلد وأقصاه، ينهبون ويخربون ويحرقون، وإنْ جرد إليهم واضح الفتى خيلاً لم يقصدوهم خوفاً منهم، وينهبوا ما أفضله البربر من القرى والأقاليم، وانضم أهل البوادي من كل ناحية خوفاً من البربر، فصاروا أكثر من أهلها ومات أكثرهم جوعاً بها ومقتولا بخارجها وفنيت مواشيهم [5].

وترتب على سيل الوادي الكبير هدم ألفي دار من أرباض قرطبة وجزء من السور الدائر حولها، وردم كثير من الخندق ومالا يحصى من المساجد والقناطر[6]، وعندما اقتحم البربر قرطبة سنة ٤٠٣هـ/١٠١٢م "كان الأمر في هول يومها يجل عن الوصف ويشذ عن العبارة من استيلاء السيف والسبي والنار والتخريب" [7]، ونهبوا الدور والقصور ، وطلب من أهل قرطبة أموالاً عظيمة أ غرم منها ابن السرح وحده مائة ألف دينار، وأغرم كل واحد من الناس فوق طاقته وملكوا البلد [8].

---

(١) ابن عذارى : السابق ٩٥/٣، ابن الخطيب : الإحاطة ١٢٤/٢.

(٢) ابن عذارى : البيان المغرب ٧٥/٣ ، ٧٦، ابن الخطيب : أعمال الأعلام ١٣٠/٢، المقري : نفح الطيب ٤٢٧/١.

(٣) ابن الخطيب : السابق ١٢٤/٢.

(٤) ابن عذارى : البيان المغرب ٩٠/٣ .

(٥) المصدر السابق ١٠٢/٣.

(٦) ابن عذارى : البيان المغرب ١٠٥/٣.

(٧) ابن الخطيب : أعمال الأعلام ١٣٨/٢.

(٨) ابن عذاري : السابق١١٢/٣ ، ١١٥.

وعندما عزم علي بن حمود على إخلاء المدينة وإبادة أهلها لميلهم للمرتضي القائم بشرق الأندلس فأمر بهدم كثير من منازلهم وصادر أموال أعيانهم وانتزع سلاحهم منهم وأغرم أهلها ضروباً من المغارم(١).

وتأثرت سائر مناطق الأندلس بهذه الفتن فوصلت إلى طليطلة ومدينة سالم - فبلغت خيل البربر أقطارها وما وراءهما حتى إن الراكب يمشي شهوراً لا يرى أحداً في طريق ولا في قرية (٢)، وعاثوا في أرياف مالقة وقتلوا من أهلها كثيراً ، ثم زحفوا على نواحي إلبيرة فخربوا القرى ونهبوا الأموال ، ثم وصلوا إلى قرى الجزيرة الخضراء فأطلقوا أيديهم في دورها وقتلوا من قابلوه وهدموا الديار وسلبوا الأموال وخربوا القرى، وفعلوا بجيان مثل ذلك(٣)، وهجر أهل إلبيرة مدينتهم خوفاً ، "ولم تزل الأيام تخيف ساكنها والعفاء يتبوأ ساكنها والفتن تجوس أماكنها حتى شملها الخراب" (٤)، وكانت بيانة قبل الفتن من غرر البلدان وكان بها أسواق عامرة وحمامات وتغير ذلك في الفتنة"(٥).

وأثرت الفتنة كذلك على مدن شرق وغرب الأندلس فخربت مدينة أندارة (٦)، وباجة التي عرفت بأنها أرض زرع وضرع وخطتها واسعة، فتعطلت باجة بسبب فتنة البرابرة وخُربت على قدم بنائها في الجاهلية واتصال عمرانها في الإسلام (٧).

❀ ❀ ❀

ب- المدن المغربية والأرض الزراعية :

وعرفت بلاد المغرب كذلك نهضة عمرانية حضارية ابتداء من القرن الثاني الهجري وحتى بداية القرن الرابع الهجري، وظهر ذلك في عدد كبير من المدن والقرى والحصون والربط وسائر مراكز العمران ، وتعتمد هذه المراكز العمرانية على نطاق "حزام" زراعي ،

---

(١) ابن بسام : الذخيرة ٩٩/١/١ ، ابن عذارى : البيان المغرب ١٢١/١.
(٢) ابن عذارى : البيان المغرب ١٠٤/٣.
(٣) المصدر السابق ١٠٢/٣ وما بعدها .
(٤) ابن الخطيب : الإحاطة ٩٢/١، ٩٣.
(٥) الحميري : صفة جزيرة الأندلس ٥٩.
(٦) الحميري : السابق ٣١.
(٧) المصدر السابق ٣٦، ابن غالب : فرحة الأنفس ٩٠ ، الذخيرة ١٩/١/٢، سر سالم : تاريخ مدينة بطليوس ٣٧٠/١ حاشية ٧٩.

واشترط في مواضع المدن أن تجمع خمسة أشياء: النهر الجاري ، والحرث الطيب، والحطب القريب، والسور الحصين، والسلطان ، فلا توجد مدينة إلا ولها منطقة زراعية أو قابلة للزراعة بما في ذلك المدن التي أقيمت لغرض استراتيجي كالمهدية أو بجاية، فكانت المناطق الزراعية قريبة منها. [1]

ولم يترك الجغرافيون المسلمون بلداً إلا وصفوا ما حولها من أراض وبساتين ، وأكد المؤرخون والجغرافيون أن تجمعاً سكانياً تعداده (٣٠٠٠) ثلاثة آلاف شخص يحتاج إلى مساحة زراعية ريفية قدرها ٨١٥ كم٢ ، وهذا هو الحد الأدنى من الغذاء [2].

وشهد المغرب – مثل سائر الأمصار الإسلامية – نهضة عمرانية مدنية ، فأنشئت العديد من المدن في إفريقية والمغرب الأوسط والأقصى ، وهذه بعض المدن المحدثة في بلاد المغرب:

---

(١) عبد العال الشامي: جغرافية المدن عند العرب ١٢٩ وما بعدها ، مجلة عالم الفكر، مج٩ ، ع ١

(٢) الجنحاني : المغرب الإسلامي ٣٥ .

	الزراعة	الصناعة والتجارة	الاجتماع	العمران	المصادر
أشير حصينة، بين جبال شامخة ، لها سور بناه بلكين بن زيري سنة ٣٦٧هـ/٩٧٧م ، لها عينان ثرتان	حولها قريتي سوق هوارة وسوق كرام، وحولها زراعات وخصب ، حسنة البقعة كثيرة المنافع	لها سوق في يوم معروف		بناها زيري بن مناد، وخربها يوسف بن حماد سنة ٤٤٠هـ/١٠٤٨م ، ثم رجع إليها سنة٤٥٧هـ/١٠٦٤م، وتحولت مع الزمن إلى حصن.	البكري: المغرب ٦٠ الإدريسي: المغرب ٨٥ ، ٨٧ ياقوت ٢٨٦/١ الدمشقي ٢٣٧
بونة ساحل البحر في نشرمن الأرض ، يشرب أهلها من بئر "النثرة" ، على ربوة مشرفة على فحوصها وقراها مسورة.	لها بساتين وشجر وأنواع الفاكهة، وأكثرها من البادية ، بها أقاليم واسعة وأرض ، وكثيرة اللحم واللبن والحوت والعسل ، لأنها برية بحرية.	ذات أسواق وتجارة مقصودة ،وأرباح موجودة	حولها قبائل مصمودة وأوربة ، وأكثر تجارها أندلسيون ، ثم تغلب عليها العرب عندما دخلوا أفريقية	لها قرى كثيرة ، وبها مساجد وحمامات ، وهي وسطة ليست كبيرة ولا صغيرة	البكري ٥٤ ، الإدريسي: ١١٦ ، ١١٧، ياقوت ٧٦٤/١ ، الدمشقي ٢٣٥.
تنس مسورة حصينة ، داخلها قصبة صعبة المرتقى ، وداخلها قلعة صغيرة	لها أقاليم وأعمال ومزارع الحنطة وسائر الحبوب والفواكه	رخيصة الأسعار ، ويحمل منها الطعام إلى سائر الآفاق	يسكن بها العامل لحصانتها	بها الحمامات ، ويسكن تنس الأدارسة من أولاد إبراهيم بن محمد بن الحسن، والتي بناها البحريون الأندلسيون ، وبها مسجد جامع	البكري ٦١ ، الإدريسي٨٣ ، ابن حوقل ٧٢ ، مراصد الإطلاع ٢١٥/١ الاستبصار ١٣٣

	الزراعة	الصناعة والتجارة	الاجتماع	العمران	المصادر
توزر عليها سور مبني ، ولها أربعة أبواب ، وشربها من ثلاثة أنهار	كثيرة النخل والبساتين ولها سواد عظيم، وهي أكثر بلاد إفريقية تمراً	رخيصة الأسعار		كبيرة، أم مدن قسطيلية ، حولها أرباض واسعة	الاستبصار ١٥٥ ، ياقوت: ٥٨/٢
تونس في سفح جبل، عليها سور تراب وثلاثة أبواب ، خندق حصين ، وشرب أهلها من الآبار والصهاريج ، فلها صهريجان كبيران	حولها مزارع متصلة الحنطة والشعير ، الزيتون والثمار والفاكهة ويجلب لها الحبوب والعسل والسمن	بها أسواق كثيرة ومتاجر عجيبة، وفنادق، وبها صناعة خزف جميلة لا يعلم لها نظير ، والفحامون خارج المدينة	وجدت بها أجناس عدة ، وعندما دخلها العرب في المسيرة الهلالية جاوروا أرضها	معمورة موفورة الخيرات ولها جامع متقن البناء بناه عبد الله بن الحبحاب ، ولها دار صناعة ، ولها حمامات، ويحيط سورها بـ ٢١ر٠٠٠ ذراع.	البكري ٣٧ ، ياقوت ٩٦/٢ ، الإدريسي ١٨
جزيرة شريك لها قصبة يقال لها باسو، وبها حصن		بها أسواق عامرة		كبيرة آهلة بها جامع وحمامات و ثلاث رحاب	
الحامة لها حصن القصر ، مياهها حارة	كثيرة الثمر والزيتون وجميع الفواكه ، وأكثر بلاد الجريد عنباً		يسكن بها بنوبهلول البربر وهم من سادات قسطيلية وأغناهم	لها أرباض واسعة يسكنها الناس ، ولها قصور كثيرة وعمائر	الدمشقي ٢٣٨ ، الاستبصار ١٥٧ ، التجاني ١٢٩.

	الزراعة	الصناعة والتجارة	الاجتماع	العمران	المصادر
رقادة	أكثر بلاد إفريقية بساتين وفواكه			أسست سنة ٢٦٣، وهي مدينة كبيرة دورها ٤٢٠٤٠ ذراع ثم سكنها بعد الأغالبة الشيعي إلى أن انتقل إلى المهدية وخربت رقادة في القرن الرابع الهجري	البكري ٢٧ ، ٢٨ ، الإدريسي ١١١ ، ياقوت ٢، ٧٩٧ ، الاستبصار ١١٦
زويلة أسوار عالية حصينة تحيط بها من جميع الجهات ، ولها خندق من جهة البحر	على مقربة منها قرى ومنازل وقصور ويسكنها قوم بواد لهم زروع ومواش وأغنام وأبقار وقمح وشعير وزيتون	بها الأسواق الجميلة	أهلها تجار مياسير نبلاء، وجل لباسهم البياض، وهم من لمطة، وفيها إباضية	بها المباني الحسنة والشوارع الواسعة والأزقة الفسيحة ، وفيها فنادق كثيرة وحمامات، وخارجها منطقة حمى أفسدها العرب	الإدريسي ١٠٩ البلاذري : صفة المغرب ٦
القيروان مياها قليلة وشرب أهلها من الماجل الكبير في بساط من الأرض ومور طوب	سائر جوانبها أرضون طيبة كريمة وفحص الدّرارة يصاب فيه في السنة الخصبة للحبة مائة	أيسرها أموالا أوسعها أحوالاً ، وأربحها تجارة، وأكثرها جباية وأنفقها سلعة.	أكثر المدن بشراً	فحص الدرارة ، لها سبعة محارس ، بها ١٥ ماجلاً	البكري (٦٧٥) (تونس) ، الإدريسي ١١٠.

	الزراعة	الصناعة والتجارة	الاجتماع	العمران	المصادر
ودان من أعمال برقة تضف إلى عمل سرت ولها قلعة حصينة	بها التمر، ولهم زرع يسير يسقونه بالنضح	ليس لها خراج	أكثر أهلها من مزاته، وقبيلتان من العرب سهميون وحضرميون	لها دروب ، وبينها وبين زويلة عشرة أيام	البلاذري : صفة المغرب ٥ ، ياقوت : معجم البلدان
أجرسيف على نهر ملوية المشهور، عليها سور من طوب، من أحواز تلمسان	لها بساتين كبيرة			كانت قرية عامرة ، ثم مدنها المرابطون، ويتبعها حصن وقلاع	البكري: المغرب ٨٨ الاستبصار ١٧٧ الدمشقي ٢٣٨ الحميري : الروض المعطار ١٢
أرشقول على نهر تافني الذي يسقي بساتينها، قريبة من البحر حصينة، مسورة وبها آبار عذبة	يحرث فيها القمح وتربي الماشية	تصل إليها المراكب التجارية	يسكنها التجار	لها فحص زيدور، وبها جامع به سبع بلاطات، ولها ربض وحمامان	ابن حوقل ٥٣، البكري ٧٧، ٧٨ ، الإدريسي ١٧٢، الاستبصار ١٣٤
بجاية لها سور مبني على جبل، وتحيط بها الجبال، والبحر يضرب فيها،	أرضها سهلة متصلة الانفراج ، فهي على نظر كبير وفيها بساتين، وفلاحتهم إذا كثرت	لها داران للصناعة ؛ ويأتيها التجار من سائر البلاد ، ويخزن بها الطعام سنين طويلة ،	أهلها شباع وأحوالهم صالحة	عمرت بخراب قلعة بني حماد ، وفيها القصور الرائقة التي بناها المرابطون ، وبها	الإدريسي: المغرب ٩٠ الاستبصار ١٢٨ ياقوت ١، ٣٣٩

	الزراعة	الصناعة والتجارة	الاجتماع	العمران	المصادر
ولها نهر وعيون تسقي أرضها	أغنت وإذا قلت كفت، ولحومها كثيرة	والأسعار بها يسيرة		النواعير ، وبُنيت في عصر بني باديس	
تاهرت مسورة ، ولها ثلاثة أبواب ، في سفح جبل جزول ، وبها قصبة، بالقرب منها قلعة هوارة على نهر مينة وتاتش	بها فحص يسقيه نهر سيرات، وفيها جميع الثمار ، وسفرجل طيب، شديدة البرد والغيوم والثلج ، وبها مزارع وضياع والخيل والغنم والبقر وسائر الغلات	لها بضائع وتجارات وأسواق عامرة	في شمالها هوارة ولواطة وبغربيها زواغة و بجوفيها مطماطة وزناتة ومكناسة	لها حصن برفجانة ، ومسجد جامع ، واثنا عشر حماماً ، وعندما دخلها الشيعي قتل من أهلها خلقاً كثيراً	البكري ٦٦ ، ٦٧ ، الإدريسي٨٧ ، الاستبصار ١٧٨ ، المقدسي ٢٢٨
تلمسان في سفح جبل ، مسورة ولها خمسة أبواب، عليها حصن وقلعة أبي الجاهل ، ويأتيها نهر من الجبل هو نهر سطفسيف، ولها عيون ماء	كثيرة الخصب ، كثيرة الثمار وغلاتها ومزارعها كثيرة وفواكهها خملة، وخيراتها شاملة ولحومها سمينة	تنفق اشغالها وتربح تجارتها ، لها أسواق عامرة، وهي مقصد تجار الآفاق ، رخيصة الأسعار	دار مملكة زناتة ، كثيرة السكان	لها قرى كثيرة عامرة ، بها مسجد جامع، وكنيسة، قاعدة المغرب الأوسط ، عليها طواحين.	البكري : ٧٦، الإدريسي ٨٠ ، ا لاستبصار ١٧٦، مراصد الإطلاع ١٩/٦ ياقوت ٤٤/٢

	الزراعة	الصناعة والتجارة	الاجتماع	العمران	المصادر
فكان عليها سور من تراب قريبة من البحر	لها فواكه كثيرة	لها سوق	يسكنها زناتة	لها أرحاء وحمامات وقصور ، خربت وعمرها المنصور بن أبي عامر ، كانت أسست سنة ٣٣٨ على يد علي بن محمد بن صالح اليفرني ، بها جامع	البكري ٧٩ الإدريسي ٨٢ الاستبصار ١٣٥ الروض المعطار ٤٤١
قلعة حماد بين أكم وإقران ، لها قلعة على جبل تاقربوست ، قرب أشير	على نظر عظيم كثير الزرع ، حولها رساتيق ذات غلة وشجر مثمر كالتين والعنب، حنطتها رخيصة، ولحومها طيبة سمينة	يصنع بها لبابيد الطيلقان ، وبها الأكسية الحسنة المطرزة بالذهب، ولصوفها من النعومة شهرة ، أوسعها أموالاً	لأهلها صحة وحسن مزاج ، وأكثر البلاد سكانا	قاعدة بني حماد، أحدثيت سنة ٣٧٠ ، أحسن قصور ، كبيرة، وأغزرها خيراً وأوسعها أموالاً وأحسنها قصوراً ومساكن	الحميري ٤٧١ ياقوت ٤/٣٩٠ الإدريسي ٨٦ الاستبصار ١٦٧
المسيلة في بسيط من الأرض على نهر سهّر ، عليها سوران	لها مزارع ممتدة ، على قطر كثير المزارع والجنات والفواكه . فيها قطن وقمح وشعير	لها أسواق ، رخيصة الأسعار	بها بنو برزان وهوارة ونداج وهوارة وصدارته وعجيسة	تولى بناءها علي بن حمدون وابنه جعفر، وهي عامرة بسيطة	ابن حوقل ٨٥ البكري ٥٩ الإدريسي ٨٥،٨٦ ، مراصد الإطلاع ٣/١٠١ الاستبصار ١٧١

	الزراعة	الصناعة والتجارة	الاجتماع	العمران	المصادر
مليانة حسنة البقعة ، في سفح جبل دكار، ذات أنهار ولها آبار عذبة ، بها عين قوية تطحن عليها	مزارعها خصيبة ، كريمة الزرع ، فيها مزارع وحدائق وجنات، ولأقاليمها حظ من سقي نهر شف ، كثيرة البساتين واسعة المسارح والكلأ	رخيصة السعر		عامرة آهلة خربت وجددها زيري بن مناد، عليها أرحاء	البكري ٦١ ، ابن حوقل ٦٤ الإدريسي ٨٤ الاستبصار ١٧١ مراصد الإطلاع ١٤٧/٣ الحميري ٥٤٧
وجدة مسورة ، كثيرة المياه والعيون، طيبة الهواء	كثيرة البساتين والجنات والمزروعات ، جيدة التربة ، مراعيها أنجع المراعي	يصنعون الأكسية ويساوي الكساء ٥٠ ديناراً أو يزيد	يمتاز أهلها بنضارة ألوانها وتنعم أجسامهم	كبيرة	البكري ٨٧ ، الإدريسي ٥٦ الاستبصار ١٧٧
وهران حصينة على ضفة نهر، عليها سور تراب متقن ، شرب أهلها من وادي يجري	لها بساتين وزرع وثمار ، بها السمن و الزبد والبقر	مرسى للسفن التجارية ، الغنم بها رخيصة بالثمن اليسير ، بها أسواق مقدرة وصنائع كثيرة وتجارات نافعة	حولها نفزة وبني مسفن	لها أرحاء ماء بها مسجد جامع ، بناها الأندلسيون سنة ٢٩٠هـ ، في عمارة وكمال وزيادة وحسن حال ، خُربت ثم عمرت سنة ٣٤٣هـ/٩٥٤م	البكري ٧٠، ٧١ ، ابن حوقل ٥٢ ، الإدريسي ٨٤ ، الاستبصار ١٣٣ ، الدمشقي ٢٣٥ ، مراصد الإطلاع ٢٩٩/٣

	الزراعة	الصناعة والتجارة	الاجتماع	العمران	المصادر
أصيلا عليها سور ، في سهلة من الأرض ، لها خمس أبواب		بها أسواق قريبة ، يقام في الرباط ٣ مرات	يقربها هوارةولواتة	صغيرة ، لها مرسى مقصود، جامعها خمس بلاطات، أقيم على بابها رباط ، مقبرتها في شرقيها	البكري ١١ الإدريسي ١٦٩ الحميري: ٤٢ الاستبصار ١٣٩ مراصد الإطلاع ٥٥/١ ياقوت ٢٣٥/١
أغمات فوق سفح جبل ، أسفلها نهر يشق المدينة	حولها بساتين كثيرة، فهو بلد خصب، وبجوارها فحص أفيح كثير النبات	ينزل بها التجار ، ويتجهز بها إلى الصحراء ، ولذلك أهلها مياسير ، رخيصة الأسعار ، ولهم قوافل تجارية كثيرة	أهلها من بربر هوّارة ، وبها ما يقرب من ١٠ أسرة ، أي أهلها ما يقرب من ٥٠،٠٠٠ نسمة	مدينتان : أغمات وريكة وأغمات هيلانة ، بلد كثير الرخاء ، وبها أرحاء	البكري ١٥٣،١٥٤ ، ابن حوقل ٦٥ ، الاستبصار ٢٠٧ الإدريسي ٦٧٦٦، ٦٩ الوزران : ١٤٩ ، ياقوت ٣٢٠/١
الاقلام كثيرة المياه ، ولها سور ، وسط صحراء وجبال شامخة	خصبة			بناها يحيى بن إدريس ، وبها مسجد جامع ، وعمارتها متصلة	ابن حوقل ٨١ الإدريسي ١٧٠
البصرة عليها سور ليس	أكثر النواحي مرعا وضرعا، كثيرة الغلة	يتاجرون في الكتان	نساؤها جميلة ، وأهلها أعفّاء ولهم	كبيرة واسعة ، لها قرى وعمارات ، عامرة	البكري ١١٠ الإدريسي ١٦٩

	الزراعة	الصناعة والتجارة	الاجتماع	العمران	المصادر
بالحصين ، هواؤها معتدل ، وشرب أهلها من بئر عذب على باب المدينة.	والقمح والقطن، وسائر الحبوب بها كثيرة ، كثيرة الألبان والكتان		جمال وحسن أدب	الجهات، بها حمامان ، وبجوارها القرى	ياقوت : ١/٤٤٠
بلزمة حصن لطيف ، لهذماء، عليه سور تراب	كثير الزرع وكثرة الماشية	يصنع بها الفروالمدبغ		أحدثها العرب	صورة الأرض ٨١ ، ٩٢
تادلة بني فيها حصن منيف عظيم	يزرع بها القطن ويسافر منها إلى كل الجهات	يعمل بها الثياب القطنية التي يسافر بها لكل البلاد المغربية	أهلها أخلاط من قبائل البدو	بها أرزاق ومعائش ونعم وخصب شتى	الإدريسي ٧٥ معجم البلدان: ١/١٨٠ مراصد الإطلاع ١/١٦٤ الاستبصار
الحجر على جبل شامخ، وهي حصن منيع فيه أملاك الأدارسة	لها بساتين فيها ، وهي خصبة رفهة كثيرة الخير		بها قبيلة مجكسة	لها عمارات، أنشأها الأدارسة ، ويتبعها حصون تطاون، وهي عامرة	ابن حوقل ٨١ ، ٨٢ الإدريسي ١٧٠
الخضراء على نهر صغير	بها كروم وسفرجل وفواكه ولها ناحية	تجتمع في سوقها أهلها		مدينة صغيرة، بها عمارات متصلة ، لها	البكري ٦١ الإدريسي ٨٤

	الزراعة	الصناعة والتجارة	الاجتماع	العمران	المصادر
	خصبة ، كثيرة البساتين واسعة المسارح كثيرة السكان			جامع وحمام ، يقربها مدينتي بني وار يفن وقارية	الاستبصار ١٧١ ابن حوقل ٨٩
الرباط على سفح جبل عال ، تشقها جداول المياه العذبة ، عليها سور عظيم	بجوارها وادي الرمان، مشرفة على بسائطها ، لها بساتين ، ولها قطر كبير وزرع وفاكهة			اختطها يوسف بن تاشفين	الحميري ١٢٨
رباط تازي كبيرة في سفح جبل مشرقة ، حولها جداول المياه العذبة، عليها سور	حولها بسائط، ولها بساتين تسقيها المياه، ولها قطر كثير الزرع والفواكه والخيرات		سكن فيها قبيلة مكناسة	وأسست سنة ٥٦٨هـ/١١٧٢م	الاستبصار ١٨٦ ، ١٨٧
تاودا	كثيرة الزرع والغلات غزيرة الألبان والسمن والعسل	أسواقها عامرة وخيراتها وافرة	يسكن الطريق بين تاودا وفاس قبائل لمطة	تمتد بها العمارة ، أنشأها يوسف بن تاشفين	الإدريسي ٨١
زلول في شرقي أزيلي		لها أسواق قريبة		أنشأها الحسن بن كنون	ابن حوقل ٨٠

	الزراعة	الصناعة والتجارة	الاجتماع	العمران	المصادر
سجلماسة على نهر كثير الماء يزيد في الصيف	كثيرة الخضراوات والجنات ، زراعتها كثيرة ، ولها الحنطة والتمور والشعير	كثيرة العابر ، ومقصد الصادر والوارد	نساؤها حسنة	بها قصور وديارات وقرى ، كبيرة عامرة ، أنشئت سنة ١٤٠هـ/٧٥٧م	البكري ١٢٨ ، الإدريسي ٦٠ ، ٦١ ياقوت ٤٥/٣ ابن حوقل ٦٥ ، الاستبصار ٢٠٠ وما بعدها
سلا على ضفة البحر ، يمر بها نهر اسمير	بها زروع ومواش وكروم وغلات وبساتين وحدائق ومزارع ، بها الغنم والبقر والماعز	لها أسواق و تجارات ودخل وخرج ، بها مراكب تأتيها من إشبيلية	الطعام بها كثير ، و سعة أحوال	عمارات متصلة، يتصل بها مرسى فضالة ومرسى آنفا التي تتجاور مع الأندلس ، بها رباط	البكري ٨٧ ، ابن حوقل ٨٢ الإدريسي ٧٢ ، ٧٣ ياقوت ١٠٩/٣ الاستبصار ١٤٠
سوق إبراهيم	لها فواكه وتين عظيم كثير	فيها سوق ، يجهز بالتين إلى الخارج		مدينة صغيرة	ابن حوقل ٨٩
العلويون على نهر، ولها عيون	عليها بساتين ، بها فواكه فاصلة وخيراتها شاملة			آهلة عامرة كبيرة	البكري ٧١ ابن حوقل ٨٨ الإدريسي ٨٠
فاس مدينتان يشقها نهر ، بها سواقي للشرب	بها فواكه كثيرة وخصبها زائد، وجهاتها مخضرة بساتينها عامرة	لها من كل شيء حسن نصيب ، أكثر المدن خيراً ومالاً ، رخيصة	أهلها في عزة ومنعة ، يسكن حولها قبائل البربر ويتكلمون	عليها أرحاء كثيرة ، فيها ضياع ومعائش، و في كل زقاق ساقية، بها دور	البكري ١١٥ ، الإدريسي ٧٥، ٧٦ ، ابن حوقل ٦٦٥ ، المقدسي ١٢٩

	الزراعة	الصناعة والتجارة	الاجتماع	العمران	المصادر
	وحدائقها ملتفة	الأسعار	العربية ، أهلها مياسير	وقصور، رخيصة الأسعار	معجم البلدان: ٨٤٢/٣ الاستبصار ١٨٠
قصر الفلوس بها ماء مجلوب على قناطر ، لها سور من تراب وطابية	غلاتها القمح والشعير والمواشي عندهم كثيرة			محدثة كبيرة ، قرب وهران	البكري ٧٩ ، ٨١ ابن حوقل ٧٨ ، ٧٩ ياقوت ١١٨/٤
مراكش يشربون من الآبار و هي قريبة ، وجلب الماء لمراكش على بن يوسف	بها وحولها البساتين والجنات		يأكل أهلها الجراد ويباع منه كثير، ويسكن حولها قبائل كثيرة	بناها يوسف بن تاشفين سنة ٤٧٠هـ/١٠٧٧م ، بنى بها قنطرة تانسيفت	الإدريسي ٦٧ ، ٦٨ ياقوت ٤٧٨/٤ الحلل الموشية ٥
مليلة مسورة بحجارة ، داخلها قصبة ، لها بئر ماء	لها زراعات كثيرة	بها أسواق ، ولها موازين ومكاييل خاصة بها ، ويدخلها التجار .	جددها موسى بن أبي العافية ، بها جامع وحمام ، لها عمارات متصلة.		البكري ٨٨ الإدريسي ١٧١ الروض المعطار ٥٤٥
مكناسة مرتفعة عن الأرض ، يجري في شرقيها نهر صغير لها سور كبير وأبراج.	لها زروع وأرضاً طيبة ، كريمة الأرض ، لها جنات.	بها أسواق حافلة ، لها مكاسب وأحوال صالحة.		متصلة العمارة ، على نهرها الأرحاء ، لها قرى متصلة عامرة.	الإدريسي ٧٦ الاستبصار ٨٧ الحميري ٥٤٤.

	الزراعة	الصناعة والتجارة	الاجتماع	العمران	المصادر
ميلة عليها سور صخر، والمياه حولها غدقة ، وبها ساقية لجلب الماء	كثيرة الأشجار والثمار والفواكه ، محاسنها ظاهرة	بها سوق	أهلها من أخلاط البربر، والعرب والمولدين	حسنة ، نقل أهلها إلى باغاية ، ثم عادت وعمرت ، حولها ربض وجامع وحمامات	البكري ٦٣ ، ٦٤ الإدريسي ٩٤ ياقوت ٥/٢٤٤
تكور بين رواب ، ولها سور من اللبن وأربع أبواب	كثيرة البساتين والفواكه	بها أسواق عامرة ولها كيل مخصوص	يوجد بها اليهود	بهاجامع ، وحمامات كثيرة ، بها الأرحاء ورباط تكور وقرية أقيطى	البكري ٩٠ الإدريسي ١٧١ ابن حوقل ٥٣

ومن خلال العرض السابق يتضح أن نشوء المدن يعني التطور السكاني والعمرانـي؛ لأن المدينة يرتبط بها باقي مظاهر التاريخ والحضارة مثل الحُكْم وأشكال الإنتاج الاقتصـادي والصراعات الاجتماعية.

وكانت الزراعة عماد الاقتصاد، فالأرض المصدر الرئيس للكسب والثروة والتقدير الاجتماعي في الأرياف ، في حين ملكية قطعان الماشية هي المصدر الاقتصادي في مجتمع الرعاة، والمدينة عندما تهبط درجات في أمورها تتحول إلى قرية كبيرة أو حصن، أي مركز فلاحي مثل مدينة وليلى، والقيروان، وعندما ترتفع مكانة قرية تتحول إلى مدينة مثل تاهرت.

وظهر في القرون الثلاثة الأولى دول مركزية اتخذت حاضرة وتبعهـا مجموعـة مـن المدن والقرى والحصون والقصور والربط. وفي نفس الوقت ساعدت التجـارة المغربيـة فـي الجنوب تكوين مجتمع مدني في الواحات مثل سجلماسة ، فأصبح المجتمع المدني هو الأشمل بعدمـا كـان محـدودا فـي القـرون الثلاثـة الأولـى ، وتجمعـت القبـائل المغربيـة حـول المـدن والمراكز العمرانية الريفية فنشط المجتمع المغربي بصورة طيبة للغاية.

وفي المرحلة التالية من القرون (٣ – ٥) ظهرت الصراعـات بيـن الفـاطميين وأهـل المغرب (سنة وشيعة) واستغلت التحالفات القبلية ، مما كان له أثره في تراجع حركة العمران المدني وحل محله التحصين (تمثل ذلك في بناء القلاع مثل قلعة بني حمـاد وأشـيرو أفكـان ، وحجر النسر، وقلعة مهدي ، (أي قلعة بني توالي بالأطلس المتوسط) وسالة وأغمـات ووادي " ، وشهدت هذه المرحلة أشكال الصراعـات بيـن أكبر القبـائل المغربيـة : صنهاجـة وكتامـة وزناتة والمصامدة وبرغواطة.

*** اتساع المدن المغربية القديمة ودلالة ذلك على المساحة المزروعة:**

عندما فتح المسـلمون المغـرب كـان بـه بعض المـدن القديمـة فسكن بهـا المسـلمون وأدخلوا عليها بعض التحويرات لتتلاءم مع المفاهيم الإسلامية ، وهي مفـاهيم لا تمـس موقـع المدينة ولا أبنيتها ولا ريفها الخارجي ، بل شمل التحوير ثلاثة أمور:

(١) المسجد الجامع وسط المدينة على مسافة متقاربة من أطرافها ليسمع الآذان معظم لسكان، (٢) دار الإمارة ، (٣) الأسواق بجوار المسجد ودار الإمارة.

وحدثت هذه التحويرات على مهل ودون إجبار وبعد أن تشرب الناس العقيدة الإسلامية ، ومع الأيام شملت المدن العديد من الأبنية الإسلامية مثل المساجد والحمامات والبيمارستانات والخانات و القيساريات والرحاب والأرحاء ، فمدينة برقة أول منبر ينزله القادم من مصر إلى القيروان [١]، ومدينة طرابلس حصينة ذات ربض صالحة الأسواق ، ولها في ربضها أسواق كثيرة [٢]، ولسوسة أسواق حسنة وفنادق وحمامات ورباطات واسعة[٣].

ومما يدل على اتساعها المدن ببناء الأرباض المتصلة بها مثل أرباض مدينة طرابلس[٤]، ولمدينة باغاى أرباض حولها [٥]، ولمدينة الحامة أرباض واسعة يسكنها الناس [٦]، ولمدينة آيت دواد ضواحي خارجها [٧]، ولمدينة تيجس ربض [٨]، وحول مدينة ميلة ربض وحمامات[٩]، ولمدينة أرشقول ربض خارجها[١٠]، وكذلك لمدينة سبتة ربض[١١]، ولمدينة جراوة أرباض من جميع الجهات[١٢]، وأرباض بسكرة خارج أسوارها[١٣].

ونشأت حول القيروان ثلاثة أحياء "مدن سلطانية" هي: العباسية "القصر القديم" ورقادة وصبرة . فأما العباسية فأسسها إبراهيم بن الأغلب سنة ١٨٤هـ/٨٠٠م ، ونسبها لبني

---

(١) ابن حوقل : صورة الأرض ٧٠.
(٢) المصدر السابق ٧١.
(٣) السابق نفسه ٧٤.
(٤) السابق ٧١.
(٥) الإدريسي : صفة المغرب ١٠٣.
(٦) مجهول : الاستبصار ١٥٧ ، التجاني : الرحلة ١٢٩
(٧) الوزان : وصف أفريقيا ١١٧
(٨) البكري : المغرب ٦٣.
(٩) المصدر السابق ٦٤.
(١٠) السابق ٧٧.
(١١) السابق ١٠٢.
(١٢) السابق ١٤٢.
(١٣) السابق ٥٣.

العباس في بغداد ، ونقل إليها دواوين الدولة، وانتقل إليها الأمراء الأغالبة وكبار رجال الدولة ، وعبيدهم، وأقيمت بها المواجل والصهاريج ، وكان لها أربعة أبواب: الرحمة والحديد وغلبون والسعادة ، وكان بها رحبة واسعة "الميدان" [1]، وبنى الأغالبة رقادة سنة ٢٦٣هـ/٨٧٦م على بعد أربعة أميال من القيروان ، ومُساحتها أربعة وعشرون ألف ذراع وأربعين ذراعاً وكثرت بها البساتين ، وعمرت أسواقها ، وكثرت فنادقها وحماماتها ، وسكن بها الفاطميون حتى سنة ٣٠٨هـ /٩٢٠م [2].

وثالث أحياء القيروان هي صبرة أو المنصورية ، وقد تأسست في عهد الدولة الفاطمية ، بناها إسماعيل بن القاسم بن عبيد الله المهدي سنة ٣٣٧هـ /٩٤٨م ، ونقل إليها المعز بن باديس دكاكين القيروان ، ومثلث المنصورية الربض السياسي والتجاري حتى تأثرت بدخول الأعراب المغرب فأهملت سنة ٤٥٢هـ/١٠٦٠م [3].

وتتكون الأحياء السابقة من دروب أو شوارع جانبية مثل: "درب الفرشاش[4]، ودرب زيدان[5]، ودرب النجارى [6]، ودرب أم أبواب[7]، ورحبة بني دراج[8]، ورحبة القرشيين[9]، وحارة السرك[10]، وحارة عصيب[11]، وحارة قصطيلية[12]، ويقرر هذا التقسيم الأستاذ حسن حسني عبد الوهاب[13]: "أما داخل المدينة فكان يُقسم إلى أرباض آهلة وحارات وشوارع وأزقة وأسواق عامرة ، فمن أشهر أرباضها ربض السدرة، وربض الدوحة وربض البقرية"

(1) البكري: المغرب١٨، بساط العقيق ١٢، ياقوت : معجم البلدان ٧٥/٤.
(2) ياقوت : معجم البلدان ٧٩٧/٢، البيان المغرب ١١٧/١ ، الكامل ٣٥/٨
(3) الإدريسي : صفة المغرب ١١٠ ، ياقوت : معجم البلدان ٣٦٦/٣ .
(4) أبو العرب تميم : الطبقات ٣٥٦.
(5) المصدر السابق ٨١.
(6) السابق ٢٥٠.
(7) السابق ٩٠.
(8) السابق ٢٥٣.
(9) السابق ٢٣١.
(10) السابق ١٢٠.
(11) السفلي : تراجم أغلبية ٧١.
(12) السفلي : تراجم أغلبية ٣٣٢.
(13) بساط العقيق ٣

وخارج فاس ربض جهة الغرب، ويضم نحو ٥٠٠ بيت "كانون" ودوره غير متحضرة، ويسكنه الفقراء كسائقي الجمال والحطابين والسقائين، وفئات الصناع، ووجدت به دكاكين عديدة[١]، وأقيم ربض آخر سكنه المرضى والمجذومون ، ولهم نظار ورؤساء ومشرفون يقبضون ريع الأملاك المحبسة عليهم، وينفقونها، وإذا مات أحدهم دون وارث رجع نصف متروكة لجماعة الربض[٢]، وهناك ربض آخر للصناع والحرفيين ، ويشتمل على ١٥٠ بيتاً تقريباً [٣]، وهناك ربض آخر اشتمل على ٤٠٠ بيت، وسكنه العملة والفقراء والفلاحون[٤]، وأكد ذلك بن أبي زرع[٥] بقوله: "فلما كثر الناس بالمدينة، واتسعت الأرباض بخارجها في أيام زناتة أدار عليها الأمير عجيسة بن المعز سوراً و صنع فيه باباً فوق باب حصن سعدون".

وكثرت الدروب في فاس وأرباضها منها: درب ابن حيون[٦]، ودرب ابن عتيق[٧]، ودرب ابن عزاهم[٨]، ودرب ابن سيبون[٩]، ودرب ابن أبي حاج[١٠]، ودرب خلوف[١١]، ودرب المشروم[١٢]، ودرب عبود[١٣]، ودرب الغمارى[١٤]، ودرب القبابين[١٥].

---

[١] الوزان : وصف أفريقيا ٢١٥
[٢] السابق ٢١٦.
[٣] السابق ٢١٦.
[٤] السابق ٢١٦.
[٥] روض القرطاس ٤٢
[٦] ابن الأحمر : بيوتات فاس الكبرى ٤٩
[٧] السابق ٥٢.
[٨] السابق ٣٥.
[٩] السابق ٢٢.
[١٠] السابق ٤٤.
[١١] السابق ٤٠.
[١٢] السابق ٢١.
[١٣] السابق ٥٣.
[١٤] السابق ٤٩.
[١٥] السابق ٤٤.

* عدد السكان التقريبي

ولدينا بعض التقديرات عن تعداد سكان بعض المدن أمدنا بها الرحالة والجغرافيون المسلمون، ويرتبط عدد السكان بالأراضي المزروعة، فتعدد السكان يتناسب طردياً مع الأرض المزروعة، فانكماش مساحة الأرض المزروعة يوحي بقلة عدد السكان، وهناك طرق يمكن تقدير تقريبي لعدد السان منها : مساحة المدن ، وأعداد الجيوش ، وأعداد القرى والقصور والربط وسائر مراكز العمران ، و سجلات الضرائب.

وتشير كتب الجغرافية والرحلات إلى مدى تحضر المدن أو القرية أو الحصن وأنها عامرة بالسكان، ويحدد بعضها عدد الأسر التي بها وهذا جدول بذلك :

مقرة	بلد كبير	البكري : ٥٢
بسكرة	كبيرة	البكري:
أبة	في قرى وعمارات	البكري:
باجة	كبيرة	البكري:
طبرقة	عامرة	البكري:
وارّوا	كبيرة	البكري: ٦٠
الخضراء	عامرة جليلة	البكري: ٦١
قسنطينة	كبيرة آهلة	البكري: ٦٣
جزائر بني مزرغنا	جليلة قديمة البنيان	البكري: ٦٦
تاجنة	آهلة	البكري: ٦٦
وهران	في عمارة و كمال وزيادة وحسن حال	البكري: ٧٠،٧١
تهوذا	آهلة	البكري: ٧٢
نفطة	عامرة آهلة	البكري: ٧٤
قرية حمونس الصابون	كبيرة آهلة	البكري: ٧٥
سطيف	كبيرة جليلة جامعة	البكري: ٧٦
تانا فللت	عامرة آهلة	البكري: ٧٦

أجر سيف	قرية عامرة	البكري: ٨٨
سبتة	كبيرة	البكري ١٠٢
مرى	عامرة آهلة	البكري: ١٠٨،١٠٩
قرية عرب خولان	آهلة كثيرة الخير	البكري: ١٠٩
البصرة	كبيرة واسعة	البكري: ١١٠
قرية تاهدارت	عامرة كثيرة الثمار	البكري: ١١٣
قرية كقمارية	عامرة	البكري: ١١٣
تافدة	كبيرة آهلة	البكري: ١٤٣
قرية الجهنيين	كبيرة آهلة	البكري: ١٤٦
قرية ممس	كبيرة آهلة عامرة	البكري: ١٤٦
جبل تنزيتة	مأهول بالسكان	الوزان ١٨٠
أحزة	مأهولة وبها ٥٠٠٠ أسرة	الوزان ١٩٠
آيت عتاب	مأهولة	الوزان : ١٩١
آيت أياد	٣٠٠ أسرة	الوزان : ١٩٢
تامراكشت	فيها ٤٠٠ أسرة	الوزان : ١٦٤
ترغة	فيها ٣٠٠ أسرة	الوزان : ١٦٤
يولوان	فيها ٥٠٠ أسرة وفيها عمارات	الوزان : ١٦٥
أزمور	مأهولة بالسكان وتضم ٥٠٠٠ أسرة	الوزان : ١٦٦
مرامر	تضم ٤٠٠٠ أسرة	الوزان : ١٦٨
منطقة هكسورة	تضم ١٢ ألف أسرة	الوزان : ١٧١

❀ ❀ ❀

(٣) ظاهرة البستنة :

تميز الأندلسيون باتخاذ البساتين والاهتمام بزراعتها بالخضر والفاكهة والأزهار[١]، ولذلك حرصوا على جودة الأرض وتوفر مياه الري، وأن يكون قريباً من المنزل قدر الطاقة ليروح عن أصحابه[٢]، ويحاط البستان بسياج مرتفع يغطى بالنبات الأخضر حتى لايقع بصره إلا على الخضرة والزهور، ويزرع على حيطان البستان شجر العليق أو كثير الشوك لمنع اللصوص من دخول البستان وسرقة ثماره[٣] وتغرس أشجار البستان صفوفاً على خطوة مستقيمة، ويقسم البستان لخمائل وممرات مكسوة بالخضرة، وتقام أحواض صغيرة بين الخمائل لزراعة الخضر والفواكه والزهور[٤]، كما زينوا البساتين بالأشجار الكبيرة مثل الصنوبر والبستان والأرز والحور وغيرها[٥] وانتشرت البساتين على ضفاف الأنهار، ولا تكاد تخلو مدينة أندلسية من وجود البساتين بها، وهذه أهم مراكزها.

قلمرية	لها جنات	الإدريسي ١٨٣
حصن قسطلة	له بساتين وغلات وشجر التين	الإدريسي ؛١٧٩.
سرقسطة	متصلة الجنات والبساتين	الإدريسي ١٩٠ ، الزهري ٨١
بلنسية	على نهرها بساتين وجنات	الإدريسي ١٩١
شقر	كثيرة الأشجار	الحميري ١٠٢ ، ياقوت ٣٥٤/٣
دروقة	غزيرة البساتين والكروم	١٨٩
شاطبة	لها بساتين جميلة	العذري ١٨

---

[١] جيمس ديكى : ملاحظات عن فلاحه البساتين فى الأندلس، تقرير عن نشاط معهد الدراسات الإسلامية بمدريد سنة١٩٦٦ صـ١٣

[٢] أبو الخير الإشبيلى : الفلاحة ٣٨

[٣] المصدر السابق ٥٥

[٤] ابن العوام : الفلاحة ١٥٢/١، ١٥٣

[٥] ابن بصال : الفلاحة ٨٤

مرسية	بهـا بسـاتين وأشـجار وعمارات	الإدريسي ١٩٤
أوريولة	لها بساتين وجنات	ابن سعيد ٢٨٦/٢ ، الحميري ٣٤
ألمرية	حولها بساتين	مشاهدات ابن الخطيب ٤٧ ، النفح ١٥٤/١
طليطلة	لهـا بسـاتين محدقـة وجنات يافعة	الإدريسي ١٨٧
شنترين	لها بساتين وجنات	الإدريسي ١٨٦.
برجة	كثيرة الأشجار	ابن سعيد : ٣٢٨/٢ ، مشاهدات ٨١
غرناطة	تزرع فيها كل الأشجار	ابن سعيد ١٠٢/٢ ، النفح ١٦٤/١
بياسة	حولها بساتين	الإدريسي ٢٠٢، الحميري ٧٠
وادي الحجارة	علـى نهرهـا بسـاتين وجنات وكروم	الإدريسي ١٨٩
جيان	بها بساتين وجنات	الإدريسي ٢٠٢ ، الحميري ٧٠
استجة	لها بساتين وجنات ملتفة وحدائق زاهية	الإدريسي ٢٠٥ الحميري ١٥
قرطبة	لها بساتين وجنات	ابن سعيد ٢٢٠/١ ، النفح ٢٠٣/٤
إشبيلية	مغروسة بالزيتون	الزهري ٨٨ ، الحميري ٢١ ، النفح ١٩٩/٤
الجزيـرة الخضراء	لها بساتين وجنات على ضفتي النهر	ابن سعيد ٣٢٠/١ ، الإدريسي ١٧٦، الحميري ٧٣
شنت مارية	كثيرة الأعناب والتين	الإدريسي ١٧٩
تفنت	بها تين وأعناب	الإدريسي ١٩٣
شلب	لها جنات وغلات	الإدريسي ١٧٩
جنجالة	لها بساتين وأشجار	الإدريسي ١٩٥
مدينة سالم	لها بساتين وجنات	الإدريسي ١٨٩

واتجهت المدن والمراكز الريفية المغربية إلى ناحية البستنة في حالة فقدان الأمن في البوادي والأرياف البعيدة، و تحول الاقتصاد في هذه الحالة إلى اقتصاد

معاشي، وتأتي منطقة نكور في الدرجة الأولى في "البستنة والمغارسة، وأشارت كتب الجغرافية كثيراً إلى البساتين ، وأهم المدن التي زرعت البساتين حولها هي :

بسكرة	حولها بساتين كثيرة	البكري: ٥٣
باجة	حولها بساتين عظيمة	البكري: ٥٧
بنزرت	حولها بساتين	البكري: ٥٩
المسيلة	حولها بساتين كثيرة	البكري: ٦٠
الخضراء	كثيرة البساتين واسعة المسارح	البكري: ٦١
متيجة	لها بساتين كثيرة	البكري: ٦٥
مستغانم	لها بساتين	البكري: ٦٩
وهران	لها بساتين	البكري: ٧٠ ، ٧١
بنطيوس	كثيرة البساتين	البكري: ٧٢
نكور	كثيرة البساتين والفواكه	البكري: ٩٠
قرية نصر بن جرو	بساتين كثيرة	البكري: ١٠٨، ١٠٨
قصر ابن سنان	حوله بساتين كثيرة على نهر كدال	البكري: ١٤٣
حصن باغاية	له بساتين كثيرة	البكري:١٤٤
سبيبة	كثيرة البساتين ويجود بها الزعفران	البكري ١٤٦
أغمات وريكة	حولها بساتين وأشجار ملتفة	الإدريسي ٦٥
سلا	بها بساتين وحدائق	الإدريسي ٧٢
فاس	جهاتها مخضرة وبساتينها عامرة	الإدريسي : ٧٥،٧٩،٨١
بني عطوش	لها بساتين وأشجار	الإدريسي : ٧٨
قلعة ترنانة	لها جنات وكروم	الإدريسي ٨٠
وهران	لها بساتين وجنات	الإدريسي ٨٤
مليانة	لها جنات وحدائق	الإدريسي ٨٤

حصون تاكلات	بها بساتين وجنات	الإدريسي ٩٢
طبنة	كثيرة البساتين	الإدريسي ٩٣ ابن حوقل ٨٥
نقاوس	كثيرة الشجر والبساتين	الإدريسي ٩٥
مستغانم	لها جنات وبساتين	الإدريسي ١٠٠
نفزاوة	لها بساتين وجنات	الإدريسي ١١٠
صبرة	كثيرة البساتين والجنات	الإدريسي ١١٠
بونة	لها بساتين قليلة	الإدريسي ١١٦ ابن حوقل ٧٦
تيفاش	لها بساتين	الإدريسي ١٢٠ ابن حوقل ٨٧
الحجر	لها بساتين	الإدريسي ١٧٠ ابن حوقل ٨١
ندرونة	على الوادي بساتين و جنات	الإدريسي ١٧٢
مرسى موسى	عليها بساتين	ابن حوقل ٧٩
واسلن	لها بساتين كثيرة	ابن حوقل ٧٩
سبتة	بها بساتين وأجنة	ابن حوقل ٨٠
باغاى	لهم بساتين كثيرة	ابن حوقل ٨٤
جلولا	حفت بها بساتين كثيرة	ابن حوقل ٨٦

(٤) الحصون والقصور والقلاع:

ومن المراكز العمرانية في الأندلس الحصون، لأنها أُقيمت وسط الأراضي الزراعية، ويُخزن بها الفلاحون المحاصيل، ويلجأون إليها وقت الفتن والثورات، وشكلت الحصون بذلك خطراً كبيراً حتى جعلت الدولة الأموية تهدم الحصون التي تستولي عليها، وكان من أكبر الثوار في الأندلس من أصحاب هذه الحهسون الزراعية - إن صح التعبير -، ولهذا ترى الخليفة الناصر يفتتح في غزوة المنتلون سنة ٣٠٠هـ/٩١٢م سبعين حصنا في كورتي استجة وإلبيرة "من أمهات الحصون كل حصن فيها كان عالي الاسم بعيد الصيت ملجأ لذوي الخلاف والمعصية"[١]، وهدم في إحدى غزواته على كورة رية ثلاثين حصناً[٢].

وكثرت الحصون والمعاقل في الأندلس بشكل كبير حتى بلغت المئات ، فوصفت جيان وبلنسية وطرطوشة ولاردة وبريطانية وأشقة وإلبيرة وشنتبرية بأنها "لها حصون كثيرة"[٣]، ولمدينة ماردة أربعة حصون[٤]، ولببشتر حصون عديدة [٥]، ولمدينة استجة[٦]، معاقل منيعة.

ويبنى الحصن على قطعة أرض مسيطرةعلى ما حولها ، مثل قصر مولة [٧]، وحصن أبطيرة الذي بناه الحاج بمحمد بن أبي عامر قرب مدينة بطليوس [٨]، وتقام عادة في أماكن استراتيجية فتقوم بحمياتها والدفاع عنها ، وفي حالة الخطر يهرع السكان إلى الحصن أو القلعة ، ويخزنون الزروع والأغراض ، ويكون في الحصن صهاريج المياه ومخازن المؤن والذخيرة ، وكان رجال حامية الحصن يقومون بزراعة قطعة أرض يطلق عليها اسم

---

[١] ابن حيان : المقتبس (ت شالميتا) ٦١.

[٢] المصدر السابق ٢٢٠.

[٣] ابن غالب : فرحة الأنفس ٢٨٤، ٢٨٥، ٢٨٦، ٢٨٧.

[٤] السابق ٢٩٠.

[٥] السابق ١٩٥.

[٦] السابق ٢٩٥.

[٧] الحميري : الروض المعطار ٦٧ ، ١٠٨ ، ١٠٨ ، ١٦٥ ، ١٦٧.

[٨] معجم البلدان ٣٣٩/٢ ، ٢٤١/٧.

المحرث [1]، وكانت الدولة تشجع من يسكن الحصون وبخاصة القريبة من الثغور ، فتسجل اسمه في الديوان وتصرف له دينارين وتمنحه منزلاً ومحرثاً ، مثلما حدث في حصن (عقصر) من ثغر برشلونة سنة ٣٩٣هـ/١٠٠٢م [2].

وكان بكورتي جيان ورية ما يقرب من مائة حصن فتح الناصر منها سنة ٣٠٣هـ/٩١٥م سبعين حصناً من أمهات الحصون ، كل حصن منها كان عالي الاسم بعيد الصيت ، فلجأ لذوي الخلاف والمعصية ، وقد كانت فيه وقائع معلومة ، وانضم إليه هذه الجملة من الحصون ما فتح بفتحها من قصابها ومراقبها وبناتها وذواتها قاربة الثلاث مائة مابين حصن وبرج، وكان في يد عبيد الله بن الشالية بين أمية وحده منها ما يجاوز المائة[3].

وتبنى كثير من الحصون لتخزين غلال المدن والقرى القريبة منها ، مثلما فعل الأمير محمد في بناء حصن أشتيرش لغلال مدينة سالم [4]، وتتحول هذه الحصون إلى قرى لخزن الغلال [5]، فبنيت حصون مجريط وربنّة وفراطة لإمداد طليطلة بالغذاء [6].

فكانت الحصون أشبه بالقرى العسكرية – إن صح التعبير – لأن الحصون تتحول وقت السلم إلى قرى يعمل أهلها بالزراعة مثل حصن بني فراطة في مدينة الفرج وفي إلبيرة تحولت الحصون إلى قرى وقت السلم [7]، وبذلك يتحول الحصن إلى مركز عمراني فوصف حصن قطرون في كورة رية بأنه حصن حصين قد أحاط به وادٍ شتوي ذو مهاو عظيمة ، لايدني منها ولا يتعلق بها وبين أسفل الوادي والمهاوي حواليه عمائر واسعة وكروم ألفاف وأشجار متصلة ومسارح للمواش عريضة ، تظل فيها سوام أهل الحصن راتعة لا تلحقها مخافة [8].

---

(1) ابن عذارى : البيان المغرب ٧/٣.
(2) المصدر السابق ٧/٣.
(3) ابن حيان : المقتبس (ت شالميتا) ٦٢.
(4) ابن حيان : المقتبس (ت مكي) ٥١٤ تعليق ٢٨٥.
(5) المصدر السابق ١٣٢.
(6) السابق ص١٣٢ تعليق ٢٨٦ ، ٢٨٧ ، ٢٨٨.
(7) ابن عذارى : البيان المغرب ١٦٣/٢ ، ا بن حيان : المقتبس (ت مكي) التعليقات رقم ٢٨٩ .
(8) المصدر السابق (ت شالميتا) ٢٢٣.

وحصن ببشتر تحول إلى مدينة ، وكان إذا توصل المتوصل إلى أعلاه ألفاه سهلاً ، منفس ورحباً منبسطاً ، كثير الكروم والزيتون والرمان واللوز " [1].

وهكذا كانت الحصون في المناطق الزراعية مراكز للاستقرار ووصفت بأنها عامرة آهلة كثيرة الخق محدثة كثيرة الساكن [2].

وكانت الدولة تتجه إلى بناء الحصون والتسجيل فيها لعمالها لوأد الفتن والثورات ، وشجعت التوطين العسكري فيها – ولعل هذا يفسر كثرة الثورات في وقت ضعف الدولة – وتقوم بإصلاح الحصون المخربة ، فقد شرع الحاجب عبد الملك المظفر بن المنصور بن أبي عامر (٣٩٢ – ٣٩٩هـ/١٠٠٠-١٠٠٨م) بإصلاح حصن ممقصر ، "ونادى في المسلمين مَنْ أراد الإثبات في الديوان بدينارين في الشهر ، على أن يستوطن في هذا الحصن فعل ، وله مع ذلك المنزل والمحرث ، فرغب في ذلك خلق عظيم ، واستقروا به في حينهم [3]"

ومع اتساع العمران حول الحصن وتمدنه تضم إليه القرى كتوابع له فيوصف الحصن بأن له ولاية وقرى [4]، وبتزايد اتساع الحصن يحتوي على منشآت مدنية مثل الحمامات والأسواق والأسوار وأحياناً أرباض ، فيصبح الحصن أوثق بنياناً وأكثر عمارة[5].

ولم تكن هذه الحصون بعيدة عن سلطة الدولة ، بل تقوم الدولة بتعيين من عليها ، كما عُيِّن إدريس بن عبد الله سنة ٢٨٠هـ/٨٩٣م على حصن لوشة من أعمال إلبيرة [6]، وفي سنة ٣١٥هـ/٩٢٧م تولى سعيد بن المنذر القرشي على حصن أشب بالقرب من ببشتر [7]، وسجل لمحمد بن مبشر على حصن انتشية [8]، وكان هذا إقطاع استغلال من قبل الدولة حظى به العرب والبربر .

---

(١) ابن غالب : فرحة الأنفس ٢٩٥ ، الإدريسي نزهة المشتاق ٥٤٢/٢ ، ٥٦٨ .

(٢) الإدريسي : نزهة المشتاق ٥٣٧/٢ ، ٥٤٢ ، ٥٥٠ ، ٥٥٥ ، ٥٧١ ، ٥٧٣.

(٣) ديوان بن دراج حاشية ١ ص٤٥٠ ، البيان المغرب ٧/٣.

(٤) ياقوت : معجم البلدان : ٥١٥/٤.

(٥) العذري : نصوص عن الأندلس ٥٥ – ٥٦، الحميري : الروض المعطار ٤٢.

(٦) البيان المغرب ١٢٤/٢.

(٧) ابن حيان (ت شالميتا) ٢١١.

(٨) السابق ٣١٥.

الحصن	المكان التابع له	المصدر
بربوش	كورة باغة	ابن حيان ١٧٣
عالية	كورة باغة	ابن حيان ١٧٣
قرديرة	كورة باغة	ابن حيان ١٧٣
أشبرغيرة	كورة باغة	ابن حيان ١٧٣
الصخيرة	كورة باغة	ابن حيان ١٧٣
طرش	كورة رية	ابن حيان ١٧١
أقوط	كورة رية	ابن حيان ١٧٢
الحامة	كوت ربة	ابن حيان ١٧٤
أشبرة	كوت شذونة	ابن حيان ٨٨
شُمُنْتان	كوت جيان	ابن حيان٦٠
شنترة	كوت جيان	ابن حيان٦٠
أقليق	كورة جيان	ابن حيان٦٠
شبيلش	كورة جيان	ابن حيان٦٠
اشتبين	إلبيرة	ابن حيان ٦١
أشكر	بلاد النصارى	ابن حيان ٤٣٤
ولمش	مدينة طليطلة	ابن حيان ٤٣٤
قلعة خليفة	مدينة طليطلة	ابن حيان ٤٣٤
أشلطيرش ووبسيطة	أرض النصارى	ابن حيان ٣٤٢
حصن القصير وبسيطة	أرض النصارى	ابن حيان ٣٤٢
حصن أنْيَة	أرض النصارى	ابن حيان ٣٤٢
حصن تلبسنة	أرض النصارى	ابن حيان ٣٤٢

الحصن	المكان التابع له	المصدر
حصن الأصنام	كورة شذونة	ابن حيان ٨٨
باشِلْبِرَ	كورة شذونة	ابن حيان ٨٨
حصن أقليج	طليطلة	م شالميتا ٤٥٧
بناء قلعة خليفة	طليطلة	م شالميتا ٤٥٦
بناء مدينة سكتان	طليطلة	م شالميتا ٤٥٦
حصن المرية	مدينـــــــة سرقسطة	م شالميتا ٣٦٠
حصن موريل	طرسونة	م شالميتا ٣٦٠
حصن ورشة	سرقسطة	م شالميتا ٣٦١
حصن مربيط	سرقسطة	م شالميتا ٣٦١
حصن ألغون	سرقسطة	م شالميتا ٣٦١
حصن رينوش	سرقسطة	م شالميتا ٣٦٢
حصن رينوش	سرقسطة	م شالميتا ٣٦٢
ملينة	سرقسطة	م شالميتا ٣٦٢
حصن وبذة	قــرب نهـــر تاجة	م شالميتا ٣٦٢
شنت برية	قــرب نهـــر تاجة	م شالميتا ٣٦٢
قرية غلينرة	قرطبة	م شالميتا ٣٦٢
قرية أرنيش	قرطبة	م شالميتا ٣٦٢
حصن مارتش	من عمل جيان	م شالميتا ٦٥
حصن المنتلون	من عمل جيان	م شالميتا ٦٥

الحصن	المكان التابع له	المصدر
حصن منتيشة	من عمل جيان	م شالميتا ٦٥
حصن بحيلة	من عمل جيان	م شالميتا ٦٦
حصن بغتويرة	من عمل جيان	م شالميتا ٦٦
حصن بكوردفحلون	من عمل جيان	م شالميتا ٦٦
شنتيانة	من عمل جيان	م شالميتا ٦٦
حصن أوريول	مرسية	م٥/١٢٨
حصن أونة فنتيل	بنبلونة	م٥/٤٠٠،٤٥٢
حصن ابرش	كورة رية	م٥م٢١١
حصن ببشتر	رية	م٥/١٧٢، ٢٢٤
حصن البشارات	إلبيرة	م٥/٦٣،٦٤،٦٦
حصن البشتريل	يابرة	م٥/١٠٤
حصن بغتويره	إلبيرة	م٥/٦٣،٦٦
حصن بقيرة	ممالك النصارى	م٥/١٦٧،١٨٧،١٩٨
حصن بكور	جيان	م٥/٦٠،٦٦،٦٣
حصن بلال	سرقسطة	م٥/٣٥٩
حصن بلاليشن	لبلة	م٥/١١٨
حصن بلاى	قبرة	م٥/٢٥٣
حصن بليترة	الثغر الأقصى	م٥/١٤٢، ١٩٥

الحصن	المكان التابع له	المصدر
حصن بلدة	رية	م٥/٨٥،١٤٧، ١٥٠
حصن بطليوس	اكشوبية ، بطليوس	١٥٤، ٢١٧
حصن بلغر	لا ردة	م٥/٣٧٨،٤٢٩
حصن بمارش	ببشتر	م٥/١٨٤،٣١٨
حصن بنة	جيان	م٥/٦٨
حصن بنبلونة	الثغر الأقصى	م٥/١٨٧
حصن بني بشير	جيان	م٥/١٤٨
حصن بالمنت	لبلة	م٥/١١٨
حصن حيثة	جليقية	م٥/٩٧،٣٤٢،٤٨٤
حصن الحرارش	جليقية	م٥/٤٢٥
حصن الحنش	جليقية	م٥/١٢٠، ١٢٢
حصن روقة	سرقسطة	٢٦٢ ، ٢٣٩
حصن دوش أمانتش	جيان	م٥/١٤٨
حصن ربوش	باغة	م٥/١٧٣
حصن ربيلش	جيليقية	م٥/٤٤٢
حصن رطلقة	شنت برية	م٥/١٩٧
حصن الرقاع	أكشنونبة	م٥/٢٤٨
روطة البودي	سرقسطة	م٥/٣٣٥
حصن الرياحين	السهلة	م٥/٣٥٩
حصن رينوش	شرقسطة	م٥/٣٦٢

الحصن	المكان التابع له	المصدر
حصن رينية	جيان	م٥/٨٦
حصن سرتة	شنت برية	م٥/٢٠٣ ، ٢٨٧
حصن سكتان	الثغر الأعلى	م٥/١٢٢
حصن سمغوس	بلنسية	م٥/٢٤٩
حصن السهلة	سرقسطة	م٥/٣٥٩
حصن سهيل	ببشتر	م٥/١٨٦
حصن شاط	ببشتر	م٥/١٨٤،١٨٥، ١٨٦، ٤٩٨
حصن شذلية	ببشتر	م٥/٢٢٣
حصن شنت اشتبين	جيليقة	م٥/٦٣،١٦٣،١٩ ٤،٣٥٨،٤٢٠،٤ ٤٢
حصن شنت أولالية	ببشتر	م٥/١٥١،٢١٩،٢٣ ٤
حصن شنت باطر	كورة جيان	م٥/٨٦،١٨٤،٢١٠، ٢١٨،٢٢٣،٢٣٤، ٣٨
حصن شنت مرية مرية	شنت مرية	م٥/١٥١،٢١٩، ٢٣٤،٢٧٨،٢٦٢
حصن شنت بشتة	جيان	م٥/٦٣
حصن شنت بيطر	بشتر	م٥/٢٢٣
شنترة	جيان	م٥/٦٠،٢٧٨
حصن شنتيانة	إلبيرة	م٥/٦٠،٢٧٨
حصن صخرة	جيان	م٥/١٤٨

الحصن	المكان التابع له	المصدر
عصام		
حصن طرش	جيان	١٧٢
حصن طرش خشين	جيان	م٥/١٥٤
حصن طفالية	الثغر الأقصى	م٥/١٩١
حصن طلجيرة	ببشتر	م٥/١٥٢/١٥٢، ٢١١،٢٢٤،٢٣٠
حصن عالية	باغة	م٥/١٧٣
حصن العرب	بنبلونة	م٥/٤٢١،٣\٤٢٩
حصن عرماح	جيليقية	م٥/٣٤١،٤٤٢،٤٨ ٤
حصن عرنيون	ألبة	م٥/٣٣٨
حصن غرناطة	إلبيرة	م٥/٦٨
حصن فالجش	الثغر الأقصى	م٥/١٩١،٣٣٦
حصن فرذارش	ببشتر	م٥/١٨٤
حصن فنيانة	ببشتر	م٥/٦٣،٦٦
حصن الفهمين	طليطلة	م٥/٢٨٣
حصن قاشتره مورش	الثغر الأقصى	م٥/١٣٥،١٦٠، ١٦٣
حصن قاشتوة	جيان	م٥/٦٠،٦٣،٦٦
حصن قامرة	ببشتر	م٥/٨٦،١٨٤
حصن فانسية	سرقسطة	م٥/١٩٠
حصن قرديرة	باغة	م٥/١٧٣
حصن قرنيل	الثغر الأقصى	م٥/١٩٢

الحصن	المكان التابع له	المصدر
حصن قشترب	جليقية	م٥/٤٤٢
حصن قشترة دكوان	رية"قرطبة"	م٥/١٦٩
حصن القلعة	الثغر الأقصى	م٥/١٦٤
حصن قلموشة	سرقسطة	م٥/٣٥٩
حصن قلتبرية	ببشتر	م٥/١٤١
حصن القليعة	الثغر الأعلى	م٥/١٦١
حصن قنالش	طليطلة	م٥/٢٨٣
حصن لبابة	وشقة	م٥/٤٦٩
حصن لوطيش	شنت بربة	٣٦٢
حصن لبيبه	وشقة	م٥/٤٦٩
حصن اللرة	ببشتر	م٥/١٥١،١٥٣
حصن لورة	الجزيرة الخضراء	م٥/٧١،٧٤،٧٦، ٨٦
حصن مارتش	جيان	م٥/٦٥
حصن ماملس	جيليقة	م٥/٤٤١
حصن ماونده	سرقسطة	م٥/٣٣٥
حصن مدلين	جليقية	م٥/١٢١،١٢٢
حصن مربيط	إلبيرة	م٥/٣٦١
حصن مرشانة	بجانة	م٥/١١٢
حصن مركش	دليقة	م٥/١٦٠
حصن مرية	ببشتر	م٥/١٣٢،١٤١
حصن المرية	سرقسطة	م٥/٣٦٠،٣٦١
حصن مشكريل	ببشتر	م٥/١٨٤

الحصن	المكان التابع له	المصدر
حصن مغيلة	شذونة	م٥/٢٣٦
حصن ملينة	سرقسطة	م٥/٣٦٢
حصن المنار	ألبة	م٥/٣٣٨
حصن مورور	ببشر	م٥/١١٨
حصن المنت	ببشر	م٥/١١٨
حصن منس نيس	ببشتر	١٨٦
حصن منت روي	فرشانة	م٥/١٠٧،١٧٩، ١٨١ ، ٢٠٤
حصن منت ميور	ببشتر	م٥/٨٦،١٨٦
حصن المنتلون	إلبيرة	م٥/٥٨،٦٠، ٦٢، ٦٥، ٢٠٠
حصن المنتير	بنسلونة حصن العرب	م٥/ ٤٢١
حصن مورة	طليعة	م٥/ ٢٨٢
حصن مورطيلة	شنت برية	م٥/١٣٦٢
حصن موريل	سرقسطة	م٥/ ٣٦٠، ٣٦٤
حصن الموطن	الثغر الأعلى	م٥/ ١٢٢
حصن مونش	جليفية	م٥/ ١٦٠، ١٦٦
حصن نقيرة	حمالك الشمال	م٥/ ١٦٧
حصن نياني	شنيرين	م٥/ ١٠٤
حصن وبذة	سرقسطة	م٥/ ٣٦٢
حصن وخشمة	ممالك الشمال	م٥/ ٤٧، ١٦٠، ١٦٣

الحصن	المكان التابع له	المصدر
حصن ورشة	سرقسطة	م٥/ ٣٦١، ٣٦٤، ٣٣٣، ٣٤١
حصن ولمش	طليطلة	م٥/ ٤٣٤
حصن بطة	إلبيرة	م٥/ ٦٦
حصن البشارات	البشارات	م٥/ ٣٦٣
حصن بني هابل	جيان	م٥/ ٦٠
حصن الجلالقة	جليقية	م٥/ ٣٩٩
حصن سرقطة	سرقسطة	م٥/ ٣٦٣
حصن الشرق	لاردة	م٥/ ٣٧٧ ، ٣٩٢
حصن شمنتان	جيان	م٥/ ٦٠
حصن فريرة	جيان	م٥/ ٦٢
حصن كورة تاكرنا	رية	م٥/ ٢٢٠
حصن مغيلة	تاكرنا	م٥/ ٢١٨ ، ٢٣٦
حصن وادي آش	واى آش	م٥/ ٦٦
حصن وشقة	وشقة	م٥/ ٤٦٩
حصن وخشمة	الثغر الأقصى	م٥/ ١٦٣
حصن بليارش	سرقسطة	م٥/ ٣٦٣
حصن برهون	الثغر الأعلى	م الحجي ٢٢٦، ٢٢٦
حصن بوذيل	الثغر الأوسط	م الحجي ٧٦
حصن عتيقة	الثغر الأوسط	م الحجي ٧٦
حصن بنة روية	الثغر الأوسط	م الحجي ٧٦
الحصن الحجر	المغرب	م الحجي ١٨٣

ورد مصطلح القصر بالمغرب في القرون الأولى ، ودل على الحصون والأربطة بمنطقة الساحل أو في الأماكن السكنية المحصنة التي تتسع لمجموعة من الأسر ، كما وجدت القصور في السهول والجبال، كما في قصور قفصة التي بلغت مائتين أشهرها قصور : شقراطس ولالة وقصور وارجلان ، وتوات وتمنطيت وقصور تيكورارين وبها نحو ثلاثمائة قصر[1].

---

[1] الإدريسي : صفة المغرب ١٢٨ ، التجاني : الرحلة ٥٦ ، ٥٧ ، ١٤١.

ويزداد الحاجة للقصور والأماكن المحصنة عند قلة الأمن ، ففي منطقة الساحل "قصور متفرقة وقرى كثيرة" وقرية برشانة "قرية صغيرة ذات قصور متفرقة" (١)، وفي منطقة الجريد "قرى كثيرة ومنازل وقصور يسكنها قواد بواد" (٢)، أما القصور في المناطق الوعرة والجبال ، فكانت موطناً للبطون والعشائر ، تحتمي بها عند الشدة، وتوضع بها الميرة والمؤن ، مثل قصور بني خزر وبني تطوفت وبني دياب وزناتة .

وتعددت القصور حول المنستير ، وأهمها قصر دويد ، وينسب إلى أحد الصالحين المرابطين في هذا القصر وأقيم لتدعيم المنطقة (٣)، وقصر السيدة أم ملاك (عمة الأمير الزيري المعز) ، وقد أقيم في القرن الثالث الهجري وكان أساسه مسجداً ، ثم أضيفت له أبراج مثمنة ، وعندما دفن الأمير المعز بن باديس عمته السيدة أم ملاك بالقصر تبعه كثير من الناس (٤)، وبنى قصر ابن الجعد أحد أثرياء القيروان ، وله أراض ومنازل ومخازن وبذل في بنائه أموالاً كثيرة (٥).

ويتبع قصر شقانص رباط المنستير مثل القصور السابقة ، وهو على بعد ميلين من المنستير (٦)، ووصفه كثير من الرحالة ، فهو عند البكري (٧): "مشتى عليه قصر كبير محرس ورباط" ويقول عنه ابن حوقل (٨): "حصن منيع وبه .. أمة مقيمة على صيد السمك... وهو قصر عظيم على حافة البحر للرباط والعبادة ، عليه أوقاف كثيرة بإفريقية والصدقات تأتيه من كل أرض" .

ويقع قصر المحرس على هضبة عالية ، ولذلك خلا من المنار ، ويلجأ إليه أهل القصور وقت الشدة ، وقد بنى هذا القصر في عهد الأغالبة واستمر حتى القرن الخامس

---

(١) مجهول : الاستبصار ١٥٤ ، ابن خلدون : العبر ١٢٣/٦ ، ١٣٣ ، ٢٠٣

(٢) الإدريسي : صفة المغرب ١٢٨.

(٣) زبيس : المنستير ٩.

(٤) ابن مخلوف : شجرة النور الزكية ١٩٢/٢ ، ١٩٨ ، ٢٠٣ ، حسن حسني عبد الوهاب : شهيرات التونسيات ٣٩، بسط العقيق ٧٣.

(٥) الإدريسي : صفة المغرب ١٢٦ ، المالكي : رياض النفوس ٧٠/٢ ، ٧١

(٦) الإدريسي : صفة المغرب ١٢٦.

(٧) البكري : المغرب ٨٤.

(٨) ابن حوقل : صورة الأرض ٧٥.

الهجري ، ووصفه التجاني بقوله (١): "وانتهى بنا السير إلى المحرس ، وهو قصر قديم البناء سام للسماء ، ينسب بناؤه إلى ابن الأغلب ، وإلى هذا الحصن يلجأ جملة من أهل تلك القصور إذا وصل إليهم عدو واضطروا إلى القتال "

ومن أشهر قصور الأغالبة قصر الطوب ، يقع على بعد خمسة كيلو مترات من سوسة ، وبنيت به عدة غرف لنزول العبّاد والصالحين ، ويرجح أنه بني سنة ٢٤٠هـ/٨٥٤م، وله باب مجلد بالحديد ، ولا يفتح إلا بعد طلوع الشمس (٢)- عادة جميع القصور والربط – وله مسجد وبرج مرتفع يطل على البحر ، ورابط فيه جملة من العباد منهم : أبو عثمان سعيد بن اسحاق الكلبي ، وأبو يونس المتعبد ، وجبلة بن حمود، وصدقة الضرير المتعبد (ت ٣٠٤هـ/٩١٦م) (٣).

أما قصر أهرقلية فيقع قرب سوسة (٤)، وأصله "قرية كبيرة على سفح على البحر"(٥)، وبنى أحد أفراد الأغالبة قصراً ، ويعرف بقصر ابن عمر الأغلبي ، نسبة إلى الأمير إبراهيم بن حبش بن عمر بن الأغلب، وكان تقياً ذا مروءة ، واختار حياة الزهد، وقصده العلماء والزهاد، فيرحب بهم (٦)، ووجدت قصور أخرى في المناطق الزراعية حول المدن مثل: قصر طبنة ، وقصر نفطة " قصران عامرن " في جهات مدينة صفاقس (٧).

ويشتمل محرس بطوية على منارة يصعد إلى سطحها بواسطة درج من مائة وست وستين درجة (٨)، ومحرس جبلة (٩)، وأبي الغصن ومقدمان (١٠)، واللوزة والريحانة (١١)،

---

(١) الرحلة ٨٥.

(٢) حسن حسني عبد الوهاب : ورقات ٨٨/٢ ، ٨٩.

(٣) الدباغ : معالم الإيمان ٢٥٦/٢، الإدريسي : صفة المغرب ١٢٥.

(٤) الإدريسي : صفة المغرب ١٢٥.

(٥) التجاني : الرحلة ٩.

(٦) البكري : المغرب ٨٣، ابن عذارى : البيان المغرب ١٩٢/١، ١٩٥.

(٧) التجاني : الرحلة ٦٨، ٨٤.

(٨) البكري : المغرب ٢٠.

(٩) الإدريسي : صفة المغرب ١٢٦.

(١٠) البكري : المغرب ٢٠.

(١١) الإدريسي : صفة المغرب ١٢٦ ، البكري : المغرب ٢٠.

كما أقيمت قصور أخرى في العصر الأغلبي مثل قصر أقليبية [١]، وقصر المدفون [٢]، وقصر القورتين ، وقصر سلقطة [٣]، وقصر قبوذية [٤]، وقصر الحرف ، وقصر الروم [٥]، وقصر قابس [٦].

ويعد البكري والإدريسي أكثر من اهتم بقصور المغرب فذكر منها : قصر مرسى الوادي، وقصر ترشة داود، وقصر صوفين، وقصر جلة، وقصر جردان ، وقصر جهم، وقصر قربص، وقصر النخلة ، وقصر مجدونس وقصر قاساس، وقصر قزل ، وقصر صالح ، وقصر ابن عيشون، وقصر زجونة ، وقصر بني مأمون وقصر بني خطاب ، وقصر الزارات ، وقصر بني ذكومين ، وقصر الهري ، وقصر جرجيس ، وقصر شماخ ، وقصر ينقه [٧]، وقصر جبل التوبة [٨]، وقصر بطرية [٩]، وقصر تنيدة[١٠]، وقصر جمة [١١]، وقصر قربة [١٢]، وقصر بنزرات [١٣]، وقصر نوبة [١٤]، وقصر قرطاجنة [١٥]، وقصر أبي مروان وقصر لبنة ، وقصر سعد، وقصر توسبهان، وقصر نايل [١٦]، وقصر الخياط [١٧]، وقصر الحمامات [١٨]، وقصر المرصد ، وقصر المرابطين وقصر الديماس [١٩]،

---

(١) ابن سعيد : بسط الأرض ٧٧.
(٢) الإدريسي : صفة المغرب ١٢٤ ، التجاني : الرحلة ١٨.
(٣) البكري : المغرب ٨٤.
(٤) البكري : المغرب ٨٥، الإدريسي : صفة المغرب ١٢٦.
(٥) البكري : المغرب ٨٥ ، الإدريسي: صفة المغرب ١٢٦.
(٦) التجاني : الرحلة ٩٤.
(٧) الإدريسي : صفة المغرب ١٢٤، ١٢٧.
(٨) البكري ٣٩ .
(٩) البكري ٢٠ .
(١٠) الإدريسي ١٢٧.
(١١) معالم الإيمان ١٣٣/١ ، رياض النفوس ٣٣٤/١.
(١٢) الإدريسي : صفة المغرب ١٢٥.
(١٣) البكري : المغرب ٥٧ ، الإدريسي: صفة المغرب ١٢٤.
(١٤) الإدريسي : صفة المغرب ١٢٤.
(١٥) البكري : المغرب ١١٨
(١٦) الإدريسي : صفة المغرب ١١٨، ١٢٥
(١٧) المصدر السابق ١١٨ – ١٢٥.
(١٨) رياض النفوس ١٢٧/٢ ، البيان المغرب ١٠٥/١.
(١٩) الإدريسي : صفة المغرب ١٢٥ .

وقصر العالية ، وقصر مليان ، وقصر قناطة [١]، وقصر قرية أجاس من قرى المغرب الأدنى ، يقول التجاني: "رأيت بها مسجداً ، يذكر أهلها أنه له فضلاً مشهوراً عندهم، وقد ظهر بعض زهادهم به الاغتباط، فلازم به الرباط" [٢].

وتدل أوصاف القصور والحصون أنها كانت في بسيط زراعي ، أو أنها قرى محصنة ، وهذه جملة من أوصاف الجغرافيين لبعض القصور والحصون :

*** القصور**

١- قصر الإفريقي [٣] : على شرف من الأرض ذات مسارح ومزارع كثيرة، بقربه وادي خصيب.

٢- قصر ابن سنان[٤]، الازداجي : قريب من وهران ، به سوق ويسكن بجواره أزداجة وحوله بساتين كثيرة على نهر كدال.

٣- قصور قفصة[٥] : قصور قائمة معمورة، يُزرع بها ضروب الغلات؛ ولها أسواق عامرة ومتاجر كثيرة وصناعات، ويطيف بها النخل.

٤ - قصر عبد الكريم[٦]: به أسواق والأرزاق به كثيرة، والرخاء به شامل.

*** الحصون:**

١- حصن برفجانة[٧]: حصن تاهرت، فيه الثمار والسفرجل.

٢- حصن تامغيت[٨]: مبني بالطوب ، على نهر شلف، وله ربض وسوق، ويسكنه بنو دمر من زناتة.

---

(١) الإدريسي : صفة المغرب ١٢٦ .

(٢) التجاني : الرحلة ١٨١.

(٣) البكري: المغرب ٥٣.

(٤) البكري : المغرب ٧١.

(٥) الإدريسي : صفة المغرب ١٠٤.

(٦) الإدريسي : صفة المغرب ١٢٠.

(٧) البكري : المغرب ٦٦.

(٨) السابق ١٤٣.

٣- حصن إيزمامة[١]: له سوق وفنادق، وتسكنه لواتة ونفزاوة.

٤ - حصن يرارة [٢]: تحسن فيه الغنم وصوفها من أجود الصوف، ويكثر حوله الصنوبر والأرز والبلوط، وهو حصن عامر آهل بالسكان، وبه جامع وسوق .

٥- حصون نفيس[٣]: حولها الحنطة والفواكه، وتباع بأسعار رخيصة، وبها قلاع وحصون فوق نيف وسبعين حصناً.

٦- حصون نفوسة[٤]: حولها النبات أبداً مخضراً، ففيه التين والعنب والجوز واللوز والقصب ، وقد بلغت القلاع والحصون حوالي واحد وسبعين ، وأحصنها حصن تانملت.

٧- حصن أشير[٥]: حسن البقعة كثير المنافع ، وله سوق في يوم معروف.

٨- حصون تاكلات[٦]: مطل على وادي بجاية، به فواكه ولحوم كثيرة رخيصة، وبساتين وجنات ، وبه سوق دائمة الفواكه ، وفي وسط الحصون قرية وافو[٧].

٩ - حصن بكر[٨]: على مراع ممتدة ، فيه سوق وبيع وشراء.

١٠ - حصون تاورت[٩]: على نهر، وشرب أهلها من العيون ، وبجوارهم فحص وحصن وسوق الاثنين، وحصن الناظرو السقائف وسوق الخميس، وحصن تاملكانت، وقصر عطية، وسكن في هذه الحصون وحولها العرب .

١١- حصون ملول[١٠]: حوله مزارع وغلات، جمة، ويرصد هذا الحصن العرب.

---

[١] السابق ١٤٣.

[٢] البكري : المغرب ١٤٧.

[٣] الإدريسي : صفة المغرب ٦٣.

[٤] السابق ٦٣.

[٥] السابق ٨٥.

[٦] السابق ٩٢.

[٧] السابق ٩٢.

[٨] السابق ٩٣.

[٩] السابق ٩٤.

[١٠] السابق ٩٣.

١٢- حصن باديس [١]: أسفل الأوراس ، حسن عامر بأهله، والعرب تملك أرضه ، وتمنع أهله من الخروج.

١٣- حصن تالة وبني زندوي[٢]: يعمرهم أهل تلك النواحي ، ولهم منعة وحصانة ، وسوقهم يوم الجمعة

١٤- حصن بسكرة[٣]: حصن منيع في كدية تراب عال ، به عمارة وسوق كبير .

١٥ - حصن سطيف[٤]: كثير المياه، كثير الشجر المثمر والفواكه والجوز، ويصدر منه الجوز للأقطار، كبير القطر كثير الخلق.

١٦- حصون بلزمه وبشر بن أرطأة[٥]: لها ربض وسوق عامرة وعمارات ، وأهله في عزة ومنعة.

١٧- حصون جبل زغوان[٦]: وهي حصون الجوازات وتيفاف والقيطنة، في خصب ولهم مواش وأبقار وأغنام وبغال، وعمّرها قبائل من البربر ، وهم أهل هذه النواحي ، وعندما دخل العرب إلى المغرب تغلبوا على المنطقة.

* القلاع:

١- قلعة مهدي[٧]: حولها مزارع وغلات وبقر وغنم وأحوال واسعة، ولها عمارات وأسواق ، ويسكنها بطون من زناتة .

٢- قلعة كرقطة[٨] : تطل على نهر ايتاون، وبها زرع مثل القمح والشعير كثير جداً ، وبها سوق، وبجوارها حصن تابريد المنيع.

---

(١) الإدريسي : صفة المغرب ٩٣.

(٢) السابق ٩٥.

(٣) السابق ٩٥.

(٤) السابق ٩٨.

(٥) السابق ٩٨.

(٦) السابق ١١٩.

(٧) السابق ٧٦.

(٨) السابق ٧٩.

٣- قلعة بن حماد[١]: أعم المناطق فواكه وخصباً ، وحنطتها رخيصة ولحومها طيبة، وأغزرها خيراً وأوسعها أموالاً، وأحسنها قصوراً ومساكن.

٤- قلعة ترنانة[٢] : بها مياه كثيرة، وحولها جنات وكروم ، ويقام بها سوق عامر.

٥- قلاع أجر سيف[٣] : يتبع قرية أجر سيف حصن وقلاع جارة ، قريبة من نهر ملوية، يأتيها من مطغرة.

٦- قلعة جرماط[٤]: قريبة من وادي سبو، بها أسواق ، ويسكنها قبيلة مطغرة ، استقر بها راوي ابن أخت موسى بن أبي العافية.

❀ ❀ ❀

---

(١) السابق ٨٦.

(٢) السابق ٨٠.

(٣) البكري : المغرب ٨٨.

(٤) السابق ١٤٢.

(٥) الربط

الرباط مكان المجاهدين المرابطين على الثغور لإرهاب العدو، وكانت ثغور المغرب على السواحل وفي الداخل، وأجاز الإمام مالك خروج الرجل بأهله إلى الربط، وقد يطلق عليها المسارح [١]، أو القصور [٢]، أو الحصن[٣]، أو المحرس[٤].

ومثلت الربط والقصور والمحارس حياة نشطة لجماعة من أهل المغرب، وكان الأساس في حياة أهل هذه المراكز العمرانية قائمة على: الاكتفاء الذاتي والتعاون على البر والتقوى، فاشتغل بعضهم بأصناف الحرف والصناعات و التجارة فعمل حمديس القطان مشاركة مع عبد الجبار بن خالد في القطن بسوق الأحد[٥]، ولزم عبد الله بن محمد العتمي حانوتا لبيع الفخار[٦]، وعمل مروان به شحمة البلوى في صناعة الطوب[٧]، وبعضهم عمل في أفران الجير ومصانع الفخار والأجر والزيت[٨].

وكان العمل الزراعي أنسب أعمال المرابطين لأنه عمل موسمي، ثم بعد ذلك يتفرغون للعبادة والجهاد، و بنيت الربط والمحارس في الأراضي الخصبة الوفيرة المياه كالأودية مثل وادي جربة حيث زرع فيه المرابطون الزروعات على جانبيه[٩]، وحبست الأراضي على الربط والمحارس، وانتفع المرابطون بزرعها، وكانت أكثر الغلات المزروعة الحنطة والشعير والفواكه[١٠].

---

[١] اليعقوبي : فتوح البلدان ٢١١/١.

[٢] الدباغ : معالم الإيمان ١٣٣/٢.

[٣] المالكي : رياض النفوس ٣٣٥/١.

[٤] الكندي : الولاة والقضاة ١٥٥.

[٥] الدباغ : معالم الإيمان ٢٠٢/٢، تراجم أغلبية ٢٩٦.

[٦] تراجم إغلبية ٤٠٣.

[٧] الدباغ : معالم الإيمان ١٠٥/٢.

[٨] بروفنسال : المدن المغربية في العصر الوسيط ٩٨.

[٩] التجاني : الرحلة ١٣٣.

[١٠] الإدريسي : صفة المغرب ١٠٨.

ومن عادة أهل الربط تخزين الغلات ، ففي رباط المنستير وجدت مخازن مملوءة قمحاً وشعيراً ، ينفق على أهل الرباط المستقرين ، ويعطي منها للمرابط الذي يأتي أياماً معروفة في السنة[1].

ومع تكاثر أهل الربط والمحارس يتوسع حولها وتـزرع الأرض وتُبنى الدور مثلما حدث في قصر المنستير الذي امتلأ بالمرابطين ، بلغوا أربعة آلاف مرابط بين عالم وزاهد وصالح "ولما ضاق القصر على سكانه أضيفت الأراضي التي حوله ، فبنى المرابطون دوراً حوله وغرسوا الأراضي التابعة للانتفاع بها[2]، وكان الإمام سحنون يحمل المحراث على كتفه متجهاً إلى الحقل وأمامه زوج البقر ومن ورائه طلبته ينتظرون فراغه من الحرث لتعليمهم[3].

وكثرت الربط في مناطق السواحل الصالحة للزراعة حتى وصلت إلى عشرة آلاف رباط من الحجر الصخر وأبواب من حديد [4]، وإن بدا هذا العدد مبالغاً فيه، إلا أن المسلمين استخدموا الحصون والأبراج البيزنطية الموجودة ، وبنوا رُبطاً أخرى [5]، حتى إن الطريق من "صفاقس إلى موضع يقال بنزرت مسيرة ثمانية أيام ، وفي جميع المراحل حصون متقاربة ينزلها العُبّاد والمرابطون" [6].

وانتشرت الربط في المغرب الإسلامي كله ، ففي أفريقية أقام جماعة من العرب من ولد جابر بن عبد الله سنة ٥٣هـ/٦٧٢م محرس الأنصار ، وبنوا فيه جامع الأنصار [7]، ورباط رادس أقام فيه العلماء لحماية قرطاجنة والساحل من غارات الروم، وكانت بجواره دار صناعة للسفن [8]، وأشهر الربط في أفريقية هو رباط المنستير ، ويقع في الشريط

---

(1) محمد بن مخلوف : شجرة النور الزكية ١٩٣.

(2) تراجم أغلبية ٤٠٦، ٤٠٨.

(3) المصدر السابق ٩٧، المالكي : رياض النفوس ١/١٨٥.

(4) ابن الأثير : الكامل ٦/٢١٣ ، العبر ٦/٤٢٩ .

(5) العبادي : في تاريخ المغرب والأندلس ٢٩٦.

(6) اليعقوبي : تاريخ اليعقوبي ٣٥٠.

(7) البكري : المغرب ٣٨ ، الوزان : وصف أفريقيا ٤٥٤.

(8) ابن عذارى : البيان المغرب ١/١٩ ، بساط العقيق ١٧.

الساحلي المواجه للقيروان [1]، وقد بناه هرثمة بن أعين سنة ١٨٠هـ/٧٩٦م[2]، وضم رباط المنستير عدة قصور منها: قصر دويد ، وقصر السيدة ، وقصر ابن جعد وقصر شقانص[3].

وتعد ربط سوسة من أكبر ربط العصر الأغلبي ، وأهم ربط المغرب عامة ، ووصف البكري [4]، سوسة بأنها" تكثر حولها الربط التي يقيم فيها المرابطون المخصصون للدفاع عنها" ويقول البكري كذلك [5]: "وخارج مدينة سوسة محارس وروابط ومجامع للصالحين ، وداخلها محرس عظيم مسور بسور متقن يعرف بمحرس الرباط ، وهو مأوى للأخيار والصالحين ، داخله حصن ثان يسمى القصبة" . وقد أمر الأمير الأغلبي زيادة الله بن إبراهيم ببناء رباط سوسة سنة ٢٠٦هـ/٨٢١م، وتم ذلك على يد مسرور الخادم كما تشير إلى ذلك الكتابة المنقوشة على لوحة من الرخام أعلى مدخل المنار [6].

ويتبع ربط سوسة قصر لمطة، وهو في الأصل قرية جنوب شرقي المنستير ، على بعد أربعة كيلو مترات [7]، وقد أمر ببناء هذا القصر أحمد بن محمد بن الأغلب سنة ٢٤٥هـ/٨٥٩م ، وممن رابط بهذا الرباط العابد المجتهد في الدعاء والعبادة أبو هارون الأندلسي[8].

وشارك الصالحون والتجار في بناء الربط مثل رباط زياد، ويرجع هذا القصر إلى الفقيه المستجاب عبد الرحيم بن عبد ربه وكان من كبار التجار في سوق البزازين بالقيروان، إلا أنه زهد في تجارته وضيعته، وأراد الخروج الى صقلية إلا أن الإمام سحنون بن سعيد أشار عليه ببناء الرباط بدلاً من الخروج للجهاد قائلاً : "بنيانك لهذا القصر ليكون محرساً

---

(١) البلاذري : البلدان ٢٢٢/١.

(٢) الرقيق القيراوني : تاريخ أفريقية ٢٠٠ ، ٢٠٢ ، الدباغ : معالم الإيمان ٥/١.

(٣) ابن مخلوف : شجرة النور الزكية ١٩٢/٢ ، ١٩٨ ، ٢٠٣، حسن حسني عبد الوهاب : شهيرات التونسيات ٣٩ ، الإدريسي : صفة المغرب ١٢٦ ، المالكي : رياض النفوس ٧٠/٢، ٧١

(٤) المغرب ٨٤ ، وأيضاً ابن حوقل : صورة الأرض ٧٢

(٥) المغرب ٣٥.

(٦) أحمد فكري : مساجد القاهرة ومدارسها – المدخل – ٢٥٢ ، محمد توفيق بلبع : نشأة الرباط وتطوره ٤٧ ، ٤٨ مج٢، جمعية الآثار ، الأسكندرية .

(٧) الإدريسي : صفة المغرب ١٢٦ ، حسن حسني عبد الوهاب : ورقات ١٠٥/٢.

(٨) المالكي : رياض النفوس ٤١٦/١.

للمسلمين وعوناً لهم يلجأون إليه ويرابطون فيه أفضل من سيرك إلى صقلية" [١]، وأنفق الزاهد عبد الرحيم على بناء الرباط وإصلاحه أكثر من اثنى عشر جملاً محملاً بالمعدات والأموال، وبلغت الأموال ١٢٠٠٠ دينار[٢].

أما رباط سهل ، فيرجع إلى سهل بن عبد الله بن سهل القيرياني " [٣]، نسبة إلى قرية قبريان بالزاب [٤]، وكان فقيهاً كثير الأموال والأراضي، وصاحب الفقيه محمد بن سحنون في المرابطة ، وعندما كانا معتكفين قرب قصر الطوب رأى الإمام محمد بن سحنون كدية رمل مشرفة على البحر فقال : "وددت لو بُنيَّ هنا قصر للمرابطة" فرد سهل : أنا أبنيه " [٥]، وتكلف الرباط ١٠٠٠ مثقال ، ولم يرض بمشاركة غيره له، وباع في بنائه حلي زوجته وبناته [٦]، ورابط في هذا الرباط العالم الزاهد يوسف بن نصر ، ودفن بمقبرة مجاورة [٧]، والفقيه يوسف بن مرور ، وبه دفن [٨].

ورباط طارق يقع على ساحل البحر قرب سوسة ، وله برج عالٍ يُرى من مسافة بعيدة في البحر، ونسب إلى رجل يُدعى طارق، ولا يُعرف عنه أكثر من اسمه الأول ، وأنفق على الرباط من ماله وأرضه ، وسكن فيه مع أسرته ، وتردد على الرباط بعض الأدباء [٩].

أما ربط ساحل المغرب الأوسط فكانت أقل من ربط المغرب الأدنى ، وامتدت الربط على طول الساحل الشمالي الجزائري من مرسى القالة على الحدود الأفريقية إلى مرسى الغزوات في المغرب، ومن ربط المغرب الأوسط رباط بونة أو عنابة [١٠]، ورباط مدينة

---

(١) المالكي : رياض النفوس ٣٢٧/١.
(٢) عياض : ترتيب المدارك ٩٩/٣، التجاني : الرحلة ٦٧ ، السراج : الحلل السندسية ٣٢٣.
(٣) الدباغ : معالم الإيمان ١١٢/٢ ، الخشني : طبقات علماء إفريقية ١٣٤ ، ترتيب المدارك ٩٤/٣ ، ٩٥.
(٤) حسن حسني عبد الوهاب : ورقات ١٣٥/٢.
(٥) معالم الإيمان ١١٢/٢ ، الخشني : الطبقات ١٣٤.
(٦) عياض : ترتيب المدارك ٢٧٤/٢.
(٧) الدباغ : معالم الإيمان ١٥/٣.
(٨) عياض : رياض النفوس ٤٨/٢.
(٩) المالكي : رياض النفوس ١١٠/٢ ، التجاني : الرحلة ٣٨ ، ٣٩ .
(١٠) ابن حوقل : صورة الأرض ٧٥ ، ٧٦ ، البكري : المغرب ٥٥.

أرزوا القريبة من مدينة مستغانم وبقرب مدينة أرزوا جبل عليه رباط وثلاث قلاع[1]، ورباط ندرومة ويقع على وادي ماستين على ساحل البحر المتوسط[2]، ورباط مرسى مغيلة[3]، ويقع على ساحل البحر ، ويسكنه الصالحون ، وحوله زراعات لكثرة المياه حوله ، وبينه وبين قصر الفلوس خمسة وثلاثون ميلاً [4]، ورباط شرشال قرب مدينة شرشال ، وكان مقصد الصالحين كل عام [5]، ورباط بجاية والحمراء [6].

وكثرت الربط في المغرب الأقصى على سواحل البحر المتوسط والمحيط الأطلنطي، لرد غارات النورمان قراصنة الشمال ، وجهاد تجمع برغواطة وأهم ربط المغرب الأقصى هي : رباط أصيلا ، وكان المكان في الأصل قرية غرب طنجة ، وتبعد عن البحر نصف ميل [7]، وسكن الموضع جماعة من لواتة ، ثم كتامة التي مصرت المكان وبنت فيه جامعاً كبيراً [8]، ثم استقر بها القاسم بن إدريس ، فبنى سورها ومصَّرها ، وأصبحت مدينة عامرة[9]، وأقيم في القرن الثالث رباط أصيلا لرد غارات النورمان ، ولشهرة الرباط بالزراعة كانت تقوم فيه سوق جامعة ثلاث مرات في السنة [10]. أما رباط تازا ، فيعني بالبربرية "الصخرة" ، ويقع شرق فاس بمقدار ١٢٧كم ، في منتصف الطريق الواصل لوجدة، وهي مدينة حربية منذ القديم [11].

وعرفت مدينة نكور برباطها ، وهو أ شهر ربط المغرب الأقصى ، ويقع على ساحل البحر عند مصب نهري : نكور وغيس غرب مدينة مليلة [12]، وكانت مدينة نكور قد

---

(1) البكري : المغرب ٧٠.
(2) البكري : المغرب ٨٠ ، الحميري : الروض المعطار ٥٧٦.
(3) البكري : المغرب ٨٠ ، الحميري : الروض المعطار ٤٠٤.
(4) الحميري : الروض المعطار : ٤٧٢.
(5) البكري : المغرب ٨٢.
(6) الجيلالي : تاريخ الجزائر العام ٦٤.
(7) ابن عذارى : البيان المغرب ٣٣١/١.
(8) الإدريسي : صفة المغرب ٥٧ ، ابن عذارى : البيان المغرب ٣٣٢.
(9) البكري : المغرب ١١٣
(10) ابن عذارى : البيان المغرب ٣٣١.
(11) ابن الخطيب : تاريخ المغرب في العصر الوسيط ٢٠٦ حاشية ، السيد سالم : المغرب الإسلامي ص٨٧ ، كتاب الشعب رقم ١٣٨.
(12) ابن خلدون : العبر ٢١٢/٦، البكري : المغرب ٩١ ، أحمد المكناس : المدن المندرسة الإسلامية في شمال المغرب ٢٠٨.

تعرضت سنة ٢٤٤ هـ/ ٨٥٨م لغارة نورماندية ، وعاثو فيها فساداً ، وأقاموا بها ثمانية أيام[١]، وعنى بنو صالح بهذا الرباط وأقاموا به مسجداً بمارسة [٢]، سنة ٢٦٣هـ ، كان يقوم بمهام الرباط، لأن مساجد الساحل بمناراتها العالية تقوم مقام الربط [٣].

وأقيمت في مدينة شالة "سلا" رباط "وهو رباط يرابط فيه المسلمون ، وعليه المدينة المعروفة بسلا القديمة" [٤]، وتقع مدينة سلا على وادي أبي الرقراق ، وفي سلا عدد كبير من الربط يجتمع عدد كبير من المرابطين لحرب برغواطة [٥]. وبني الأدارسة رباطاً في مدينة وليلي ، ودفن به إدريس بن عبد الله [٦].

وأقيمت الربط على ساحل المحيط الأطلسي ، ومنها رباط جوز عند مصب وادي تنسيفت [٧]، وكان هذا الرباط مركزاً تجارياً مُهماً تقصده السفن ، وبنى رباط تيط نفطر على ساحل المحيط الأطلسي لجهاد برغواطة ، وبجوار مراكش رباط تاسماط [٨]، ورباط في جهات فاس [٩]، ورباط في أحواز نفيس أنشأه وجاج بن زللوا اللمطي[١٠]، ورباطات في بلاد السوس [١١]، ورباط هرغة في بلاد السوس [١٢].

ويعد رباط عبد الله بن ياسين أشهر الربط المغربية على الإطلاق ، و عندما تجمع في هذا الرباط مع عبد الله ابن ياسين نحو ألف من المرابطين في رباط السنغال، بدأ ابن ياسين دعوته في نشر الإسلام ، حتى أصبح المرابطون قوة سياسية كبيرة في المغرب والأندلس [١٣].

❀ ❀ ❀

---

(١) ابن عذارى : البيان المغرب ٢٤٧/١ ، البكري : المغرب ٩٢ ، المقتبس (ت مكي) ٢٤٩
(٢) البكري : المغرب ٩١
(٣) العبادي : في تايخ المغرب والأندلس ٢٩٣
(٤) ابن حوقل : صورة الأرض ٨٢
(٥) ابن حوقل : المصدر السابق ٨٢
(٦) ابن خلدون : العبر ٣٨٨/٦
(٧) بلبع : نشأة الرباط ٥٤
(٨) التادلي : التشوف ٧٥، ٤٨، ١١٤.
(٩) المصدر السابق ١٠٠.
(١٠) السابق ٨٦.
(١١) البكري : المغرب ٨٦.
(١٢) ابن تومرت : أعز ما يطلب ٣.
(١٣) ابن أبي زرع : الأنيس المطرب ١٠٠، مجهول : الحلل الموشية ٥١ ، حسن محمود : قيام دولة المرابطين ١٠٩.

المبحث الثاني
المرافق والمنشآت
في العمران الريفي

المبحث الثاني

المرافق في المراكز الريفية بالأندلس والمغرب

(١) المساجد في القرى

تعد المساجد أهم المرافق في القرية الأندلسية والمغربية ، ففيه يؤدي الفلاح صلاته، ويتعلم أمور دينه ودنياه، ويفصل فيه في قضايا الفلاحين وفق أحكام الشريعة الإسلامية ، ويتعلم فيه أبناءه القرآن.

وفي المساجد الجامعة بالقرية تقرأ الكتب الواردة من الحاضرة ، وأخبار الانتصارات، وطلب المتطوعة للجيش، ويجتمع في المساجد عمال الضرائب لتحصيلها من الفلاحين، وترسل التحذيرات بالابتعاد عن المذاهب والنرق الممنوعة من الدولة [١]، ويأوي الغرباء إلى القرية، وغالباً ما يجدون المأوي والمأكل [٢].

ويتضامن أهل القرية في بناء الجوامع والمساجد والمصليات ، وتحبس عليها الأحباس للصرف عليها وصيانتها ، فإذا لم توجد أحباس أو لم تكف شئون المسجد جمع من أهل القرية ما يكفي المسجد [٣]. وقد يسيء بعض الفلاحين استخدام المساجد فينزل بها الزروع والحطب ، وقد تدخلها الأغنام وتلوثها [٤]. وإذا تعرض المسجد للتخريب من سيل أو فتن بشرية يقوم الفلاحون بتجديده [٥].

وقد أوردت كتب النوازل العديد من القضايا المتعلقة بمساجد القرى الأندلسية والمغربية ، وشملت أحباس المسجد وأجرة عماله وترميمه ، ومن نماذج هذه النوازل:

*** أحباس المساجد**

إذا ضاقت غلة المسجد المحبسة عليه ، فيبدأ الناظر بإصلاح ما ضعف من بنائه، يتبع ذلك بكسوته ، فإصلاح حبسه [٦]، وهناك مسجد جامع بقرية تهدمت بلاطات داره،

---

(١) ابن حيان : المقتبس (ت شالميتا) ٢٥، ٢٩ ، ٢٣٢، ٢٣٧، المقتبس (ت الحجي) ٢٠٧، ٢٠٨.

(٢) ابن سعيد : المغرب ٢٧٧/١ ، حسين مؤنس : المساجد ٣٤، عالم المعرفة رقم ٣٧ .

(٣) ابن سعيد : المغرب ١٨٦/٢.

(٤) ابن سهل : وثائق في شئون الحسبة ٦٦، ٦٧ المعيار ٤٨٢/٧.

(٥) المعيار ١٥٣/٧، ١٥٤.

(٦) المعيار ١٢٩/٧.

وليس من مستغلاته ما يبني منه بعد نفقات وقيده، وأجرة أئمته وخدمته، وهناك مساجد أخرى قد فضل من غلاتها كثير [1]، وإذا ضاق المسجد الجامع بالقرية عن أهله وعمن يصلي فيه الجمعة، واحتاج أهله إلى الزيادة فيه، و حواليه حوانيت لقوم شتى امتنعوا عن البيع، فكان رأي الفقهاء أن تؤخذ منهم الحوانيت بالقيمة[2]، ووجد مسجد بقرية خلت من السكان إلا من رجل يسكن على ماشيته بعياله ومنْ يمشي بشلغه بفحصها[3].

* **غلات المساجد**

وتتفاوت غلات المساجد في القرى ، فمنها مساجد لا تفي غلاتها بما تحتاج، و منها مساجد تفيض غلاتها عن حاجاتها ، فهذا مسجد غلته زهيدة فيطلب إمامه الزيادة في مرتبه من حبس آخر [4]، وهناك مسجد له غلة واسعة ، وأريد أن يستنفد ما اتسع من غلته في فرشه وزيته وأجرة إمامه وسائر مصالحه[5].

* **مصروفات المساجد**

وهناك مسجد جامع بقرية تهدم حائط قبلته ، ولم يكن له من غلة حبسه ما يكفي لبنائه، وبقرب البلدة قرية خلت وبها مسجد تعطل من إقامة الصلاة فيه، وتداعى للسقوط، فأراد أهل البلدة نقل أنقاضه لبناء مسجدهم[6]، وهناك مساجد في قرى ليس لها إمام ولا مؤذن [7]، ووجد مسجد بقرية له أحباس منها للبناء ، ومنها للحصد والزيت والشمع وقراءة الحديث، تجمع منها وفر بطول المدة، وللمسجد إمام يَسكن بالكراء ، فأراد أن يشتري من الوفر داراً تكون حبساً ليسكن فيها بغير كراء[8]، ووجد مسجد بقرية له حوانيت محبسة

---

(1) ابن رشد : الفتاوى ٣١١/١ رقم ٦٥ ، المعيار ١٣٥/٧٦، ١٣٦ البرزلي : النوازل ٣٨/٤ ب.
(2) عياض : مذاهب الحكام ٣٠٦.
(3) المعيار ١٤٣/٧ ، ١٤٤.
(4) المعيار ٦٩/٨، ٧٠.
(5) المعيار ٤٦٥/٧.
(6) المعيار ١٤٣/٧.
(7) المعيار ١٦٤/٧.
(8) المعيار ١٣٩/٧، ١٤٠، ١٨٤.

عليه، وله أربعة مؤذنين يجري لهم مرتب من غلة حبسه، فتسبب بعض الناس بمن له جاه في الأذان فيه حتى صار المؤذنون سبعة، و ضاقت غلة الحبس عن مرتباتهم[1].

*** مصير المساجد بعد هجرة السكان**

وبنى أحد الفلاحين مسجداً في أرضه ، وحبس عليه أحباساً من أرض وزيتون فانتقل الناس عن الموضع ، ولم يبق به إلا قليل منهم، وأرادوا نقل المسجد إلى موضع يكثر الناس فيه[2]، وتخرب ثلث بناء مسجد في قرية منذ عشرة أعوام، وقد خلت القرية التي يوجد بها منذ ستين عاماً ، وأريد إزالة باقيه ووضعه في مصالح قرية أخرى[3]، وقد يحدث نزاع بين إمام المسجد وأهل القرية، بعد أن يقوم الإمام بتعمير أحباس المسجد ، وأنفق على ذلك ببعض ماله في العمارة[4].

*** تضامن أهل القرية في أجرة الإمام**

ووجد مسجد في قرية خالية ، وله أحباس موقوفة على بنائه وما يحتاج إليه ، وهو على نحو ثلاثة أميال من بلش مشى إليه أهل بلش بدوابهم وهدموا سقفه ، وحملوا خشبه وقرموده لمسجد ربض بلش[5].

وقد يلتزم أهل القرية بأجرة الإمام ، مثلما فعل جماعة بقرية بالبادية التزمت إماماً بأجرة معلومة إلى أمد معلوم ، وفي الجماعة من له بقر وغنم وأولاد يطلبون بالغنم المواضع الخصبة ، فلا يأوون إلى القرية إلا في بعض الأيام، غير أن معاشهم ودورهم بالقرية المذكورة ، ولوازمهم قائمة عليهم من عشر وفطرة، ومغرم سلطان، وعندما طلب منهم نصيبهم من أجرة الإمام رفضوا زاعمين أنهم لا يمكثون في القرية[6].

---

(1) المعيار ٤١/٧ ، ٤١.

(2) المعيار ١٣٦/٧.

(3) المعيار ١٦٢/٧.

(4) المعيار ٣٦٨/٨ ، ٣٦٩.

(5) المعيار ١٤٢/٧.

(6) عياض : مذاهب الحكام ٣٠٤.

* مساجد الجمعة في القرى

وأحياناً يقوم خلاف بين أهل القرى بسبب انقطاع الجمعة عن مسجد عتيق ، مثلما حدث في شرق الأندلس في قرية بين أربع عشرة قرية ، وفي القرية المذكورة جامع قديم، كان أهل القرى المذكورة قد اتفقوا على بنيانه والصلاة فيه لما في ذلك من المنفعة لأهل القرى المذكورة لكونه وسطا ، فصلوا فيه إلى الفتنة البربرية ، ثم انتقلوا من أجلها إلى حصن في أعلى القرى المذكورة فصلوا في جامعه إلى أول الهدنة، ثم انتقلوا إلى القرية على مقربة من الحصن من إحدى الأربع عشرة قرية فصلوا في مسجدها إلى أن تمكنت الهدنة وانصرف الناس إلى أوطانهم في القرى المذكورة، وافترقوا فرقتين : طائفة تصلي في الجامع الحديث الذي في القرية التي انتقلوا إليها من الحصن في أول الهدنة ، واحتج أهل هذه القرية المذكورة بأن قالوا: إن قريتنا فيها ثلاثون داراً ، وإن القرية التي فيها الجامع القديم ليس فيها إلا اثنتا عشرة داراً ، وقال أهل سائر القرى المذكورة : لا تكون صلاتنا إلا في الجامع القديم ، لأنه في قرية وسط القرى ، وقريتكم تبعد عنا ، فذلك من الضرر علينا[١].

* عدم التصرف في أملاك المسجد

والحصر البالية المفروش بها المسجد إذا بدلت بحصر جدد فلا تباع تلك الحصر البالية ، و تبقى حتى يحتاج إليها المسجد أو تنقل لمسجد آخر يحتاجها [٢].

* صومعة المسجد وعدم الضرر بالجيران

وأحياناً تكون صومعة المسجد تكشف بيوت بعض الجيران ، فشكا بعض الجيران من ذلك ، وبخاصة أن الصعود في الصومعة للأذان يتكرر مراراً في كل يوم ، فحكم أن يمنع المؤذن من الطلوع في الجهة التي يطّلع من بعض نواحيها ، ويبنى حاجز في الجهة التي يكشف منها ، وهذا واقع بالأندلس [٣].

---

[١] ابن رشد : الفتاوى ٧٨٣/٢ رقم ١٨٤ المعيار ٢٢٢/١، ٢٢ ، البرزلي: النوازل ٥٧/١ أ ، ٥٧ ب.

[٢] المعيار ١٤٦/٧.

[٣] عياض : مذاهب الحكام ٩١ ، ٩٢ .

* شروط إحداث مسجد جديد في قرية

ولا تخلو القرى من المنازعات والتشاجر ، مثل أهل قرية تشاجر أهلها فأراد جماعة منهم أن يحدثوا جامع [1]، ولم يسمح العلماء بذلك ، وسأل بعض الفلاحين عن القرية التي على أهلها إقامة الجمعة ، مثل قرية أهلها ساكنون في كهوف ومغارات متقاربة ، ولهم فرن لطبخ الخبز وبين موضع البناء والكهوف قريب من الميل وبعضهم يسكن حيث البناء ويريدون أن يجمعوا الجمعة ، بل جمعوا جمعة فتألف العدد مرة ثمانية ومرة عشرة وأخرى عشرون ، واجتمع معهم عدد يسير كالعشرة ، واتخذوا مسجداً ، وكان الرأي أن المعول على عدد التقوى بهم القرية ، وإن كانت القرية قليلة التجمع إلا أن حولها قرى صغاراً ، فاجتمع من تلك القرى إلى هذه القرية حتى صاروا جماعة كبيرة ، فلا يجمعوا حتى يصل بنيانهم الثلاثين بيتاً ونحوها [2]، وكان هناك حصن المسلمين له مسجد قديم داخله ، وخارجه مسجد حديث دعاهم الذين داخل الحصن لإقامة الجمعة في مسجدهم القديم ، وإعطاء الأجرة للإمام إذا لم يجدوا من يقيمها لهم بغير أجر [3].

وهناك قرية في جهة من جهات مدينة تبعد عنها ثلاثة أميال ، ويريدون جمع الجمعة، فأجاز لهم العلماء إن كان فيهم من يحسن الخطبة [4]، أما المساجد في جنوب المغرب والتي لا يحسن أهلها العربية ، فأجاز لهم العلماء الدعاء بالبربرية [5].

❁ ❁ ❁

---

(1) المعيار ١٤١/١ .

(2) المعيار ١٦٦/١ ، ٢٢٣ .

(3) المعيار ٢٢١/١ .

(4) المعيار ١٤٣/١ .

(5) المعيار ١٨٦/١ .

(٢) المنزل الريفي

تميزت دور الفلاحين بالبساطة، وكانت غالباً من طابق واحد [١]، لكنها واسعة لوجود تربية الحيوانات بها وما تحتويه من الزرائب [٢]، وتختلف المنازل لاختلاف أصحابها في المستوى المادي. وكانت لبيوت الفلاحين عرصات تجري فيها الحيوانات والأبقار ، أما بيوت الموسيرين ففيها الجنان والمنيات ووجدت فيها الصهاريج والآبار والسواقي ومساحات شاسعة فيها الأشجار المثمرة والورود ، وأعدت بها المجالس، وتختلف مساحة دار العوام من دار لأخرى[٣].

واستخدم أهل الريف الأندلسي المواد المتوفرة وبأقل التكاليف مثل الطوب المصنوع من الرمل والتراب أو من الرمل والتبن المسحوق [٤]، وكثيراً ما يُقام الأساس من الصخر[٥]، وتستخدم القفاف والفؤوس والمساحي في إقامة البناء [٦]، ويهتم أهل الريف بسقف البناء لوضع أحطاب الحقل عليه ، ولذلك يُسقف بجذوع الأشجار القوية الغليظة[٧].

ويتكون المنزل الريفي من باب خشبي غالباً، ويقفل بضلفتين خشبتين وأحيانا بمزلاج خشبي ويزود بمقرعة (يستخدمها الطارق) [٨]، ثم بعد الباب ممر ضيق يؤدي إلى فناء المنزل وبه يلعب الأطفال وتقضي العائلة أوقاتها إذا كانت مجتمعة في البيت ، وتمارس المرأة فيه أعمالها، ويكون غرفة معيشة خاصة في الصيف [٩].

---

(١) عصمت دندش : الأندلس ٢١٤.

(٢) ابن بسام : الذخيرة ٦٧٧/١/١.

(٣) المصدر السابق ٦٧٧/١/١.

(٤) ابن عبدون : ثلاث رسائل ١١٢.

(٥) ابن مغيث : المقنع ٢١٤، ابن سهل : الإعلام ٥٢٢

(٦) ابن مغيث : المقنع ٢١٥.

(٧) ابن عبدون : ثلاث رسائل ٣٤.

(٨) بلباس : الأبنية الإسلامية ١٢٧.

(٩) المرجع السابق ١٢٧، ديوان ابن قزمان ٥٢٤.

ويعتبر البئر من أهم مكونات المنزل الأندلسي ، فيقوم بحفرها بنفسه أو يؤجر حفاراً متخصصاً للقيام بها، ويستخدم المواد التي لا تتعفن [١]، وهناك نوازل عديدة تخص الآبار ، وتدور حول زيادة مياه الآبار وإضرارها بالجيران أو التنازع على الاستقساء منها إذا كانت مشتركة بين الجارين [٢]، فإذا وهنت البئر حط ذلك من ثمن البيت [٣]، ووجد في قرطبة الآبار الكثيرة ، وكان أهلها يشربون منها المياه [٤]، وغالباً ما تزرع الأشجار بجانب البئر في الريف الأندلسي ، وحدث ذلك في صحن المساجد كذلك [٥].

وتقام في ساحة المنزل الأفران لصنع الخبز، ويراعى صاحب الفرن عدم ضرر جاره بدخان الفرن ، وربما طلب الجار تغيير مكان الفرن لأنه يؤثر على داره فيقلل من ثمنها[٦]، ويوجد في فناء المنزل كذلك المطاحن الثابتة والمتحركة التي يستعملها العوام من أجل طحن القمح ، وهي كثيرة في ريف الأندلس [٧].

ولا يستغني المنزل الريفي – وغيره من المنازل – عن المرحاض، ويقام في أبعد الأركان أو قريب من السلم ، وتكون لها حفرة متصلة بالمنزل ويقوم الكناف بتنظيفها من وقت لآخر[٨].

وإذا احتاج أهل الريف التوسع يبنون طابقاً علويا وتكون غالباً ما تكون مع واجهة المنزل ، ويصعد لها بسلم خشبي وهي تدل على سعة صاحب المنزل ، فقد يزوج فيها ابنه أو يستخدمها في أغراض أخرى [٩].

ويختلف أثاث المنزل الريفي من منزل لآخر حسب الحالة الاقتصادية ، فاستخدم أهل الريف الحصر البلدية والبسط اليدوية على الأرضيات ، أو الفرو المدبوغ ويستخدمون معها

---

(١) ابن العطار : الوثائق ٤٧٣.

(٢) ابن رشد: الفتاوى ٢/١١٩٠ المعيار ٢/٤٠٣.

(٣) ابن سهل : الإعلام ٥٣١/١.

(٤) الهمذاني: مختصر البلدان ٨٨.

(٥) أحمد يوسف : ما خالف فيه الأندلسيون مذهب مالك ٢٠، ٢٢.

(٦) ابن سهل : الأحكام ١/ ٧٩٩ ، محمد عبد الوهاب خلاف: وثائق في شئون الحسبة ٢٨، ١١١.

(٧) ابن سهل ١٢١٢ /١ ٤٤٤.

(٨) صلاح أحمد عيد خليفة : عامة قرطبة ٢٩٧.

(٩) دندش : الأندلس ٢١٤، المعيار ١٢١/٩.

الوسائد والمتكئات المحشوة صوفاً ، وعادة ما يستقبل فيها الضيوف[1]، ويوجد بالمنزل الصناديق لحفظ الملابس [2]، كذلك خزينة الطعام التي تخزن فيها الأطعمة من دقيق وزيت وعسل ، وهي أساسية في بيت الفلاحين لتخزين الحبوب واستخدامها وقت الحاجة[3].

ويوضع في حجرة النوم السرير الخشبي وعليه المرتبة "المطرح "، وعلى المرتبة توضع المفروشات من الآذار والملاءة والوسادة واللحاف المحشو بالصوف أو الكتان، وأحياناً يوضع على السرير حصيراً من الحلفاء أو البردى [4]، فوجود السرير ضروري مهما كان فقر فراشه ويقولون في السرير الخالي " سرير معروف من فوق قالح من أسفل مكشوف" [5].

أما الأثاث المستخدم في الشراب والطعام فمتعدد، فاستخدموا الأوارين أو الزنابيل لحفظ الدقيق والخبز المطبوخ [6]، واستخدم الفقراء المخلاوات لحفظ الدقيق [7]، واستعملوا القصاع أو القصارى لعجن الخبز [8]، وأحياناً توضع فيها لحوم الأضحية[9]، وحفظت المياه في الأزيار والقلال[10]، فقالوا في أمثالهم "ضرب الله الزير بالقلة" [11]، وصبوا الماء بالأباريق ويشربون في الأقداح [12].

أما أدوات المطبخ فهي القدور من الفخار والأطباق والمغارف والملاعق ، والعود لقطع اللحم واللوح يمد عليه الكعك والخبز[13]، والغربال لنخل وغربلة الدقيق ، واستخدموا

---

(1) ابن قزمان : الديوان ٥٦٨، ابن سهل : الإعلام ٣٤٤، ابن بسام : الذخيرة ٥٦٣/٢/٣

(2) ترتيب المدارك ١٥٢/٥

(3) يقول المثل: سوس خير من فلوس" الزجالي : الأمثال ق١ ص١٥١ وهامشها

(4) ابن قزمان : الديوان ٨٦٤ وهامش ٨٦٦، ابن سهل: الإعلام ٣٧٤

(5) الزجالي : الأمثال ق٤٢٧/٢

(6) ابن قزمان : الديوان ٢٢٢ هامش ٥٢٥

(7) ابن بسام : الذخيرة ٧٤/٢/١

(8) الزجالي ق٢ هامش ص ٢٢١.

(9) الزجالي : الأمثال ٧٧٠.

(10) ابن قزمان : الديوان ق٣٧١/٢.

(11) المعيار ١٣٤، ١٣٥.

(12) ابن قزمان : المصدر السابق نفسه ، مجهول : كتاب الطبيخ ٨٤.

(13) ابن قزمان : الديوان ١٦٨، ٥٦٨.

المصفاة المسماة "المبزال" [1]، وتضاء المنازل بمصابيح الزيت ، وهو من نفقة الزوج على الزوجة والأولاد[2].

أما في الريف المغربي فيغلب على أشكال البيوت المغربية [3] أنها مربعة وبها مدخل واحد يتصل بغرفة تحاذيها ثلاث غرف أخرى في باقي الواجهات الداخلية ، ويوجد درج يؤدي إلى الطابق الأول الذي هو صورة طبق الأصل للطابق السفلي حيث الخدم والماشية، ويبني المغاربة بالطابية أو الآجرو الجبص والرخام، وقد يبني المغاربة بالحجارة عند انعدام التراب.

وتدعم السطوح والسراديب بأعمدة، وهي عبارة عن جذوع أشجار مجردة من قشرتها، ويتسع أعلاها لتحمل ثقل الأخشاب العمودية، وتصنع باب الدار المغربية من أخشاب مسمرة في إطار عوارض عمودية ، وقد تنقش عليها رسوم بدائية وتتوسطها مطرقة من حديد على أنماط شتى[4].

وتختلف طرق الحصول على الدور حسب إمكانات الأسر المالية ، فالأسر الموسرة تمكنت من بناء الدور أو ورثتها عن أسلافها ، ولجأت بعض الأسر الفقيرة إلى الكراء، فتذكر النوازل أن رجلاً ابتاع لابنه داراً بثمن وهبه إياه منجم عليه في ثلاثة أعوام"[5]، وقد يشترك رجلان في منزل واحد، وإذا لم يجد مالك المنزل من يكتريه فضل بيعه[6].

وتختلف أشكال الدور حسب المستوى المادي للأسر، وحسب البيئة الحضرية أو البدوية ، ففي المدن تكون دور العائلات الموسرة واسعة مزينة، تحيط بها حدائق ونافورات

---

(1) الزجالي: الأمثال ٣٦٣/٢ ، الأهواني : الزجل في الأندلس ٣٠ ، ابن سهل: الإعلام ٢/٢ مسألة ٣٧٣، ٣٨٤.

(2) الديوان ٥٦٢.

(3) عبد العزيز بن عبد الله: مظاهر الحضارة المغربية ٤٥/٢.

(4) المرجع السابق ٤٦/٢ وما بعدها .

(5) ابن الحاج : النوازل ٣٧ ، بوتشيش : المغرب والأندلس في عصر المرابطين ٣١

(6) ابن الحاج : النوازل ٤٧ ، بوتشيش: المرجع المعيار ٣١.

وبرك، وتنتشر بها الأزهار والأشجار . أما منازل الأسر الفقيرة فاشتملت على حجرات صغيرة وبئر في الوسط وبعض الحجرات العلوية يصعد إليها من درج[1].

وتميز البيت الريفي المغربي بالبساطة ، فبني من الحجارة والطين والخوص والشجر. أما في البوادي فأقام الناس في منازل من الشعر والوبر ، واشتملت هذه المنازل على أثاث متواضع كالسرير[2]، ويستخدم الحطب في التدفئة في الشتاء ، ويضاء البيت بالسراج والمصباح والفنار[3].

وأشارت كتب الجغرافية إلى بيوت المدن والأرياف المغربية ، فمنازل حصن تامغيلت مبنية بالطوب[4]، ومنازل تبسة مبنية بالصخر [5]، وبنيان منازل أغمات وريكة من الآجر والطوب والطين[6]، والمنازل في بني عطوش متصلة عامرة[7]، ومدينة تدلس كثيرة الديار[8]، ومنازل صبرة ورقادة حسنة البناء[9]، ومنازل مدينة البصرة عامرة من كل الجهات[10]، وبيوت هادكيس من الطوب اللبن[11]، وبيوت ودكاكين وجدة حسنة البناء [12]، وبيوت مدينة حنين جميلة منمقة لكل بيت بئر وصحن مزين بالبلاط[13]، ومنازل قصر جيجل جميلة[14]، أما بيوت المسيلة فقبيحة[15]، وبيوت نكاوس من طابق واحد أرضي ، وله

---

(1) عياض : الغنية ٢١٠ حيث ذكر في ترجمة سعيد ابن أحمد السفاقسي (ت ٥٠١) أنه سقط من درج منزله بأغمات.

(2) ابن خلدون : العبر ١١٦/٦.

(3) المقري : نفح الطيب ٤٨٩/٣.

(4) البكري: المغرب ١٤٣

(5) المصدر السابق ١٤٥.

(6) الإدريسي : صفة المغرب ٦٥

(7) المصدر السابق ٧٨

(8) المعيار ٩٠

(9) المعيار ١١٠

(10) المعيار ١٦٩

(11) الوزان : وصف أفريقيا ١١٣.

(12) المعيار ٣٨٤.

(13) المعيار ٣٨٦.

(14) الوزان : وصف أفريقيا ٤٢٣.

(15) وصف أفريقيا ٤٢٤.

حديقة مليئة بالزهور [١]، ومنازل قسنطينة جميلة ومنزلها كبيرة[٢]، وقليل من منازل عنابة تبدو جميلة [٣]، ومدينة تيفش مزدانة بأبنية فخمة [٤]، وبيوت المنستير منمقة [٥]، أما بيوت الحامة فقبيحة [٦].

*** بيع الدور وكراؤها**

واهتمت كتب النوازل بالقضايا المتعلقة بالدور ، فكان هناك من يبيع جزء من داره، مثل الشخص الذي باع اسطوانة داره – الفضاء – بحياطنه المحدقة وباب الدار وعتبته ، وشرط على المشتري ألا يقيم فيما اشتراه طاحونة[٧]، وأحياناً يؤجر المنزل كله سنوياً أو شهرياً حسب الاتفاق بين المالك والمستأجر، وتختلف المنازل حسب موقعها ونظافتها وبنيانها الحديث أو القديم[٨]، فاستأجر ابن قزمان داراً صغيرة متواضعة بربع دينار في الشهر، فأعجبت ابن قزمان لأنها في منطقة هادئة[٩]، وأجرت شقة من دار بنصف دينار مرابطي ، وأجر منزل بخمس دينارات في الشهر، ومنزل أقل منه بدينار مرابطي في الشهر. أما الإيجار السنوي فيتراوح ما بين أربعة دنانير إلى خمسة عشر ديناراً[١٠]. وأحياناً توجد ثلاث أسر في منزل واحد، وأجرت الحجرة بمثقال في السنة[١١].

*** حبس الدور**

---

(١) الوزان : وصف أفريقيا ٤٢٥.
(٢) السابق ٤٢٦
(٣) السابق ٤٣٢
(٤) السابق ٤٣٤
(٥) السابق ٤٥٦
(٦) السابق ٤٦٥
(٧) ابن سهل : الإعلام ٤٧٨/٢.
(٨) الزجالي : الأمثال ٢٥٥.
(٩) الديوان ٥٦٢
(١٠) صلاح عيد خليفة : عامة قرطبة ٣٠٠
(١١) ابن سهل : الإعلام ١٠٢

وحبس بعض الأثرياء – أحياناً – دوراً للفقراء في القرى ، فكان هناك دور قرب المساجد محبسة على الفقراء والضعفاء[1]، ورجل آخر أسكن منزله للفقراء والضعفاء [2].

وسُجّل الإيجار في عقود بين المالك والمستأجر كتب فيه قيمة الإيجار وكيفية قضائها، وما تحتاج إليه الدار من تنظيف ، وإذا انهدم شيء في المنزل على المكتري تصليحها[3].

وتفاوتت أسعار بيع الدور ، فهناك دار بيعت بستين ديناراً، وبيع ربع دار بثلاثة دنانير وستة دراهم، وبيع منزل صغير بعشرين ديناراً [4].

*** مشاكل أسرية بسبب الدور**

وأمتعت امرأة أباها سنين مسميات في دار لا تملك سواها، فقام زوجها ليرد فعلها، و قال: تفويتها للمنافع تفويت للأصل[5]، وأحيانا يقع النزاع بين أم وابنها في عمران دار وبيعها[6].

واشترى رجل داراً لزوجته بمالها، لكن الزوجة لا تعرف هل الدار في يده أم لا؟[7]، وباع رجل داراً بمائة نقداً[8]، وقامت امرأة على رجل وهو غائب بعقد تاريخه رمضان سنة ٤٥٨هـ/١٠٦٥م لها فيه عليه مائتا مثقال وستون مثقالاً ذهباً قرمونية من ثمن دار كان باعها منها، ثم صرفتها عليه بعيوب ثبتت فيها، وأثبت هذا العقد عنده[9].

---

(١) المعيار ٢٢٠/٧.

(٢) ابن رشد : الفتاوى ٨٦٥/٢.

(٣) ابن العطار : الوثائق : ١٩٣، ابن مغيث : المقنع ٢٢٩، ٢٣٠.

(٤) ابن سهل : الإعلام ٤٧٨.

(٥) عياض: مذاهب الحكام ٢٢١.

(٦) ابن سهل : الإعلام ٤٨٢/١.

(٧) السابق /٣٧٩.

(٨) ابن رشد : الفتاوى ٩١٨/٢، المعيار ١٩٧/٦، الوزاني : النوازل الجديدة ١٨/٦، ابن سلمون: العقد المنظم ١٩٩/١، ٢٠٠.

(٩) ابن سهل : الإعلام ٤٤٨/١.

* **هبة الدور**

وهناك من وهب نصف دار، ثم سكنها مع الواهب والموهوب له [1]، وكذلك وهب لرجل داراً ثم أعمرها الواهب بعد أشهر يسيرة، ولا تكون مثلها حيازة، ثم علم أن ذلك مما يبطل هبته، فأراد إبطال العمرى وقبض الدار[2]، ووهب أب لابنته نصف دار [3]، وهناك رجل أنكح ابنته رجلاً ونحل الأب ابنته عند عقد نكاحها بفضاء عينه وأوقف البينة على حدوده، وشرط عليه الزواج أن يبني فيه لابنته داراً على صفة تواصفاها [4].

* **كراء الدور**

وهناك من اكترى داراً في ألمرية مشاهرة كل شهر بكذا دينار، فتحولت السَّكْة إلى سكة أحسن من التي وقع العقد بها، فسكتا جميعاً حتى مضى أمد، واختلفا :هل يسدد المكري للمكتري في السكة القديمة أم الجديدة ؟ [5].

وفي القيروان اكترى رجل من رجل داراً لعشر سنين لعدد معلوم دفعه إليه، وسكن الدار مدة، ثم أراد شراءها من صاحبها [6]، وفي الأندلس اكترى رجل داراً بربض الرصافة من ابنة أخته، وادعى أنه قضاها جميع كرائها إلى أن خرج عنها، وأن له قبلها عشرة مثاقيل سلفاً[7].

* **التعدي على أهل الدور**

ولا تخلو القرى من تعديات أهل الفساد على الدور وأصحابها مثلما وقع من أناس من أهل الفساد وشرب الخمر والعباثة يعرفهم الناس، بكسر باب دار رجل، وهجموا على

---

(1) ابن سهل ٦٨٥/٢.

(2) السابق ٦٨٥/٢.

(3) السابق ٦٨٥/٢

(4) عياض : مذاهب الحكام ٢٢٠.

(5) ابن سهل : الإعلام ٣٩٠.

(6) السابق ٣٨٤/١.

(7) ابن سهل : الإعلام ٥٧٩/١.

عياله، و انهبوا ما في الدار ، وضربوا أحد أهلها حتى أشفى على الموت[١].

*** البيع المشروط للدار**

وهناك من يبيع داراً ويشترط على المشتري شروطاً ، ويقع التنازع إذا لم تنفذ الشروط مثل شراء رجل اسطوانة دار ، وعقد الوثيقة عاقد الشروط فكتب: اشترى فلان من فلان من داره بحاضرة قرطبة بحومة مسجد كذا، وحدها كذا، جميع اسطوانة هذه الدار المكشوفة الأعلى بقاعة هذا الأسطوان وحيطانه المحدقة به من جهاته الأربع مع باب الدار والعتبة وما تبقى من جوائز الغرفة التي كانت عليه ، والمدخل إلى ذلك كله، والمخرج عنه على باب الدار، على أن يقلع البائع باب الفصيل الذي كان يفضي منه إلى الدار المحددة، ويبني البائع الفصيل بنياناً حسناً بالطوب بعد أن يجعل له أساساً مما يصلح له، وشرط البائع على المشتري ألا يجعل في هذا الأسطوان طاحونة يطحن عليها، كما يطحن على الطاحونات، و على ذلك انعقدت صفقة التبايع ، ثم إن المشتري جعل في الاسطوانة طاحونة، فقام عليه البائع في ذلك عند صاحب السوق[٢].

*** النزاع على ملكية الدور**

ووقع تنازع بين شخص يدعى ابن البراء وابن أخيه أحمد في الدار التي كانت ملكاً للبراء ، وذكر ابن أحمد : أن عمته أخذت من أبيه أحمد ثلاثمائة دينار ، ورهنت بذلك الدار، وأنكر ذلك ابن البراء، وذكر أن الذي باعت أخته لمغرم السلطان لسبب اعترض فيه، وهذه الدار صيرتها إلى أخيها ، لأنه شقيقها ، وادعى رهنا لم يصح[٣].

وتنازعت سيدتان في دار ادعتها إحداهما لنفسها ، وادعتها الأخرى لأمها، وأنها توفيت وأوصت بثلثها فيها، واختلفت الشهادة بينهما[٤]، وكان لورثة رجل يدعى خلف بن سعيد دار ، وبعضهم فيها وبعضهم خارج عنها ، فأراد الخارجون عنها تسويقها وبيعها،

---

[١] السابق ٢/٨٥٠.

[٢] ابن سهل: الإعلام ٣٤٩/١

[٣] السابق ٥٤٣/١

[٤] السابق ٤٤٧/١.

وقالوا: لا يمكن تسويقها إلا بإخلائها، ودعا ساكنوها إلى غرم كرائها على الإباحة للتسويق ، فأبى ذلك الخارجون عنها [١].

وأثبت عبد الله بن أصبغ موت زوجه عائشة بنت مُهنا ، وعدة ورثتها وهم عبد الله وزوجها هذا القائم ، وأخوها لأبيها عبد الملك بن مُهنا الغائب بالمشرق ، وفاطمة الحاضرة ، وأثبت للميتة زوجه شركاً في دار مع أخيها الغائب وأختها الحاضرة، وأنها أوصت بثلثها لها[٢].

*** إضرار الجار في داره**

وغرس رجل ورداً في جنانه بفناء دار رجل تجاوره واستغله زماناً ، فقام صاحب الدار يطلب زوال الورد لضرره بجداره وقيمة ما اغتل[٣]. واشترت امرأة قطيعاً من دار زوجها ، وفي الكتاب حدود الدار وموضعها ، وما شهد به الشهود في ذلك الكتاب وقبولها لشهادتهم، وما ألفيت من تقديم الشراء لتاريخ الارتهان الذي قام به عندك مرتهن الدار [٤].

*** الاختلاف في ثمن دار**

وباعت امرأة داراً لرجل بأحواز قرطبة بستين ديناراً ، وأنها أقبضته الدار ، ولم تقبض منه الثمن ، ولكن الرجل قال: إنه اشترى منها ربع الدار بثلاثة دنانير وستة دراهم من أربع عشرة سنة ، ولم يجر بينه وبينها في ثلاثة أرباع الدار مبايعة ، وأن الثلاثة الأرباع لم تزل بيد الرجل وفي ملكه[٥].

*** النزاع في مرافق الدور**

وذكر أحد الشهود للقاضي في الأندلس أنه دخل دار رجل يدعى عمر بن عامر ، فنظر إلى كوة لمجرى ماء دار عمر على دار زكريا أدل على أنها قديمة، ولم ير في الدار كوة يجري ماء دار عمر بن عامر سواها ، ولا مصباً لماء داره إلا تلك الكوة، ودخل الشاهد

---

[١] السابق ٥٣٣/١

[٢] ابن سهل : الإعلام ٤٤٥

[٣] ابن رشد: الفتاوى ١٦٠٤/٣ رقم ٦١٨ ، البرزلي : النوازل ٢٠٦/٢أ ، ٢٠٦ ب

[٤] ابن سهل : الإعلام ٣٧٦ ، ٣٧٧

[٥] السابق ٣٧٧/١

دار زكريا فنظر إلى حفرة الفرن المحدث قبالة الكوة التي نظر إليها في دار عمر، وبان له أن الماء إذا استنقع في تلك الحفرة أضر ببئر دار عمر لقرب ما بينهما، وأن دخان الفرن المحدث وشرره وحره مضر بعمر في داره(1).

* شراء الدور والاختلاف على عيوبها

اشترى رجل من امرأة داراً بداخل قرطبة بحومة مسجد عباد التي ابتاعها من المرأة بـ٢٨٠ مثقالاً ذهباً قرمونية، وقبضت المرأة من الثمن ثمانين مثقالاً، وتبرأ للرجل من قدم البنيان ووهن الأسس، غير أن الدار وجد بها عيوب في الحيطان والأسس(2)، وقد يحدث أن تطل شجرة قديمة على دار ، وتضر بأهلها فيجب على صاحبها قطعها(3).

* عيوب الدور

وقد ذكر الفقهاء أن العيوب التي ترد بها الدور ثلاثة أقسام: قسم لا ترد بها الدار، ولا يرجع المشتري من أجله بشيء لخسارته ، والثاني عيب لا ترد بها الدار ، ولكنه يرجع على البائع بقيمة العيب كصدع الحائط ونحوه، والثالث: ما ترد به الدار كالعيب الكثير ، وما يخشى منه سقوطها ، أو سقوط الحائط من الصدع الذي فيه(4).

* اختلاف الورثة في وراثة الدور

وإذا مات صاحب الدار تقسم بين الورثة، مثلما حدث مع دار رجل في قرى قرطبة، وأن أحد ابنيه حاضر والآخر غائب بإشبيلية(5).

ووقع في جهات الأشبونة بالأندلس أن رجلاً اشترى ثلثي دار، وسكنها مع زوجه أزيد من ستة أعوام، ثم اشترى بعد ذلك الثلث الباقي لزوجه باسمها، وذكر في العقد أن الدار كلها خلصت لها بتقدم ملكها لسائرها، وتقيد في عقد الإشهاد على الزوج أن ابتياعه ثلثي

---

(1) السابق ٨٢٠/٢

(2) ابن سهل: الإعلام ٤٢٥

(3) السابق ٨٢٤/٢

(4) السابق ٤٣١/١

(5) ابن سهل : الإعلام ٤٤٩

الدار إنما كان لزوجه بمالها وأمرها، وتمادى في السكن في الدار إلى أن توفى فيها، ثم تزوجت الزوجة زوجاً غيره فتوفيت عنها بعد عام، فاختلف ورثتها وورثة الزوج الأول في الدار[١].

وباع زوج لزوجته داراً بخمسة وعشرين ديناراً ، وأشهدت البائعة بقبض الثمن، وحاز المشتري الدار المذكورة، وذلك كله في حال الصحة والطوع والجواز بشهادة عدلين، ثم توفيت البائعة بعد ذلك بنحو أزيد من شهر فطلب ورثتها المشتري بدفع الثمن، وذكروا أن القبض لم يكن بمعاينة الشهود[٢].

*** التعدي على حائط دار الجار**

وكان لرجل دار غاب عنها مدة طويلة ، وله جار يجاوره ، وغرز الجار خشب في حائط من حيطانه، وأضاف إليه بناء معلقاً من الحائط ، وقام صاحب الدار المذكورة، ولم يلبث إلا قليلاً ، وباع داره المذكورة من رجل آخر ، وملكها المبتاع مدة عشرة أعوام، ثم علم بالإضافة ا لمذكورة وأراد هدمها بعد أن أثبت أن الزيادة كانت في غيبة البائع منه[٣].

*** الكوى في البيوت وأثر ذلك على العلاقة بين الجيران**

والكوى قسمان : قديمة ومحدثة ، وقد سأل الإمام سحنون ابن القاسم قائلاً : أرايت لو أن رجلاً بنى قصوراً إلى جنب داري ورفعها عليّ وفتح فيها أبواباً وكوى يشرف منها على داري وعيالي ، فرأى ابن القاسم أن يمنع الجار من ذلك. أما إذا كانت للجار على جارة كوة قديمة أو باب قديم ليس فيه منفعة وفيه مضرة على جاره فلا يجبر على ذلك ، لأنه أمر لم يحدثه عليه وذلك أمر قديم [٤].

ويمنع كذلك مَنْ أحدث غرفة يتطلع منها على اسطوان جاره ، فقد أحدث شخصاً طاقة لغرفته يطلع منها على أسطوان دار جاره أو غرفته ، منع من ذلك من جهة الغرفة

---

(١) ابن رشد : الفتاوى ١٠٩٢/٢ رقم ٣٣٢، المعيار ٤٧٦/٦، ٤٧٨

(٢) المعيار ٧٨/٦

(٣) عياض : مذاهب الحكام ٩٧

(٤) المدونة ١٩٧/٦

يتمكن الإطلاع منها فتسد، ولا يكون سدها إلا بالبنيان وقلع العتبة إذا بقيت في موضعها، وطال الزمان كانت حجة لمحدث الباب فيحتج أنه إنما أبقاها ليحلها متى شاء [1].

وأقام رجل في المغرب [2]غرفة وفتح فيها كوّة يرى منها ما في سقيفة جاره إذا فتح بابه، فهل لصاحب الدار منع هذا ممّا فتح عليه من ذلك وبينهما سكّة نافذة واسعة كثيرة المارة؟ وهل لصاحب الكوّة حجة أن يقول له إنا في النظر والمرور سواء؟ وهل له حجة أيضاً أن يقول له في ذلك : إنا نرى مثلما يرى أصحاب هذه الكوى التي بإزائك و التي تقابل بابك ؟

ورأى الفقهاء أنه يمنع الرجل من أن يحدث على جاره كوّة ينظر منها ما في سقيفة جاره، وليس الكوّة أو الباب سواء، لأنّ الأبواب إنّما تعمل للدخول والخروج [وليس في ذلك بدّ] ، والكوّة لا يتحذّر منها ، وينظرك ولا تنظره ، وكذلك المار يتحذّر منه وبجوازه وسيره لا يتمكّن من النّظر ، والكوّة للقاعد مضرّة كبيرة .

ومثل ذلك حدث في إحدى قرى تونس في رجل كان له مطلع إلى سطح داره وكانت له ستارة تستر المطلع والسطح، فسقطت الستارة، وصار كل من يطلع إلى السطح ينظر إلى ما في دار جاره، فطلب صاحب الستارة أن يعيد ستارته كما كانت. وتداعيا في ذلك إلى القاضي، فلم يجبره على إعادتها، وقال: لا يلزمه ولكن يؤذن إذا صعد إلى سطحه [3].

وزخرت كتب النوازل بمثل هذه القضايا ، مثلما وقع لرجل كان له علو على بعض ملك لشخص آخر، وفي كوّة ينظر منها إلى الشارع، فبنى المالك على باقي ملكه، ورفع بنيانه فسد به كوة جاره، فرفع الجار بشكواه للقاضي، فأخبره أن بنيان المالك علا عليه وسد كوة كانت له في غرفة يشرف منها، وينظر المارة وغيره، فحكم القاضي أنْ ليس للمستأجر أن يمنعه شيئاً مما بنى لأنه عمل ما يجوز عمله [4]، وكذلك بنى رجل غرفة وأحدث فيها كوّة يرى منها سطوح جيرانه، وبعض الجيران يتصرّف في سطحه بالنشير وغيره هل يمنع

---

(1) المصدر السابق ٩٦/٦

(2) المعيار ٤٥٢/٨

(3) ابن الرامي : الإعلان ٧٢

(4) ابن الرومي : الإعلان ٧٤

هذا من فتح الكوّة بسبب تصرّف الجيران في سطوحهم أم لا ؟ فحكم الفقهاء أنه لا يمنـع مـن ذلك أحد.

فإن بنى صاحب السطح علواً ، والطاقة تكشف من في العلو الثـاني، فهل لصـاحب العلو الثاني أن يسد الكوّة على صاحب العلو الأوّل أم لا؟ فحكم أنه لا يسدّها عليه أحد لأنـه سبق بها وحاز منفعتها .

وقد تحدث المشاكل بسبب ما يحدث الناس في كرومهم من الأبـراج، ويتخـذون فيهـا الكوى للفرجة على مواضعهم ويتكشفون منها على مواضـع غيرهم مـن الكـروم والجنّـات ، هل يمنع من اتّخذ ذلك أم لا؟ فحكم الفقهاء : إن كان جناناً فيـه بنـاء محظّـر ، فحكمـه كحكـم الدور ، يسدّ كلّ ما اتّخذ عليها من الكوى ويمنع صاحبها من ذلك. والكروم التي لا بناء فيها ولا تحظير ولا فيها غير الثمار فلا يمنع من اتخاذ الكوى في الأبراج التي تطلّ عليها.

فإن كان للرجل كرم وله فيه برج وبدائر البرج مشبّك كالبناء ، فبنى جاره برجاً فـي كرمه وفتح فيه كوى يتكشف منها على من يكون في الحرم الذي بدائر البرج الـذي لجـاره ، فهل يمنع من ذلك؟ ، فالحكم : نعم يمنع من ذلك، لأنه ستر على نفسه ببناء فيمنع الآخر من أن يتكشف عليه كالدور [1].

فإذا أراد رجل أن يفتح في برجه كوى يتكشّف منها على كروم جيرانه، فلا يمنع من ذلك أحد إلا إذا كـان موضعـاً للسكنى مثل ريـاض أو غيره، وإذا كـان يتكشـف منهـا علـى الكروم التي لا بناء فيها فلا يمنع [2].

وإذا أراد شخص أن يبني على موضـع يشـرف منـه علـى دار الجـيران ، فـإذا كـان الموضع ليس فيه منتفع إلاّ البنيان لم يمنع . وإن كان مزدرعا وكان صاحبه إليـه مضطـراً ، ولم يجد عنه غنى، لم يمنع أيضاً . وإن كان غير مضطر إليه وهو يجد عنه غنى فالرأي أن يُمنع إذا كان مضراً [3].

---

(١) السابق ٧٦

(٢) ابن الرامي : الإعلان ٧٧

(٣) المصدر السابق ٧٨

وإن أراد رجل أن يفتح باباً في زقاق نافذ، فلا يخلو فتح الباب من ثلاث صور[1]:

- إما أن يكون يقابله باب دار لرجل. - أو قرب من باب جاره ليضيق به عليه .

- أو أحدث باباً ولم يكن قبالته باب لآخر ولا قرب من باب أحد . ففي هذه الصورة لا يمنع.

أما من فتح في ناحية من داره حوانيت إلى سكة من سكك الناس ولرجل دار تقابل تلك الحوانيت وبابه مفتوح في ذلك الزّقاق يقابل تلك الحوانيت، فشكا الرجل بأنّ الحوانيت تضّر به فيمن يخرج من خدمه وأهله، [الى حوائجهم] ، فإن كانت طريقاً سالكة، وسكة واسعة حتى يكون هو وغيره من المارة في الفتح والمرور بها في النظر سواء، فله أن يفتح ما شاء من الحوانيت وغيرها [2].

وكان بين رجلين متجاورين زقاق نافذ، فأحدث رجل منهما في داره باباً وحانوتين مقابل باب جاره، ولا يدخل أحد من أهله ولا يخرج إلا نظر الذين يجلسون في الحانوتين المذكورين لعمل صناعتهم ، وذلك ضرر بيِّن يثبته صاحب الدار ببينة عادلة ، هل يجب على صاحب الحانوتين غلقهما بسبب ذلك الضرر البين من التكشف وسد باب الدار التي تقابل باب دار المحدث ؟ والرأي أن يؤمر أن ينكبّ بابه وحانوتيه عن مقابلة باب جاره. فإن لم يقدر على ذلك ولا يجد إليه سبيلا تركه ولم يُحَكم عليه بغلقهما [3].

كما كان لرجل دارعن يسارها حانوت وفي مقابلتها دار في الضفة الأخرى، فأراد صاحبها أن يفتح عن يمين باب داره ثلاث حوانيت يقطعها من بيت في داره وزعم أن ذلك من حقّه لكون الدارين المتقابلين في شارع كبير نافذ مسلوك من أعظم شوارع البلد وأكثرها سككاً ، فمنعه صاحب الدار المقابلة وقال : إنما يفتح في الشوّارع النافذة أبواب الدور، وأما الحوانيت فمضرتها شديدة زائدة عن مضرة الديار لمواظبة المجالس فيها ، وربما كان من يجلس عنده فتعظم المضرة والتكشّف. وشهدت بينة أن الحانوت الأولى من هذه الحوانيت إن عملت انكشف بعملها سقيفة الدار المقابلة والداخل، وينكشف من الحانوت الثاني الخارج

---

[1] المدونة ٥/٥٣١ ، البيان والتحصيل ٩/٤٠٣

[2] ابن الرومي : الإعلان ٨٢، ٨٣

[3] ابن الرامي : الإعلان ٨٣

وبعض السقيفة ، ومن الحانوت الثالث الباب خاصة؟ ، ورأى أحد الفقهاء أنه يؤمر باني الحانوت أن تنكب عن قبالة باب جاره، لأن ضرر الحانوت شديد (١).

وإذا أراد شخص أن يحدث باباً في زقاق ، فليس له أن يفتح في زقاق غير نافذ بابا إلا برضى جميع أهل الزقاق (٢) ، وعلى مشتري الدور في الأزقة أن يعرف ذلك، وإلا تحدث المنازعات ، مثلما وقع من رجل أراد فتح باب في زقاق غير نافذ أو نافذ ، فنازعه جيرانه، فالتزم لهم أنّه لا يفتح الباب في الموضع المذكور وأسقط حقه من ذلك. ثم باع تلك الدار وأراد المشتري أن يفتح باب الدار في الجهة المذكورة ، فنازعه المنازعون لصاحبها البائع منه، واحتج أنّه لم يعلم بما التزم لهم البائع منه، هل له في ذلك مقال أم لا؟ ، فالحكم أنه إذا أسقط حقه هذا البائع للباب في الصحة والتزم لمخاصميه ما ذكر حتّى صار ذلك حقّا من حقوق مخاصميه ، ثم باع هذا البائع من مشتريه ، فإن المشتري إنما ينزل منزلة البائع فيما كان يملك ، فإن باع منه ولم يبيّن له ذلك كان للمشتري أن يرجع عليه بما ينوب ذلك من الثمن (٣).

أما الاعتداء على الطريق فيكون بالبناء في فناء الطريق أو في حرمه ، فإذا أراد شخص أن يبني أبراجاً في الطريق ملصقة بجداره ، فليس له أن يحدث في الطريق شيئاً فينقصه به أو يضيّق به على من يسلكه (٤).

الحانوت

توجد الحوانيت غالباً أسفل المباني وقد تكون مبنى قائم بذاته وتستخدم لخزن وعرض وبيع مختلف السلع والبضائع .

وتستعمل عادة مع مصطبة ومدخل ، وترتفع أرضية الحانوت على أرضية الشارع بمقدار متر تقريباً ، وترتفع ارضية الحانوت على مستوى أرضية الشارع بمقدار متر تقريباً وتمتد مصطبة الحانوت خارج إغلاق الحانوت (٥).

---

(١) المصدر السابق ٨٣، ٨٤

(٢) سحنون : المدونة ٥/٥٣١

(٣) ابن الرامي : الإعلان ٨٨

(٤) ابن الرامي : الإعلان ٨٩

(٥) محمد محمد أمين : المصطلحات المعمارية ، ص ٣٢ .

اكترى رجل حانوتاً لشهرين كل شهر بدينار ، ثم أكْراه من آخر لهذين الشهرين ، كل شهر بكذا ، وانقضى الشهران ، ومضى من الثالث عشرة أيام ، ثم طلب المكتري الأول من الثاني ما أكراه به شهرين ، فقال : قد دفعت ذلك إليك ، فأفتى الفقيه أن المكتري الثاني مصدق مع يمينه فيدفع الكراء [1].

وباع رجل حانوتاً من رجل ، وللبائع دار تلاصق الحانوت ، وفي الحانوت حفرة مرحاض الدار ، ولم يعلم المشتري بها حين التبايع ، فأراد تبقيتها ، فمنعه المشتري ، وقال: بيعك للحانوت بجميع حقوقه ومنافعه يقطع حجتك ، وحقك من الحفرة ، فَحُكِمَ أن المشتري بالخيار في التزام الحانوت بعيبه أو تركه [2].

وإذا قلت تجارة الحوانيت المكتراة لضعف الناس ، فليست جائحة للمكتري لها القيام بها، سواء كانت الحوانيت للأحباس أو لم تكن ، وإن رأى القاضي أن يحط عن المكترين لحوانيت الأحباس على سبيل الاستيلاف جاز له ذلك [3].

وسكن رجل في حانوت بكراء ، ثم إن صاحب الحانوت أكراها لرجل آخر فطلبه المكتري بإخلاء الحانوت ليسكن ، فادعى الساكن الأول أن كراءه كان لمدة ، وأنها لم تنقض ، وقال صاحبها : بل كان الكراء مشاهرة [4]، كما أكرى رجلان حانوتاً على أن الكراء بينهما نصفان ، فأراد أحدهما أن يدخل فيها المتاع أكثر من صاحبه ، وكان أحدهما إسكافي والآخر حجام ، وفي هذه الحالة : لا يجوز ذلك إلا برضى صاحبه ، فإن لم يرضى حجزوه بنصفين أو على حصته كراء كل واحد منهما [5].

وحدث بقرطبة سنة ٣٧٠هـ أن رجلاً اشترى حانوتاً من رجل ، وللبائع دار تلصق هذا الحانوت ، وفي الحانوت حفرة مرحاض الدار ، ولم يعلم المبتاع بها حين التبايع ، فأراد

---

(١) ابن سهل : الإعلام ٣٨٦ ، ٣٨٧.

(٢) ابن سهل : المصدر السابق ٤٣٣، ٤٣٤ ، المعيار ٦/٢٦٧.

(٣) ابن رشد : الفتاوى ١٢٨٣/٣ ، المعيار ٤٥١/٧ ، ٤٥٣ ، الوزاني : النوازل الجديدة ٣٨٢/٥ ، ٣٨٣.

(٤) المعيار ٢٨١/٥.

(٥) المعيار ٢٣٥/٨.

البائع تنقيتها فمنعه المشتري ، وقال: بيعك للحـانوت بجميـع حقوقـه ومنافعـه يقطـع حجتـك ، وحقك في الحفرة [1].

وسُئِل أحد الفقهاء عن حوانيت بشـرقي الجـامع وأفنيتهـا سـاحة، وبيـن يديهـا سـقائف على عمد لاصقة بالطريق والناس يسلكون تحتهـا وهـي نـافذة وبيـن يـدي الحوانيـت دكـاكين والطريق بين الدكاكين وبين العمد ، فأرد أهل الحوانيت قطع الطريق بالبناء وأراد كل واحـد أن يجعل حائطاً من حائطه إلى العمد مـن الجـانبين ليدخـل إليـه مـن العمـد. فليس لهـم قطـع الطريق ببناء في هذه السقائف ولا في كل حانوت منها إن كره ذلك أهل الحوانيت .

وهناك كذلك حوانيت على هذه الصفة مملوكة فأراد أهلها سد الطريـق بيـن السـقائف وأتخذوا دكاكين أمام العمد نصبوا عليها ركائز ؟ ، فـالرأي أن تـردّ إلـى حالهـا، ويمنــع مـن تضييق الطريق ، وأما هذه الحوانيـت فهـي لهـم وهـم إذا قطعـوا هـذه الطريـق – يريـد أمـام السواري – ما يضر بالطريق ، فليس ذلك لهم، وإنما موضع السواري فناؤهم ومدخل النـاس إليهم، فاذا فعلوا ما ذكرت زادوا فناء من الطريق. وإنما الذي بين يـدي هـذه الحوانيـت أفنيـة سقفت والأفنية لا تقسم، وهي كذلك قديمة فتبقى على حالهـا ، وأمـا مـا أرادوا مـن منـع أهـل البادية أن يلبثوا بدوابهم تحت تلك السقائف فلهم ذلك لضرر الدواب وأزبالها [2].

۞ ۞ ۞

---

[1] ابن سهل : الإعلام ٤٣٣.

[2] ابن الرامي : الإعلان ٩٠.

(٣) الأرحـــاء

تعتبر الأرحاء من أهم المرافق الفلاحية ، وبعـض الأرحـاء يرتبـط بسـقوط الأمطـار والمجاري الموسمية "الرحى الشتوية" ، ومنها الرحى الصيفية المرتبطة بالأنهـار والوديـان، وهنـاك الأرحـاء التـي تُدار بالحيوانـات ، وهـذا بالإضافـة إلـى وجـود أرحـاء تشـغل بقـوة الرياح[١].

ويكـثر العمـل فـي الأرحـاء فـي نهايـة الموسـم الزراعـي ، ليطحـن المحـاصيل قبـل تخزينها ، كما اشترط بعض الملاك على شركائهم طحن نصيبهم من المحصـول أو عصـره قبل استلامه ، وكان لأصحاب الأرحاء والمعاصر حيل لسرقة بعض الحبوب والزيوت [٢].

ومن حيل أصحاب الأرحاء [٣]، أنهم يخلطون الطحين الرديئ بـالجيد ، ليأخذوا مـن الطيب ويتركوا الرديء ، ونزل أحد الأشخاص يوماً في علو مبنى على رحى ، وفي المبنـى طاق يشرف منه على داخل الرحى ، وفي آخر الليل وجد الطحان قد أخذ من دقيـق الدرمـك جزءاً وأزاله إلى ناحية، ووضع عوضه من دقيق ووضع الدقيق بعـد أن غربلـه ووضـع فـي النخال مغربل كنس الرحى، وفي ليلة أخرى وجد الطحان وقد أخذ أعدال القمح ، وفتح عنهـا واستسقى الماء وسقى القمح بها ، وقد أخذ منه بقدر الماء قمحاً ، واستأثر به فزاد القمـح ليناً وتركه إلى أن دخل الليل ورفعه للطحن ، ولما حدث فيه من الرخاوة لـم تـزل الرحـى تشـبك عليه مرة بعد أخرى، ويتغير الدقيق ويفسد لونه، ووقع الحجر في الدقيق مع ما يخرج [٤].

ومن غش أصحاب الأرحاء أنهم يأخذون من القمح ويجعلون عوضه ما يمكنهـم مـن العظام وشوابي البحر ومحره في بلد الساحل والتراب الأبيض [٥]، ويغشون كذلك بأن يأخذوا من الدرمك ما شاءوا ، ويعوضـون عنه شنتية بيضاء مغربلـة بعد الطحـن ، ولا يكـاد يشـعر بذلك إلا عند اختبار الخبز منه ، فإنه لا يرتفع في الخمير ارتفاع الدرمك السالم [٦].

---

[١] ابن رشد : الفتاوى ١٤٨٣/٣ ، ١٤٧٤ ، ابن بسام : الذخيرة ٧٨٧/٢/٢.

[٢] ابن العطار : الوثائق ٦٠.

[٣] السقطي : آداب الحسبة ٢١، ٣٦.

[٤] السقطي : في آداب الحسبة ٢١.

[٥] المصدر السابق ٢٢.

[٦] السقطي : في آداب الحسبة ٢٢.

ويقوم أصحاب الأرحاء بمالقة بحفر غار تراب أبيض، ويُخلط مع الدقيق [1]، وهناك طرق أخرى يُسرق بها جزء من الحبوب ، ثم تطحن بعد ذلك لحساب صاحب الرحى [2].

وتتكون دواليب الرحى من البلوط وبأعمدة الحديد وقطب وحلق وصنوج وقنوات توضح على سرير ، ويكشف ابن رشد عن عدد الأحجار في "أربعة أحجار طاحنة تكون رصحنات، وأحجارها ثمانية من مقطع أرنطة "منطقة أندلسية" ، وغلظ كل حجر شبر وثلث، وسعته أربعة أشبار ونصف بالشبر الوسط ... ومصب البيت أربع من الألواح، ويرفعون سد الرحى المذكورة بالحجارة والسلل والأوتاد، ويخرج ماؤه في ساقية الرحى، ويقام حول بيت الرحى اصطبلا للدواب سعته مثل سعة بيت الرحى، يتصل بالبيت طوله أربعة ألواح وارتفاعه ثلاثة ألواح للطابية ، وغلظ الحائط شبران بالشبر الوسط، وأسه بالحجر والطين ، وغطاؤه وغطاء بيت الرحى بالقراميد، ويشركون البيت المتصل ببيت الرحى من ناحية الغرب بالجص" [3].

ومن المعروف أن الصحون الحجرية "المطاحن السفلى " هي التي تثبت على السرير، بينما تكون المطاحن العليا متحركة بقوة الانصباب المائية على الدواليب الخشبية أسفل الرحى. وتكون الرحى ملك شخص واحد أو أكثر من شخص ، وذلك في عقود قبالة أو كراء، ويضبط هذه العقود بشكل دقيق كُتّاب الوثائق .

وصرحت المصادر ببعض الأرحاء في جهات المدن مثل :

المدينة	الأرحاء	المصدر
أغمات وريكة	الأرحاء على نهرها يطحنون بها الحنطة	الإدريسي ٦٥
فاس	عليها أرحاء كثيرة تصحن الحنطة	الإدريسي ٧٥،٧٩،٨١
مكناسة	على نهرها أرحاء تتصل بها عمارات	الإدريسي ٧٧
تلمسان	عليها أرحاء كثيرة	الإدريسي ٨٠

---

(١) المصدر السابق ٢٢.

(٢) السقطي : ٢٣ وما بعدها .

(٣) ابن رشد: الفتاوى ١٢٠٤/٢، ١٢٠٥، محمد محمد أمين ، المصطلحات المعمارية ٧٥.

المدينة	الأرحاء	المصدر
أفكان	لها أرحاء	الإدريسي ٨٢
مليانة	لها أرحاء على نهرها	الإدريسي ٨٥

*** تنازع الجيران في الرحى**

وتضمنت كتب الفتاوى العديد من القضايا المتعلقة بالأرحاء، فقد أقام رجل بقرية شبيرة الأندلسية رحى في أرضه وأخرج طرف السد في أرض جاره دون أن يأذن له جاره في ذلك فقام عليه، وأراد أن يهدم السد فوقعت بينهما مخاصمة ومنازعة [١].

*** تعدي الشركاء في الأرحاء**

وأحياناً يتعدى أحد الشركاء على نصيب شريكة من الرحى ، مثلما وقع لامرأة لها حصة معلومة في رحى مع رجل على الإشاعة ، فغابت المرأة عن الجهة أعواماً معلومة، واستغل الشريك الرحى ، ولم يرفع إليها ولا لأحد بسببها شيئاً مما وجب لها في حصتها من غلة الرحى، فلما رجعت إلى البلد الذي فيه الرحى طلبت نصيبا من الغلة للمدة التي غابت عنها، فسوَّف وماطل وأنكر الرجل حتى مات وطلبها مستمر، ولها شهود على ذلك[٢].

*** النزاع بين أصحاب الأرحاء وأصحاب الجنات على الماء**

وقد يحدث نزاع بين أصحاب الأرحاء وأصحاب الجنات لاستغلال الماء، مثلما[٣] خاصم جماعة أصحاب جنات رجلاً من أهل الأرحاء في قطعه الماء عن جناتهم، وهم محتاجون إلى السقي والانتفاع بالماء المذكور ، فزغم صاحب الأرحاء أن لا حق لهم فيه، وأن أرحاءه سبقت إلى حوز الماء وطحنت به عدة سنين كثيرة، فأثبت القوم شهادات من قبله أنهم كانوا يسقون من الماء المذكور جناتهم قبل إنشاء الأرحاء وبعدها، وحدث أن اتفق قوم

---

(١) ابن رشد : الفتاوى ١٧١/١ ، البرزلي : النوازل ١٥٨/٢ب.

(٢) ابن رشد : الفتاوى ١٨٣/١ ، المعيار ١٧٩/٨، البرزلي: النوازل ٨٧/٢ب .

(٣) ابن رشد : الفتاوى ١٢٨٦/٣ رقم ٤٣٥ ، المعيار ٣٨٥/٨ ، ٣٨٦.

على حفر ساقية في أرض رجل وإقامة رحى ، فلما حفر القوم وأقاموا الرحى أرادوا أخذ الماء من ساقية الرجل فمنعهم[1].

وقام قوم بعقد أثبتوه خلاصته أن إحداث الأرض على الجنات ضرر لكثرة ما يأوي إليها من أهل الفساد والشر ، وأنهم يتسلطون بسكناها على أذى الجنة وسرقتها[2].

واستخرج شخص عين ماء نصب عليها رحى طحنت له مدة ثم إن صهراً له مجاوراً في جنة أخرى استنبط فيها عيناً بينها وبين الأولى أزيد من خمسين ذراعاً عرضا، ونصب عليها رحى ، وضعفت عين الأول ، وتعطلت رحاه، وزعم أن ماء جاره المستنبط هو ماؤه، وماء هذا الجار الآخر ضعف ماء الأول ، وكان يشتكي من ذلك ، إلا أنه لم يخاصمه ولم يعترضه في بنائه الرحى المذكورة والنفقة فيها واستغلالها نحو سنتين إلا أنه يشتكي أنه صرف ماءه عن مجراه وعطّل رحاه دون مخاصمة ، فلما مات الآخر قام يخاصم[3].

*** التعدي على الماء العام لصالح الرحى**

وبنى رجل رحى على ماء بقرب عنصر للمسلمين، وبنى بيت الرحى على شفير العنصر ، فحكم الفقهاء أن عليه أن يترك حريما بقدر ما يوسع ما يخرج من العنصر فيه عنده متى احتيج لذلك [4].

ولم يجز العلماء لرجل بناء رحى ماء في أرضه على عنصر، ويجاور الرحى عنصر آخر لعامة المسلمين ، فإن أراد أن يحفر في أعلى أرضه ليفجر العنصر في غير موضعه ليصرفه إلى الماء الآخر الذي أنشأ عليه رحاه ليكثره له[5].

وأحدث رجل رحى وجعل قناتها على عنصر لعامة المسلمين ، وثبت ضرره بالمسلمين وقطعه المنفعة لهم حسب ما كانت قبل هذا إلا من طريق آخر وبمشقة لقرب هذه

---

(1) ابن رشد : الفتاوى ١٦٤٢/٣ ، المعيار ٤٠٧/٨.

(2) عياض : مذاهب الحكام ٩٠

(3) عياض : مذاهب الحكام ١٠٠

(4) عياض : مذاهب الحكام ١٠٠

(5) عياض : مذاهب الحكام ١٠٢

القناة من الأرض فوجب إزالتها ورفعها ، فطلب المحكوم عليه أن يصرفها بالليل دون النهار ، إذ تصرف الناس للمنفعة بهذا العين لغسل واستقصاء إنما عهد بالنهار ، وهذه القرية التي فيها هذه الرحى إنما عمارتها أربعة أيام العصير ، فطلب أيضاً رد القناة أيام الشتاء ووقت خلاء الجنات[١].

* النزاع بين أصحاب الأرحاء على مصدر الماء

وكان لرجل رحى ، ولرجل آخر تحته رحى ، فغير الأسفل رحاه ونقلها إلى مكان آخر ، وتخاصما في ذلك فاصطلحا على أن يكون مصب الماء على طريقة الأول، ثم إن صاحب الرحى الأسفل ادعى أن صاحب الرحى الأعلى أذن له أن يرفع في ساقية الرحى مقدار غلظ أجُرّة ، وأنكر ذلك صاحب الرحى الأعلى [٢].

* الشفعة في الأرحاء

وهناك شفعة في الأرحاء إذا كانت لها عرصة، وأما الرحى التي تتخذ وسط النهر فتلك لا شفعة فيها[٣]، فالرجل الذي يشتري النصيب من رحى الماء ، ولها في البيت الحجر الواحد، ولا يحمل الماء غير ذلك إذا قسم عليه ا لشركاء في الرحى بالشفعة [٤].

* ضمان صاحب الرحى

وإذا هطلت الرحى فأفسدت على الناس طعامهم فعلى صاحبها الضمان لأنه صانع[٥]، أما إذا دفع الرجل إلى صاحب رحى طعاماً للطحين، فوجد الزحام، فترك الحمل، وقال : لا تطحنه حتى أشاهد طحينه، فتلف الحمل، فلا ضمان على صاحب الرحى لأنه صاحب الحمل اشترط عيه ألا يطحنه، فكأنه لم يسلمه[٦]، وإذا طحن الطعام على إثر النقش

---

(١) المصدر السابق ٦٧

(٢) المصدر السابق : ٩٨

(٣) المالقي : الأحكام ٧٣

(٤) المالقي : المصدر السابق ٨٦

(٥) المصدر السابق ٢٠١

(٦) المصدر السابق ٢٤٨ ، المعيار ٣٢٩/٨

فهو ضامن [1]. ولا يُمنع مَنْ أحدث رحى حديثة بجوار رحى قديمة بدعوى المزاحمة[2] في العمل . وإذا غرقت الرحى بسيل حملها وأراد المتقبل بناءها من ماله طوعاً ليتم قبالته، فرفض صاحبها إلا الفسخ فله ذلك ، وقد حدث ذلك بطليطلة [3]. وكانت هناك رحى بين قوم على الإشاعة نحواً من ستين سنة ، ثم ذهب بعضهم إلى المقاومة وكره شركة مَنْ معه فله ذلك، وإلا باعوها وقسموا ثمنها [4].

*** بيع الرحى**

وقام صبي بشراء رحى وباعها، فإن كان الصبي باع بأكثر مما اشترى به فليس عليه إلا ما كان اشترى به، وإن كان باع بما به اشترى، كان الفضل للصبي ونُقِض فعل الصبي في الرحى وفسخ بيعها، وردت إليه رحاه[5].

*** عقد قبالة رحى**

وتم عقد وثيقة قبالة في حصة من أرحى الحنا على نهر قرطبة هذه نصها "تقبل فلان بن فلان من سليمان من أحمد بن عبد الرحمن الناصر المقبل على نفسه وعلى بنيه الأصاغر في حجره ولايته فلان وفلان جميع حصته وحصتهم من الرحى المنسوبة إلى مالك لعامين... وعلم أحمد المتقبل أن هذه الرحى تتعذر في مدة الشتاء، وتمتنع من الطحين ، وإنما طحينها باستقامة زمن الصيف ومدته [6] ".

وأقر شخص يدعى عمرو بن سعيد القرشي وأمة عبد الرحمن ابنة عباس القرشي بأنهما قبلا الأرض بثلاثمائة دينار من قوم، وأن عامراً زوج "در" مولاه عباس التي كانت زوجته، وهلك عنها، سألهما أن يأخذ الأرحى على القبالة كما كان قبلاها ، وأن يتقاضى تحت يده ويبرأ إلى ورثة عباس باقي الثلاث المائة الدينار ، وأنكر عامر زوج "در" أن يكون يعرف شيئاً من ذلك" [7].

---

(1) المعيار ٤٠٩/٦
(2) المعيار ٢٢/٩
(3) المعيار ٢٨٥/٨
(4) المالقي : الأحكام ٣٢٦
(5) ابن سهل : الإعلام ٣٧٧/١ ، ٣٧٨
(6) ابن سهل : المصدر السابق ٤٤٠/١
(7) ابن سهل : الإعلام ٥٥٥/١

والعادة أن تحمل الغلال إلى الأرحاء على الدواب ، وقد يحدث فساد بسب مدة حبس الدابة عند كتريها لتوصيل الغلال للأرحاء [١].

وباع رجل رحى أو معصرة الزيتون على شرط أن يطحن فيها طعامه أو يعصر زيتونه لمدة معينة[٢].

*** الشركاء في الأرحاء**

وقد يشترك شريكان في رحى، ويقتسمان فائدتها بأن يجلس أحدهما يوماً ويأخذ فائدتها، ثم يترك لشريكه يوماً، وذلك نظراً لتشابه كم الغلة ، وعدم تباينها إلا في اليسير المعتصر[٣]، وكان هناك شركة بين رجل وامرأة ، فغابت أعواماً ، فكان يكريها ويستغلها تلك الأعوام ، فلما قدمت طلبته بغلة نصيبها ، فسّوف بها، فتارة يُقر، وتارة ينكر إلى أن مات [٤].

*** شروط إنشاء الأرحاء**

واشترط الفقهاء شروطاً لإحداث الأرحاء بجوار الدور حتى لا تلحق الضرر بحيطان دار الجار، فالذي يريد أن يعمل في داره الرحى يتباعد من حائط الجار بثمانية أشبار من حد دوران البهيمة إلى حائط الجار، ويشغل ذلك بالبنيان بين دوران البهيمة وحائط الجار، إما ببيت أو بمخزن أو بمجاز، لأن البناء يحول بين مضرة البهيمة وحائط الجار [٥].

وأقام رجل رحى في أرضه بقرية شبيرة بالأندلس سنة ٤٩٥هـ ، وأخرج طرف السد في أرض جاره دون أن يأذن له جاره في ذلك فقام عليه، وأراد أن يهدم السد ، فوقعت بينهما مخاصمة ومنازعة في الأرض ، وقال إنه ليس أرضك ، وإنما هو حرف الوادي [٦].

❀ ❀ ❀

---

(١) المصدر السابق ٨٢٩/٢ ، ٨٣٠

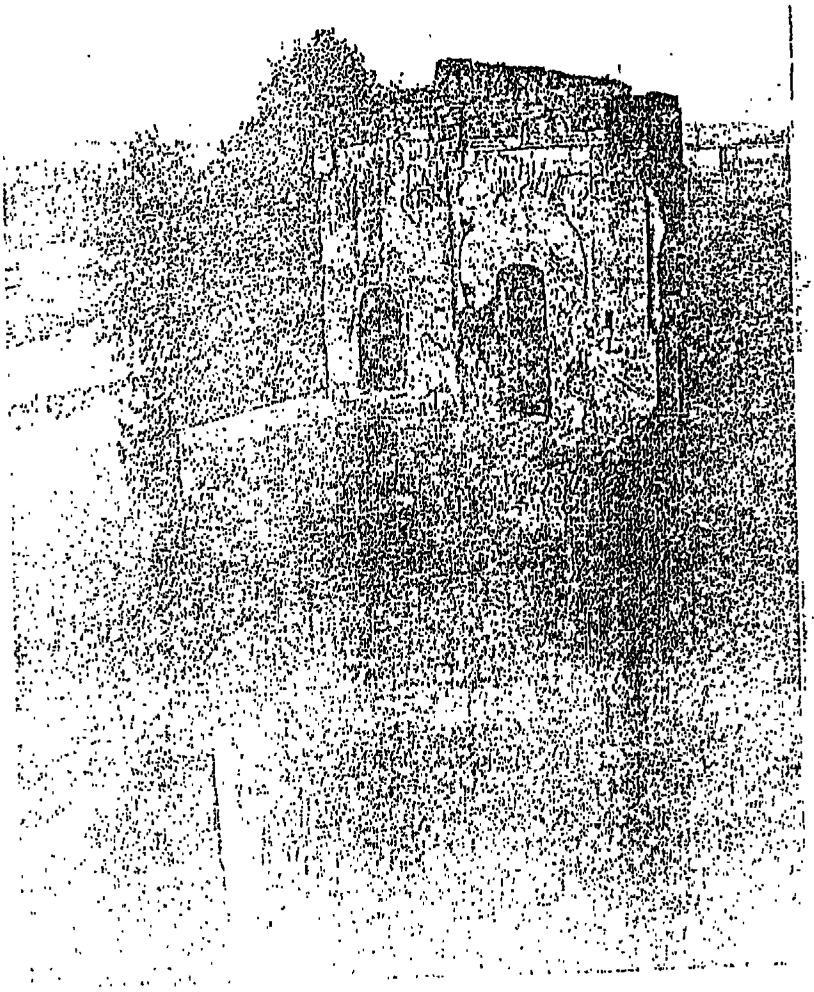
(٢) المعيار ٢٥٦/٥

(٣) المعيار ٢٣٦/٥

(٤) المعيار ١٧٩/٨ – ابن رشد : الفتاوى ١٨٣/١ رقم ١٨، البرزلي : النوازل ٥٨٧/٢

(٥) المعيار ٩/٩

(٦) ابن رشد : الفتاوى ١٧١/١ ، رقم ٩ البرزلي : النوازل ٢٠٤/٢، ابن رشد : البيان والتحصيل ٣٩٣/٩، ٣٩٤



أطلال طاحونة
عربية تبيد في
ضفة نهر الوادي

(٤) الفنـــادق

الفندق هو المكان الذي ينزل به التجار والمسافرون وغيرهم [١]، وتحفظ فيه البضائع وتخزن وتباع أحياناً بالجملة ، ولذلك كانت تسمى الفنادق بأسماء البضائع المباعة فيها مثل الحبوب و القمح والخضراوات والتين، أو تسمى بأسماء أصحابها مثل فندق زايدة بغرناطة، وشغل الفندق مكانة هامة في العمران الاقتصادي ، ولذلك كثرت الفنادق على طول طرق المواصلات [٢]، لخدمة التجار والعابرين .

ويتكون الفندق من بهو مستطيل أو مربع تدور به ممرات تطل على هذا البهو، وتتوزع غرف الفندق وراء هذه الممرات ، ويخصص الطابق السفلي للمخازن والاصطبلات، أما العلوي ففيه حجرات النزلاء ومخازن البضائع المعدة للبيع، ويمكن الصعود للطابق العلوي من الفندق من درجين ، وتخلو جدران الفندق الخارجية من أي منفذ لتجنب السرقات[٣].

ولم يكن بفنادق الأندلس أسرة للنوم، بل كان النزلاء ينامون على حصر يمدهم بها صاحب الفندق كما كن يمدهم بالأغطية اللازمة، وأحياناً يقدم لهم الطعام "وهذه عوائدهم في جميع هذه البلاد الأندلسية فعند كل مسافتين أو ثلاث مسافات يجعلون فندقاً أو داراً معدة لنزول الضيوف والمسافرين فإن وصل المسافر إلى موضع منها ينزله ويجد فيه من الطعام ما يشتهيه وما تبلغ به مقدرته ، كل على قدر سعته ويجد العلف لدوابه، والفراش لنفسه، فيأكل ويستريح، ويطعم دوابه إن كان نهاراً أو ليلاً ، فإذا أراد الخروج قدم له حساب ذلك كله[٤].

و تتعرض الفنادق للتدمير وقت الفتن والأزمات مثلما حدث لفندق ابن أبي أصبغ الوزير في أرملاط إذ أحرقه البربر في الفتنة البربرية [٥].

---

(١) محمد محمد أمين وليلى علي إبراهيم: المصطلحات المعمارية ٨٦

(٢) السيد عبد العزيز : في تاريخ وحضارة الإسلام بالأندلس ١١٥، ١١٦

(٣) المرجع المعيار نفسه

(٤) الغساني: رحلة الوزير ٣١

(٥) ابن عذارى : البيان المغرب ٨٨/٣

وكثرت الفنادق في المغرب ، ففي باجة فنادق[١]، وكذلك مدينة تهوذا[٢]، وفي مدينة مزكود فنادق عدة[٣]، ولحصن إيرمامة فنادق[٤]، وكذلك في حصن بغاية فنادق[٥]، وفي مدينة مرماجنة فندق [٦]، ومدينة سبيبة كثيرة والحوانيت[٧]، ولمدينة أجدابية فنادق[٨]، ولمدينة قابس فنادق كثيرة [٩]، وكذلك الفنادق في مدينة صفاقس [١٠]، ووهران كثيرة [١١]، وأيضاً بجاية[١٢]، وكذا في مدينة زويلة الفنادق الكثيرة[١٣].

كما وجدت الفنادق في الأندلس وبخاصة في المدن التجارية ، فوجدت في استجة[١٤]، وبزليانة[١٥]، وشقر[١٦]،وطريف[١٧]، وقرطبة[١٨]، وقيشاطة[١٩]، ويوجد في ألمرية[٢٠]وحدها ٩٧٠ فندقاً.

---

(١) البكري: المغرب ٥٧

(٢) المعيار ٧٢

(٣) المعيار ٧٥

(٤) المعيار ١٤٣

(٥) المعيار ١٤٤

(٦) المعيار ١٤٥

(٧) المعيار ١٤٦

(٨) المعيار ٦

(٩) المعيار ١٧

(١٠) المعيار ١٩

(١١) الوزان : وصف أفريقيا ٣٩٩ .

(١٢) المصدر السابق ٤٢٢

(١٣) المعيار ١٠٩

(١٤) الحميري : صفة جزيرة الأندلس ١٤

(١٥) المصدر السابق ٤٤

(١٦) المصدر السابق ٩٢

(١٧) السابق نفسه ١٢٧

(١٨) السابق ١٥٣

(١٩) السابق ١٦٥

(٢٠) السابق ١٨٣

ولم تهمل النوازل ما قد يقع للفنادق من قضايا ، منها أنه تضـرر صاحب فندق من أحد جيرانه الذي أعلى أحد أبنيته مما أضـر بباب فندقه[1]، وأكثر ما يصيب الفنادق من أضرار هي الفتن التي تمنع الناس التنقل في البلاد، ولذلك سأل المكترون للفنادق : إذا قلّ الواردون في البلاد لسكن الفنادق المكتراة المتخذة للنزول فيها من فتنة أو خوف حدث في الطريق أو ما أشبه ، هل ذلك جائحة " مصيبة" يُحط بها الكراء عنهم ، وكان رد الفقهاء أن ذلك عيباً فيما اكتراه المكتري ، فيكون مخيراً بين أن يتمسك بكرائه أو يرده ويفسخه عن نفسه، فإن سكت ، ولم يقم حتى انتهت المدة لزمه جميع الكراء[2].

۞ ۞ ۞

(٥) المنشآت المائية :

تعددت المنشآت المائية في بلاد الأندلس مثل: الحمامات والأسبلة والآبار والقناطر، وتربط القناطر أحواز المدينة بالمدينة الأم، وقد كثرت الأنهار في الأندلس مثل نهر الوادي الكبير وحدرة وشنيل وسليط وتاجة ويانة ، وأقيم على هذه الأنهار القناطر ورمم منها ما استحق إلى ترميم ، وأهم قناطر الأندلس هي :

* قنطرة قرطبة: تصل المدينة العتيقة بالربض القبلي [3]، وتكونت من ١٧ قوساً، والقوس ١٠ أمتار تقريباً، وسعة ظهرها للعبور ستة أمتار، وارتفاعها من موضع المشي إلى وجه الماء نحو ١٥ متراً[4]، وبنى هذه القنطرة الإمبراطور أغسطس، غير أنها تهدمت قبل الفتح الإسلامي بقليل ، فقام المسلمون بترميمها، فأصلحها الأمير السمح بن مالك الخولاني [5]، وتعرضت القنطرة سنة ١٦١هـ/٧٧٧م لحمل نهر قرطبة حتى سد حناياها، وهدم بعضها وزلزلها فرممها الأمير هشام بن عبد الرحمن وأنفق في ذلك أموالاً كثيرة[6]

---

(١) عياض : مذاهب الحكام ٣٠٠

(٢) ابن رشد : الفتاوى ١٢٨٢/٣ ، المعيار ٤٥٢/٧، ٢٨٧/٨، الوزاني: النوازل الجديدة الكبرى ٣٨٢/٥، البرزلي : النوازل ١٢٢/٢أ

(٣) جودة: قرطبة ٤٨، أحمد فكري : قرطبة ١٧٥

(٤) ابن عذارى : البيان المغرب ٣٤/٢، ٣٥

(٥) مجهول أخبار: مجموعة ٢٤

(٦) ابن عذارى : البيان المغرب ٨٣/٢، ٩٨

وتعرضت القنطرة سنة ٢٨٨هـ/٩٠٠م لسيل جارف اغتصت به حلاقيم القنطرة وتلثمت بعض أرجلها فأصلحت[(١)]، ورممها الخليفة الناصر بسبب السيل العظيم سنة ٣٣١هـ/٩٤٢م، وسنة ٣٣٤هـ/٩٤٥م [(٢)]، ثم سدت القنطرة سنة ٣٥١هـ/٩٦٢م فأمر الخليفة الحكم المستنصر بترميمها وباشر ذلك بنفسه [(٣)].

* قنطرة إشبيلية: يسرت حركة الرعية في العبور من الأرياف وربض بطريانة إلى المدينة[(٤)].

* قنطرة نهر شنيل بناها المنصور بن أبي عامر "فتجشم لها أعظم مؤونة وسهل الطرق الوعرة والشعاب الصعبة ، وكانت عند التقاء نهر حدرة بنهر شنيل [(٥)].

* قنطرة نهر شلب، وهي قنطرة حجرية ذات أربعة عقود تصل المدينة بالطريق الكبرى[(٦)].

* قنطرة رندة : صخرية منيعة تقوم على النهر في منخفض عميق عند مدخل المدينة الغربي، وفي أضيق جزء من مجراه، وهي ذات عقد واحد رائع بالغ الارتفاع[(٧)].

* قنطرة لبلة : يجاز إليها من الأرياف والأحواز حولها [(٨)].

* قنطرة سرقسطة: سميت بقنطرة الحجر، واهتم بها المسلمون كثيراً [(٩)].

* قنطرة وادي الحجارة : فوق نهر هنارس ، ذات أربعة عقود [(١٠)].

* قنطرة السيف: على قوس واحد، واعتنى المسلمون بها ترميماً وتجديداً [(١١)].

---

(١) ابن حيان : المقتبس ١٣٩/٣ ، البيان المغرب ١٤٠/٢

(٢) ابن عذارى : البيان المغرب ٢١٠/٢، ٢١٣

(٣) ابن حيان : المقتبس (ت الحجي) ٥٨ ، ٦٤، ٦٥، السيد سالم : قرطبة ٢٠٠/٢.

(٤) عنان : الآثار الأندلسية ٦٣ ، السيد سالم: في تاريخ وحضارة الإسلام ٢٢٤، ٢٢٥.

(٥) ابن عذارى: البيان المغرب ٢٨٨/٢، السيد سالم : في تاريخ و حضارة الإسلام ٢٢٦.

(٦) عنان : الآثار الأندلسية ٤٠٤.

(٧) المرجع المعيار ٢٧٣.

(٨) الحميري : صفة جزيرة الأندلس ١٦٩.

(٩) عنان : الآثار الأندلسية ١٠٤.

(١٠) المرجع المعيار ٣٣٠.

(١١) الحميري : صفة جزيرة الأندلس ٣٦٤ .

وأنشئت شبكة مائية كبيرة ومتطورة في المغرب في فترة الدراسة وكانت القناطر من أكبر مشاريع الري التي أقيمت ، وكان لها أثر كبير على زيادة الأرض المزروعة .

فأصلحت وترممت قناطر قرطاج ، وكانت تأتيها المياه من عين جارية بسفح جبل زغوان ، ومن عين أخرى تبعد عنها أربعين كيلومتر، وهي عين جوقار، وتسلك أراضي متشعبة على مسافة تسعين كيلومتر، وسقفت قناة الحنايا بغطاء عقدي الشكل فيه ثقوب للتنظيف والتهوية [١]، يقول البكري [٢]: "وفي وسط المدينة صهريج كبير حوله.. ألف وسبع مائة حنية قائمة سوى ما تهدم منها ، وكان يجري إلى هذا المصنع الماء المجلوب من عين جفار إلى قرطاجنة على مسيرة أيام في قناة عظيمة تغيب مرة تحت الأرض ، و تكون في موضع آخر في قناطر فوق قناطر حتى تساوي السحاب"

أما قناطر قسنطينة، فتقع على أنهار قسنطينة "وتقع هذه الأنهار في خندق بعيد القعر متناهي قد عقد في أسفله قنطرة على أربع حنايا ، ثم بني عليها قنطرة ثانية ، ثم على الثانية قنطرة ثالثة من ثلاث حنايا ، ثم بُني فوقهن بيت ساوي حافتي الخندق يعبر عليه إلى المدينة ويظهر الماء في قعرها هذا الوادي من هذا البيت كالكوكب الصغير"[٣]. أما قناطر شرشال فتمر في واد بواسطة جسر كبير يتألف من سبع عشرة حنية ذات ثلاثة طوابق [٤]، وقناطر باجة على ثلاث حنايا، وقنطرةمجردة على وادي مجردة، ولها خمس حنايا [٥]، ويسلك الطريق بين طبنة وبسكرة على قنطرة من ثلاث عقود [٦]، وعلى وادي القيروان قنطرة بها سبع حنايا، وتشق منها قناة تجري إلى مدينة رقادة طولها ثمانية كيلو مترات أو يزيد [٧].

وكثرت القناطر على نهر فاس بين عدوة الأندلسيين وعدوة القرويين ، وأهمها قنطرة أبي طويلة، وقنطرة باب السلسلة ، وقنطرة أبي رقوقة ، وقنطرة الصباغين ، وقنطرة

---

[١] أحمد صفر : مدنية المغرب ٣٣٠/١ ، ٣٣١، البكري : المغرب ٤٤

[٢] المغرب ٦٣.

[٣] البكري : المغرب ٦٣.

[٤] العمري : مسالك الأبصار ٢٤٤/١

[٥] أحمد صفر : مدنية المغرب ٣٣٣/١.

[٦] المرجع المعيار ٣٣٣/١.

[٧] حسن حسني عبد الوهاب : ورقات ٣٦٤/١.

كهف الوقادين ، وقنطرة الرميلة ، وقنطرة عديلة (١).

وهناك إشارات متفرقة عن استخدام القنوات الجوفية وهي عبارة عن قناة باطنية لجر الماء من مكان إلى آخر يجري فيها الماء من العين من المرتفع إلى المنحدر حتى يبلغ سطح الأرض ، فيسقى الأجنة والبساتين ، وعرفت القنوات الجوفية باسم الفقارة ، وفي بعض الجهات في المغرب الأقصى باسم الخطارة - بمعنى اهتزاز الماء وتذبذبه - ويمكن الحصول على الماء من على بُعد ستين متراً (٢)، أو أكثر ، ومثل ذلك القناة التي حفرها المعز الفاطمي ، وماؤها من عين أيوب، وتقع خارج مدينة المنصورية وتبعد عنها نحو ٧٣٠٠٠ ذراع، ويتخلل طريق القناة صخور ومرتفعات ومنخفضات، وفكر في إنشاء هذه القناة الخليفة المنصور إلا أنه استصعب صنعها وقيل له : "والله لوجعلت في ساقية من زجاج ما جرت" (٣)، وقيل له: "يحتاج أن ينفق فوق مائة ألف دينار ، ثم الله أعلم هل يصبح جريها أم لا" . إلا أن المعز قرر بناء القناة بالجص والجير، وقال : "والله لا أتركها ولو أنفقت فيها أضعاف ما قيل" (٤).

وأقيمت قنوات في قرى مدينة تافيلالت ، ومراكش ، وقد أحدثت قناة في مدينة مراكش ، وتم ذلك بأن توجه المهندس إلى طرف أحد أطراف مراكش يعلو فيه سطح الأرض ، فحفر بئراً كبيراً ، ثم أوصل قاعها قنوات تسير تحت الأرض في انحدار حتى وصل الماء إلى سائر الأحياء وسارع الأهالي وبنو قنوات صغيرة من القناة الرئيسية ، فاتسع عمران مراكش ، واكتفتها الحدائق والبساتين (٥).

وكانت الصهاريج "المواجل" عصب مياه الشرب والزراعة في المدن وحولها ، وذلك بجلب المياه من العيون والسفوح الجبلية والأودية وحفظها عن طريق القنوات والحنايا، فزودت المهدية ٣٦٠ ماجلاً كبيراً (٦)، وأقيم خارج القيروان خمسة عشر ماجلاً ، وتجمع فيها مياه الأمطار والسيول في الشتاء (٧)، وأعجب عبيد الله الشيعي بإحدى هذه المواجل

---

(١) ابن القاضي : جذوة الاقتباس ٤٩/١ ، مجهول : الاستبصار ١٨٠.

(٢) الإدريسي : صفة المغرب ٦٨.

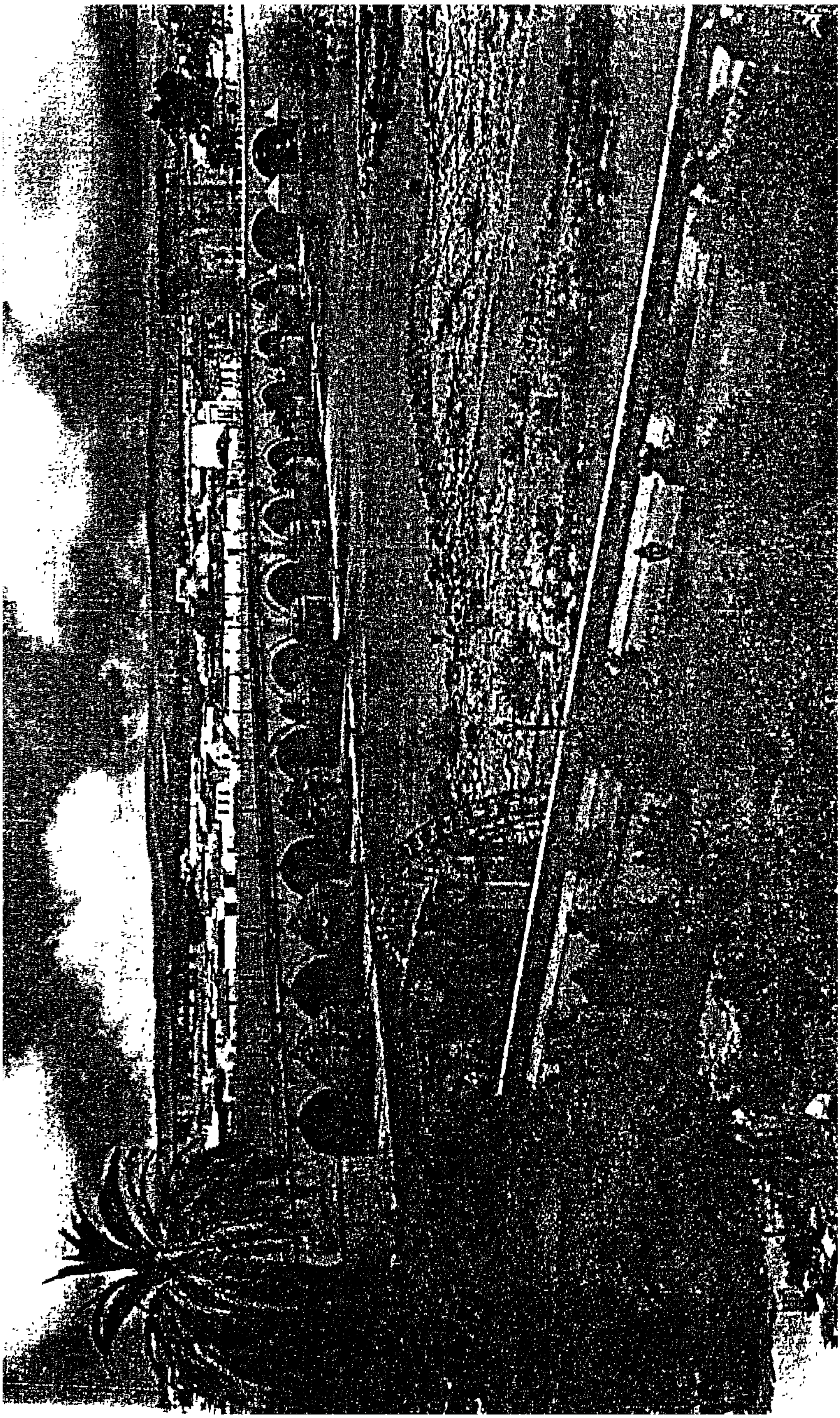
(٣) القاضي النعمان : المجالس والمسايرات ١٧٢/١ ، ١٧٣.

(٤) المصدر السابق ١٧٢/١ ، ١٧٣.

(٥) مكي : وثائق جديدة عن دولة المرابطين (معهد الدراسات الإسلامية ، مدريد)، ص ١٢١.

(٦) البكري : المغرب ٢٩.

(٧) مجهول : الاستبصار ١١٥.



قائلاً : "رأيت بإفريقية شيئين ما رأيت مثلهما بالمشرق: الحفير الذي بباب تونس من القيروان يعني هذا الماجل الكبير ، والقصر برقادة المعروف بقصر البحر"(١)، وأنشء في سوسة ماجلاً عظيماً ، ويستخدمه أهلها في الزراعة والشرب وقت الشدة ، فتتجمع مياه الأمطار بواسطة قناة ، تمد إلى الماجل في جانب مدخله مدرج ينزل بواسطته إلى أسفل الماجل (٢)، وسقيت بساتين طبنة من صهريج كبير (٣)، وكذلك في مدينتي فاس وسبتة أقيم ماجل كبير لتجيمع مياه الأنهار والأمطار (٤).

❀ ❀ ❀

(٦) منشآت ريفية أخرى

* المطاحن :

ومن المنشآت التي وجدت بالقرى أيضاً المطاحن ، ومثال ذلك مطاحن ورثتها زوجة وابنان (حتى سنة ٤٥٣هـ/١٠٦١م) غائبان نتيجة الفتنة البربرية ، وأحد الابنين مطلوب منه نسج شقق خز ، ودُفع إليه عشرة مثاقيل ذهباً ، إلا أنه لم يقم بالعمل ، فطلب منه صاحب العمل أن يعطى منه نصيب الابن الغائب في المطاحن ، فادعت الزوجة أنها أنفقت على المطاحن خلال المدة التي استغلتها فيها (٥)، ، وإذا اشترى رجل مطاحن فوجدت متربة ، فإن له ردَّها (٦).

* المَعاصير:

وكان على المعاصر مغارم وضرائب ، كما يتضح من معصرة بين رجلين أراد أحدهما تحريكها ، فقال له صاحبه لا تحركها ، فإني أخاف أن يغرمني السلطان ، فقال له : ما كان من السلطان فعليَّ ، فحركها ، فعدى له السلطان عليه فهرب ، فأخذ لشريكه فغرمه دينارين(٧).

---

(١) حسن حسني عبد الوهاب : ورقات ٦٤/٢.

(٢) المرجع المعيار نفسه ، المقدسي : أحسن التقاسيم ٢٢٤.

(٣) البكري : المغرب ٥٠.

(٤) القلقشندي : صبح الأعشى : ١٥٦/٥ ، ١٥٨.

(٥) ابن سهل : الإعلام ٤٥٨ ، ٤٥٩.

(٦) المعيار ١٨٨/٦.

(٧) الفيروزبادي : القاموس المحيط ٩٣/٢ (عصر) محمد محمد أمين : المصطلحات المعمارية ١١٠.

والمعصرة تعصر ماله دهن أو شراب أو عسل ، وهي ملحقة بالبناء أو تكون بناءً مستقلاً قائماً بذاته ، و تكون مكملة المدار والعدة بها رحاب به مدارين لكل مدار بيتين بالطوب والمونة المتقنة وحجر رماني وصواناً ".[1]

* المطامير :

المطمورة حفرة تحت الأرض هيء لإخفاء شيء مثل الطعام أو الأقوات [2].

ووردت بعض النوازل تخص المطامير مثل رجل اكترى داراً ، وفيها مطامر لم يذكرها صاحب الدار ولا المكتري عند الكراء ، وأراد صاحب الدار أن يطمر فيها طعامه ، وأبى عليه المكتري ، واحتج بأنه اكترى الدار بما فيها من مطمر وغير ذلك أنه إن عرف المكتري المطامر فهي في اكترائه ، وليس لصاحبها فيها حجة إذا لم يشترطها عند الكراء، وإن كان لم يعرف أن في الدار مطامير ، فإنما له الظاهر الذي اكترى وليس لصاحب الدار أن يختلف إلى الدار إلا برضى المكتري [3].

وأتى رجل إلى آخر يطلب إليه أن يعطيه في داره موضعاً يحفر فيه مطمورة فأطلقه على حفرها فلما حفرها ، وطمر الحافر فيها طعامه ، وأقام فيها أربعة أشهر أو خمسة قام عليه صاحب الدار ودعاه إلى أن يخرج طعامه من المطمورة ، فكان الرأي أن ليس له أن يخرجه حتى يمضي من الزمن والأجل ما يرى أن مثله يحفر له المطامير .

وأحياناً تترك المطمورة مفتوحة فيسقط فيها الناس ، مثل رجل حفر مطمراً قريباً من باب مسجد ، وخزنها بشعير واحتاج إلى فتحه وبقى مفتوحاً حتى يبرد على العادة ، فجاء إنسان من أهل المسجد في السحر للصلاة فسقط ، وسقط معه رجلان ، فمات أحدهما [4].

ووجد في المطامير بعض العيوب مثل عدم حفظ الغلال ، فقد اكترت امرأة مطمورة فخزنتها ، فوجدت القمح مسوساً ، و صاحب المطمورة يعرف أنها تسوس ، وهو بذلك

---

(1) المعيار ١١٥/٩.

(2) الفيروزبادي :القاموس المحيط ٨١/٢ ، محمد محمد أمين : المصطلحات المعمارية ١١٠.

(3) المالقي : الأحكام ٣١٩ رقم ٣١٩.

(4) المعيار ٥٥٦/٩ ، ٥٥٧.

ضامن [1]. وتركت مطمورة مفتوحة فوقع فيها خنزير ومات ، فلم يجز العلماء زرع ما في المطمورة ولا بيعه لمسلم أو نصراني [2].

وأحياناً يتداعى اثنان في مطمر طعام وجد في فدان ، مثل رجل أخرج من مطمر طعام ، وزعم أن أباه طمّر فيه خمسة عشر قفيزاً ، ولها منذ طمرت تسع سنين ، وأتى ورثة رجل ببينة عدل ، فشهدت أن وليهم طمر في مطمر فيّ هذا الفدان ، وهم لا يدرون أهذه المطمر أم غيرها [3].

* الأنادر :

والأندر هو الموضع الذي تجفف فيه الثمار مثل القمح ، وجرت الأحكام على أن الأندر لا يُقسم ، وبالتالي ليس فيه شفعة ؛ لأن الشفعة لا تكون إلا فيما يسم ، أما الانتفاع به فيكون على قدر الحصص ؛ لأن الانتفاع إذا كان بالسواء وبعضهم أكثر نصيباً من بعض كان ذلك جوراً [4].

وتحدث الخلافات إذا أراد رجل أن يبني في أرض تمنع صاحب الأندر من الانتفاع بالريح مثل رجل أراد أن يبني داراً في أرضه ويفتح بابها إلى سكة نافذة للمسلمين طريقاً مفتوحاً قديماً وامام الطريق أندر لرجل ، فلما بدأ بالبنيان منعه صاحب الأندر ، وقال : إنك تضر بأندري وقت الذرو ، فتمنعني عند نفعي بالريح وتضرني في ذلك بأمور كثيرة ، والرجل ليس له أن يبني إذا منع ذلك الموضع ، ولا مضرة له غير ما احتج به صاحب الأندر [5].

* الاصطبل :

وهو الذي يربط فيه الخيل ، ويلحق به متبن وركاب وطواله وبئر ماء وحوض ، وانتشرت ظاهرة إحداث الحظائر والإصطبلات ، والراي عند الفقهاء أن يمنع الجار من

---

[1] المعيار ٦/٢٣٠.

[2] المعيار ٦/٢١٩ ، ٢٢٠.

[3] المالقي : الأحكام ١٢٤ رقم ١٢٣.

[4] المالقي : الأحكام ١٢١ رقم ١١٧.

[5] المصدر السابق ٢١٧ رقم ٣٥٥.

إحداث الاصطبل عند بيت جاره لما فيه من الضّرر وبول الدواب وحركتها بالليل والنهار الحركة المانعة من النوم [١].

وكثيراً ما تحدث المشاكل بسبب الإضرار التي تسببها الاصطبلات ، فوقع في تونس أن أحدث خلف بيت جاره اصطبلا لدابة ، فاشتكى صاحب البيت من ضرر الاصطبل ، فحكم القاضي بأن يبنى الرجل بشكل حدده حتى يمنع الضرر عن الجار ، وقال القاضي : يشهد على صاحب الدابة بذلك لئلا يطول الزمان وينزع الحائط ويستحق المربط بالقدم [٢].

❀ ❀ ❀

(٧) الطرق والشوارع في القرى

تشدد الفقهاء في العمل على احترام الطرق بين الأرض أو داخل القرية ، فقالوا بهدم كل ما اقتطع من سكك المسلمين ، لأنه لو جاز لأهل جانب السكة التوسع فيها لجاز لأصحاب الجانب الآخر أن يأخذوا مثله ، فإذا بسكك المسلمين قد ضاقت بهم، وإنما الأفنية والطرق كالأحباس للمسلمين ، لا يجوز لأحد أن يحدث فيها حدثاً إلا من ضرورة ، وإن مَنْ تزيد من طريق المسلمين شيئاً ببنيان أو اغتراس أو غيره مما يريد اقتطاعه دونهم ، فإن السلطان يأمر بهدمه وتغييره[٣].

ولم يمنع هذا التشدد من قيام تعديات ومشاكل بسبب الطرق والحدود في القرى الأندلسية والمغربية ، فقد ثبت أن شخص يدعى سعيد بن السليم قد تعدى على طريق المسلمين في إحدى القرى وضمه إلى جنانه وأرضه [٤]، ونازلة أخرى في رجل له كرم بين كروم لأناس شتى متلاصقة، وكانت قد تبورت ، وكان صاحب الكروم يسير الى كرمه من حيث شاء لا يمنع، ثم عمّر أصحاب الكرم كرومهم ،ومنعوه من الدخول عليها، وكان قد سلك هذا الطريق قبل الغرس نحو ستة أعوام، فلما غرست الأرض وأدرك الغرس منعه من

---

(١) ابن الرامي : الإعلان ٦٤ .

(٢) المصدر السابق ٦٥ .

(٣) ابن سهل : الإعلام: ٢/٧٨٠ وما بعدها .

(٤) ابن سهل : المعيار ٧٨٠

السلوك عليه ، واستند الفقهاء في حكمهم على هذه النازلة التي نزلت ببياسة على سنة أهل القرية في الفدادين والأحقال [1].

ووقعت مشكلة كذلك بين أقارب في قرية ، إذ كان لأحدهم أرض فغرسها كرم، وحوله أرض جيرانه وقرابته غير محظور عليها، فكان يختلف إلى كرمه من حيث أمكنه عشرين سنة أو نحوها، ثم غرس جيرانه وقرابته أرضهم من كل ناحية، وأغلقوا عليه ومنعوه الدخول إلى كرمه من كل ناحية [2]، وكذلك وقع لصاحب أرض وسط أرضين لقوم كانوا ينتجعونها بالحرث والحصاد على فدان من لم يحرث فدانه تلك السنة، فأراد أن يتخذ بنياناً في أرضه فمنعه أصحاب الفدادين المحيطة به ، وقالوا : تطرق علينا و تضر بنا في فدادينا إذ زرعناها[3].

ووقع في المغرب لأهل منزل يحجر فيهم رجن على حق له وأرض يغرسها ، وكان أهل المنزل يسلكون فيها طريقاً هم وغيرهم ، فقاموا عليه، فقالوا: قطعت طريقنا، فأنكر أن يكون طريقاً لهم لازمة، فأتوا هم إلى الحكم ببينة أنهم يعرفونها طريقاً سلكها الناس منذ عشرين سنة، ويأتي رب الأرض ببينة أنها طريق محدثة بلا حق، وكان جواب الإمام سحنون: هذا كثير ما يكون بين المنازل ويختصر الناس في الأراضي، وربما قطعها الحرث حتى ربما كانت القرية تؤتي من غير طريق، وربما تساهل الناس في أرضهم لاستبعادهم عن ذلك فإذا ثبت أن هذا الطريق من تلك الأرض فليست بلازمة لرب الأرض إلا أن تكون الطريق الحاملة التي تركت من غير وجه ، ويطول ذلك ، ويقطع مدة كونه الزرع في اتساعها وطول زمانها الخمسين والستين سنة. فأما الطريق المختصر فليست بحجة على صاحبها إذا ثبت[4].

وحدث بالمغرب أيضاً أن شهوداً شهدوا على رجل بإدخاله طريقاً من طرق المسلمين في أرضه نحو عشرين سنة [5]، وفعل مثله شخص آخر إذا أدخل طريقاً من طرق

---

(1) ابن سهل : الإعلام ٨٣٣/٢

(2) السابق ٨٣٤/٢

(3) السابق ٨٣٤/٢ ، ٨٣٥

(4) ابن سهل : الإعلام ٨٣٦/٢

(5) عياض: مذاهب الحكام ١٧٣

المسلمين في جنته وحازها وغرسها وقطع المرور عليها واغتلها مدة[1]، واقتطع ثالث محجة للمسلمين وأدخلها في أرضه واغتلها مدة[2].

وباع رجل قطعة أرض ، وعليها طريق للغير ، فوقع النزاع في الطريق وفي سعته، لأنه للبهائم وغيرها ، وقد جرى العرف أن يحد لصاحب الطريق بقدر ممشاه بذاته وبهائمه[3].

❀ ❀ ❀

---

(1) عياض : المعيار ١٧٣

(2) عياض : المعيار ١٧١

(3) المعيار ٣٩/٦

مقارنة أثر الملكيات الزراعية على العمران

العمران نقيض الخراب ، وهو يعني الإقامة والسكن في موضع عامر واستخدامه بما يحقق العمارة ، وهذا التعريف لا يفرق بين الإقامة الدائمة والإقامة الوقتية .

وحين جاء الإسلام واتسعت مساحة انتشاه ، امتدت آفاق المعرفة الجغرافية عند علمائه ، وقد جائتهم هذه المعرفة وليدة الرؤية والمشاهدة والمعرفة العلمية ، ومضافاً إليها الكتابات الجغرافية التي درست العمران وأشكاله من ناحية أخرى ، فكانت العناية بمراكز العمران الحضري والريفي ، فقد غرست الحضارة الإسلامية مدناً جديدة أو صبغت المدن القديمة بالإسلام ، وتعددت أنماط المدن والقرى والحصون وسائر المراكز الريفية التي أنشئت في الإسلام ، حسب الوظيفة التي تقوم بها ، وقد تتجاوز المدينة هذا الدور ، ويضيع مع الزمن وتكسب المدينة مكانة كبيرة مثل القيروان في المغرب التي أنشت لغرض حربي ثم تمدنت وأصبحت رمزاً للمنطقة كلها في مقابرها التي ضمت عشرات الصالحين والفقهاء وبعض الصحابة ، وفي مسجدها الجامع الذي أنشأه عقبة بن نافع الصحابي الجليل .

وقد تضمنت كتب الاجتماع السياسي الإسلامي عدة أبواب تناولت أبواباً خاصة بالعمران ، وتوضح الأسس والنظريات التي يجب على الحاكم المسلم اتباعها لسياسة العمران "يأخذ السلطان" الناس بالتجارة وكثرة الغراس "الفلاحة" ، ويقطعهم الإقطاعات في الأرض السموات ، ويجعل لكل واحد ملك ما عمر ، ويعين على ذلك لترخص الأسعار ، وعيش الناس والحيوان ، ويعظم الأمر ، ويكثر الأغنياء ، وما يجب فيه الزكاة ، فالعمارة هي المحرك الأساسي للحركة الاقتصادية ، فتؤكد المصادر على العلاقة القوية بين زيادة العمران والرخاء والترف ، وبين قلتها والبؤس والضيق وتتدرج الحال من الرخاء الى الشدة حسب درجة العمران ، "فالأمصار الصغيرة التي لا تفي أعمالها بضرورتها نجد لذلك أهلها ضعفاء متقاربين في الفقر والخاصة ، إلا في النادر إذ لا فضل لهم" .

واعتبروا أن أقوى الأسباب في الاعتمار هو تقليل الوظائف والمغارم على المعتمرين ما أمكن ، فذلك منشط النفوس إلى العمران ، وذلك غاية التوازن الدافعة إلى قوة الإنتاج ، فيزدهر العمران أكثر وأكثر ، وأنّ الظلم يؤدي إلى خراب العمران ، فإذا كان الظلم بتوجيه الأموال إلى غير مستحقيها أدى ذلك إلى ترك العمارة والنظر في العواقب وما يصلح

الضياع ، ... ووقع الحيف على من بقي من أرباب الخراج وعمّار الضياع ، فانجلوا عن ضياعهم ودخلوا ديارهم ، فقلت العمارة وخربت الضياع وقلت الأموال وهلكت الجنود والرعية.

ويقرن الجغرافيون المسلمون بين التحضر ومناطق الاستقرار البشري ، ويُقصد بالعمران عند هؤلاء العلماء البلدان المسكونة والمشهورة والمدن المعمورة ، وكانت كتب المسالك والممالك تختص بالعمران الحضري والريفي ، أي مراكز الاستقرار البشري من مدن وقرى ، وقد اتسع لفظ العمران عند العلماء المسلمين حتى شمل القضايا السكانية والاقتصادية والنشاطات الاجتماعية والسياسية والثقافية ، أي مجمل الظواهر الإنسانية أو النشاط البشري ، وقد حاول ابن خلدون تفسير العمران تفسيراً جغرافياً – في ضوء معارف عصره الجغرافية – وهو كلام جيد في مجمله ، فإن اختلاف طبيعةالأرض من حيث الخصب والجدب هي التي أدت إلى اختلاف شكل العمران وأحواله بالجملة من مكان إلى آخر ، ومن منطقة إلى أخرى ، ومن ثمة كان اختلاف الأجيال في أحوالهم إنما هو باختلاف نحلتهم من المعاش ، فالأرض القاحلة تفرض نمطاً من الحياة بالاقتصار على الضروري من الأقوات؛ لأن مناطق سكناهم لا تجود إلا بذلك ، وهم في حالة انتقال وظعن، ويصدق هذا على مناطق المغرب أكثر من الأندلس، وقد استطاعت الدول التي قامت أن تحول معظم المدن الصغيرة والقرى إلى مدن كبيرة ضخمة وحواضر مثل تاهرت وسجلماسة ، وتحول المناطق القابلة للزراعة إلى قرى عامرة ، وهذا يوضح أثر العامل البشري في التعامل مع العوامل الطبيعية.

أما الأراضي الخصبة الوافرة المياه الكثيرة الزرع ، فإن سكانها يصرفون أعمالهم ونشاطهم في توسعة أحوال معاشهم ، فيستكثرون من الأقوات والملابس والتأنق فيها ، وتجميل البيوت واختطاط المدن والأمصار والقرى وسائر المراكز الريفية، ويرتقون في العمران والحضارة إلى درجة الرقة والدعة ، وهذه الأوصاف تصدق على الأندلس أكثر من المغرب، وهذا التفريق السابق يعطي للمؤثرات الجغرافية ثقلها في تشكيل صور الاجتماع الإنساني ونشاطاته الاقتصادية ، وقد ميزت كتب التراث الإسلامي بين أنماط عديدة من المدن والقرى وسائر أشكال العمران ، وذلك حسب أحجامها وأشكالها ووظائفها ، فهناك البلدة والبليدة والقرية والمدينة والحاضرة والمصر ، وكان التدرج راجعاً إلى مقاييس فقهية

وسياسية وإدارية ، وقد كثرت الأشكال العمرانية في الأندلس عنها في المغرب كثيراً في القرن الرابع ، وإن كان المغرب في القرن الثالث قد سار شوطاً كبيراً في ذلك بسبب قيام دولة بالتعمير والإصلاح ، والاختلاف في أشكال المدن بين الأندلس ولامغرب راجع إلى الكم والكيف معاً .

ويشترط لزيادة العمران جلب المنافع ويتأتي ذلك من خلال أمور منها : توفر الماء كأن يكون البلد على نهر أو بإزائه عيون عذبة ؛ لأن وجود ذلك يسهل الحصول عليه ، وهو مطلب ضروري ، وقد عانت مراكزالعمران في المغرب من مشكلة المياه كثيراً ، وقد حاولوا حلها عن طريق إنشاء الصهاريج والقنوات والسدود والقناطر مثلما حدث في القيروان ومراكش ، أما مدن الأندلس فكان أغلبها يقع على نهر جار.

ثم يأتي توفير الغذاء من المزارع الطيبة ؛ لأن الزرع هوالقوت ، وقد رأينا ذلك متحققاً في مراكز العمران في الأندلس أكثر من المغرب لازدهار الزراعة في الأندلس عنها في المغرب ، ثم يأتي طيب المرعى للسائمة وقربة ، إذ لابد لذي قرار من دواجن الحيوان للنتاج والضرع والركوب ، ومتى كان المرعى الضروري لها كذلك كان أوفق من معاناة المشقة في بعده ، وقد كثرت هذه المراعي في المغرب ؛ لأنهاه بلاد رعوية في معظمها ، وعرفت الأندلس المرعى عن طريق الأجزاء المحيطة بالمدن ، ثم توفر الحطب والخشب ، فالحطب لعموم البلوى .

أما الشوراع فقد اهتم بها كثيراً في هذه الفترة لأنها محور رئيس في التخطيط ، وقد عكست ا لشوارع مدى العمران في مراكز العمران الأندلسية خاصة ، فقد اهتم الخلفاء أنفسهم بتوسيعها ، وكذلك اهتم برش الشوارع في فاس ، وقد أضيئت هذه الشوارع ليلاً وكان يسير فيها الحراس وأصحاب الشرطة لحفظ نظامها ، وان ختلفت مقاييس الشوارع تبعاً لاختلاف المناخ في كل من الأندلس والمغرب ، وقد تأثرت الشوارع بطرق التحصين والأسوار ، فحددت مساحة الشوارع وهيئة امتدادها وأرباضها ومقايييس واتجاهاتها.

أما المرافق والمنشآت فقد اتفقت في معظم مراكز العمران ، مع الاختلاف في التوزيع والتأنق ، فكان هناك المنشآت الدينية أو التي يغلب عليها الجانب الديني مثل المساجد والربط

، وقد كثرت الربط بشكل واضح في المغرب ، وعلى طرازه سار الطراز الأنلسي وبـه تـأثر ، أما الربط في الأندلس فلم تكن كثيرة.

وقد ازدهرت المنشآت والمرافق الاقتصادية في هذه الفترة مثل: الأسواق، والحوانيت، والفنادق للتجار، والطواحين "الأرحاء"، والمطامير، والمطامير ، والأهراء ، والأفران ، وهي منشآت لاءمت اهتمام أهل الأندلس والمغرب ، ويوضح إحصاء هذه المنشآت إلى الاهتمام بها ، وإن كنت أحسب أن الأندلس فاقت المغرب في هذه المنشآت لحالة الأمن الغالبةعلى الأندلس .

أما المنشآت المائية كالقناطر والحمامات فقد كثرت كثيراً في الأندلس لتوفر الماء في الأندلس عنه في المغرب ، وظلت هذه المنشآت مهمة ، واذا حدث بها عطب فيُسرع برتميمها وإصلاحها ، أما هذه المنشآت في المغرب فكانت مشروعات ضخمة وتكلف كثيراً وتستلزم محافظة لها ، وهذا ما لم يتوفر للمغرب.

❀ ❀ ❀

الخاتمة

الخاتمة

دارت هذه الدراسة حول " الملكيات الزراعية وآثارها في المغرب والأندلس" ، والأملاك والأموال بها قوام الحياة ، وظهر أن الملكيات الزراعية والتصرف فيها وأنواعها وطرق الانتفاع بها من المسائل المحورية التي انعكس آثارها على الحياة : السياسية ، والإدارية ، والاقتصادية ، والاجتماعية ، والعمرانية .

وخلصت الدراسة إلى الوضع الشرعي لأرض الأندلس والمغرب ، وتبين بعض مناقشة النصوص والاسترشاد بالأحكام الفقهية أن ملكية الأرض في الأندلس قامت على أحكام الشريعة سواء بتوزيع الأرض على الفاتحين أو ترك أهلها عليها ، وإن تغيرت هذه الوضعية مع ظروف الثورات والفتن والتقلبات السياسية .

وشكلت الملكيات الكبيرة (إقطاع – ضياع – منى) نسبة قليلة ، وإن كانت المصادر تحفل بأسماء من يملك هذه الأملاك الكبيرة ، وبرزت الملكيات الكبيرة في الأندلس أكثر من المغرب ؛ لاتساع الرقعة الزراعية في الأندلس ، وتمثلت الملكيات المتوسطة في الجنان والبساتين ، فكثرت وتنوعت في المراكز الريفية وحول المدن . أما الملكيات الصغيرة فكانت الأغلب شيوعاً ، وتملّكها معظم الفلاحين في الأرياف ، وتمثلت الملكيات الصغيرة في عدد محدد من الفدادين والحقول أو قطعة صغيرة من الأرض ، وامتلك كثير من العلماء أملاك صغيرة عاشوا على ما تغله .

وشملت الأملاك العامة أرض الأخماس والصوافي والمجاشر والمحجات والطرق الفرعية والشَّعْراء والسبخات ، وحافظ أولو الأمر على هذه المنافع العامة ، كما عرفت الأندلس والمغرب الوكالة على الأملاك وبخاصة على النساء واليتامى ، وسادت الملكيات السابقة الأندلس والمغرب معاً .

وكثرت طرق الحصول على الملكيات والانتفاع بها ، فمن طرق الحصول على الملكيات الزراعية : الميراث ، والأحباس ، والبيع ، والشراء ، والتصدق ، والهبة ، والوصية ، والغصب ، وهي أغلب الطرق التي حددها الإسلام للتملك . أما أشكال الانتفاع فهي : المزراعة ، والمغارسة ، والكراء ، والشركة ، والخماسة .

ونخلص من ذلك أن : أنواع الملكيات وطرقها وأشكال الانتفاع قد عُرِفت بوضوح في الأندلس والمغرب ، وتذكر كتب النوازل هذه الأنواع دون تحديد للأماكن ، وهذا ما جعلني أدمج المادة دون تفريق .

وقد اتسعت مساحة البحث زماناً ومكاناً ، فامتد مكاناً حتى شمل المغرب الإسلامي كله ثم الأندلس ، وهي منطقة ربطت بينها الجغرافية والتاريخ ، فشكل الأندلسيون بعض تاريخ المغرب ، وقام المغاربة برسم نفس الدور حتى تبعهم الأندلس في الفترة المرابطية والموحدية .

وشهد التاريخ الأندلسي والمغربي في فترة الدراسة تجارب مختلفة من الحكم ، وقامت الجغرافيا والتركيبة الاجتماعية بدورهما المؤثر في ذلك ، فسادت الثورات والفتن الأندلس في منتصف القرن ، ثم وحّد الخليفة الناصر أمر الأندلس ، وتعامل بذكاء مع القوى السياسية والاجتماعية ، وامتد حكمه خمسين سنة (٣٠٠ - ٣٥٠هـ) ، فأعطى ذلك فرصة طيبة لاستقرار الأمور ورخاء البلاد ، ثم كان عصر الحكم المستنصر امتداداً لعصر والده ، وعرفت الأندلس الاستقرار أكثر ، وعمل الناس في أملاكهم مطمئنين ، وراقب الحَكَمْ المستنصر العمال والموظفين ، ورفق بالرعية ، لكن التغير بدأ بعد وفاة الحَكَمْ ، وتسلط الحاجب المنصور ابن أبي عامر وبنيه بالأمور ، فتغيرت أوضاع الأندلس جملة ، وبشكل لن تعود لسابقه ، ودخل الأندلس عصر الطوائف ، وعمت الحروب ، فترك الناس أملاكهم ، وأراضيهم ، وتنازل أمراء الطوائف على أملاك المسلمين ، وتحصيناتهم في منطقة الثغور ، ثم فقدت طليطلة ، فأصبح الوضع حرجاً ، إلى أن دخل المرابطون الأندلس.

وتميز المغرب منذ القرن الثاني الهجري بتجارب في الحكم لا نجدها في بلاد الإسلام إلا في المغرب ، فحكم الأغالبة - أتباع العباسيين - في أفريقية ، ودخل المذهب المالكي للمغرب واستقر بأفريقية والمغرب الأقصى ، وقامت في المغرب الأوسط دولة إباضية حكمها بنو رستم ، وأقام الأدارسة دولة سنية مالكية في المغرب الأقصى ، وأعطى هذا الاستقرار السياسي استقراراً في الملكيات الزراعية ، ونهضة عمرانية وحضارية كبيرة ، إلا أن الأمور تغيرت في منتصف القرن الثالث تقريباً ، فحكم المغرب حكام أقل كفاءة من سابقيهم ، وتزامن ذلك مع دخول الشيعة للمغرب وإقامة دولة شيعية لأول مرة ، فتغيرت

أحوال البلاد ، وأوقف تحضر هذه المنطقة ، ولم يكن الشيعة مستريحين بالبقاء في المغـرب، وكانت عيونهم على مصر ، وعندما سنحت الفرصة تركوا المغرب ، بعدما أخذوا منها الأموال والرجال ، وتركوا بني زيري أتباعاً لهم ، ثم تفتت القـوة الصنهاجية الزيرية إلى : بني باديس في أفريقية ، وبني حماد في المغرب الأوسط ، وأخيرا "هزّت المسيرة الهلالية المغرب هزاً عنيفاً ، و توقف العطاء الحضاري تقريباً في هذه المنطقة .

وعاش المغرب الأوسط فترة قلق وصراعات واضطراب منذ القرن الرابع وحتى الثلث الأول من القرن الخامس الهجري زمن قيام دولة بني حماد ، وتصاعدت العداوة القبلية بين صنهاجة وكتامة وزناتة ، وأتت هذه الصراعات على ما في أيدي الناس من أملاك وأموال. أما المغرب الأقصى ، فشكّل الأدارسة تاريخه السياسي والحضاري ، ثم قضى الفاطميون على الاستقرار السياسي في المغرب الأقصى ، ووقع الصدام بين أنصار الأمويين في الأندلس مع أنصار الفاطميين في المغرب ، ودام ذلك أكثر من قرن ، ثم أتت دولة المرابطين فأدخلت تاريخ المغرب والأندلس مرحلة جديدة ، وفي هذه الصراعات الدموية القبلية تُفقد الأملاك ، ويترك الناس قراهم ، ويهلك كثير من الناس ، وتتوقف الحضارة أمام التدمير الكبير .

وأضرت الثورات والفتن بالأملاك الزراعية أشد الضرر للطابع التدميري الذي ساد فيها ، فتعرضت الأرض الزراعية للتخريب في فترات عدم الأمن ، وضعف سيطرة الدولة على الرعية ، وعرف تاريخ الأندلس بعض الفترات التي غلبت فيها الثورات والانتزاءات .

ومن نتائج هذا البحث تحقيق التقسيم الإداري في الأندلس والمغرب رغم قلة المصادر واضطرابها فيما تذكر ، لكنني حاولت تصور ذلك التقسيم ، ولكن لم تُقل الكلمة الفصل – إن صح أن يكون هناك كلمة فصل نهائية في البحوث الإنسانية التاريخية والحضارية – فقد وجد المسلمون في الأندلس نظاماً سابقاً عليهم فساروا عليه ، وجعلوا المدينة قسماً إدارياً في الثغور ، بينما جعلوا الكورة قسماً إدارياً في بقية المناطق ، واعتبر الإقليم بما يتبعه من قرى عديدة ومدن وحدة مالية خاصة. أما التقسيم الإداري في المغرب فكان متذبذباً لتعدد ولاء القبائل التي سكنت المدن ، إلا أن الأقسام الرئيسية ظلت كما هي تقريباً ، وما تغير هو ولاء هذا الإقليم أو الجزء .

وارتبط هذا النظام الإداري بالملكيات الزراعية لخضوع التقسيم الإداي للقدرات الاقتصادية والمالية للأقاليم والقرى ، فقسم الأندلس والمغرب إلى وحدات إدارية واضحة معروفة تمثلت في : كور ، ومدن ، وأقاليم ، وقرى ، وفُرِضت المستحقات المالية على القرى ، فكان على كل قرية قدر معين من المال يدفعها أهل القرية ، ثم تُجَمع في الأقاليم أو المدن .

وحاولتُ تحقيق دور الخطط الإدارية والملكيات الزراعية ؛ لاستعانة الحكومات بجهاز إداري متوزع الأدوار والاختصاصات ، وظهر وضوح الخطط الإدارية في الأندلس والمغرب للفارق الحضاري بين القطرين ، وشملت هذه الخطط المرتبطة – في أحد جوانبها بالملكيات – الولاية على البلدان والوزراء والقضاء والحسبة والمظالم والأحباس والمواريث والدواوين المالية والجباة ، وتتدخل كل خطة في الملكيات بشكل أو بآخر ، وكان تأثير أفراد الإدارة على ما في أيدي الناس من أملاك واضحاً .

وأثبت البحث أهمية الحياة الاقتصادية في زيادة الإنتاج ، فظهر تقدم الزراعة في الأندلس بشكل طيب ، ولم تتخلف المغرب عن هذا التقدم إلا بعد استمرار الصراعات والحروب من كل نوع ، وكانت الزراعة في تلك الأزمان من أهم شروط ازدهار الحضارة ، ولذا فقد اهتم الأندلسيون والمغاربة ، بمشاريع الري والمنشآت المائية ، وكل المشاريع تحتاج إلى رعاية وترميم ، وهذا ما حدث في الأندلس ولم يحدث في المغرب لجملة الأسباب التي ذكرتها مرارا .

وحافظ المسلمون على النظام الدائم للري ، واتباع دورة زراعية مكثفة ، واستغلال دائم للأملاك الزراعية طوال العام ، وإنتاج كثير وآمن للغذاء ، مما حقق قدراً من الاكتفاء الذاتي ساعد الفلاحين على مواجهة الأزمات الاقتصادية لفترات محدودة ، واعتمد المسلمون في الأندلس والمغرب على مصادر متعددة للمياه منها : الأمطار ، والأنهار ، والعيون والآبار ، وظهر توفر المياه في الأندلس أكثر من المغرب ، ووجدت أنهار كثيرة بالأندلس عكس المغرب ، فلم توجد بشكل كبير إلا في المغرب الأقصى ، وحاول الأندلسيون والمغاربة حل مشكلات المياه باستنباطها بكافة الطرق ، أما مشكلات استعمال المياه من الفلاحين وما ينشأ من قضايا ، فحكم فيها القضاة وأعوانهم .

وظهرت وفرة الإنتاج الزراعي ، ووفرة الغذاء والمحصولات الزراعية الغذائية وغير الغذائية ، وخزن الفلاحون الغذاء تحسباً للفتن والأزمات السياسية والكوارث الطبيعية، ولاحظنا تأثر الثروة الزراعية بعدة عوامل طبيعية وبشرية منها : الجفاف والفيضانات والسيول والرياح والأوبئة والآفات .

ومارس الفلاحون أنشطة أخرى مثل : الرعي استغلالاً للمساحات التي لا تصلح للزراعة ، فكثرت مناطق الرعي حول المدن والقرى ، وربى في المناطق الرعوية : الأغنام، والبقر ، والإبل ، والخيل ، والبغال ، وربى الفلاحون في بيوتهم الطيور والنحل.

وساعدت وفرة الموارد الطبيعية الزراعية على قيام صناعات زراعية (أي تقوم على ما تخرجه الأملاك الزراعية) ، وسايرت هذه الصناعات التقدم العمراني ومتطلبات الحياة ، فتطورت وازدهرت صناعات مثل : المنسوجات و الدباغة ، والصباغة ، والورق ، والدقيق، والخبز ، والصناعات الجلدية والخشبية ، والصناعات البسطة في الريف مثل الحبال والجبن.

وكشف البحث عن النشاط التجاري الخارجي والداخلي في فترة البحث ، فشهد المغرب والأندلس في القرون الثلاثة الأولى ازدهاراً كبيراً في التجارة ، حتى رأينا كثيراً من تجار العالم الإسلامي في الأندلس والمغرب ، بل غلب على مدن المغرب - خاصة - الطابع التجاري ، وقد وفرت الدول التي قامت في المغرب الأمن للتجار ، فتنقلوا بحرية ، وراقبت الحكومات الأسواق والموظفين ، وخففوا من الضرائب والمكوس.

وكان من الطبيعي أن تحدث تبادلات تجارية بين المدن والأرياف في الأندلس والمغرب ، وقد ظهر ذلك بصورة طيبة في كلا البلدين ، وكانت الأسواق الداخلية تعقد بانتظام في القرى والمدن ، وشاعت الكلمات الدالة على كثرة الأسواق لدى الجغرافيين (وبها الأسواق الكبار) ، وقد حاولت تحقيق مسألة الأسعار والاحتكارات التي يمكن أن تحدث، ولم يكن أمر الاحتكار ميسراً ؛ لأن المحتسب يراقب عملية التجارة ، ويراعي مصلحة المجتمع قبل كل شيء ، بل أن المحتسب من كثرة مراقبته للأسواق عرف بصاحب السوق لكثرة تردده على الأسواق ومتابعتها.

أما التجارة الخارجية فقد وصلت إلى الصين وبلاد الفلجا وإفريقية السوداء ودولة الفرنجة والبلاد الإسكندنافية ، وكان التعامل يتم بالطرق السائدة في هذا العصر عن طريق

الأوزان والمكاييل والسفاتج والصكوك ، وساعد ذلك على انتعاش مدن السواحل والموانـي كألمرية ، والمهدية ، وشهد الأندلس والمغرب في القرن الخامس فترة قلق وأخطار خارجية قللت من التجارة.

أما النظام المالي في الأندلس فكان يشبه النظام المالي في المغرب من حيث مصادر دخل الدولة ووجوه الإنفاق ، وهو تشابه ليس كلياً ، أما داخل هذا التشابه السطحي فهناك خلاف في السياسة المالية التي اتبعتها دول الأندلس ودول المغرب ، فقد قاسى المغاربة من المظالم المالية في عهد الدولة الفاطمية بشكل مروع ، وبجانب هذه المظالم انعدم الأمن . أما في الأندلس فقد كادت أن تختفي هذه الظاهرة ، ففضلاً عن رخاء الأحوال ، كان الخليفة يترك بعض مستحقات الدولة تيسيراً للسكان أو شكراً على شفاء من مرض أو لميلاد ولد ، وغيرها من المناسبات ، وقد كشف البحث عن التجاوزات المالية من عمال الدولة الفاطمية، عكس عمال الدولة الأموية .

واعتمد النظام المالي على ما تغله الأرض من خراج وعشور ، وظهر اتساع الرقعة الزرايعة أو استغلالها بشكل طيب من خلال مقدار الجباية ، فرأينا ارتفاع مقدار الجباية في الأندلس بشكل كبير في القرن الرابع ، في حين انخفضت في المغرب ، كما عرف الريف الأندسي والمغربي بعض المعاملات المالية مثل : القرض و الاستدانة الرهن والمعاوضة والوديعة .

ووضح تأثير الملكيات الزراعية أكثر في دراسة الحياة الاجتماعية ، فكثرت العناصر السكانية في الأندلس والمغرب ، وظهر الانعكاسات على الحياة الاجتماعية من جانب النظام السياسي ، ورصد البحث التغير الجوهري في تركيبة الأندلس الاجتماعية عن المغرب ، وقد ساعد هذا التركيب على توجيه الحياة الحضارية جملة في كلا البلدين ، فكان تركيب الأنلس تركيباً عنصرياً جنسياً ، ودخلت هذه العناصر في صراعات أغرقت الأندلس في خلافاتها، وساد المغرب النظام القبلي ، وقد فتح الباب أمام الصراعات القبلية في المغرب ، فاستهلكه وأكلت أبناءه .

وارتبطت العناصر السكانية في الأندلس والمغرب بالأملاك الزراعية (امتلاكاً أو انتفاعاً) ، وأظهر العناصر السكانية هي: العرب والبربر والمولدون والفرس وأهل الذمة

(نصارى ويهود) . ومر كل عنصر أو قبيلة بتاريخ ، واشترك في الأحداث بشكل مؤثر ، وكانت القبائل والعناصر تظهر وتختفي حسب قوتها ، وقد كان اللعب بالتركيبة الاجتماعية في الأندلس والمغرب خطراً كبيراً ، وأتى الوقت التي استحال فيها التوفيق بين العناصر والقبائل ، وأُفسدت كل محاولات الإصلاح في الأندلس والمغرب ، وحدثت تغيرات اجتماعية في منتصف القرن الخامس الهجري بين الأندلس والمغرب ، وبشكل بارز ، فدخل البربر الأندلس بصورة كبيرة ، ورحل الأندلسيون إلى المغرب ، وكانت لهذه التغيرات أثرها الحسن حضارياً بالنسبة للمغرب خاصة .

وقدمت مبحثاً عن فئات السكان ، واتفقت هذه الفئات من ناحية الاسم واختلفت في السلوك ، وضمت هذه الفئات مختلف العناصر السكانية ، فلم يحتل عنصر و احد شريحة أو فئة واحدة ، وهو دليل على الامتزاج الحضاري ، وأهم الفئات السكانية هي : الأمراء ، وكبار رجال الدولة ، وامتلك هؤلاء أملاك كبيرة وواسعة في الأندلس والمغرب ، وحاز العلماء على الأملاك الكبيرة والمتوسطة والصغيرة ، أما الفلاحون فكانوا أكثر الفئات في الأرياف والبوادي ، وامتلكوا بعض الأرض أو انتفعوا بها بالمزارعة والمغارسة والكراء والشركة ، وارتبط بهم الأجراء والرعاة والعبيد الذين يعملون في الأرض ، وكشفت النوازل عن جوانب عديدة من حباة هذه الفئات لم تكن معروفة قبل ذلك ، وكذلك ارتبطت حياة التجار والصناع بالأملاك الزراعية ، فأغلب المواد الخام في الصناعات مما تخرجه الأرض، ومعظم الصادرات هي صادرات زراعية أو صناعية مما يخرج من خيرات الأرض.

وكانت مظاهر الحياة الاجتماعية في العادات والتقايد والأخلاقيات معبرة عن حياة الفلاحين في الأرياف ، وذلك لشيوع بعض الأحكام العامة عن الحياة الاجتماعية من بعض المستشرقين معتمدة على أخبار قليلة ترد في كتب الأدب خاصة ، وتقع في القصور غالبا، في حين هناك أغلبية تسكن الأرياف والبوادي لها عادات وتقاليد وأخلاقيات في : الزواج ، والطلاق ، والخلع ، والأزياء ، والطعام ، والعلاج، تختلف عن عادات أهل المدن.

وحين دخل الإسلام المغرب والأندلس استقرت الأحوال ، وأمن الناس ، وكثر العمران، وتعددت المراكز العمرانية مثل : القرى والمدن والحصون والقلاع والقصور.

والرط ، وعدّد الرحالة والجغرافيون عشرات القرى والمدن والقصور والربط التي استحدثها المسلمون ، ووضع العلماء المسلمون شروطاً لاستمرار العمران ، وهي شروط جمعت العوامل البشرية والطبيعية ، وهو كلام طيب للغاية ، وشكّل نظرية للعمران الإنساني.

وتبع ازدهار العمران وتعدده كثرة المرافق والمنشآت في الأرياف مثل: المساجد ، والبيوت ، والربط ، والأسواق ، والفنادق ، والأرحاء (الطواحين) ، والمطامير ، والأهراء، والأفران ، وغير ذلك .

❀ ❀ ❀

الملاحــق

الملحق رقم (١)

وثيقة شراء أرض زراعية بمدينة وشقة [١]

(ذي الحجة ٥٤٨هـ/فبراير ١١٥٤م)

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على محمد وآله

ابتاع إسماعيل بن عبد الله بن مسعود بن ثرثال الأنصاري من أخيه لأبويه مسعود بن عبد الله المذكور جميع الفدادين الأرض المزروعة السقي اللذين عند المنية المنسوبة إلى الصباغ وإلى الابيتر بقبلي مدينة وشقة تحت مرج غليانق وهما الفدانان اللذان خرجا إليه حين قسمته مع أخيه اسماعيل المذكور ، حد أحدهما وهو دمغة في القبلة من المنية المذكورة بينهما أندر وحد الثاني وهو فاشة في القبلة أرض مرتين النصراني بين المنيان وشرقيه كذلك وغربيه ساقية بجميع منافعهما وحرمهما وحقوقها كلها ابتياعا صحيحا لم يتصل به شرط مفسد ولا ثنيا ولا خيار بثمن عدته أربعون دينارا (قناشير) فضة من السكة الجارية الآن بوشقة نقده المبتاع المذكور وأبزأه منه ابراء صحيحاً فبرئ وقبض المبتاع المذكور المبيع المحدود وحل فيه وفي جميع حقوقه محل البائع المذكور فنزل منزلته ومحل ذي الملك في ملكه محل سنة المسلمين في طيب بيوعهم ومرجع ادراكهم بعد معرفتها بقدر ما تبايعاه ومبلغه ومنتهى خطره ، لم يجهلا شيئاً منه وأقر المبتاع المذكور أنه إنما ابتاع الابتياع المذكور لختنته أملى بنت صالح بن محمد زوج مسعود المذكور ومن مالها نقد فيه الثمن المذكور وأنه إنما أوقع اسم نفسه في رسم الابتياع على وجه العارية والصيانة والكفاية لها ، شهد على البائع مسعود المبتاع المقرا اسماعيل المذكورين بذلك من عرفهما في صحتهما وجواز أمورها في شهر ذي الحجة سنة ثمان وأربعين وخمسمائة .

---

[١] انظر نصل الوثيقة في : وثائق عربية بأرشيف كاتدرائية وشقة ، نشر بوسة بيلا ، مجلة المعهد المصري بمدريد ، سنة ١٩٥٧م ، ص١٩ ، ٢١.

الملحق رقم (٢)

وثيقة مزارعة على الربع

زارع فلان بن فلان الفلاني في أرضه البيضاء التي له بقرية كذا من إقليم كذا من عمل قرطبة أو من كورة كذا على أن يخرج فلان رب هذه الأرض ثلاثة أرباع ما يبذره فيها من الحبوب كلها ، ويخرج فلان المزارع الربع الرابع ويخلطاها ويزرعها فلان المزارع فيها فكان ثلاثة أرباع عمله مساوياً لربع كراء الأرض. وشهد على اشهاد فلان وفلان على أنفسهما . (أنظر ابن العطار ، الوثائق ، ص٦٧).

الملحق رقم (٣)

وثيقة مغارسة إلى سنين معلومة

دفع فلان الفلاني إلى فلان بن فلان الفلاني حقل بيضاء التي له بقرية كذا من اقليم كذا من عسل كذا ، فإن فيها لمع يسيره خفيفة للقلع قلت حقل أرض بيضاء فيها لمع يسيره خفيفة المؤونة على أن يقلع فلان ما فيها لخفته ويسارته ويغرسها شجرات أعناب جنسها أو شجرتين جنسها ؛ ذا أو ثمرة كذا ويخدمها ويحفرها وينظر فيها خمسة أعوام أو أربعة أعوام أو ثلاثة أعوام أو عامين أو لها تاريخ هذا الكتاب وهذه دونه الأطعام أو على قد الاطعام . شهد على إشهاد فلان وفلان على أنفسهما . (انظر ابن العطار ، الوثائق ٧٦) .

الملحق رقم (٤)

عقد اقطاع

أقطع أمير المؤمنين أيده الله بنصره وأمده بمعونته فلان بن فلان جميع الموات التي موضع كذا حدودها كذا بحقوقه ومنافعه ومرافقه اقطاعاً صحيحاً لا شرك ، يمتلكه بذلك المقطع فلان لما رآه أمير المؤمنين لحسن نظره وجميل رأيه واجتهاده في المصلحة في ذلك للمسلمين في اقطاع فلان ما ذكر في هذا الكتاب لعناية في الإسلام وجهاده ومثل المقطع ذلك. شهد على اشهاد أمير المؤمنين أيده الله بما ذكر عنه في هذا الكتاب وذلك في شهر كذا . (انظر : ابن القاسم ، المقصد المحمود ، مخطوط ، ورقة ٣٧ب).

الملحق رقم (٥)

عقد استئجار راعي غنم

استأجر فلان فلاناً لرعاية ضأنه التي مبلغها كذا وكذا رأسها لمدة عام كاملة أوله شهر كذا بكذا وكذا دينار يدفعها إليه عند انقضاء العام المذكور وبنفقته وكسوته في الشتاء والصيف على أن على المستأجر ما نقص من غنمه المذكورة مدة استئجاره ، وقبض الراعي المذكور الغنم المذكورة بعد أن نظر إليها وعدها والتزم رعايتها وحفظها والقيام بمؤنتها ليلاً ونهاراً وطلب المراعي الخصبة في جميع فصول السنة . (انظر : ابن القاسم ، نفسه ، مخطوط ، ورقة ٥٦أ).

الملحق رقم (٦)

استئجار صانع

استأجر فلان فلاناً النساج لنسج الكتان أو الحرير أو القطن في طرازه وعلى آلته بحاضرة مدينة كذا بسوق كذا لمدة كذا أولها شهر كذا دفع المستأجر منها كذا وقبضها الأجير فلان ويدفع إليه باقيها عند انقضاء كذا . (أنظر: ابن القاسم ، نفسه ، ورقة ٥٦أ).

الملحق رقم (٧)

عقد قراض

دفع فلان إلى فلان كذا وكذا ديناراً قبضها من فلان وصارت في يده ليتجر بها فيما شاء من أنواع المتاجر ويضرب فيها في البلدان إن شاء ويبتغي فيها من فضل الله تعالى وله فيها نفقته في شخوه وإقامته في سفره ورجوعه إلى بلده . فما أفاد الله عليهما من ربح فهو بينهما بالسوية بعد أن ينفي رأس المال وتحصل بيد ربه . (أنظر :ابن القاسم ، نفسه ، ورقم ٦٦أ - ٦٦ب) .

❀ ❀ ❀

المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

أولاً : المصادر المخطوطة :

(١) ابن أبي زمنين ، محمد بن عبد الله بن أبي زمنين (ت ٣٩٩ هـ/١٠٠٨م) :

– كتاب في الأقضية والأحكام ، مخطوط بمعهد المخطوطات العربية برقم ١/١ ، فقه مالكي .

(٢) الطغنري ، محمد بن مالك الطغنري (كان حياً سنة ٤٨٠هـ/١٠٨٧م) :

– زهر البستان ونزهة الأذهان ، مخطوط بمعهد المخطوطات العربية برقم ٦ ، الزراعة والأعشاب.

(٣) مؤلف مجهول :

– كتاب في الجغرافية ، مخطوط بمعهد المخطوطات العربية برقم ٤٦ ، جغرافية .

(٤) مؤلف مجهول (عاش في القرن الثامن الهجري / الرابع عشر الميلادي) :

– كتاب في ذكر بلاد الأندلس وصفاتها ، مخطوط بمعهد المخطوطات العربية برقم ١٧٦ ، جغرافية .

(٥) مؤلف مجهول :

– منظومة في الفلاحة الأندلسية ، مخطوط بمعهد المخطوطات العربية برقم ٢٨ ، فلاحة .

ثانياً : المصادر العربية المطبوعة

(١) ابن الأبار ، محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي (ت ٦٥٨هـ) :

– التكملة لكتاب الصلة ، مكتب نشر الثقافة الإسلامية ، القاهرة ١٩٥٦م.

– الحلة السيراء ، تحقيق د. حسين مؤنس ، الشركة العربية للطباعة والنشر ، القاهرة ، ١٩٦٣م.

– المعجم في أصحاب القاضي أبي علي الصدفي، تحقيق المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية د. طـ ، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر ، القاهرة ١٩٦٧م.

(٢) ابن أتلقين ، الأمير عبد الله بن أتلقين (ت – ٤٨٩هـ / ١٠٩٦م) :

– مذكرات الأمير عبد الله المسماة بكتاب التبيان تحقيق ليفي بروفنسال طبع دار المعارف بمصر ١٩٥٥م .

(٣) ابن الأثير ،عز الدين أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الله الشيباني (ت ٦٣٠هـ /١٢٣٣م):

– الكامل في التاريخ ، دار صادر بيروت ١٣٨٥هـ / ١٩٦٥م.

(٤) ابن الأحمر ، إسماعيل :

– بيوتات فاس الكبرى د. ط – دار المنصورة للطباعة والوراقة ، الرباط ، ١٩٧٢م .

(٥) الإدريسي، أبو عبد الله محمد بن عبد العزيز بن إدريس الحمودي الحسيني (ت٥٤٨هـ / ١١٥٣م):

– كتاب نزهة المشتاق في اختراق الأفاق ، نشرة مكتب الثقافة الدينية.

– صفة المغرب وأرض السودان والأندلس (مأخوذ من كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق) نشر دي عرية ودوزي ، ليدن، ١٨٩٤م .

(٦) الإشبيلي ، أبو الخير (عاش القرن ٥هـ/١١م) :

– كتاب الفلاحة ، الطبعة الأولى ، فاس ، ١٣٥٧هـ .

(٧) الاصطخري (أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الناس) ، (ت ٣٤٦هـ / ٩٥م) :

– المسالك والممالك ، تحقيق الدكتور محمد جابر عبد العال الحسني ومراجعة محمد شفيق غربال القاهرة ١٣٨١هـ/ ١٩٦١م.

(٨) الأنصاري :

– المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب ، ليبيا ، الطبعة الأولى ١٩٦١م.

(٩) ابن أبي إصيبعة ، موفق الدين العباسي أحمد بن القاسم خليفة بن يونس السعدي (ت٦٦٨هـ/١٢٧٠م).

– عيون الأنباء في طبقات الأطباء ، نشرة الدكتور نزار رضا – طبع بيروت ١٩٦٥م .

(١٠) ابن بسام ، أبو الحسن علي : (ت ٥٤٢هـ)

– الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ، تحقيق الدكتور إحسان عباس ، دار الثقافة ، بيروت ١٩٧٩م .

(١١) ابن بشكوال ، خلف بن عبد الملك ، (ت ٥٧٨هـ):

- الصلة ، د. ط - الدار المصرية للتأليف والترجمة ١٩٦٦م.

(١٢) ابن بصال ، عبد الله محمد بن إبراهيم

- كتاب الفلاحة ، تطوان ١٩٥٥م .

(١٣) ابن بطلان :

- رسالة في شرى الرقيق وتقليب العبيد - تحقيق محمد عبد السلام هارون - القاهرة الطبعة الأولى ١٣٧٣هـ - ١٩٥٤م.

(١٤) ابن بطوطة ، محمد بن عبد الله بن محمد (ت ٧٧٩) :

- رحلة ابن بطوطة ، دار صادر ، بيروت ١٩٦٤م .

(١٥) البغدادي ، صفي الدين عبد المؤمن بن عبد الحق (ت ٧٣٩هـ) :

- مراصد الإطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع ، تحقيق علي محمد البجاوي ، دار إحياء الكتب العربية ، القاهرة ، ١٩٥٥م.

(١٦) البكري ، أبو عبيد (ت - ٤٨٧هـ / ١٠٩٤م) :

- جغرافية الأندلس وأوربا من كتاب المسالك والممالك تحقيق الدكتور عبد الرحمن الحجي ، طبع دار الإرشاد للطباعة والنشر والتوزيع بيروت ١٣٨٧هـ / ١٩٦٨م .

- المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب (وهو جزء من الكتاب المعروف بالمسالك والممالك) تحقيق دوسلان ، مطبعة أدولف جوردان ، الجزائر ، ١٩١١م .

- كتاب المسالك والممالك . حققه وقدم له وفهرسه أوربان فان ليفون واندري فيرزي ، الدار العربية للكتاب - تونس ١٩٩٢م .

(١٧) البلاذري ، أحمد بن يحيى بن جابر (ت ٢٤٨هـ) :

- أنساب الأشراف جـ ١١ - جْريفز فالد سنة ١٨٨٣م .

(١٨) ابن بلقين ، الأمير عبد الله بن أتلقين (ت ٤٨٩هـ/١٠٩٦م) :

- مذاكرات الأمير عبد الله ، المسماة بكتاب التبيان ، تحقيق ليفي بروفنسال ، طبع دار المعارف بمصر ١٩٥٥م .

(١٩) البهوتي ، المنصور ابن إدريس (ت ١٠٥١هـ) :

- كشاف القناع عن متن الإقناع ، مطبعة أنصار السنة المحمدية ١٣٦٦ هـ - ١٩٤٧م .

(٢٠) البيذق ، أبو بكر بن علي الصنهاجي (ت – القرن السادس الهجري) :
– أخبار المهدي بن تومرت ، تحقيق بروفنسال، باريس ١٩٤٨م.
– أخبار المهدي بن تومرت وبداية دولة الموحدين ، د. ط، دار المنصورة للطباعة والوراقة ، الرباط ، ١٩٧١م .
(٢١) ابن البيطار :
– كتاب الجامع لمفردات الأدوية والأغذية – القاهرة ١٢٩١هـ.
(٢٢) ابن جبير ، محمد بن أحمد بن جبير الكناني (ت ٦١٤هـ) :
– رحلة ابن جبير ، دار صادر – بيروت ١٩٥٩م .
(٢٣) الجرسيفي (عمر بن عثمان بن العباس) :
– رسالة في الحسبة ، تحقيق ليفي بروفسال ، القاهرة ١٩٥٨م .
(٢٤) الجزنائي (أبو الحسن علي) :
– زهرة الآس في بناء مدينة فاس ، د. طـ مطبعة باستيد ، الجزائر ، ١٩٢٢م .
(٢٥) ابن جلجل ، سليمان بن حسان (ت بعد ٣٧٧هـ) :
– طبقات الأطباء والحكماء ، تحقيق فؤاد سيد ، الطبعة ا لثانية ، (بيروت : مؤسسة الرسالة ١٤٠٥هـ١٩٨٥م) .
(٢٦) ابن حجاج الإشبيلي ، أحمد بن محمد :
– المقنع في الفلاحة ، تحقيق صلاح جرار وجاسر أبو صفية ، (منشورات مجمع اللغة العربية الأردني ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م) .
(٢٧) ابن حزم الأندلسي أبو محمد علي بن أحمد المتوفى سنة ٤٥٦هـ :
– الرد على ابن النغريلة اليهودي ورسائل أخرى – تحقيق الدكتور إحسان عباس – مطبعة دار العروبة – القاهرة ١٣٨٠هـ – ١٩٦٠م .
– رسائل ابن حزم الأندلسي – تحقيق الدكتور إحسان عباس، مكتبة الخانجي بمصر – ومكتبة المثنى ببغداد .
– رسائل ابن حزم أمهات الخلفاء – تحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد ، مجلة المجمع العلمي العربي – مجلد ٣٤ج ٢ سنة ١٩٥٩م .
– الفصل في الملل والأهواء والنحل (خمسة أجزاء) طبع مكتبة المثنى ببغداد ومؤسسة الخانجي بالقاهرة .

- فضائل الأندلس وأهلها - دار الكتاب الجديد ١٣٨٧هـ - ١٩٦٨م.
- طوق الحمامة في الألفة والآلاف - تحقيق د/ الطاهر أحمد مكي ، دار المعارف، القاهرة ١٩٩٤م .
- مداواة النفوس وتهذيب الأخلاق والزهد والرزائل ، تحقيق الطاهرة مكي ، دار المعارف .
- رسالة التلخيص لوجوه التخليص وسبعة رسائل أخرى - تحقيق الدكتور إحسان عباس ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر بيوت ١٩٨٧م .

(٢٨) الحطاب ، أبي عبد الله محمد بن عبد الرحمن (ت ٩٥٤هـ) :

- مواهب الجليل شرح مختصر خليل ، مطبعة السعادة ، الطبعة الأولى ١٣٢٩هـ ، وبهامشه شرح المواق على هذا المختصر .

(٢٩) ابن حماد ، أبو عبد الله محمد بن علي :

- أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم ، الجزائر ١٣٤٦هـ.

(٣٠) الحميدي ، أبو عبد الله محمد بن نصر فتوح عبد الله اللازدي - ت ت ٤٨٨هـ):

- خذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس ، الدار المصرية للتأليف والترجمة ١٩٦٦م .

(٣١) الحميري ، أبو عبد الله محمد بن عبد المنعم (ت ٩٠٠ هـ):

- كتاب الروض المعطار في خبر الأقطار (معجم الجغرافي) تحقيق الدكتور إحسان عباس ، مؤسسة ناصر للثقافة ، بيروت ١٩٨٠م .
- صفة جزيرة الأندلس (قطعة منتخبة من الروض العطار في خبر الأقطار) تحقيق ليفي بروفنسال ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ١٩٣٧م .

(٣٢) ابن حوقل (أبو القاسم محمد بن علي) ت ٣٢٢هـ/ ١٩٣٤م :

- كتاب صورة الأرض ، منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت ١٩٧٩م .

(٣٣) ابن حيان (أبو مروان حيان بن خلف) ت ٤٤٩هـ / ١٠٧٩م :

- كتاب المقتبس في تاريخ رجال الأندلس هو مشتمل على تاريخ دولة الأمير عبد الله الأموي بقرطبة - اعتني بنشره ملشور انطونيا ، باريس ١٩٣٧م ، ورمز له ج٣ .

- المقتبس ، تحقيق محمود علي مي ، دار الكتاب العربي ، بيروت ١٩٧٥م ورمز له ج٢ .

- المقتبس في أخبار بلد الأندلس ، تحقيق الدكتور عبد الرحمن الحجي ، قطعة تتحدث عن خمس سنوات غير كاملة من أيام الحكم المستنصر (٣٦٠ - ٣٦٤هـ / ٩٧٠ - ٩٧٤م) دار الثقافة ، بيروت ١٩٦٥م .

- المقتبس الجزء الخامس ، نشره ب شالميتا ف - كورينطي، م صبح المعهد الأسباني العربي للثقافة ، مدريد ١٩٧٩م ، ورمز له بالرمز ج٥ .

(٣٤) ابن خاقان (أبو نصر الفتح بن محمد بن عبيد الله القيسي) ت ٥٣٩ أو ٥٢٥هـ:

- قلائد العقيان صححه وحققه وعلق عليه الأستاذ الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور الدار التونيسية بتونس ١٩٩٠م .

- كتاب مطمح الأنفس ومسرح التأنس في ملح أهل أندلس ، دراسة وتحقيق محمد علي شوابكة ، مؤسسة الرسالة ودارعمار ببيروت ١٩٨٣م.

(٣٥) الخشني (أبو عبد الله محمد بن حارث بن أسد القيراوني) ت ٣٦١هـ/٩٧٠م:

- قضاة قرطبة ، الدار المصرية للتأليف والترجمة والنشر القاهرة ١٩٦٦م .

(٣٦) ابن الخطيب (لسان الدين محمد بن عبد الله سعيد السلماني - ت ٧٧٦هـ/ ١٣٧م)

- الإحاطة في أخبار غرناطة - تحقيق محمد عبد الله عنان ج مكتبة الخانجي القاهرة ١٣٩٣هـ / ١٩٧٣م ،١٩٧٦م .

- أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الاسلام، القسم الثاني ، المنشور بعنوان تاريخ أسبانيا الإسلامية نشرة ليفي

بروفنسال مطبوعات معهد العلوم العليا المغربيـة، دار الكشـوف ، بيروت ١٩٥٦م .

– أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام الجزء الخـاص بتـاريخ المغـرب وصـقلية ، نشـرة أحمـد مختـار العـابدي وإبراهيم الكتاني ، دار الكتاب ١٩٦٤م

– شرح رقم الحلل في نظم الدول ، تحقيق دكتور عدنان درويش، منشورات وزارة الثقافة في الجمهورية العربيـة السـورية، دمشـق ١٩٩٠م .

– مشـاهدات لسـان الديـن الخطيـب فـي بـلاد المغـرب والأندلـس ومجموعـة مـن رسـائله ، نشـرة الدكتـور أحمـد مختـار العبـادي ، مؤسسة شباب الجامعة بالإسكندرية مصر ١٩٨٣م .

(٣٧) ابن خلدون : عبد الرحمن بن محمد (ت ٨٠٨):

– تاريخ ابن خلدون د.طـ ، طبعة دار الكتاب اللبنـاني ، بـيروت ١٩٦٨م.

(٣٨) ابن خلكان ، أبو العباس شمس الدين أحمد محمد بن أبي بكر بن خلكان (ت ٦٨١):

– وفيـات الأعيـان وأنبـاء الزمـان ، تحقيـق إحسـان عبـاس – دار صـادر بيروت ١٩٧٠م.

(٣٩) الدباغ – عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله الأنصـاري:

– معـالم الإيمـان معرفـة أهـل القـيروان (مـع تعليقـات قاسـم بـن عيسى بن ناجي ، تونس ١٣٢٢هـ) في أربعة أجزاء .

(٤٠) ابن دحية (أبو طالب عمر بن حسن المتوفى ٦٣٣هـ/ ١٢٣٥م).

– المطرب في أشعار أهل المغرب ، تحقيـق إبراهيـم الإبيـاري و الدكتور حـامد عبـد المجيـد ، مراجعـة الدكتـور طـه حسـين ، دار العلم للملايين ، بيروت ١٩٥٥م .

(٤١) الدردير ، أحمد بن محمد بن أحمد (ت ١٢٠١هـ) :

الشرح الكبير المسمى فتح القدير على مختصـر الخليـل ، مطبـوع معه حاشيتة محمد بن أحمـد بـن عرفـه الدسـوقي (ت١٢٢٠هـ) ، مطبعة عيسى الحلبي .

(٤٢) ابن أبي دينار محمد بن القاسم الرعيني القيرواني (كان حياً سنة ١١١٠هـ) :
- المؤنس في أخبار إفريقيا وتونس ، تحقيق محمد شمام ، المكتبة العتيقة ، تونس ، ١٩٦٧م .
(٤٣) ابن راشد ، أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن راشد البكري القفصي المالكي :
لباب اللباب ، المطبعة التونسية ١٣٤٦هـ .
(٤٤) ابن الرامي ، محمد بن إبراهيم اللخمي :
الإعلان بأحكام البنيان ، تحقيق فريد بن سليمان ، مركز النشر الجامعي ، تونس ١٩٩٩م .
(٤٥) ابن رستمه (٢٩٥هـ - ٩٠٧م) :
- الأعلاق النفيسة ، ليدن ١٣٩٢ هـ - ١٠٦٧م .
(٤٦) ابن رشد ، أبي الوليد محمد بن أحمد بن رشد المشهور بابن الحفيد (ت ٥٩٧هـ):
بداية المجتهد ونهاية المقتصد ، الطبعة الثانية ، مطبعة مصطفى الحلبي ١٣٧٠هـ /١٩٥٠م .
- بداية المجتهد ونهاية المقتصد ، مطبعة الاستقامة ١٣٧١هـ
(٤٧) ابن رشد ، أبي الوليد محمد بن أحمد بن رشد المعروف بابن رشد الجد (ت ٥٢٠هـ)
- المقدمات الممهدات لبيان ما تقتضيه رسوم المدونة من الأحكام الشرعية ، جزءان ، مطبعة السعادة ١٣٢٥هـ .
- فتاوى ابن رشد ، تحقيق دار الغرب الإسلامي ١٩٨٧م .
(٤٨) الزبيدي ، محمد بن الحسن (ت ٣٧٩ هـ/٩٨٩م) :
- طبقات النحويين و اللغويين ، تحقيق أبو الفضل إبراهيم ، دار المعارف ، ١٩٨٤م .
(٤٩) ابن الزبير ، أبو جعفر محمد (ت ٧٠٨هـ/١٣٠٨م) :
- صلة الصلة ، تصحيح وتعليق ليفي بروفنسال ، الرباط ، ١٩٣٨م .
(٥٠) ابن أبي زرع ، أبو الحسن علي بن عبد الله الفاسي (ت ٧٢٦هـ/ ١٣١٥م):
- الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس ، نسخة حجرية طبعة فاس ١٣٠٥م .

(٥١) أبو زكريا ، بن يحيى أبي بكر (٤٧١هـ/١٠٧٨م) :
- سير الأئمة وأخبارهم ، تحقيق إسماعيل العربي ، ط٢ ، بيروت : دار الغرب الإسلامي ، ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م.
(٥٢) الزهري ، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر (عاش في القرن ٦هـ/١٢م) :
- كتاب الجغرافية ، تحقيق محمد حاج صادق ، د.ت ، د.ن
(٥٣) الزياني : أبو القاسم (ت ٢٢٤هـ) :
- الترجمانة الكبرى في أخبار المعمور براً وبحراً تحقيق عبد الكريم الفيلالي ، د. طـ د . م ١٩٦٧م .
(٥٤) ابن زيدان : عبد الرحمن ، ت ١٣٦٥هـ :
- اتحاف أعلام الناس بجمال حاضرة مكناس طـ ١ ، المطبعة الوطنية ، الرباط ١٩٢٩م.
(٥٥) سحنون ، محمد (ت ٢٤٠هـ) :
- كتاب آداب المعلمين ،ط٢ ، تحقيق محمد العروسي المطوي، دار الكتب الشرقية ، تونس ١٩٧٢م .
(٥٦) سحنون ، سحنون بن سعيد التنوفي (عن الإمام عبد الرحمن أبي القاسم مالك بن أنس الأصبحي ١٧٩هـ)
- المدونة الكبرى، مطبعة السعادة ١٢٢٣هـ
(٥٧) السراج ، محمد بن محمد (ت ١١٤٩هـ) :
- الحلل السندسية في الأخبار التونسية ، تحقيق محمد الحبيب الهيلة ، الدار التونسية للنشر ، تونس ١٩٧٠م .
(٥٨) ابن سعيد الأندلسي (ت ٦٨٥هـ)
- بسط الأرض في الطول والعرض (كتاب الجغرافية) ، تحقيق: د. خوان قرنيط خينوس ، د.ط ، كريماديس ، تطوان ١٩٥٨م.
- رايات المبرزين وغايات المميزين ، تحقيق : د. النعمان عبد المتعال القاضي ، د. ط مطابع الأهرام التجارية ، القاهرة ١٩٧٣م.
- كتاب الجغرافيا ، ط١ ، المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ١٩٧٠م .

- المغرب في حلى المغرب ، تحقيق : الدكتور شوقي ضيف، الجزء الأول ، ط٣ ، دار المعارف ١٩٦٤م ، الجزء الثاني ، ط٢، دار المعارف ١٩٥٥م .

(٥٩) السلفي ، أحمد بن محمد (ت٥٧٦/١١٨٠م) :

- أخبار وتراجم أندلسية مستخرة من معجم السفر للسلفي ، تحقيق د. إحسان عباس ، دار الثقافة ، بيروت ١٩٦٣م.

(٦٠) السقطي ، أبو عبد الله محمد بن أبي محمد :

- في آداب الحسبة ، تحقيق ليفي بروفنسال ، باريس ١٩٣١م.

(٦١) السلاوي الناصري ، أبو العباس أحمد بن خالد (ت ١٣١٥هـ / ١٨٩٧م) :

- الاستقصا (أخبار دول المغرب الأقصى) تحقيق جعفر الناصري ومحمد الناصري ، دار الكتاب ، الدار البيضاء ١٩٥٤م

(٦٢) ابن سلمون الكناني ، أبو محمد عبد الله بن عبد الله :

- العقد المنظم للحكام فيما يجري بين أيديهم من العقود والأحكام، موجود بهامش كتاب تبصرة الحكام لابن فرحون ، الطبعة الأولى، بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٣٠١هـ.

(٦٣) ابن سمالك العاملي ، أبو القاسم محمد بن أبي العلاء محمد بن سماك :

- الزهرات المنثورة في كتب أخبار المأثورة ، نشر وتحقيق محمود علي مكي ، صحيفة المعهد المصري للدراسات الإسلامية بمدرسيد العددان ،٢٠ - ٢١ - ١٩٨٠ - ١٩٨٢م.

(٦٤) ابن سهل ، القاضي أبو الإصبع عيسى (ت - ٤٨٦هـ) :

- الإعلام بنوازل الأحكام "الأحكام الكبرى"

- ثلاث وثائق في محاربة الأهواء والبدع في الأندلس ، دراسة وتحقيق محمد عبد الوهاب خلاف ، المركز العربي الدولي ، للإعلام ، القاهرة ١٩٨١م .

- وثائق في أحكام قضاء أهل الذمة في الأندلس ، دراسة وتحقيق محمد عبد الوهاب خلاف ، القاهرة ١٩٨٠م .

- وثائق في أحكام القضاء الجنائي في الأندلس دراسة وتحقيق محمد عبد الوهاب خلاف القاهرة ١٩٨٠م .

- وثائق في شئون الحسبة في الأندلس ، دراسة وتحقيق محمد عبد الوهاب خلاف ، القاهرة ١٩٨٤م .
- وثائق في شئون العمران في الأندلس ، دراسة وتحقيق محمد عبد الوهاب خلاف ، القاهرة ١٩٨٣م .
- وثائق في الطب الإسلامي ووظيفته في معاونة القضاء في الأندلس ، دراسة وتحقيق محمد عبد الوهاب خلاف ، القاهرة ١٩٨٢م .

(٦٥) السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن (ت ٩١١هـ) :
- بغية الدعاة في طبقات اللغوين والنحاة ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، ط١ ، عيسى لابابي الحلبي ، القاهرة ١٩٦٥م .

(٦٦) الشيزري، عبد الرحمن بن نصر الشيرزي (٥٨٩هـ - ١٢٩٣م) :
- نهاية الرتبة في طلب الحسبة ، تحقيق / السيد الباز العريني ، القاهرة ١٩٤٦م .

(٦٧) ابن صاحب الصلاة ، عبد الملك (ت ٥٩٤هـ) :
- تاريخ المن بالإمامة على المستشفعين بأن جعلهم الله أئمة وجعلهم الوارثين ، السفر الثاني ، تحقيق الدكتور عبد الهادي التازي ، ط١ ، دار الأندلس ، بيروت ١٩٦٤م .

(٦٨) صاعد، أبو القاسم صاعد أحمد بن عبد الرحمن بن محمد بن صاعد النقلي (ت ٤٦٢هـ / ١٠٧٠م)
- طبقات الأم ، تحقيق حياة العبد بن علوان ، دار الطليعة ، بيروت ١٩٨٥م .

(٦٩) الضبي ، أحمد بن يحيى بن أحمد (ت ٥٩٩هـ) :
- بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس ، د. ط دار الكاتب العربي ، القاهرة ١٩٦٧م .

(٧٠) ابن أبي الضياف :
إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس في عهد الأمان (أربع أجزاء) ، تونس ١٩٦٣م .

(٧١) الطرطرشي ، أبو بكر محمد بن الوليد الفهري (ت ٥٢٠) :
- سراج الملوك، طبع دار الكتاب الإسلامي ، القاهرة ١٣١٩هـ.
- كتاب الحواد ث و البدع ، تحقيق محمد الطالبي ، تونس ١٩٥٩م .

(٧٢) العباس بن إبراهيم :

- الإعلام بمن حل بمراكش وأغمات من الإعلام د. ط المطبعة الملكية ، الرباط ١٩٧٤م – ١٩٧٧م .

(٧٣) ابن عبد الحكم، أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله (ت ٢٥٧ هـ ، ٧٨١م) :

- فتوح أفريقيا والأندلس ، حققه وقدم لـه الدكتور عبد الله أنس الطباع ، مكتبة المدرسة ودار الكتب اللبناني للطباعة والنشر ، بيروت ، لبنان ١٩٦٤م .

(٧٤) ابن عبد ربه ، أبو عمر أحمد بن محمد (ت ٣٢٨هـ/٩٣٩م) :

- العقد الفريد، تحقيق محمد سعيد العريان ، بيروت : دار الفكر.

(٧٥) ابن عبد الرؤوف ، أحمد بن عبد الله :

- في أداب الحسبة والمحتسب ، ضمن مجموعة رسائل في الحسبة ، تحقيق ليفي بروفسال ، القاهرة ، ١٩٥٥م .

(٧٦) ابن عبدون ، أحمد عبد الله الالتحفي أبو البحتبي :

- في قضاء الحسبة ضمن ثلاث رسائل في الحسبة ، تحقيق ليفي بروفسال القاهرة ١٩٥٥م .

(٧٧) أبو عبيد ، الإمام الحافظ ابي القاسم بن سئلام :

- كتاب الأموال ، تحقيق محمد خليل ، هراس ، مكتبة الكليات الأزهرية ، ودار الفكر قاهرة ، ١٤٠١هـ / ١٩٨١م .

(٧٨) ابن عذارى ، أبو عبد الله محمد المراكشي (ت ٧٩٥هـ/ ١٢٩٥) :

- البيان المغرب في أخبار الأندلسي والمغرب ، أربعة أجزاء الأول والثاني ، تحقيق ج. س ، كولان وليفي بروفنسال ، والجزء الرابع قطعة من تاريخ المرابطين جمع وتحقيق الدكتور إحسان عباس ، والأجزاء الثلاثة الأول ، نسخة مصورة ، المكتبة الأندلسية ، دار الثقافة ، بيروت ، لبنان ، بدون تاريخ الطبع .

(٧٩) العذري، أحمد عمر بن أنس العذري المعروف بابن الدلالي (ت ٤٧٨هـ / ١٠٨٥م):

- نصوص عن الأندلس مأخوذ من كتاب ترصيع الأخيار وتنويع الآثار ، تحقيق عبد العزيز الاهوني ، مطبعة معهد الدراسات الإسلامية بمدريد ١٩٦٥م .

(٨٠) عريب بن سعد (٣٧٠هـ) :
- كتاب الأنواء أو تقويم قرطبة ، نشر دوزي ، ليدن ، ١٨٧٣م .
(٨١) ابن العطار، محمد بن أحمد الأموي :
- كتاب الوثائق والسجلات ، تحقيق شالميتا ، وكورينطي ، مدريد ١٩٨٣م
(٨٢) عليش ، محمد عليش (ت ١٢٩٩هـ) :
- فتح الجليل شرح مختصر خليل ، أربعة مجلدات ، المطبعة الأميرية ١٢٩٤هـ .
(٨٣) العماد الاصفهاني : خريدة القصر وجريدة العصر ، قسم شعراء المغرب في ثلاثة مجلدات ، تحقيق محمد المرزقي ومحمد العروسي المطوي والجيلاني بن الحاج ، نشرة الدار التونيسية للنشرة ، تونس ١٩٧٣م .
(٨٤) ابن عمر، يحيى الأندلسي :
- كتاب أحكام السوق ، تحقيق محمود على مكي صحيفة ، المعهد المصري للدراسات الإسلامية ، المجلد الرابع ، العدد ٢،١، مدريد ١٩٥٦م ..
- أحكام السوق ، تحقيق حسن حسبي عبد الوهاب ، الشركة التونسية للتوزيع ، تونس ١٩٧٥م .
(٨٥) العمري ، ابن فضل الله شهاب الدين محمد بن يحيى (ت ٧٤٨هـ / ١٣٤٧م) :
- مسالك الأبصار في ممالك الأمصار ، مخطوط بدار الكتب المصرية برقم ٥٥٩، معارف عامة ٣٦/١ قسم ٢ج ١٥.
- قسم منه بعنوان وصف أفريقية والأندلس أواسط القرن الثامن للهجرة ، نشره وعلق عليه حسن حسين عبد الوهاب ، مطبعة النهضة تونس بدون تاريخ الطبع.
(٨٦) عياض ، القاضي عياض بن موسى بن عياض (ت ٥٤٤هـ/١١٤٩م) :
- ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك ، ت أحمد بكير محمود ، دار الحياة ، بيروت ، د. ت
(٨٧) عياض ، القاضي عياض وولده محمد :

مذاهب الحكام في نوازل الأحكام ، تحقي د. محمد بن شريف ، دار الغرب الإسلامي ١٩٩٠م .

(٨٨) ابن غالب ، محمد بن أيوب ... الأندلسي :

– قطعة من كتاب فرحة الأنفس لابن غالب عن كور الأندلس ومدنها بعد الأربعمائة ، تحقيق لطفي عبد البديع ، مطبعة القاهرة ١٩٥٦م .

(٨٩) الغبريني : أحمد بن أحمد (ت ٧١٤هـ) :

– عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية ، ط١ ، تحقيق عادل ، لجنة التأليف والترجمة والنشر، بيروت ١٩٦٩م.

(٩٠) الغساني، محمد عبد الوهاب :

– رحلة الوزير في افتاك الأسير ، تعليق الفري البستان ، منشورات مؤسسة الجنرال ، فرانكو ١٩٣٩م .

(٩١) ابن غلبون ، محمد بن خليل (كان حياً ١١٣٢هـ) :

– التذكار فيمن ملك طرابلس وماكان بها من الأخبار معنى بتصحيحه والتعليق عليه الطاهر أحد الزاوي ، ط٢ ، مكتبة النور، طرابلس ، ليبيا ١٩٦٧م .

(٩٢) الفتوحي ، تقي الدين محمد بن أحمد (ت ٦٧٢هـ) :

– منتهى الإرادات ، تحقيق الشيخ عبد الغني عبد الخالق ، جزءان ، مكتبة دار العروبة ١٣٨١هـ/١٩٦٢م .

(٩٣) أبو الفدا ، الملك المؤيد صاحب حماة (ت ٧٣٢هـ/ ١٣٣١) :

– المختصر في أخبار البشر المعروف بتاريخ أبو الفداء ، طبعة قديمة (د.ت) ، أربعة أجزاء .

– تقويم البلدان المعتمدية تني بتصحيحه رنبودو البارون ماك كوين ، طبع دار الطباعة السلطانية ، باريس ١٨٤٠م .

(٩٤) ابن فرحون ، إبراهيم بن علي (ت ٧٩٩هـ) :

– الديباج المذهب في أعيان علماء المذهب د.ط تحقيق الدكتور محمد الأحمدي أبو النور ، دار التراث ، القاهرة د.ت

(٩٥) الفرسائي ، أبو العباس :

– القسمة وأصول الأرضين ، مكتبة الضامري ، عمان ، ١٩٩٢م.

(٩٦) ابن الفرضي، الحافظ أبو الوليد عبد الله محمد بن يوسف بن نصر الأزدي (ت ٤٠٣هـ/ ١٠١٢م):
– تاريخ علماء الأندلس سلسلة تراثنا المكتبة الأندلسية رقم ، ٢ الدار المصرية للتأليف والترجمة ، القاهرة ١٩٦٦م .
(٩٧) ابن الفقيه ، أبو بكر أحمد بن محمد :
– مختصركتاب البلدان ، ليدن سنة ١٣٠٢هـ.
(٩٨) ابن القاضي المكناسي ، أحمد بن محمد (ت ١٠٢٥هـ) :
– جذوة الاقتباس فيمن حل من الأعلام في مدينة فاس ، د. ط دار المنصور للطباعة الوراقة ، الرباط ، القسم الأول ، ١٩٧٣م، القسم الثاني ، ١٩٧٤م .
(٩٩) ابن قدامه ، أبي محمد عبد الله بن أحمد بن محمد المقدسي (ت ٦٢٠هـ) :
– المغنى (وهو شرح مختصر الخرقي وهو أبو القاسم عمر بن الحسين المتوفي ٣٣٤هـ) تسعة أجزاء ، الطبعة الثانية ، مطبعة المنار ١٣٦٧هـ ،
(١٠٠) القزويني ، زكريا بن محمد بن محمود (ت ٦٨٢هـ) :
– آثار البلاد وأخبار العباد ، دار صادر بيروت د.ت
(١٠١) ابن القطان ، علي بن محمد بن عبد الملك الكتامي (ت ٦٢٨هـ :
– نظم الجمان ، تحقيق الدكتور محمود علي مكي ، معهد مولاى الحسن ، الرباط .
(١٠٢) القلقشندي ، أبو العباس أحمد بن عبد الله (ت ٧٣٣هـ/ ١٣٤٨م) :
– صبح الأعشى في صناعة الانشا ، شرحه وعلق عليه وقابل نصوصه محمد حسين شمس الدين ، دار الفكر ، القاهرة ١٤٧٥هـ / ١٩٨٧م .
(١٠٣) ابن القوطية ،أبو بكر بن محمد (ت . ٣٦٧هـ/ ٩٧٧م)
– تاريخ افتتاح الأندلس ، تحقيق إبراهيم الأبياري ، منشورات دار الكتب بيروت ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م .
(١٠٤) القيرواني ، أبو العرب محمد بن أحمد بن تميم (ت٣٣٣هـ) :
– طبقات علماء إفريقية وتونس ، تحقيق علي الشابي ونعيم حسن اليافي ، (تونس : الدار التونسية للنشر ، ١٩٦٨م) .

(١٠٥) ابن كثير ، عماد الدين أبي الفداء اسماعيل بن عمر (ت ٧٧٤هـ) :

- البداية والنهاية ، ج٩ .

(١٠٦) ابن الكردبوس ، أبو مروان عبد الملك :

- تاريخ الأندلس لابن الكردبوس ، وصفه لابن الشباط نصان جديدان تحقيق دكتور أحمد مختار العبادي ، مطبعة معهد الدراسات الإسلامية ، مدريد ١٩٦٧م .

- الاكتفاء في أخبار الخلفاء ، نشر أحمد مختار العبادي ، صحيفة معهد الدراسات الإسلامية بمدريد ، مجلد ١٣ ، ١٩٧٥/ ١٩٧٦م .

(١٠٧) الكناني، القيرواني ، محمد بن صالح عيسى (ت ١٢٩٢هـ) :

- تكميل الصلحاء والأعيان لمعالم الإيمان في أولياء القيروان ط١، تحقيق : محمد العنابي ، مطبعة الوسط ، تونس ١٩٧٠م.

(١٠٨) المالقي ، القاضي عبد الرحمن بن قاسم الشعبي (٤٠٢ - ٤٩٧هـ) :

- الأحكام ، تقديم وتحقيق د. الطارق الحلوي ، دار الغرب الإسلامي ١٩٩٢م .

(١٠٩) المالكي (ت ٤٣٨هـ) :

- رياض النفوس وطبقات علماء القيروان ، الجزء الأول - مصر - ١٩٥١م.

(١١٠) الماوردي ، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصر البغدادي (ت ٤٥٠هـ/١٠٥٨م)

- الأحكام السلطانية والولايات الدينية ، شركة مكتبة مصطفى البابي الحلبي وأولاده ، القاهرة ، الطبعة الثالثة ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م .

(١١١) ابن المجاهد الإشبيلي ، بكر بن إبراهيم (ت ٦٢٨ أو ٦٢٩هـ):

- كتاب التيسير في صناعة التفسير ، نشر عبد الله كنون ، مجلة معهد الدراسات الإسلامية بمدريد ، مجلد ٧-٨ سنة ٥٩-١٩٦٠م.

(١١٢) المجليدي ، أحمد بن سعيد :

- كتاب التيسير في أحكام التسعير ، تحقيق موسى لقبال الجزائر ١٩٧٠م

(١١٣) مجهول:

- أخبار مجموعة في فتح الأندلس وذكر أمرائها ، تحقيق إبراهيم الأبياري . بيروت : دار الكتب الإسلامية ، ١٤٠١هـ/١٩٨١م .

(١١٤) مجهول :

- الاستبصار في عجائب الأمصار ، نشر وتعليق د. سعد زغلول عبد الحميد، د.ط مطبعة جامعة الأسكندرية ١٩٥٨م.

(١١٥) مجهول (مؤلف أندلسي من أهل القرن الثامن الهجري):

- الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية ، تحقيق د. سهيل زكار ، د. عبد القادر زمامة ، ط١ دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء ١٩٧٩م.

(١١٦) مجهول (عاش في أواخر القرن الثامن الهجري /الرابع الميلادي):

- ذكر بلاد الأندلس ، تحقيق لويس مولينا ، مدريد : المجلس الأعلى للأبحاث العلمية ، معهد ميغل آسين ١٩٨٣م .

(١١٧) مجهول :

- الطبيخ في المغرب والأندلس ، تحقيق إويثي ميراندا ، صحيفة معهد الدراسات الإسلامية بمدريد ، المجلد ٩ -١٠ عام ١٩٦١/ ١٩٦٢م .

(١١٨) مجهول (كان حياً سنة ٧١٢هـ) :

- نبذة تاريخية في أخبار البربر في القرون الوسطى ، اعتنى بنشرها وتصحيحها ، بروفنسال ، المطبعة الجديدة ، الرباط سنة ١٩٣٤.

(١١٩) مجهول :

- وصف جديد لقرطبة (جغرافية الأندلس) نشر وتحقيق الدكتور حسين مؤنس ، صحيفة معهد الدراسات الإسلامية في مدريد ، المجلد الثالث عشر ١٩٦٥ - ١٩٦٩م .

(١٢٠) المراكشي ، أبو عبد الله محمد بن محمد ... الانصاري الأوسي :

- الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة السفر الأول، القسم الأول ، والثاني ، تحقيق محمد بن شريفة ، دار الثقافة بيروت بدون تاريخ ، وبقية السفر الرابع سنة ١٩٦٤م والسفر الخامس ١٩٦٥م . والسفر السادس ، تحقيق احسان عباس دار الثقافة ، بيروت .

(١٢١) المراكشي ، محي الدين أبو محمد عبد الواحد بن علي (ت ٦٤٧هـ/ ١٢٤٩م):

- المعجب في تلخيص أخبار المغرب (من لدن فتح الأندلس إلى آخر عصر المرابطين مع ما يتصل بتاريخ هذه الفترة من أخبار

القراء وأعيان الكتاب) تحقيق الأستاذ محمد سعيد العريان ، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بمصر ١٩٦٢م .

(١٢٢) المسعودي ، أبو الحسن علي بن الحسين بن علي (ت ٣٤٦هـ/ ٩٥٦م) :

- مروج الذهب ومعادن الجوهر ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة ، القاهرة ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٤م .

(١٢٣) المقدسي ، شمس الدين أبو عبد الله (ت - ٣٨٠هـ / ٩٩٠م) :

- أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، طبع ليدن ، مطبعة برايل ١٩٠٩م .

(١٢٤) المقري ، أحمد بن محمد البقري التلمساني (ت ١٠٤١هـ/ ١٩٣١م) :

- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، ت إحسان عباس

- أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض، تحقيق مصطفى السقا وآخرون ، طبع القاهرة ١٩٣٩م.

- اتعاظ الحنفا

(١٢٥) المقريزي ، أحمد بن علي (ت ٨٤٥هـ) :

- السلوك في معرفة دول الملوك ، تحقيق محمد مصطفى زيادة، دار الكتب المصرية ، القاهرة ١٩٣٦م .

- المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والاثارد ، ط. طبعة بولاق ١٨٥٣هـ.

(١٢٦) المواق ، أبي عبد الله محمد بن يوسف بن أبي القاسم العبدري (ت ٨٩٧هـ) :

- التاج والأكليل لمختصر خليل ، مطبعة السعادة ، الطبعة الأولى ١٢٢٩هـ ، ومطبوع معه مواهب الجليل شرح مختصر خليل للحطاب المتوفي ٩٥٤هـ .

(١٢٧) ابن منظور، جمال الدين محمد (ت ٧١١هـ) :

- لسان العرب ، د. ط الدار المصرية للتأليف والترجمة ، القاهرة ١٨٨٢م ، طبعة مصورة عن طبعة بولاق .

(١٢٨) ناصر خسرو (ت ٤٨١هـ - ١٠٨٨م) :

- سفر نامة ، تحقيق / يحيى الخشاب، القاهرة ١٣٦٠هـ ، ١٩٤٥م .

(١٢٩) النعمان ، أبو حنيفة (٣٦٣هـ / ٩٧٣ - ٩٧٤م) :

- كتاب الهمة في آداب اتباع الأئمة ، تحقيق / محمد كامل حسين، القاهرة .

(١٣٠) النباهي ، أبو الحسن بن عبد الله بن الحسن النباهي اللمعي الأندلسي (قتل ٧٩٣هـ):

- كتاب قضاة الأندلس وسماه كتاب المرتبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا ، المكتب التجاري للطباعة والتوزيع ، بيروت بدون تاريخ الطبع.

(١٣١) النويري ، شهاب الدين أحمد عبد الوهاب (ت ٧٣٣هـ / ١٣٣٢م) :

- نهاية الأرب في فنون الأدب .

(١٣٢) ابن هبيرة ، يحيى بن محمد بن هبيرة (ت ٥٦٠هـ) :

- الإفصاح عن معاني الصحاح - المكتبة الحلبية ط٢ - ١٩٤٧م.

(١٣٣) ابن هشام اللخمي ، أبو عبد الله محمد بن أحمد (ت ٥٧٧هـ):

- ألفاظ مغربية من كتاب ابن هشام اللخمي في لحن العامة، نشرها عبد العزيز الأهواني ، (القاهرة : مجلة معهد المخطوطات العربية ، جامعة الدول العربية ، المجلد الثالث ، ١٣٧٦هـ/١٩٥٧م) .

(١٣٤) الونشريسي ، أحمد بن يحيى :

- اسنى التاجر في بيان من غلب على وطنه النصارى ولم يهاجر نشره حسين مؤنس ، صحيفة معهد الدراسات الإسلامية بمدريد .

- المعيار المغرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء أفريقية والأندلس ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ١٩٨٢م .

(١٣٥) ياقوت الحموي :

- معجم البلدان ، دار صادر ، بيروت ١٣٩٧ - ١٩٧٧م .

(١٣٦) أبو يوسف يعقوب إبراهيم (١٨٧هـ) :

- الخراج ، المطبعة السلفية ١٣٥٢.

(١٣٧) ابن يوسف الحكيم : أبو الحسن علي (عاش في القرن الثامن في عهد الدولة المرينية):

- الدوحة المشتبكة في ضوابط السكة ، تحقيق د. حسين مؤنس ، ط١ معهد الدراسات الإسلامية ، مدريد ، ١٩٦٠م.

ثالثاً : المراجع العربية والمترجمة

(١) آدم متز :

- الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري ، تعريب محمد عبد الهادي أبو ريدة ، ط٤ ، مكتبة الخانجي القاهرة ١٩٦٧م .

(٢) د. إبراهيم أحمد العدوي :

- تاريخ العالم الإسلامي ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ١٩٨٣م .
- أقريطش بين المسلمين والبيزنطيين ، مقال في المجلة التاريخية المصرية ، أكتوبر ١٩٥٠م .

(٣) إبراهيم أحمد زرقانة :

- جغرافية العالم العربي ، المغرب العربي د. ط

(٤) إبراهيم علي طرخان :

- امبراطورية غانة الإسلامية د. ط الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر ، القاهرة ١٩٧٠م .
- دولة مالي الإسلامية د. ط ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ١٩٧٣م .

(٥) إبراهيم القادري بوتشيش :

- أزمة التجارة في الأندلس في أواخر عصر الإمارة ، مجلة المناهل ، العدد ٣٢ ، السنة ١٢ ، الرباط ، وزارة الشؤون الثقافية ، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م .
- الإنحسار العربي في الأندلس في أواخر عصر الإمارة ، هل كان رواء تفوق مسيحي ؟ ، مجلة المؤرخ العربي ، العدد ٣٤ ، السنة ١٣ ، بغداد ، الأمانة العامة لاتحاد المؤرخين العرب ، ١٤٠٧هـ.

(٦) إحسان حقي :

- المغرب العربي ، د.ط الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر ، القاهرة ١٩٧٠م.

(٧) إحسان صدقي العمد :

- الخبز في الحضارة العربية الإسلامية ، حوليات كلية الآداب ، الكويت رقم ٧٦.

(٨) د.إحسان عباس :

– تايخ الأدب الأندلسي ، عصر الطوائف والمرابطين ط١ دار الثقافة ، بيروت ١٩٦٢م.

– تاريخ ليبيا منذ الفتح العربي حتى مطلع القرن التاسع الهجري، بيروت ، الطبعة الأولى ١٣٨٣هـ – ١٩٦٣م .

(٩) أحمد بدر :

– تاريخ الأندلس في القرن الرابع الهجري ، دمشق ، ١٩٧٤م .

– دراسات في تاريخ الأندلس وحضارتها (من الفتح حتى الخلافة ط٢ ، ١٩٧٢م .

(١٠) د. أحمد سويلم العمري :

– الأفريقيون والعرب ، د.ط ، لأنجلو المصرية ، القاهرة ١٩٦٧م .

(١١) د. أحمد شلبي :

– موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة .

– موسوعة النظم والحضارة الإسلامية ، النهضة المصرية القاهرة .

(١٢) أحمد صفر :

– مدينة المغرب العربي في التاريخ ، تونس ١٩٥٩م.

(١٣) د. أحمد فكري :

– قرطبة في العصر الإسلامية ، مؤسسة شباب الجامعة بالأسكندرية ، صر ١٩٨٣م.

– مسجد القيروان ، مصر ١٣٥٥هـ ، ١٩٣٦م.

(١٤) د. أحمد مختار العبادي :

– دراسات في التاريخ المغربي والأندلسي ، مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية ، مصر بدون تاريخ الطبع .

– في تاريخ المغرب والأندلس ، الإسكندرية ، بدون تاريخ الطبع.

– الصقالبة في أسبانيا ، لمحة عن أصلهم ونشأتهم وعلاقتهم بحركة الشعوبية ، المعهد المصري للدراسات الإسلامية ، مدريد ١٩٥٣م.

- سياسة الفاطميين نحو المغرب والأندلس ، صحيفة معهد الدراسات الإسلامية ، مدريد ١٩٥٧م.

- الصفحات الأولى من تاريخ المرابطين ، مجلة كلية الآداب ، الإسكندرية ١٩٦٧م.

- دراسات حول كتاب الحلل الموشمية ، مجلة تطوان ، العدد الخامس ١٩٦٠م.

- من تراث العرب الأسباني ، نماذج لأهم المصادر العربية والحوليات الأسبانية التي تأثرت بها ، مقال بمجلة عالم الفكر ، المجلد الثاني ، العدد الأول ، ١٩٧٧م .

- الموحدون والوحدة الإسلامية ، مقال بمجلة التربية الوطنية ، عدد شهر إبريل نيسان ١٩٦٢م .

(١٥) أرشيبالد لويس :

- القوى البحرية والتجارية في حوض البحر المتوسط ، ترجمة أحمد محم عيسى ، القاهرة : مكتبة النهضة المصرية.

(١٦) الفرد بل :

- الفرق الإسلامية في الشمال الأفريقي ، تعريب عبد الرحمن بدوي ، د.ط دار ليبيا للنشر والتوزيع، بنغازي ١٩٦٩م.

(١٧) د. أمين توفيق الطيبي :

- تاريخ المغرب والأندلس ، طبع الدار الغربية للكتاب ، ليبيا وتونس ١٩٨٤م .

(١٨) أنخل جنثالث بالنثيا :

- تاريخ الفكر الأندلسي ، ترجمة د. حسين مؤنس ط١ ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ١٩٥٥م.

(١٩) أوليج جرابار :

- الفن والعمارة ، تعريب د. حسين مؤنس وآخرين ، مقال في كتاب تراث الإسلام ، القسم الثاني ، المجلس الوطني للثقافة و الفنون ، الكويت ١٩٧٨م.

(٢٠) د. إبراهيم حركات :

– المغرب عبر التاريخ ، ط١ ، دار السلمي ، الدار البيضاء ١٩٦٥م.

(٢١) بطرس البستاني :

– دائرة المعارف العربية ، طبع بيروت ، المطبعة الأدبية ١٩٠٠م .

(٢٢) ترند:

– أسبانيا والبرتغال ، تعريب حسين مؤنس في كتاب تراث الإسلام ، القاهرة ١٩٣٩م.

(٢٣) توماس أرنولد :

– الدعوة إلى الإسلام (بحث في تاريخ العقيدة الإسلامية) نقله إلى العربية الأساتذة : الدكتور حسن إبراهيم حسن ، والدكتور عبد الحميد عابد ، والدكتور إبراهيم حسن الخراذوي ، مكتبة النهضة المصرية ١٩٧٠م.

(٢٤) د. جمال حمدان :

– المدينة العربية ، د.ط ، معهد البحوث والآداب العربية ، القاهرة ١٩٦٤م.

– الجمهورية العربية الليبية ، عالم الكتب ١٩٧٣م .

– اليهود انثروبولوجيا ، المكتبة الثقافية ، رقم

– جغرافية المدن ، دار الهلال ، كتاب الهلال رقم

(٢٥) جوردن ايست :

– الجغرافيا توجه التاريخ ، دار الهلال (د.ن) .

(٢٦) جوزيف ماك كيب :

– مدنية المسلمين في أسبانيا ، ترجمة محمد تقي الدين الهلالي ، طبع مكتبة المعارف ، رباط المغرب ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م.

(٢٧) الحبيب الجنحاني :

– المغرب الإسلامي – الحياة الاقتصادية والاجتماعية : ٣-٤هـ/٩-١٠م ، (الجزائر : الشركة الوطنية للنشر والتوزيع والدار التونسية للنشر ، د.ت).

(٢٨) الحسن السائح :

– الحضارة المغربية عبر التاريخ ، ط١ ، مطبعة النجاح الجديدة ، الدار البيضاء ١٩٧٥م .

(٢٩) د. حسن إبراهيم حسن :

– انتشار الإسلام في القارة الإفريقية ، ط٢ ، النهضة المصرية، القاهرة ١٩٦٤م .

– تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي ط٩ ، النهضة المصرية ، القاهرة ١٩٧٩م.

(٣٠) د. حسن أحمد محمود :

– تاريخ المغرب الإسلامي ، دار النهضة المصرية ، القاهرة ١٩٦٨م

– الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس ، مكتبة النهضة العربية ، القاهرة ١٩٦٦م .

– قيام دولة المرابطين ، صفحة مشرقة من تاريخ المغرب في العصور الوسطى ، دار الفكر العربي ، القاهرة بدون تاريخ الطبع.

– الإسلام والثقافة العربية في إفريقية ، د.ط، النهضة المصية ، القاهرة ١٩٥٨م.

– المرحلة الإفريقية من تاريخ المرابطين ، مقال ، المجلة التاريخية المصرية ، المجلد الثاني عشر ، ١٩٦٤م – ١٩٦٥م.

(٣١) حسن حسني عبد الوهاب:

– ورقات عن الحضارة العربية بإفريقية – جزءان – تونس الجزء الأول ١٩٦٤/ الجزء الثاني ١٩٦٦م.

– خلاصة تاريخ تونس ، طبعة ثانية ، تونس ١٣٤٤هـ.

(٣٢) د. حسن علي حسن :

– تاريخ المغرب العربي عصر الولاة ، ط١ ، مكتبة الشباب، القاهرة د. ت .

– الحياة الدينية

– التعليم بالمغرب الأقصى في عهد المرابطين والموحدين ، مقال بمجلة حوليات كلية دار العلوم ، جامعة القاهرة ، العام الجامعي ١٩٧٢م – ١٩٧٣م .

- الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس عصر المرابطين والموحدين ، ط١، مكتبة الخانجي ، القاهرة ١٩٨٠م.

(٣٣) د. حسين مؤنس :

- أحاديث منتصف الليل ، كتاب الهلال رقم ٣٢٠ سنة ١٩٧٧.
- تاريخ المسلمين في البحر المتوسط (الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية) طبع الدار المصرية اللبنانية ، بيروت ١٤١١هـ/١٩٩١م.
- تطور العمارة الإسلامية في الأندلس ، مجلة كلية الآداب جامعة عين شمس ، المجلد الأول مايو ١٩٥٠م.
- الثغر الأعلى الأندلسي في عصر المرابطين ، المكتبة الثقافية الدينية ، القاهرة ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م .
- ثورات البربر في أفريقيا والأندلس ، حولية كلية الآداب ، عدد (١٠) القاهرة ١٩٤٨م .
- الجغرافية والجغرافيون في الأندلس ، الطبعة الثانية ، مكتبة مدبولي بالقاهرة ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.
- الحضارة - عالم المعرفة ، الكويت : العدد الأول
- السيد القمبيطور وعلاقته بالمسلمين ، المجلة التاريخية ، المجلد الثالث ، العدد الأول ١٩٥٠م .
- فجر الأندلس ، الشركة العربية للطباعة ١٩٥٩م.
- كيف نفهم اليهود ، سلسلة كتابك رقم ٥٠ ، دار المعارف ١٩٧٨م.

(٣٤) د. حمدي عبد المنعم حسين :

- تاريخ المغرب والأندلس في عصر المرابطين (دولة علي بن يوسف المرابطي) طبع مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية ١٩٨٦م .
- دراسات في التاريخ الأندلسي (دولة بني برزال في قرمونة ٤٠٤ - ٤٥٩هـ / ١٠١٣ ــ ١٠٦٨م) طبعة مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية ١٩٩٠م.
- التاريخ السياسي لمدينة إشبيلية في العصر الأموي ، الإسكندرية : مؤسسة شباب الجامعة ١٤٠٧هـ١٩٨٧م.

(٣٥) د. خليل إبراهيم السامرائي :

– علاقات المرابطين بالممالك النصرانية وبالدول الإسلامية، رسالة دكتوراه غير منشورة ، القاهرة ١٩٧٩م .

(٣٦) د. خوليان ريبرا :

– التربية الإسلامية في الأندلس ، أصولها المشرقية وتأثرها بالعربية ، نقلها للعربية الدكتور طاهر أحمد المكي ، طبع دار المعارف ، القاهرة ، بدون تاريخ الطبع.

(٣٧) دانييل ماك كول :

– الروايات التاريخية عن تأسيس سجلماسة وغانة ، تعريب محمد الحمداوي ، دار الثقافة ، الدار البيضاء د. ت.

(٣٨) رينهرت دوزي :

– ملوك الطوائف ، تعريب كامل كلاني الطبعة الأولى ، القاهرة ١٩٣٣م .

– تاريخ مسلمي أسبانيا (ج١) تعريب حسن حبشي ، دار المعارف ، القاهرة ١٩٦٢م .

(٣٩) ديموبين :

– النظم الإسلامية ، ترجمة صالح الشماع ، فيصل السامر ، بغداد ١٩٥٢م.

(٤٠) م. س. ديماند :

– الفنون الإسلامية ، تعريب أحمد محمد عيسى ، ط٢ دار المعارف ، القاهرة ١٩٥٨.

(٤١) د. رجب محمد عبد الحليم :

– دولة بني حمود في مالقة بالأندلس ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب ، جامعة القاهرة ١٩٧٦م.

– العلاقة بين الأندلس الإسلامية وأسبانيا النصرانية في عصر بني أمية وملوك الطوائف ، دار الكتب الإسلامية ، القاهرة ، بيروت ، بدون تاريخ الطبع.

(٤٢) زكي محمد حسن :

- فنون الإسلام ط١ ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ١٩٤٨م.

(٤٣) ستانلي لين بول :

- قصة العرب في أسبانيا ، تعريب على الجارم ، دار المعارف، القاهرة ١٩٦٠م.

- طبقات سلاطين الإسلام ، ترجمة زيد فرحات ، طبع دار العالمية ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٦م .

(٤٤) د. سحر سالم :

- تاريخ بطليوس الإسلامية وغرب الأندلس في العصر الإسلامي (الجزء السياسي) مؤسسة شباب الجامعة بالإسكندرية بدون تاريخ الطبع.

- بنو خطاب بن عبد الجبار ، مؤسسة شباب الجامعة بالإسكندرية ١٩٨٩م.

(٤٥) د. سعد إسماعيل شلبي:

- البيئة الأندلسية وأثرها في شعر عصر ملوك الطوائف ، د.ط، مطبعة نهضة مصر ، القاهرة د.ت.

(٤٦) د. سعد زغلول :

- تاريخ المغرب العربي ، ٣ أجزاء ، القاهرة سنة ١٩٦٥م.

(٤٧) د. سلامة محمد سلمان الهرفي :

- دولة المرابطين في عهد علي بن يوسف بن تاريشقين ، دراسة سياسية وحضارية ، المكتبة التفصيلية ، مكة المكرمة ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.

(٤٨) سيبولد :

- دائرة المعارف الإسلامية ، مادة أندلس ، ترجمة إبراهيم خورشيد وآخرون ، دار الشعب بالقاهرة ، بدون تاريخ الطبع.

(٤٩) السيد أبو العزم داود:

- الصراع المذهبي بين المرابطين والموحدين .

(٥٠) د. السيد عبد العزيز سالم :

– المغرب الكبير (العصر الإسلامي) الدار القومية للنشر ، القاهرة ١٩٦٦م.
– تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس ، مكتبة شباب الجامعة بالإسكندرية ١٩٨٢م.
– تاريخ البحرية الإسلامية في حوض البحر المتوسط بالاشتراك مع الدكتور أحمد مختار العبادي ، مؤسسة شباب الجامعة بالإسكندرية د.ت .
– أضواء على مشكلة تاريخ بنيان المسجد الجامع بقرطبة ، بحث في مجلة معهد الدراسات الإسلامية في مدريد ، المجلد الخامس عشر ١٩٧٠م.
– تاريخ مدينة ألمرية الإسلامية قاعدة أسطول الأندلس ، مؤسسة شباب الجامعة بالإسكندرية ١٩٨٤م.
– المساجد والقصور في الأندلس ، مؤسسة شباب الجامعة بالإسكندرية ١٩٨٦م.
– قرطبة حاضرة الخلافة في الأندلس (دراسة تاريخية عمرانية أثرية في القصر الإسلامي) دار النهضة العربية ، بيروت ١٩٧١م.
– صور من المجتمع الأندلسي في عصر الخلافة الأموية وعصر دويلات الطوائف من خلال النقوش المحفورة في علب العاج ، مقال في ضمن بحوث إسلامية في التاريخ والحضارة والآثار ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ١٤١١هـ/ ١٩٩١م .
– التخطيط ومظاهر العمران في العصور الإسلامية الوسطى (بحوث إسلامية في التاريخ والحضارة الآثار) بيروت ١٩٩١م.
– العمارة الإسلامية في الأندلس تطورها (بحوث إسلامية في التاريخ والحضارة والآثار) بيروت ١٩٩١م .
– أمثلة الابتكارات في المسجد الجامع بقرطبة ، بحوث إسلامية في التاريخ والحضارة والآثار ، بيروت ١٩٩١م .
– الفن العربي للتحصينات ، وسائل الدفاع الإسلامي في الأندلس، بحوث إسلامية ١٩٩١م .

- أثر الفن الخلافي بقرطبة في العمارة المسيحية بأسبانيا وفرنسا، بحوث إسلامية ١٩٩١م.

(٥١) سيديو :

- خلاصة تاريخ العرب ، أمر بترجمته علي باشا مبارك ط١ ، المطبعة البهية ، القاهرة ١٨٩١م .

(٥٢) شاخت ويزودت :

- تراث الإسلام ، تعريب الدكتور حسين مؤنس ، د.ط ، المجلس الوطني للثقافة والفنون ، الكويت ١٩٧٨م.

(٥٣) شكيب أرسلان (ت ١٣٦٦هـ/ ١٩٤٦م) :

- الحلل السندسية في الأخبار والآثار الأندلسية ، منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت ، نسخة مصورة.

(٥٤) د. شوقي ضيف :

- ابن زيدون ، سلسلة بايع الفكر العربي ، طبع بدار المعارف ، القاهرة ١٩٩٠م.
- تاريخ الأدب العربي (عصر الدول والإمارات الأندلسية) طبع بدار المعارف القاهرة ١٩٨٩م.

(٥٥) د. الطاهر أحمد مكي :

- مع شعراء الأندلس والمتنبي ، ترجمة كتاب المستشرق الأساني أميليوغسية غومث، ط٤، دار المعارف ١٩٨٨م .
- الفن العربي في أسبانيا وصقلية ، ترجمة كتاب المستشرق الألماني فون شاك ط٢ ،دار المعارف ١٩٨٥م.
- دراسات أندلسية في الأدب والتاريخ والفلسفة ط٣،دار المعارف ١٩٨٨م .
- دراسات عن ابن حزم وكتابه طوق الحمامة ، دار المعارف ١٩٨٢م .
- التربية الإسلامية في الأندلس ، ترجمة كتاب المستشرق الأسباني خوليان ريبرا.

(٥٦) د. طاهر راغب حسين :

- النقود الإسلامية الأولى ، طبع القاهرة ١٩٨٤م .

(٥٧) د. علي حسن محمد حبيبة :

- مع المسلمين في الأندلس ، د.ط مكتبة الشباب ، القاهرة ١٩٧٢م.

(٥٨) غوستاف لوبون :

- حضارة العرب ، تعريب، عادل زعيتر ، طباعة عيسى البابي الحلبي ، القاهرة د.ت .

(٥٩) د. عبادة كحيلة :

- أندلسيات ، طبع مكتبة مدبلوي القاهرة ١٤١٠هـ / ١٩٨٩م

(٦٠) د. عبد الحليم عويس :

- ابن حزم الأندلسي وجهوده في البحث التاريخي ، طبع دار الاعتصام ، القاهرة ١٩٨٩م .

- أثر العوامل السياسية والاجتماعية في سقوط الأندلس (مقال بمجلة المنار الإسلامي ، تصدر في الإمارات إبريل ٤/٤/١٩٩٤م).

- دولة بني حماد ، دار الوفاء ، دار الصحوة

(٦١) د. عبد الحميد العبادي :

- صورة وبحوث من التاريخ الإسلامي ، ط١ مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ١٩٥٣م .

- المجمل في التاريخ الأندلسي (المكتبة التاريخية) دار القلم القاهرة ١٩٦٤م .

(٦٢) د. عبد الرحمن علي الحجي :

- التاريخ الأندلسي من الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة ، نشره بمساعدة جامعة بغداد ، الطبع بدار القلم دمشق ببروت ١٣٩٦هـ / ١٩٧٦م .

- الحضارة الإسلامية في الأندلس أسسها ، ميادنيها ، تأثيرها على الحضارة الأوربية ، دار الإرشاد ، بيروت ١٣٨٩هـ/ ١٩٧٩م .

- أندلسيات ، دار الإرشاد للطباعة ، بيروت ١٣٨٨ ، ١٩٦٩م .

- تاريخ الموسيقى الأندلسية ، دار الإرشاد ، بيروت ١٣٨٩هـ/١٩٦٩م.

(٦٣) عبد الرؤوف مخلوف :

- ابن رشيق القيرواني ، سلسلة نوابع الفكر العربي رقم ٣٢

- ابن رشيق القيراوني ، أعلام العرب

(٦٤) د. عبد العال الشامي :

- جغرافية العمران عند ابن خلدون ، الكويت ١٩٨٨م.

(٦٥) عبيد عبد اللطيف :

- المدرسة الفلاحية بالأندلس ، ندوة اسهامات العرب في علم الفلاحة ١٩٨٣م .

(٦٦) عبد الله العروي :

- تاريخ المغرب ، محاولة في التركيب ط١ ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ١٩٧٧م .

(٦٧) عبد العزيز فيلالي :

- العلاقات السياسية بين الدولة الأموية في الأندلس ودول المغرب ، ط٢ ، الجزائر : المؤسسة الوطنية للكتاب ، ١٩٨٣م .

(٦٨) عبد الله كنون:

- شخصيات مغربية " يوسف بن تاشفين" ، مقال مجلة الثقافة المغربية ، العدد الثامن ، سنة ١٩٧٣م .

- الشعر النسوي في الأندلس ، د.ط مكتبةالحياة ، بيروت ١٩٨٠م.

- مدخل إلى تاريخ المغرب ، ط١ ، مطبعة الوحدة المغربية ، تطوان ١٩٤٤م .

- النبوغ المغربي في الأدب العربي ، ط٣ دار الكتاب اللبناني ، يروت ١٩٧٥م .

(٦٩) عبد الله محمد جمال الدين :

- الدولة الفاطمية ، دار الثقافة ١٩٩١م

(٧٠) عبد الفتاح عبادة :

- سفن الأسطول الإسلامي ، مصر ١٩١٣م .

(٧١) د. عبد المجيد نعنعي :

- الإسلام في طليطلة ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت ، بدون تاريخ الطبع.
- تايخ الدولة الأموية في الأندلس (التاريخ السياسي) دار النهضة العربية ، بيروت ١٩٨٦م.

(٧٢) د. عبد المنعم ماجد :

- تاريخ الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى ، ط٤ الانجلو المصرية ، القاهرة ١٩٧٨م.

(٧٣) د. عبد الهادي علي النجار :

- الإسلام والاقتصاد ، سلسلة عالم المعرفة رقم ٦٣ الكويت ١٩٨٣م .

(٧٤) عبد الواحد ذنون طه :

- الفتح والاستقرار العربي الإسلامي في شمال إفريقيا والأندلس ، بغداد : دار الرشيد للنشر ، ١٩٨٢م .

(٧٥) د. عبد الوهاب منصور :

- قبائل المغرب ، د.ط المطبعة الملكية ، الرباط ١٩٦٨م .

(٧٦) عثمان الكعاك :

- الحضارة العربية في حوض البحر المتوسط ، د.ط مطبعة لجنة البيان العربي ، القاهرة سنة ١٩٦٥م .
- مراكز الثقافة في المغرب في القرن السادس عشر إلى القرن التاسع عشر د.ط ، معهد الدراسات العربية ، القاهرة سنة ١٩٥٨م .

(٧٧) عدنان محمد طعمة :

- المختار الأنيس ، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان ١٩٨٧م.

(٧٨) عز الدين أحمد موسى :

- النشاط الاقتصادي في المغرب الإسلامي ، دار الشروق ١٩٨٣م .

(٧٩) د. عصام الدين عبد الرؤوف الفقي :

- تاريخ المغرب والأندلس ، طبع مكتبة نهضة الشرق ، القاهرة ١٩٨٤م .

(٨٠) د. عصام سالم سيسالم :

- جزر الأندلس المنسية (التاريخ الإسلامي لجزر البليار) دار العلم للملايين ، بيروت ١٩٨٤م .

(٨١) د/علي إبراهيم علي طرخان :

- امبراطورية غانة الإسلامية ، القاهرة ١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م.

(٨٢) علي أدهم :

- المعتمد بن عباد (سلسلة أعلام العرب) ، نشرة وزارة الثقافة والإرشاد القومي ، طبع مكتبة مصر ، القاهرة بدون تاريخ .

- صقر قريش ، مطبعة المقطم ، القاهرة ١٩٣٨م.

- منصور الأندلس ، الهيئة العامة للكتاب ١٩٧٤م

(٨٣) د. فايز عبد النبي فلاح القيس :

- أدب الرسائل في الأندلس في القرن الخامس الهجري ، دار البشر للنشر والتوزيع ، عمان ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م.

(٨٤) د. فيليب حتى :

- تاريخ العرب (المطول ١/٢/٣) الطبعة الرابعة ، القاهرة ١٩٦٥م.

(٨٥) كارل بروكلمان (ت ١٩٥٦م / ١٣٧٦هـ) :

- تاريخ الشعوب الإسلامية ، ترجمة نبيه أمين فارسي ، ومنير البعلبكي ، دار العلم للملايين ، بيروت ١٩٧٧م .

- تاريخ الأدب العربي ، ج٢ ، نقله إلى العربية عبد الحليم النجار ، الطبعة الثانية ، دار المعارف بمصر ، بدون تاريخ الطبع.

(٨٦) د. كامل سعفان :

- اليهود .. تايخاً وعقيدة ، دار الهلال العدد ٣٦٤

(٨٧) د. كريم عجيل حسين :

- الحياة العلمية في مدينة بلنسية ، مؤسسة الرسالة ، بغداد، العراق ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م.

(٨٨) د. كمال السيد أبو مصطفى :

- مالقة الإسلامية في عصر دويلات الطوائف في القرن الخامس الهجري / الحادي الميلادي (دراسة مظاهر العمران والحياة الاجتماعية) مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية ١٩٩٣م .

- بحوث في التاريخ وحضارة الأندلس في العصر الإسلامي، مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية ١٩٩٣م .

(٨٩) د. لطفي عبد البديع :

- الإسلام في أسبانيا ، المكتبة التاريخية رقم ١ ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ١٩٦٩م.

(٩٠) لويس سيكودي لوثينا :

- الحموديون سادة مالقة والجزيرة الخضراء ، نقله إلى العربية د. عدنان محمد ال طعمة ، طبع بمطبعة الشام ، دمشق ، سوريا ١٩٩٢م .

(٩١) د. ليث سعود جاسم :

- ابن عبد البر الأندلسي ، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع ، المنصورة ، مصر ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م .

(٩٢) ليفي بروفسال :

- أدب الأندلس وتاريخها ، تعريب أحمد عبد الهادي شعيرة، القاهرة ١٩٥١م.

- الإسلام في المغرب والأندلس ، تعريب السيد عبد العزيز سالم وآخرين ، القاهرة ، بدون تاريخ الطبع.

- تراث الأندلس ، مجلة الكاتب المصري ، يناير ١٩٤٧م .

- ثلاث رسائل أندلسية في آداب الحسبة والمحتسب ، د.ط ، مطبعة المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية ، القاهرة ١٩٥٥م.

- الحضارة العربية في أسبانيا ، ترجمة الدكتور طاهر أحمد مكي ،طبع دار المعارف ١٩٨٠م.

- الشرق الإسلامي والحضارة العربية الأندلسية ، د.ط ، تعريب دار الطباعة المغربية ، تطوان ١٩٥١م .

– مجموع رسائل موحدية ، د.ط المطبعة الاقتصادية ، الرباط ١٩٤١م.

(٩٣) ليوبولد بالباس :

– الفن المرابطي والموحدي ، تعريب الدكتور سيد غازي، منشأة المعارف ، الإسكندرية ١٩٧٦م.

– الأبنية الإسبانية الإسلامية ، ترجمة علية إبراهيم العناني، (مدريد : مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية ، ١٣٧٢هـ/١٩٥٣م) .

(٩٤) مانويل جوميث مورينو :

– الفن الإسلامي في أسبانيا ، تعريب د. لطفي عبد البديع ، د. السيد محمود عبد العزيز سالم، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ١٩٧٧م .

(٩٥) محمد أحمد أبو الفضل :

– قضاة ثوار في الأندلس ، حوليات كلية الآداب ، عين شمس .

– تاريخ مديمة ألمرية الأندلسية ، الهيئة المصرية للكتاب ١٩٨١م

(٩٦) د. محمد بحر عبد المجيد :

– اليهود في الأندلس ، المكتبة الثقافية ، عدد ٢٣٧ ، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر ، القاهرة ١٩٧٠م.

(٩٧) محمد البيلي بركات :

– البربر في الأندلس (من الفتح حتى نهاية عصر الإمارة) ، رسالة دكتوراه غير منشورة ، كلية الآداب ، جامعة القاهرة، القاهرة ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م .

(٩٨) محمد تاويت:

– دولة الرستميين أصحاب تاهرت ، صحيفة معهد الدراسات الإسلامية في مدريد ، مجلد ٥ ، عدد١ ، ٢ سنة ١٩٥٦م.

(٩٩) د. محمد جمال الدين سرور :

– تاريخ الحضارة الإسلامية في الشرق من عهد نفوذ الأتراك إلى منتصف القرن الخامس الهجري ، الطبعة الثانية ١٣٧٨هـ – ١٩٦٧م .

- مصر في عصر الدولة الفاطمية ، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٦٠م .

(١٠٠) د. محمد سويسي :

- وسائل الري والفلاحة في المغرب العربي عبر العصور، ندوة إسهامات العرب في علم الفلاحة ١٩٨٣م .

(١٠٢) محمد عابد الجابري :

- نحن والتراث ، المركزالثقافي العربي ١٩٩٣م .

- الدولة والعصبية .

(١٠٣) محمد عبد الحميد عيسى :

- تاريخ التعليم في الأندلس ، القاهرة : دار الفكر العربي ، ١٩٨٢م .

- الفتح الإسلامي للأندلس ، القاهرة : مكتبة سعيد رأفت ١٩٨٥م.

(١٠٤) د . محمد عبد الغني سعودي :

- قضايا أفريقية ، عالم المعرفة ، الكويت ١٩٨٠ ، عدد٣

(١٠٥) محمد عبد الله عنان :

- أبو بكر بن طفيل الفيلسوف والطبيب والشاعر ، مقال بمجلة العربي : العدد ١٩٧٤م/ ١٩٦٥م .

- دول الطوائف منذ قيامها حتى الفتح المرابطي ، العصر الثاني ، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر ١٩٦٩م .

- عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس ، ط١ القسم الثاني ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ١٩٦٤م.

- دولة الإسلام في الأندلس (العصر الأول والثاني) مكتبةالخانجي، القاهرة ١٩٥٢م.

- تاريخ العرب في الأندلس ، مطبعة السعادة ، القاهرة ١٣٤٢هـ/ ١٩٢٤م .

- الدولة العامرية وسقوط الخلافة الأندلسية ، مطبعة مصر ، مساهمة مصرية ١٣٧٨هـ / ١٩٥٨م .

- تراجم إسلامية (شرقية وأندلسية) مكتبة الخانجي ، القاهرة ١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م.

- أندلسيات : سلسلة فصلية تصدرها مجلة العربي (الكتاب العشرون) القاهرة ١٩٨٨م .

- الأعلام الجغرافية والتاريخية الأندلسية ، مطبعة المعهد المصر بمدريد ١٩٧١م .

(١٠٦) د. محمد عبود:

- التاريخ السياسي والاجتماعي لإشبيلية في عهد دول الطوائف، المغرب ١٩٨٣م .

- جوانب من الواقع الأندلسي في القرن الخامس الهجري مطبعة النور ، تطوان ، المغرب ، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٧م .

(١٠٧) د. محمد عفيفي :

- الأقباط في مصر في العصر العثماني ، سلسلة تاريخ المصريين رقم ٥٤، الهيئة العامة للكتاب ١٩٩٢م .

- الأوقاف والحياة الاقتصادية في مصر في العصر العثماني، سلسلة تاريخ المصريين رقم ٤٤.

(١٠٨) محمد عيسى الحريري :

- حركات المولدين في الجنوب الأندلسي في عصر الإمارة الأموية بالأندلس ، دار المعرفة الجامعية ، ١٩٨٥م .

- مقدمات البناء السياسي للمغرب العربي ، القاهرة : مكتبة الشباب ، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م .

(١٠٩) محمد الفايز :

- الأفكار الاقتصادية والاجتماعية في كتب الفلاحة العربية، ندوة إسهامات العرب في علم الفلاحة ١٩٨٣م .

(١١٠) محمد الفاسي :

- التعريف بالمغرب ، د.ط مطبعة لجنة البيان العربي ، القاهرة ١٩٦١م .

(١١١) محمد فخري عبد الرحمن :

- العرب اليمنية في الأندلس من الفتح الإسلامي حتى قيام الإمارة الأموية ، رسالة ماجستير غير منشورة في كلية الآداب ، جامعة القاهرة ، ١٩٨٥م .

(١١٢) محمد فريد وجدي :

– دائرة معارف القرن العشرين ط٣، دار المعرفة ، بيروت ١٩٧١م.

(١١٣) محمد ولد دادة :

– مفهوم الملك في المغرب ، ط١ ، دار الكتاب اللبناني

(١١٤) د. محمد كامل حسين :

– في أدب مصر الفاطمية ، دار الفكر العربي .

– طائفة الإسماعيلية ، النهضةالمصرية ١٩٥٩م .

(١١٥) د. محمد محمد أمين :

– تطور العلاقات العربية الأفريقية في العصور الوسطى مقال نشر بمجلة معهد البحوث والدراسات العربية في القاهرة بإشراف محمد خيري عيسى ، القاهرة ،د.ت.

(١١٦) محمد محمد التهامي المليجي :

– الحياة الاقتصادية في الأندلس في عصر الدولة الأموية ١٣٨-٤٢٢هـ/٧٥٦-١٠٣١م ، رسالة ماجستير ، كلية الآداب ، جامعة الأسكندرية ، ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م .

(١١٧) د. محمد محمود محمدين:

– التراث الجغرافي الإسلامي ، الرياض ١٤٠٤هـ

(١١٨) محمود اسماعيل عبد الرزاق :

– الأغالبة (سياستهم الخارجية) ، القاهرة : مكتبة سعيد رأفت ، ١٩٧٢م .

– الخوارج في بلاد المغرب حتى منتصف القرن الرابع الهجري، ط٢ القاهرة : مكتبة الحرية الحديثة ١٩٨٦م .

(١١٩) د. محمود علي مكي :

– التشيع في الأندلس إلى نهاية ملوك الطوائف ، صحيفة المعهد المصري للدراسات الإسلامية في مدريد ، مجلد٢ سنة ١٩٥٤م.

– وثائق تاريخية جديدة في عصر المرابطين ، مقال مجلة معهد الدراسات الإسلامية في مدريد ، المجلد السابع والثامن، ١٩٥٩م/ ١٩٦٠م .

(١٢٠) د. مصطفى أبو ضيف أحمد :

– القبائل العربية في الأندلس حتى سقوط الخلافة الأموية ، طبع دار النشر المغربية ، الدار البيضاء ، المغرب ١٩٨٣م .

(١٢١) د. منى حسن محمود :

– المسلمون في الأندلس وعلاقاتهم بالفرنجة ، دار الفكر العربي ١٩٨٦م.

(١٢٢) د. موريس لومبارد :

– الجغرافية التاريخية للعالم الإسلامي خلال القرون الأربعة الأولى ، نقله إلى العربية الدكتور عبد الرحمن حميده ، طبع دار الفكر ، دمشق ، سوريا ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م .

(١٢٣) د. ناجي معروف :

– عروبة المدن الإسلامية ، مطبعة العاني ، بغداد ١٩٦٤م.

(١٢٤) د. نقولا زيادة :

– الرحالة العرب ، دار الهلال ، القاهرة ١٩٥٦م.

(١٢٥) وليد عبد الله عبد العزيز المنيسي :

– جغرافية الحضر عند المدارس الغربية ، حوليات كلية الآداب رقم ٨٣

(١٢٦) يوسف أشباخ :

– تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين ، ترجمة الأستاذ محمد عبد الله عنان ، القاهرة ١٩٥٨م .

رابعاً : المراجع الأجنبية

(1) Al-Alwani G.K:

- The network of irrigation diches in the Alpujarra of Granada. An example of the use water in order to strengthen the social and economic development of Al-Andalus. Al-Andalus : centures of upheavals and achievements. King Abdulaziz puplic Library, Riadh, Library, commitee, 1993. pp. 1-22.

(2) Asín Palacios :

- Un Códice inexplorado del cordobés Ibn Hazm. Al-Andalus. Madrid, 1934, II, pp. 1-56.

(3) Bermejo , J.V :

- Notas de metrología Hispano- Arabe II. Al-Andalus. Madrid 1977. Vol. XLII. Fasc. 1. pp. 61-121.

(4) Dachraoui, F.

- Tentative d'infiltration šiéite en Espagne Musulmane sous Le regne d'Al-Hakam II. Al-Andalus. Madrid . 1957. vol. XXIII. Fasc. 1. pp. 97-106.

(5) Elias Terés :

- Linajes Arabes en Al-Andalus, segun la "yamhara" de Ibn Hazm Al-Andalus. Madrid . 1957. vol. XXII. Fasc. 1 pp. 55-111. Fasc. 2. pp.336-376.

(6) García Gómez :

- Al-Hakam II y los Berberes segün un texto inédito de Ibn Hayyan. Al-Andalus, Madrid, 1948, vol. XIII. Fasc. 1 pp. 212-219.

(7) Glick , T.F :

- Hydraluic technology in Al-Andalus, the legacy of Muslim spain. Brill, leiden, 1992, pp. 974-976.

(8) Guichard, P. :

- The soical history of Muslim spain from the conquest to the end of the Almohad. the legacy of Muslim Spain. Leiden, Brill, 1992. pp. 679-708.

(9) Imamuddin, S.M. :

-Al-Filahah in Muslim Spain. Islamic studies (Pakistan) December 1962. vol. 1 No. 4. pp. 51-89.

(10) Makki, M.A. :

- Egipto y los origenes de la Histoigrafia Arábigo-Espanola, Revista del instituto Egipcio de Estudos Islamicos en Madrid-Madrid 195, vol. V. Fasc. 1-3. pp. 157-248.

(11) Mikle de Epalza :

- Mozarabes : An emplematic Christian minority in Islamic Al-Andalus. the legacy of Muslim Spain. leiden, brill. 1992. pp. 149-170.

(12) Moreno (M.E) and others :

- Hydric aspects in Islamic city planning : Grandada and la vega (XI-XV centures). Al-Andalus : centres of upheavals and achievements. King Abdulaziz puplic Library. Library committe. 1993. pp. 1-26.

(13) Oliver Asín : J.

- "Quercus" en l'España Muslamana. Al-Andalus. Madrid. 1959 vol. xxlv. pp. 125-181.

(14) Sánches , E.G. :

- Agrculture in Muslims Spain. the legacy of Muslim Spain. Leiden Brill. 1992. pp. 987-999.

(15) Thami El Azemouri :

- Les Nawázil d' Ibn Sahl, section relavtive Al' inhitsāb. Hespéris Tamuda. vol xiv. fasc. unique. pp. 7-107.

(16) Viguera Molins : J.

La censura se costumbres en El tanbih Al-Hukkam de Ibn Al-Munásif (1168-1223). Instituto Hispano-Árabe de cultura. Madrid 1985. pp. 591-611.

The final chapter, chapter six, discussed the developed rural centers such as villages, sup-urban, gardens, and "robot". I mentioned also examples of the establishments, such as houses, hotels, roads, markets, and marine establishments.

Finally, I concluded my thesis with the results and then a bibliography of the references

The third chapter was very much concerned with effect of the administration system on the agricultural ownership. So I declared the realtionship between the administrative division and ownership, and the administrative systems that have an effect on the agricultural, such as Al "Wolaa", "Al Wezara", "Al Kadaa", "AL Mazalem", "Al Hesba", "Al Ahbas", "Financial Management", " Al Gobaa".

The chapter shows the agricultural ownership and its effects. It also describes different sorts of agricultural land, water supplies, agricultural cycle, the main types which are planted, and the cattle raising. In the chapter also I clarified the most important industrial agricultural, such as textiles, dying, sugar, oil, soap, ropes, cheese, and carpets. More than that, I showed the role of the internal and external trade in marketing crops. Finally, I mentioned the most important water supplies in "Al Andaloa" and in Morocco.

I devoted the fifth chapter to the effects of the agricultural ownership on the social life. I traced the places where the population have settled, and the different origins of the population which are Arab, Barbar, Mawlodon, Skallia, Fors, Jewish, and Christian. Examples of the people whose life was related to agricultural ownership are: rulers, scientists, farmers, cattle raisers, technicians, and slaves. Then, I mentioned the traditions and habits, such as marriage, divorce, food, clothes, and women.

"The Agricultural Ownership and Its Effects in Morocco &"Al Andalos"

I have divided the thesis into an introduction, a preface, six chapters and a conclusion. Then I displayed a bibliography of the references and sources. In the preface, I defined the "ownership", its divisions, its advantages, and the legitimate and illegitimate reasons of ownership.

In the first chapter, I displayed the different sorts of ownership: major, medium, minor, general ownership, and delegation in ownership. Then, I discussed the methods of ownership which are heritage, Agriculture Ahbaas " Wakfs", selling, buying, ownership by donation, legacy, and finally by ownership by force. For the methods through which we can benefit from ownership, there are many ways, such as " Al Mogharasa", " Al Mozaraa", " Al Sherka", "Al Egara", and "Al Khomas"

Chapter two deals with the effect of the political life on agricultural ownership. In the chapter, I also tried to explain the effect of the political forces in "Al Andalos" and in Morocco on the economy generally and on the agricultural ownership in particular. And that was in the political ages in the "Darasa" age. After that, I showed the effect of the revolutions on the countries and its suburbs. Then, I made a comparison among all these phenomena in "Al Andalos" and in Morocco.